

رَسَائِلُ جَمَابُرِ بْنِ حَبِيَّانَ

ثَلَاثُونَ كِتَابًا وَرِسَالَةً
فِي الْكِيمِيَاءِ وَالْإِكْسِيرِ وَالْفَلَكَ وَالطَّبِيعَةِ وَالرِّيَّةِ
وَالفَلَسَفَةِ وَالنَّظْرِ وَالسِّيَاةِ

إِعْرَازُ

أَحْمَدُ فَرِيدُ الْمَرْزُوقِي



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان



رِسَائِلُ

جَابِرُ بْنُ حَيَّانَ

ثَلَاثُونَ كِتَابًا وَمَسْأَلَةٌ
فِي الْكِيمْيَاءِ وَالْإِكْسِيرِ وَالْفَلَكَ وَالطَّبِيعَةِ وَالرَّسِيَّةِ
وَالفَلَسْفَةِ وَالنَّطَوِ وَالسِّيَابَةِ

Title: **Rasā'il Jābir ben Ḥayyān**

(30 books and letters)
by Jabir ben Hayan

Author: Jābir ben Ḥayyān

Editor: Aḥmad Farīd al-Miziyadi

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 608

Year: 2006

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: رسائل جابر بن حيان

المؤلف: جابر بن حيان

المحقق: أحمد فريد المزيدي

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 608

سنة الطباعة: 2006 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

منشورات محمد وآل محمد بيروت



بيروت
لبنان
دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved ©
Tous droits réservés ©

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ

منشورات محمد وآل محمد بيروت

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣١٢٣٩٨ - ٣١٦١٢٥ (٩٦١ ١)

فرع عرمون، القبلة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

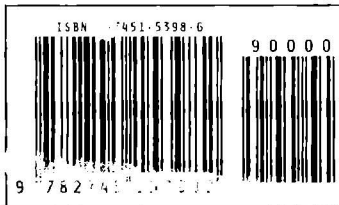
هاتف: ٩٦١ ٥٨٠٤٨١٠ / ١١ - ٩١٢١ - بيروت - لبنان
فاكس: ٩٦١ ٥٨٠٤٨١٤ - رياض الصلح - بيروت - ١١٠٧٢٢٩

<http://www.al-ilmiyah.com>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

يعتبر جابر بن حيان هو أول من جعل الكيمياء علماً على الحقيفة، وأزاح عنها ستار السرية والكهانة وفضَّ من حولها ظروف الاحتكار والتحايل، في الوقت الذي كانت في عصره وقبل عصره موضوعاً للشعبذة والدجل لا للبحث العلمي. ولئن كان أي علم من العلوم يشترط لقيامه وجود موضوع محدد ومنهج يناسبه، ونظرية تفسر العلاقات الكائنة بين أطرافه، فإن جابراً قد حقق هذا كله بالنسبة للكيمياء.

ولكن قبل أن نتابع السير علينا أن نميز بوضوح بين جانبيين رئيسيين للمعرفة الإنسانية:

جانب استنباطي قياسي، وجانب استقرائي تجريبي، وطرق السير في أحدهما يختلف عنه في الآخر والأول يختص بالعلوم الرياضية التحليلية التي لا تحكي عن الطبيعة خيراً، وإنما هي نسق ذهني ينهض على أساس قوامه طائفة من المسلمات والمصادرات والبديهيات العقلية.

والثاني: يختص بالعلوم الطبيعية الواقعية وما بين علاقات الواقع من متغيرات. وقد ميز جابر بن حيان بوضوح في كتاب البحث بين هذين الجانبين من جوانب المعرفة الإنسانية: فمنها ما هو وجود: وهو ما تدركه الحواس ويصبح موضوعاً لتجربة واقعية. وما هو قياس: أي معرفة صورية تعتمد على الاستدلال المنطقي.

والجانب الأول هو بطبيعة الحال ما يصلح للبحث الكيميائي.

يقول جابر: إن الموجودات كلها إما أن تدرك بالحس، وإما أن تدرك بالعقل. والذي يدرك بالحس قد يدرك على خمسة أنحاء وهي ذوات الألوان المدركة بالبصر، وذوات الأصوات بالسمع وذوات الطعوم باللسان وأجزاء الفم التي لها المذاقات، وذوات الكيفيات الخشنة واللينة والحارة والباردة باللمس.. وهذا أمر ليس يحتاج إلى إيضاح بدليل ولا غير إذ كل جمهور الناس يعلمونه.

وأما الموجود بالعقل فإنه ينقسم إلى قسمين: إما أول مسلم لا يحتاج إلى دليل ويقال له ما في بداية العقول وما في أول وهلة، وما يتساوى فيه ذوي العقول السليمة مثل أنه لا يمكن وجود ساكن متحرك في حالة واحدة وزمان واحد، ومثل أن المساوية لشيء واحد هي ما كان الإدراك له الوجود بدليل، ولا يكون واضحاً للعقل وظاهراً من أول وهلة.

وهذه هي العلوم المكتسبة بالتعليم للأدوات لكنها ترجع بالتعليم والشاهد في النفس إلى مثال العلوم الأوائل في الوضوح الذي يحصلها كذلك بين العلم بها والبرهان عليها.

ولا يعني ذلك بطبيعة الحال ان العلم الطبيعي يستغني عن القياس وطرائقه أو يدير ظهره للمنطق وأحكامه، فالتجربة العلمية هي في اول الأمر وآخره تجربة إنسانية يقيمها عقل الإنسان ومنطقه، ولقد كان جابر بن حيان يقول موجهاً كلامه إلى العالم المجتهد: وتحتاج أن تفهم معنى «في» و «على» والكل والجزء، من كلام المنطقي، فإنك شديد الحاجة إليه في العلوم الطبيعية كلها، وما ضائر أن تقول كيف ذلك ولا ينبغي أن يلحقك الملل والضجر في هذه الأشياء فإنها سبب عظيم في تثبيت نفسك بالعلم على الحقيقة، وإذا أدركته وعقلته نفسك فلا زوال له البتة.. إن السالك إذا علم أوائل الشيء فقل ما تقع عليه الخديعة أو يصغى إلى زخرفها أو يميل إلى باطلها.

ويظهر من كتابات جابر سيطرته على الأصول المنطقية واتباعه لأساليب الاستنباط والاستقراء، وتحديد الواضح لمشكلات بحثه ووعيه بمقدمات موضوعه، وما يلزم عنها من نتائج وسيره من الخاص إلى العام أو من العام إلى الخاص، وهو ما يتضح بجلاء على سبيل المثال في كتبه: الإيضاح والحدود والتصريف والتجريد والبحث.

ونكتفي بهذه الإشارة من منطلق البحث عند جابر بن حيان.

وإليك بعض رسائله التي قد سبق طباعتها قديماً من قبل، وهي في الكيمياء والإكسير والفلك والطبيعة والهيئة، والعلوم البديعة.

التعريف بجابر بن حيان

هو جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي، أبو موسى: فيلسوف كيميائي، كان يُعرف بالصوفي. من أهل الكوفة، وأصله من خراسان. اتصل بالبرامكة، وانقطع إلى أحدهم جعفر بن يحيى البرمكي. وتوفي بطوس.

له تصانيف كثيرة قيل: عددها ٢٣٢ كتاباً، وقيل: بلغت خمسمائة. ضاع أكثرها، وترجم بعض ما بقي منها إلى اللاتينية .

ومما بين أيدينا من كتبه أو الكتب المنسوبة إليه مجموع رسائل نحو ألف صفحة، و (أسرار الكيمياء) و (علم الهيئة) و (أصول الكيمياء) و (المكتسب) مع شرح بالفارسية للجلدكي، وكتاب في (السموم) و (تصحيحات كتب أفلاطون) و (الخمائر) و (الرحمة) وكتاب (الخواص) الكبير المعروف بالمقالات الكبرى والرسائل السبعين، و(الرياض) و (صندوق الحكمة) و (العهد) في الكيمياء .

وأكثر هذه المخطوطات رسائل.

وقد جمعنا لك مجموعة نفيسة منها في هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي

القارئ.

ولجابر شهرة كبيرة عند الإفرنج بما نقلوه من كتبه، في بدء يقظتهم العلمية.

قال برتلو: M. Berthelot:

لجابر في الكيمياء ما لأرسطو طاليس قبله في المنطق، وهو أول من استخراج حامض الكبريتيك وسماء زيت الزاج، وأول من اكتشف الصودا الكاوية ، وأول من استحضر ماء الذهب ، وينسب إليه استحضر مركبات أخرى مثل كربونات البوتاسيوم وكربونات الصوديوم . وقد درس خصائص مركبات الزئبق واستحضرها

وقال لوبون: G. Le Bon:

تألف من كتب جابر موسوعة علمية تحتوي على خلاصة ما وصل إليه علم الكيمياء عند العرب في عصره . وقد اشتملت كتبه على بيان مركبات كيماوية كانت مجهولة قبله . وهو أول من وصف أعمال التقطير والتبلور والتذويب والتحويل... الخ.

ويظهر أن حياة جابر كانت غامضة في أوائل القرن الرابع للهجرة حتى أنكر

بعض الكتاب وجوده.

وقال بعضهم: إن كانت له حقيقة فما صنف إلا كتاب «الرحمة» وردّ عليهم ابن الندم بأن الرجل له حقيقة، وتصنيفاته أعظم وأكثر.

وقال: اختلف الناس في أمره ، فقالت الشيعة: إنه كانه صاحب سيدنا الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه.

وقال غيرهم: كان في جملة البرامكة ومنقطعاً إلى جعفر بن يحيى.

قلت: نشأ عن القول بصحته لجعفر الصادق الاخذ بما جاء في بعض المصادر من أن جابراً توفي سنة ١٦١ هـ ، لأن وفاة سيدي جعفر الصادق كانت سنة ١٤٨ هـ .

وقد وجد في كتاب الذريعة (٢ / ٥٥) نصاً جديداً، له قيمته، وهو رواية أبي الربيع سليمان بن موسى بن أبي هشام عن أبيه موسى، في صدر كتاب «الرحمة» لجابر.

قال: لما توفي جابر بطوس سنة مائتين من الهجرة وجد هذا الكتاب تحت رأسه.

وانظر في ترجمته ومنهجه:

فهرست ابن الندم (١ / ٣٥٤)، وأخبار الحكماء (١١١)، والمقتطف (١ / ١٢٣)،
ومعجم المطبوعات (٦٦٤)، واكتفاء القنوع (٢١٣، ٢١٤)، وحضارة العرب (٥٧٤)،
وجابر بن حيان وخلفاؤه (٣٨)، وجابر بن حيان لركي نجيب محمود (ص٥٨، ٦١)،
والتصور الإسلامي للطبيعة للدكتور مصطفى لبيب عبد الغنى.

كتبه

أحمد فريد المزيدي

القاهرة

كتاب الحدود^(١)

الحمد لله الذي لا يحد بحد، ولا يوصف بصفة. ولا يجري عليه صفات المخلوقين.

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

اعلم أن لنا كتباً في الحدود ذات أفانين ومتصرفات متباينة بحسب طبقات العلوم التي قصد بها قصدها وأمر بها نحوها، فهذا الكتاب فمترلة من الشرف كمتزلة العلوم التي اختصت بها هذه الكتب، وما يمر بك فيها إن كنت تعقل ما نقول مغن عن وصفها ومدحها عندك ويتسهل علي فضلها، وإن لم تفهم ما يمر بك فيها فما مترلتك أن تمدحها، ولا أن نقر لك بشيء منها، فضلاً عن أن تراها وتلمسها وتقرأها.

واعلم أن الغرض بالحد هو الإحاطة بجوهر الحدود على الحقيقة حتى لا يخرج منه ما هو فيه، ولا يدخل فيه ما ليس منه، ولذلك صار لا يحتمل زيادة ولا نقصاناً، إذ كان مأخوذاً من الجنس والفصول المحدثة للنوع، إلا ما كان من الزيادات من آثار فصوله المحدثة لنوعه بالكل لا بالجزء؛ كالضحك للإنسان، وذو الرجلين فيه، وأشبه ذلك.

ولذلك قيل في الحد: إنه لا يحتمل الزيادة والنقصان، وإن الزيادة فيه نقصان من المحدود، والنقصان منه زيادة في المحدود، وذلك على ما قدمناه لك مراراً.

فأما الزيادة فيه، فتقسم قسمين: فما كان منها ليس من أثر الفصول وخواصها بالكل لا بالجزء فهي ناقصة من المحدود، وما كان من أثرها وخواصها بالكل لا بالجزء فليس بناقص من المحدود ولا زائد فيه.

فأما النقصان من الحد فهو زيادة في المحدود لا محالة على أي وجوه كان النقصان منه، والعلة في ذلك أن الحد على ما رتبته القوم مأخوذ من الجنس وفصوله المحدثة لذلك النوع المقصود بالحد إليه.

(١) الحد: لغة المنع ومنه سمي البواب حداً لمنعه الناس عن الدخول في الدار واصطلاحاً الجامع المانع ويقال المطرد المنعكس.

فإذا نقص منها فصل دخل في النوع ما عدم ذلك الفصل، وما وجد فيه،
لاشترآكهما في الجنس الذي هما تحته، فحصلت الزيادة في النوع المحدود.
كما أنا إذا قلنا في حد الحمار: إنه حيوان ذو أربع قوائم، فنقصنا فصله المتمم
لنوعه، وهو النهاق زاد المحدود لا محالة، إذ كان ذو أربع قوائم يجمع الحمار وغير
الحمار، والحيل والبغال والجمال، وغير ذلك من ذوات الأربع قوائم.
وكذلك إذا زدنا في حد الإنسان ما ليس هو بأثر كلي، ولا خاصية مساوية
لفصله المحدث لنوعه من أثر جزئي أو عرض لم يؤثره فصله، حصل النقصان من المحدود
ضرورة.

ألا ترى أنا إذا قلنا في حد الإنسان: إنه حي ناطق مهندس أو نحوي أو كاتب أو
كانت نقص ضرورة المحدود وهو الإنسان، لأن من ليس بكاتب أو نحوي أو مهندس
بمقتضى هذا الحد لا يجب كونه إنسانا، وليس الأمر كذلك، وهذه الزيادة من أثر فصله
المحدث لنوعه، لكنها جزئية لا كلية، وناقصة لا مساوية.

وكذلك إذا زدنا عرضا ليس من آثار الفصل، كأنا نقول: إن الإنسان حي ناطق
أسود، نقص المحدود لا محالة؛ لأن الأبيض حينئذ على هذا الحد لا يجب كونه إنسانا،
فإذا جئنا بالمساوي وزدناه عرضا كان أو خاصة لم ينقص المحدود، كأنا نقول: إن حد
الإنسان أنه حي ناطق مائت ضحاك، فنأتي بالخاصة؛ عريض الأظفار وذو الرجلين،
فنأتي بالعرض؛ لم ينقص المحدود؛ لأنه لا إنسان إلا وهذه حاله.

وإذ قد بان هذا من أمر الحد، ووضع الغرض به وكيفية دلالة على حقيقة
المحدود، وظهر ما ينقص منه ويزيد فيه من زيادة ونقصان وما لا ينقص منه، ولا يزيد
فيه من الزيادات؛ فلنقل في حدود ما يحتاج إلى ذكر حدوده لتعرف حقائقه على
الصحة فتعلم عند ذكرنا لها في هذه الكتب في مواضعها الخاصة بما لكل واحد منها
علما لا يتطرق عليه الشك.

فأقول: إن هذه العلوم المذكورة في هذه الكتب، لما كانت على ضريين: علم
الدين، وعلم الدنيا، فكان علم الدين فيها منقسما قسمين: شرعيا وعقليا.
وكان العقلي منها منقسما قسمين: علم الحروف وعلم المعاني.

وكان علم الحروف منقسما قسمين: طبيعيا وروحانيا.
 والروحاني منقسما قسمين: نورانيا وظلمانيا.
 والطبيعي منقسما أربعة أقسام: حرارة وبرودة ورطوبة ويوسة.
 وعلم المعاني منقسما قسمين: فلسفيا وإلهيا.
 وعلم الشرع منقسما قسمين: ظاهرا وباطنا.
 وعلم الدنيا منقسما قسمين: شريفا ووضيعا.
 فالشريف علم الصنعة، والوضيع علم الصنائع.
 وكانت الصنائع التي فيه منقسمة قسمين: منها صنائع محتاج إليها في الصنعة،
 وصنائع محتاج إليها في الكفاية، والاتفاق على الصنعة منها.
 فإذا كان جميع ما تذكره في هذه الكتب غير خارج من هذه الأقسام، وذلك أن
 ما فيها من العلوم الطبيعية والنجومية والحسابية المارة في خلالها والهندسية داخل في جملة
 العلم الفلسفي، وما فيها من صنائع الأدهان والعطر والأصبغ وغير ذلك داخل في
 القسم الذي يراد للكفاية والاستعانة بما يتفق منه على الصنعة.
 فأما علم الصنعة، فمنقسم قسمين: مراد لنفسه ومراد لغيره.
 فالمراد لنفسه هو الإكسير التام الصايغ.
 والمراد لغيره على ضربين: عقاقير وتدابير.
 فالعقاقير على ضربين: حجر وهو المادة، وعقاقير يدبر بها.
 والتدابير على ضربين: جواني وبراني.
 فالجواني على ضربين: أحمر وأبيض.
 والبراني على هذين الضربين أيضا، لكنه ينقسم أقساما تكاد تكون بلا نهاية، غير
 أن ما في هذه الكتب منها أشرفها.
 والعقاقير التي يدبر بها على ضربين: بسائط ومركبة.
 فالبسائط: هي كل غبيط لم يدخله تدبير، والمركبة: هي الأركان.
 فأما الإكسير فعلى ضربين: أحمر وأبيض.
 فهذه جميع أقسام هذه العلوم الداخلة في هذه الكتب المنصوص عليها منها.

ونحتاج أن نقول في حدودها بما يفصحها ويكشف عن حقائقها، ونقلد البغي في ذلك الناظر فيها والتولي لدرسها -والله تعالى نسأل توفيقنا لما يرضيه - فقد علم غرضنا ورأينا فيما نأتي به ونبديه من أسرار هذه العلوم المكتومة. ويكون ما نورده من هذه الحدود على توالي القسمة التي قسمنا هذه العلوم عليها، ليكون ذلك أشرح وأبين وأوضح، وبالله أستعين في ذلك، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فأقول:

إن حد علم الدين^(١) أنه صور يتحلى بما العقل ليستعملها فيما يرجو الانتفاع به بعد الموت.

وليس يعترض على هذا طلب رئاسة الدنيا بما، ولا إعظام الناس له من أجلها، ولا الحيلة عليهم بإظهارها؛ لأن كل ذلك ليس هو لها بالذات، لكن بطريق العرض، والحد إنما هو مأخوذ من الجنس والفصول الذاتية، فاعلم ذلك وتبينه، واعرف قدر هذا الكتاب، فلو قلت: إن ليس في جميع كتبنا هذه "الخمسمائة كتاب" إلا مقصرا عنه في الشرف، لقلت حقا، فإذا كانت كتبنا هذه أشرف من جميع ما لنا وأشرح وأبين منها، وأفضل لما فيها من علوم سادتنا، ومن جميع ما للناس غيرنا، فقد صار هذا الكتاب أفضل من جميع ما في العالم من الكتب لنا ولغيرنا بجمعه حقائق ما في هذه الكتب على أبين الوجوه وأصح الحدود وأوضح الطرق، فاعلم ذلك.

وحد علم الدنيا أنه الصور التي يقتنيها العقل والنفس لاجتلاب المنافع ودفع المضار قبل الموت.

وإنما قلنا في هذا الحد "يقتنيها العقل والنفس" لأن من المنافع ودفع المضار أشياء متعلقة بالشهوة، وهي من خواص النفس، فعلم هذه مقصور على النفس إذ كان العقل عدوا للشهوة، ومنها أشياء متعلقة بالرأي، فعلمها مقصور على العقل، فلذلك احتجنا في الحد إليها.

وحد العلم الشرعي: أنه العلم المقصود به أفضل السياسات النافعة دينا ودنيا لما

(١) انظر: مفردات الراغب (١١٧)، والتعريفات (٥٦)، والتعاريف (١٦٨)، والكلديات (٣٢٧/٢)، ودستور العلماء (١٣٧/٢).

كان من منافع الدنيا نافعاً بعد الموت.

وإنما خصصنا هذا النوع من منافع الدنيا؛ لأن ما لم يكن من منافعها هذه حاله، ولا تعلق له بالدين، فليس قصد الحد إليه.

وحد العلم العقلي أنه علم ما غاب عن الحواس وتخلّى به العقل الجزئي من أحوال العلة الأولى وأحوال نفسه وأحوال العقل الكلي والنفس الكلية والجزئية فيما يتعجل به الفضيلة في عالم الكون، ويتوصل به إلى عالم البقاء.

وحد علم الحروف: أنه العلم المحيط بمباحث الحروف الأربعة، من الهلية والمائية والكيفية واللمية.

وحد علم معاني الحروف: أنه العلم المحيط بما اقتضته الحروف اقتضاء طبيعياً معلوماً بالبرهان من الجهات الأربع، وهي: الهلية والمائية والكيفية واللمية.

وحد معاني علم الحروف الطبيعي: أنه العلم بالطبائع الخاصة بكل سبعة من الحروف في النوع، وبواحد واحد منها في الشخص.

وحد علم الحروف الروحاني: أنه العلم بما هي أثر له من النور والظلمة وبكونها أشكالا لهما على حق وجودهما بالتأثير وأصدقه.

وحد العلم النوراني: أنه العلم بحقيقة النور الفائض على الكل.

وحد العلم الظلماني: أنه العلم بالضد للنور وكيفية مضادته له وملكته، وإنما لم نذكر الهلية والمائية في هذا العلم؛ لأن العلم بأحد الضدين علم بالآخر في الجملة.

وحد علم الحرارة: هو العلم بجوهرها وأثرها، وما تأثرت منه إذا كان علماً بها على التفصيل، فأما إذا كان علماً بها على الجملة فهو العلم بأثرها الخاص بها.

وحد العلم بالبرودة: هو العلم بجوهرها وأثرها وما تأثرت منه على التفصيل، وبأثرها على الجملة.

وحد علم الرطوبة: هو العلم بجوهرها وخاصتها وما تأثرت منه على التفصيل، وبخاصتها على الجملة، وإنما لم نقل بأثرها؛ لأنها منفعة لا فاعلة.

وحد علم اليبوسة: أنه العلم بخاصتها وجوهرها وما تأثرت منه على التفصيل، وبخاصتها على الجملة، وإنما لم نقل بأثرها؛ لأنها منفعة لا فاعلة.

وحد العلم الفلسفي: أنه العلم بحقائق الموجودات المعلولة.
 وحد العلم الإلهي: أنه العلم بالعلة الأولى، وما كان عنها بغير واسطة أو بوسيط
 واحد فقط، وإنما قلنا هذا لأن حلية الوسط لم يبلغ به حد التركيب.
 وحد علم الشرع: هو العلم بالسنن النافعة إذا استعملت على حقائقها فيما بعد
 الموت وقبله من الأشياء النافعة فيما بعده أو النافعة فيما ينفع فيما بعد الموت.
 وحد علم الظاهر: أنه العلم بالسنن العامة على الأمر الكلي اللائق بالطبيعة
 والعقول والنفوس الطبيعية.
 وحد علم الباطن: أنه العلم بعلى السنن وأغراضها الخاصة اللائقة بالعقول
 الإلهية.
 وحد علم الدنيا: أنه العلم بالنافع والضار وما جلب المنافع منها أو أعان فيه
 ودفع المضار منها أو أعان على ما تدفع به.
 وحد علم الدنيا الشريف: هو العلم بما أغنى الإنسان عن جميع الناس في قوام
 حياته الجيدة.
 وحد علم الدنيا الوضيع: هو العلم بما يوصل إلى اللذات والمنافع وحفظ الحياة
 قبل الموت.
 وحد علم الصنائع: أنه العلم بما يحتاج إليه الناس في منافع دنياهم.
 وحد علم الصنائع المحتاج إليها في علم الدنيا الشريف: هو العلم بما لا يتم علم
 الدنيا الشريف إلا به.
 وحد علم الصنائع المحتاج إليها للكفاية والمعونة على علم الدنيا الشريف: هو
 العلم بما يتوصل به مع إقامة الحياة إلى استفادة فضل كاف فيما يراد من المعونة على
 العلم الشريف كفاية جزئية أو كلية.
 وحد علم الصنعة: أنه العلم بالإكسير، فإذا دبر تدبيرا ما كان منه علم الدنيا
 الشريف.
 وحد العلم بما يراد من العلم الشريف لنفسه: هو العلم الذي لا يطلب بعد
 معلومه شيء من مطالب الدنيا الصناعية لسد الفاقة والحاجة.

وحد العلم بما يراد لغيره: أنه العلم بما لا يتم ذلك الغير إلا به، إذا كان ذلك الغير مقصوداً إليه مراد التمام.

وحد العلم بالإكسير: هو العلم بالشيء المدبر الصايغ القالب لأعيان الجواهر الذائبة الخسيسة إلى أعيان الجواهر الذائبة الشريفة.

وحد العلم بالعقاقير: هو العلم بالأحجار والمعادن المحتاج إليها في بلوغ الإكسير والوصول إليه.

وحد العلم بالتدابير: أنه العلم بالأفعال المغيرة لأعراض ما حلت فيه إلى أعراض أخر أشرف منها وأسوق إلى تمام الإكسير.

وحد العلم بالحجر: الذي هو المادة للإكسير هو العلم بالذات التي تحتاج إلى تبديل أعراضها لتصير إكسيرا.

وحد العلم بالعقاقير الداخلة في تدبير هذا الحجر: هو العلم بالجواهر المعدنية ذوات الخواص التي تغير أعراض هذا الحجر المراد تغيرها.

وحد العلم الجواني: أنه العلم بالشيء المدبر من داخل بالاستحالات.

وحد العلم البراني: هو العلم بما يدبر من خارج تدبير يقل الانتفاع به في الشرف.

وحد العلم بالأحمر الجواني: أنه العلم بما يصبغ الفضة ذهباً لأجل ما هو عليه من اللون عند التمام.

وحد العلم بالأبيض الجواني: هو العلم بما يصبغ النحاس فضة لما هو عليه من البياض عند التمام.

وحد العلم بالبراني الأحمر: أنه العلم بما يصبغ الفضة ذهباً.

وحد العلم بالبراني الأبيض: أنه العلم بما يصبغ النحاس فضة، تكون الفضة إما ظاهراً أو غائصاً عند التمام.

وحد العلم بالعقاقير البسيطة: أنه العلم بما لم يدخله التدبير المقصود به الصنعة من الأشياء المحتاج إليها فيها.

وحد العلم بالمركب من العقاقير: أنه العلم بما دخله التدبير المقصود به الصنعة

من الأشياء التي يحتاج إلى علاج الصنعة إليها حاجة مزاج واختلاط، وإنما ذكرنا هذا اختصاص في الحاجة لثلا يشكل عليك في الأواني والآلات وما جرى مجراها.
وحد العلم بالغيبط: هو العلم بما كان على خلقته الأولى التي هو بها هو هو.
وحد العلم بالأركان: هو العلم بما يكون عن اجتماعه وتديره التدبير الذي له الإكسير.

وحد العلم بالإكسير الأحمر: أنه العلم بما يصبغ الفضة ذهباً لما هو عليه.
وحد العلم بالإكسير الأبيض: أنه العلم بما يصبغ النحاس أو الرصاص فضة لما هو عليه.

وإذ قد أتينا على حدود العلم بهذه الأشياء من طريق التعليم، فلنذكر حدودها أنفسها ليكون الكتاب تاماً.

فأقول:

إن حد الدين: هو الأفعال المأمور بإتيانها للصلاح فيما بعد الموت.
وإن حد الدنيا: أنها جميع ما في عالم الكون من الحوادث الضارة والنافعة بأي وجه كان ذلك فيها.

وإن حد الشرع: أنه السنن المقصود بما سياسة العامة على وجه يصلحون فيه صلاحاً نافعاً في عاجل أمرهم وآجله.

وإن حد العقل: أنه الجوهر البسيط القابل لصور الأشياء ذوات الصور والمعاني على حقائقها، كقبول المرآة لما قابلها من الصور والأشكال ذوات الألوان والأصباغ.
وإن حد الحروف: أنها الأشكال الدالة بالمواضع على الأصوات المقطعة تقطيعاً يدل بنظمه على المعاني بالمواطأة عليها.

وإن حد المعاني: أنها الصور المقصود بالحروف إلى الدلالة عليها.
وإن حد الطبيعة: أنها سبب إلى الكائن عنها من الأمور الكائنة الفاسدة.
وإن حد الروح: هو الشيء اللطيف الجاري مجرى الصورة الفاعلة.
وإن حد النور: أنه الجوهر المكسب جميع الأشياء بياضاً مشرقاً بالمازجة بحسب قبول تلك الأشياء على اختلافها في القبول.

وإن حد الظلمة: أنها عدم النور من الأشياء العادمة له أو لأثره، وتلك الأشياء العادمة لأثره هي التي يقال لها: ظلمانية، والقابلة لأثره هي التي يقال لها: نورانية.

وإن حد الحرارة: أنها غليان الهبولى، وهي: حركتها في الجهات كلها.

وإن حد البرودة: أنها حركة الهبولى من محيطها إلى مركزها.

وحد الرطوبة: أنها مادة الحرارة في حركتها وغذاءها المحيى لها.

وحد اليبوسة: أنها المفرقة بين الأشياء المجتمعة تفريقاً طبيعياً.

وإنما قلنا: تفريقاً طبيعياً لئلا يلتبس عليك بتفريق الصناعة، لأننا قد نقطع الشيء بالسكين، وليس السكين يبوسة، وإن فرقت بين الأشياء المتصلة فذلك منسوب إلى الصناعة لا إلى الطبيعة.

وحد الفلسفة أنها العلم بالأمور الطبيعية وعللها القريبة من الطبيعة من أعلى والقريبة والبعيدة من أسفل.

وحد العلوم الإلهية: أنها علوم ما بعد الطبيعة من النفس الناطقة والعقل والعلة الأولى وخواصها.

وحد الظاهر: أنه العلم بالمعرفة عند من دخل تحته^(١).

وحد الباطن: أنه الغرض المستور المراد بالظاهر.

وحد الشريف: أنه المستغنى عن غيره فيما تحتاج إليه الأشياء بعضها إلى بعض.

وحد الوضع: أنه المحتاج إلى غيره حاجة تقتضى تفضيله عليه.

وحد الصنعة: أنها الآلة الموصلة إلى استغناء الإنسان بنفسه عن من سواه في المكاسب من جهة غير معتادة.

وحد الصنائع: أنها الأفعال الموصلة إلى المنافع الدنية أو المتوسطة من الجهات المعتادة.

وحد ما يراد من الصنعة لنفسه: أنه الشيء الذي إليه يقصد بالتدبير للصنعة.

وحد ما يراد منها لغيره: أنه الشيء الذي يقصد به قربها لما يراد لغيره.

وحد العقاقير: أنها الأجسام الواقع عليها التدبير.

(١) انظر: الحدود للسعد (ص٤)، والتعريفات (٧٦)، والكليات (٣/١٧٥).

وحد التدبير: أنه الأفعال المقصود بها بلوغ المراد لنفسه من الصنعة.
 وحد الحجر: أنه الجوهر المطلوب منه الغنى عن الغير من وجه شريف غير معتاد
 إذا وقع التدبير عليه بأسره.
 وحد الجواني: أنه المدبر معا من أول الأمر تدبيرا يقصد به إلى غاية ما في الصنعة
 بالقوة.
 وحد البراني: أنه المدبر الأركان على انفراد في أول الأمر تدبيرا لا يقصد به إلى
 غاية ما في الصنعة مع العلم بما يكون عنه قبل كونه.
 وحد الصبغ الأحمر: أنه ما كان غائضا منه في الأجساد الدائبة، إما أحمر أو
 أصفر أو مسكيا بين الصفرة والحمرة، فاعلم ذلك.
 وحد الصبغ الأبيض: أنه الغائض في الأجساد الدائبة، وهو أبيض يقق أو أغبر أو
 أحمر كمد، فاعلم ذلك.
 وحد البسيط الغبيط: هو ما لا تدبير فيه من تدابير الصنعة.
 وحد المركب: هو ما دخله التدبير مع غيره.
 وحد الركن: هو ما لها من المركبات المدبرة للمزاج بما بلغ في التدبير مثل
 منزلته.
 وحد الإكسير التام: أنه الصابغ للجوهر الذائب المقصود به صبغة صبغا ثابتا
 على الحنة بانقلابه من نوعه إلى نوع هو أشرف منه.
 وحد الإكسير الأحمر التام: أنه ما صبغ الفضة ذهباً خالصا صابرا على ما يصبر
 عليه الذهب مختصا بجميع خواصه صابرا على ما يصبر عليه الذهب مختصا بجميع
 خواصه.
 وحد الإكسير الأبيض التام: أنه الصابغ للنحاس فضة بيضاء جامعة لخواص
 الفضة بأسرها، المصلح لجميع الأجساد غير النحاس، المبيض للذهب القالب له عن
 نوعه إلى نوع الفضة إلا في صبره على النار وخواصه الشريفة، فإنه لا يغير شيئا منها.
 وإذ قد انتهى القول إلى هذا الموضع وفرغنا من جميع الحدود للعلوم والمعلومات
 المذكورة في هذه الكتب، وقد كنا وضعنا فيها كتبنا في "النفس" و"الحركة والمتحرك"

و"الحس والمحسوس" و"الفاعل والمنفعل"؛ فيجب أن تحد هذه ليكون الكتاب تاما. وأما ما سوى هذه فقد ذكرنا في كل كتاب منها ما يدل على حده إن كان محتاجا إلى حد، أو على غير معناه إن كان محتاجا إلى شرح حاله والكشف لها، فأغني ذلك عن ذكره في هذا الكتاب.

إذ كنا إنما نذكر فيه حدود الأشياء المشكلة المضلة التي لم تعلم حدودها على حقائقها، وإذا كان الأمر على هذا فلنقل فيما بقي علينا من حدود ما ذكرنا من النفس وما بعدها.

فأقول:

إن حد النفس^(١): أنها كمال للجسم الذي هو آلة لها في الفعل الصادر عنها،

(١) فائدة جلية: قال سيدي مصطفى البكري رحمته: اعلم أن النفس قد اختلف فيها، هل هي الروح أو غيره؛ فأهل اللغة لم تفرق؛ فقالوا النفس الروح، وفرق غيرهم، قال في المختار (١): النفس الروح، يقال: خرجت نفسه، والنفس الدم، يقال سألت نفسه، وفي الحديث: «ما ليس له نفس سائلة فإنه لا ينحس الماء ما دامت فيه»، والنفس الجسد، ويقولون ثلاثة أنفس، فيذكرونه لأنهم يريدون به الإنسان ونفس الشيء، عنه يؤكد به، يقال: رأيت فلانا نفسه وجاءني بنفسه اهـ.

وقال شيخنا الشيخ عبد الغني النابلسي فسمح الله في أجله في شرحه على رسالة ابن الكمال باشا الذي سماه مفتاح الفتوح في مشكاة وزجاجة النفس ومصباح الروح بعد سرد عبارات كثيرة: وقال ابن القيم في كتاب الروح: النظام الروح جسم، وهي النفس، وزعم أن الروح حي بنفسه، وأنكر أن الحياة والقوة معنى غير الحي القيوم. وقال آخرون: الروح عرض.

وقال قائلون منهم جعفر بن حرب: لا ندري الروح جوهر أو عرض، واعتصموا في ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، ولم يخبر عنها ما هي لا أنها جوهر ولا عرض، وكان الجبائي يذهب إلى أن الروح جسم، وأنها غير الحياة، والحياة عرض، وزعم أن الروح لا يجوز عليها الأعراض.

وقال قائلون: ليس الروح حيا أكثر من اعتدال الطبائع الأربعة، ولم يرجعوا من قولهم إلى المعدل، ولم يثبتوا في الدنيا شيئا إلا الطبائع الأربع، التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.

وقال قائلون: إن الروح معنى خامس غير الطبائع الأربعة، وأنه ليس في الدنيا إلا الطبائع الأربعة والروح، واختلفوا في الروح، فيثبتها بعضهم طباعا، ويثبتها بعضهم اختيارا.

وقال قائلون: الروح: الدم الصافي الخالص من الكدر والعفونات، وكذلك قالوا في القوة.
وقال قائلون: الروح: الحياة به الحرارة الغريزية.
وكل هؤلاء الذين حكينا قولهم في الروح من أصحاب الطبائع يثبتون أن الحياة هي الروح،
وكان الأصم لا يثبت الحياة والروح شيئا غير الجسد، ويقول: لست أعقل إلا الجسد الطويل
العريض العميق الذي أراه وأشاهده.
وكان يقول: النفس هي البدن بعينه لا غير، وإنما جرى عليها هذا الذكر على جهة البيان
والتأكيد بحقيقة الشيء لا أنها معنى غير البدن.
وذكر عن أرسططاليس: أن النفس معنى مرتفع عن الوقوع تحت [الشف] والكون، وأنها
بسيط منبث في العالم كله من الحيوان على جهة الأعمال له والتدبير، وأنه لا يجوز عليه صفة
قلة ولا كثرة، وقال: وهي على ما وصفت في انبساطها في هذا العالم غير منقسمة الذات
والبنية، وأنها في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير.
وقال آخرون: بل النفس معنى وجود ذات حدود وأركان وطول وعرض وعمق، وأنها غير
مقارنة في هذا العالم لغيرها مما يجري عليها حكم الطول والعرض والعمق، وكل واحد منها
يجمعه صفة الحد والنهية.
وحكى الجريدي عن جعفر بن مبشر: أن النفس جوهر ليس هو هذا الجسم وليس بجسم،
ولكنه معنى باين الجوهر والجسم.
وقال آخرون: النفس معنى غير الروح، والروح عين الحياة، والحياة عنده عرض، وهو أبو
الخرزلي.
وقال جعفر بن حرب: النفس عرض من الأعراض يرجح في هذا الجسم، وهي أحد الآلات
التي يستعين الإنسان بها على الفعل كالصحة والسلامة وما أشبههما، وإنما غير موصوفة بشيء
من صفات الجواهر والأجسام، هذا ما حكاه الأشعري.
وقالت طائفة: النفس هي النسيم الداخل والخارج بالنفس.
قالوا: والروح عرض، وهو الحياة فقط، وهو غير النفس، وهذا قول القاضي أبو بكر
الباقلاني ومن تبعه من الأشعرية.
وقالت طائفة: ليست النفس جسما ولا عرضا، وليست في مكان، ولا لها طور ولا عرض ولا
عمق ولا لون ولا بعض ولا كل ولا نهي في العالم ولا خارج العالم، ولا مجانية له ولا
مباينة، وهكذا قول المشائين الذي حكاه الأشعري عن أرسططاليس: وزعموا أن تعلقها بالبدن
لا بالخلق منه ولا بالمجاورة ولا بالمساكنة ولا بالاتصال ولا بالمقابلة، وإنما هو بالتدبير له فقط،
واختار هذا المذهب البوشنجي ومحمد بن النعمان الملقب بالمفيد ومعمّر بن عباد والغزالي وهو
قول ابن سينا وأتباعه، والكلام مبسوط في هذا المبحث غاية البحث والبسط اهـ.

وقال السهيلي في الروض الأنف شرح السيرة النبوية لابن هشام:

فمن قال إن النفس هي الروح على الإطلاق من غير تقييد لم يحسن العبارة، وإنما فيهما من الروح الأوصاف التي تقتضيها نفحة الملك، والملك موصوف بكل خلق كريم، ولذلك قال في الحديث: «إن الله خلق آدم وجعل فيه نفسا وروحا، فمن الروح عفافه وعلمه ووفاءه وفهمه، ومن النفس شهوته وغضبه وطيشه»، وذلك أن الروح مازج الجسد الذي فيه الدم، وسمى الدم نفسا، وهو مجرى الشيطان، وقد حكمت الشريعة بنجاسة دمه لسر يعلمه أن يفهم مما نحن بسبيله، فمن يعرف جوهر الكلام وينزل الألفاظ منازلها لا يسمى روحا إلا ما وقع فرقا بين الجماد والحي، والذي كان سببا للحياة، كما قال في الكتاب العزيز عند ذكر إحياء النطفة ونفخ الروح فيها، ولا يقال نفخ النفس إلا عند الاتساع في الكلام، وتسمية الشيء بما يؤول اليد، ومن هنا سمي جبرائيل عليه السلام روحا، والوحي روحا، لأنه به تكون حياة القلوب.

قال الله عز وجل: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال في الكفار: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢١]، وقال في النفس: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، ولم يقل: إن الروح لأمارة؛ لأن الروح هو سبب الحياة، لا يأمر بسوء، ولا يسمى أيضا نفسا كما قدمنا حتى يكتسب من الجسد الأوصاف المذكورة وما كان نحوها، والماء النازل من السماء جنس واحد، فإذا مازج أجساد الشجر كالنفاخ والفرسك والحنظل والعنقر وغير ذلك اختلفت أنواعه، كذلك الروح الباطنة التي عند الله هي جنس واحد وقد أضافها إلى نفسه تشريفا لها، حين قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، ثم تخالط الأجساد التي خلقت من طين، وقد كان في ذلك الطين طيب وخبث فينزع كل فرع إلى أصله، وينزع ذلك الأصل إلى ما سبق في أم الكتاب، وإلى ما دبره وأحكمه الحكيم الخبير، فعند ذلك تتناثر النفوس أو تتعادي أو تتحابب أو تتباغض على حسب التشاكل في أصل الخلقة، وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف».

وقد كتب بعض الحكماء لا صديق له: إن النفس غير مشكورة على الانقياد إليك بغير زمام؛ فإنها صادفت عندك بعض جوهرها، والسيء يبيع بعضه بعضا اهـ.

وقال السيد الشريف في التعريفات (١): النفس هو الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماها الحكيم الروح الحيوانية، فهي جوهر مشرق على البدن، فعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وباطنه، فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد؛ لأن الموت هو الانقطاع الكلي والنوم الانقطاع الناقص، فثبت أن القادر الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أخرى:

الأول: إن بلغ ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه فهو اليقظة، وإن انقطع

ضوؤها عن ظاهره دون باطنه فهو النوم، وبالكلية فهو الموت.
وقال سيدي أبو القاسم القشيري رحمته في الرسالة: النفس نفس الشيء في اللغة وجوده، وعند
القوم ليس المراد من إطلاق لفظ النفس الوجود ولا القلب الموضوع، وإنما أرادوا بالنفس ما
كان معلولا من أوصاف العبد ومذموما من أفعاله وأخلاقه، ثم أن المعلولات من أوصاف العبد
على ضربين:

أحدهما: يكون كسبا له، كمعاصيه ومخالفته.
والثاني: أخلاقه الدنية؛ فهي في أنفسها مذمومة، فإذا عاجلها العبد ونازلها تنتفي عنه بالمجاهدة
تلك الأخلاق على مستمر العادة.

فالقسم الثاني من أحكام النفس ما نهى عنه فهي تحريم أو هي تنزيه.
وأما القسم الثاني في قسيمي النفس: فسفساف الأخلاق والديء منها، هذا حده على الجملة
ثم تفصيلها، فالكبر والغضب والحسد والحقد وسوء الخلق وقلة الاحتمال وغير ذلك من
الأخلاق المذمومة، وإن لها استحقاق قدر، ولهذا عد ذلك من الشرك الخفي، ومعالجة الأخلاق
في ترك النفس وكسرها أتم من مقاساة الجوع والعطش والسهر والسفر، إلى غير ذلك من
المجاهدات التي تتضمن سقوط القوة، وإن كان ذلك أيضا من جملة ترك النفس، ويحتمل أن
تكون النفس لطيفة مودعة في هذا القلب هي محل الأخلاق الحمودة، وتكون الجملة مستخرا
بعضها لبعض؛ فالجميع إنسان واحد، وكون النفس والروح في الأجسام اللطيفة في الصورة
ككون الملائكة والشياطين بصفة اللطافة، وكما يصح أن يكون البصر محل الرؤية، والأذن محل
السمع، والأنف محل الشم، والفم محل الذوق، والسميع والبصر والشام والذائق إنما هي الجملة
التي هي الإنسان، فكذلك محل الأوصاف الحميدة القلب والروح، ومحل الأوصاف المذمومة
النفس، والنفس جزء من هذه الجملة، والقلب جزء من هذه الجملة، والحكم والاسم راجع إلى
الجملة اهـ.

وقال سيدي تاج الدين ابن عطاء الله أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم الجذامي
الإسكندراني في كتابه: مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح بفضل ذكر الله الكريم الفتاح: تمة
النفس هو الجوهر البخاري اللطيف الحامل القوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماها
الحكيم الروح الحيوانية، وهي الواسطة بين القلب الذي هو النفس الناطقة وبين البدن، وقيل:
هي المشار إليها في القرآن العزيز بالزيتونة الموصوفة بأنها مباركة لا شرعية ولا غريبة؛ لازدياد
رتبة الإنسان وتزكيته بها، ولكونها ليست من مشرق عالم الأرواح المجردة ولا من مغرب
الأجساد الكثيفة، وهي أمانة ولوامة ومطمئنة.

فالنفس الأمانة بالسوء هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمّر باللذات والشهوات الحسية،
وتجذب القلب إلى الجهة السفلية؛ فهي مأوى الشر ومنبع الأخلاق الذميمة والأفعال السيئة،

وهي النفس العامة، وهي مظلمة، والذكر لها كالسراج في البيت المظلم.
والنفس اللوامة هي التي تنورت بنور القلب تنويراً ما قدر ما تنبتهت به عن سنة الغفلة فتبقت
وبدت بإصلاح حالها، مترددة بين جهتي الربوبية والخلقية، وكلما صدر منها سيئة بحكم
جبلتها الظلمانية وحظها تداركها نور التنبيه الإلهي، فأخذت تلوم نفسها وتوب منها
مستغفرة راجعة إلى باب العفار الرحيم، فلذلك نوه الله بذكرها وبالإقسام بها في قوله تعالى:
﴿لَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ* وَلَا أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ﴾ [القيامة: ١-٢]: أي لأن لا صلة، والمعنى
أقسم فكانت تبخر كأنها في بيت ملآن من كل مذموم: كنجاسة وقلب وخنزير وفهد ونمر
وفيل، فنتجهد في إخراجها من بعد أن تلتطحت بأنواع النجاسات، وتجرحت بأنواع السباع،
فتلازم الذكر والإنابة حتى يظهر سلطان الذكر عليهم، فيخرجهم، ثم تقرب من المظمنة، فلا
تزال تجتهد في جمع أثاث البيت حتى تزين البيت بأنواع المحمودات، فيتحلى بها، ويصلح البيت
لنزول السلطان فيه، فإذا نزل فيه السلطان وتجلى الحق عادت مظمنة، وهي التي يتم بنورها
نور القلب، حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة، وتوجهت إلى جهة
القلب بالكلية، ساعية في الترقى إلى جناب القدس، منزهة عن جانب الرجس، مواظبة على
الطاعات، ساكنة إلى حضرة رفيع الدرجات، حتى خاطبها ربها بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسِ
المظمنة* ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] إلى آخر الآية اهـ.
واعلم أن النفس مشتقة من المنافسة وهي المنازعة؛ لأن التنافس تفاعل، فلا بد لها من رؤية
وجود ودعوى مع موجدتها، فنتحتاج إلى علاج ودواء.

فقد جاء في بعض الأخبار وإن كان ليس بالقوي عند الأخيار أن الله تعالى خلق الدنيا
وأوجدتها، وقال لها: من أنا؟ قالت له بحية: أنت الله الأحد. وخلق النفس فقال لها: من أنا؟
فقلت له: من أنا؟ فنوع لها العذاب، فلم تدعن حتى ألقاها في بحر الجوع كذا كذا سنة،
فأقرت له بالوحدانية، واعترفت بالعبودية، فمن هنا وجب الجهاد فيها ليردها صاحبها إلى
الإقرار بطواهرها وخوافيها، قال الله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ [الحج: ٧٨].
قال عبد الله بن المبارك: هو مجاهدة النفس والهوى، وذلك حق الجهاد، وهو الجهاد الأكبر
على ما روي في الخبر: أن رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته: «رجعنا من الجهاد
الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

وقال الحسن قدس الله سره في قوله: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ [البلد: ١١]: هي والله عقبة شديدة
مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان.

وعن سهل بن عبد الله ؓ يقول الله تعالى: «ما خلقت خلقاً يناديني في ملكي غير النفس،
فإذا أردت رضائي فخالقها».

وفي الحديث: «أعدى أعدائك إليك نفسك التي بين جنبيك» رواه البيهقي.

وهذا الحد لها من جهة التركيب، وإنما ذكرناه لأنه مجانس لما ذكره أرسطاطاليس فيها، إذ يقول: إن النفس كمال لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة، وقد بينا ما في الحد من الفساد والقبح ونقصان منزلة المعتقد له في ردنا عليه كتابه في النفس، ولكننا نضع الكتب لكل محب لهذه العلوم على طبقاقم ليأخذ كل فهم بمقدار عقله ومبلغ فهمه، فلهذا ذكرنا هذا الحد في النفس، فأما الحد لها على رأينا:

فإنها جوهر إلهي محي للأجسام التي لا يستها متضع بملاسته إياها، فانظر يا أخي كم بين الحدين من الفرقان في الدلالة على جوهر النفس.

وأما حد الطبيعة: فإنها من حيث الفعل مبدأ حركة وسكون عن حركة، وأما من حيث الطباع فإنها جوهر إلهي متصل بالأجسام متضع باتصاله بما غاية الاتضاع. وأما الحركة: فحدها غير تغير الهيولى إما في المكان أو الكيفية^(١).

والمتحرك: هو المتغير في أحد هذين من مكانه وكيفيته.

وحد الحس: أنه انطباع صور الأجسام في النفس من طريق الآلات المعدة لقبول تلك الصور وتأديتها إلى النفس. بمناسبة كل واحد من تلك الآلات لما تقبل عنه صورته. والمحسوس: هو الصور المؤثرة في آلات الحس أشباحها وأمثلها.

وحد الفاعل: أنه المؤثر للآثار الشبيهة به لا بالكل وغير الشبيهة به بالكل^(٢).

وحد المنفعل: أنه القابل في ذاته الآثار والصور.

واعلم أنا قد استعملنا في جميع ما كتبناه في هذا الكتاب لفظة الحد على الاتساع، لأن ما ذكرناه فيه يجري مجرى الجواهر العالية والأشخاص الذاتية التي ترسم من خواصها، إذ ليس لها أجناس ولا فصول تحد منها، ولكن لما كان غرضنا حصرها

=

وقال أبو عثمان المغربي رحمه الله تعالى: ابتلى الله الخلق بتسعة أمشاج كل واحد يطلب ضد ما يطلب الآخر: ثلاث مفتنات، وثلاث كافرات، وثلاث مؤمنات، فالثلاثة المفتنات: السمع والبصر واللسان، والثلاث الكافرات: النفس والهوى والشيطان، والثلاث المؤمنات: الروح والعقل والملك اهـ.

(١) انظر: التعريفات (ص ٩٤٥)، والحدود لابن سينا (٢٥٢)، والحدود للكندي (١٩٢)، والمبين للآمدي (٩٥)، والكليات (٢١٣/٢).

(٢) انظر: التعريفات (٨٨)، والتعاريف (٢٥٦)، والحدود لابن فورك (ص ٨٤).

والإبانة عن جواهرها، وكان الرسم بالخاصية والحد بالجنس والفصول مشتركين في كشف حالها للنفس وتحصيل صورها الجوهرية في العقل؛ أجرينا عليها اسما واحدا وهو اسم الحد، إذ كان الرسم تابعا له ومشبها به.

وإذ قد بلغنا إلى هذا المكان، فقد استوفينا غاية ما في هذا القول بحسب الإيجاز والاختصار، فليكن آخر هذا الكتاب ولنتبعه بما بعده، إن شاء الله تعالى، وبالله توفيقنا وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تم كتاب "الحدود" بحمد الله وعونه وصلواته على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

كتاب الأحجار

على رأي بليناس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على تواصل نعمه وأياديه علينا ومننه، وتبعه بالصلاة على سيدنا محمد وآله والسلام.

وقد كنا نعدك في غير كتاب من كتب الموازين برأي بليناس خاصة في علم الموازين، والآن فنحن بادرون بذكر من خالف فيه ووافق.

قال بليناس^(١): أقول وأصف الحكمة التي أيدت بها بعد خروجي من السرب وأخذ الكتاب واللوح: إن الذي يعم الأشياء كلها الطبائع التي هي البسيطة لا المركبة، وإذا كان الشيء عاما فمحال أن لا يكون له كمية - وقد أوضحنا ذلك في غير شيء من كتبنا في هذا الفن.

ثم قال: والأوزان التي تعم النبات والحيوان والحجر هي على تناسب سبعة عشر وليس الأكاسير كذلك بل ما يكون منها كذلك - وهذا أيضا قد بيناه في غير شيء من كتبنا، ثم جعل كمياتها على ما قد ذكرناه في كتاب التصريف وهو: واحد في الأول، وثلاثة في الثاني، وخمسة في الثالث، وثمانية في الرابع.

قال بليناس: والذي أراه في الوزن بالصنحة هي من الأدون في العشير وهو ثلاثة أرباع حبة - يعني: أن مقدار الخامسة مقدار العشير، ثم أوجب ضرورة أن الرابعة الواحدة درهم، وأن الثالثة ستون درهم، وأن الثانية ثلاثة آلاف وستمئة درهم^(٢)، وأن الدقيقة مضروب ثلاثة آلاف وستمئة في ستين فتكون مائتي ألف وستة عشر ألف درهم، وأن الدرجة مضروب مائتي ألف وستة عشر ألفا في ستين فتكون اثني عشر ألف وتسعمائة وستين ألف درهم، وأن المرتبة مضروب اثني عشر ألف ألف

(١) بليناس الحكيم: من أهل الطوانة من بلاد الروم ويقال انه أول من أحدث الكلام على الطلسمات وكتابه فيما عمله بمدينة وممالك الملوك من الطلسمات معروف مشهور.

(٢) الدرهم، وقالوا: درهام ودرهم جمع دراهم ودراهيم معرب من اليونانية وكان اسما لوحدة وزن عند قدماء اليونانيين، والدرهم يعادله في الأوزان حاليا نحو ٢,٥٠ جراما.

وتسعمائة وستين ألفا في ستين فتكون المرتبة الأولى من أي العناصر سبعمائة وسبعة وسبعين ألف ألف وستمائة ألف درهم.

فكأن المرتبة الثانية تكون ألفي ألف ألف وثلاثمائة واثنين وثلاثين ألف ألف وثمانمائة ألف درهم، وتكون درجة المرتبة الثانية ثمانية وثلاثين ألف ألف وثمانمائة وثمانين ألف درهم، وتكون دقيقة المرتبة الثانية ستمائة ألف وثمانية وأربعين ألف درهم، وتكون ثلاثة المرتبة الثانية مائة وثمانين، وتكون رابعة المرتبة الثانية ثلاثة دراهم، وتكون خامسة المرتبة الثانية حبتين وربع حبة ويكون ثلاثة أعشر.

فهذا -عافاك الله- شيء مكشوف واضح، ونحن نبين الكلام فيه بعد استيفاء الحساب فيه ليكون من قرأ هذا الكتاب مستريحا من التعب باستخراجه من الكتب المتقدمة ولم يبق عليه إلا المزاج.

وقد أوضحنا ذلك في كتاب التصريف وفي الجزء الثالث من هذا الكتاب ندل فيه كيف وجه أخلاط هذه الأوزان، وبالله نستعين وعليه نتوكل.

ونقول: إن الخامسة من المرتبة الثالثة على هذا المذهب خمسة عشر أربع حبة أو خمسة عشر، والرابعة من هذه المرتبة خمسة دراهم، والثالثة منها ثلاثمائة درهم. والثانية ثمانية عشر ألف درهم، والدقيقة ألف ألف وثمانون ألف درهم، والدرجة منها أربعة وستون ألف ألف وثمانمائة ألف درهم والمرتبة الثالثة تكون على هذا القياس إذ الأصلان لا خلف فيهما -أعني: في سبعة عشر- ثلاثة آلاف ألف ألف وثمانمائة وثمانية وثمانين ألف ألف درهم.

وأیضا فإن الخامسة من المرتبة الرابعة ثمانية عشر أو ست حبات، والرابعة منها ثمانية دراهم، والثالثة: أربعمائة وثمانون درهما، والثانية ثمانية وعشرون ألفا وثمانمائة درهم، والدقيقة من المرتبة الرابعة ألف ألف وسبعمائة وثمانية وعشرون ألف درهم، والدرجة منها مائة ألف ألف وثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف وثمانون ألف درهم، والمرتبة الرابعة ستة آلاف ألف ومائتان وعشرون ألف ألف وثمانمائة ألف درهم.

فقد وضع من كلام بليناس -عافاك الله- ما وضع، فلنستخرج الآن ما يحتاج إليه من هذه الأوزان على رأيه في جميع الأشياء.

زعم بليناس أن للحيوان ميزانا وللنبات ميزانا وللحجر ميزانا في الكون الأول الذي خلقه الله عز وجل، وأن للحيوان ميزانا غير الأول وكذلك للنبات وكذلك للحجر وأن هذا الثاني لنا، فاعلم ذلك.

وزعم أيضا أن للإكسير الأعظم خاصة ميزانا مفردا ولم يذكر ميزان غيره من الأكاسير لأنه ذكر أن ذلك موجب ضرورة أن يكون.

وذكر أن للتلسمات موازين مختلفة على قدر خلفها أيضا، ثم نص على كل واحد من هذه الموازين بكلام يحمل نحن شارحوه في هذه الكتب الأربعة على استقصاء كما وعدنا في غير كتاب ومثبتون فيه غرضنا في الموازين التي علمناها نحن.

وينبغي أن تعلم أن من لم يقرأ كتبنا في الموازين قبل هذا الكتاب لم ينتفع بشيء من هذه الكتب الأربعة لأنها مناطة بعضها ببعض، ونحن الآن سالكون في الشرح كما وعدناك، إن شاء الله تعالى.

اعلم -عافاك الله- أنه لما ذكر أن لكل واحد من هذه الأشياء التي عددناها ميزانا وذكر ذلك المقدار في الكمية التي قد ذكرتها نص أيضا على الحروف كما علمناك في كتاب الحاصل.

ثم قال: إذا توالى حرفان من شكل واحد احتسب بالأول من جنسه ومقداره من مرتبته.

ونسب الثاني منها إلى المقدار اليسير الذي هو خارج من حساب الجمل كقولنا أ و ب - وقد والله العظيم علمتك هذا في كتاب ميدان العقل.

ثم قال: ولنطلب اللسان العربي خاصة، فبين أن سائر الألسن لا ينبغي لعامل الموازين أن يعتد بها.

ثم قال: وأما ميزان الحيوان الأول -فعلى ما نصصت أنا عليه في كتاب التصريف لا غير ولست أحتاج أن أعيده ههنا، وأما النبات فكذلك والحجر مثله.

فقد فرغنا منه وليس فيه كتمان ولا شك ولا تخلطه عليك وناقضه بكلام آخر في شيء من الكتب كما أفعل ذلك أبدا عامدا للتدهيش والتغليط إلا لمن أحب الله تعالى وورقه.

فأما ميزان الحيوان الثاني والنبات والحجر فعلى ما في صدر هذا الكتاب من العشير في الخامسة وهو أقلها على المرتبة الرابعة التي هي ستة آلاف ألف ومائتان وعشرون ألف وثمانمائة ألف.

عز علي يا بائس متى كنت تستخرج هذه الأوزان، فينبغي أن تعلم أن الله تعالى قد سهل عليك فرجك ونجاتك من تموية وأصلا بك من تموير كتبي بإيضاح الحق لك فيها الآن، إن شاء الله تعالى.

ثم قال: فليس ينبغي أن لا تستخرج في الميزان الخامسة ولا تطرح -فهذا خطأ، بل تحسب على تحقيق وتقدير صحيح حتى يخرج ما في الشيء كله من سائر طبائعه وجوهره ونفسه، ثم تعمل به ما تقصد إليه، إن شاء الله تعالى.

ثم قال: وأما ميزان الإكسير^(١) - فقد كنت أنا عرفتك في كتاب الحاصل والميلدان حروفا هي منغلقة ونحن نشرحها في هذه الكتب إن شاء الله تعالى.

فأما موازين الطلسمات وموازين العلويات والحميات والطبيات والفلسفيات فليس نذكر في كتابنا هذا غير الحجر فقط ونحن في الجزء الثاني من هذه الكتب نوري صور الأحجار وإخراج طبائعها بالحروف والصنجات وذاكرون من المزاحات طرفا حسنا به يستدل على سائرهما، إن شاء الله تعالى.

والعلة التي لها أوردنا صورة هذه الأحجار في هذه الكتب وأفردناها عن سائر الكتب أن بليناس يقول وهو الحق: إن في الحروف الواقعة على الأدوية وغيرها من الثلاثة أجناس ما ينبئ عن باطنه ولا ينبئ عما في ظاهره، وفيها ما هو بالعكس مثل أن ينبئ عما في الظاهر ولا يدل على الباطن، وفيها ما يوجد جميعا فيها، وفيها ما يدل على ما فيها وزيادة تحتاج إلى أن تلقى ويرمى بها كما يحتاج الناقص إلى أن يتم ويزيد، فأوجب بذلك ما هو البرهان بعينه.

(١) الإكسير بالكسر الكيمياء والكاسور يقال القرى والكسرة بالكسر القطعة من الشيء المكسور ج كسر كعب والكاسر العقاب ورجل ذو كسرات وهدرات محركتين يعين في كل شيء و يكسر عنيك الفوق أو الأرعاض أي غضبان عليك وجمع التكسير ما تغير بناء واحده وكزبير جبل عال مشرف على أقصى بحر عمان. القاموس المحيط (١/ ٦٠٤).

ثم إنه يرى أن اسم الذهب كذلك في الحقيقة عند الميزان لأنه يدل على طبعين - بل الحكم الصواب أن يكون اسم الذهب بما يوجب سائر طبائعه، وسنذكر ذلك في الجزء الثاني وتزيينات وتنقيصات سائر الأحجار إلا الأقل، وما لم يبلغنا ولا رأيناه فإنا من ذلك في عذر مبسوط، والوجه متى ورد عليك شيء مثل ذلك أن تستخرج أنت اسمه كما نوريك في المثال، إن شاء الله تعالى.

ثم إنه عاد وقال: وإنما قلت إنه ينبغي أن يسمى كل شيء على حقيقة ميزانه عند العمل لا عند المذاكرة.

وينبغي -عافاك الله- أن تعلم أن الذي يستخرج في العالم لغة فهو إنسان عظيم- وهذا الذي يذكر هو إخراج لغة أخرى لا يعرفها جميع الناس لأنه ليس في المتعارف أن ينطق باسم من الأسماء على تحقيق أمره إلا في الندرة بعد الندرة. وينبغي أن تعلم أن استخراج الطبائع على الحروف كما علمناك في كتاب الصفوة لندلك في الابتداء على طبع شيء لا على تحقيقه، وكذلك ما علمناك في كتاب الحاصل إلا أن الحاصل أجود تحصيلًا من الصفوة، وذلك لأن الصفوة كالرائحة من الأشياء والحاصل كذات الشيء التي بزوالها يزول العين. فمعلوم من هذا الكلام أن إخراج طبع الشيء في الظاهر غير منتفع به، وإلا فقد كنا ألقينا به.

ولكن ينبغي -عافاك الله- أن تزن كل شيء تريد وزنه وتحزره عن كل شيء في باطنه وظاهره.

فأما وجوه الإسقاط فإنك تحتاج الآن إلى ما في كتاب التصريف وغيره من تلك الكتب، وذلك أنه ينبغي ضرورة أن يسقط من كل شيء يحتاج إلى وزنه ما زاد على بنيته وما دخل للعلل بغير زيادة.

فمعلوم أن الذهب أصل إذ هو بريء من ذلك، وصار هجاء الفضة فص إذ الهاء إنما دخلت للتأنيث ولا ذكر لها.

ثم تزيد عليه بعد إسقاطك ما فيه بحسب الحاجة إليه، فاعلم يا أخي أنه متى حصلت لك من الحروف واحدة مثل أو ب أو ما كان خرج لك الكل على سبعة عشر.

مثال ذلك:

أن تحتاج أن تزن الزئبق فتجد الزاء من البيوسة في الدرج، فلو لم يبق لك فيه حرف آخر لم تكن تبالي، وذلك أنه ينبغي أن تعلم أن الزاء كما قلنا درجة بيوسة، فتزيد عليه من الدرجة بحسب ما تريد حتى يكون مرتبة، ثم تضاف المراتب إلى أن يبلغ بها ما تريد وتزيد من الحروف بحسب ذلك، ثم رتب على هذه المراتب البيوسة باقي الطبائع الثلاث.

إلا أنك ينبغي أن تفرد ما أخرجه لك الهجاء عما أخرجه لك الحدس لتطلب مثل ما أخرجه الحدس بالإضافة إلى الصورة ليصير لك الشكلان شكلا واحدا.

قد - وحق سيدي - أوضحت لك ما كنت غنيا عن الزيادة فيه شيئا ثالثا، إلا أنني لست أرضى بذلك دون أن تتركب في اليوم ألف حيوان وألف شيء من النبات وألف حجر، والله المرشد لنا ولك برحمته إنه جواد كريم.

وينبغي يا أخي أن تعلم أن الزوائد منها ما يكون في أول الكلمة ومنها ما يكون في آخر الكلمة ومنها ما يكون في وسطها.

وينبغي أن تعلم أن من الزوائد ما يحكيه الإعراب، فينبغي أن يطرح ولا يعتد به، مثل زيد وزيدا وزيد في الرفع والنصب والخفض أو الجر، ومثل الزيدان والزيدون في التثنية والجمع.

فهذا يا أخي لا تلتفت إليه ورده إلى واحده مثل زيد من الزيدين وعمر من العمرين وما جانسه.

وينبغي أن تعلم أن من الزوائد ما إذا كان في أول الكلمة فهو زائد، فإذا صار في وسطها وآخرها صار أصلا.

وعكس ذلك مثل أن يكون الحرف في آخرها زائدا، فإذا صار في وسطها وأولها صار أصلا أعني من نفس الكلمة.

وكذلك ربما كان في الوسط أصلا، فإذا صار في أولها أو آخرها جاز أن يكون زائدا. وبما كان أصلا، وينبغي أن تعلم في الزوائد أنها عشر وهي الهمزة، واللام والياء والواو والميم والتاء والنون والسين والألف والهاء.

ولما كانت هذه الحروف تختلف مواضعها ومواقعها من الكلام احتجنا حينئذ إلى نصب الأمثلة التي تنقلب عليها.

فنقول -وبالله عز وجل الاستعانة-: إن أصول الكلام ثلاثة أبنية: وهي ثلاثي ورباعي وخماسي.

فأما الثلاثي:

فإنه ينقسم إلى اثني عشر مثالا، منها عشرة مستعملة، وواحد لم يسم على بنائه الحروف إلا واحد، وواحد مهمل لم يجيء قط على بنائه ولا يكون ذلك.

فأما الأمثلة فمثل فعل على مثال فهد، وعلى فعل نحو حمل، وعلى فعل نحو دبر، وعلى فعل نحو عنق وعلى فعل نحو رسن، وعلى فعل نحو إبل، وعلى فعل نحو صرد، وعلى فعل نحو قمع، وعلى فعل نحو كبد، وعلى فعل نحو سبع، فهذه عشرة تكثر في الثلاثي.

وأما المثال الذي جاء واحدا فعلى فعل.

قالوا لدوية من الحشرات دئل، فالبناء الذي لا يمكن أن يكون منه شيء فعل. وأما الرباعي فله خمسة أمثلة وهي فعلل نحو عقرب، وعلى فعلل نحو برقع، وعلى فعلل نحو زبرج، وعلى فعلل نحو هجرع، وعلى فعلل نحو قمطر. وأما الخماسي فيكون على أربعة أمثلة يكون على فعللل نحو سفرجل، وعلى فعللل نحو جحمرش وعلى فعللل نحو، وعلى فعللل نحو جردحل، وليس غير هذه إلا الزوائد.

فأما تمييز الزوائد حتى يرد كل شيء إلى حقه فالزوائد في العشر التي ذكرناها من قبل.

أما الميم واللام فمخصوص بها الاسم، واللام يصحبها الألف وهما للتعريف في العبد والغلام والدواء وما جانسه وكل ما كان من الأسماء يحتمل الجنس، وتزداد اللام بين الألف والكاف ليذكر المشار إليه من الشيء الغائب وهي أولى بالهمزة، وتزداد اللام أيضا في الذي بين الثانية والذال، ليقع بها الفتح وتكون فاصلة بين سکون اللام وكسر الذال. أما الميم فإنها تزداد في مكرم ومستضرب وما شاكل ذلك ولا حظ لها في الفعل

إلا في شيء شاذ وهو قولهم مَحْرَقٌ.

وأما الهمزة والواو والياء والتاء والنون والسين والألف والهاء فالهمزة تزداد في أحمد وأفضل وهما اسمان وفي أحسن وأكرم وهما فعلان.

وإنما نريك ذلك - وليس مقصدنا تعليمك النحو- لأن من الأحجار والعقار والحيوان ما يقع اسمه كالاسم وما يقع اسمه كاسم الفعل، فنريك الحروف التي هي زائدة في الأفعال وزائدة في الأسماء، أو زائدة في الأسماء وأصلية في الأفعال، أو أصلية في الأسماء وزائدة في الأفعال ليحكم على كل شيء بحكمه، إن شاء الله تعالى.

والياء تزداد في يَعْمَلٌ وهو اسم وفي يضرب وهو فعل، والواو تزداد في جوهر وهو اسم وفي حوقل وهو فعل.

والتاء تزداد في تَنْضُبٌ وهو اسم وفي تَضْرِبُ وهو فعل والنون تزداد في نرجس وهو اسم وفي تَضْرِبُ وهو فعل، والسين تزداد في مُسْتَضْرَبٌ وهو اسم وفي استضرب وهو فعل.

والألف تزداد في مضارب وهو اسم وفي ضارب وهو فعل والهاء تزداد في قائمة وهو اسم للتأنيث فيقال قائمه وفي ارمه وهو للوقف فاعرف ذلك واحكم على كل ما جاءك منه.

ولنأخذ في تعليمك ما قدمنا لتعرف الفرق بين كلامنا وكلام بليناس.

واعلم -عافاك الله- أنا نرى في الموازين والحروف رأيا غير رأي بليناس وليس لنا مخالف غيره، لأن هذا العلم ليس يكاد كل الفلاسفة وجلهم يتكلمون فيه وإنما المتكلمون فيه شواذ.

فأما رأينا - وهو الذي ذكرته لك في كتاب التصريف وكتاب الحاصل وفي هذا الكتاب من إطراح الزوائد- فهو موافق لنا، ونحن نرى أننا لا نحتاج إلا إلى المرتبة والدرجة وإذا دققنا فالدقيقة، وإلا فليس يُحتاج إليها.

وأما بليناس فلا يرى ذلك ويخطئ أصحابه ويقول: إن الشيء ينبغي أن يُستخرج كل شيء فيه إن كان موضوع هذا العلم على الطبائع - وهو والله حسن ولكنه تعب ونصب.

فمن سلكه فقد علمناه ميزانه ويحتاج أن يخرج الخامسة وما فوقها إلى المرتبة ويحززه ويضيف بعضه إلى بعض حتى يخرج له فيه ما حد ووصف في الموازين. ومن أحب طريقنا فهو أسهل وأنقص لأنه قريب من التحقيق وعلى هذا التحقيق بعينه، وأما الزيادات التي ذكرناها عن بليناس والتنقيصات أعنى من هجائها فحق لا بد منه.

وقد استوفينا تعليمك له، ونحن نأتي في الجزء الثاني من هذا الكتاب بما فيه كفاية وفوق الكفاية من صورته وشرحه وتزييداته وتنقيصاته وتوفيته إلى سبعة عشر بالحروف وكميته بالصنعة والفرق بين الأصلي فيه والزوائد عليه، إن شاء الله تعالى. فأما ميزان العلويات والتكوينات لها ووصف ذلك والتوليدات الأرضيات للثلاثة الأجناس وعجائبها فإننا نذكرها في أخوات هذه الكتب مثل كتاب التجميع وكتاب الأفاضل وشرح المنتهى وشرح الشمس والقمر وكتاب الشمس والقمر والمنتهى. وياليت شعري كيف يتم عمل لمن لم يقرأ كتاب الحدود من كتبنا، فإذا قرأته يا أخي فلا تجعل قراءتك له مثل قراءة سائر الكتب، بل ينبغي أن تكون قراءتك مرة في الشهر، والحدود فينبغي أن ينظر فيه كل ساعة، وإن إعطاء الحد أعظم ما في الباب. فإذا قلنا: إن الإيقاع حده أنه تأليف عددي، ثم كان ذلك التأليف إنما يكون بحركة وسكون، والمتحرك والساكن إذا ألفا في كلام أو إيقاع فأكثر ما يكون من الحركات أربعة متوالية في مثل قول أصحاب العروض فعلن، وأكثر ما يجتمع ساكنان في مثل قولهم فاعلان والألف والنون ساكنان، ولولا اللين الذي في الألف ما أمكن ذلك وهو غير جائز إلا في حروف اللين الثلاثة وهي الواو والياء والألف، واعرف ذلك.

ولما كان التأليف العددي إنما يكون على الساكن والمتحرك في النطق والسمع كان جملة أجزاء التأليف العددي ثمانية: اثنان منها خماسيان وستة سباعية. فأما الخماسيات فقولهم فعولن وفاعلن، وأما الستة السباعية فمفاعيلن وقولهم فاعلاتن ومستفعلن ومتفاعلن ومفاعلتن ومفعولاتن. ثم يتولد عن هذه أجزاء الزيادة والنقصان حتى تكاد أن تكون إلى ما لا نهاية له.

فقولهم في حد الإيقاع إنه تأليف عددي أنتج هذا كله.

وهو يحتاج إلى شيء آخر مثل أن يكون الإيقاع فردا في العدد أو زوجا، والزوج والفرد إما أن يكون زوج زوج أو فرد فرد أو فرد فرد زوج.

والعدد الفرد يكون مثل الواحد وأخواته، والزوج مثل الاثنین وأخواته، وزوج الزوج مثل الثمانية فإنها زوج الستة والأربعة والاثنين، وأما زوج الفرد فمثل ستة من تسعة وأخواتها كأربعة من خمسة وما جرى هذا المجرى، وأما فرد الفرد فالواحد من الثلاثة ومن الخمسة والسبعة والتسعة وما جرى مجراها، وأما فرد الزوج فعكس زوج الفرد وذلك أن يكون الزوج ثمانية والفرد سبعة وخمسة وثلاثة وواحد وما جرى مجراها من الأعداد.

ويتولد عن ذلك كله أربع طرائف في الموسيقى تكون نتيجة هذا الكلام كله، وهو المقول عليه أنه ثقیل الأول وثاني الثقیل والرمل والهزج.

ثم إنهم ولدوا كل واحد من هذه خفيفا فصارت ثمانية وهي خفيف ثقیل الأول وخفيف ثقیل الثاني وخفيف الرمل وخفيف الهزج.

ثم جعل لكل واحد من هذه نسبة في الأصابع فكان خلف هذه في الأصابع كخلف تلك في الحلق واللسان والشفيتين، إذ كان قد يحدث من هذه الطرائق بالأصابع ساكن ومتحرك كما حدث لنا في الحروف ساكن ومتحرك، فقالوا: ثقیل الأول المطلق وثقیل الأول المزموم وثقیل الأول بالوسطي وثقیل الأول المحمول، فسمى هذا المحمول محصورا، وربما فرق بينهما بنقرة يسيرة فصارت ثمانية في أربعة يكون اثنتين وثلاثين طريقة، فأنتج قولهم: عددي تأليف ذو عدد هذا كله.

وإذا رجعت إلى نفسك وفكرك فإذا الذي حدوه من ذلك لا يتجاوزه ولا يخرج منه فصل واحد.

ولولا أن الحدود كذلك تعطي سائر أوصاف الشيء ما حدوها ولا عملوا أيضا الحدود.

كمثل قولهم: ما حد الحد، وجوابهم بأن قالوا: هو إعطاء الحدود جميع الأوصاف التي فيه.

ومثل قولهم: ما حد الكيمياء، فقالوا: إظهار ليس في أيس فانظر -عافاك الله-
ما أحسن هذا إذ ليس عندهم عدم وأيس عندهم -عافاك الله- وجود، وكذلك
الكيمياء إنما هي إعطاء الأجسام أصباغا لم تكن لها، فاعرف ذلك إن شاء الله تعالى.
ومثل قولهم: ما حد العشق، فقالوا: شغل قلب فارغ، فانظر ما أحسن هذا
وأتمه، وليكن النظر في هذا الحد خاصة بعين العقل المحض لا باعتقاد هوى، فإن الناس
قد يكادون لا يقرون على شيء بحد واحد، وهذا أجود حدوده والسلام.
وإنما ذكرنا ذلك تحريضا لك على إدامة النظر في كتاب الحدود لتصل به إلى ما
تحب إن شاء الله تعالى.

فقد والله بينت وأوضحت وكشفت ولم أرمز شيئا، فعليك -عافاك الله- أن
تدبم التفطيش لها والبحث والتنقيب عنها حتى يخرج لك حقها على الاستواء، إن شاء الله
تعالى.

فأما موازين الأشياء التي قد خلطت مثل أن يخلط زجاج وزئبق على وزن ما لا
يعرفه أحد غيرك وتعطيه لصاحب الميزان فإن في قوة العالم في الميزان أن يكون لك كم
فيه من الزجاج وكم فيه من الزئبق^(١)، وكذلك الفضة والذهب، والنحاس والفضة، أو
ثلاثة أجسام أو أربعة أو عشرة أو ألف إن جاز أن يكون ذلك.

فإننا نقول: إن هذا من الحيل على تقريب الميزان وهو حسن جدا، ولو قلت إنه
كالدليل على صحة هذا العلم -أعني علم الموازين- لكنت صادقا، بل القول كذلك.

وذلك إذا أردت أن تعرفه وتكون أنت صاحب الميزان حتى تختلط لك الأجسام
وغيرها فنقول ما في ذلك المختلط من كل حجر من المقدار فإنك على اسم الله تعالى
فاستعمل ميزانا على هيئة الأشكال ويكون بثلاث عرى خارجة إلى فوق واعمل بهذه
الكفتين كعمل الموازين أعني من شدك بها الخيوط وما يحتاج إليه، ولتكن الحديدية الواسطة
التي فيها اللسان في نهاية ما يكون من الاعتدال حتى لا يميل اللسان فيها أولا قبل نصب
الخيوط عليها إلى حبة من الحبات، ويكون وزن الكفتين واحدا وسعتهما واحدة ومقدار ما

(١) الزئبق: م كدرهم وزبرج معرب ومنه ما يستقى من معدنه ومنه ما يستخرج من حجارة
معدنية بالنار ودخانها يهرب الحيات والعقارب من البيت وما أقام منها قتله.

بملاهما واحدا، فإذا فرغت من ذلك على هذا الشرط فلم يبق عليك كثير شيء.
ثم شد الميزان كما يشد سائر الموازين، ثم خذ إناء فيه ما يكون عمقه إلى أسفل
نحو الشبر أو دونه أو أكثر كيف شئت، ثم أملاه ماء قد صفي أياما من دغله وقدره
وما فيه كما تصفى البنكانات، ثم اعمد إلى سبيكة ذهب أحمر خالص نقي جيد ويكون
وزنها درهما، وسبيكة فضة بيضاء خالصة صرفا ويكون وزنها درهما ويكون مقدار
السبيكتين واحدا، ثم ضع الذهب في إحدى الكفتين والفضة في الأخرى، ثم دل
الكفتين في ذلك الماء الذي وصفنا إلى أن تغوصا في الماء وتمتلا من الماء، ثم اترح الميزان
فإنك تجد الكفة التي فيها الذهب ترجح عن الكفة التي فيها الفضة، وذلك لصغر جرم
الذهب وانتقاش الفضة، وذلك لا يكون إلا من اليوسة التي فيه.

فاعرف الزيادة التي بينهما بالصنحة واعمل على أن بينهما دانقا ونصفا.
فمجي خلطت بذلك المثقال الذهب الجيد قيراطا واحدا فضة أو دانقا أو أكثر أو
أقل نقص من مقدار الحبات بإزاء القراريط إذ هي اثنا عشر لكل قيراط، فاعرف ذلك.
فهو - وحق سيدي - من أمهات علم الفلاسفة، وكذلك يقاس كل جوهرين
وثلاثة وأربعة وخمسة وما شئت من الكثرة والقلة.

مثل أن تعرف النسبة التي بين الذهب والنحاس، والفضة والنحاس، والذهب
والنحاس والرصاص، والفضة والرصاص والنحاس، والفضة والذهب والرصاص، ومثل
أن يعرف ما بين الذهب والفضة والنحاس المختلطين أو الفضة والنحاس والرصاص،
وكذلك إن شئت واحدا واحدا وإن شئت اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة أو كيف أحببت.

ثم من يخلط لك ما أردت من الجواهر ولا تعلم ما هو؛ ثم زنه بهذا الميزان
وحصل ما يخرج لك من أوزانه أولا أولا، ثم قل فيه كيت وكيت، فاعرف ذلك.
فقد ذكرت هذا في الكتب المائة واثني عشر وجودته على أنه أيضا ههنا
مستقصى، وأنا إن شاء الله أعلمك من الموازين في هذه الكتب ما لا تحتاج معه إلى
غيره. والله الموفق لنا ولك طريق الرشاد.

وينبغي أن تعلم أن كل شيء في العالم من المصنوعات إنما قصد به أصحاب
الميزان، وإلا فلم نر بعض الناس يطلب الحد الذي به توجد الأشياء بل وكلهم يدورون

على الحد لأنه هو القاعدة العظمى، وإنما نفوسهم تطلب ما قد كانت عارفة من الميزان إذ كل شيء هو تحت الميزان، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وينبغي أن تعلم أن أصحاب بليناس الإسلاميين يقولون: إن الله عز وجل وعلا قد نطق بما قلناه في التدقيق في الموازين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] أي أن الميزان يحتاج إلى أن يحرز ولو بلغ إلى مقدار الذباب في اللطافة، فافهم ذلك فهما جيدا.

ونقول الآن: إذا كانت المرتبة إنما هي في مثل هذه الأعداد كيف يكون في الدواء الواحد هذا المقدار وقد نجد مثله في حبة من دواء آخر؟

فينبغي -عافاك الله- أن تعلم أن الحرارة وهي جملة ما قد ذكرناه من الأعداد، والمرتبة قد تكون في جملة عشرة آلاف رطل مرتبة واحدة من إحدى الطبائع الأربع.

والآن نوريك ذلك في الأشكال التي نذكرها في الجزء الثاني والرابع من كتابنا هذا، ونقول الآن في إطراح الزوائد بقول يبنى عن جميع ما تقدم لتعلم حقيقة ذلك كيف هو.

قد كنا قلنا لك في غير كتاب- إن كنت قرأت من كتبنا شيئا- إن الحرفين إذا تكررا سقط أحدهما، وإن المرتبة إذا كانت في دواء من الأدوية وكانت أولى أو ثانية أو ثالثة أو رابعة لم يكن في ذلك الدواء غير تلك المرتبة، إن كانت فأولى أولى، وإن كانت ثانية فثانية، وإن كانت ثالثة فثالثة، وإن كانت رابعة فرابعة.

وأن تعلم ذلك فأنا أمثله لك في الأدوية حتى تراه عيانا، وليس ذلك جائزا فيما هو دون المرتبة أعني الدرج والدقائق والثواني والروابع والخوامس.

فمن البين الواضح أن قولنا هو فاريقون من أعدل الأوزان والحروف، وذلك أنه ليس فيه حرف يدل على مرتبة متكررة ولا فيه من الزوائد شيء يحتاج إلى إطراحه فكأنه قد سلم، والعلة فيه الآن إنما هي إتمامه بما يحتاج إليه من الطبائع.

ومثل قولنا ساذروان ومثل قولنا أسارون^(١)، فإن هذين الدوائين معلولان وهما

(١) أسارون: ناردين بري، حشيشة ذات بزور كثيرة وأصول كبيرة ذوات عقد معوجة، زكية الرائحة لذاعة اللسان، لها زهر بين الورق عند أصولها، ولونها فريري شبيه بزهر البنج،

أيضا مختلفان أعني الأسارون والسادرون، وذلك أنه متكرر المراتب، والألف الأولى في الأسارون ساقطة والألف الثانية ثابتة، والألف الأولى في السادرون ثابتة والألف الثانية فيه زائدة يجب إسقاطها.

فهذا وأمثاله مما سنوقفك على أشياء منه ههنا - أعني في هذا الكتاب - ينبغي أن يتحفظ منها ويساق إلى ما هي به حتى يصح ما منه تركبت.

ومثل قولنا أشنة^(١) فإن الهاء فيها زائدة لأنها للتأنيث، ومثل هذا وأشباهه ينبغي أن يتحفظ منه، وينبغي أن تعمل بكل شيء أوصيتك به ههنا، والله البغية سهل الله لنا ولك محابنا إنه جواد كريم.

والآن نقول في الأدوية بحسب ما فيها مما يسهل أمره إن شاء الله تعالى، ينبغي أن تعلم أن الإثمد سالم ما لم تدخله الألف ولا م التعريف يحتاج إلى إتمامه، وكذلك الأهل من النبات^(٢).

فأما الأفاقيا^(٣) فتسقط الألف الثانية والأخيرة وتنسب هذه الألفات من حروف

وأصولها أنفع ما فيها، وهذه الحشيشة كانت معروفة بالأندلس في عهد ابن رشد وكانت ولا تزال تنبت في سهول وجبال أسبانيا.

(١) الأشنة: هذا النبات يوجد نابتا على البلوط والصنوبر والجوز، وهو في الدرجة الأولى من البرودة.

والدليل على ذلك أن فيه قبضا معتدلا، لكن فيه مع هذا قوة محللة ملينة، وخاصة فيما يوجد منه على شجر الصنوبر لحرارة هذا الشجر، وذلك أن أحد ما يتفاضل به النبات هي المادة التي يغتذي منها كما قلنا فيما سلف.

(٢) هذا الدواء هو من الإسخان والتجفيف في الدرجة الثالثة، وهو مع هذا لطيف جدا، وذلك أنه مركب من جوهر ناري هو الغالب عليه، وجوهر أرضي محترق، وقيل جوهر أرضي بارد. والدليل على ذلك طعمه، فإن فيه حرافة قوية مع مرارة وبعض قبض.

أفعاله الثواني أكال للعفونة التي في القروح الخبيثة، وذلك أن القروح التي ليست فيها عفونة ليس تحتل مثل هذا الدواء، وأما العفنة إذا وضع عليها مع العسل فإنه ينقيها.

أفعاله الثوالت يدر البول ويحدر الطمث بشدة أكثر من كل شيء يدره، ويبول الدم ويفسد الأجنة ويخرج الموتى، قال وللطافته والعطرية التي فيه قد يجعل قوم منه مكان الدارصيني ضعف وزن الدارصيني.

(٣) الأفاقيا: وهو رب شجر القرظ، هذا الدواء قوته الأولى من البرودة إذا غسل في الدرجة الثانية، ومن

حساب الجمل، وهذا الدواء هو من باب الحشائش لأنه عصارة؛ وأما القافان فإنهما دون المرتبة فينبغي أن يوزن على أنه ا ق ق ي ويزداد عليه من الحروف بحسب ما نقص عن سبعة عشر.

فإن أراد مرید أن يجعل ذلك بالحروف عمد إلى الزيادة فجعل على كل مقدار منها حرفا مما هو له والسلام، وهو أبين مما يحتاج إلى مثال. وأما النحاس والأنزروت^(١) فإنهما سالمان إذا سقط منهما الألف ولام التعريف، وكذلك الأفيثيون.

وأما الأميرباريس^(٢) فإن الذي يسقط منه هو الألف ولام التعريف والباء الأولى والألف الثانية فينبغي أن يعلم، وكأنه يكون امبريس، ويتم إن نقص أو ينقص إن زاد. فأما الأنجرة^(٣) فجار مجرى الأشنة وهو سقوط الألف ولام التعريف وهاء

=

اليوسفة في الثالثة، وإذا لم يغسل فهو من البرودة في الأولى. وإنما كان ذلك كذلك لأن الأغلب عليه جوهر أرضي بارد، ولذلك كان قابض الطعم، وهو مع هذا فيه شيء من جزء لطيف حار يذهب بالغسل. (١) الأنزروت وهو صمغ يؤتى به من فارس فيه مرارة منه أبيض وأحمر وكحل خولان: الحظض وقد ذكر. وكحل العين كمنع ونصر ك (٢) ثمرة هذه الشجرة فيها مع قوة القبض شيء قطاع لطيف، وهو يمنع ويحبس جميع العلل السيالة. (٣) يعرف بالحريق، وهو نبات بزره يشبه بيزر الكراث إلا أنه أصفر اللون شديد اللدغ وهو حار يابس في الثانية وقيل: في أول الثالثة ويقال هذه النبتة القريص، وإذا سحق بزرها وخلط مع عقيد العنب حرك الباء تحريكا جيدا وينفع من وجع الكلى ويفتت الخصى من المثانة والكلى بدله وزنه بزر البصل وشربته إلى ثلاثة دراهم. وقال ابن رشد: الأنجرة: وهي الحريق، ثمرة هذا النبات وورقه، يرى جالينوس فيها، أنها تسجن إسحانا ليس بالقوي. وله أفعال كثيرة ثوان وثوالت. منها أنه يحل الخراجات والأورام التي تحدث بأصول الأذنين، ومنها أنه يعين على نفث الأخلاط الغليظة التي في الصدر والرئة، وهو أيضا يشفي القروح المتأكلة. وبالجملة من كل ما يحتاج إلى التحفيف من غير لدغ.

وهذا أدل دليل على ضعف حرارته. وهو مع هذا يدر البول ويهيج الباه. وهذا أيضا يدل على نفخة فيه. وأما خاصته أعني بزره فإسهال البلغم، وقوته في ذلك شبيهة بقوة القرطم إلا أنه في ذلك أقوى فعلا. الشربة منه من خمسة دراهم إلى عشرة دراهم ومن ظن أنه ناري لمكان

التأنيث إن شاء الله تعالى، وكذلك الإنفحة.

فأما الأسقال فإنه تسقط منه الألف ولام التعريف والألف الأولى وستترك الأخرى.

والأفستين^(١) بعكس ذلك وهو جار مجرى الصحيح الذي لا علة فيه، وكذلك الأسطوخودوس والأشق وما جرى مجراهما مثل الذهب والكبريت. فأما الفضة فجارية مجرى الأشنة.

وأما الشبه فسليم من زيادة غير الألف ولام التعريف، وكذلك التبر والحديد والأسرب^(٢) والقلعي كل ذلك سالم من حروف الزيادة.

فأما البلسان^(٣) وجبه وأغصانه قليلة وكثيرة فجار مجرى الصحيح بإسقاط الألف

=

التلذيع الذي في ورقة فهو مخطئ، لأن ذلك الجزء الناري الذي في ورقه لطيف يذهب بالمسح فضلا عن الغسل.

(١) هو نبات أنبوي الزهر زكي الرائحة، مر وحريف الطعم، يعرف في المغرب بالسيبة ويضاف إلى الشاي كالنعناع، ويعرف في مصر بالدمسيسة ويستعمل في صناعة بعض أنواع الكحول، وهو مقوي للجهاز الهضمي، منه ومنشط للرحم، طارد للديدان، مضاد حيوي، منه ونشط للصفراء، طارد للريح مطهر، هذا النوع منه للأعصاب، منظم للحيض، مضاد للرتبة.

(٢) الأسرب: وهو الرصاص، الغالب على أجزائه الجوهر البارد الرطب، وذلك أن البرد هو الذي جمده، ولذلك متى سحق الأسرب في الهاون مع بعض العصارات وجدت المجتمع منها دواء يبرد، مثل دهن الورد أو زيت الأنفاق.

وهذا الدواء هو نافع في مداواة أورام المذاكير والعانة والمقعدة، وهو في القروح السرطانية دواء نافع، وفي ردع المواد التي تنصب إلى الأذنين والقدمين، وإذا شددت منه صفيحة على موضع العانة قطعت الاحتلام، لكن مع مضرة شديدة بالآلات المني.

والصفيحة الرقيقة منه تحلل العصب المتوي. وهذا مما يدل على أن فيه قوة محللة بالإضافة إلى لحم الإنسان، وإن كان الغالب على مزاجه البرد.

(٣) قواه الأول هي من الإسخاان والتجفيف في الدرجة الثانية، وهو ذو رائحة طيبة.

وأما دهنه فهو أطف شيء، وليس كما يقول جالينوس، له من الإسخاان ما يظنه به قوم غلظا منهم بسبب لطافته ونفوذه، وأما ثمرة اللسان فقوتها من جنس هذه القوة، إلا أنها أقل لطافة من دهنه، ولهذا الدهن خواص كثيرة وأفعال عجيبة.

فمن أفعاله الثواني أنه يحلل الأورام البلغمية البطيئة الانحلال، ويقلع أسباب الأوجاع التي تكون

ولام التعريف، والبلاذر^(١) كذلك والبورق والسذاب^(٢) والبان^(٣) وكذلك البنح.
فأما البسبايح^(٤) فبإسقاط الباء الثانية وثبوت الأولى، والبليح من الأشياء السائلة
من الزوائد وكذلك جند بادستر والجبلهنك.
فأما جوز مائل فعلى ذلك يتهجأ.
وكذلك جوزبوا، ولا يتهجأ جوز فقط فيصير إلى كل واحد طبع بعينه واحد
وهذا خطأ.

عن أخلاط غليظة وريح نافخة. ومن أفعاله الثواني تفتت الحصى. ومتى احتملت المرأة التي لا
تحمل بسبب سدة بها حملت.
وأما خواصه فإنه بازهر للسموم، وذلك أنه يشفي من سقي الأفيون ومن سقي خائق النمر،
وكذلك من أكل الفطر. والشربة منه من ثلاثة أرباع إلى ربع الدرهم.
(١) حار في الدرجة الرابعة يابس في آخر الثالثة، ينفع من الفالج والاسترخاء، ويعيد القوة الحافظة
إذا اعتلت من الرطوبة والذاكرة.
(٢) أما البري ففي الدرجة الرابعة من درجات الأشياء التي تسخن وتجفف، وأما البستاني ففي
الثالثة ولذلك هو في طعمه حار حريف مر. وهو يفعل جميع الأفعال التي يفعلها ما مزاجه هذا
المزاج، وهو من أنفع شيء لتحليل النفخ والرياح قاطع للباه.
(٣) هذا الدواء المستعمل منه هو عصارة لبه وجوفه، لأن ذلك هو الذي يجب إلينا منه، وهو من
الأدوية العطرة، ومزاجه حار.
أما في الأولى ممتدة، وأما في الثانية مسترخية، وذلك أن جوهره جوهر أرضي محترق، يخالطه
جوهر أرضي بارد.
والدليل على ذلك أنه مر المطعم مع قبض. ولما كان هذا النبات قد جمع إلى المرارة العظارة
والقبض كانت عصارته من أنفع الأدهان للمعدة الباردة والكبد.
وليست عصارته مما جرت العادة عندنا أن ترد الأبدان من داخل، ولا حبه، وزعموا أنه إذا ورد
البدن أهاج القيء وأسهل ولن يخفى عليك ما أفعال دواء مزاجه هذا المزاج، إذا ورد البدن.
وذلك من الأفعال الثواني والثالث.
(٤) بسبايح: وهي المسماة برجودية، وهذا الدواء قريب من أن يكون معتدلا في الكيفيات الأول أو
كالمعتدل.
والدليل على ذلك أن الغالب على مذاقته الحلاوة والقبض. يجفف تجفيفا بلا لذع، وخاصته إسهال
المرارة السوداء. وهو من الأدوية المأمونة جدا، وهو يفضل الأفيثمون في أنه ليس فيه كيفية
خارجة عن الاعتدال والشربة منه من عشرة دراهم إلى نحوها.

وكذلك جوز القيء، وكذلك تراب القيء وتراب الأربع طرق بإسقاط الألف من أربع وثبت ما بقي من الحروف.

فأما جنطيانا^(١) فإسقاط الألف الآخرة، وهذه الزيادة فإنما هي شيء دخل للاستراحة لأنها من الزوائد التي تبين كأنها أصول، وذلك أن الأصل فيه جنطيان، فاعلم ذلك وقس عليه ما جاءك إن شاء الله تعالى.

وكذلك الجاوشير^(٢)، فأما الأسفيداج فإسقاط الألف الآخيرة، فأما الجعدة فمثل الأشنة، وأما الجبسين فإسقاط الألف ولام التعريف، وكذلك العقيق^(٣) والبلور.

فأما الدار شيشغان^(٤) فإسقاط الألف الأولى وثبت الآخيرة، والدلب سليم وهما من النبات، وكذلك الدماغ والكبد والقلب والعظام على هجاء عظم لأن الأصل فيه على الواحد لا على الجمع.

والرئة من السالم، وكذلك الدبق ودم الأخوين والياقوت والزمرد والدهنج والبازهر كل ذلك من السالم، وكذلك اللحم والعروق والدرونج والدفلى والدند وما جرى مجراها، وكذلك الدرادي بعد أن يضاف إليها الاسم الذي دردى له مثل الخل والخمر والزيت وما كان دردى.

فأما الهليلج فصحيح وليس ينبغي أن يضاف إليه قولهم أصفر وأسود.

(١) الجنطيانا: ويقول النصارى جنسيانا وهي عروق مرة، ورق هذا النبات الذي يلي أصله يشبه ورق الجزر وورق لسان الثور ومنبته قمم الجبال الشاخنة ولونه أحمر ووسطه مشرق وساقه أجوف أملس وهو مر الطعم وجذرها مر منشط قوي للجهاز الهضمي، مضاد للالتهاب، طارد للحمى. ولنضع هذا الدواء في الدرجة الثالثة من الحر واليبس، والدليل على ذلك صدق مرارته، وأصل هذا النبات قوي بليغة في التلطيف والتنقية وفتيح السدد.

(٢) هذه الصمغة لنضعها من الإسخان في الدرجة الثالثة ومن التحفيف في الثانية، وخاصته جذب اللغم وإخراجه من الوترات والمفاصل، وكأن هذه الخاصة شيء يعم الصموغ المسهلة، الشربة منه من درهم إلى مثقال.

(٣) حجر العقيق: معتدل يقطع الدم المنعث وطمث النساء بخاصة فيه، ويزيل الحفر من الأسنان أو يوقفه.

(٤) الدار شيشغان: قوته الأولى من الحرارة في الأولى ومن اليبوسة في الثانية. وذلك أنه مركب من جوهر ناري وأرضي بارد، ولذلك كان حريف الطعم قابضا، قواه الثواني ينفع من القروح المتعفة ومن المواد المتحلبة

فأما الكابلي فلا وإنما ينسب الكابلي في الميزان إلى الأصفر، والهيل من السالم، وكذلك الهو قسطيداس وهو من النبات، وكذلك الوج والزنجبيل والدارصيني والحولنجان والراوند والزرراوند والزوفا والزرنباد والزاج والزجاج والزرينجين وزبد البحر على أنه زبد البحر بأسره، وكذلك الزرنب.

وأما الحماما فيسقاط الألف الأخيرة، فاعرف ذلك إن شاء الله.

وأما الحناء فصحيح وكذلك الحضض والحاشا والحرملة والبيروج والحسك والظرفاء والحنظل والطحلب والطين وما جرى هذا المجرى.

فأما الصموغ فبأن تضاف إلى الأسماء التي هي صموغ لها مثل صمغ السذاب وصمغ اللوز والحرفش وما جرى مجراها، فاعلم ذلك.

وكذلك الربوب والعفص من السالم والكندر مثله والكمافيطوس والطاليسفر والكبابة والكييحك والكيلدارو.

فأما اليتوع فإنها ضرور ينسب كل واحد منها إلى جنسه حتى يؤتى على حقيقة طبعه إن شاء الله. والكندس^(١) من السالم والخطمي^(٢) مثله واللوف^(٣) مثله واللك^(٤)

(١) كندس: هو حار في الدرجة الرابعة يابس فيها، من شأنه أن يحرك العطاس وهو سم لا يرد البدن.

(٢) هذا النبات أفعاله الثواني التحليل والإرخاء والمنع من حدوث الأورام وتسكين الأوجاع وإنضاج الخراجات العسيرة الإنضاج، وأصله وبزره يفعلان ما يفعل بأوراقه وقضبانه ما دام طريا، إلا أنهما أقل تحفيقا وألطف.

وحق للأصل والبزر أن يكون من كل نبات بهذه الصفة، ولذلك صار هذان أكثر جلاء حتى إنهما يشفيان البهق. وبزره أيضا يفتت الحصى المتولدة في الكليتين، لكن مع هذا كله في الأصل قوة قابضة. وبذلك صار الماء الذي يطبخ فيه أصل الخطمي ينفع من قروح الأمعاء ومن استطلاق البطن ومن نفث الدم.

فلنضع ورق هذا النبات وقضبانته في الدرجة الأولى من الحر واليبس ولنضع أصله في أول الثانية.

(٣) المسمى أرون وهو المسمى عندنا بالصارة وهذا النبات من التحفيف والتسخين في الدرجة الأولى، وأصوله أنفع ما فيه، قواه الثواني تقطع الأخلاط الغليظة تقطيعا معتدلا. وقواه الثوالت يسهل النفث من الصدر. والناس في الجماعات عندنا يستعملون من هذا النبات خبزا يأكلونه ولكنه يعود عليهم بضرر كثير.

(٤) لك: هي صمغة حارة يابسة في أول الثانية، مشهورة جدا بتقوية الكبد وفتيح سددها، وهي

مثله، وكذلك المرو والمصطكي والصنوبر^(١) والمقل^(٢) والمر^(٣) والصبر^(٤) والميوزج

=

أيضا تنفع المعدة والطحال وتنفع من أوجاع الكلى والمثانة، وتزيد في الباه، الشربة منها من نصف درهم إلى درهم.

(١) حب الصنوبر: نوعان رقيق صغير وأسود مائل إلى الحمرة وهو الزقوق وكبير هو الذي يسمى عندنا فستق، وإن كان ليس بفستق لكن هكذا جرى العرف عندنا وكلاهما في جماعهم صورة قلب احيوان لكن الكبير عليه قشر داخل الجمجم، والحبة داخلها، والصغير قشره رقيق وكلاهما حار رطب، ويقال للصغير: قمل قريش.

(٢) المقل: جنسان، واحد صقلي وهو أسود وقوته الثانية مليئة، وعمله بهذه القوة عمل بليغ. ولن يخفى عليك من هذا الفعل قوته الأولى، والآخر عربي وهو أصفى من المقل الآخر وأشد تخفيفا من الأدوية المليئة، اللهم إلا ما كان منه حديثا.

فإن قوته قوة السقلي والعربي يفتت الحصى المتولد في الكليتين إذا شرب، ويدر البول ويذهب الرياح الغليظة التي لم تنضج ويفشها، ويشفي وجع الأضلاع وفسوخ العضل والمقل بالجملة من الأدوية المسهلة للبلغم الغليظ، حتى إنهم زعموا أن خاصته الجذب من الوترات والمفاصل وهو وسط في مراتب الأدوية المسهلة والشربة منه ورن مثقال.

(٣) هو في الدرجة الثالثة من الإسحان والتخفيف. قواه الثوالت: يقتل الديدان والأجنة وفيه جلاء. بسبب ذلك يخلط في الأكحال التي تتخذ لقلع الآثار الغليظة التي في العين.

ويخلط أيضا في الأدوية التي تشرب للسعال القديم والربو، وذلك أنه يجلو من غير تخشين بل جلاء معتدلا. وهو دواء مشهور بالإنضاج، ويشبه أن يكون إنضاجه بتلطفه المادة لا يفعل فيها ييسا ولا غلظا يعسر به إنضاج الباقي. فإن هذا أحد ما قلنا إن به يكون الدواء منضجا، فإنه ليس يمكن أن نقول في المر إنه منضج بالتغرية، إذ كان جلاء. ولا أنه أيضا في مزاجه شبيه بالحرارة الإنسانية إذ كان في الثانية من الحرارة واليبس.

(٤) الصبر: هو عصارة شجر حامض مر جدا جامدة بين حمرة وشفرة وماؤه كماء الزعفران يدخل الداحس المتقرح وينفع الأورام والبثور وينفع أوجاع المفاصل وينفع من قروح الأنف والفم والأذن والعضل التي في جنب اللسان طلاء وشربا يطلق أيضا على النبات الذي يعصر الصبر منه وهو ييسه نبات السوس غير أن أوراقه أطول وأغلظ.

وهذا الدواء قوته الأولى هو من الإسحان، أما في الأولى ممتدة، وأما في الثانية مسترخية، ومن ئيس في الثالثة.

والسبب في ذلك أنه مركب من جوهر أرضي محترق يخالطه أرضي بارد. فهو يكسر من الحرارة التي فيه، ويجتمعان في معنى اليبس. والدليل على ذلك أن طعمه شديد المرارة مع قبض. يدل على أن مزاجه الحرارة أنه إنما ينبت بالبلاد الحارة، وذلك إما ببلاد العرب وإما ببلاد الهند.

المارقيثيا بإسقاط الألف الأولى من الألفات، والمغنيسيا سالم، والماميران بإسقاط الألف
الاخيرة والمرذاسنج^(١) سالم، والمرتك إن أحببت.

وكذلك المازريون والمشمش والتبق والمرارة والمشكطر أمشير والنوشادر والملح
سالم.

والناخواه بإسقاط الألف الأخيرة أعني من الناخواه، والنطرون من السالم
والنورة^(٢) مثله وإسقاط الهاء من [النحاة] ومن النورة على ما كنا قدمنا في الأشنة.

فأما بليناس فزعم أن الميم من الميمين إذا اجتمعتا في اسم دواء مثل الحماما
والحماحم والهائين مثل ما هي في زهرة يسقط أيهما أحب الإنسان إن شاء الأولى وإن
شاء الثانية.

والذي أختاره أنا فيما هي في زهرة فسقوط الهاء الأخيرة التي للتأنيث أولاً، ثم
سقوط الهاء الأولى من كل شيء في العالم.

وكذلك في الياء والميم والواو وكل حرفين يستجمعان في كلمة من العشر التي
هي الزوائد، وكذلك في النونين وما جانس ذلك.

والسنبل من السالم وكذلك السعد والسندروس، وزعم بليناس بسقوط السين
الأولى في هذا وحده، والأصل ما قلناه أولاً فينبغي أن تعمل به.

انظر -عافاك الله- لمن تفيد هذا العلم، وإذ ذكروا الفلاسفة في قولهم: لا تعطه

وما ينبت في البلاد غير الحارة منه فهو ضعيف، قواه الثواني يقبض ويردع ويجلو، ولذلك
صار دواء نافعا لإنبات اللحم، قواه الثوالت يلزق النواصر والقروح التي في الذكر والدير،
ويردع الأورام الحادثة في الفم والمنخرين والعينين، وخاصته إسهال الصفراء الرقيقة والغليظة.
وهو من الأدوية المأمونة جدا، إذ كان ليس فيه إخلال بقم المعدة لقبضه.

ومرتبته في الإسهال قريبة من مرتبة الغاريقون إلا أنه أضعف جذبا منه، وذلك أن الغاريقون
يجذب من أقصى البدن، والصرير إنما يجذب ما في طبقات المعدة وجداول الكبد. ولهذا كان
خاصا بتقوية المعدة. والشربة منه من درهم إلى مثقال.

(١) مرذاسنج: وهو المرتك: هو معتدل في الحرارة والبرودة، يخفف وفيه بعض جلاء به يبت اللحم
في القروح الرطبة.

(٢) هي شديدة الإسخان مذبية للحم، فإذا هي غسلت مرارا جففت القروح من غير لدع

ابنك إن كان جاهلا.

قد - وحق سيدي صلوات الله عليه - كشفت وبينت وأوضحت الطريق، واعمل به واسلك ما قلناه تصب ما تحب.

وإذا وقع لك حجر أو دواء من نبات أو حيوان ولم تعرفه فاسأل عن اسمه الذي يكاد أن لا يعرف إلا به، ثم اعمل به ما قلنا.

فأما معرفة لم أسقطنا في بعض الحروف الأول وفي غيره الحرف الأخير فقد - والله العظيم - أوضحت لك في كتاب الحاصل كيف يعلم في الابتداء هل الشيء. حار أو بارد أو رطب أو يابس، وقد بينا ذلك في كتاب الصفوة على تلك الأربعة الأسماء الخارجة.

فمن وصل إليها علم من أي جهة أسقطنا مرة ألفا أولى ومرة ألفا أخيرة وكان كمثلنا حتى لا يغيب عنه من علم الميزان شيء، والسلام.

فأما السرطان البحري والنهري المحرقان فسالك مسلك الحجارة وهو على مثال القلي الذي هو نبات إلا أنهما الآن سالكان مسلك الحجارة فاعلم ذلك وهما سالمان لا يحتاجان إلى الزيادة والنقصان، وهذا بين واضح.

فأما الفلنجة والفلقموية فيسقاط الهاء التي للتأنيث، وقيل بإسقاط الفاء الأولى من الفلقموية.

والفراسيون والفرييون سالمان بغير علة فاعرفهما، وكذلك الصدف. والفاوانيا بإسقاط الألفين الأخيرتين من هذا الدواء أعني الفاوانيا. والفوة من السالم.

وأما قولهم القردمانا فأصله قردمان وهو صحيح. فأما ما ينسب إلى الأقباص مثل قصب الذريرة وقصب السكر وما جرى مجراهما فبأن يضاف إليها الاسم الآخر، وكذلك القنطوريون.

والقرط والراسخنج فسلیم، والزنجفر والفينج والسريقون وهو الأسرنج، وكذلك الررانيج.

فأما الأرمدة فبأن يضاف إليها ما هي رماده مثل رماد القصب الفلاني ورماد

الدواء الفلاني، وهذا فهو يزداد فيه ما يزداد على وجهين -أعني الرماد- منها ما يضاف إليه دواء واحد ومنها ما يضاف إليه اسمان، مثال ذلك قولنا رماد الأشنان والنوز والجوز وما شاكل ذلك.

ومثل قولنا رماد جوزبوا ورماد قصب السكر ورماد ورق الدلب وغير هذا في الواحد والاثنين، وابن عليه سائر ما بقي عليك من الأدوية في الثلاثة الأجناس تصب ما تريد وما قصدت له بإذن الله تعالى ومشيتته.

[و] على أنه ما أقل ما يحتاج إليه من الأدوية لأننا قد أوردناه أو أكثره في جملة كتبنا هذه -أعني الاثنين والثلاثين التي نحن بسبيلها.

ونحن نسأل الله حسن المعونة على ما قصدنا، ومرادنا منك على ذلك -عافاك الله- الدعاء والترحم، أجابك الله فينا ورزقك وأجابنا فيك، إنه جواد كريم. والشيطرج والشيرم والتودرى والنيل^(١) والتوتيا^(٢) والخروع^(٣) والشب^(٤) والخربق^(٥) والخردل كلها من السالم غير الخربق، فإنه يحتاج إلى الزيادة في قولنا أسود

(١) وهو الذي يستعمله الصباغون، وقوته قوة تخفف تخفيفا قويا من غير لدغ، لأنه مر قانض، وهو ضربان: بستاني وبري، والبري في ذلك أقوى من البستاني، وأفعاله أن يدمل الجراحات الحادثة في الأبدان الصلبة ولو كانت في رعوس العضل، ويقطع انفجار الدم، ويقاوم مقاومة شديدة الجراحات الرديئة متعفنة كانت أم متأكله. والبري في الجراحات المتعفنة أقوى فعلا لقوة تخفيفه، كما أنه أقل فعلا في علاج القروح الأخر من البستاني، وذلك أنه يلدعها. والبري نافع للطحال، فلنضع البري في الثانية من الحرارة وفي الثالثة من اليبس، والبستاني في الأولى من الحرارة ومن اليبس في الثانية.

(٢) التوتيا: هذا يكون في الأتانين التي يسبك فيها النحاس، وقد يتولد أيضا من سبك الإقليميا، يابس مخفف من غير لدغ ولا سيما إذا وصل وهو أيضا من أدوية العين المشهورة، ينشف الدمعة ويجلو ظلمة البصر ويقطع المواد المنصبة إليه.

(٣) الخروع: حبه يسهل، وفيه مع هذا قوة تجلو وتحلل، ولذلك فليكن في الدرجة الثالثة ممتدة من درجة الأتساء الحارة اليابسة.

(٤) هذا الدواء، القبض فيه شديد. ولذلك كان اسمه في اللسان اليوناني مشتقا من هذا المعنى. وهو أنواع جميعها فيها غلظ وأطفها الشب اليماني.

(٥) هذا الدواء صنفان أبيض وأسود، وكلاهما يسحنان ويجففان في الثالثة، وقوتها الثانية قوة تجلو، ولذلك ينفعان البهق والقوباء والجرب والعلة التي يتقشر فيها الجلد والأبيض ليس وروده داخل

أو أبيض، وليزاد عليه ذلك ل يتم إن شاء الله.

فأما الشحوم فمثل ما قلنا في الجوز، وكذلك الأغصان، وكذلك البزور والتمر والورق فإنه ينبغي أن يضاف إليه إما واحد أو اثنان مثل قولنا لسان الحمل^(١)، ولو لم يضاف إلى اللسان الحمل كان مثل لسان الثور وبينهما بون بعيد كبير.

وكذلك لو لم يقل قطنونا كان مثل بزر المر، وكذلك لو لم يقل مر وكان مثل قطنونا سواء، فإذا فرقت هذه الأشياء أوجبت الصحيح.

ولو لم يقل ورق التفاح لكان مثل قولنا ورق التوت ومثل قولنا ورق المشمش والخوخ والإجاص، وكذلك القول في الثمر سواء، وكذلك القول في الأغصان مثل قولنا عيدان البلسان وهو جار مجرى الصموغ.

وكذلك القول في الألبان، وكذلك القول فيما كان تحت جنسه أنواع كثيرة كانت أو قليلة، فينبغي أن تعرف ذلك.

فأما الشحوم فإما أن تنسب إلى أمكتتها أو إلى أشخاصها مثل شحم الكلى وشحم الغنم ومثل شحم الرأس وشحم العينين أو ما جرى مجرى ذلك، فينبغي أن

البدن مأمون بل هو في عداد الأدوية السمية.

وأما الأسود فإن القدماء كانوا يستعملونه في استفراغ المرة السوداء. وهو دواء قوي جدا، ويضر بالكبد والمعدة.

وقد استغنت عنه الحدث بغيره من الأدوية التي شأنها أن تستفرغ هذا الخلط.

ومن أفضلها في ذلك حجر اللزورد، فإن هذا الحجر مأمون قوي الجذب

(١) هذا الدواء قوته الأولى هو بارد يابس في الدرجة الثانية، وذلك في ورقه الخضري، وأما أصله فأقل بردا منه وأكثر يسا، وورقه أيضا إذا جفف كذلك. وإنما صار هذا الدواء هكذا لأنه مركب من جوهر مائي وأرضي بارد، يدل على ذلك التفاحة التي في طعمه والقبض أفعاله الثواني، يخفف ويردع، نافع للقروح الرديئة الخبيثة كلها وللمواد المتعفنة يدمل النواصير، أفعاله الثواتل موافق للقروح التي في الأمعاء، قاطع للدم الذي يكون منها، وكذلك للرحم.

وأصله نافع من وجع الأسنان ومفتح لسدد الكبد والكليتين.

وإنما كان ذلك كذلك لأن الأصل من كل نبات أحر من الورق ضرورة.

ولست أحلي ورق هذا النبات من حرارة، وذلك أنه يظهر من أمره أنه يجلو القروح وينقيها، وذلك بين من فعله لمن شاهده.

يقاس عليه ويعمل به، إن شاء الله.

ولولا أن يطول الكتاب ويسخف لأثبتنا فيه كما أثبتنا في كتاب النبات وكتاب الأحجار وكتاب الحيوان من تعديد ما فيها من أنواعها كلها، ولكن ملنا إلى التخفيف وقد علمناك وجه القياس فيه.

فاعمل به واسلك إلى ما قلناه في كل ما في العالم من حيوان ونبات وحجر تصب ما تريد من ذلك.

ثم زد إن كان ناقصاً وانقص منه إن كان زائداً، وهذا أبين من أن أشرحه لك. وذلك أن الصورة في كل شيء سبعة عشر، وإذا وجدت في حيوان أو نبات أو حجر خمسة فقد بقي لك اثنا عشر.

ثم ليس يخلو من أن يكون الدواء فيه طبع واحد أو طبعان أو ثلاثة أو أربعة وليس غيره.

وإن كان فيه طبع واحد وزعت الاثنى عشر على الثلاثة الباقية، وإن كان من طبعين وزعت الاثنى عشر على طبعين، وإن كان على ثلاثة جعلت الاثنى عشر من طبع واحد بعد أن يستخرج من الاثنى عشر ما يقابل ذلك الجزء الذي في الدواء من الطبائع الباقية أعني التي قد خلا الدواء منها، فاعلم ذلك.

فهو أبين من أن نزيد فيه لأنه واضح جدا ونسأل الله حسن المعونة على ما قصدنا له، إن شاء الله.

ونحن الآن تالون في الجزء الثاني من هذا الكتاب وجوه الميزان في جزء من الأدوية لتكون لك مثالا يعمل فيه ما بقى عليك في الأربعة الأول من الثمانية الأقسام التي في الحجر، وأذكر رأيي أنا فيها ورأي بليناس في الجميع على تصحيح ونظر في الجميع.

ونأتي في الجزء الثالث من هذا الكتاب بوجه المزاج في الثلاثة الأجناس على الميزان وكيف يمكن أن يكون التشميع في ساعة وذكر ميزان الإكسير بالحروف التي قد تقدم القول فيها في كتابي الحاصل والميدان بغاية الإيجاز والشرح، والله الموفق لنا على ما قصدنا له من ذلك.

ونذكر بعد ذلك في الجزء الرابع ما بقي علينا من الأحجار الأربعة التي قد كنا ذكرناها في الثمانية على السبيل الذي بنينا عليها كلامنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب، وذاكرون في خلال ذلك ما يحتاج إليه من الفضلات التي تتبع كما لا يزال فاعلا في سائر كتبي.

فانظر -عافاك الله- في أمرك وما كنت أوصيتك به من الدرس والبحث لتصل إلى ما تريد من كتبي من جدواها، وأدم النظر يخرج لك ما تريد منها، إن شاء الله. وإذ قد أتينا على هذا المقدار في هذا الأربعة الأجزاء فوحي سيدي ما بقي علينا في علم الأحجار والنبات والحيوان شيء ألبته أعني في موازينها وتركيب الأحجار خاصة. فأما تركيب النبات والحيوان فليس له في هذه الأجزاء ذكر بأكثر من معرفة الميزان فيه، وله كتب أخر يذكر فيها ويستقصى كما قد استقصى علم الحجر في هذه الكتب. فأما إن أردت أن تعلم تأليف سائر الأشياء كلها قليلها وكثيرها صغيرها وجليلها فإننا نقول: إن ذلك لا بد له من كتاب الحدود خاصة.

فاعلم ذلك وادرسه دراسة شافية، بل هو أحسن ميزان يترك أبدا ويصير في حفظك. فاعمل به وابن أمرك على ما عرفتك في هذه الأعمال والتدابير في جميع الموازين في الثلاثة الأجناس، والله الموفق لنا ولك برحمته إنه جواد كريم.

وقد كنا علمناك في الموازين عمل ميزان الأحجار الذائبة، وهي -فوحق سيدي- تشتمل على علم الموازين كله إن فكرت فيه وأدمت نظرك، وصلت بها إلى ما تريد إن شاء الله. وقد كنت قلت لك إنك كلما قرأت شيئا من كتبي أتضح لك الأمر بأكثر مما تقدم، وستعلم عند استيعاب هذه الأربعة كيف تكون قوتك في الصناعة فتواظب على جمعها كلها -أعني جمع كتبي- والله ولي أن يوصلك إليها بمشيئته، إنه جواد كريم.

هذا إن كنت مستأهلا لها، فأما إن كنت غير مستأهل لها فلا.

والله ما يفعل من ذلك شيئا بقوته، إن شاء الله تعالى.

وحق سيدي صلوات الله عليه ورحمته قد وكشفت وأوضحت واستوفيت لك سائر ما تحتاج إليه إن فهمت، أرجو أن يرزقك الله إنه جواد كريم، فليك هذا مقطع الجزء الأول، والحمد لله كثيرا.

الجزء الثاني من كتاب الاحجار

على رأى بليناس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اصطفى محمدا نبيا، وانتخب له عليا وليا، وصلى الله على صفوته من خلقه وعلى آله وسلم.

أما بعد فإنه قد تقدم قبل كتابنا هذا عدة كتب في علم الموازين. قد استوفينا في كل واحد منها صدرا صالحا من علم الميزان، ولما كان بليناس قد خالفنا في بعض الفروع والأصول لم يجوز أن لا نذكر ما خالفنا فيه والذي خالف فيه هي الأوزان بالصنجات، وقد ذكرناها في جزء أول لهذا الجزء.

وقد كنا وعدنا في غير كتاب أنا نذكر الأحجار وصور الطبائع لها مع الميزان حتى لا يخفى على المحب ما يطلبه من ذلك، فإنه من المعلومات الثواني وهي لك في هذا الوقت من العلوم الأوائل.

إن الحروف التي عليها مدار الكلام كله قد استوفيناها لك ومواضعها من العدد الزائد والناقص من المراتب إلى الخوامس.

وإنا ذكرنا لك أيضا وزن كل حرف على ما ذكرناه من رأينا ورأى بليناس بالصنجات، وقد ذكرنا لك أيضا شدة حاجتنا في العلوم الدقيقة والتأثيرات اللطيفة إلى الموازين بالصنجات على ما ذكره بليناس وقلة حاجتنا إلى ذلك في نقل الأجسام وفكها.

وأما نحن فقلنا: إن للحيوان ميزانا، وهو أن جعلنا المرتبة الأولى عشر دراهم، ثم أضعفناها لما فوقها ونقصناها لما تحتها.

ثم جعلنا لك النبات في سبعة، فأضعفناه فيما هو فوقه وجزأناه فيما تحته. وجعلنا الحجر في خمسة وزيدناه في الذي فوقه ونقصناه إلى ما تحته عند الحاجة. وإن ذلك هو رأينا واعتقادنا في ظاهر الصناعة وليس يخرج على التحقيق كما عمل بليناس.

فأما بليناس فإنه جعل الحكم في الثلاثة الأجناس واحدا واحتج في ذلك بالذي

ذكره سقراط^(١) .

فقال: إذا كان محصول الأجناس أهما تحت الطبائع فمن البين إذن أن لا خلاف في الميزان، هذا هو كلام سقراط.

وجعل المرتبة الأولى في سبعمائة ألف وسبعة وسبعين ألف وستمائة ألف درهم، وذلك أن هذا الرجل - أعني بليناس - احتاج إلى تجزئة الخامسة فجعلها في عشرين، ثم علاها إلى فوق حتى بلغت إلى ما بلغت إليه مما ذكرناه في (الجزء الأول من هذا الكتاب) ولو أنه عمل في التجزئة مثل ما عمل سقراط لاكتفى.

اسمع ما قال سقراط - والله العظيم - مما يعد ذلك بغتة وقد أرحتك من التعب والنصب باستخراج الأوزان الدقيقة فيما ذكره سقراط.

وذلك أنه جعل الأوزان كلها تخرج من درهم واحد ودانق في الأول، فقال: إنا نجعل المرتبة الأولى درهماً ودانقاً، والمرتبة الثانية ثلاثة دراهم ونصفاً، والثالثة ستة دراهم غير دانق، والرابعة تسعة دراهم ودانقين، ونجعل الدرجة الأولى نصف درهم، والدرجة الثانية درهماً ونصف، والدرجة الثالثة درهمين ونصفاً، والدرجة الرابعة أربعة دراهم.

ونجعل الدقيقة من المرتبة الأولى دانقين ونصفاً، والدقيقة من المرتبة الثانية درهماً وربعاً، والدقيقة من المرتبة الثالثة درهمين وقيراطاً، والدقيقة من المرتبة الرابعة ثلاثة دراهم وثلاثاً.

ونجعل الثانية من المرتبة الأولى دانقين، والثانية من المرتبة الثانية درهماً، والثانية من المرتبة الثالثة درهماً وأربعة دانيق، والثانية من المرتبة الرابعة درهمين وأربع دانيق. ونجعل الثالثة من المرتبة الأولى دانقاً ونصفاً، ومن المرتبة الثانية أربعة دانيق

(١) سقراط بن سقراطيس من أهل مدينة أثينة مدينة العلماء والحكماء بكلام لم يدروا منه كثير شيء والذي خرج من كتبه مقالة في السياسة وقيل إن رسالته في السيرة الحميلة له صحيح حكاية أخرى سقراطيس معناه ماسك الصحة وأنه من أهل أثينوس وكان زاهداً خطيباً حكيماً وقتله اليونانيون لأنه خالفهم وخبره معروف وكان الملك الذي تولى قتله ارتطحاش ومن أصحاب سقراط أفلاطون من خط إسحاق بن حنين عاش سقراط قريباً مما عاش أفلاطون ومن خط إسحاق عاش أفلاطون ثمانين سنة.

ونصفاً، ومن المرتبة الثالثة درهما وربعا، ومن المرتبة الرابعة درهمين.
ونجعل الرابعة من المرتبة الأولى دانقا، وفي المرتبة الثانية نصف درهم، وفي المرتبة
الثالثة خمسة دوانيق، وفي المرتبة الرابعة درهما ودانقين.
ونجعل الخامسة في المرتبة الأولى قيراطا، وفي المرتبة الثانية دانقا ونصفا، وفي المرتبة
الثالثة دانقين ونصفا، وفي المرتبة الرابعة أربعة دوانيق.
فانظر -عافاك الله- إلى لطف هذا الرجل في العلم ومخلة منه وحسن قياسه.
واعلم أيضا أنه اطرح النسبة من الستين، والعلة في ذلك أنه زعم أن قولنا إن
المرتبة ستون درجة إنما هو اصطلاح، ولو أردنا أن نجعل كل شيء فوق شيء أفضل منه
بواحد أو بأكثر والذي تحته كذلك ما كنا إلا كما جعلنا النسبة من الستين.
وذلك إنما جعل على الستين ليقرب الحساب وقلة ما يقع فيه من الكسور، لأنه
شيء يُلطف ويدق، فاعلم ذلك إن شاء الله تعالى وقس عليه.
وقد جعلنا لهذه الأوزان مثالا يعمل عليه في سائر ما يحتاج إليه وأنا أسوق أمر
الأوزان في كتابي هذا على تلك الأوزان أعني على ما قد ذكرناه عن سقراط.
فإن أحببت أن تعمل عليه فاعمل، وإن أحببت أن تعمل على ما ذكره بليناس
فاعمل، فكلاهما واحد وإن أحببت على رأينا فاعمل به، وهو مخالف لهما لأنه شيء
بالتقريب.

المرتبة الأولى في الأربعة	مرتبة	الحرارة	-	درهم ودائق	البرودة	ب	درهم ودائق	التيبوسة	ج	درهم ودائق	الرطوبة	د	درهم ودائق
	درجة		هـ	نصف درهم		و	نصف درهم		ز	نصف درهم		ح	نصف درهم
	دقيقة		ط	دانقان ونصف		ي	دانقان ونصف		ك	دانقان ونصف		ل	دانقان ونصف
	ثانية		م	دانقان		ق	دانقان		س	دانقان		ع	دانقان
	ثالثة		ف	دائق ونصف		ص	دائق ونصف		ق	دائق ونصف		ر	دائق ونصف
	رابعة		ش	دائق		ث	دائق		ث	دائق		خ	دائق
	خامسة		ذ	قيراط		ض	قيراط		ظ	قيراط		غ	قيراط

المرتبة الثانية في الأربعة	مرتبة	الحرارة	-	ثلاثة دراهم ونصف	البرودة	ب	ثلاثة دراهم ونصف	التيبوسة	ج	ثلاثة دراهم ونصف	الرطوبة	د	ثلاثة دراهم ونصف
	درجة		هـ	درهم ونصف		و	درهم ونصف		ز	درهم ونصف		ح	درهم ونصف
	دقيقة		ط	درهم وربع		ي	درهم وربع		ك	درهم وربع		ر	درهم وربع
	ثانية		م	درهم		ق	درهم		س	درهم		ع	درهم
	ثالثة		ف	أربعة دوائق ونصف		ص	أربعة دوائق ونصف		ق	أربعة دوائق ونصف		ر	أربعة دوائق ونصف
	رابعة		ش	نصف درهم		ث	نصف درهم		ث	نصف درهم		خ	نصف درهم
	خامسة		ذ	دائق ونصف		ض	دائق ونصف		ظ	دائق ونصف		غ	دائق ونصف

المرتبة الثالثة في الأربعة	مرتبة	الحرارة	خمسة دراهم وخمسة دوانق	البرودة	ب	خمسة دراهم وخمسة دوانق	اليبوسة	ج	خمسة دراهم وخمسة دوانق	الرطوبة	د	خمسة دراهم وخمسة دوانق	
	درجة		هـ		درهمان ونصف	و		درهمان ونصف	ز		درهمان ونصف	ح	درهمان ونصف
	دقيقة		ط		درهمان وقيراط	ي		درهمان وقيراط	ك		درهمان وقيراط	ل	درهمان وقيراط
	ثانية		م		درهم وأربعة دوانيق	ق		درهم وأربعة دوانيق	س		درهم وأربعة دوانيق	ع	درهم وأربعة دوانيق
	ثالثة		ف		درهم ودانق ونصف	ص		درهم ودانق ونصف	ق		درهم ودانق ونصف	ر	درهم ودانق ونصف
	رابعة		ش		خمسة دوانيق	ث		خمسة دوانيق	ث		خمسة دوانيق	خ	خمسة دوانيق
خامسة	ذ	دانقان ونصف	ض	دانقان ونصف	ظ	دانقان ونصف	غ	دانقان ونصف					

المرتبة الرابعة في الأربعة	مرتبة	الحرارة	تسعة دراهم ودانقين	البرودة	ب	تسعة دراهم ودانقين	اليبوسة	ج	تسعة دراهم ودانقين	الرطوبة	د	تسعة دراهم ودانقين	
	درجة		هـ		أربعة دراهم	و		أربعة دراهم	ز		أربعة دراهم	ح	أربعة دراهم
	دقيقة		ط		ثلاثة دراهم وثلاث	ي		ثلاثة دراهم وثلاث	ك		ثلاثة دراهم وثلاث	ل	ثلاثة دراهم وثلاث
	ثانية		م		درهمان وأربعة دوانيق	ق		درهمان وأربعة دوانيق	س		درهمان وأربعة دوانيق	ع	درهمان وأربعة دوانيق
	ثالثة		ف		درهمان	ص		درهمان	ق		درهمان	ر	درهمان
	رابعة		ش		درهم ودانقان	ت		درهم ودانقان	ت		درهم ودانقان	خ	درهم ودانقان
خامسة	ذ	أربعة دوانيق	ض	أربعة دوانيق	ظ	أربعة دوانيق	غ	أربعة دوانيق					

فقد وضع ووجب وجوبا واضحا أن الألف أو الباء أو الجيم أو الدال متى رأينا إحداها لم تخل من أن تكون في المرتبة الأولى أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة في الشيء الذي نريد أن نزنه، وليس تكون ا ب ج د إلا للمراتب، وليس تعدو من أن تكون درهما ودانقا أو ثلاثة دراهم ونصفا أو خمسة دراهم وخمسة دوانيق أو تسعة دراهم ودانقين.

وذلك بين في كتاب الحاصل وكتابنا الأول من هذه الكتب أعني في هجاء الكلام وتتريل مراتبه وما دولها منازلها وإسقاط الزوائد منها، فأعط كل شيء حقه، فهو أقرب المسالك وأوضحها.

وحق سيدي، لولا أن هذه الكتب باسم سيدي - صلوات الله عليه - لما وصلت إلى حرف من ذلك آخر الأبد لا أنت ولا غيرك إلا في كل برهة عظيمة من الزمان. فاحمد الله كثيرا الذي أوضح لك هذه السبيل وأبان لك الحق، إنه فاعل ما يشاء ورازق من يشاء بغير حساب، فتبارك الله أحسن الخالقين، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وعلى آله الأبرار المنتخبين.

ولنعد إلى غرضنا الذي كنا بسيله فنقول: وقد وضع أيضا وثبت من قولنا بعد المراتب أن هـ و ز ح متى رأيت إحداها لم تخل من أن تكون في المرتبة الأولى أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة في الشيء المحتاج إلى وزنه، فلا بد من نظم كما لم يكن بد من نظم في أمر المراتب، وليس تكون هـ و ز ح إلا للدرج كما لم تكن ا ب ج د إلا للمراتب، وليس تتجاوز الدرج من أن تكون إما نصف درهم أو درهما ونصفا أو درهمين ونصفا أو أربعة دراهم.

وذلك أيضا بين في موضعه من كتاب الحاصل في الهجاء أعني في العشاري والتساعي والثماني والسباعي والسداسي والخماسي والرابعي والثلاثي والثنائي والمفرد. وبذلك تبين لك منازل المراتب أعني بقول العشاري والتساعي وما بعده. فقد - والله العظيم - وضع الطريق الذي نريده في علم الميزان، فأعط كل شيء حقه تصب الطريق، إن شاء الله.

وقد وضع أيضا بعد المراتب والدرج أن ط ي ك ل.

متى رأيت إحداها لم تخل من أن تكون من المراتب الأولى أو الثواني أو الثالث
أو الروابع في الشيء الذي تريد معرفة ميزان طباعته، وليس تكون ط ي ك ل إلا
لدقائق كما لم تكن التي قبلها إلا لما حكمنا به.

وليس تخلو الدقائق من أن تكون دانقين ونصفا أو درهما وربعا أو درهين
وقيراطا أو ثلاثة دراهم وثلثا، والحكم في هذه الزيادات إنما هو واقع على الكلام، فعلى
قدر طول الكلمة وقصرها يقع الحصر بالصنحة مع الزيادة في المقدار والنقصان منه.
فاعرف ذلك ولا تعط المرتبة الأولى ولا شيئا من أجزائها ما قد حكم به للمرتبة
الثانية ولأشياء من أجزائها لئلا يدخل بعض في بعض، فيصير ما تريد أن تصلحه إلى
باب الفساد وما تريد أن تفسده إلى باب الصلاح، وهذا خلف بعيد، فاعرفه إن شاء
الله تعالى.

وقد ثبت أن م ن - ق ع متى رأيت شيئا منها لم تخل أيضا من أن تكون من
إحدى المراتب الأربع، فإن كانت من الأولى حكمت بالأولى، وإن كانت من الثانية
حكمت بالثانية، وإن كانت من الثالثة حكمت بالثالثة، وإن كانت من الرابعة حكمت
بالرابعة.

وإن م ن س ع لا تتجاوز الثواني وليس تخلو من أن تكون دانقين أو درهما أو
دراهما وأربعة دوانيق أو درهين وأربعة دوانيق. فأعط كل شيء حقه ولا تعل مسفلا
ولا تسفل عاليا، وافهم ذلك.

وليس تخلو ف ص ق ر أيضا من أن تكون من إحدى المراتب الأربع، ولا تخلو
من أن تكون دانقا ونصفا أو أربعة دوانيق ونصفا أو درهما ودانقا ونصفا أو درهين،
فترلها بحسب ما يوجب هجاءها في العشاري والتساعي والثماني والسباعي والسداسي
والخماسي والرابعي والثلاثي والثنائي والمفرد. وينبغي أن تعلم أن ف ص ق ر هي
الثوالت.

وقد وضع بعد ذلك أن ش ت ث خ هي الروابع وأنها أيضا تنقسم على الأربع
المراتب، ولا تخلو من أن تكون من إحدى هذه الأربع.
وإنها أيضا لا تخلو من أن تكون إما دانقا أو نصف درهم أو خمسة دوانيق أو

درهما ودانقين، فترلها على هجائها بحسب ما قد رسم لها تصب الطريق، إن شاء الله تعالى.

وقد بقي القسم السابع الذي هو آخر علم الميزان، وإنما قصدنا في ذلك أن نشرح لك علم الميزان والصور التي قبل هذا الموضوع حتى لا يبقى عليك فيه شك. والقسم السابع إذن على ما يوجبه حكم النظر وقياس حروف المعجم هو ذ ض ظ غ، وإنما أيضا تتفرق على المراتب الأربع في الطبائع الأربع كما تفرقت أخواتها. ومن المعلوم البين أن ذ ض ظ غ ليس تعدو من أن يكون كل واحد منها بالصنحة إما قيراطا أو دانقا ونصفا أو دانقين ونصفا أو أربعة دوانيق.

والشيء الذي تخرج به الموازين - أعني بما يوجب الطبع هل هو القيراط أو ما بعده - هو الهجاء ومعرفة الحكم في العشرة الأمثلة أعني في العشاري وما دونه، فاعلم ذلك وقس عليه، فقد وضح لك الطريق.

فمثال ذلك أن نضع حروفا كيف وقعت فنقول: ا ب هـ خ ذ ص ك ر ز س ج م ن غ، فمن المعلوم البين أن الألف متى رأيناها لم تخل من أن تكون درهما ودانقا أو ثلاثة دراهم ونصفا أو خمسة دراهم وخمسة دوانيق أو تسعة دراهم ودانقين.

وأعني بقولي «ليس يخلو» أي: إن كانت الألف في كلمة توجب المرتبة الأولى فدرهم ودانق، وإن كانت في كلمة توجب المرتبة الثانية فثلاثة دراهم ونصف، وإن كانت في كلمة توجب المرتبة الثالثة فخمسة دراهم وخمسة دوانيق، وإن كانت فيما يوجب فتسعة دراهم ودانقان.

وكذلك الباء التي بعد الألف التي قد جعلناها مثالا، وكذلك الجيم التي هي الحرف الحادي عشر.

ومن الواضح أيضا أن الهاء من قسم الدرج وليس تخلو من أن تكون كما قلنا في إحدى المراتب الأربع، وإنما إما نصف درهم في الأولى أو درهم ونصف في الثانية أو درهما ونصف في الثالثة أو أربعة دراهم في الرابعة.

وإن الخاء من الروابع، وإنما أيضا ليس تخلو من أحد أربعة أشكال كما مثلنا وأربعة أوزان، فإنما لها أعطيت ذلك، وإن بعد الخاء ذال وهي من الخوامس، وإن لها

أربعة أمثلة وأربعة أوزان ومقادير، وإن الحكم بحسب ما يصح من ذلك على المهجاء، فليعط كل قسم منها مقداره ليتم وزنه ولا يدخل بعض في بعض.

وإن بعد الذال ص وهي من الثوالت ولها أربعة مواضع وأربعة أمثلة وأربعة مقادير، فليعط موضعه ومثاله ومقداره ليصح به حقا.

وإن بعد الصاد ك وهي من الدقائق ولها أربعة مواضع وأربعة أمثلة وأربعة مقادير وهي بأوزان مختلفة لكل منزلة وزن مفرد عن صاحبه.

وإن لم توف كل شيء من المنازل حقه من المقادير بطل فعله ولم يصح، فليحذر فيه من الزلل والسهو. وإن بعد ك ر وهي من الثوالت، ولها ما أنظر أمها من الأربعة، فليعمل على ما قد رسمناه من توفيتها وتصحيحها ليتم ما قلناه.

وبعد ر ز فليعمل كما قلناه، وكذلك في واحد واحد مما بقي س ج م ن غ. فنقول: إنما نحتاج أن نجعل هذه الحروف كلها من المرتبة الأولى أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة.

فإن كانت من المرتبة الأولى فمبلغ وزنها كلها بالصنجة يكون ستة دراهم وأربعة دوانيق ونصف، وذلك أن الألف درهم ودانق و ب درهم ودانق و هـ نصف درهم و خ دانق و ز قيراط و ص دانق ونصف و ك دانقان ونصف و ر دانق ونصف و ج درهم و س دانقان و ج درهم ودانق و م دانقان و ن دانقان و غ قيراط، وجملة ذلك ستة دراهم وأربعة دوانيق ونصف وعلى مثال ذلك في الثلاث المراتب الباقية.

ونحن نحتاج الآن أن نوريك ذلك بالأشكال في موازين الأحجار الذائبة التي الحاجة إليها ماسة في أول الصناعة وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والأسرب والرصاص - لتعلم حقيقة حروف هذه الأشياء كلها.

فينبغي أولا أن تعلم أن كل شيء من هذه الأحجار ففيه سبعة عشر قوة، وهو إما أن يكون أحمر أو أبيض.

فإن كان أبيض ففيه من الحرارة مرتبة أولى، وفيه من البرودة ثلاث مراتب أول، وفيه من البيوسة خمس مراتب أول، ومن الرطوبة ثمان مراتب أول.

وإن كان أحمر فبعكس ذلك، وهو أن يكون من البرودة مرتبة أولى، ومن

الحرارة ثلاث مراتب أول، ومن البيوسة ثمان مراتب أول، ومن الرطوبة خمس مراتب أول. ومحصل القدر في الكمية- وهي في هذا الموضع على الصنحة أعني لهذه السبعة عشر- أن المرتبة الأولى إما من الحرارة أو البرودة- وهما ا و ب- درهم ودانق كما قلنا في ذلك أولا.

والثلاث المراتب الأولى- وهي مقام مرتبة ثانية وهما ا و ب أيضا- إما ثلاثة دراهم ونصف من مجموع ثلاث مراتب أولى، أو مرتبة ثانية في نفسها واحدة وهي ثلاثة دراهم ونصف.

ولذلك في وزن الفاعلين أربعة دراهم وأربعة دوانيق والثمانية من البيوسة أو الرطوبة- وهما ج د- إما مجموع ثمان مراتب أولى وهي تسعة دراهم ودانقان، وإما مرتبة واحدة رابعة وهي تسعة دراهم وثلث. وأما خمس مراتب بيوسة وخمس رطوبة - وهما أيضا ج د- فذلك إما مجموع خمس مراتب أولى فتكون خمسة دراهم وخمسة دوانيق، وإما مرتبة واحدة ثالثة وهي خمسة دراهم وخمسة دوانيق.

فيكون مجموع السبعة عشر في الأحمر أن الحرارة إما ثلاث مراتب أولى أو مرتبة ثانية وهي ثلاثة دراهم ونصف في الجميع، ومرتبة واحدة برودة وخمس مراتب رطوبة وهي خمسة دراهم وخمسة دوانيق وكذلك إن كانت مرتبة ثالثة وهي ج، وثمان مراتب بيوسة أولى أو مرتبة واحدة رابعة وهي تسعة دراهم وثلث وهي د.

فلذلك مجموع السبعة عشر في الأحمر من كل شيء في العالم على الميزان الصحيح في الدقيق والجليل في الثلاثة الأجناس وفي العلويات وغيرها من سائر العجائب تسعة عشر درهما وخمسة دوانيق، وكذلك هو في الأبيض، فينبغي أن تعلم.

فأما موضع الخلف في الأبيض والأحمر فإنما هو في زيادة البرودة في البياض ونقصان الحرارة فيه وبالعكس ذلك في الأحمر، وزيادة البيوسة في الأحمر ونقصان الرطوبة فيه وبالعكس ذلك في البياض، فاعرفه وينبغي متى أردت وزن شيء من الأشياء كلها أن تعرف ما فيها مما يوجبه الهتاء وانظر كم مبلغ ذلك وانسب من الدراهم على التي هي مبلغ السبعة عشر ثم اعرف الناقص وأخرجه، مثال ذلك:

نحاس

برودة: ثانية من المرتبة الأولى على ما يوجبه الحكم في الرباعي فيكون مبلغها بالصنحة دانقين، والحكم في البرودة أن تكون مرتبة أولى ورابعة من المرتبة الثالثة - أو درجة وثانية أو دقيقتين أولتين - ومبلغ ذلك بالصنحة درهمان، فدرهم ودانق للمرتبة وخمسة دانائق إما للرابعة من المرتبة الثالثة أو للدرجة والثانية من المرتبة الأولى أو للدقيقتين من المرتبة الأولى، والذي يخرج لنا الهجاء دانقان، فبقي درهم وأربعة دانائق، فيكون مقابلا لما فيه من الحرارة.

حرارة: ثلاث مراتب ويعبر عنها بالمرتبة الثالثة، وذلك بين واضح يكون وزنه بالصنحة خمسة دراهم وخمسة دانائق، أما الحرارة فإنها كاملة في الأحمر.

رطوبة: ح درجة من المرتبة الثانية على ما يوجبه الحكم في الرباعي، ويكون مبلغها بالصنحة درهما ونصفا، وأوجب الحكم إن كان للأحمر أن يكون خمس مراتب وهو بإزاء مرتبة ثالثة من هذا أبدا يكاد بل هو مواز للحجارة، ومبلغ ذلك بالصنحة خمسة دراهم وخمسة دانائق، والذي أخرج لنا الهجاء درهم ونصف، فبقي أربعة دراهم ودانقان ليبلغ إلى سبعة عشر إن شاء الله تعالى وحده.

يبوسة: س ثانية من المرتبة الرابعة وذلك بين واضح في حكم الرباعي السليم، ويكون مبلغها بالصنحة درهمين وأربعة دانائق.

اليبوسة ناقصة في الأحمر وتمامها يكون بالصنحة سبعة، وذلك أنها كانت تريد أن تكون مرتبة ثامنة أو ثمان مراتب أولى ومبلغ الجميع واحد وهو تسعة دراهم وأربعة دانائق، فسقط منها ما وجب إسقاطه منها بالحروف التي في نفس الكلمة وذلك درهمان وأربعة دانائق فبقي من تسعة وأربعة دانائق سبعة دراهم، فينبغي أن يزيد فيه ليصير إلى الجزء الذي يحتاج إليه.

وعلى هذا المثال ينبغي أن يوزن كل شيء في العالم، فأما مسامطة الحرارة فيه للرطوبة ففي الصبغ الأحمر، لولا ذلك لتهتك اليبوسة بكثرتها الرطوبة إذا كان مقدار اليبوسة أكثر من مقدار الرطوبة كثيرا.

وكذلك عكس الكلام في الأبيض، فإنه لولا مسامطة اليبوسة للبرودة فيه لغلب

الرطوبة البيوسة.

ومعنى المساواة أي: أهما تكون بالقرب منها لا حيث المباينة أعني في تقابلها أو البعد الذي هو بين المحيط والمركز.

ولولا هذه المساواة حتى تغلب في الأحمر الحرارة كما لا بد منه وتكون البيوسة أيضا غالبية لخرج متفتتا كسائر ما يعمل كذلك.

ولما لم يكن الأعدل متفتتا كما أنه لم يكن أيضا مائعا ووجب أن يكون هو الشيء الذي بين الجميع، وهو مثل الأجسام الثلاثة التي هي الذهب والفضة والنحاس في مقدار اللين والصلابة أعني من الحجارة.

فأما من غير الحجر فعلى حسب ما يجعل أيضا الأعدل، فإنه يحتاج إلى بحث وسير.

وذلك أن كل حيوان وأعضاؤه جامدة فالأعدل هو الجامد، وإن كانت كلها ذائبة فالأعدل أن تكون ذائبة وإن كانت لدنة كانت كذلك.

وكذلك إن كانت بغير ذلك من الأوصاف كانت المعمولة كمثلها.

وأما إن كانت ليست كلها كذلك لما ووجب أن تكون موصوفة بأنها أعدل، فإنها لو كانت كذلك ما كان منها حيوان.

ولما كان كل عضو منها قائما بنفسه كان أيضا كل واحد منها أعدل في ذاته. فمن البين الواضح أن ليس الذهب أيضا أعدل الأجساد وإنما صيروه أهل الصناعة أعدلها لأنهم انتفعوا به، وكذلك لو انتفعوا بالنحاس أو الرصاص لصيروه الأعدل وساقوا تدابيرهم إليه، فبالضرورة الآن إنما هو أعدل لموضع المنفعة لا غير.

فينبغي أن يسلك فيما قلنا، وذلك أنك ربما احتجت أن تنقل الذي هو أعدل إلى غير الأعدل، وذلك أنا لو فقدنا النحاس ألبتة ثم وجدنا من الفضة والذهب فوق الحاجة وكانت الضرورة داعية إلى النحاس والذهب هو الأعدل والنحاس هو المضطرب لاحتجتنا أن ننقل الذهب الذي هو الأعدل إلى النحاس الذي هو المضطرب فوجب ضرورة ذلك.

كذلك نقول: إنه ليس الثمر بأعدل بإضافته إلى الورق لأن المنفعة بالثمر أكثر

منه بالنورق.

ولكن ينبغي أن يعطى كل شيء حقه من الأوزان لينقل بعضها إلى بعض، إن شاء الله تعالى.

وينبغي -عافاك الله- أن تدبر أمر ميزان هذه الأجساد.

فوحق سيدي، لقد عملت هذه الأشكال وما يحتاج إليها مع الشكل الأول الذي فيه أمر الطبايع والمراتب وما دولها، فينبغي أن تعلم ذلك.

وإني إنما أوردت ذلك ليسهل عليك سائر ما تحتاج إليه في علم الميزان، وأنا -إن شاء الله تعالى- أبدأ بعد أن أريك العلة في ميزان الإكسير بتمام أشكال الحجارة السبعة وهي ستة أشكال ويكون مقطع هذا الكتاب.

وأبين في الجزء الأول بعد هذا- وهو الثالث منها- كيف يكون الإخلاط بالمهنة وكيف يكون التشميع جملة واحدة.

لكن قرأت كتاب الحدود مع كتبي هذه الأربعة لا أعوزك من الموازين في العلويات والسفليات شيء غير مهنة الحيوان والنبات، وإن هذا مجود في مواضعه من كتب آخر.

فينبغي -عافاك الله- أن لا تخالف ما نوصيك به وتعمل به تدرك -وحق سيدي- ما تطلبه عن قريب بغير مشقة ولا كلفة، وأرجو أن يسهل الله لك ذلك إن شاء الله.

فلنأخذ الآن في أمر ميزان الإكسير بالحروف كما ذكرناه في كتاب ميدان العقل إن شاء الله تعالى.

فنبقول وبالله الاستعانة: إنا قدمنا من المقالات ما قد أغنى عن أن يعلم الإكسير ما هو.

وذلك أن المعلوم في ذلك هو أن أصل سبعة عشر ينقسم إلى قسمين إما أحمر أو أبيض، وإن كان أحمر غلب الحار اليابس، وإن كان أبيض غلب البارد الرطب. وإن جملة ذلك بالصنحة تسعة عشر درهما وخمسة دوانيق على الرأي الصحيح الذي لا فساد فيه.

فمتى مثلنا مثالات تدل على السبعة عشر تقدمت أو تأخرت تناقصت أو تزايدت فينبغي أن تعلم أن الأصل فيها واحد. لأن الحرارة أين كانت فهي حرارة، والبرودة أين كانت فهي برودة، وكذلك في الرطوبة واليبوسة، وذلك لأنه لا يقال ولا واحد من كل هذه على الآخر.

مثال ذلك أن أ لا يقال ولا على واحد من ب ولا ج ولا د، وكذلك ب لا يقال ولا على واحد من أ ج د، وكذلك ج لا يقال ولا على واحد من ا ب د، وكذلك د لا يقال ولا على واحد من ا ب ج، فقد وضع الفرق الذي نريد أن نوريك.

فإن أردت أن بعض أ يفسد فيصير إلى ب وكذلك إلى ج و د على أنك تجعل أ ب ج د من الثواني التي هي النار والهواء والماء والأرض فلعمري أن بعض هذه المركبات يستحيل.

وقد استوفينا ذلك في كتاب التصريف، فقد وضع الطريق فقس عليه، إن شاء الله تعالى.

وذلك من جهة أن الحروف إذا صيرناها كما ذكرنا ب و ج أن ر ح د س أو ر س ا ن ح ب د و ج أو ا ن ح د و ر س ج ب أو ا ن ح د س ر ب و ج أو غير هذه الحروف فالوجه يكون على غير استقامة، ليس تكون الألف أبدا إلا للحرارة كما لا تكون الباء أبدا إلا للبرودة فأين وجدت حرفا من هذه الحروف فالزمه ماله مما هو له من الطبائع تصب الطريق، إن شاء الله تعالى.

وموضع الخلف أيضا إما هو في تقدم هذه الحروف وتأخيرها، فما وجدنا قد قدمنا حرارته في أول هجائه فاعلم أنه للبياض، وما رأينا قد أخرنا حرارته في آخر هجائه فهو للحمرة، وكذلك القول في البرودة والرطوبة واليبوسة، فاعلم ذلك في التسعة عشر وفي التسعة عشر وخمسة دوانيق تبلغ ما تحب بقوة الله، إن شاء الله تعالى.

ولو أردنا أن يخرج من أربعة أحرف فقط لحاز مثل أ ب ج د، وتجعل أ في المراتب الأول أو الثواني، وتجعل الباء في المراتب الأول أو الثواني.

مثل ذلك إن كان للحمرة فألف في المرتبة الثانية وباء في المرتبة الأولى، وبالعكس

ذلك في البياض.

وتجعل ج إما في المراتب الثالثة أو الرابعة وتجعل د كذلك، إن كان للحمرة فج
في الرابعة و د في الثالثة، وإن كان للبياض فبعكس ذلك.

فينبغي أن تعلم ذلك وتنظم ما رأيت من الحروف كذلك.

وربما كان فيها زيادة فينبغي أن تلقيها وتطرحها، أعني مثل أجزاء صغار فينبغي

أن تطرحها.

وإنما يؤتى بمثل تلك الصغار تدهيشا وتشويشا، فالوجه ما قلناه.

وأما بليناس فزعم أن الإكسير ليس ينبغي أن يكون كذلك ولا يقع عليه كل

قوة، وإنه عنده من شيء واحد متى لم يجعل منه ويساق ذلك عليه بطل.

وزعم أن الميزان إنما هو شيء يمكن في الانفعالات اليسيرة والعظيمة، وأن اليسيرة

لا تدخل في قسم العظيمة ولا العظيمة في قسم اليسيرة، فهذه جعل قد ذكرها بليناس.

فإن كان رأيه على ما نتأوله نحن فقد أصاب، وإن كان على غير فيجوز أن

يصيب وأن يخطئ، لأنه لم يفسر معنى كلامه.

وأي شيء أراد به فإنما أعطى جملة، والوجه عندي فيه أنه أراد أنه استحق أن

يعطي الشيء اليسير اليسير من الطبائع ما لم يحتج إلى الشيء العظيم، فمتى أعطى

العظيم بطل، وكذلك العظيم متى أعطى اليسير بطل أو لم يتم، وهذا صحيح في

القياس.

وكذلك نقول: ينبغي أن نوفي هذه الأشياء حقوقها ونعمل فيها بما تحتاج إليه

حتى تتم، إن شاء الله تعالى.

ولنأخذ فيما بدأنا به من ميزان الأجساد فنقول وبالله التوفيق: ينبغي -عافاك

الله- أن تعلم أن هذه الأحجار مختلفة ولولا ذلك لكان كلها شيئا واحدا، فهذا من

قرب.

وإن فيها ما يزيد على سبعة عشر وفيها ما ينقص عنها وفيها ما يساويها.

وإذا درست شيئا من الأشياء فوجدته مساويا للسبعة عشر فلا تزد فيه شيئا ولا

تنقص منه شيئا، وهذا يكاد أن يكون من باب الممتع من شدة عسره.

وإذا وجدت شيئاً يزيد على سبعة عشر فانقصه على تناسب إلى أن يبلغ إلى سبعة عشر، فإنه يتناسب ويستقيم ويكون كمثل ذلك العسر الذي لا يكاد أن يوجد، فاعلم ذلك واعمل به.

وإذا وجدت شيئاً ينقص في الميزان عن سبعة عشر فتممه ليكون كمثل ذلك الشيء العسر الذي قلنا أنه ليس يكاد أن يوجد، واعمل به فإنه الوجه، إن شاء الله. فأما كيف ذلك وكيف تزيد فيه ففي الجزء الرابع من هذه الكتب وهو تمام العلم، فينبغي أن تقف عليه.

ولا تتوان عن درس كتاب الحدود، فإنه الموصل لك إلى كل شيء تريد، إن شاء الله.

وعليك يا أخي في سائر ما تدرسه بدراسة علم النصبه وهو الذي نقول لك دائماً من الصورة، فإنك إن لم تعمل على مثال ما إما أن يكون قائماً في نفسك وإما أن يكون حيال عينك ونفسك لم يتم لك شيء وكنت بمنزلة المحرب الذي لا يعلم ما يعمل ولا ما يخرج له، فعمله غير موثوق به.

وهذا -عافاك الله- شيء غير موثوق به لأنك لا تعلم أفاستدا يخرج لك أم صالحاً أم غير ذلك وهذا هو المحال.

فينبغي أن تتصور هذا الشكل في سائر الأشياء كلها التي يدخلها القياس وحكم النظر فتأمله: موجب ممكن ممتنع، وتحكم على ما كان في الطرف الأول بما هو له، والثاني بأنه قد يجوز أن يكون ويجوز أن لا يكون، والثالث ببطلانه وأنه قد يجوز أن يتصور في العقل ويجوز أن لا يتصور في العقل، إن شاء الله تعالى.

ولنأخذ الآن في الأشكال، وهي هذه:

ذهب

حرارة: خامسة من المرتبة الأولى ويكون مقدارها قيراطا بالصنجة، ودرجة من المرتبة الثانية ويكون مقدارها بالصنجة درهما ونصفا.

وحكم الحرارة أن تكون ثلاثة أضعاف البرودة ومبلغ ذلك سبعة عشر درهما ونصفا، سقط منها ما أخرجته الحروف درهم ونصف وقيراط، بقي ستة عشر درهما غير قيراض.

برودة: مرتبة ثالثة برودة مقدارها بالصنجة على إيجاب الحكم الصحيح خمسة دراهم وخمسة دوانيق.

رطوبة: تخرج رطوبته بالحدس وهو تسعة وعشرون درهما ودانق، وإذا قسم ذلك على المراتب وما تحتها ثلاث مراتب رابعة ومرتبة أولى، والسلام.

يبوسة: تخرج يبوسته بالحدس^(١) وهي ستة وأربعون درهما وأربعة دوانيق، إذا قسم ذلك على المراتب وما تحتها يكون خمس مراتب رابعة أو أربعين مرتبة أولى أو كيف جزئت هذه التجزئة خرجت متناسبة.

وهذا -عافاك الله- فلا بد أن يزيد أو ينقص، فقد حصل في الذهب حينئذ أنه من الزوائد.

وينبغي أيضا أن تعلم معنى قولنا زائد أو ناقص وإن كنا قد قلنا إنه عند سبعة عشر فيما تقدم، وذلك إنما هو -عافاك الله- عند الإكسير.

وذلك أن الإكسير كما مثلنا سبعة عشر، وإن كان في هذه الأقسام ما فيه سبعة عشر يجب أن يعمل عمل الإكسير، وهذا ليس يكاد أن يكون.

فمتى أراد مريد أن يصير الذهب مثل الإكسير نقص من كل واحد من عناصره

(١) قال الأزهري: الحدس التوهم في معاني الكلام والأمور بلغني عن فلان أمر وأنا أحدث فيه أي أقول، بالظن والتوهم وحس عليه ظنه يحدهس ويحدسه حدسا لم يحققه وتحدهس أخبار الناس وعن أخبار الناس تخير عنها وأراغها ليعلمها من حيث لا يعرفون به وبلغ به الحداس أي الأمر الذي ظن أنه الغاية التي يجري إليها وأبعد ولا تقلل الإداس.

بحسب ما يجب إلى أن يبقى في الذهب سبعة عشر وزنها تسعة عشر درهما وخمسة دوانيق ويطرح الباقي.

وكذلك إن أراد مريد أن ينقل الذهب إلى النحاسيه عرف وزن النحاس أولا ثم عرف وزن الذهب وأيهما زاد على الآخر، إن زاد الذهب نقص إلى أن يبلغ إلى مقدار النحاس وإن زاد النحاس زيد في الذهب إلى أن يصير إلى حد النحاس، وقد وجب أن الذهب أزيد من النحاس، وكذلك عكس هذا الكلام.

ويا ليت شعري كيف يتم لك ذلك وأنت لا تعرف الحدود ولا تقف عليها. وكذلك إن أردت أن تنقله إلى الفضة أو الفضة إليه فينبغي أن تعمل فيه كما قلنا، وكذلك كل جسم إلى كل جسم. فاعلم ذلك وقس عليه إن شاء الله تعالى وحده والسلام.

فضة

حرارة: ثلاثة حرارة من المرتبة الأولى يكون مقدارها بالصنجة^(١) على ما يوجبه النظر دانقا ونصفا، حكم الحرارة أن تكون في الأبيض مرتبة أولى ومقدارها درهم ودانق، سقط منها ما أخرجته الحروف دانق ونصف، بقي خمسة دوانيق ونصف حرارة.

برودة: خامسة المرتبة الثانية يكون مقدارها بالصنجة على ما يوجبه صحيح النظر دانقا ونصفا، وحكم البرودة أن تكون مرتبة ثانية أو ثلاث مراتب أولى مبلغ أيها شئت ثلاثة دراهم ونصف، أسقط منه ما أخرجته الحروف دانق ونصف، بقي ثلاثة دراهم وربع برودة.

يبوسة: تخرج بالحدس ومبلغها تسعة دراهم ودانقا، فينبغي أن يزداد بأسره لأنه لم يخرج لنا في هجائه شيء منه، والسلام.

رطوبة: تخرج بالحدس ومبلغها خمسة دراهم وخمسة دوانيق، فينبغي أن يعمل بما يعمل في باب اليبوسة، إن شاء الله تعالى.

(١) وصنجة الميزان وسنحته فارسي معرب وقال ابن السكيت لا يقال سنجة والأصنوجة.

وتعتمد صلاح الأبعاد في كل واحد من هذه الأجسام، ومعنى الأبعاد -عافاك الله- هي الأطوال والعروض والأعماق.

والمركز في نفسه -عافاك الله- أعني إذا كان مفردا مثل النقطة التي في الهندسة التي لا طول لها ولا عرض ولا عمق، وهي شيء عقلي لا حسي، فأما إذا تركبت صارت شيئا حسيا.

وكذلك كل ما يحد فإنما يحد عقليا، وهي الكليات التي هي نوع المحسوسات والمحسوسات أشخاصها، أعني بأنها نوع المحسوسات أنها ضامة جميع محسوساتها إلا بالمعنى الذي به كان النوع نوعا للجنس الذي هو يدبر أن النوع مضموم إلى أشباهه بالجنس وفي الجنس.

وأیضا فإن السطوح ينبغي أن يعتمد أن تكون كسطوح المعمول، وليكن مجسما والمجسم لا يكون إلا مرثيا.

وأما البسائط فلا تكون كالسطوح أبدا إذ الخطوط إنما هي أطوال بلا عروض، وهذا أيضا يعم ما هو داخل تحت العقل لا ما هو خارج إلى الحس.

وهذا -عافاك الله- فإنما نعني به ما تركبه من لا موجود، فأما من جسم إلى جسم فالحكم فيه أنه ظاهر للحس وما يدخل عليه أيضا ظاهر للحس منه.

فاعلم ذلك وقس عليه، إن شاء الله تعالى، وإن أردت تمام ذلك كله - أعني الحسي والعقلي - فعليك بكتاب الحدود، فافهم وأدم درسه تبلغ به ما تريد، إن شاء الله تعالى.

اسرب

حرارة: مرتبة أولى حرارة مقدارها درهم ودانق، والحكم في الحرارة أن تتراد أولا فيها مرتبة أخرى ومبلغها درهم ودانق، ودقيقة أخرى حرارة مقدارها دانقان ونصف، يكون الجميع درهين وأربعة دوانيق ونصفا حتى يعتدل.

برودة: أربع مراتب برودة، وهذا فيه خلف، قيل: من المرتبة الأولى وهذا خطأ، وهو مرتبة رابعة وهو الصحيح. ومقدارها تسعة دراهم ودانقان.

يبوسة: يبوسته ثانية من المرتبة الثانية مقدارها درهم، وحكم اليبوسة أن يزداد



فيها تمام خمس مراتب ويكون خمسة دراهم وخمسة دوانيق، ذهب منها درهم، بقي أربعة دراهم وخمسة دوانيق.

رطوبة: ثلاثة من المرتبة الثالثة مقدارها درهم وربيع. حكم الرطوبة أن تكون ثماني مراتب ومبلغها تسعة دراهم ودانقان، ذهب منها درهم وربيع، بقي ثمانية دراهم وقيراط. فينبغي أن تزيد أو بعكس ذلك.

وينبغي أن تعلم أن البسيط وحده هو الذي له طول وعرض بلا عمق. ومن البسائط بسيط ليس له نهايات خطوط وهو متناه في شكله أعني البسيط الكروي، فإنه ليست له نهايات فيكون لا إلى خطوط ولا إلى غيرها، بل للحجر القابل له نهايات هي تناهى سطح الكروي. فإن كانت الأشكال التي تعم الحجر كرية فهذا حكمها، وإن كانت بخلاف ذلك فيخلاف ذلك.

فأما البسائط التي ليست بكرية فإن منها بسائط قطع الأكر ومنها بسائط السطوح المعتدلة. والسطوح المعتدلة هي التي جميع فصولها المشتركة الفاصلة لها على استقامة خطوط مستقيمة.

فأما بسائط قطع الأكر فإن لها نهايات خطوط قوسية والقوسية هي نهايات قطع الدائرة.

وأما بسيط الدائرة فخطوط قوسية أو قوسية وترية معا. وهذا Δ مثال البسيط ذي الخطوط المستقيمة وهو إما مثلث أو غيره غير المدور بسيط ذو خطوط مستقيمة، وهذا  مثال الخطوط القوسية المفردة، وهذا  مثال بسيط الدوائر القوسية والوترية المشتركة.

وأما البسائط المعتدلة فإن نهاياتها إذا كانت من غير قوسي خطوط مستقيمة. فإذا جمع نهايات البسائط معتدلة كانت أو كرية خطوط مستقيمة أو قوسية فإذاً جميع الموجودات لا تخلو من أن تكون متشكلة بأحد هذه الثلاثة الأشكال — أعني النبات والحيوان والحجر — ولكل واحد منها واحد منها، فلعل أن تكون المستقيمة

للحيوان والقوسية للحجر والقوسية والمستقيمة للنبات.

وليس ذلك حكم واحد بل لو قال قائل: إن الأشكال القوسية والمستقيمة تعتور الحيوان والنبات لعله كان يكون حقا أو ما أقربه من الحق، لأنه شيء غير متحصل. وذلك خارج من حد الشكل لأن معناه الدال عليه هو أن الشكل التام هو الذي يحيط به حد واحد أو حدود شتى، وليس كالدائرة لأن حدها إنما هو شكل محيط به حط واحد، لأن المدور لا يدري أين ابتداء خطه كما يعلم في المثلث والمربع والمخمس والزوايا وغيرها، وإنما يعلم أن المدور في داخله علامة الخطوط المستقيمة التي تخرج منه إلى المحيط بذلك الشكل وهي متساوية وليس ذلك في غير المدور. اختلف الناس في وزن القلعي خلفا متفاوتا، وذلك أن منهم من قال: نزنه على أن اسمه القلعي.

وقال أصحاب الرواق: لا بل هو الرصاص إذا أخوه اسم الأسرب. وقالت طائفة انبندقليدس^(١): لا بل نزنه على زاوس لأنه أعدل في طبعه وهو

(١) سئل ثابت بن قرة كم البقراطيون؟ فقال: الأول الذي من نسل اسقليبيوس أربعة: فمن بقراط الأول وهو بن اغنوسوديقوس إلى اسقليداس تسعة آباء ومن بقراط الثاني وهو بن ايل قليدس بن بقراط الأول إلى اسقليبيوس تسعة آباء وكان بقراط الثاني أدرك في منتهى سنة حرب القوم المعروفين بالبولونيئاس ومن بقراط الثالث وهو بن دراقن بن بقراط الثاني إلى اسقليبيوس أحد عشر آبا ومن بقراط الرابع وهو بن ثاسلوس بن بقراط الثاني إلى اسقليداس أحد عشر آبا وكان بقراط الثالث وبقراط الرابع ابني عم وبهذا السبب صار عدة الإباء بين كل واحد منهما وبين اسقليبيوس عددا واحدا وينبغي أن يتهم انه قد دخل في عدد آباء كل واحد من هؤلاء البقارطة الأربعة أو من ثاسلوس أبي بقراط الثاني ويجري هؤلاء الخمسة مجرى من يعظم شأنه ويفخم أمره وان كان بعضهم أفضل من بعض وأحق بالتقدم فترضى كتبهم جميعا وترى أن تفسرها ولا تبالي إلى من نسب الكتاب منهم ويقال أن أول من كتب رآه بقراط الأول وهو بن اغنوسوديقوس وانه ألف كتابين كتاب الكسر والخلع وكتاب المفاصل وان بقراط الثاني كتب أربعة كتب وهي كتاب مقدمة المعرفة وكتاب الفصول والمقالة الأولى من ابيديما والمقالة الثالثة من ابيديما والكتب التي عددها جالينوس هي ثمانية كتب ستة منها مقدمة وهي كتاب الكسر والخلع وكتاب المفاصل وكتاب مقدمة المعرفة وكتاب الفصول والأولى من ابيديما والثالثة منه والكتابان الباقيات تنمة الثمانية الكتب كتاب الاهوية والمياه والبلدان كتاب الأمراض الحادة وهو ماء الشعير ويقال انه كان في جميع أقاليم الأرض لاسقليبيوس اثنا عشر

معناه. وقالت طائفة فيثاغورس^(١): هو المشتري وبطبع المشتري، لا نزنه إلا على اسم المشتري لأنه صاحبه ومدبره ومكونه وليس له اسم غيره.
وأما سقراط فحكم على زاوس وهو مقارب الحق.
وقال بليناس: هو القصدير ووزنه منه ولا اسم له غيره.
وقالت المشائية: نزنه على قولنا حار رطب لأنه لا اسم له يدل على طبعه.
ولست أختار أنا في هذه الأوزان كلها مثل قولنا زاوس، فإن عدلنا عنه فحار رطب.

=

ألف تلميذ، وإنه كان يعلم رآه مشافهة وكان ولد اسقليداس يتوارثون صناعة رآه إلى أن تضعع الأمر في صناعة رآه على بقراط ورأى أن أهل بيته وشيعته قد قلوا ولم يأمن أن تنقرض الصناعة فابتدأ في تأليف الكتب على جهة الإيجاز تمت الحكاية عن ثابت بن قررة.
(١) قال في كشف الظنون عند كلامه على علم الموسيقى: تفق الجمهور على ان واضع هذا الفن أولا فينا غورس من تلاميذ سليمان عليه السلام كان رأى في المنام ثلاثة أيام متوالية ان شخصا يقول له قم واذهب الى ساحل البحر الفلاني وحصل هناك علما غريبا فذهب من غد كل ليلة من الليالي اليه فلم ير أحدا فيه وعلم انها رؤيا ليست مما يؤخذ جزافا تفكرتفكر وكان هناك جمع من الحدادين يضربون المطارق على التناسب فتأمل ثم رجع وقصد أنواع مناسبات بين الأصوات ولما حصل له ما قصده بتفكر كثير وفيض الهامي صنع آلة وشد عليها ابريسما وأنشد شعرا في التوحيد وترغيب الخلق في أمور الآخرة فأعرض بذلك كثير من الخلائق عن الدنيا وصارت تلك الآلة معرزة بين الحكماء وبعد مدة قليلة صار حكيميا محققا بالغا في الرياضة بصفاء جوهره واصلا الى مأوى الأرواح وسعة السماوات وكان يقول اني اسمع نعمات شهية والحانات همة من الحركات الفلكية وتمكنت تلك النعمات في خيالي وضميري فوضع قواعد هذا العلم وأضاف بعده الحكماء مخترعاتهم الو ما وضعه الى ان انتهت النوبة الى ارسططاليس فتفكر ارسطو فصنع الأرغنون وهو آلة لليونانيين تعمل من ثلاثة زقاق كبار من جلود الجواميس يضم بعضها الى بعض ويركب على رأس الزرق الأوسط زق كبير آخر ثم يركب على هذه الزقاق انايب لها ثقب على حسب استعمال المستعمل وكان غرضهم من استخراج قواعد هذا الفن تأنيس الأرواح والنفوس الناطقة إلى عالم القدس لا مجرد اللهو والطرب فإن النفس قد يظهر فيها استماع واسطة حسن التأليف وتناسب النعمات بسط فتذكر صاحبة مصاحبة النفوس العالية ومجاورة العالم العلوي وتسمع نداء ارجعي أيتها النفس الغريقة في الأجسام المدلّمة في فجور الطبع إلى العقول الروحانية والذخائر النورانية والأماكن القدسية في مقعد صدق ثم ملك مقتدر.

والذي أذكره في شكله إنما هو على زاوس لأن قولنا قلعي يدل على غير اسمه،
وقولنا قصدير أيضا جيد لأن هذه الأسماء وإن اختلفت بالألسن فإن كل من عبر عنها
بلسان فإنما يطلب المعنى فيه، فاعرف ذلك وابن عليه جميع أمورك.
واقراً كتاب الحدود يتضح لك الطريق عن قرب، وحق سيدي صلوات الله
عليه.

وهذه صورة شكل القلعي ووزن ما فيه، فتأمل جيدا فيه وفي أخيه النظر مليا
تحمد عاقبتك، إن شاء الله تعالى وحده.

زاوس

برودة: درجة من المرتبة الثالثة ومقدارها درهمان ونصف، وحكم البرودة أن
تكون ثلثي مرتبة ثانية مقدارها درهمان ودانقا (في الأصل: وأربعه دوانيق) فاعلم ذلك.
فتريده أو تنقصه إن شاء الله تعالى.

حرارة: مرتبة ثانية مقدارها ثلاثة دراهم ونصف، وحكم الحرارة أن تكون ثلاثة
أضعاف درهمين ودانقين، فحرارته كاملة إما أن يزداد عليها ما يحتاج للحمرة أو للبياض
بحسب النسب إن شاء الله تعالى.

رطوبة: تخرج بالحدس وهو خمس مراتب أول وخمس مراتب أول، فذلك عشر
مراتب أول للحمرة ومقدارها أحد عشر درهما (في الأصل: عشرة دراهم) وأربعة
دوانيق.

يبوسة: درجة من المرتبة الأولى مقدارها على حكم النظر الصحيح نصف درهم
وثانية من المرتبة الرابعة مقدارها درهمان وأربعة دوانيق، حكم اليبوسة أن تكون مرتبتين
روابع مقدارها ثمانية عشر درهما وأربعة دوانيق، سقط من ذلك ما خرج بالهحاء وهو
ثلاثة دراهم ودانق، الباقي بعد ذلك مما هو واجب أن يزداد خمسة عشر درهما ونصف.

حديد

حرارة: تخرج بالحدس مقدارها درهم ودانق فلتزد إن شاء الله.
وقوم زعموا أنه بعكس ذلك أي أن الحرارة حكمها أن تكون مثل البرودة
والبرودة مثل الحرارة والرطوبة مثل اليبوسة واليبوسة مثل الرطوبة، فاعلم ذلك.
برودة: دقيقة من المرتبة الثالثة يكون مقدارها درهمين وقيراطا، ويزاد فيه تمام
ثلاث مراتب أول.
هو درهم ودانقان ونصف، ويكون ثانية من المرتبة الثانية ودقيقة من المرتبة
الأولى.
رطوبة: درجة من المرتبة الأولى ويكون مقدارها نصف درهم، وفيه مرتبة ثانية
رطوبة يكون مقدارها ثلاثة دراهم ونصفا، ويحتاج من الرطوبة إلى درهم وخمسة
دوانيق -ويكون ثانية من المرتبة الثانية ورابعة من المرتبة الثالثة- حتى يصير مرتبة ثالثة
أو خمس مراتب أول إن شاء الله.
يبوسة: تخرج بالحدس مقدارها مرتبة رابعة أو ثمانية من الأولى تكون تسعة
دراهم ودانقين.

زئبق

حرارة: تخرج بالحدس وهو مرتبة أولى وثلاث مرتبة أولى، ومقدار المرتبة درهم
ودانق ومقدار الثلث دانقان وحبتان وثلثا حبة، إن شاء الله تعالى.
برودة: دقيقة من المرتبة الثانية مقدارها درهم وربيع، ومرتبة ثالثة برودة
ومقدارها خمسة دراهم وخمسة دوانيق، إن شاء الله تعالى.
يبوسة: درجة من المرتبة الأولى مقدارها نصف درهم، وثالثة من المرتبة الرابعة
ومقدارها درهمان.

وتحتاج إلى الزيادة لتكون مرتبة ثالثة وهي خمسة دراهم وخمسة دوانيق.
سقط منها ما أوجبه الهجاء وهو درهمان ونصف، يبقى ثلاثة دراهم وثلث،
وزيادة ثلث مرتبة ثالثة تكون درهما وخمسة دوانيق ونصف، فذلك خمسة دراهم وربيع.

رطوبة: تخرج بالحدس وهو مرتبة رابعة وثلاث مرتبة رابعة، والمرتبة الرابعة تسعة دراهم وثلاث وثلاثها ثلاثة دراهم وتسع، فينبغي أن يزيد أو ينقص منه إن شاء الله. وقد بينت مواضع الزيادة فيه والنقصان منه، فينبغي أن تطرح عنه الفضول وتأخذ في الأعمال على استقامة.

وينبغي أن تعلم أنك إن لم تعلم هذه الكتب بما فيها لم يتم لك عمل لأنه ليس البغية فيه قليلة، وقد - وحق سيدي - كفيتك مؤنة التعب والنصب والكد في التدبير والأعمال السخيفة وما يذهب فيها من الأعمار والأموال حتى يرى فيها شيء صحيح، وأيضاً وإن مرجوعها إلى علم الموازين.

وإن اتقيت الله وأدمت الدرس خرج لك ما تريد، وإن تكن الأخرى فلا تتعب نفسك فإنه والله لا جاءك إلا بالدرس وجمع الأصول التي فيها العلوم. وقد استوفينا لك في الجزء الأول من هذه الكتب ما يحتاج إليه من أمر الهجاء والزوائد وما يزداد ويسقط منها.

وأما في هذا الجزء فقد استعينا بالكلام في أمر موازين الأحجار الدائبة، وكيف تفرق أيضاً الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة على المراتب والدرج والدقائق والثواني والثالث والروابع والخوامس، وكيف تفرق المراتب وما دونها على الأوزان بالصنجات، وكيف ميزان الإكسير وتأليف الحروف له إن أحب الإنسان أن يزيد فيها أو ينقص منها.

فأما معرفة الحيل لها والأخلاق ففي الجزء الثالث كما عرفناك والتشميع وترتيبه، وما يكون في أول أمره ووسطه وفي آخره وغير ذلك، وكيف يكون في المدة المتطاولة ولم ذلك، وكيف يمكن للإنسان أن يعمل ذلك جملة واحدة وفي دفعة حتى يوازي الشيء الذي في المدة اليسيرة الشيء الذي في المدة الطويلة، والله الموفق والمرشد.

وفي هذا الكتاب من الغناء في الممارسة والمهنة - أعني الثالث من هذه الأجزاء - ما يتجاوز عنه الوصف، وهو - وحق سيدي - تام غير مرموز، وما يحتاج إلى شيء في الدنيا من كتبنا ولا من كتب غيرنا إلا كتاب الحدود، فإنه ليس في العالم كتاب إلا وهو مفتقر إلى كتاب الحدود.

ونذكر في آخر هذه الأجزاء وهو الرابع منها موازين الأحجار الأربعة الأخر من الثمانية التي ذكرناها في كتاب التصريف.

وكيف وجه الزيادة فيما تريد الزيادة ونقصان ما يحتاج إلى النقصان؟ وكيف يكون الشيء الأعدل؟ وهل شيء يعدل؟ وهل ما يعدل يكون مثله أم لا أم كيف ذلك؟ وهل الجوهران يكونان واحدا متناسبا أو مخالفا متباينا وإذا أتينا على مثل هذا فلم تبق في العالم بقية تحتاج إليها والسلام؟

وينبغي أن تضع بين عينيك أمر الأجسام البسائط التي ذكرتها وغيرها مما يكون ومما لا يكون.

فمن ذلك أن ما أحاط به حدان فليس ينتج شيئا وهو باطل لأن المعمول عليه من المقدمات في هذه الصناعة هي المقدمات المحتاج إليها في علم الهندسة وهو سبع مقدمات، وهي: الخير والمثال والخلف والنظم والفصل والبرهان والتمام.

فالخير هو القول الموجب أو السالب المقدم لإظهار البغية قبل اليقين لأن اليقين في آخر الأمر يكون.

وأما المثال فهو رسم صور أشكال أعمال هذه الصناعة وسائر موضِعاتها التي تقدم الخير لها، وهي التي يقال عليها إنها المدلول على معنى الخير.

وأما الخلف فالفساد من خطأ المدبر، لأنه صرف الخير عن جهته إلى ما لا يمكن في الوضع ويجوز أن يتصور وأن لا يتصور.

وأما النظم فهو ترتيب القول في تأدية برهان الخير أي: ترتيب هذه الأعمال والتعليم أولا ليكون الأمر على سنن، فإنه ما يجاوز فيه من أوله إلى ثلثه بلا ترسُّط ثانيه بينهما بطل ألبتة وكان فاسدا ولو تم مع التخطيط عن النظم، فاعلم ذلك ولا تحاوزه.

وأما الفصل فالفرق بين الخير الممكن وغير الممكن، وقد علمناك ذلك في غير شيء من كتبنا حتى قلنا: الإنسان يمكنه أن يعلم الباب من الصنعة هل هو فاسد أم صالح من قراءته فضلا عن عمله، وهذا الفرق بين الممكن وبين غير الممكن، واعلم ذلك.

وأما البرهان فإقامة الحجة على تحقيق الخير الذي كان أولا موضوع هذه

الصناعة وكل صناعة عملتها، فاعلم ذلك.

وأما التمام فالنتيجة التي خرجت بعد السير من ذلك الجزء المقدم إما موجبة أو سالبة ويعتورها الصدق والكذب، فأما الموجبة في سائر أجزائها كلها أو بعضها فكذب في الأخير أو حق، وكذلك في السالبة.

وقد -وحق سيدي صلوات الله عليه- بينت وكشفت وأوضحت ولم أرمز عليك شيئاً، فأدم الدرس تصل إلى ما تحب، إن شاء الله تعالى وحده.

تم الجزء الثاني من كتاب الأحجار على رأي بليناس، والله الحمد والمنة وأشكر الله على جميل لطفه في توفيقه لإتمام ما بدئ به وشرع فيه، والحمد لله رب العالمين.

نخبة من
الجزء الرابع من كتاب الأحجار
على رأي بليناس
باب في ترتيب تعليم المتعلم

ينبغي أن تفهم أولا من الصناعة شيئا يسيرا. وهو أن تعلم ما يحمر وما يبيض وما يعقد وما يحل وما يلين وما يجفف، وكل ذلك على طريق الميزان. وهذا بين لك واضح في غير كتاب من كتبنا هذه، وقد استوفينا كثيرا منه في الحاصل وفي كتاب التصريف والميزان، ومن المائة واثنى عشر في كتابنا المعروف بكتاب الأصباغ.

وينبغي أن تعلم العناصر الأول والثواني والثالث والروابع والأعراض وكيفيةاتها، كالنار وأخواتها وهي الثانية، والثالثة كالأزمنة، والرابعة كالمركبات السود والصفرة. وتنظر كيف قبول طبعك، وكيف تصرفك فيه، وكيف نتائج قريحتك له. فإن كنت قد رأيت عقلك وقد قدح فيه شيء وتصرفت فيه بأشياء فينبغي أن تدم القراءة أولا، وبخاصة إن وقع إليك شرح كتاب استقص الأس. وإن كنت قد جاوزت هذه المترلة فبخ بخ لك، فارتفع الآن إلى أقوال الفلاسفة وآرائهم في أمور الطبائع وتركيباتها، وتأخذ في شيء من الكلام وعلم المنطق والحساب والهندسة قليلا، بحسب ما يسهل عليك تصور المسائل إذا طالت عليك. وإن كنت قد شدوت من ذلك شيئا قديما فهو أسهل عليك وأجود، فتصرف الآن إن أحببت في علم الطبائع أو غيره.

وإن أردت علم الطبائع فلتدرس من طبائع الأحجار والخواص قليلا، ثم تنتقل جملة واحدة إلى الموازين، فتعرف من جميع نقب الموازين قطعة مثل ميزان النار وميزان الموسيقى وموازين الأجساد.

وقد ذكرنا من ذلك قطعة في غير كتاب وبخاصة في كتاب الصفوة. فإن ملت مع علم الطبائع إلى علم الصنعة فلتدرس كتاب المخاريق لتكون حذرا من وقوع الآفات وتلف المال ووقوع الحيلة عليك، ثم تدرّب في كتاب الموازين.

وأن تعلم كيف الوجه في تركيب هذه الأشياء وما سببها، وقد عرفتك أنه ينبغي أن تكون في هذا الوقت متكاملًا جيد الحس.

فإنه لن يفرغ من كتبي السبعة وهو يعوزه شيء من الموازين، وإذا تدرّب بها ركب ما يريد.

ويعوزه الآن تصاريف الأبواب لا غير - وهذا مأخوذ من نثر الكتب - مثل التشميع والتسقيات والنسحق والحلولات والعقودات، ومثل ما ذكره الناس على قديم الأيام وأكثروا فيه السرائر على طريق التدابير للشيء الأعظم.

وسقوط التعب هو في الموازين لا غير كما عرفناك فافهم ذلك الطريق إن أردت القرب أو ما أردت على حسب شهوتك.

وأعمل على أنها صنعة تحتاج إلى دربة بل هي أعظم من كل صناعة لأنها غير موجودة في الحس وإنما هي شيء قائم في العقل.

فمن طالت دراسته كانت سرعته في التركيب على ذلك، ومن قصر كان على حسب.

واعلم أن ثمرة الموازين عمل الرءوس من غير أشياء مدبرة من التراكيب والأكاسير، والميزان إنما يقع بعد الممازجة من الأجسام مع الأجسام، أو الأرواح مع الأجسام، أو الأحيار مع الأرواح، أو الأحيار مع الأرواح، فالميّزان يقع بعد هذا الاختلاط.

وإن كانت الأرواح والأجسام دنسة بحالها وزنتها بعد اختلاطها وعرفت ما فيها من جملة الطبائع وعلمت اعتدالها، ولك قانون للاعتدال معروف.

فإن كانت مثله فهي تامة، وإن كانت فوقه أو دونه زيدت فيه من الطبائع أو نقصت منه فيخرج بحاله الأخير سبعة عشر جزءًا.

فكأنه يخرج الشيء التام الاعتدال بنقصان درهم في كل سبعة عشر درهما، وقالت طائفة من الفلاسفة: ذلك الجزء الناقص هو الأدناس التي فيه وإن النار تحرقها وتستهلكها.

وهو أصح قول وفيه أشياء كثيرة من الأجوبة هذا أجودها، وإن الدراهم التي

تخرج إن كانت فضة أو ذهباً أو نحاساً أو رصاصاً أو غير ذلك زيد على الأوزان التي تخرج ناقصة في ذلك التركيب مبلغ ذلك النقصان من ذلك الجسم.

مثال ذلك أن تكون قد أردت تركيب نحاس وهو دون سبعة عشر درهماً فخرج سبعة عشر درهماً كما قلنا فينبغي أن يزداد عليه درهم نحاس حتى يعود إلى سبعة عشر. وكذلك إن كان فضة أو ذهباً أو غير ذلك، فاعرفه إن شاء الله تعالى.

وسموا هذه الخميرة، وهي الخميرة التي تسمعها في الكتب أن لا بد لشيء من خميرة، وهو أن لا بد للذهب من خميرة للذهب. وهو مذهب قوم.

فأما من لا توقف له على مذهب فهم الطائفة المفضلون فإن مذهبهم يجري على كل شيء في العالم.

وللناس في هذا أحوال، ومنهم من لخص في الموازين وعمل على أن الأصل في الأشياء كلها الطبائع فمنهم من قال: إن شيئاً في العالم خلق قبل شيء.

فإن جماعة من الصابئين^(١) وأمتهم يذهبون إلى أن بناء العالم بعضه أسبق في الوجود من بعض لا على أنه أسبق في الترتيب والنظم لكن على أن بعضه أسبق من بعض في المدد والأحوال.

وذلك أي رأيت منهم من يزعم أن أول شيء خلق في الهولي الأقدار الثلاثة الطول والعرض والعمق، فصار الهولي جسماً سادجاً له ثلاثة أقدار.

ثم خلفت الكيفيات الأربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فكانت منه طبائع الأشياء وأركان الخليقة.

(١) في اللغة: صبأ الرجل إذا مال وزاغ فيحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيفهم عن هجج الأنبياء قيل لهم: الصابئة

وقد يقال: صبأ الرجل إذا عشق وهوى

وهم يقولون: الصبوة هي الانحلال عن قيد الرجال

وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين كما أن مدار هذه مذهب الحنفاء هو التعصب للنشر الجسمانيين.

والصابئة تدعي أن مذهبها هو الاكتساب والحنفاء تدعي أن مذهبها هو الفطرة

فدعوة الصابئة إلى الاكتساب ودعوة الحنفاء إلى الفطرة.

ثم تركبت هذه الطبائع الأربع وامتزج بعضها ببعض، فكانت منها جميع هذه الأشخاص والأشباح الموجودة في هذا العالم.

فينبغي أن يقال لهم: إنكم قد ترقبتم في عدد من مراتب مجهولات كلها غير معقولات حتى صححتهم وجود العالم على ما هو به.

وإذ قد انجر بنا الكلام إلى ههنا فلنتم باقي شرح هذا الكلام وإن عدلنا عن القصد، فإنما أردنا بذلك أن لا يفوت كتبنا هذه الأربعة شيء مما ذكرناه في كتب الموازين ليكون المطلع فيها بعد درسه لتلك مستغنيا عن غير هذه الكتب.

فنقول وبالله التوفيق: إن أول تلك المراتب: طينة لم تزل ليس بجسم ولا توصف بشيء مما توصف به الأجسام. وزعمتم أنها شح الأشياء وعنصر البرايا، وتصوير هذه الطينة في الوهم واختصارها بالبال ممتنع غير ممكن.

والمرتبة الثانية: أنكم ذكرتم بأنه لما حدثت في هذه الطينة الأقدار الثلاثة صارت جسما غير موصوف بشيء من حر أو برد أو رطب أو يابس أو لون أو طعم أو رائحة أو حركة أو سكون، لأن هذه كلها كيفيات لم تحدث فيها في هذا الوقت، وهذا شيء غير معقول.

ثم زعمتم أنه حدث فيها بعد هذه المرتبة الثانية الكيفيات الأربع التي هي الحرارة والبرد والرطب واليابس، فكانت منها الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض.

ومن البين أنه غير معقول وجود هذه الطبائع الأربع في حال من الأحوال على غير هذا النظم والترتيب الذي هي به الآن موجوده في هذا العالم من أن الأرض في وسط الفلك والماء فوق الأرض والهواء فوق الماء والنار فوق الهواء، وكل طبيعة من هذه الطبائع الأربع تغالب ضدها من الطبائع ويستحيل المغلوب منها على الغالب، والشجر والحيوان موجودان معها ومستمدان منها ومستحيلان إليها.

فأتبتم هذه المراتب المقدم وصفها وهي كلها غير محسوسة، والعاقل متى خطر بباله حدوث الأشياء لا من شيء كان أيسر وأسهل في وهمه مما تصفون.

أو أخبرونا عن الشيء الذي خلقت منه النار من الهيوولي هل كان يجوز أن يخلق منه الماء؟ فإن قالوا نعم أحوالوا، وذلك أن كل شيء ركب منه شيء فهو هيوولي لما

تركب منه.

ومن قولهم إن نطفة الإنسان هيولي الإنسان ونطفة الحمار هيولي الحمار،
ويزعمون أنه محال أن تقبل نطفة الإنسان صورة الحمار لأنها ليست هيولي لها، وكذلك
محال أن تقبل نطفة الحمار صورة الإنسان.

فوجب على هذا القياس أن يكون الشيء الذي يقبل صورة النار هو هيولي لها،
فمحال أن يقبل صورة الماء وأن يكون هيولي له.

فإن قالوا: إنا نجد الماء يستحيل فيصير نارا، فيكون الجوهر الحامل لكيفياته
وحالاته هو الحامل لكيفيات النار وحالاتها، فما جاز على الأول جاز على الثاني وإنما
تبدلت أعراضه، فكذلك الهيولي القديم واحد وهو حامل لكيفيات الماء وحالاته إن
حدثت فيه، وحامل لكيفيات النار وحالاتها إن هي حدثت فيه؛ قلنا: إن الماء ليس
يستحيل ضربه فيصير نارا، لكنه يستحيل أولا بخارا ثم يصير هواء ثم يستحيل الهواء
فيصير نارا.

ولو أن قائلا يقول: إن الماء يستحيل هواء فيصير نارا كان قد أحال بما لا يعقل.
وليس هكذا قولكم في الهيولي البسيط الذي لم يزل، لأنكم لا تقولون إن الشيء
الذي منه يخلق الماء في الابتداء إنما كان يجوز أن يخلق منه النار على سبيل هذه
الاستحالات التي ذكرنا، ولكن قلتم: كان يجوز أن يكون الهيولي الذي استحوزت عليه
طبيعة الماء وحالاته تستحوز عليه بدلا منها طبيعة النار وحالاتها بغير استحالات
متوسطة فيما بين الماء والنار، وهذا خلاف المعقول.

وإن زعموا أن الهيولي القديم قبل أن يكتسي بالصور ويحدث فيه الطبائع كان
شيئا إنما قوته أن يقبل بها في الابتداء حالات النار وكيفياتها، ومنها شيء إنما قوته أن
يقبل بها حالات الماء وكيفياته، وكذلك في الأرض والهواء كان بهذا القول قد أثبتوا
للخليقة أربعة عناصر لم تزل قديمة وهي مختلفات القوى^(١) وبطل قولهم إن العنصر

(١) فائدة: قال ابن رشد: وجهة نظر الأطباء ووجهة نظر الفلاسفة في قوى الكائن الحي: إن
الفلاسفة والأطباء لما نظروا إلى الأفعال قالوا: إن القوى الموجودة في الإنسان ثلاثة: إما قوى
طبيعية، وإما قوى حيوانية، وإما قوى نفسانية. ويعنون بالقوى الطبيعية القوة التي بها تكون

التغذية والتي بها يكون النمو والتي بها يكون التوليد ويعنون بالقوى الحيوانية القوة النبضية التي في القلب والقوة التزوعية وهي التي يكون بها الاشتياق إلى الشيء أو الهرب عنه. ويعنون بالقوة النفسانية قوى الحواس الخمس التي هي اللمس والذوق والشم والسمع والإبصار - قالوا- والقوة المحركة في المكان، وقوة التخيل والفكر والذكر والحفظ، وهذه الثلاثة يدعونها بالسياسية. فهذه هي القسمة التي جرت عادة الأطباء أن يقسموا إليها قوى النفس.

وهي وإن كانت قسمة غير صحيحة فيشبه أن تكون قليلة الضرر في هذه الصناعة، لكن الأولى أن نضعها نحن ههنا على نحو ما تبين في العلم الطبيعي فنقول: إن هذه الأفعال قد تبين من أمرها أنها ليس يمكنها أن تنسب إلى الكيفيات الأربع فقط، بل إلى قوى زائدة عليها. وهي المسماة نفوسا. فلما اعتبروا أفعال هذه القوى المسماة نفوسا. قالوا: إن النفس منها ما ينسب إلى النبات. وهي ثلاث قوى: إحداهما: الغذائية، ثم النامية وهذه هي كمال الغذائية، ثم المولدة وهذه كأنها كمال للنامية. وتبين هنالك أنها أنفس إذا كانت آلية. وأما ليست بقوى طبيعية.

فلذلك كانت تسميتها قوى طبيعية مجازا هذا إن أرادوا بها أنها أنفس، وإن أرادوا بذلك أنها قوى مزاجية فقط، فهو خطأ، ومما يدل على أنهم يريدون بها هذا المعنى ما يسمع جالينوس يشبهها بحجر المغنيطس، يأخذ في تفهيمها وأما قوة النبض فهي ضرورة قوة غذائية جزئية رئيسية إذ كان القلب بها يوزع الحرارة على سائر الأعضاء، وأيضا فإنها كالحادمة للقوة الغذائية الرئيسية التي في القلب، لأن بها تحفظ، ولذلك ليس تستحق أن توضع أنها قوة أخرى من قوى النفس. فإن الحال في وجود هذه القوة للنفس الغذائية كالحال في الخمس القوى الموجودة لها. التي هي القوة الحاذبة والدافعة والماسكة والماضمة والمميزة، وإن كانت القوة النبضية خاصة بالحيوان وذلك لموضع إفراط الحرارة فيه. وقد يسمى النبات بهذه القوى حيا، ولا يسمى حيوانا.

ولعل الأطباء إنما سموا قوة النبض حيوانية، وإن كانت من جنس الغذائية، لكونها مختصة بالحيوان، وأما قسمتهم القوى النفسانية إلى الحواس والقوة المحركة في المكان والتخيل، والفكر والذكر والحفظ، فقسمة غير صحيحة. لكن القوة المحركة في المكان ليست شيئا أكثر من القوة التزوعية، إذا اقترن إليها الرأي والخيال وكان هناك إجماع، على ما تبين في كتاب النفس (١) وهم يعدون القوة التزوعية في القوى الحيوانية، ويضعون المحرك في المكان نوعا آخر.

وهذا كله ليس بصحيح، بل ليس ههنا قوى إلا غذائية أو نامية أو مولدة أو حسية أو متخيلة أو نزوعية أو نطقية. ومن رواضع المتخيلة الذاكرة والحافظة. ومن رواضع النطقية وخدمها المفكرة والذاكرة. والحافظة، كما قيل، أكثر روحانية من المتخيلة. فهذه أمور ينبغي أن توضع ههنا وضعا، وتسلم من صاحب علم الطاع، وإن كان ليس بصناعة الطب ضرورة إلى

الأول واحد ليس بمختلف.

ويسألون: هل يجوز انحلال الأشياء إلى الهولي القديم كما تركبت منه؟ فإن قالوا لا يجوز هذا قيل: ولم لا يجوز؟

فإن قالوا: إن ذلك بطلان الأشياء ورجوع إلى ما لم يزل عليه من أنه بسيط لا تركيب فيه، قلنا: وما الذي يضركم من أن تقولوا: إن الأشياء ستعود إلى ما لم يزل عليه أنه علة لم ترل وهولي بسيط لا تركيب فيه ويظل هذا العالم؟

ويقال لهم: إن قوما كثيرا من الفلاسفة زعموا أن هذه الطبائع الأربع التي هي أركان الخليقة وعناصر الأشياء أعني النار والهواء والماء والأرض بعضها في بعض بالقوة، وأحالوا قول من زعم أن هذه الطبائع الأربع كانت موجودة في غير أنفسها وغير ما هو مركب منها.

قالوا: ليس المعقول من الموجود إلا هذه، فإن ادعى مدع أن هذه الطبائع الأربع إنما توجد بالقوة في غير أنفسها وفي ما هو مركب منها فليأت على دعواه برهان، وإنه لم يقدر على ذلك أبدا.

إذا ما خالف هذا القول وخرج عن هذا النظم والترتيب فهو كلام على غير المعقول.

معرفتها إلا من جهة الأفضل، بل يكفي الطبيب من هذه أن يعرف المزاج الذي يخص قوة قوة من هذه القوى، ليحفظه إذا وجد ويسترده إذا ذهب، فإنه يكفي في هذه الصناعة أن ينتهي من معرفة الصور إلى الصورة المزاجية الروحية، كما يكفي أن ينتهي من معرفة المادة إلى معرفة الأعضاء والأخلاق الأربعة

ولكن إذا تقرر الأمر على ما وضع في هذه الصناعة، فبين أن جميع الأعضاء، إنما وجدت من أجل هذه القوى. وهذه القوى من أجل أفعالها. فإذاً ولا عضو واحد في البدن إلا وهو موجود من أجل فعل واحد من أفعال هذه القوى وانفعالها، ولذلك قد آن ههنا أن نفحص عن فعل واحد واحد من الأعضاء و انفعاله والمزاج الذي يخصه. فإن بمعرفة ذلك نحصل لنا معرفة صحة عضو عضو بأسبابه الغائية. إذ كنا قد عرفناه بالسبب الصوري والمادي.

وأما السبب الفاعل. فلا حاجة بنا إلى معرفته ههنا، إذ كان قد ذهب وبطل، اللهم إلا ما كان من الأسباب الفاعلة يجري مجرى الحافظ.

ومما يستدل به على فساد قولهم أن من مقدمات اليقين وعلوم الاضطراب عند الفلاسفة أنه يستحيل أن يكون جوهرًا - موجودا عطلا من الأفعال كلها الطبيعية والصناعية حتى يكون ذلك الجوهر ليس بذئ فعل في نفسه ولا في غيره. وهذه الطبيعة التي زعم هؤلاء القوم أنها لم تنزل وأنها عنصر الأشياء والهيولي الذي منه ركبت لم تنزل عطلا من الأفعال كلها الطبيعية والصناعية.

وهذا المعنى الذي أحالته الفلاسفة ونفوا كونه ولم يقدروا على إثبات جوهر عطل من الأفعال كلها لا بأن يأتوا بالبرهان على ما يقولون ولا من طريق الإشارة إليه. فإذا كان الوجه غير هذا كله فإن الطبائع على ما بيناه لك فيما تقدم من سائر الكتب هي الأصل وإها منفعة للبارئ جل ثناؤه.

وعرفت من هذا الطريق الوصول إلى الميزان الطبيعي حتى تكون عالما بجميع ما في المركبات من الطبائع من صلاح وفساد. ثم انتقل المتعلم بعد فراغه من هذا إلى المذاكرة والتصنيف له، فقد تكامل في أوصافه.

فإن كانت بصيرته بالصناعة مثل بصيرته بالعلم وفيه لطافة كيفية بالعمل سمي فيلسوفا تاما.

وإذ قد انتهينا إلى هذا الموضوع، وهو آخر ما يحتاج إليه من ترتيب العلم للمتعلم، فهو حينئذ كما حددهناه ووصفناه، وهو من أقرب الناس إلينا في ذلك الوقت. ونحن الآن بادرون بذكر الأشكال ذوات الموازين، وتبعه بشكل التزويد والتنقيص، وهو آخر الكتاب، إن شاء الله تعالى.

كتاب الحجر

لجابر بن حيان الصوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الآلاء النعماء والطول والعظمة والكيمياء وصلى الله على سيدنا محمد ذي البهجة والثناء وعلى آله وصحبه ذي الرتبة العليا وسلم تسليما كثيرا دائما بدوام الصباح والمساء.

اعلم أرشدك الله تعالى أن جميع كتبنا هذه وغيرها من الكتب محتاجة إلى هذا الكتاب خاصة ضرورية كحاجة لم وكيف وما إلى وهل وبل وكحاجة، لم وكيف إلى ما فإن هل إنما يقال عند الشجر فإذا كان هذا الكتاب مرسوما بالحجر والحجر وهو مادة الصنعة وموضوعها الذي عليه يقع التدبير، وفيه يحصل التأثير فلا فائدة إذا في جميع الكتب المذكورة فيها صحيح التدابير إذا لم تعرف المادة المدبرة والموضوع الذي عليه تحمل الأعراض ليساق بها إلى الغرض المتبغى منه.

فإذا كانت مترلة كتابنا هذا هذه المترلة فلنقل فيه قولاً يليق بمترلته، ولما كان وصف القدماء للحجر وصفا مختلفا في ظاهره، وإن كان متفقا في باطنه.

وكان ذكره على حقيقته والإفصاح به على ما هو عليه من نوعه الخاص به غير ممكن لما فيه من الفساد والإغراء به وجب أن يكون ما نذكره في هذا الكتاب مستوفيا لمعنى الحجر كاشفا عن حقيقته لمن فهم ما نقوله على طريقة الحكماء الساترة حاله عن الجهال المبديّة صفاته لذوي العقول الراجحة.

وإذا كانت القدماء قد وصفته بما لا يحصى كثرة وأطنبت فيه إطنابا يخرج عن الحصر وجب أن لا نذكر من أقوالها فيه إلا الظاهر المقرب من الحق المباعد من الباطل، وقبل أن أذكر ما أريد ذكره من خواصه وصفاته فيجب أن أقدم طرفا من اختلاف الحكماء فيه في الصفات دون المعنى ليكون ذلك معينا له على النظر فيما نذكر وتتسلسل فيه إلى عمله على حقيقته ومعرفة الفرق بين ما هو له فيه، وما يقول من تقدمنا.

فأقول إن الحكماء قد ذهبوا فيه على مذاهب شتى يكثر تعدادها وينحصر في أجناس ثلاثة:

وهي جنس الحجر، والنبات، والحيوان. والقائلون بالنبات من الحكماء قليل جدا، وقد توسعنا نحن خاصة في كتبنا في الحيوان والحجر والنبات توسعا يعني عن ذكر أكثر ما يقال في ذلك إذا لم يكن لأحد فيه مثل ما لنا فليأخذه من مضانه من كتبنا من أراد التوسع فيها، وإذا كان كلامنا في هذه الكتب كلاما بعيدا من الرمز قريبا من الإفصاح كاشفا لمسائر من هذا الأمر في سائر الكتب التي غيرها فلنذكر من كلام الحكماء في الحجر ما أبينه وأكشفه وأدله على حقيقته ثم نذكر ما يخصنا من قولنا فيه لتظهر الفائدة بذلك وتقرب الطريق على المتعلم البائس الطالب لهذا الأمر.

وقد سمت الحكماء في هذا الحجر واحدا واثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وستة وسبعة وعشرة، وما زاد على ذلك فإذا كان اختلافهم فيه من هذه الجهة على ما ذكرنا فلنذكر كل ما يدل على قول منها من شهادتهم وما يليق به من صفاتهم إياه فمما قال أصحاب الواحد.

ما قاله زيموش إن حجرنا واحد وتديرنا واحد فمن أخطأ أخطأ.

وقال فيثاغورس: إن الواحد هو أول الأعداد، وليس بعدد في نفسه، ومنه يتركب كل عدد.

وقال أرسلاوس: إن الواحد الذي يكون منه تكون العشرة لا يكون من غيره شيء فمن عرفه سعد به.

وقال أسكندروس: إن حجر الحكماء واحد لا يشبهه شيء ولا يقبل شيئا في التدبير إلا ما كان من جنسه.

وقال بقسم: إن حجرنا هو شيء لا ينقسم، ولا يتجزأ وليس يعالج بالأشياء الغريبة، ولكن منه، وبه.

وقال حكيم آخر: إنما يدبر حجرنا به، وليس هو شيء غريب ولكنه منه، وبه.

كما أن القميص منه تخرج الخيوط التي يخيطن بها، لا من غيره.

وقال أصحاب الاثنين ومنهم مارية القبطية^(١) إذ قالت لأسطانس: إن العمل مني

ومنك تعني بذلك من الذكر والأنثى.

(١) انظر: الفهرست (ص ٤٩٨).

وقال هرمس لابنه طااط: يا بني إن حجرنا هو الطائر وظله فلا تظنه شيئا واحدا ولا شيئا مركبا، ولكنه منه، وبه.

وقال الأسكندروس: هو أن المحيط والمركز منها تكون الدائرة والدائرة توجد جميع الأشكال.

وقال أفلاطون: إن البارئ تبارك وتعالى أخذ خطا فشقه بالطول ثم أدار أحدهما على الآخر فعمل منهما العالم والخط إنما يتكون - يا أخي - من النقطة وحركتها فافهم ما نقول.

وقال أرسطاطاليس: إن الهيولى وجدت في الصورة ذات التمام فلزمتها ولم تفارقها.

وقال أصحاب الثلاثة: هي أول الأعداد ذوات النسب من حيث كانت لها واسطة وطرفين والثلاثة هي ذوات الكثرة وفيها العدد التام إذا قلت واحد اثنين ثلاثة. فكان جميع ما قلت ستة، وهي أول الأعداد التامة.

وقال ديموش في أول كتاب العشرة: إن أول تركيبنا إنما هو ثلاثة فلا تظنوه أقل من ذلك.

وقال هرمس: المثلث بالحكمة أن حجرنا مثلث والمثلث أول الأشكال ذوات الأضلاع المستقيمة الخطوط.

وقال حكيم: الأخوان الثلاثة هي واحد على الحقيقة لكنه واحد ذو ثلاثة أوجه. وقالت مارية: من لم يعرف تراكيبنا الثلاثة فلا يتعرض لعلمنا، ولا لعلمنا هذا، وإنما سميت كل واحد تركيبا.

وقال سرجس الراس: أعني أن التثلث فيه جميع الأشياء كلها وهو معنى الكثرة التي تكون من الواحد ولذلك قال المسيح: إن الأب هو روح القدس ومنه الابن.

وقال أرسطاطاليس: إن الحس والحاس والمحسوس والعقل، والعقل والمعقول واحد لا خلاف بينهم وذلك أن المحسوس هو المؤثر بذاته في الحاس فيكون بذلك حسا هو المحسوس وهو الحاس.

وقال فيثاغورس: إن الأربعة فيها العشرة التي هي كمال العدد إذا قلت واحد

و اثنين وثلاثة وأربعة فصار الجميع عشرة.

وقال يزميندس: إن الأمهات الكائن منها جميع ما في العالم هي الأرض والنار والماء والهواء فهذه مركبات وهي بسائط الجهة، وطالما تركبت منها.

وقال أسقليداس: إن الأحلاط الأربعة التي هي المرتان والدم والبلغم منهن يكون الإنسان الذي هو مسكن النفس الناطقة.

وقال سيمياس: إن الأشكال المربعة أفضل الأشكال لذوات الأضلاع؛ لأنها ثابتة جامعة للمنافع.

وقال فرفيوريوس^(١): إن المبادئ للأمور المنطقية هي الأجناس، والأنواع والفصول والخواص، والأعراض.

وقال أمادقليس: إن الجواهر القديمة التي هي الأوائل لكل محدث خمسة، وهي الجوهر الأول الشريف والهيولى والصورة والزمان والمكان، وقد ذكرنا اختلاف الناس القدماء في الحجر، ولم نذكر قول قائل منهم بخمسة.

وما حكيناه الآن عن فرفيوريوس، وأمادقليس فдал على الخمسة وليس هذا من أقوال الفلاسفة في شيء وإنما هذا هو أمر راجع إلى ضرب متعلق بالدين قد ذكرناه في مواضع كثيرة من كتبنا، ولذلك أنك عالم بأن ما ذكره فرفيوريوس إنما الجواهر منه أربعة:

إذ كانت الأعراض ليست بمعدودة فيها، وإن كان أكثر الناس لا يعدون الخواص جواهر ولكنها أعراض جوهرية، وكثير منهم لا يعدون الفصول جواهر وأمادقليس فقد علمت كيف القول في الزمان خاصة فليس هذا القول منهم بدال على الخمسة إن لم ينتفع فيه ما قلنا؛ لأنه متعلق بالشرع، وقد كنا ذكرنا لك في كتاب الإمامة قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قاله في خطبة البيان.

وقد سئل: هل للكيمياء وجود؟ فقال: لعمرى إن له وجودا وقد كان وسيكون وهو كائن. فقالوا: بينه لنا يا أمير المؤمنين. فقال: إن في الأسراب والزجاج^(٢) والزئبق

(١) انظر: هدية العارفين (١/٢٣٤).

(٢) الزجاج: هذا أصناف ثلاثة: فمنه الزجاج الأحمر ومنه القلقطار ومنه الزجاج الأخضر. وهذه كلها

والزجاج والحديد المزعفر والزنجار والنحاس الأخضر لكنوز لا يوقف على غابرهن.

فقالوا: ابنه يا أمير المؤمنين لنا فقال:

اجعلوا بعضه ماء وبعضه أرضا وافلحوا الأرض بالماء وقد تم فقالوا:

زدنا يا أمير المؤمنين. فقال: لا زيادة على هذا، وما زادت عليه الفلاسفة ولو

زادوا عليه لتلاعب به الناس.

وهذا إنما الغرض فيه يا أخي ما حكيناه لك عن فرفيوريوس خاصة إذ كان الزجاج

ليس من الحجر، ولكنه خادم فاعلم ذلك.

وقال سقراط إن العدد التام الأول وهوائه الكمال إذ كانت أجزأه مساوية

لجملته.

وقال بقراط الطبيب^(١): إن المرتين والبلغم والدم إنما تتكون من الطعام

والشراب.

=

فيها قوة تحرق مع قبض، وهذه الأنواع تختلف باللطافة والغلظ.

فأغلظها الأحمر ثم يليه القلقطار ثم الأخضر، وكان الأحمر مادة القلقطار أو قلقطار في طريق

الكون، وكذلك نسبة القلقطار إلى الأخضر، وذلك مشاهد من أمرها في استحالة القلقطار إلى

الأخضر وكذلك الأحمر إلى القلقطار.

وزعم جالينوس أنه لما دخل المعدن الذي كان في جزيرة قبرص ألفى فيه ثلاثة عروق ممتدة،

فأسفلها الأحمر ثم القلقطار ثم الأخضر، وهذا الترتيب يدل منها على الذي قلناه وكان نسبة

الأخضر إلى القلقطار هي نسبة الزجاج من النحاس، والزجاج الأحمر قليل التذيع للحم لغلظ

جوهره والقلقطار والأخضر أكثر تليذا، والأحمر لا يذوب ولا الأخضر، والقلقطار يذوب،

وذلك أن الأحمر جمد جمودا حجرياً والأخضر أفرط عليه الطبخ.

(١) كان قبل الإسكندر بنحو مائة سنة وله في الطب تصانيف شريفة وكان فاضلا متأهلا ناسكا

يعالج المرضى احتسابا طوفا في البلاد وكان في زمن أردشير - من ملوك الفرس - وكان

يسكن حمص من مدن الشام وكان يتوجه إلى دمشق ويقوم في غياضها للرياضة والتعلم

والتعليم وفي بسايتها: موضع يعرف: بصفة بقراط وكان طبيبا فيلسوفا فاضلا كاملا معلما

لسائر الأشياء قوي الصناعة والقياس والتجربة ولما خاف أن يفنى الطب من العالم علم الغرباء

الطب وجعلهم بمنزلة أولاده.

وظهر بقراط سنة ٩٦ لتاريخ: بخت نصر وهي: سنة ١٤ من ملك بھمن وعاش خمسا وتسعين

سنة وله كتب نافعة مفسرة بالعربية.

وقال رومس الرومي: إن في التسديس علما ليس في جميع الزاجات علم يشبهه؛
لأنه نظير التثليث ومخالف له ومضاعف به.

وقال أيضا في السباعية قولاً ليس مختصاً به، وهو الذي عليه جميع فلاسفة
المنجمين: من أن الكواكب السبعة هي المدبرة لأمر العالم كله، وكذلك جاء به الدين
في الأئمة السبعة، وإنما أخلق بذلك ما يتبع كل واحد من اللواحق والنقباء والنجباء
والكروبيون والمؤمنون والتوالي والنطقاء والمطلقين وأشبه ذلك من الأشخاص على
طريق السعي والخدمة والآلات المحتاج إليها في التدبير والسياسة، وأمثال ذلك.
ولهذه العلة قسمت الأقاليم سبعة.

وورد الشرع بالأرضين السبع والسماوات السبع، وقد كنا ذكرنا لك في كتاب
إخراج ما بالقوة إلى الفعل، إن الشكل السباعي لا يقوم عليه برهان، وإنه شكل ناري
والشكل الناري لا برهان عليه، وإنما أردنا بذلك هذا فاعلمه.

وأما أصحاب العشرة فجلهم ورؤساؤهم من أصحاب الأربعة لكنهم قد سموا
العشرة التدابير ووضعوا لكل واحد منها تدبيراً ولولا أن ما تذكره في هذا الكتاب يجب
أن يكون لا تقا بما يقتضيه مقداره من هذه الكتب لأكثرنا الشهادات في كل قول من
هذه الأقوال.

وقد كنا وعدناه بزيادة الكشف في هذا الكتاب، وإذ قدمنا جملة من أقوال الناس
في الحجر فلنقل فيه نحن أيضاً قولاً يليق برحمتنا ورأفتنا بطالبي هذه الصناعة فأقول:
إننا قد كنا ذكرنا لك في السبعين أن من حجرنا رطبا ومنه يابسا، فاعلم أن ذلك
هو قاعدة هذا الأمر.

وإذا كان ذكره جهارا وإظهاره شفاها غير جائز إذ كان لا ينبغي لغير مستحقه
لم يكن به في إرادة الإيضاح به، والإبانة عنه من التعب له والتنبية عليه بما لا يفهمه
جهال الناس بل، ولا ينحل على فقهاءهم، ونحن نفقهك فيه تفقيها لا يعيب عنك معناه
عند وصفنا له بصفاته الخاصة به.

فأقول: إننا بينا أن المادة حاصلة لكل صورة ولكن كل مادة ما وإنما هي حاملة
لصورة ما وقلنا في ذلك ما فيه بلاغ وكفاية فاجعله أصلاً تبني عليه ما مزنته، ونذكره

في هذا الكتاب.

وذلك أن المادة التي يزداد حمل الصورة عليها لغرض ما من الأغراض يجب أن تكون تلك الصورة فيها بالقوة التي هي معنى الإمكان وذلك إنما تعلم الأمور الطبيعية بوجوه كثيرة مختلفة.

وذلك أن ما هو من الصورة في الهولي بالقوة فهو فيها بالخير وذلك القطع الحديد للخشب فإنه بالقوة المقتضية مع الدينية الموجبة لاستحالة التشكيل بالأشكال مدركة في الحديد بأكثر من إدراكها في جميع الأجساد، ولذلك قيل فيه: إن صورة السكين والسيف والشفرة والإشفاء، و غير ذلك موجودة فيه بالقوة إذ كانت فيه بالجزء على ما بينا.

والصنعة: هي التي تكملها وتحصلها فيه بالكل؛ لأنها تهذب الهولي وليس إنما يفيدها شيئاً من غير ذاتها، وإنما تهيؤها لظهور ما كان فيها من الصورة بالقوة فيظهر حينئذ إلى الفعل، وقد تكون هذه التهيئة على وجوه كثيرة. فمنها: بالزيادة في جزء الصورة.

مثال ما يكون بزيادة الجزء فنحو زيادتنا في بيس الحديد تشبكه بالمغنيسيا والأشياء الزائدة في بيسه ليكون منه الفولاذ فيقتضي لكمال الصورة المبتغاة بالسكين والسيف وغير ذلك.

ولتكميل هذه الزيادة بالسقي له الزائد في بيسه وخشوته ومثال ما يكون بالتشكيل ترقيق شفرة السيف والسكين ليصح منها تحلل الأجسام المراد قطعها بهما بسرعة ومداخلتها إياها في أقرب مدة وتكميل ذلك بعد الرد لها. والسن والتناهي في ذلك إلى أبعد ما يمكن في الصناعة كونه.

فإذا كان الأمر على هذا، وكان التدبير يفيد أحد المعنيين أو كلاهما، ولم يكن يفيد الشيء من خارج وجب أن ينظر في أمر الحجر هذا الضرب من النظر فينظر ما الشيء الذي من شأنه الصبغ البياض أو الحمرة ويكون ذلك الصبغ فيه بالجزء فيقع التدبير له ليحصل فيه بالكل بأن ينظر قدر النقصان والفساد الذي معه عدم الفائدة من أي الجهات دخل فيعاني تلك الجهة بالتدبير إلى أن يدرك ما يقتضي النفع ويؤمن معه

الضرر الذي كان التدبير لها ولذلك.

قال الحكيم: لا خير في ما لا مصداق له من أول أمره وليس لمتعنت أن يقول: إذ كان جميع المركبات إنما هي مركبة تحت فلك القمر من الأمهات الأربع والطبائع وكان لنا أن ننقل كلا إلى كل بالتدبير له كتنقلنا الهواء إلى النار والماء إلى الهواء وأشباه ذلك في البسائط والمركبات جميعا فكيف نحتاج إلى أن نجد مطلوبنا بالجزء في أول وهلة وقد علمنا أنه لا نارية في الماء لا بالجزء ولا بالكل، ونحن قادرون على نقله إلى النار بأن نجعله بخارا ثم هواء ثم نارا بالتدبير فإذا كان للتدبير حظ في نقل الضد إلى الضد الذي هو منه في نهاية البعد فما حاجتنا -ليت شعري- إلى أن يكون مطلوبنا بالجزء في ما يدبره فيصير بالكل وذلك أن مريد السكين القاطعة لو عدل عن اتخاذها من الفولاذ والحديد إلى الرصاص بالتدبير إلى أن يصير حديدا أو فولادا أو في مثل قوامهما ويسهما وصلابتهما ودهانتهم والفولاذ موجود له لرام بعيدا من ذلك مع كونه عند العقلاء ناقصا سفيفا إذ ترك مطلوبه من أقرب الجهات ورامه من أبعدا وكذلك العادل من أقرب الجهات ورامه من أبعدا.

وكذلك العادل عن قدح الهواء إذ أراد وجود النار الصناعية إلى تبخير الماء ثم جعل ذلك البخار هواء ثم قدحه ليكون نارا، وهذا العامل له موجود فهو سفيف عند ذوي العقول السليمة وليس يبقى علينا في هذا القول إلا قول واحد وهو القدرة على الإحالة فإن الاستحالة إنما يكون من الضد إلى الضد وقد كنا قلنا:
إن الصناعة إنما هي مكملة فقط على أحد وجهين:

إما بزيادة الأجزاء، وإما بالتهذيب وإزالة الأشياء الغريبة والمائعة من تمام الفعل كما ذكرناه في التشكيل وغيره والاستحالة فكأنها نوع آخر وقسم ثالث وقد يتطرق بالصناعة والتدبير إليها إذ كان قد أحال الهواء له بالصناعة إلى النار.

فأقول: إن ذلك أيضا مما هو بالجزء ولكن إن الهواء كما علمت حار بالقول المطلق سريع القبول للحركة متحرك بالجزء لا بالكل والقدح له بالزناد زائد في حرارته وحركته إذ كانت الحركة محدثة للحرارة فاعلة لها من حيث كان كالشيء تحرك على شيء بان إسخانه له.

فإن زيادة حرارة الهواء إنما تحدثها الحركة فيه والقدح له من الحرارة حتى يبلغ إلى حد قبول صورة النار قبلها دفعة واحدة، وكذلك القول في الماء لكنه فيه من قبل المنفعل لا من قبل الفعل وذلك أن رطوبة الهواء بالجزء ورطوبة الماء بالكل، ومن شأن الحرارة إبادة الرطوبة والتعدي بها.

فإذا سلطت على رطوبة الماء قللتها وزادت في حرارته وتسخينه، وذلك أن الماء ليس يخلو من الحرارة، وإن كانت البرودة هي الظاهرة فيه؛ لأن جميع المركبات ذوات الوجود الطبيعي في عالم الكون والفساد غير خالية من الطبائع الأربع غير أن الظاهر فيها أبد. للإدراك والحس طبيعتان وضدهما هما الباطنتان فيه.

فالأمر أيضا راجع إلى ما قلناه من زيادة الجزء فإذا كان المطلوب تديره لا بد من كونه مناسباً لما أريد له من الأجساد المصنوعة به أو أن يكون غير مناسب فيجعل بالتدبير مناسباً، وكان لنا شيء طبيعي مناسب كأن تكلفنا تدبير ما ليس بمناسب فنجعله مناسباً للبر ليستخرج منه سما في قوة البيش، والبيش له موجود والبيش ليجعل منه غذاء في طبيعة البر والبر له موجود فذلك خلاق بأن لا يظفر بطلبته، ولا ينال بغيته إذ كان عادلاً عن جهة الحكمة سالكا غير سبيلها فإذا كان الأمر على ما قلنا فلنقل في الحجر ونصفه بصفاته.

فأقول: إن الحرارة هي قاعدته إذ كانت هي سبب الحياة والكون لكل ما في العالم ثم الرطوبة إذ كانت الحياة أيضا لا تكون إلا بها، وقد كنا أشرنا في السبعين إلى البيس مع الحرارة وليس ذلك في ظاهره إذ كنا قد قلنا لك: إن حجرنا رطبا ويابساً والبيس على وجهين بيس محسوس يسمى ظاهراً ويس بالقوة ويسمى باطناً.

وكذلك الحرارة والبرودة والرطوبة فإنها تنقسم هذين القسمين بأعيانهما، وإذا كنا قد قلنا لك أن حجرنا رطبا ويابساً فإننا نريد في هذا الكتاب كشف هذا الأمر وتقريبه من إفهام ذوي الأفهام البليدة فليكن تعليمنا لهم إياه من الأمور الظاهرة الحسية دون ما هو بالقوة والإمكان فانظر يا أخي كم بين كلامنا في سائر كتبنا فيه مع فضل الكلام في تلك على كلام جميع الناس.

واعلم أن حجرنا قابل لكل صفة يوصف بها ولذلك اتسع كلام الناس فيه،

واختلف طريق المتأولين لذلك الكلام وذلك أنه مشارك بجميع ما في عالم الكون من حيث كان مركبا من الطبائع الأربع التي منها تركيب كل شيء في عالم الكون والفساد.

ومختصا بجميع أكثر أعراضها بحسب اختلاف أحواله وتبدلها في التدبير فذلك قيل فيه: هو كل شيء وصف يتصف به غيره فأمكن صرف القول فيه إلى كل وجه ولذلك سمي عالما كبيرا وعالما صغيرا لما تشبهه بالإنسان إذ كان تكوينه كتكوينه وذلك أنه تكون من مثل مادة الإنسان فيميز في التكون تمييز أجزاء الإنسان من اللحم والعصب والعظام والعروق وأشباه ذلك.

وقد بينا أن منه رطبا ومنه يابسا. وقلنا: إنه لا بد من ذكر، وأنثى وتكلمنا في كتبنا الطبيعية والطبية، وفي كتاب الباه وتولد الجنين وقلنا: إن الأنثى أرطب مزاجا من الذكر وإن الذكر أكثر نارية ويبسا من الأنثى وإنما أردنا بقولنا أكثر، وأظهر في الأمر الحسي، وما هو بالفعل والظاهر من حاله للعيان والباطن أبدا بخلاف ذلك في الأضداد كلها فإذا كان المطلوب في شيئين أحدهما حار والآخر بارد وأحدهما رطب والآخر يابس وهما في الجنس واحد وذلك أن الذكر والأنثى الذي يقع بينهما اللقاح والنتاج واحد في النوع.

وإن كانا اثنين في العدد فإن الرجل والمرأة واحد في الإنسانية، وإن كانا مختلفين في الذكورة والأنوثة فقد صح مما قلنا الأقوال كلها على اختلافها وتباينها وحق سيدي إنك لو لم تستغد من كتابي هذا إلا هذا الفصل وحده لقد كان فيه حل كل رمز لأحد من الناس في الحجر الذي تاه في علمه، وفي معرفة ذاته طلاب هذه الصناعة فتشعبت بهم المذاهب واختلفت بهم الآراء والمطالب.

وذلك أنه إذا كان واحدا بالنوع واثنين بالعدد وأربعة بالطبائع فقد صحت الأقوال كلها.

إذا كان قول من قال: إنه واحد فإما أشار إلى النوع.

وقول من قال: إنه اثنان فإما أشار إلى العدد وقول من قال: إنه أربعة فإما أشار

إلى الطبائع.

وقول من قال: إنه عشرة فإنما أشار إلى الأربعة إذا قلت واحد واثنين وثلاثة وأربعة وجمعت بعض ذلك من معنى لفظك إلى بعض صار مجموع ذلك عشرة، وبقي قول من قال: تسعة وستة وخمسة وثلاثة وأربعة.

وذلك يا أخي خارج منه أيضا، وإن كان في بعضه صعوبة وبعد؛ لأن صاحبه أراد الرمز والتضليل عن طريق الحق لمن ليس من أهل هذا الشأن.

فأما الثلاثة فهي الاثنان إذا تركبا وذلك أن المركب أبدا ليس هو واحد من البسيطين ولا هو غيرهما.

إذ هو هما مجموعين. وفعله مركب فهو نوع ثالث إذ كان ظاهر فعله لأجل التركيب مخالفا لظاهر كل واحد منهما وكذلك ظاهر حاله وصفاته فإن الجنين المركب من المنى ودم الحيض ليس بمجنى ولا دم حيض وهو هما إذ كان تركبه منهما وليس فعله ولا أثره، ولا ظاهر حاله حال واحد منهما إذ ليست خواصه للمنى ولا لدم الحيض.

فهذا ما في الثلاثة وقد علمت كيف رجوعها إلى الاثنين اللذين هما الواحد والأربعة والعشرة فأما الخمسة فإن الإشارة منهما تنصرف إلى وجهين:

أحدهما: الطبائع الأربع والجوهر الحامل لها الذي هو الجسم.

والثاني: المركب منها، وهذا القول عليه تفسير قول أمير المؤمنين عليه السلام الذي قاله في زنجار النحاس^(١) الأخضر، وذلك أنك قد علمت أن من عادة الحكماء أنهم إذا ذكروا شيئا واحدا ووصفوه بأوصاف فإنما يريدون بتلك الأوصاف شيئا بعدد تلك الأوصاف.

وإذا ذكروا أشياء كثيرة فإنما يريدون شيئا واحدا له تلك الأوصاف.

ألا ترى إلى قوله وزنجار النحاس الأخضر فذكر الزنجار والنحاس الأخضر.

وذلك أن الزنجار متكون من النحاس والخل والنوشادر وهو شيء غير هذه الثلاثة إذ كان ليس نحاسا، ولا خلا، ولا نوشادرا ولكنه لما كان كائنا عن هذه صار

(١) الزنجار: قوة هذا قوة حادة مذية للحم أكلة له مع تخفيف شديد، ولذلك ما يوضع في القروح التي يحتاج فيها إلى تدويب لحم زائد أو فاسد، وأما في القروح البسيطة فليس يمكن فيه أن يندمل ولا أن ينبت.

إطلاق القول عليه بأنه ثلاثة وهو واحد إطلاق له وجه في الصواب ولذلك.
 ما قال والحديد المزعفر، وذلك أن زعفران الحديد كائن من شيتين وهو الحديد
 والندوة المنزجرة له ولذلك لما ذكر الغبائط غير الدبرات لم يصف لها وصفا نحو قوله في
 الأسرب^(١) والزراج^(٢) ولم يصفها بصفة.
 وأما قوله والزنجق الرجراج فإنما أشار به للجوهر وصورته ليكون قوله جامعا
 لكلا الوجهين الذين قدمناهما بالقول في الخمسة فلا يخرج عن قوله شيء.
 وأما من قال بالسته فإنه خارج من الأربعة إذا أضفت إليها الجوهر والمركب من
 الجميع.

وأما قول القائلين بالسبعة فهو هذا القول بعينه إذا أضيف إليه النوع فقد بان
 اتفاق هذه الأقوال على القرب والبعد فلنقل فيما بقي علينا في القول في الحجر ليكون

(١) الأسرب: وهو الرصاص، الغالب على أجزائه الجوهر البارد الرطب، وذلك أن البرد هو الذي
 جمده، ولذلك متى سحق الأسرب في الهاون مع بعض العصارات وجدت المجتمع منها دواء
 يبرد، مثل دهن الورد أو زيت الأنفاق.
 وهذا الدواء هو نافع في مداواة أورام المذاكير والعانة والمقعدة، وهو في القروح السرطانية دواء
 نافع، وفي ردع المواد التي تنصب إلى الأذنين والقدمين، وإذا شدت منه صفيحة على موضع
 العانة قطعت الاحتلام، لكن مع مضرة شديدة بآلات المني.
 والصفيحة الرقيقة منه تحلل العصب المتوتري. وهذا مما يدل على أن فيه قوة محللة بالإضافة إلى
 لحم الإنسان، وإن كان الغالب على مزاجه البرد.

(٢) الزراج: هذا أصناف ثلاثة: فمنه الزراج الأحمر ومنه القلقطار ومنه الزراج الأخضر. وهذه كلها
 فيها قوة تحرق مع قبض، وهذه الأنواع تختلف باللطافة والغلظ. فأغلظها الأحمر ثم يليه
 القلقطار ثم الأخضر، وكأن الأحمر مادة القلقطار أو قلقطار في طريق الكون، وكذلك نسبة
 القلقطار إلى الأخضر، وذلك مشاهد من أمرها في استحالة القلقطار إلى الأخضر وكذلك
 الأحمر إلى القلقطار.

وزعم جالينوس أنه لما دخل المعدن الذي كان في جزيرة قبرص ألقى فيه ثلاثة عروق ممتدة،
 فأسفلها الأحمر ثم القلقطار ثم الأخضر، وهذا الترتيب يدل منها على الذي قلناه وكان نسبة
 الأخضر إلى القلقطار هي نسبة الزراج من النحاس، والزراج الأحمر قليل التلذيع للحم لغلظ
 جوهره والقلقطار والأخضر أكثر تلذيعا، والأحمر لا يذوب ولا الأخضر، والقلقطار يذوب،
 وذلك أن الأحمر جمد جمودا حجرياً والأخضر أفرط عليه الطبخ.

الكتاب تاما.

فأقول: إن الحجر ذو لون ورائحة وطعم قبل التدبير وبعده، وكذلك فهو ذو مجسة.

فأما لونه فمختلف بحسب اختلاف ذكره وأثاه فلون الأثنى لائق بمجستها في البرد والرطوبة، ولون الذكر لائق بمجسته في اليبس والحرارة.

فأما طعم الذكر فحاد من قبل التدبير الأول والاختلاط بطعمهما مختلطين: طعم البلغم الحاد الكثير الحرارة جدا ومجستها مجسة في الدرجة ولونهما لون المرأة السوداء مع شيء من حموضتها فينظر في طعمها اللطيف؛ لأن الملوحة غالبية عليه.

فأما بعد التدبير فألوانهما وأريامهما وطعمومهما كثيرة جدا، وقد توسعنا في ذكرها في سائر كتبنا فخذ الألوان من السبعين والأرائح من كتبنا في الكيفيات والطعوم من كتبنا من المائة وأربعة وأربعين خاصة فإننا قد استقصينا كلا من ذلك بحسب طبقته في موضعه الخاص به من كتبنا.

وإذا كان الحجر موصوفا بما ذكرناه فلنقل، ولا نبخل كيف سميناه ونصصنا عليه وسماه غيرنا بالأسماء الكثيرة.

فأقول: إنا نحن خاصة أكثرنا في تسميته بالمرار والكناية عنه بالرمز له في أكثر كتبنا، وأنا فعلنا ذلك لأنه أشبه خواصنا به من سائر الأشياء الأخر إذ كان المرار أقوى أخلاط البدن الأربعة وأشدّها حرارة ونارية وإحالة.

ولذلك قال جالينوس: إنه قد يكون في المعدة أرتال من البلغم فينصب إليها يسير المرار فيجعل طعمه كله مرا ولونه كله أصفر، ولأن المرار ذو حظ في الصبغ الظاهر وهو عبيط بسيط غير مدبر، وهذه من خواص الحجر أبيضه وأحمره ذكره، وأثاه، ولأن الحجر صائر بالتدبير إلى طبيعة المرار على الحقيقة في الحرارة، واليبس وإنضاج الأخلاط فلذلك سميناه به وشبهناه به فاعرف هذه المتن عليك.

وافهم ما نقول، وانظر ما هذا الشيء الذي يكون على هذه الصفات قبل التدبير، ويحصل له هذه الخواص بعد الممارسة فإن ذهب إلى الشعر فإنما شبهه به لأن الشعر كائن من البخار الحار الحاد المتعقد بالأرضية المخالفة لطبيعة الجسم، وذلك أن

هذا الحجر يتكون في معادنه من بخار هذه صورته ولولا ما فيه من غريب أرضية لما احتاج إلى تدبير.

وإنما التدبير كله لإهلاك هذا الغريب وخلاص الجوهر منه، ولذلك شبهناه بالإنسان فصنفنا كتبنا في التناسخ فاعلم ذلك.

وأما تسميتنا له بالدماغ في كتاب الصيغ الأحمر وغيره من كتبنا الذي سميناه فيها لذلك فلأن الدماغ إليه يجتمع الرأي، وفيه البيوت الثلاثة الجامعة للذكر والخيال والفكر التي هي فضيلة الإنسان وقوى نفسه الناطقة.

فأما تسميتنا له بالبيض فلأجل البياض والصفرة والحرارة والبرودة وتكون الحيوان منه كتكونه من المني ومن البيض، وأما تسميتنا له بالمني فلأن رائحته في أول تكونه واجتماعه مع الأنثى كتكون الحيوان منه على حد تكون الإنسان من المني. وأما تسميتنا له بالدم فلأجل الحرارة واللون وتمام الخلقة به إذ كان دم الحيض جاريا للمني مجرى الأنثى من الذكر.

فأما تسميتنا له بالبول فلأجل التقطير والتصفية والتعليق وذلك لا يكون في التدبير، ولا يكون في شيء من ذلك، وهو عبيط ولذلك ضل أصحاب التجارب في أخذ ظواهر أقوال الحكماء دون بواطنها واستعمال القياس فيما يستنبط منها. وكذلك تسميتنا إياه بجميع الأسماء الأخر التي يطول شرحها ويخرج ذكرها عن غرض الكتاب ومقداره من جملة هذه الكتب. فإنما القصد بذلك كله إلى التشبيه فاعلم ذلك وقس عليه.

وإذا كان الأمر كذلك وكانت الأنواع كلها غير خارجة عن متولد غير متولد ومتولد غير متولد ومتولد متولد، وكان المتولد الغير متولد كالإنسان والفرس والبعير وغير ذلك لا يكون منه ما ليس من نوعه كونا تاما، وذلك أن الإنسان لا يلد إلا إنسانا، وإن ولد غير إنسان انحل سريعا، ولم يكن له بقاء، ولذلك كان البغل المتكون من الحمار والفرس متحلا إلى ما يكون منه في النتاج، وكان المتولد نحو الحيات والعقارب لا يكون شيء على طريق التوالد منها من غير نوعه.

ولا يكون على طريق التوليد أيضا إلا من أشياء مخصوصة لا من كل شيء

ككون الحيات من الشعر، والعقارب من المرار المقطر وغيرهما يتكون منه ذلك. وكذلك يكون البق^(١) من الماء والبراغيث من التراب وأشباه ذلك فإذا كان جميع هذه الأنواع إنما يتكون كل منها على طريق التوالد من نوعه وعلى طريق التوليد من نوع بعينه لا من كل نوع وكذلك المعدنية والنبات فإن الزنجار لا يتكون من الرصاص ولا أسفيداج الرصاص من النحاس فإن كان في قوة الصناعة هذا كله فعلى بعد وقرب.

فأما تكون ذلك من الأجر والطين وأنواع الحجارة والنبات فمن أبعد الأشياء كونا وأدخلها في باب الممتنع فإذا كانت هذه الأمور جارية هذا الجرى.

وكان المطلوب صبغا معيرا لذات النحاس إلى ذات الفضة أو لذات الفضة إلى ذات الذهب، أو لما قارب النحاس والفضة من الذاتية المتطرفة إلى مثل ما يراد من النحاس، والفضة وغيرهما إلى كون ما هو أشرف منهما وجب لا محالة أن يطلب أقرب الأشياء كونا، وأقبلها لهذه الصورة بالتدبير، وذلك لا يكون إلا ما كان مناسبا مقاربا وممازجا مختلطا، وتكون فيه هذه الصورة بالجزء على ما بينا فإذا طلب طالب ما هذه حاله فظفر بأقرب الأشياء مما ذكرنا نظرنا إلى قدر نقصانه عن الغوص فكلمه بالتدبير واستعمل في ذلك ما يستعمله الطبيب الماهر في تدبير الأمراض بأن يعرف مزاج الصحة ومزاج الخروج عنها المسمى مرضا ثم يعرف جنس المرض ونوعه.

إذ كانت كميته على التحديد ممتنعة العلم فلا بد من معرفة النوع ثم معرفة ما يجري مجرى نوع النوع في وجه مجرى الشخص للخواص في وجه آخر أما ما يجري مجرى نوع النوع فكلعلمه في حمى الغب ضرورها هي بعد العلم بأنها غب.

وكذلك في الربع والحادة وغيرها من الأمراض فأما ما يجري مجرى الشخص مما يضاف إلى أحوال المريض نفسه، وعاداته الخاصة به فإذا عرف ذلك عاد فعرف مثله سواء في الأدوية وطبائعها وأحوالها في أجناسها، وأنواعها ومزاج كل نوع منا الجاري فيه مجرى نوع النوع وخواصه الجارية مجرى الشخص.

(١) انظر: الشفاء لابن سينا (٩٦/٨).

فأما ما يجري منها إلى عادة بعض المرضى فليس متعلقا بالدواء وإنما هو متعلق
بعادة المريض فإذا عرف ذلك كانت مداواته للمرضى موافقة للصحة جالبة لها.
وإن اختل من عمله شيء ببعض ما ذكرنا كان ما يلحق من الفساد وبطء البرء
بحسب ذلك فكذلك حال المدبر لهذه الصناعة.

ولما كان الطبيب الجاهل بنوع العلة ونوع الدواء وطبيعة كل واحد منهما أبعد
الناس من إبراء المرضى.

كان كذلك الجاهل بهذا الحجر أبعد الناس من الوصول إلى هذا الأمر، وإذا قد
انتهى بنا القول إلى هذا المكان واستوفينا وجوه الكلام في الحجر بحسب ما قصدنا إليه
بما هو لائق بكتابنا هذا فليكن آخر الكتاب، والله أعلم بالصواب، ولنأخذ فيما بعده
فنذكره إن شاء الله تعالى جل وعز.

وبالله توفيقنا وعليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول، ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

كتاب نار الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الغالب على كل شيء العالم بكل شيء الفعال لما يشاء كما يشاء
وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وسلم، إنه قد تقدم لنا قبل كتابنا هذا كتابان في
ركنين عظيمين، وهما الزئبق الشرقي والزئبق الغربي.

وهذا الكتاب تاليا لهما في ركن ثالث هو أيضا من أعظم الأركان وهو نار
الحجر التي هي ذات الصبغ فيجب يا أخي أن تتأمل ما نذكره فيها وتعلمه على حقه
وصدقه ليكون عملك بحسبه فتصل إلى أفضل التدابير لباب الفلاسفة.
وإن الصبغ قد سمته الفلاسفة كبريت وكباريت ونار محرقة وبرق خاطف
وحجر المقلاع الذي يشج.

ويزول الحجر ويبقى أثر الشجة على الأبد، وما أشبه هذه الأمور.

ولم يعلم الناس كيف تدبيره، ولا كيف استخراجه من معدنه، وما هو ملتبس
به من الدهن، وكيف يكون نقله إلى الماء وحله منه ليقع بذلك الصبغ التام والمزاج
الكامل.

وهذا الكتاب هو مخصوص بهذه الأمور التي لم يجسر أحد من الفلاسفة على
ذكرها، ولا على التعريض لها فأما نحن فقد ذكرنا هذه التدابير في الكتب الحيوانية
فذكرنا التفصيل والتطهير لأركان تلك الأبواب، وإنما تلك أمثلة ورموز بعيدة وقرية
ومتوسطة فأما ما نذكره في الكتب الأربعة، وبخاصة في هذا الكتاب فإنه شرح الشرح
وتفسير التفسير وحل كل شيء رمز وتصريح بغير تعريض فاعلم ذلك ولا تشك فيه
فتفضل عن الطريق، ولا تصل وحق سيدي عليه السلام إليه بوجه فاعلم ما نقوله.

اعلم أن نار الحجر كما قلنا في كتبنا كلها التي على طريق الأمثلة في التدابير إنما
تخرج مع الدهن.

وذلك لأجل تناسبه بالحرارة؛ لأن النار أشبه بالنار من كل ما ليس هو بنار، ولا
مشبه لها في طبعه ولا معنى ولما أن مقاتلا للنار أشد من قتال الماء لها؛ لأن في طبعه جزء
من طبيعتها ولولا أن منه غذاء لكان مثلها، ولما أثرت فيه، ولكانت بذلك أولا منه بأن

يؤثر فيها فاعلم ذلك وفيه قطعة على طريق البرهان وجزء من الطبائع.

وإذا كان الأمر على ما قلنا فمن البين أن ناراً حارة يابسة وهي كذلك.

وكذلك تشبه النار، واعلم أن لوها صفراء كدرة تميزه من الدهن فأما إذا كانت مع الدهن فإنها مختلطة به وناقصة من حمرة الدهن ومرتبة لما تراه من مخالفة ما نراه في هذا الكتاب في النار خاصة لما تجده لنا في سائر كتبنا الطريق الذي نسلكه ههنا هي الطريق التي نسلكها في تلك، وإنما نسلك في هذه الكتب طريق الحق، والتصريح والاقتصاد.

واعلم أني ما صنفت بعد هذه الكتب الأربعة إلا كتاباً واحداً جامعاً لتدبير الباب الأعظم وكتبنا الخمسمائة التي على رأي سيدي صلوات الله عليه وتلك فليس شيء منها لي إنما أنا فيه بمتزلة الوراق الناسخ، وذلك أني لما أكثرت كتبي وأطلتها ومددت الفوائد علمت أن أحداً لا يصل إلى الحق منها إلا بعد فناء العمر والتناهي في الفضيلة والكمال وتعب الدرس وسهر الليل والنهار والانقطاع إليها عن كل محبوب والسعادة التامة المضافة إلى جميع ذلك، وقد كنت وقعت في محن وشدائد ونكبات الزمان فنذرت لله عز وجل إن خلصني منها أن أقرب الباب الأعظم في كتابين.

أحدهما: مسمى بأركان الأربعة ليكون ذلك كافياً للفاضل إن اقتصر عليه ومعينا له على طلب كتبنا كلها إذ لا بد وحق سيدي عليه السلام من وجوده وخروجه إلى العلم وبلوغه غاية ما كتب له.

وإن جميع علمي في كتب قليلة الحشو مصرحة بالأصول لتكون له عدة وعمدة أيضاً فلما خلصني الله عز وجل من ذلك ابتدأت بهذه الكتب الأربعة التي في الأركان الأربعة، وذاكرت بها سيدي وعرفته نذري فقال:

إن أحنانا الذي نذرت له هذا النذر وإياه رفعت بهذه النية نحن أولى به منك، ولكن لك فهي حظ لا يجب أن نغلبك عليه فاعمل أنت ما يخص الباب الأعظم من هذين الكتابين على رأيك وارفع إلينا فيما أردته من الكتب الجامعة لجميع العلوم وحرمة على نفسك التأليف بعد هذه فلا تأليف بعدها ففعلت ذلك وبدأت بهذه الأربعة فإن كنت أحنانا ولست تحتاج إلى صدقنا عندك، وإن لم تكن أيها القارئ أحنانا فكل ما

ينجلي منها، وحق سيدي، باطل إلا أن يكون لك في الغيب ما قد غاب عني وعن سيدي، ولنرجع إلى ذكر ما فيه واستخراجها من الدهن فاعلم أن طعمها مرا في غاية المرارة فلا تظن، وحق سيدي عليه السلام إلا طعم الذي يذاق من كل ذي طعم باللهوات وهي مع ذلك خلصت من الأرض لم يمكن تسخينها مع حرارة النار وذلك ألما تمتد في الإناء وتتسع فيه إذا أصابها التزويج فإن لم تلتطف عنها كسرتة وذهب منها روحا لطيفا تشاهد في تمدده في الإناء عند شدة النار وليس ذاهبا ذات الروح في الحقيقة منها؛ لأنه لو ذهب منها لكانت إذا ردت إلى إناء آخر وشد عليها النار لم تفعل مثل فعلها.

لكنها لما سخنت ولحقها الوهيج كان منها ما كان أولا فذلك الروح غير مفارق لها فأما هي فإنها لا تطير إلا بنار السبك فاعلم ذلك.

وإذ قد انتهينا إلى هذا الحد من ذكرها فلنقل في استخراجها من الدهن بالطريق القريب وأقرب الطرق لذلك في الوجوه المثالية هو ما ذكرناه في كثير من كتبنا في خلط الماء بالدهن وضربه وتصفيته عنه.

وقد قبل الصبغ فيقطر الماء من الصبغ فيبقى الصبغ جيدا خالصا مفردا فيركب على الأوزان فيها فهذا، وإن كان طريقا قريبا متخيلا فإنه مثل وليس بالحق.

وذلك أن الماء يجوز خلطه بالدهن والصبغ فيه في هذه التدابير المخصوصة الكتب خاصة، وذلك أن هذا الماء إذا خلط بالدهن، وفيه الصبغ وهو غير نقي من الأوساخ التي حللها الماء من الدهن فلم يتنقع بالصبغ وفيه كباريته وأوساخه ونجوسه المحترقة المفسدة لكل ما خالطه وجاوره وإذا هي سبب فقد فائدة الحجر الكريم فاعلم ذلك.

ولكن وجه التدبير المعروف لا على طريق المثال هو ما أصفه لك في هذا الكتاب فإياك والخلاف فيه وترك العمل به على وجهه فإن كثيرا من الأمور يظن بها غير ما هي عليه، وذلك أن من الأمور صعبة عسرة قد يعمل بعضها واحدا الطريق المعتاد فيها بلا عسر فلا يجيء.

إما كالأول وأجوده أو دون بقليل أو أكثر فإن تفاوت الهريس والسكباج وأنواع الطبخ فإن كثيرا منه يحصل في خير ما لا يستحق بأن يؤكل أو يزداد وجعل

بعضه من خير ما أكله لطيبه ونظافته وجعل بعضه متوسطا عن ذلك الألوان؛ لأن جميعه جيدة وردية ومتوسطة ألبس اسم السكباچ أو أيضا كثيرة الاختلاف والتضاد وكذلك عمل الزجاج وغير من الأعمال تخالف الطريق الصعب فيها أو شيئا منه فإما أن لا يكون أصلا أو يكون شيئا وبعيد من الأول.

أو شيء آخر من الأشياء ما يسهل طريقه فيظن لسهولته أن الإحلال تبعضه معه حصول الفائدة أو بعضها فلا يكون شيئا من ذلك، وذلك كتسخين الزرنيخ فإنه إن تمودي عليه في إخراج رطوبته بطل بالجملة لا بأن تديره خطأ أو أنه سيكون شيئا آخر أو لا يكون أصلا لكن لأنه يكسر الآنية برطوبته فيضيع جميع التعب به.

وأمثال ذلك من الأعمال كثير، ولذلك قلنا في كثير من كتبنا لا يهولنك عظيم، ولا تتهاون بصغير.

وإنما أردنا هذه المواضع، و إنما قلنا هذا للعالم بما لا للجاهل فإن العالم قد يعدل عن الطريق إلى غيرها طلبا للاختصار والسهولة ولعلمه بأن ذلك لا يضره ولا يبعد فائدة ما يطلبه.

وقد يلزم الحقير ويحفظه علما منه بأن ذلك العظيم لا يتم إلا بمراعاة هذا الصغير، وأما من كان جاهلا فخير الأشياء له أن لا يتعرض لما هو جاهل به فإن تعرض فلا يجب له أن يخالف قليلا ولا كثيرا من قول العالم برأيه ويظن ذلك، ربما وصل معه إلى الغرض لأن العالم إنما يورد ما يورده من العلم ومكانه والحاجة إليه.

والجاهل لذلك لا يعلم موقع ما كان من قول العالم إلا عند الغاية التي وعده بها العالم.

وإن كان الأمر كذلك في هذا الكتاب إن كنت محتاجا إلى النظر فيه لقصور علم عن تدبير بأن الحجر إن تخالف نذكره فيه، وإن لم تكن محتاجا إلى ذلك كنت عالما مما يضرك الخلاف علينا إذ كنت تعلم صحة الخلاف وكيف اختلاف الطرق، وإلى ما يؤدي كل واحد منها، وإذ قد أوصينا بما يجب الوصاة به فلنقل في إخراج الصبغ من الدهن فنقول: إنه إذا خرج من الدهن للحجر، وفيه الصبغ وطر إخراج منه خالصا بغير وسخ هو ما نقوله، وذلك أن تتخذ للدهن بعض المياه في كتبنا وذكرها الناس

غيرنا وأجودها الخل^(١) القلي والنشادر فإنه الصبغ بقوته ويحل فإذا اتخذته فاطرح منه ثلاثة أجزاء على جزء من الدهن وأضر به ضرباً جيداً شديداً ويستخن على هيئة ما يغلظ الزيت بماء القلي إذا طبخ فيه.

ولذلك قالوا أصحاب الصابون فاعلم ذلك ولا تشك فيه، ولا في شيء منه، وإن عقد كلها مع النار فإذا الدهن تميز وغلظ وجمد وصار كالزبل سواء فإنه يصير كذلك وحق سيدي في قوامه وبياضه هذا بعض استخراج الدهن من حجارة الجزيرة.

ويستعمل لها خلا للملح ملح البحر الأحمر وحده فحينئذ يسمى لبن العذراء البتول ثم يتميز الماء وفيه الصبغ وأوساخ الدهن فاعمله كما يعمل دردي الصابون واجمعه كله وقره في موضع كنين ثلاثة أيام فإن النار كلها تجتمع على رأس الماء أصفر خالصاً من كل دنس وترسب الوسخ كله تحت الماء في أسفل الإناء وأخفه ما كان بين الماء والنار فاجمع النار من رأس الماء فإنه يحصل عليه كما تحصل القشور من الزنجار على رأس الخل المحلول به الزنجار. وقد ذكرناه في إخراج ما في القوة إلى الفعل وإنما أردنا به المثال لهذا التدبير، وهذا ههنا مكشوف ممتزج فاعرف قدره.

فإذا أخرجته فاعزله فلا حاجة بك إلى الماء، ولا إلى ما فيه من وسخ؛ لأن ذلك وإياك أن تظهر فيه هذا الكتاب من لا يستحق هذه المترلة فتعاب وحق سيدي عليه السلام مما ذكرت هذا، ولا ذكره أحد من الناس قبلي ولا يذكره بعدي على هذا الكشف. وإذ قد أتينا إلى هذا المكان فليكن آخر الكتاب.

تم الأربعة من الرسائل الخمسمائة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا

محمد.

(١) قال ابن رشد: الخل: هذا ظاهر من أمره أن الغالب على مزاجه الجوهر المائي لمكان الحمضة

التي فيه، لكن فيه مع ذلك جزء ناري، والدليل على ذلك الحرافة التيفية.

وليست كثرة تقطيعه دليلاً على حرارته، فإن المعين له على هذا الفعل هو لطافته، والحامض بما هو حامض مقطع، فكيف إذا اقترنت إليه كيفية حارة؟ فلنضعه في الدرجة الثانية من البرودة وفي الثالثة من البس، وبخاصة العتيق منه. وقوة الخل في منع التعفن وتقطيع الأخلاط وتلطيفها قوة مشهورة.

كتاب أرض الحجر بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين رب السموات والأرض وما بينهما أصلي وأسلم على خير خلقه محمد نبيه وآله وسلم تسليما.

إنه قد تقدم كتابنا وكلها محتاجة إلى هذا الكتاب إذ كان كالقاعدة والأساس الذي لا يثبت بناء وكذلك حال الأرض عند الثلاثة أركان إذا كانت ثابتة فيه وقد أكثرنا في كتبنا الحيوانية ذكر تدبير الأرض وتبيض المغنيسيا من الرموز وأجود ما فيها يا أخي هذا التدبير الحق بغير رمز ولا لغز رحل إذ قوله الحق المبين والصراط المستقيم فلا يعدوه ولا يحتاج معه تصل إلى تبيض المغنيسيا الذي أعنى جميع الفلاسفة إذا عملت كيف يستعمله قوله عز وجل في محكم كتابه فيها واستعد من هذا كله في هذا الكتاب فبين ما نقوله ولا تعدوه، وإنما هو تفسير لمن لم يعلم معنى قوله فاعلم ذلك فمن قوله جل اسمه ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥] فهذا هو جميع تدبيرها، وهي جميع علاماتها الدالة على جميع مراتبها الظهار بها فلا تشك في شيء من ذلك، ولكن من لك به لو كان بينا بفهمه واضحا بعرفه مع أنه أبين وأوضح وأحضر وأفصح من كل قول يقال فيها لمن كان عالما بالأمر وإنما يحتاج إلى تفسيره من لا يكون له خبرة بصناعة الفلاسفة المحكمة وتدبيرهم البديع ونحن نريك ذلك، وكيف تكون هذه العلامات في هذه الأرض على البيان والأحكام الذي لا يحتاج البليد معه إلى غيره فضلا عن الذكي التحرير.

اعلم أن تدبيرها بالماء له طريقان:

أحدهما: بالتشوية لها اهتزازها ونورها كما قال منها من الماء وذلك أن الماء يطير، ولا هذا الوزن إذا ربت وانتفخت إن كتمتها وتزيد في كميتها وذلك بالسخونة كما تراه في كل حي فإنه الكمية فإنها تزيد بالإطلاق والكل لا بالتنفيذ والجزء بعضهم في زيادتها.

وقال آخرون أهل هذا الرأي غلطوا، وذلك أن في الأقطار فإنها غير زائدة وإنما

تزيد في أبعادها فقط ولا سيما إذا كان التمديد.

قالوا: فأما الوزن فهو إلى النقصان أقرب وعليه الثقل والبرد والتلرز والاجتماع والحركة إلى المركز وعلّة الخفيف عكس هذه كلها وما عملت فيه الحرارة فبعيد أن يزيد وزنه، وإن زاد جرمه يزيد مساحته وينقص وزنه لفقده التلرز، والتحليل الذي هو من علّة الخفيف فقد بطل أن تكون زيادة وزن هذه الأرض بتمديد الحرارة لها وسخونتها.

قالوا: والعلّة في زيادة وزنها هو عكس هذا بعينه.

وذلك أنّها إذا دبرت بالنار فإن النار تحل بالحرارة منها وتجذبها إلى نفسها وتفرق بينهم وبين أجزاء البرودة إذ من شأن النار التفرقة بين الأجزاء المختلفة والجمع بين الأجزاء المتشابهة فإذا فرق بجمرة واللفظ الذي هو علّة الخفة بقي منها الحر والبارد الذي هو علّة الثقل مزاد الوزن.

قالوا: وإن انتشار أجزائها إنّما هو لأجل التهيّب، وأجزاؤها وإن كانت منتشرة زائدة المساحة فإنّها ثقيلة بالطبع؛ لأنّها الأجزاء الباردة التي هي معنى الثقل وعلته.

وقال آخرون: هذا غلط من وجه وصواب من وجه.

فالصواب والرأي الحق من جميع الوجوه بين هذين الاثنين.

قالوا: وذلك أن النار، وإن فرقت أجزاء الحرارة واجتذباها إليها فإنّها لا تقدر على اجتذاب الحرارة العرضية وفي الأرض حرارة غزيرية هي علّة هذين الضدين اجتماعها على وجه أن صاحبه في محله، وفي الزمان الذي في الأرض لو كان صاراً فيها لم يكن محللاً فيه أو على وجهين مختلفين لشيء ولا يميز الجنس اختلاط أجزائه السرد منه بأجزائه، والفعل أن هذه الأرض قد ثبت أنّها من الطبائع الأربع، وفيها النار جمع المتشابهة وتفرق المختلفة، وفي الأرض حرارة عرضية وحرارة وليس تزييل النار حرارتها الفلاسفة تدبير صلاح لا تدبير فساد، وإنّما تزيد إذا حرارتها العرضية التي في الأجزاء العرضية كيانها، ويكون ذلك سبباً لخلاف الهواء لتلك الأجزاء الزائلة وذلك سبب لخفتها أخف من الأجزاء التي أزالتها النار لكنها، وإن فعلت ذلك تعلق أجزاؤها الباردة بأجزائها الحارة الطبيعية غير العرضية ويحكم مزاجها ويظهر برد الأرض عليها

بمدافعة حرارة النار عن حرارتها الغزيريه وتبطن حرارتها الغزيريه في عمقها.
ولو أن ذلك كذلك لما جاز إنباتها النبات وخروجه من باطنها بالتعفين،
والنداوة، فاعلم ذلك فإذا ظهرت البرودة الممازجة للطبيعة ظهر التلرز في الأجزاء
المتشابهة وبسط لا يخالف لأجزائها المحللة سطح الجسم فزادت المساحة ببسط الهواء
لتلك الأجزاء، وزاد الوزن بطهور البرد والتلرز على الجسم الأرضي فلما قال أصحاب
هذا القول ما قالوا: لم يكن عند الآخرين جواب والعلامة فيها أنها يتدئ في أجزائها
البياض وذلك هو الذي قاله الفلاسفة زهرا.

كتاب الإيضاح

لجابر بن حيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القوي المنان ذي العزة والسلطان العالم السر والإعلان.

كتابنا هذا قد سميناه بكتاب الإيضاح لأننا نريد أن نوضح فيه ما رمزوه الحكماء من قبلنا وأكثروا ذكره في كتبهم بالأسماء المختلفة الصفات المدهشة التي راموا بها تضليل الجهال عن هذا العلم الشريف وإدهاشهم عنه. فنقول على أثر ذلك: إن الحكماء القدماء العلماء لهم في هذه الصنعة طريقان: أحدهما: التركيب.

والثاني: طريق الإكسير.

وإن طريق التركيب نحو أن أحدهما: رفع العلل بالأدوية الشافية لها ومقابلة الشيء بضده.

الثاني: الشيء يفعل بخاصية فيه فعلا ما يتعداه، وأن طريق الإكسير إنما هو الأبعد والأوسط والأقرب، وإن جميع هذه الطرق الخمس فإن القدماء لم يتكلموا في شيء منها إلا في طريق الأوسط من طريق الإكسير فقط.

وأما سائر الطرق فإنهم كانوا أضن بها وأصون لها من أن ينطقوا فيها بلفظة بل كانوا إذا أرادوا أن يوصلوها إلى التلميذ دبروها بحضوره من غير أن ينطقوا فيها بحرف واحد فإنهم كانوا يرون ذلك محظورا عليهم، وأنهم متى نطقوا فيها بحرف واحد فقد استحقوا الخزي من الله جل جلاله فهذا كان رأي القوم فنعلم الآن من كان عاقلا من طالبي هذه الصنعة أن جميع ما ذكروه الأولون في كتبهم من الرموز إنما هو كلام في الطريق الأوسط من طريق الإكسير الثالث دون باقي الطرق.

وهذا أصل عظيم وسر غامض قد كشفناه ولخصناه فيزول بمعرفته طالبي هذا شكوك كثيرة ويجمع فكرهم ويسهل عليهم استنباط ما يجدون في كتب الحكماء وفك رموزهم.

فنقول أيضا: إن الذي دبروه أكثر الحكماء لا بل جميعهم شيء واحد بعينه لا

اختلاف فيه، ولا في تدبيره، وأنه ليس بجوهر حيوان ولا نبات بل معدني ذات غائص صابر ثابت من قبل التدبير وبعده.

فلذلك ما ذاب وغاص وصبغ وثبت قبل التدبير وبعده فإنه مركب من جوهرين اثنين ذكر وأُنثى جسد وروح أحمر وأبيض طائر وثابت أرض وماء كبريت وزئبق. وأذ المصلح بينهما حجر ثالث، وهو حار يابس، وهو حجر الفلاسفة المكتوم الذي فيه البغية والعلم المخزون.

وأن من غير هذا الحجر شيء لا يكون فهذا سر من أسرار الحكماء قد كشفناه وحللنا شكوكه بغاية الكشف وبيناه بنهاية التبيين بل ههنا نكتة ما أظن كشفها أحد غيري ليكون الكتاب تاما قائما بذاته فيعلم من قرأ كتابنا هذا أن مرادنا بقولنا: إن هذا الحجر الذي دبره الحكماء ذائب غائص صابغ ثابت قبل التدبير، وبعده فبالقوة، والفعل.

أما قبل التدبير فبالقوة، وأما بعده فبالفعل.

وإن التدبير هو الذي يظهر خاصية هذا الجوهر ويحقق روحانيته، ويخرج ذلك من القوة إلى الفعل، ولو لم يدبر لكان هو وسائر الجواهر المجانسة له سواء.

ونقول أيضا: إن الصنعة تلطيف هذا الجوهر بالتدبير حتى يصير كبريتا صافيا ذائبا طاهرا متعلقا صابغا ثابتا ببياض أو حمرة فإذا صار كذلك فهو الذي تعنيه الحكماء بقوهم الشمعة والسم الفاري والإكسير وزنجفر الذهب، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تجدها في الكتب، وإنما سموه شمعة لكونه يشبهها في ذوبه وسموه سما ناريا؛ لأنه ساعة يشم رائحة النار يعمل عمله ويفوض ويصبغ إكسيرا لقوته وسرعة عمله وغلبة يسيره في كثيف الجسد يجعله زنجفرا ذهبيا لصبغة اللون الذهبي المطلوب.

ونقول أيضا: إن الأجساد كلها في الجواهر زئبق انعقد بكبريت المعدن المرتفع إليه في بخار الأرض، وإنما اختلفت لاختلاف أعراضها واختلاف أعراضها لاختلاف كبريتها واختلاف كبريتها لاختلاف تربتها، ومواضعها من حرارة الشمس الواصلة إليه عند ترددها في دورها فكان ألطف تلك الكباريت وأصفها وأعددها الكبريت الذهبي فلذلك انعقد به الزئبق عقدا محكما معتدلا ولاعتداله قاوم النار وثبت فيها فلم

تقدر على إحراقه كقدرتها على إحراق سائر الأجساد فمن قدر أن يتلطف في تدبير الكبريت الذهبي حتى يستخرج منه الجوهر الصايف المستحسن فيه حتى يتعزز صبغه وتتضاعف قوته وتظهر خاصيته فقد وقف على سر الحكماء، وإنه لم ينته الكبريت الذهبي في اللطف إلى هذه الغاية إلا بطريق الحكماء وحجرهم الغالي الرخيص الحقيق العزير المعروف المجهول الموجود المعلوم الشريف المكتوم فقد بان ووضح لمن كان له عقل.

إن الكبريت الذهبي خمير الحكماء الذي لا يتم عمل إلا به، ولا يتم تدبير إلا به، ومعاونته وممازجته وتوسطه.

ونقول أيضا: إن التدبير أربعة أركان، ولا بد منها، ولا يتم عمل إلا بها وهو التزويج والتفصيل والتطهير والمزاج ولن يتم ذلك على الحقيقة لأحد إلا بعد المعرفة بأربعة أحر علم الأوزان ومقادير النيران واستيفاء الألوان وعدد الأيام وبعد ذلك ثلاثة أمور لا بد منها فمن بلغها فقد قوت عينه.

وهي العقد الذي لا انفصال له، وأخذ الخمير والغاؤه وعند ذلك استراحت الحكماء وهي الحال الذي يسميها القدماء القيمة.

وأقول أيضا: إن بدء العمل التزويج وهو تأويل الحكماء أجمعوا بين الذكر لأن هذا الباب لا بد فيه من سبع مراتب:

أولها: التركيب ثم التفصيل ثم التطهير. ثم التركيب الثاني ثم المزاج والحل ثم العقد، وهو أقرب عمل من مدة الأول فإذا سلك في تدبيره الطريق الحق وسلم صاحبه فيه من الخطأ تم له على حسب مهارته وسعادته من سنة إلى ٨٥ يوما ولا يتم في أقل من ذلك، وهذا الباب هو الذي يحتاج فيه إلى معرفة مقادير النيران واستيفاء الألوان وحقيقة الميزان، وفيه سر الخميرة فقد زعموا أنهم يختصرون هذا الطريق حتى يتم لهم في أقل من هذه المدة بحيلة يحتالون فيها وبلطف ورفق فينقصون منه أشياء لا يحتاجون إليها فيه ويزيدون فيه أشياء تعاوهم فيه وتسرع بلوغه.

وهذا المختصر هو الطريق الثالث ولعمري إنه يتم كما ذكروا غير أنه طريق لا يسلكه إلا من كثرت تجاربه وتمهر في الباب الذي هو الأصل.

فأما من رام عمله ممن لم يعمل الباب الذي قبله فلن يتم له ذلك أبدا، وإن تم كان صبغه نورا وضعف فعله بحسب قصر مدة تديره عن مدة الباب الذي هو أصله.

فأما الطريقان الباقيان الآتيان، وهما الرابع والخامس: فإن الرابع بينهما هو شبه الأول في أكثر أحواله إذ هو إخراج ما في القوة إلى الفعل وليس بأكثر من أن يدبر كل واحد من الأجساد بالطبيعة الحارة اليابسة حتى يظهر ما هو كامن فيه بما هو له بالقوة ويخرج إلى الفعل باستحالته إلى الطبيعة التامة التي ابتدأ في تكونه لطلب غايتها فقطعه عن ذلك ما عرض له من الآفات التي منعتها عن البلوغ وليس أيضا غلط إنما هو رفق وتدبير ومقابلة ومماثلة وإمهال الطبيعة وتعديل النار لتصل بلطفها إلى قبر الجسد فتحرق الآفات وتمذب جوهره وتلطف أجزائه وتصفيه وتنقيه فإذا بلغ الغاية من ذلك صار ذهباً بإذن الله تعالى؛ لأنه اكتسب من النار خواصا لم تكن فيه وفارقت عوارض وآفات كانت فيه وبذلك استحال من جوهر إلى جوهر كاستحالة الماء بالنار هواء والهواء نارا والأرض ماء وكاستحالة الماء والتراب نباتا وحيوانا والحيوان والماء والنبات دما ولحما ومرتين وبلغم ولبنا.

وأما الباب الخامس فهو أسهلها تديرا وأعجلها نفعا وأيسرها مؤنة إلا أنه مع ذلك أقلهم فائدة وأنزرها نفعا. وقد قنع به كثير من الفلاسفة وهو باب لا يتم الأبواب العظام لأكثر الناس إلا به؛ لأنه إذا تم به يستعان على تدبير ذلك فهو كذلك.

وإن كان أقلها نفعا فهو أشرفها وأجلها وهو الآية الكبرى والمعجزة العظمى، وهو بيباب الخواص أشبه مني بتدبير الأبواب؛ لأنه يتم في ثلاث ساعات من نهار وليس هو غير أن يجمع أحجارا معلومة وتسبك بالنار وتمزج بعضها ببعض فيتولد منها بالامتزاج والاختلاط فضة وذهب، وهذا الباب، وإن كان أقلها فائدة فهو أشرفها كلها؛ لأنه نعم العون على تدبير تلك، وهو الذي لم يكده أحد من الفلاسفة يصفه في كتاب، وإنما يتذاكرون به بينهم ويلقونه إلى أبنائهم وتلاميذهم حسب ما عرفتكم وقد بقي بعد ذلك أمور يسيرة أنا أطلعك عليها مشافهة إن شاء الله تعالى.

تم كتاب الإيضاح والحمد لله وحده.

نخب من كتاب الخواص الكبير المقالة الأولى من كتاب الخواص الكبير لجابر بن حيان الصوفي الأزدي

الحمد لله كما هو أهله ومستحقه الكريم الجواد الفعال لما يريد تعالى عما يقول
المبطلون علوا كبيرا.

من كان حافظا لقواعد كتبنا هذه وترتيبها وما عليه موضوعها فسيعلم علما
يقينا أنا وعدنا أن نذكر في جملة كتبنا شيئا مفردا في علم الخواص.

ولما كان سبيلنا في جميع تعاليمنا أن نذكر فيها مشروح جميع الأشياء فلنخص
كتابنا هذا بتفسير كلمة الخواص وما معناها وترتيب كتب الخواص وكم هي وما فيها،
ونبدأ بعون الله وتأييده في ذلك ونقول:

إن الخاصية إنما هي كلمة شاملة للأسباب التي تعمل الأشياء الوحية السريعة
ببطاعتها، وإن فيها نوعا آخر يعمل الأشياء بإبطاء.

وإنما قد تنقسم أقساما: فمنها ما يكون تعليقا، ومنها ما يكون شربا، ومنها ما
يكون نظرا، ومنها ما يكون مسامحة، ومنها ما يكون سماعا، ومنها ما يكون شتما، ومنها
ما يكون ذوقا، ومنها ما يكون لمسا. وإن لكل واحد منها مثالا يعرف به ويرجع جميعه
إليه.

فمن ذلك أن هذا العنكبوت إذا علق على صاحب حمى الربع أبرأه بإبطاء،
ومنها أن الذراريح تفعل مثل ذلك.

فإذا جمعا وعلقا على صاحب الحمى أبرأه سريعا، هذا في باب التعليق.

ومنها أن السقمونيا يخرج الصفراء والأترج يخرج الدود وحب القرع فقط وما
شاكل ذلك، هذا في باب المشروب.

ومنها أن الأفعى البلوطي الرأس إذا رأى الزمرذ ذا الخالص عمي وسألت عينه
لوقتها وحيا سريعا. ومنها أن أفاع بوادي الخرخ إذا رأت أنفسها ماتت وإذا رآها
الناس ماتوا وكذلك جميع الحيوان، وأن الصناحة وهي الدابة العظمى لها عينان كأعظم
ما يكون من الخلدان يكون مقدار كل عين منها ومدار حماليقها نحو فرسخ، فتعمد

هذه الأفاعي لتقتلها خاصة فتوافي هذا الوادي من بلاد دواخل التبت فترفع أحداقها إلى أدمعتها حتى لا تنظر إليها فتقصدها هذه الأفاعي لتنهشها فتقابلها بأعينها وهي صافية فتنظر إلى صورتها فتموت فتأكلها تلك الدابة.

ولقد خبرت أن وزن الأفعى منها نحو خمسين ألف رطل، وهذه من خواص النظر، فانظر يا أخي إلى إلهام بعضها إلى بعض ما أعظمه، والسلام.

ومنها الكلب والضبعة العرجاء إذا سامت فيئها فيئته والكلب على سطح الجبل سقط سريعا من غير مهلة حتى تأكله. فهذه المسامة.

ومنها السماع وهو من العجائب، فإن الحيات والأفاعي وغير ذلك إذا سمعن صوت البومة هربن من وطنهن.

والإسفيدرويه إذا خالطه شيء من الفضة المستخرجة من النحاس أو ما على سبيل التخليص والإقلاب إذا ضرب صفة جملجمل ثم ضرب به لم يكن الطيران يزول حتى يؤخذ باليد لأعلى ما هو عليه من هذه المصايد، فإن ذلك يكون أسرع وأوحى، فاعلم ذلك.

وأما ما يكون شما فإن الأسد والحمار خاصة من جميع الحيوانات إذا أخذ من مني الأنثى منهما شيء وطلي به ثوب أو لحم أو جسد إنسان أو غير ذلك وشتم لأحدهما منيه بعينه يتبع الشام له أي وجه توجه إليه.

وفي بعض هذه الأشياء دلالة، لكن يجب أن تتم الأمثلة كلها ونقول فيها، إن شاء الله تعالى.

وأما ما يكون ذوقا فكالزجاج والزئبق يفلج اللسان إذا وقع عليه وكأفعال السموم وأمثال ذلك مما لا يحصى تعداده.

ومنها ما يكون لمسا ومثاله: كمثل جبهة الأرنب البحري إذا لمست لحم الإنسان فتقته وصيرته مثل السويق وأمثال ذلك، وكالختير والحمار إذا بال الحمار والختير على ظهره مات من وقته وما كان على مثال ذلك.

(أ) والشيء الخاصي هو الذي يفعل الشيء بعينه ما يفعله، بكلام أهل الجدل.

(ب) ولو جوده ما يوجد فعله معه، بكلام أهل المنطق وأمثال هذا الباب.

(ج) والشيء الخاصي لا يجوز أن يحول عن حاله تلك على مرور السنين.
(د) والشيء اليسير منه هو الفاعل على مثل الشيء الكثير منه، ولكن القول في الكمية على مقدار ذلك كوزن الحبة من المغناطيس تجذب اليسير من الحديد وكالرطل يجذب على قدره، والأكثر فيه القوة التي يجذب بها ما جذب الأصغر لقلة كميته ودخولها في كميته، وليس ذلك في الأصغر لقلته وإن ليس كمية الأكثر داخله في كمية الأقل، فاعلم ذلك وتبينه وابن أمرك بحسبه في أوساط هذه الأشياء.
(هـ) والشيء الخاصي في خروج الميزان أسهل من الشيء الغير الخاصي في قول قوم.

(و) فأما سقراط وسناليقوس وثاليس وبليناس فمجمعون على أن الأشياء كلها تجري مجرى واحدا وأن بعضها قد وجدنا فيه الخاصة وبعضها عدمنا ذلك منه.
وتقول في المثالات: إنا رأينا الحجر يرسب والنار تصعد والماء ينسطح على وجه الأرض، فعلى هذا تتمثل الفلاسفة لا على ما قلنا نحن، لكنه لن يرضى بذلك منا فاعلم القواعد.

وقد كنا أحكمنا ذلك في كتابنا المعروف لكتاب التجميع في توليد الحجر، أعني أوزان الأشياء الخاصة بأسهل من وزن غير الخاصي، وفي كتاب لنا منها يعرف بكتاب التزليل، فانظر فيهما فإنه يتضح لك ذلك.
(ز) وقوم زعموا أن الخواص زوائد في الأحجار لأنها تجمع ما في الأجناس وتزيد بذلك الفعل.

وإذ قد أتينا على تفسير هذه الكلمة وما تحتها من الأنواع فإننا كنا وعدنا أن نذكر أوضاع كتب الخواص وكيف هي.
والخواص -عافاك الله- من الفلسفة وعلم الميزان، وإنما يحتاج إليها وإلى علمها في هذين الموضوعين فقط.

وجملة كتب الخواص أحد وسبعون كتابا منها سبعون كتابا ترسم الخواص، ومنها كتاب واحد يعرف بخواص الخواص وهو أشرف هذه الكتب.
وينبغي أن تقرأ آخر هذه الكتب وعند استيعاب النظر في جميعها وعلمها علم

الميزان بأسره.

وكتابتنا هذا يعرف بكتاب الجمع معناه جمع الكتب.

والكتاب الثاني والثالث إلى السبعين يعرف بالرسالة الفلانية أعني في العدة إلى

السبعين.

فإذا كملت بالحدادي والسبعين - كتاب خواص الخواص - ترى فيه كيف الشيء

الخاصي وكيف يمكن إيجاد مثله بالميزان.

وفي هذه الكتب مما يحتاج إلى أن يضاف إلى علم الميزان أحد وعشرون كتابا

على الترتيب الذي سنقوله، والباقي منها في علم الفلسفة ومضاف إليه.

أما ما يحتاج إلى علمه مما هو مضاف إلى الميزان فالكتاب الثاني من هذه الكتب

والخامس والتاسع والخامس عشر والسابع عشر والحدادي والعشرون إلى الخامس

والعشرون والثاني والستون إلى الحدادي والسبعين، فذلك عشرون كتابا.

وهذا الكتاب الذي يوصل به إلى معرفة تلك الكتب، فهذه أحد وعشرون

كتابا.

ويجب أن تعلم أنا نذكر في هذه الكتب خواص ما رأينا فقط دون ما سمعناه أو

قيل لنا أو قرأناه بعد أن امتحناه وجرّبناه، فما صح أوردناه وما بطل رفضناه، وما

استخرجناه نحن أيضا وقايسناه على أقوال هؤلاء القوم.

وكثير من الفلاسفة وغير الفلاسفة يتساوى في الأشياء الخاصة ومعرفة أيها

يعمل، فأما ما لم يعمل وما سبب ذلك وكيف هو وكيف يمكن نقل عمله إلى أشياء

أخر من الجواهر؟ فإن ذلك أشياء تختص بها الفلاسفة دون غيرهم.

فهذا موضوع هذه الكتب ولعلنا أن نذكر في هذه الكتب في حواشيها ما يكون

خارجا من صنائع شتى، منها أشياء من الطب وأشياء من العزائم وأشياء من النجوم

أشياء من صنائع كثيرة لتكون في ذلك دلالة في كل واحد من الصنائع.

وإنه يجب أن ترصد الصنائع كلها ليخرج منها مثل ذلك مما لم نذكره ولا

امتحناه أيضا لسعة ذلك وكثرتة.

ولعلنا أن تأتي من خواص الصنعة وتدبيرها ومنافعها بأشياء يعظم نفعها في العالم

في كثير من العلل والمنافع، ولعلنا نذكر الخواص في الميزان على طرقة الأربع التي هي في الأشياء المدبرة والغبيطة والمدبرة المفردة والغبيطة المفردة ونظم الحروف ونصب أفعالها وأسمائها إلى ما يتبع ذلك من عجائب الأعمال وكيف يقع حتى تكون في ذلك دلائل على ما يحتاج إليه من صناعة الميزان، فأعلم ذلك.

وليس القول في الميزان في هذه الأشياء بأخص من القول في الفلسفة. ولما كان هذا الكتاب الأول من هذه الكتب كالموضوع والجامع لما يحويه كل واحد من هذه الكتب كنا محتاجين إلى القول في القواعد المحتاج إليها في علم الميزان وفي علم الفلسفة، فإن قواعد الفلسفة هي قواعد الميزان أو بعض قواعدها قواعد الميزان. فإننا مقدمون قواعد الفلسفة وذاكرون ما يخص الميزان من بعد ليكون ذلك كالمقدمة لما يتلوه، إذ كنا إنما نذكر فيها نحن تلك العلامات فقط.

فإنه ينبغي أن تعلم أولاً موضع الأوائل والثواني في العقل أولاً كيف هي حتى لا تشك في شيء منها ولا تطالب في الأوائل بدليل وتستوفي الثاني منها بدلالته وتطالب به في أوضاع جميع الأشياء، فاعلم ذلك حتى لا تكون على عذر من علمك وما أنت فيه، إن شاء الله تعالى.

فقول في هذه المقالات:

- (أ) إن الأشياء لا تخلو من أن تكون قديمة أو محدثة.
- (ب) والقديمة والمحدثة لا تخلو من أن تكون مرئية أو غير مرئية.
- (ج) والمرئي وغير المرئي لا يخلو من أن يكون مركباً أو بسيطاً.
- (د) وإن جزء المركب ليس هو كمثل المركب ولا يحكم به عليه. وإن جزء البسيط كالبسيط كله وحكمه حكمه، فاعلم ذلك وتبينه.
- (هـ) وإن كل عظم فإنه متجزئ إلى ذاته.
- (و) وأيضاً فإنه لا يكون تركيب إلا من جزأين ولا يكون تركيب الجزأين إلا بمركب لهما.

- (ز) وأيضاً فإن كل مركب لا بد من أن يكون ذا جهات.
- (ح) ولا يتصور في العقل أنه يمكن أن يكون عظم لا نهاية له فإن ذلك سخف

ولا ينبغي أن ينازع فيه ولا يمارى، فإنه مسلم في العقول السليمة وهي توجب ذلك، فاعلمه واعمل به.

(ط) وأيضاً فإن المسافة التي لا نهاية لها لا يمكن أن تقطع في زمان ذي نهاية البتة.
(ي) وأيضاً فإنه لا يمكن أن يكون شيء لا نهاية له لا جرماً ولا فعلاً ولا قوة، وكذلك ينبغي أن يتصور في العقل، فاعلمه واعمل به.
(يا) وأيضاً فإنه لا يمكن أن يكون للجرم لا نهاية له قوة ذات نهاية فإنه كالقائم القاعد في حالة واحدة.

(يب) وأيضاً فإنه لا يمكن الجرم الذي لا نهاية له أن يتحرك ب كله أو ببعضه، فإن هذا مما ينبغي أن يفرد ويحفظ.

وقد كنا ذكرنا مثل هذه الأوضاع في كتاب الإمامة للعلّة التي ينبغي أن يعرف هنا الإنسان هذه المقدمات، فاعلمه والسلام.

(يج) وينبغي أن تعلم بالضرورة أن العلة قبل المعلوم بالذات.
(يد) وأنه لا يمكن أن يكون ذات ما لا يكون لا علة ولا معلوم.
(يه) وأيضاً فإنه لا يمكن أن يرتفع عن جرم مركب صفة وضدها لا واسطة بينهما ولا أن يحكى أيضاً، فإن هذا من وجوه التقييح (يو) وأيضاً فإنه لا يمكن أن يكون الفعل للشيء بالقوة أبداً ولا يتصور، فاعلمه وتبينه.
(يز) وأن تعلم أن الذي لم يزل لا يبطل ولا يضمحل.
(يح) وإنه لا يمكن أن تكون الحياة لجرم إلا بالنفس.
(يط) ولا يمكن أن يكون جرماً قابلاً للنفس بالفعل لا يكون حياً.
(ك) ومنها أنه لا يمكن أن يدخل جرم على جرم إلا ومكاهما جميعاً أكبر من مكان أحدهما.

(كا) وأيضاً إنه لا يمكن فراغ من جرم.

(كب) وإنه لا يمكن للأجرام أن يكون بعضها كوامن بعض، وإن حدوث بعضها من بعض لعلّة غير الكمون ما كانت. فاعلم ذلك وتبينه وابن أمرك عليه.
وتعلم أيضاً في قسم الميزان أن الحروف موضوع الموازين، والذي يجمعها سبع

مراتب وهي المسماة المرتبة والدرجة والدقيقة والثانية والثالثة والرابعة والخامسة.
وإن كل واحد يتكرر أربع مرات، كل واحد من التكرير يكون في المراتب أربع
مرات، كل مرة تكون على قسم من الحساب إلى أن يترقى إلى سبعة عشر، فأعلم ذلك
وتبينه.

وإن ما دون المرتبة يتكرر خمس عشر مرة- وقد أنبأنا ذلك في كتابنا التقدير-
وإن كل أربع مراتب من الحروف تكون مثل واحد مما فوقها إلى أن يبلغ إلى المراتب
فيكون على ما رسمناه.

وأيضاً فإن هذه الأشياء ينبغي أن تكون للإنسان كالأوائل إذ ما في الميزان أكثر
من هذا العلم كثير جداً حتى يصل من ذلك إلى حقائقه.

وكأن مثال المراتب أبدا ا ب ج د وما دون هذه الأربعة الحروف فعلى ترتيب إلى
الخوامس.

وإنه ينبغي أن يكون قد تصور الإنسان خطأ من جانب منه ا ومن جانب منه
هـ هـ هـ أربع مرات، فإن أوزان ذلك تكون صحاحاً في المماثلة.
فإنه متى زيد على ذلك آخر إما من الدرج أو ما دونه كان الميل إلى جانب هذه
الأحرف أكثر.

وإن من سبيل هذه الحروف أن تجعل حيال المرتبة من جنسها، فإنها تكون بإزائها
سواء إن كانت من الأولى كانت من الأولى وإن كانت من الثانية كانت من الثانية
وكذلك في الثالثة والرابعة.

وإن كل أربعة مما تحت هـ توازي هـ واحدة كقولنا ط ط ط ط فإنها مثل
هـ واحدة، فأعلم ذلك وتبينه فإنه قاعدة علم الميزان.

وإن و و و و مثل ب وإن ز ز ز ز مثل ج وإن ح ح ح ح مثل د، وإن ذلك
في المماثلة.

وإنه متى أريد العكس كان الحرف مثل الحرف من تلك المرتبة بعينها أو مثل
أربعة مما تحتها، كقولك أ فإن ب مثلها في أي مرتبة كانت، وكذلك ج حيال د.

هذا في المقابلة، فإن لم يوجد أ ل ب لا ولا ج لا ولا د ل ج فما دون المرتبة

التي تقابلها تلك المرتبة، مثال أ فإن تجعل حياله و و و و وفي المقابلة أ، و ب تجعل
حياله ه ه ه ه فإنه مثله في العدد، و ج فحياله ح ح ح ح، أو د فإن مقابله
ز ز ز ز فإنه يكون مثله.

وكذلك كل واحد من هذه الحروف كأربعة مما تحته، ثم يجب أن يكون قد جود
ذلك في كتاب التقدير فقد شفيناك فيه، ثم تدخل بعد ذلك إلى علم الميزان وتكون قد
أحكمت ما في الكتاب الحاصل والقول في اللغة والحكم على العشاري إلى الثماني وما
في كتاب السر المكنون من أوضاع الحروف ومخارجها إلى ما يتبع ذلك من هذه
الأحوال حتى لا يضل عليك واحد من أحكامها ولا يغيب من بين عينيك ويكون ذلك
قياسا لما سيمر بك، إن شاء الله تعالى.

وينبغي أن يستوفى من كتابنا هذا جميع أوضاع هذه الكتب الخواص حتى لا
يشك في واحد منها ويؤخذ من موضعه ولا يصعب عند الطلب على المعنى، إن شاء
الله عز وجل.

تمت المقالة الأولى من كتاب الخواص الكبير وتعرف بكتاب الجمع.

المقالة الثانية

من كتاب الخواص الكبير

لأننا نحمد الله وقوته ومشيبته، قد قدمنا في المقالة الأولى أنا ذاكرون من أحوال
الميزان في هذه المقالة وهي الثانية.

فإننا نحتاج أن نخبر من جنس الخواص في العشر المقولات ليكون هذا القول
مشملا على تصحيح هذه الأشياء وليكون الكلام فيها مستوفى تاما لا يشوبه شك
ليعلم من الخواص أن قاعدة الميزان حق.

فمعلوم أن أول المقولات الجوهر وهو البحث الأول، فإننا نريد أن نقول فيه
بحسب الواجب حتى ننظر كيف صحة ذلك، إن شاء الله تعالى.

البحث الأول: من الجواهر

لن يخلو هذان الكونان -وأعني بهما كون الميزان وما يخرج فيهما- أن يكونا حقا أو باطلا، وهي كون إذا كانت معقولة، والسلام.

فإنهما لن يخلوا من أن يكونا:

(أ) جوهريين، أو (ب) عرضيين، أو (ج) أحدهما جوهرًا والآخر عرضًا، أو (د) كل واحد منهما أو أحدهما جوهرًا وعرضًا، أو (هـ) كل واحد منهما أو أحدهما لا جوهرًا ولا عرضًا.

فانظر إلى هذا التقسيم ووفائه وما يشتمل عليه من المعاني، ولتعلم أن في هذا الكلام تنبيها للتوحيد، والكلام يجمع الاثنيين، فاعلم ذلك واستخرجه تجد ما فيه بسهولة، إن شاء الله تعالى.

(هـ) فإن كانا أو أيما كان منهما لا جوهرًا ولا عرضًا، وجميع المقولات إما جواهر وإما أعراض.

فإذا هو محسوس ولم يكن أحد المقولات، فهو ليس. وقد كانت المقدمة أنهما أيس. فهما أيس ليس، وهذا من أشنع المحال.

(أ) وإن كانا جوهريين بلا أعراض ووجب أن تكون الأعراض محدثة إذ هي موجودة. وإن كانت موجودة محدثة فلا يخلو الإحداث من أن يكون منهما أو من غيرهما.

فإن كان من غيرهما فقد صارت ثلاثة أصول أو أكثر من ذلك، وليس ذلك موجودا في الميزان ولا التوحيد، فاعلم ذلك وقد يجب في الثلاثة ما يجب في أوائل الكثرة التي هي الاثنان من التناقض.

فإذا علم الميزان واحد والقول الحق في التوحيد وذهب ما حكيناه عنهم في صدر كتاب المزاج.

وإن كان الإحداث منهما فيكون فيهما ما هو عدم فيهما.

وهذا المحال والتناقض الواضح إذا كانا جرمين، إلا أن تدخل في ذلك الاستحالة فيجب من ذلك أن أزليتهما تبطل وتضمحل والعلة مع المعلول مفارقة.

وقد أوضحنا فيما سلف أن الذي لم يزل لا يبطل ولا يضمحل، وأن المعلول لا بد له من علة، فاعلم ذلك.

(ج) وإن كان أحدهما جوهرًا والآخر عرضًا فالعرض لا يقوم بذاته ويحتاج إلى غيره ليكون قوامه به.

فالعرض في الجوهر إذا هو ذات واحدة موصوفة بصفاتهما من الكم والكيف والإضافة والمكان والزمان والنسبة والقنية والفعل والانفعال.

فيلزمه النهاية في الجثة—وهذا واجب في الميزان غير واجب في التوحيد—لأن المكان يطيف به، والإحداث لأن الزمان عدة.

وهذا من أفحش التناقض أن يكون لا متناهيا قديما محدثا، ثم يلزمه في جميع الصفات مثل الذي لزمه في هاتين الصفتين.

ويجب أن تعلم أن بحق ما قدمنا خواص التوحيد والعلم، فإنها أولى بالتقديم ووحق سيدي إن علم ما في هذه المقالات واستخرج وصبر على درسها ليلبغ الدارس لها ما يريد سريعا، إن شاء الله.

(د) وإن كان كل واحد منهما جوهرًا وعرضنا لزم كل واحد منهما من النهاية والإحداث ما لزم الجوهر بأعراضه.

(ب) وإن كانا عرضين فكل عرض لا يقوم إلا في غيره. وكل ما لم يتم إلا في غيره وكان غيره ليس فهو ليس. فهما ليس وهما كونان، والكونان أيس، فالليس أيس، وهذا من أشنع المحال.

فقد أوضحت جميع أبحاث هذين الأصلين وخواصهما من جهة الجوهر والعرض وفساد ما فسد من الأقسام وما فيه من صحيح، فيجب أن يعمل بالصحيح ويلقى الذي ليس بصحيح.

فينبغي أن تعلم وتقيس عليه، إن شاء الله تعالى.

البحث الثاني: من الكم وحده

لا يخلو جرما الكونين من أن يكونا (أ) كليين، أو (ب) جزئيين، أو (ج) أحدهما كليا والآخر جزئيا، أو (د) كل واحد منهما أو أحدهما كليا جزئيا، أو (هـ) كل واحد منهما أو أحدهما لا كليا ولا جزئيا إن أمكن ذلك.

(ا) فإن كانا كليين فلهما أجزاء. وإن كانت لهما أجزاء فلكل واحد من أجزائهما أطراف.

فأجزاؤهما محدودة، وكل ما كان محدود الأجزاء فمحدود الكل كما بينا وأنبأنا فيما تقدم.

والمحدود متناه إلى غيره إما جرم وإما عدم. فمعهما غيرهما، وهما ولا غيرهما. وهذا من أشنع المحال.

وهذا في الميزان عجيب أن لا يدخل أحد العلوم عليها لا التدبير ولا غيره. وهذا الذي نقول إنه أول وعظيم النفع في خواص القدم والتوحيد -تعالى علوا كبيرا- ونقض عظيم على الثنوية. كذا أخبرني سيدي وأمرني أن أقول وأصنف.

(ب) وإن كانا جزئيين فلهما كلان أو كل لكل واحد منهما، فأما كان وجب فيه ما وجب في الكليين ذوي الأجزاء.

(ج) وإن كان أحدهما كليا والآخر جزئيا ولا غيرهما فالجزء منهما جزء الكل منهما والكل منهما كل الجزء منهما.

فهما ذات واحدة أحدهما جزء من الكل، فمتى أفرد الجزء صار ما بقى من الكل جزءا أيضا، فيكون الكل كلا جزءا من جهة واحدة، وهذا من أشنع المحال.

ويكونان إنما يستحقان اسم الكل وهما ذات واحدة، فيبطل القول بالاثنين. والكل ذو أجزاء، وأجزائه محدودة، فكل جزء منه محدود، وكلية الأجزاء محدودة كما بينا فيما سلف فالكل محدود ويجب في المحدود ما يجب فيما قدمنا في الأبحاث الأولى.

(د) وإن كان كل واحد منهما جزئيا كليا فأما كان منهما كذلك فلن يخلو من أن يكون ذلك منه من جهة واحدة أو من جهتين مختلفتين.

فإن كان من جهتين مختلفتين فهو جزء لما هو أكثر منه كل لما هو أقل منه، فيجب أن يكون ما لا نهاية له أنه متناه إلى ما هو أكثر منه.

فيكون متناهما لا متناهما ولا متناه أكثر مما لامتناه، وهذا من أشنع المحال.

وهذا من الخواص في اللفظ ومن خواص الأصباغ وثباتها، فاعلم ذلك.

وإن كان ذلك من جهة واحدة فهو كل لا جزء وجزء لا كل معا، وهذا من أشنع المحال.

(هـ) وإن كانا أو أيما كان منهما لا كلياً ولا جزئياً فقد ثبت جرم لا كل له ولا جزء له.

وقد أوضحنا فيما تقدم أنه لا يمكن أن يكون جرم لا كل له ولا جزء له.

فقد أوضحت يا سيدي ومولاي جميع أبحاث الأصلين من جهة، الكم وفسادها وصلاحتها، وذلك ما أردنا أن يعلم كما أمرت يا سيدي.

وإن شاء الله نأخذ في البحث الثالث من جهة الكيف كما قدمت في صدر هذا الكتاب.

البحث الثالث: من الكيف

لا يخلو نور الكون الذي لم يزل منيراً وظلام الكون الذي لم يزل مظلماً—وهذا تأخذه من المزاج لنا حتى يتبين ويتضح لك ما في ذلك الكتاب وما ههنا—فإنه لا يخلو من أن يكون منهما أو من غيرهما.

(أ) فإن كان من غيرهما فلا يخلو من أن يكون الذي منه النور هو الذي منه الظلام، أو يكون الذي منه النور غير الذي منه الظلام، فيجب ثالث ورابع وتبطل أزلية ذلك.

لأن ذلك متى قيل فيه إن العلم يحتاج إلى علم وذلك العلم إلى علم ارتفع العلم وكان إلى ما لا نهاية له، ويجب في أصناف الكثرة ما يجب في أوائل الكثرة التي هي اثتان.

فإنه إذا لم يجب أن يكون الأول أولاً فلا علم للعلم ولا ميزان للميزان، فهي

أولى في العقل، وكذلك هي لكل شيء ففي طباعه ذلك قائم فيه، والسلام.

(ب) فإن كان منهما فلن يخلو من أن يكون كل واحد منهما صرف الطبيعة - أي: نورا صرفا وظلاما صرفا- أو يكون كل واحد منهما مشوب الطبيعة.

فإن كان واحد منهما مشوب الطبيعة فالمشوب الطبيعة هو الذي قد خالط طبيعته طبيعة أخرى غيرها.

والذي قد خالط طبيعته طبيعة أخرى غيرها ممزوج، فهما لم يزالا ممزوجين، والممزوج هو الذي قد اتحد بغيره بعد أن كان مباينا لغيره اتحادا لا يدرك معه صنف كيفية واحد منهما على الحقيقة، أو قسما بغاية ما يدرك.

فإن كان كذلك في الكم وجب في بعضه ألا يتمكن وفي بعضه التمكن.

فوجب أن يكون كل واحد منهما متمكنا لا متمكنا، فيكون كل واحد منهما لم يزل على حال لم يزل على ضده، وهذا من أشنع المحال.

وهذه الحدود أيضا على رأي من قال إن العلة الأولى ذاتها العقل، والعقل ذاته العلم، والميزان ذاته العلم.

فاعلم ما تحت ذلك ومن ههنا استخراجها، وليس الميزان مما يشارك الفلسفة وغيرها.

فانظر لا تخطئ لأن كل فلسفة وعلم فهو ميزان، فكأن الميزان جنس صناعة الفلسفة وكل شيء داخل تحت الفلسفة، والسلام.

ونقول على تمام الأقسام في الكيف: فإن كان ذلك في الزمان فلن يخلو ذلك من أن يكون في وقتين مختلفين أو في وقت واحد.

فإن كان في وقتين مختلفين فقد وجب في الذي لم يزل ضد ما لم يزل وهو لم يزل، فيكون لم يزل أحدث من لم يزل، وهذا من أشنع المحال وقد أوضحنا ذلك في المزاج بغاية الإيضاح.

وإن كان ذلك في وقت واحد فقد كان الأزلي لم يزل على حال لم يزل ضدها.

وهذا من أشنع المحال. فقد أوضحنا جميع أبحاث هذا الباب، فاعرف فاسده من صالحه، إن شاء الله تعالى.

البحث الرابع: من الزمان

ليس يخلو الكونان إذ هما جرمان لم يزالا من أن يكونا (أ) دائمين، أو (ب) لا دائمين، أو (ج) أحدهما دائما والآخر لا دائما.

في زعمهم، لأهم يرون بذلك أن تكون ذات العلة العقل، فسعى ثبت ذلك ثبت ما قلناه، وأنه القسطاس المستقيم أي: هو العدل، والعدل ذات العلة، فاعلم ذلك فقد ثبت من كل جهة، لكن أنا أعتقد غير ذلك.

وذلك أي أعتقد أن العدل ذات العقل، والميزان ذات العدل، وهذا صحيح، وأدفع القول الأول، لأن ذلك عندي هو مادة العقل كما قلنا ذلك في المزاج، إذ هو طبيعة الطبيعة وزمان الزمان.

وكذلك في كل واحد من هذه، إذا قيل فيه فذلك علته ولا يلحقه ولا فيه منه شيء إلا قدرته تعالى عن أقوال المشبهين علوا كبيرا.

ولا يخلو من أن يكون (د) كل واحد منهما دائما لا دائما.

(أ) فإن كانا دائمين وكل دائم غير فان، وما لم يكن فانيا فليس بمتغير، وكل ممتزج متغير، فهما غير ممتزجين بعد أن لم يكونا ممتزجين، وقد زعموا أن المزاج محدث، وقد تبين أن المزاج ليس، والمزاج موجود، فهو أيس ليس.

أو يكون المزاج لم يزل والمزاج أثر فعل الممازج في الممزوجين، وأثر فعل الممازج في الممزوجين إنما يكون بعد أن لم يكن أثرا وبعد انفرداهما.

فالمزاج بعد الصرفية، فالمزاج لم يزل والصرفية قبله، فلم يزل قبله شيء إما لم يزل وإما محدث.

فإن كان لم يزل فلم يزل قبل لم يزل، وإن كان محدثا فمحدث قبل لم يزل، وهذا من أشنع المحال.

فوحق سيدي إنه علم لاهوتي نبوي إذ ليس في وسع واحد من المخلوقين أن ينطق بمثله، والسلام.

والمزاج موجود، فديمومة جرمين لم يزالا ليس.

(ب) وإن كانا غير دائمين وهما لم يزالا فالذي لم يزل يبطل ويضمحل.

وقد بينا فيما تقدم أن الذي لم يزل لا يبطل ولا يضمحل، وهذا خلف.
ففناء جرمين لم يزالا، ففناءهما ليس وديمومتها ليس، فهما إذا ليس، لأنه لا
يمكن أن يرفع عن جرم صفة وضدها لا واسطة بينهما كما قلنا، فليس إذا يمكن أن
يكونا جرمين لم يزالا.

(ج) وإن كان أحدهما دائما والآخر غير دائم وجب في الدائم ما وجب في
الدائمين، وفي الغير دائم ما وجب في الغير دائمين.

(د) وإن كان كل واحد منهما أو أيما كان منهما كذلك دائما غير دائم فقد
وجب أن الذي لم يزل على حال لم يزل على ضدها. وهذا من أشنع المحال.
وقد أوضحت جميع أبحاث الأصلين من جهة الزمان فسادهما وصلاحهما
وحقهما وكذبهما، وذلك ما أردنا أن نبين.

ومن خواص هذه المناقضات وهذا الكلام أن الحجج فيه تراها واضحة لا على
سبيل الجدل والكلام والمنطق وانغلاقه لكنه صفو الجميع.

ونحن نسأل الله الجزاء على ذلك، وينبغي أن تدعو لنا بالرحمة، فإنه جزاءنا
عليك، وأرجو أن يفضل الله علينا بذلك، إنه جواد كريم.

ونحتاج أن نقول الآن في بقية الأبحاث لتمام هذا الكتاب ونحن بادعون بإذن الله
وبه القوة.

البحث الخامس من النصبة

لا يخلو الكونان إذ هما جرمان من أن يكونا (أ) على جهة من جهاته، أو (ب)
يكونا لا على جهة من جهاته، أو (ج) يكون أحدهما على جهة من جهاته والآخر لا
على جهة من جهاته، أو (د) يكون كل واحد منهما أو أحدهما على جهة من جهاته
لا على جهة من جهاته.

(أ) فإن كان كل واحد منهما على جهة من جهاته فهما متناهيان، وكل جرم
جرم متناه محدود. وقد ذكرنا أنهما لا متناهيان. فهما متناهيان لا متناهيان، محدودان لا
محدودان، وهذا من أشنع المحال.

(ب) وإن كان كل واحد منهما لا على جهة من جهاته فإما أن لا يكونا شيئا

ألبتة وإما أن يكونا لا جرمين.

لأن كل جرم على جهة من جهاته، لأن لكل جرم وضعاً ما، فإن لم يكونا شيئاً ألبتة وقد قيل إنهما شيئان فقد وجب إذا أن لا شيء شيء، وهذا من أشنع المحال، وإن كانا لا جرمين وقد زعموا أنهما جرمان فلا جرمان جرمان، وجرمان لا جرمان، وهذا من أشنع المحال.

(ج) وإن كان أحدهما على جهة من جهاته والآخر لا على جهة من جهاته لزم في الذي على جهة من جهاته ما لزم في اللذين على الجهتين من جهاتهما أن يكون متناهي لا متناهي، محدوداً لا محدوداً.

وفي الذي لا على جهة من جهاته ما لزم في اللذين لا على جهة من جهاتهما من أنهما شيء لا شيء جرم لا جرم.

(د) وإن كانا أو أحدهما كان منهما كذلك على جهة من جهاتهما لا على جهة من جهاتهما فلن يخلو ذلك من أن يكون في وقتين مختلفين أو في وقت واحد.

فإن كان ذلك في وقتين مختلفين فقد شيئاً لا شيئاً جرماً لا جرماً، ثم انتقل فصار جرماً متناهي لا متناهي محدوداً لا محدوداً.

أو كان جرماً متناهي لا متناهي محدوداً لا محدوداً فصار شيئاً لا شيئاً جرماً لا جرماً، فانتقل من محال إلى محال تقادم بعضه بعضاً، وكفى نعمه المقر بذلك والقائل له عما.

وإن كان ذلك في وقت واحد فقد وجب أن الذي لم يزل على حال لم يزل على ضدها، فلم يزل قبل لم يزل، ولا شيء شيء، وجرم لا جرم، ومتناه لا متناه، ومحدود لا محدود.

وهذا غاية شناعات المحال لأنه مركب مكعب في الترتيب.

وقد أوضحت جميع أبحاث هذين الأصلين من جهة النسبة وفسادهما وصلحتهما من جميع أقسامها، وذلك ما أردنا أن نبين.

البحث السادس: من القنية

لا يخلو الكونان من أن يكونا (أ) ذوي صور متناهية يقع عليها العدد، أو (ب) لا يكونا كذلك، أو (ج) يكون أحدهما كذلك والآخر لا كذلك، أو (د) يكون أحدهما أو كل واحد منهما كذلك لا كذلك.

(ا) فإن كانا ذوي صور متناهية متباينة يقع عليها العدد فكل صورة منها محدودة، وكل محدود متناه، وكل متناه فتناهيه إلى غيره، فالأوائل كثيرة وقد بطلت الاثنينية، ووجب مع الذي لا غيره غيره، وهذا من أشنع المحال.

وكل محدود أيضا متناه، وكل متناه فله أقطار، وكل ما كان له أقطار فله جهات، وكل ما له جهات فهو جرم، وكل جهة منها غير سائر جهاته، وكل ما كانت فيه الغيرية وهو جرم، فهو منقسم، وكل منقسم وهو جرم فهو متبعض، وكل متبعض مركب، وكل مركب فلا ذات أزلية له.

فالكونان لا ذات أزلية لهما، والكونان بزعمهم أزليان لا أزليان، وهذا من أشر المحال.

(ب) وإن لم تكن لهما صور متناهية يقع عليها العدد فهما صورة واحدة، وقد بطلت الاثنينية، أو كل واحد منهما صورة واحدة، فإن كان كل واحد منهما صورة واحدة فكل واحد منهما محدود ويلزم في المحدود ما ذكرنا في صدر البحث.

(ج) وإن كان أحدهما كذلك والآخر لا كذلك فأحدهما محدود ولزم فيه إذ هو محدود بطلان الأزلية والاثنينية كما ذكرنا، والآخر إما أن يكون ذا صورة واحدة وإما أن يكون لا صورة له.

فإن كان ذا صورة واحدة فهو محدود أيضا ويلزم فيه ما ذكرنا، وإن كان لا صورة له وهو بزعمهم جرم، وكل جرم له ثلاثة أقطار: طول وعرض وعمق، وكل ما كان له طول وعرض وعمق فله ست جهات: أمام وخلف ويمين وشمال وفوق وتحت، وكل ما كانت له هذه الجهات فله صورة، فالكون الذي لا صورة له له صورة، وهذا من أشنع المحال.

(د) وإن كانا أو أحدهما ذوي صور متباينة يقع عليها العدد لا ذوي صور

متباينة يقع عليها العدد وأما كان منهما كذلك فلن يخلو من أن يكونا كذلك في وقتين مختلفين أو في وقت واحد.

فإن كان ذلك في وقتين مختلفين فهو في وقت محدود وفي وقت لا محدود.

وإذا كان محدودا فحدده غيره إما جرم وإما عدم، فغيره معه في وقت لا معه في وقت، فتن يخلو من أن يكون أزليا أو لا أزليا، فإن كان أزليا وهو في وقت فالأزلي يحدث وييطل، والأزلي قبله أزلي.

وهذا من أشنع المحال، وإن كان لا أزليا فهو محدث فقد حدث مع الأزلي الذي له حد ما حده ويلزمه إذ هو محدود ما قدمنا في صدر البحث من بطلان الأزلية، فيكون الأزلي لا أزليا، وهذا من أشنع المحال.

وإن كان ذلك في وقت واحد فهو ذو صورة لا ذو صورة في وقت واحد، فالأزلي لم يزل على حال لم يزل على ضدها، وهذا من أشنع المحال.

فقد أوضحت جميع أبحاث الأصلين من جهة القنية فسادهما وصلاحهما في جميع أقسامها، وذلك ما أردنا أن يعلم.

وهذا يا أخي ليس يصلح للمبتدئ البتة. فأحذرك الله أن تقربه لغير المرتاض حتى يستخرج من جملته جميع ما فيه من العلوم العلوية الأوائل الخواص أيضا لا كما يوجد في جميع العلوم من الخواص وغير الخواص.

وستعلم ما الفرق بين الخواص وغير الخواص في خلال ذلك من هذه الكتب. ولتعلم أيضا أن كتبنا هذه ليست منظومة نظما صحيحا وإنما يجب أن تجمع فنونها إلى موضعها وتلي كل شيء بما هو فيه حتى تستوعب منها علما علما، إن شاء الله تعالى.

إذ قد أتينا على ما وعدناك به من جميع الأبحاث التي يستنبط منها علم الخواص في الأصول القديمة فإننا نحتاج أن نقول الآن في الفروع على تدرج وترتيب حسب ما فعل في كل واحد من العلوم إلى أن نأتي على آخر ذلك، إن شاء الله تعالى. تمت المقالة الثانية من كتاب الخواص الكبير.

المقالة الخامسة: من كتاب الخواص الكبير

لأننا قد كنا قدمنا في ترتيب كتب الخواص القول في ترتيب الموازين منها وجعلنا في القول الثاني بعض العلم على كنه حقيقتها ونحن نروم أن يكون جميع علم الميزان في هذه الكتب فإننا نحتاج أن نقول على تمام القول الثاني ههنا، ومع أن ذلك شرح وكشف رمز إذ قد قلنا أن بعضها يتصل ببعض، فاعلم ذلك وصل ما وجب أن تصله به.

وإياك وإهمال لفظة واحدة من ألفاظي في كتيبي هذه، فوحي سيدي ما فيها لفظة واحدة باطلة، فلا تتهمنا بذلك لكن اتهم نفسك فيه وأنت أعلم.

ونحتاج أن نقول في أبحاث الفاعل على إيجاب الميزان وخواصه وخواص القدم والعقل والعلم وكيف صورة ذلك من هذا الباب حتى يتضح القول من جميع جهاته على صحة ذلك ويستمر بك طرائف العلوم من هذه الكتب.

البحث من جهة الفاعل

فنقول: إن البحث إذا كان من جهة الفاعل فإنه لا يخلو الكونان—إن كان هذا العالم مزاج بعضهما وهما قديمان لا غيرهما والمزاج إحداث منهما وإحداثهما فعلهما لا بد من ذلك—ولا بد من أن يكون:

(أ) كل واحد منهما يفعل المزاج في صاحبه وصاحبه يفعل المزاج في صاحبه، أو
(ب) أحدهما يفعل المزاج في صاحبه، أو (ج) لا يكون واحد منهما يفعل المزاج في صاحبه.

(ج) فإن لم يكن واحد منهما يفعل المزاج في صاحبه فلا فعل، والمزاج فعل، فلا مزاج.

والعالم مزاج والميزان مزاج، فلا عالم بأسره، فكيف ميزان؟ والعالم ليس، والعالم موجود، وكل موجود أيس، فالعالم أيس والعالم ليس، والليس أيس، وهذا من أشنع المحال، فاعرفه.

(ب) وإن كان أحدهما يفعل المزاج في صاحبه فلا يخلو ذلك الفعل من أن يكون لم يزل أو محدثا.

فإن كان لم يزل فالمزاج لم يزل، والعالم لم يزل، والميزان لم يزل، وهو مذهب

سقراط، وقد أوضحناه في كتاب المزاج، وقد بينا ثم أيضا كيف فساد ذلك على أصلنا، والسلام.

وإن كان ذلك الفعل محدثا فقد كان فلا فعل، ثم أبدع الفعل عن ليس.
والفعل أيس، فيجب أن يكون تبدع الأيسات عن ليس، فيكون المفعول -أعني الطبيعة- مبدعة عن أيس.

فيكون مفعول أيس عن ليس، فيجب من ذلك أن يكون إبداع الأيسات عن ليس وبطلان قولهم. فاعرفه وكن عليه، إن شاء الله تعالى.

أو يقولوا: كان قبل أن يفعل له الفعل بالقوة، وقد أوضحنا في المقالة الأولى أنه لا يمكن أن يكون الفعل لشيء ألبتة بالقوة.

(١) وإن كان كل واحد منهما يفعل المزاج في صاحبه فلا يخلو من أن يكونا لم يزالا فاعلين لمزاج بعضهما، أو فعلهما المزاج محدث.

فإن كانا لم يزالا فاعلين لمزاج بعضهما فمزاج بعضهما لم يزل، ومزاج بعضهما هو العالم بزعمهم، فالعالم والميزان لم يزل، وقد أوضحنا فساد ذلك في موضعه. فاعرفه واجتث عنه، إن شاء الله تعالى.

وإن كان فعلهما المزاج محدثا وجب في ذلك ما وجب في إحداث فعل الواحد من إيجاب إبداع الأيسات عن ليس.

فليس يخلو أيضا إن كان فعلهما المزاج محدثا من أن يكون لم يسبق أحدهما الآخر في الفعل، أو يكون سبق أحدهما الآخر في الفعل.

فإن كان فعلهما المزاج معا وفي دفعة واحدة فكل واحد منهما مازج صاحبه ممزوج صاحبه، والمزاج غير الممزوج، فكل واحد منهما غير نفسه وغير صاحبه، وهذا من أشنع المحال، فاعرفه إن شاء الله تعالى.

وإن كان أحدهما سبق الآخر بالفعل فلا يخلو السابق من أن يكون تناهت قوته فوق فعله وفعل الآخر، أو يكون لم تتناه قوته وفعل المسبوق والسابق فاعل أيضا.

فإن كانت تناهت قوة السابق فقد صار ما لا نهاية له متناهي القوة، وقد أوضحنا فساد ذلك في القول الأول.

وإن لم يكن تناهت قوته وفعل المسبوق والسابق فاعل وجب من ذلك ما وجب من فعل كل واحد منهما في صاحبه معا من أن يكون كل واحد منهما غير نفسه وغير صاحبه.

وقد أوضحت جميع أبحاث الفاعل فسادهما وصلاحهما في الأصلين الأولين، فاعرف كل واحد بجملته والسلام.
ونحتاج أن نقول في ذلك من جهة الانفعال، فإنه لا بد منه ليكون تمام المقولات فيه على ترتيبه، إن شاء الله تعالى.

البحث الذي يكون من جهة الانفعال

لا يخلو الكونان من أن يكونا (أ) مركبين، أو (ب) لا مركبين، أو (ج) أحدهما مركبا والآخر لا مركبا، أو (د) كل واحد منهما مركبا لا مركبا أو أحدهما كذلك إن أمكن.

(أ) فإن كانا مركبين كانا منحلين إلى ما ركبا منه، وإن كانا منحلين إلى ما ركبا منه كانا دائرين.

وإن كانا دائرين فقد كان الوقت الذي قبل تركيبهما ولا هما ويكون الوقت الذي بعد انحلالهما ولا هما، وإذا كانت أوقات أولى وآخرة ولا هما كانا محدثين دائرين.

وقد زعموا أنهما قديمان لا دائران، فهما محدثان دائران قديمان دائمان، وهذا من أشنع المحال.

(ب) وإن كان لا مركبين فلا انفعال لهما، فإذا كانا لا انفعال لهما فلا تركيب منهما.

وإذا كانا لا تركيب منهما فلا مزاج منهما، وإذا كانا لا مزاج منهما ولا غيرهما فلا مزاج، فالمزاج ليس، والعالم وما فيه بزعمهم مزاج، فالعالم موجود، والموجود أيس، فالليس أيس، وهذا من أشنع المحال.

(ج) وإن كان أحدهما مركبا والآخر لا مركبا وجب في المركب من الإحداث ما وجب في المركبين، ووجب في إلا مركب هو ركب المركب أو يكون لم يركبه.

فإن كان هو ركه ولا غير المركب والمركب فالمركب محدث والمركب أزلي،
فالأزلي واحد وبطل ما قالوا.

وإن لم يكن هو ركب المركب ولا غيرهما فالمركب ركب ذاته. فلا يخلو أن
يكون ركبها وهو أيس، أو يكون ركبها وهو ليس.

فإن كان ركبها وهو أيس فقد كان قبل أن يركب ذاته، فلا معنى للتركيب،
وبعد قد كان قبل أن يركب ذاته—إذ كان أيسا— يمكن أن يكون تركيبها منه مركبا
أيضا.

وقد أوضحنا في الكتاب الأول من هذه الكتب أنه لا يمكن التركيب إلا من
مركب، والمركب محدث والمحدث من المحدث أزلي، وهو بزعمهم قديم، والقديم محدث
من محدث أزلي، وهذا من أشنع المحال.

أو يكون ركب ذاته وهو ليس. فيكون ما ليس فاعلا ذاتا، وتلك الذات هي
ذات ذلك الليس، فيكون كون ذاته بعده، وهذا من أشنع المحال.

(د) أو يكون كل واحد منهما مركبا لا مركبا أو أحدهما كذلك، فأما كان
منهما كذلك فلا يخلو من أن يكون بالكم أو بالزمان.

فإن كان كذلك بالكم وجب في بعض المركب ما وجب في أحد المركبين، وفي
بعض إلا مركب ما وجب في أحد إلا مركبين.

وإن كان كذلك بالزمان فلا يخلو من أن يكون كذلك في وقتين مختلفين أو في
وقت واحد.

فإن كانا في وقتين مختلفين فقد حدث في الذي لم يزل ضد ما لم يزل، وهو
عندهم على أي حال كان لم يزل، فيكون لم يزل أحدث من لم يزل، وهذا من أشنع
المحال.

وإذا حدث في الذي لم يزل ضد ما لم يزل أمكن فيه الاستحالة في الكل،
فيمكن أن تستحيل حياته—الذي ذكروا— إلى الموت وحمده إلى الذم وذمه إلى الحمد
وكونه إلى الفساد.

وإن كان ذلك في وقت واحد فهو مركب لا مركب في وقت واحد وحال واحد.

فيكون الأزلي لم يزل على حال لم يزل على ضدها، وهذا من أشنع المحال.
وقد أوضحت جميع أبحاث الأصلين من جهة الانفعال فسادهما وصلاحهما
لفساد جميع أقسامهما، وذلك ما أردنا أن نبين.

البحث من قبل الحياة والموت

ونحتاج أن نقول في آخر هذه المقالة مسألة أخرى في الحياة والموت ونجعله آخر
هذه المقالة، فإنه من الخواص العجيبة.

نقول: إنه لا يخلو الكونان من أن يكونا (أ) حين، أو (ب) ميتين، أو (ج)
أحدهما حيا والآخر ميتا، أو (د) كل واحد منهما حيا ميتا.
(أ) فإن كانا حين ولا غيرهما فالموت ليس، والموت موجود، والموجود أيس،
فالموت أيس ليس.

(ب) وإن كانا ميتين فالحياة ليس، والحياة موجودة، والموجود أيس، فالليس
أيس، وهذا من أشنع المحال.

(ج) وإن كان أحدهما حيا والآخر ميتا فلا يخلو الميت من أن يكون يقبل الحياة
من الحي، أو لا يقبلها منه.

فإن كان لا يقبلها منه فلن يصير حي الموت ألبتة لأنه لا موات في جوهره،
فموت الحي ليس، وموت الحي موجود، والموجود أيس، فالليس أيس، وهو من أشنع
المحال.

وإن كان قابلا للحياة فلا يخلو قبوله من أن يكون دائما أو غير دائم، فإن كان
دائما ولا غيرهما فهو حي دائم، فلا موت.

فالموت ليس، والموت موجود، والموجود أيس، فالليس أيس، وهذا من أشنع
المحال.

وإن كان قبوله غير دائم فلن يخلو ذلك من أن يكون من ذاته أو من الحي، فإن
كان من ذاته فقد حدث في الأزلي ما لم يكن فيه.

وذلك أنه لا يخلو من أن يسبق قوة قبول الحياة فيه قوة لا قبول الحياة، أو قوة لا
قبول الحياة فيه قوة قبول الحياة، فأحدهما حدث على الآخر.

فيكون الأزلي لم يزل على حال لم يزل على ضدها، وهذا من أشنع المحال، وإن كان ذلك من الحي فقد يفعل الحي ما يمنع الحياة.

فلن يخلو من أن يكون فيه حدث أو لم يزل، فإن كان حدث لزمه ما لزمه الموات من حدوث ما لم يكن فيه وما به يلزمه من ذلك.

وإن كان ذلك فيه لم يزل ففيه ما يمنع غيره قبول الحياة دائما، فالموت غير قابل للحياة دائما، فكل حي ليس موجودا ميتا، وكل ميت ليس موجودا حيا، والأحياء يوجدون يموتون، فوجد أن موتهم ليس، والليس أيس، وهذا من أشنع المحال.

(د) وإن كان كل واحد منهما حيا ميتا فلن يخلو أن يكون ذلك في الكل أو في الجزء، فإن كان في الجزء لزم كل واحد منهما في جزئه الحي وجزئه الميت ما لزم الكونين الحي والميت، وإن كان ذلك في الكل فلن يخلو ذلك من أن يكون في وقت واحد أو في وقتين مختلفين.

فإن كان في وقتين مختلفين فقد حدث في الذي لم يزل ضد ما لم يزل، فيلزمه أن تستحيل حالاته فيه فيكون الحي ميتا والمحمود مذموما.

وإن كان في وقت واحد كان حيا ميتا في حال واحدة، فيكون الأزلي لم يزل على ضدها، وهذا من أشنع المحال.

وهذا الباب من القنية، ولكنه حسن ولذلك أتينا به، وإذ قد أتينا على جميع ما وعدنا به فليكن الآن آخر هذه المقالة، إن شاء الله تعالى.

المقالة الخامسة عشر: من كتاب الخواص الكبير

سبحان المنفرد بالوحدانية الجبار الحنان المنان ذي الجلال والإكرام، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم.

إن الفائدة في أوضاع هذه المقالات ليست يسيرة لكنها غزيرة نفيسة خطيرة عظيمة في أوضاع الفلسفة ويجب أن تبحث عن هذه المقالات وما فيها حتى تعلم ما فيها.

فإن الفائدة تخرج لك عن قرب ويكون بها إيضاح كتبنا المستصعبة من كتب الموازين مثل كتاب المنتهى والميزان وما شاكل هذه الأشياء.

ونحتاج أن نقول في تمام ما قدمنا من الأبحاث ليكون القول منتظما مع عدد الكتب التي قد كنا رتبناها في صدر المقالة الأولى من هذه الكتب ليتم لك ما تريد منها إذا أنت أضفتها إلى الكتب التي قد ذكرناها لك أن فيها علم الميزان ورتبنا حسابها وأعدادها في غير موضع من هذه الكتب، فيجب أن تبحث عنه بحثا قويا تصل إلى ما تريد، إن شاء الله تعالى.

القول في التناهي

فقول: إنه لا يخلو الكونان من أن يكونا (أ) متناهيين، أو (ب) لا متناهيين، أو (ج) أحدهما متناهي والآخر لا متناهي، أو (د) كل واحد منهما متناهي لا متناهي.

(أ) فإن كان متناهيين فهما محدودان، وإن كانا محدودين فحادهما غيرهما إما جرم وإما عدم، فقد بطلت الاثنينية.

(ب) - وإن كانا لا متناهيين فلا مكان لهما، وإن كانا لا مكان لهما فلا ذهاب لهما في جهة من الجهات، وإن كانا لا ذهاب لهما في جهة من الجهات فلا حركة لهما. وإن كانا لا حركة لهما فلا امتزاج، والامتزاج عن حركة، فلا امتزاج لهما، وإن كانا لا امتزاج لهما ولا شيء غيرهما فلا امتزاج.

والعالم بزعمهم عن امتزاج، وإلا امتزاج فلا عالم، والعالم ليس، والعالم موجود، والموجود أيس، فالعالم أيس، والليس أيس، وهذا من أشنع المحال.

(ج) وإن كان أحدهما متناهي والآخر لا متناهي فالمتناهي محدود، وما حده غيره إما جرم وإما عدم، فقد بطلت الاثنينية، واللامتناهي لا أطراف له.

وما لا أطراف له لا فراغ منه، وما لا فراغ منه لا غيره، وما لا غيره فهو واحد، فقد بطلت الاثنينية، فأحدهما لا غيره لأنه لا متناه، والآخر متناه فهو وما تناهي إليه أكثر من واحد.

فهما واحد لا غير وهما كثير معاً، وهذا من أشنع المحال وأقبحه، فانظر فيه، وإياك يا أخي وإهمال مسألة منها، فإنها خواص وعلم صعب.

فإن أهملت منه شيئاً فإن الضرر عليك داخل وأنت من بعد أعلم، والسلام.

(د) وإن كان كل واحد منهما يقال عليه إنه متناه لا متناه أو أحدهما كذلك - إن أمكن أن يكون ذلك أو يتصور في العقل - فأما كان منهما كذلك فلن يخلو من أن يكون كذلك - أعني على تلك الحال - في وقتين مختلفين أو في وقت واحد.

فإن كانا كذلك في وقتين مختلفين فقد حدث في الذي لم يزل ضد ما لم يزل وهو لم يزل، فيكون لم يزل أحدث من لم يزل، وهذا من أشنع المحال.

وإن كان في وقت واحد كان متناهي لا متناهي في حال واحدة، فيكون الأزلي

لم يزل على حال لم يزل على ضدها، وهذا من أشنع المحال.
فقد أوضحت لك جميع أبحاث الأصوليين من جهة هذا الباب وفسادهما بجميع
فساد أقسامهما، وذلك ما أردنا أن نبين.

القول في التمام

وإن الكونان لا يخلوان إذا كانا جرمين من أن يكونا (أ) تامين، أو (ب) لا
تامين، أو (ج) أحدهما تاما والآخر لا تاما، أو (د) كل واحد منهما أو أحدهما تاما لا
تاماً.

(أ) فإن كان تامين فلهما كلية، وما له كلية له جزئية، وما له جزئية فلأجزائه
أطراف، وما كان لأجزائه أطراف فلكله أطراف، وما كان لكله أطراف فهو متناه.
وما كان متناهياً وهو جزء فتناهيته إلى غيره إما جرم وإما عدم، فمعهما غيرهما،
وقد زعموا أنهما لم يزالا ولا غيرهما، فهما لم يزال ولا غيرهما، ولم يزل معهما غيرهما،
وهذا من أشنع المحال.

(ب) وإن كانا لا تامين فهما ناقصان، وكل ناقص فهو جزء لكماله، فهما جزء
لكمالهما أو جزءان لكماليهما لم يزالا كذلك.

فلم يزالا وكمالهما ليس، فما هو لغيره جزء جزء لما ليس، وهما لم يزالا أيس
وكمالهما ليس، فالأيس جزء لليس، وهذا من أشنع المحال.

(ج) وإن كان أحدهما تاما والآخر ناقصاً وجب في التام ما وجب في التامين،
ووجب في الناقص ما وجب في الناقصين.

(د) وإن كان كل واحد منهما تاماً لا تاماً—أو أيما كان منهما كذلك—فلن
يخلو أن يكونا—أو الذي كان كذلك منهما—في وقت واحد أو في وقتين مختلفين.

فإن كان ذلك في وقتين مختلفين فقد حدث في الذي لم يزل ضد ما لم يزل،
وحدث في الذي لم يزل تاماً النقصان، وإذا حدث في الذي لم يزل تاماً النقصان أمكن
فيه الفناء، فيكون الذي لم يزل تاماً ينقص ويفنى، وهذا من أشنع المحال.

وإن كان ذلك في وقت واحد فإن الذي لم يزل على حال لم يزل على ضدها،
وهذا من أشنع المحال.

فقد أوضحنا جميع أبحاث الأصلين من جهة هذا الباب وفسادهما بجميع فساد أقسامهما، وذلك ما أردنا أن نعلم.

القول في القوة

وأيضاً فإنه لا يخلو الكونان من أن تكون قوتهما ذات نهاية أو لا نهاية لهما. فإن كانت قوتهما ذات نهاية فقد صار الشيء الذي لا نهاية له قوته ذات نهاية، وقد بينا فيما تقدم من القول في قواعد هذه المقالات وغيرها أنه لا يمكن أن يكون لشيء لا نهاية له قوة ذات نهاية، فلم يبق إلا قسم واحد وهو قولنا إذا إن قواهما لا نهاية لها.

فإن كانت قواهما لا نهاية لها فلن يخلو من التساوي في القوة أو زيادة إحداهما على الأخرى.

فإن كانت إحداهما أكثر من الأخرى فقد صار ما لا نهاية له أكثر مما لا نهاية له. وقد بينا فيما تقدم من قولنا أنه من العلوم الأوائل أنه غير ممكن أن يكون ما لا نهاية له أكثر مما لا نهاية له، فلم يبق إلا أن تكونا متساويتين.

وإن كانا متساويين فلن يخلو من أن يكون (أ) كل واحد منهما يطلب مخالطة صاحبه ب كله أو بجزئه، أو (ب) يكون كل واحد منهما لا يطلب ذلك، أو (ج) يكون أحدهما يطلب ذلك والآخر لا يطلب ذلك.

(ج) فإن كان أحدهما يطلب ذلك والآخر لا يطلب ذلك فلا يخلو الطالب من أن ينال مطلوبة أو لا يناله.

فإن ناله فقوته في الطلب أكثر من قوة الآخر في الامتناع، وقد كنا بينا فيما تقدم أنه لا يمكن أن تكون قوتاهما غير متساويتين.

فلم يبق إلا أن لا ينال الطالب مطلوبة، فيجب من ذلك أن لا يكون امتزاج^(١).

(ب) وإن كان كل واحد منهما لا يطلب مخالطة صاحبه واختلطاً فقد وجب أن يكون اختلاطهما عن غيرهما، فيجب ثالث، ولم يكن ثالث، لأنه يجب في الثلاثة ما

(١) المزج: الخلط.

يجب في الاثنین.

فلم يمكن أن يختلطا وهما لا يريدان ذلك وليس غيرهما، فقد وجب من هذا القسم أيضا أنه لا يمكن امتزاجهما.

(١) وإن كان كل واحد يطلب مخالطة صاحبه فلن يخلو من أن يكونا لم يزالا مختلطين، أو أن يكون اختلاطهما في وقت ما، أو يكونا لم يختلطا قط.

فإن كانا لم يزالا مختلطين فما الدليل على أنهما كونان ولم يكونا قط ممتازين؟ أو أن يكون أحدهما أحق بفعل ما من الآخر، وهما لم يزالا ذاتا واحدة؟ وأي مجال أعظم من قول قائل قال: إن ذاتا لم تنزل كانت قبل لم تنزل ذاتين لم تزالا، أو ذاتين لم تزالا صارتا ذاتا لم تنزل. فيجب من ذلك أن ما لم ينزل قبل لم ينزل، فهذا ما أردنا أن نبين.

فاعلم هذه القواعد يا أخي واستخرج منها علم الميزان فقط على أوضاع الحروف الذي هو الشيء المستصعب الذي هو وضعي.

لكن لما كان وضعيا فإن التأليف فيه طبعي خاصي، وإنه إنما يعمل الميزان بالشيء الذي هو ضروري وهو الطبيعي، والوضعي إنما يتوصل به الشيء الطبيعي، فيكون الطبيعتان لهما نتيجة، والوضعي الموصل ثم يزول، فافهم ذلك.

وإذ قد أتينا على ما احتجنا إليه من القول في هذه المقالة فليكن الآن آخرها إن شاء الله تعالى.

المقالة السابعة عشر من كتاب الخواص الكبير

الحمد لله رب العالمين الجواد الكريم الرفيع العظيم الأول القدم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ونحتاج أن نقول في البحث من قبل العلم ونقسمه بقسمة الصحيح الواجب له بحسب ما قدمناه حتى نستوفيه بحول الله وقوته.

البحث من قبل العلم

فأقول: إنه لا يخلو الكونان من أن يكون (ا) كل واحد منهما يحيط علمه بذاته، أو (ب) لا يحيط علمه بذاته، أو (ج) يكون أحدهما يحيط علمه بذاته والآخر لا يحيط علمه بذاته، أو (د) يكون كل واحد منهما يحيط علمه بذاته ولا يحيط علمه بذاته.

(ا) فإن كان كل واحد منهما يحيط علمه بذاته فهما متناهيان لأن العلم قد يحيط بهما، وإذا كانا متناهيين وهما جرمان فهما محدودان، وما حدهما غيرهما إما جرم وإما عدم، فهما أكثر من اثنين، فقد بطلت الاثنينية.

وهما لم يزالا بزعمهم لا غيرهما، ولم يزل علمهما يحيط بهما، فلم يزالا متناهيين، فاللذان لم يزالا متناهيين لم يزالا محدودين، واللذان لم يزالا محدودين لم يزل حادهما معهما، واللذان لم يزل حادهما معهما لم يزل غيرهما معهما، وقد ذكروا أنهما لم يزالا لا غيرهما، ومعهما غيرهما، وهذا من أشنع المحال.

(ب) وإن كان علمهما لا يحيط بذاتهما فقد جهلا ذاتهما، فليس إيجاب إلا نهاية لهما أوجب من إيجاب أنهما متناهيان، وقد احتيج إلى الفحص عن ذلك، فلنفحص عنه فنقول: إن كانا لا متناهيين جميعا فلا أطراف لهما جميعا، وما لا أطراف له ولا غيره فلا اندفاع له.

وما لا اندفاع له فلا حركة له، وما لا حركة له فلا مزاج له، والمزاج موجود، والموجود أيس، فالمزاج ليس ليس، وهذا من أشنع المحال، فلم يبق إلا أن يكونا متناهيين، وإذا كانا متناهيين فهما محدودان وحادهما غيرهما، فقد بطلت الاثنينية.

(ج) وإن كان أحدهما يحيط علمه بذاته والآخر لا يحيط علمه بذاته وجب في الذي يحيط علمه بذاته ما وجب في اللذين يحيط علمهما بذاتهما من التناهي ووجود غيرهما وبطلان ما ادعوا من الإحاطة، ووجب في الذي لا يحيط علمه بذاته ما وجب في اللذين لا يحيط علمهما بذاتهما من الجهل بذاته وإنه ليس لا نهاية له أولى بأن يوجب من أنه متناه.

ونحتاج فيه إلى الفحص: فيلومه إن كان لا متناهيًا أنه لا غيره، وقد زعموا أن معه غيره، فيكون لا غيره معه وغيره معه، وهذا من أشنع المحال، وجميع هذه الأحوال

إذا انكشفت للبرهان هذا الانكشاف حتى تتبين هذا البيان فإن الأمر في تصورهما سهل وتكون شخصا حينئذ.

والله وحق سيدي صلوات الله عليه لو تركتك حتى تستخرج واحدة من هذه المسائل لصعبت عليك صعوبة عظيمة، ولن يقدر على علم ذلك إلا من استوعب نظره في كتبنا هذه، وهو العلم الحق في أمر الميزان اللفظي الذي ليس ضروريا كما يكون من الأشياء الطبيعية، فاعلم ذلك وتبينه وابن أمرك بحسبه.

ويجب أيضا أن تعلم أن ما لا حركة له فلا مزاج منه، وفي ذلك ما قدمناه، فإن كان متناهيا وجب غيره، فبطلت الاثنينية.

(د) وإن كان يحيط علمهما بذاتهما ولا يحيط علمهما بذاتهما أو أحدهما كذلك كان ما كان كذلك منهما فلن يخلو من أن يكون كذلك في وقت واحد أو في وقتين مختلفين.

فإن كانا في وقتين مختلفين فقد كانا عالمين وقد صارا جاهلين، وأما كان منهما كذلك أعني جاهلين فصارا عالمين.

وإذا كان ذلك كذلك فقد حدث في الذي لم يزل ضد ما لم يزل وهو لم يزل، فيكون لم يزل محدثا ولم يزل أقدم من لم يزل، وهذا من أشنع الخال.

وإن كانا في وقت واحد فهو عالم لا عالم بمعنى واحد في وقت واحد، فيكون الذي لم يزل على حال لم يزل على ضدها، وهذا هو السخف والمحال العظيم الشنيع. فقد اتضح جميع هذه الأبحاث من جهة هذا الباب وفسادهما بفساد جميع أقسامهما، وذلك ما أردنا أن نعلم.

البحث من قبل الاتصال والانفصال

وأيضاً فإنه ليس يخلو الكونان - إذا أفردا بأتهما جرمان- من أن يكونا (ا) متصلين، أو (ب) منفصلين، أو (ج) متصلين منفصلين، أو (د) لا متصلين ولا منفصلين.

(ا) فإن كانا متصلين فهما ذات واحدة.

(ب) وإن كانا منفصلين ففاصلهما الحاجز بينهما غيرهما. فقد بطلت الاثنينية ويجب في الثلاثة ما يجب في الاثنين.

(ج) وإن كانا متصلين منفصلين فلا يخلو ذلك من أن يكون في جهة واحدة منهما أو جهتين، فإن كان في جهتين فيجب في الجهة التي فيها الانفصال ثالث وبطلان الاثنينية، وإن كان في جهة واحدة فلا يخلو من أن يكون ذلك في وقت واحد أو في وقتين مختلفين.

فإن كان ذلك في وقتين مختلفين فقد حدث في الذي لم يزل ضد ما لم يزل، وإن كان الحادث الاتصال فقد صار الكونان اللذان لم يزالا كوناً واحداً.

وإن كان الذي حدث الانفصال فقد كانا كوناً واحداً فصار كونين، وهما عندهم كونان لم يزالا وقد كانا قبل ذلك ذاتاً واحدة، فإن كانا قبل ذاتاً واحدة فقد صار ما لم يزل أحدث من لم يزل ولم يزل أقدم من لم يزل.

وإن كانا يصيران بعد ذاتاً واحدة بطلت أزلية كونين عند انتقالهما إلى كون واحد، فيبطل الذي لم يزل.

وقد قدمنا في المقالات الأولى أن الذي لم يزل لا يضمحل ولا يفسد في حال من الحالات ولا يبطل، فإنه قبيح في النظر وسخيف في العقل.

وإن كانا متصلين منفصلين في وقت واحد صار الذي لم يزل على حال لم يزل على ضدها، وهذا من أشنع المحال.

(د) وإن كانا لا متصلين ولا منفصلين فهما بأتهما لا متصلان اثنان، فيجب ثالث كما قدمنا، وتبطل الاثنينية، وهما بأتهما لا منفصلان واحد، فهما إما لاثنان وإما الواحد، فتبطل الاثنينية، فهما اثنان لا اثنان، وهذا من أشنع المحال.

وأيضاً اتصالحهما ليس وانفصالحهما أيس، واتصالحهما أيس وانفصالحهما ليس، فذلك منهما أيس ليس.

فقد أوضحت جميع أبحاث الأصولين من جهة هذا الباب وفسادهما بفساد جميع أقسامهما، وذلك ما أردنا أن نبين، والسلام.

البحث من قبل الحركة والسكون

وأيضاً فإنه لا يخلو الكونان من أن يكونا (أ) متحركين، أو (ب) ساكنين، أو (ج) أحدهما متحركاً والآخر ساكناً، أو (د) كل واحد منهما متحركاً ساكناً أو أحدهما كذلك.

(أ) فإن كانا متحركين فلن تخلو حركتهما من أن تكون بالجزء أو بالكل في كل واحد منهما، فإن كانت بالكل فهما متناهيان، وإن كانت بالجزء فأما كان منهما بالجزء فإنه جوهر أيضاً، لأن طبيعة بعضه الحركة وبعضه السكون.

وإذا لزم السكونين اسم الكونين وهما محتملان صفة واحدة لا صفة الحمد والذم - ولزمهما عندهم بما اسم الكونين - لزم كل واحد منهما أيضاً اسم الكونين وإن احتمل صفة واحدة، إلا أنه يتفرق بالحركة والسكون، ويلزمه ما يلزم الكونين إن كان أحدهما متحركاً والآخر ساكناً.

وهو أن يكون المتحرك منهما متناهيًا، وتناهيه - إذ هو جرم - إلى غيره إما جرم وإما عدم، فيجب ثالث أو أكثر تناهيه إليها، فتبطل الاثنينية.

ويلزم الذي لا يتحرك منهما - وهو جرم ونفس - أن يكون مواتاً لا فعل له، ويكون ذو النفس ميتاً، وقد أنبأنا أن الحياة لا تكون لجرم إلا بالنفس ولا يكون جرم قابلاً للنفس بلا حياة، فيكون الحي لا حياً، وقد أوضحناه في المزاج.

ويجب أيضاً أن يكون الساكن مكان المتحرك إذ لا غيرهما، وهو يتحرك فيه وهو أعظم منه، وهما بزعمهم لا نهاية لهما.

فيجب من ذلك أن يكون ما لا نهاية له أعظم من شيء آخر لا نهاية له وهما جرمان. وقد قدمنا فساد ذلك في غير القول الأول من هذه المقالات.

(ب) وإذا كانا ساكنين وهما ذوا جرمين^(١) فلا حركة ولا مزاج، والحركة بلا مزاج، والعالم مزاج، فلا عالم، فالعالم ليس، والعالم هو موجود، والموجود أيس، والعالم ليس والعالم أيس، فالليس أيس، وهذا من أشنع المحال.

(ج) وإن كان أحدهما متحركا والآخر ساكنا فالمتحرك متناه وتناهيه إلى واحد أو إلى أكثر، فقد بطلت الاثنينية، والساكن موات لا فعل له، ويلزمه ما ذكرنا أنه يلزم الموات في صدر البحث قبل هذا الموضع، والسلام.

وإذ قد أتينا على ما يحتاج إليه إلا سؤالين فإننا نذكرهما في موضعهما فليكن آخر هذه المقالة، إن شاء الله تعالى.

المقالة الخامسة والعشرون

من كتاب الخواص الكبير

الحمد لله كثيرا كما هو أهله ومستحقه، وصلى الله على محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

لأن العلم على أنحاء وأجزاء وقد استوفينا ما في هذه المقولات العشر من جهة الميزان والكون وكيف صورة ذلك فللمقولات مقدمات أصغر نحتاج أن نبحث عنها في أمر هذا الكون، وهذه المقدمات الأصغر خمس.

ولأننا قد تكلمنا في أول هذه المقالات على العرض منها وهو إحداها فإن الباقي منها أربع، وهي الجنس والنوع والفصل والخاصة.

ونبحث عن ذلك البحث المتقدم ونجعل هذه المقالة آخر المقالات في علم الأبحاث، بحول الله ومشيتته وعونه وقوته.

(١) الأجرام: الأجسام.

البحث من جهة الجنس^(١) والنوع^(٢)

فأقول وبالله أستعين وعليه أتوكل وبه أعتضد في جميع الأمور:

إنه لا يخلو الكونان إذ هما جرمان من أن يكونا (أ) جنسين، أو (ب) نوعين، أو (ج) يكون أحدهما جنسا والآخر نوعا، أو (د) كل واحد منهما جنسا ونوعا، أو (هـ) كل واحد منهما لا جنسا ولا نوعا.

(أ) فإن كانا جنسين وهما محسوسان ولا غيرهما فالأنواع ليس، ومتى لم يكن نوع لم يكن جنس، لأتقيا من المضاف، والجنس موجود، فالنوع موجود، وهو ليس، فالنوع أيس ليس، وهذا من أشنع المحال وأقبحه.

والجنس أيضا إنما تجنس بأشخاص أنواعه لا بذاته، كالحيوان الذي تجنس بهذا الإنسان المشار إليه وبهذا الفرس المدلول عليه، وإن كانا كذلك فليسا جنسين إذ تجنسا بذاتهما، وهما جنسان، فهما أيس ليس، وهذا من أشنع المحال.

(ب) وإن كانا نوعين فلهما جنس يضمهما - وهما جوهران لأنهما جسمان - فهما ليس بمتضادين لأن الأضداد إنما تكون من المقولات في الكيفية، وقد بينا ذلك في الفن الثاني.

وقد ذكروا أنهما متضادان، فهما متضادان لا متضادان، وهذا من أشنع المحال.

(ج) وإن كان أحدهما جنسا والآخر نوعا وهما محسوسان فإن أحدهما يجب أن يكون محسوسا لا محسوسا كما قد قدمنا من القول قبل هذا، وهذا من أشنع المحال.

(د) وإن كانا أو أيما كان منهما كذلك جنسا نوعا فلن يخلو من أن يكون كذلك من جهة واحدة أو من جهتين مختلفتين.

فإن كان كذلك من جهتين مختلفتين فهو جنس لما تحته نوع لما فوقه، فيجب في الجنس ما وجب في الجنس الذي مع النوع مما قد تقدم القول فيه والنقض عليه، ويجب في النوع ما أوجبه متقدما في النوع الذي مع الجنس.

(١) الجنس: عبارة من أعم كليين مقولين في جواب ما هو، كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان.

(٢) النوع: عبارة عن أخص كليين مقولين في جواب ما هو، كالإنسان بالنسبة إلى الحيوان.

وانظر: المبين للأمدى (ص ١٣) بتحقيقنا.

وهذا من المحال والخلف الذي لا يمكن، وتبطل الاثنينية والميزان بالأربع كفات ألبته وبثلاث كفات أيضا ويصح الذي بالواحدة أو بالاثنتين.

وهو المذهب الذي نحن سائقوه، والسلام، وإنما بطلت الاثنينية لأنها أشياء فيها أكثر من جنس واحد وأكثر من نوع واحد، وهذا هو الخلف العظيم الذي لا يجوز لعاقل أن يتصوره ولا ينطق به، والسلام.

وإن كان جنسا نوعا من جهة واحدة والجنس فوق النوع والنوع تحت الجنس فهو فوق ذاته تحت ذاته، والجنس أيضا لا تجنس إلا بأشخاص أنواعه، والنوع لا يكون إلا وله عدليل يضمهما جنس واحد، لأن النوع هو الذي يقال عليه أشخاص كثيرة ويقال عليه وعلى صور كثيرة معادلة جنس واحد يضمها ويعطيها اسمه وحده.

والعدليل ليس، فالنوع ليس، فالنوع أيس ليس، وهذا خلف لا يجوز، والسلام. والجنس المستعمل في صناعة الفلسفة وآلاتها لا يكون إلا ما كان على أنواع كثيرة يضمها ويعطيها اسمه وحده، وأنواع كثيرة ليس، فالجنس ليس، والجنس أيس ليس، فهو جنس أيس ليس ونوع أيس ليس، وهذا من أفحش المحال. (هـ) وإن كانا أو أيما كان منهما كذلك لا جنسا ولا نوعا فلن يخلو من أن يكونا فصلا أو خاصة أو لا شيء البتة.

فإن كانا فصلا أو خاصة وجب مفصول أو مخصوص، ومتى وجب ذلك وجب نوع وجنس معا ووجب في كل واحد منهما إذ لا غيرهما ما قدمناه وذكرناه من المحال، ووجب أيضا أن لا يكونا جرمين لأن الفصل والخاصة شيء يعرض لجميع المقولات ويفرق بين الأنواع كل واحد منهما، فهما جرمان لا جرمان، وهذا من أشنع المحال.

وإن كانا لا شيء ألبته فهما شيء لا شيء، وهذا من أشنع المحال فقد أوضحت جميع أبحاث الأصولين من جهة الجنس والنوع والفصل والخاصة فساوهما وفساد جميع أقسامهما، وذلك ما أردنا أن نبين.

القول في الكمون والظهور

وأيضاً فإنه لا يخلو من أن يكون تجنس من ظهور بعض الأشياء من بعض- كالجنين من النطفة والشجرة من الحبة والكم من الكم والكيف من الكيف وما بعد ذلك- من أن يكون عن كمنون بعض في بعض كقول المنانية أو عن استحالة وإبداع ثان عن ليس، وهو قول أهل الإبداع عن ليس أعني الموجود، وقد بينا في المقالات الأولى من موضوعات هذه المقولات ما يثبت ذلك.

وذلك أن هذه الكتب أعني الخواص تجمع شيئاً ظريفاً وتأليفها تأليف عجيب، أما هذه الكتب والرسائل منها فإنها تحوي علم الميزان وتضاف إلى كتب الموازين ولا بد لك في علم الميزان منها، فأما العشرون الأولى التي بعد الحادي عشر إلى الواحد والعشرين غير الخامس عشر والسابع فإنها تحوي جميع ما يحتاج إليه في كتبنا المائة والاثني عشر ولا بد لمن نظر في ذلك منها ألبتة فإنها مضافة إليها.

وأما الكتب الموقوع عليها السبعينيات فإنما عنيها بما إنما قد تضاف إلى السبعين كتاباً وهي عشرة كتب ولا بد لمن عمل على السبعين منها، فاعلم ذلك وتبينه، وباقي هذه الرسائل قائمة بأنفسها، وهذا كشف -وحق سيدي صلوات الله عليه- لرموز هذه العلوم وتأليف هذه الكتب، وفي ذلك بغية عظيمة إن فطنت، والسلام.

وقد أنبأنا أن ظهور بعض الأجساد عن بعض لا يمكن أن يكون عن كمنون بعضها في بعض البتة، وما لم يمكن فهو ممتنع.

وإن كان ذلك لعلة غير الكمون فلم يبق إلا أن يكون القول كما قال أهل الإبداع، فانظر هذا ألك فيه فائدة أم لا، أعني في علم الميزان فإن أنت فطنت في هذا الوقت وإلا فستفطن فيما بعد، إن شاء الله تعالى.

فأما الذي يقول فيه أهل الإبداع فهم القائلون بالتوحيد والمبطلون قول المنانية وغيرهم ممن قال بقولهم في كمنون بعض الأشياء في بعض.

فقد أوضحت لك البحث من هذه الجهة بغاية ما يمكن أن يكون وفساد قول هذه الفرقة بين جميع أقسامه وأتينا على آخر علم الميزان في جميع أقسامها عبيطها ومدبرها والذي يكون من اشتراكها، فاعلم ذلك وابن أمرك بحسبه.

تتمّة البحث من قبل الحركة والسكون

(د) وإن كان أحد الكونين متحركاً ساكناً فلن يخلو ذلك من أن يكون في وقتين مختلفين أو في وقت واحد.

فإن كان ذلك في وقتين مختلفين فلن يخلو من أن تكون له الحركة بالقوة فهو يتحرك إذا شاء ويسكن إذا شاء، فيلزمه ما ذكرنا في صدر هذا البحث من التناهي في وقت الحركة.

أو يكون بالطباع متحركاً ثم صار بالطباع ساكناً أو يكون بالطباع ساكناً ثم صار بالطباع متحركاً.

فيكون ما لم يزل يحدث فيه ما لم يكن فيه، فيكون ما لم يزل بعضه يحدث وبعضه قد تم لم يزل، فيكون المحدث منه لم يزل محدثاً، وهذا من أشنع المحال.

أو يكون متحركاً ساكناً في وقت واحد، فتكون حركته أيس ليس وسكونه أيس ليس، وهذا من أشنع المحال.

فقد أوضحت لك جميع أبحاث الأصلين من جهة هذا الباب فسادهما بفساد جميع أقسامهما، وذلك ما أردنا أن نعلم.

وهاتان المسألتان ليستا من أصل هذه المقالة لكن قد تنضاف إليها بالخاصية، فليضاف ذلك إلى ما يشاكله من المقالات، فإنما فرقناه على تعمد لموضع المشاكلة بين هذه الأشياء لما كان لها في هذه الرسالة حظ.

وما أبطأ ما يعلم ذلك كيف هو، لكن يجب أن يجمع إلى وقت ينكشف لك فيه ما ينكشف من هذه العلوم بحول الله وقدرته وعونه ومشيئته، والسلام.

قطع صغيرة من كتاب الخواص الكبير من المقالة السادسة

وحق سيدي لقد خلصت (أي بالإكسير) من هذه العلة أكثر من ألف نفس فكان هذا ظاهرا بين الناس جميعا في يوم واحد فقط.

ولقد كنت يوما من الأيام بعد ظهور أمري بهذه العلوم وبخدمة سيدي عند يحيى بن خالد وكانت له جارية نفيسة لم يكن لأحد مثلها جمالا كامالا وأدبا وعقلا وصنائع توصف بها.

وكانت قد شربت دواء مسهلا لعله كانت بها فعنف عليها بالقيام ثم زاد عليها إلى أن قامت ما لم يكن من سبيل مثلها الخلاص منه ولا شفاء له، ثم ذرعها مع ذلك القيء حتى لم تقدر على النفس ولا الكلام البتة.

فخرج الصارخ إلى يحيى بذلك فقال لي: يا سيدي ما عندك في ذلك؟ فأشرت عليه بالماء البارد وصبه عليها لأنني لم أرها ولم أعرف في ذلك من الشفاء للسموم ولقطعه مثل ذلك.

فلم ينفعها شيء بارد ولا حار أيضا، وذلك أني كمدت معدتها بالملح المحمي وغمرت رجليها، فلما زاد الأمر سألتني أن أراها فرأيت ميتة خاملة القوة جدا. وكان معي من هذا الإكسير شيء فسقيتها منه وزن حبتين بسكنجين صرف مقدار ثلاث أواق.

فو الله وحق سيدي لقد سترت وجهي عن هذه الجارية لأنها عادت إلى أكمل ما كانت عليه في أقل من نصف ساعة زمانية.

فأكب يحيى على رجلي مقبلا لهما فقلت له: يا أخي لا تفعل، فسألني فائدة الدواء فقلت له: خذ ما معي منه، فلم يفعل، ثم إنه أخذ في الرياضة والدراسة للعلوم وأمثال ذلك إلى أن عرف أشياء كثيرة، وكان ابنه جعفر أذكى منه وأعرف.

وكانت لي جارية فأكلت زرنیخا أصفر وهي لا تعلم مقدار أوقية فيما ذكرت فلم أجد لها دواء بعد أن لم أترك شيئا مما ينفع السموم إلا عاجلتها به فسقيتها منه وزن

حبة بعسل وماء فما وصل إلى جوفها حتى رمت به بأسره وقامت على رسمها الأول.
وهو يدفع جميع السموم وينبغي أن يسقى منه في جميعها وزن حبة في الأشياء
الباردة بالعسل وماء العسل وشرابه وما جرى مجراه وفي الأشياء الحارة بالباردة وليكن
من مياه البقول وأمثال ذلك فاعرفه ولا تجاوزه.

وكنت يوما خارجا من منزلي قاصدا دار سيدي جعفر صلوات الله عليه فإذا أنا
بإنسان قد انتفخ جانبه الأيمن كله واخضر حتى صار كالسلق لا بالمثال ولكن بالحقيقة
وإذا قد بدت الزرقة منه في مواضع.

فسألت عن حاله فقيل لي أفعى هُمشته الساعة فأصابه هذا، فسقيته وزن حبتين
بشدة في سقيه بماء بارد فقط لأني خفت أن يتلف سريعا، فوالله العظيم لقد رأيت لونه
الأخضر والأزرق وقد حالا عما كانا عليه إلى لون بدنه.

ثم ضمرت تلك النفخة حتى لم يبق منها شيء البتة، وتكلم وقام وانصرف سالما
لا علة به.

وقد كان الواجب أن يسقى بالعسل وما جرى مجراه أو يطعم بالزبيب والبندق
وما نحا نحوه، لكن كان الأمر أعجل من ذلك فوهب الله نفسه له بذلك سريعا.

من المقالة العاشرة

دعاني يوما من الأيام في شهر رمضان في اليوم السابع منه جعفر بن يحيى ويحيى
معنا وخالد معنا أخو جعفر، فأقمنا عنده لشراء شيء من الإماء، ثم إن ذلك انقضى
وأخذنا في ذكر الخواص في هذه الأركان خاصة فبلغنا إلى خواص الدهن.

فقال جعفر: رأيت منه في الحديد عجبا، وذلك أني أخذت منه قضيبا نرماهنا
فحميته وغمسته فيه سبعين مرة فخرج فضة.

وقال خالد: رأيت منه في الشبه عجبا، وذلك أني حللت في الدهن شيئا من
المصل والشب ثم حميت النحاس وغمسته فيه مائة وعشرين مرة ثم سبكته الأخيرة
وصبته في الدهن وحده فخرج فضة بيضاء أحسن من كل فضة.

وقال يحيى: رأيت منه في الفضة عجبا، وذلك أني حميت الفضة وغمستها في
الدهن فكلما مر لي عشر مرار- أعني عشر حميات- مزجت كل عشرة من الفضة بثلاثة

من النحاس فصار الجميع فضة خالصة لا شك فيها.

ثم أقبلوا على ذلك أني لم أقل أنا شيئا فقالوا: كل ذلك عندك وأنت عارف به يا أبا موسى، فما رأيت أنت فيه حدثنا فقلت ليحيى: فما كان تمام أمرك مع حميك له وغمسك إياه في الدهن؟ فقال: نعم، فلما بلغت إلى سبعين مرة صار كلما حميته عشر مرات ومزجته بمثله من النحاس صار الجميع فضة بحسب التي قد كانت تمازجت أولا حتى يصير النحاس أيضا يصبغ مع الفضة وينسلخ عن النحاسية البتة.

فهذا ما رأيت، فقلت له: فما بعد ذلك؟ فقال لي: فلما زاد على المائة صارت كل عشر حميات تصبغ ضعفها من النحاس فتصير بها فضة بيضاء خالصة أيضا، ثم إلى خمسين ومائة مرة، وإلى ههنا انتهيت وبلغت به، هاته يا غلام.

ودعا به فأرانا فضة ليست في قوام الفضة لكن لينة ناعمة نضرة حسنة تجوز على كل فضة، فقلت له: فكل عشر حميات في هذا الوقت تصبغ ثلاثة أمثالها كذلك إلى ثلاثمائة، فإذا بلغت إلى ثلاثمائة فإنه يصبغ كل واحد ثلاثة مثله.

فإذا زاد على ثلاثمائة فكل مرة تحميه وتطفيه في الدهن يصبغ مثله كذلك إلى أربعمائة مرة فإنه يهش ويصير إكسيرا نفسيا.

فقال: فإذا بلغ به الخمسمائة؟ فقلت: افعل، ثم إنهم عطفوا علي فقالوا: فزدنا فيه غير هذا، فقلت: نعم وكرامة إذا فعلت ذلك سواء في الذهب بلغ به هذه المرتبة وهو غريب.

فسألوني عن السبب واستغربوه، ثم قالوا: إنا إذا عملنا هذا بالدهن وحده دون النار والصبغ فلا يكون يقصد في الدهن والذهب أن يكون الذهب يصبغه؟ فقلت: معاذ الله.

فسألوني عن العلة في ذلك وجعلوا يصفون فضلي وأن هذا من العجائب. فقلت: إن السبب الفاعل في الحديد والنحاس والفضة هذا الفعل هو أن الدهن يكسب هذه الأجساد لنا وفيها من الأصباغ ما هو مستجن كامن، فإذا لانت انبسطت أصباغها فصبغت أجساما آخر.

كنت يوما عند إسحاق بن موسى بن يقطين وعنده رجل فاضل من الصنعويين

لم أر مثله في الطالبين لهذه الصناعة.

فبلغنا إلى هذا الموضع حتى إذا تذاكرنا بأن شيئاً يعمل به هذا العمل دفعة واحدة قال لي: يا سيدي أنت تعلم أن هذا عند الفلاسفة، وفي ظاهر كلامهم أن ذلك ممتنع أن ينقلب شيء من النحاسية أو غيره إلى الذهبية دون الفضية ثم يصير إلى الذهبية. فقلت: أتعلم لم ذلك يا أخي؟ قال: لا والله فقلت: إنه من الممتنع عندهم في كل عقل في أول الأمر أن يصير أول إلى ثالث دون أن يحل في الثاني، فإن الأجساد كلها دون الذهب في الأوزان أولاً-قال: نعم- ثم إن الفضة إلى الذهب أقرب من جميع الأجساد.

قال: نعم. فقلت له: وأوجبوا أن ذلك محال أن يكون جسد منها في حد الذهب دون أن يصير فضة لأن مثال الذهب عشرة من العدد ومثال الفضة مثال تسعة ومثال الأجساد من ثمانية إلى الواحد، فمن المحال أن يبلغ هذا الحساب أو غيره عشرة دون أن يبلغ تسعة. فاعلم ذلك.

فلما انكشف له ذلك قال: نعم وإنه لمن أعجب الأقاويل، فكيف يصير يا سيدي هذا الذي تذاكرناه حقاً والحق لا يكون في وجهين متناقضين؟ فقلت له: إنك كنت عندي محموداً من أول أمرك إلى هذا الوقت كأنك انحلت في باب النظر.

قال: نعم يا سيدي أنا أسألك أن تعلمني كيف ذلك، فقلت: نعم، إنك لو استعملت ما تكلمت به من ساعة قبل هذا الوقت ههنا كنت قد أصبت الطريق، وكان قد جرى بيننا قبل هذا كلام في التشميع فجدود فيه.

فقال: وما ذلك يا سيدي؟ فقلت: أليس بعض الأشياء قد تصير إلى التشميع وأنت لا تعلم به ولا شمعتة؟ فقال: حسبي فأعد أنت المسألة، فقلت: إنه قد ينتهي في التدبير إلى التاسع ونحن لا نراه فيجب أن نتأمل ذلك حتى إذا وصل الذهب المدبر إلى حال الفضة في التشميع صبغ النحاس فضة فقال: صدقت.

من المقالة السادسة عشر

وكيف يتم لك علم وأنت لم تقرأ كتاب الحاصل وليس في العالم شيء إلا وهو فيه من جميع الأشياء، ووالله لقد وبخني سيدي على عمله فقال: والله يا جابر لولا أني أعلم أن هذا العلم لا يأخذه إلا من يستأهله وأعلم علما يقينا أنه مثلك لأمرتك بإبطال هذا الكتاب من العالم.

أتعلم ما قد كشفت للناس فيه؟ فإن لم تصل إليه فاطلبه فإنه يخرج لك جميع غوامض كتبي وجميع علم الميزان وجميع فوائد الحكمة وتصير به - وحق سيدي عليه السلام - من أهل الصنعة وتعلم الفاسد من الصالح، والسلام.

من المقالة التاسعة عشر

(١)

فقد وحق الله ووحق سيدي صلوات الله عليه سمحت لك في هذه المقالة ما لم أسمح به في كثير من كتبي في موضع إذ من سبيلي شرح العلم وتبديده وتمزيقه في المواضع الكثيرة والسلام.

وغير ضائر بعد إذ قد حددنا الأركان التي منها يكون العمل أن نضيف كيف وجه العمل فيها ليكون القول والكتاب تأمين بذلك إذ قد نشطنا لكشف الغمة والعسى عن الناس جميعا، وعلى الله نتوكل في جميع الأمور.

ولقد كان سيدي يقول لي كثيرا: أعمل يا جابر ما شئت واكشف العلم كيف شئت، فلن يأخذه إلا مستأهله بحق، والسلام.

(٢)

وهذه التقريرات قد خصصنا بها أجزاء عشرين صغارا تعرف بالرياض، فمن كانت له روية وطلب ذلك فإنه يخرج منها ما يجب.

وحق سيدي لقد ضننت بذكر هذه الكتب في كتاب الضمير وإنه لأشرف كتبي، وهذه الكتب الرياض تجمع الحلولات كلها وتجمع الإذابات كلها وتجمع التكليسات كلها والتصعيدات والتصديات وتجمع التشميعات كلها.

ومعنى كلها أي تجمع الوجوه التي فيها لأنه ليس يشمع الزئبق مثلاً ما يشمع الزرنيخ ولا يشمع الفضة ما يشمع الزئبق ولا الزرنيخ.
وقد تجمع هذه الكتب أيضاً جميع وجوه التقارير لهذه الأرواح والنفوس وطيرانات وتنفيرات الأجساد وتصعيداتها حتى تصير أرواحاً.
ولعل فيها أشياء آخر من العلوم الكبار قد يضمن بذكرها كيلاً يرغب فيها السامع فيطلبها فيكون بطلبها لها وجوده لها وبوجوده لها يصل إلى ما فيها، فإن هذه الكتب - وحق سيدي - أشرف كتيبي في هذا العلم.

من المقالة العشرين

ونحتاج من بعد ذلك أن نحدث بأشياء من أمور الزمان وما رأيت من ظرائف الأعمال والعمال لذلك فإن الخطأ فيه كثير فاعلمه.
وذلك أرى دفعت إلى زمان فيه الملوك والناس كلهم متوافرون جداً وطلاب هذه الصناعة كثير جداً وما رأيت فيهم من حسن التدبير فضلاً عن الأعمال والأكاسير من حمقهم.

ووجدت قوماً خادعين ومخدوعين فرحمت الجميع وعملت لهم ما قد حكيتهم مجرداً في صدر كتابي الرحمة وعملت لهم كتابي الذي سميت به البغية أعلم فيه الناس جميع العمل الصغير والكبير في جميع الأعمال من الأكاسير الجوانية والبرانية وأضمن في ذلك أنه من عمل ما أقول في سياقته - أعني لذلك العمل - لم يغلط ألبتة ولم يجوز أن يقع عليه الخطأ في ذلك بوجه ولا سبب.

فقال لي سيدي صلوات الله عليه: يا جابر لقد استوجبت من الله عز وجل الرحمة التامة والرضوان بما كشفت به عن الناس من هذه البلايا والآفات والأوصاب ورددت عليهم عقولهم وحفظت أموالهم.

فقلت: الفخر والفضل والشكل لسيدي وبه علمت ما علمت ووصلت إلى ما وصلت.

من المقالة الحادية والعشرين

وهذا -وحق سيدي- وأمثاله سبب كشف العلوم المستصعبة في العالم وتقريب الأزمان الطوال فيها، وفي ذلك بلاغ لأولي الألباب.

فإن كنت إنسانا فستعلم ما فائدة ذلك وتحرص على جمع كتبنا هذه وتأخذ منها علم النبي وعلي وسيدي وما بينهم من الأولاد منقولاً نقلاً مما كان وهو كائن وما يكون من بعد إلى أن تقوم الساعة.

وبذلك أمرني سيدي أن أقول في هذه الكتب المائة والأربعة والأربعين، فقد ذكر ذلك أوميرس الشاعر أن الأربعيات ذوات الثلاثة الوجوه من أمهات العلم فدل على أن الأشياء المعجزة إنما تخرج من أربعة في ثلاثة فتكون اثني عشر ثم تضرب في نفسها فتكون مائة وأربعة وأربعين فهو جذر إذ ذاك وقسمة وضرب وجبر ومقابلة فاعلم ذلك. وعليك بالهندسة^(١) تصل إلى ما تحب من هذه العلوم، وهذا من خواص الخواص إن فطنت، والسلام.

من المقالة الرابعة والعشرين

واعلم أن الزئبق يتقل اللؤلؤ ويشده ويصلبه، هذا من الأمهات وحبات القلوب رضي الله عن سيدي، فإنه كان إذا مر به مثل هذه الخواص شيء قال: يا جابر هذه حبات القلوب. وما ينبغي لك إذا نظرت في كتبنا هذه إلا أن تجمعها وما ينضاف إليها من فنونها، والسلام.

ولأنه قد مضى لنا صدر من الكلام في الأشياء التي تحل فغير ضائر أن نضيف إلى هذه المقالة شيئاً من القول في المياه التي تعقد فتكون كالضد والمقابلة لتلك الأشياء التي تحل إذ كانت في نهاية البعد.

والذي يعلم علماً ما ويعلم جميع فروعه ويتكلم في أصوله ويكشفها ويذكر أوضاعها التي تكون والتي تبطلها وتقابلها فهو الحاذق الماهر النحرير الخبير الذي قد

(١) هو: النظر في المقادير على الإطلاق إما المنفصلة: من حيث كونها معدودة أو المتصلة: وهي إما ذو بعد واحد وهو: الخط أو ذو بعدين وهو: السطح أو ذو أبعاد ثلاثة وهو: الجسم التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض عليها إما من: حيث ذاتها أو من: حيث نسبة بعضها إلى بعض.

نصح لك في التعليم، واعمل على أن هذا دعوى أقبل فيه حجة العقل.

ومن الخواص أن الوقت في وصول هذه الكتب إليك إن قرب فقد قرب الوقت الذي وعدناك به في الكتب التي فيها الفصول النبوية فاعلم ذلك: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] وانظر يا أخي وإياك والقنوط فيذهب بعمرك ومالك، فوالله ما لي في هذه الكتب إلا تأليفها والباقي علم النبي ﷺ. وقد سمعت ما جاء به النبي ﷺ في القنوط وأحذرك أن تصير إلى هذه الحال فتندم حين لا ينفعك الندم، والله اعلم بأمرك.

وإنما علينا الاجتهاد في الكلام وعليك القبول منا، فإن قبلت لم تندم. ووحق سيدي عليه السلام إن لم تقبل لتكونن مثل رعاء العامة السفلة الأضداد لعنهم الله أكثر مما قد لعنهم.

ويجب عليك أن تتعب نفسك في كتاب الدار والعلم المخزون وكتاب المزاج والطبيعة الخامسة والسر المكنون.

فوحق سيدي صلوات الله عليه إنها قاعدة كتبي في جميع العلوم، فأما الأجساد السبعة فمن كتاب أبي قلمون -ناهيك به- وباقي الكتب مع ما يخصها. والنظر في الكتب بما قد ذكرناه في كتاب العلم المخزون، وإياك إياك أن تقبل غيره فإنما يضرب المثل بعد المثل في المواضع على تفسير كتاب من كتاب في مسألة تمر بنا أو شيء مثل ذلك.

فإن قواعد هذه الكتب إنما هي أنا نذكر في كل كتاب خاصة لجميعها ليست في غيره من الكتب وبعضها يشرح بعضا، إذا فتشت عن ذلك وجدته، وينبغي أن تحصل عناوين الكتب فإنها من الفوائد الكبار.

وينبغي أن يعلم طالب الميزان أنه من جمع حروف عناوين كتبي هذه في الموازين وألقابها ونظمها على ما علمناك في تعليم الحروف أخرج -وحق سيدي صلوات الله عليه- منها علم الباب الأكبر الأقرب على طريق الميزان.

أليس هذا من الخواص الكبار والفوائد النفسية العجيبة؟ فاعلم ذلك وابن أمرك بحسبه. ولو لم أذكر في هذه المقالة غير هذه الفائدة لقد كان فيها كفاية وغنى.

من المقالة الثانية والثلاثين

(١)

واعلم أي محذرك من الغلط والسهو إنه كلما تكرر سماع الصناعة ومرور النكت فيها علة مسامع متعلمها كان ذلك أشد لقوته وأحكم له وأكثر لتصرفه إذا العلوم إنما تخرج بالعقل والقياس إنما يكون بقوة العلم وقوة العلم إنما تكون بكثرة الرياضة في أصول تلك الصناعة.

وذلك قد أوضحنا لك في هذه الكتب وفي غيرها من الكتب التي صنفناها وشرحناها بما فيه كفاية وبلاغ.

وإياك يا أخي والمخالفة لما قلناه في كتاب العلم المخزون ورتبناه لك فيه من الأعمال إن وقع إليك.

وأيضاً فإن كنت أحياناً فنعم، فأما ولست أحياناً فلا، وإياك والعمل بذلك فإنما تغتر من نفسك ولا تفوز بطائل من ذلك، وعليك بما وقع في خلدك واخترته فإن الذي اخترناه لأخينا لا يكون إلا له، فاعلم ذلك واعمل به تصل إلى ما تحب إن شاء الله تعالى.

فأما أحوالنا فإنه إن كان بالعلامات التي وصفناها فهو هو، وإن كان فيها شيء يحيل قليلاً أو كثيراً فهو هو أيضاً ولكن تكون العلامات التي وصفناها فيه أكثر مما ليست فيه، فاعلم ذلك واعمل به تصل إلى ما تحب بحول الله وقوته، والله قد كشفت لك وشرحت وبينت وأوضحت ولم أرمز ولكن طولته.

فمن كانت له دربة طلب وبحث وأخذ الثمرة بلغنا الله وإياك منازل الأبرار بمنه وكرمه إنه على كل شيء قدير.

(٢)

فأما الماء النادر الذي يكاد جميع الأعمال لا بد لها منه فهو ماء لبن العذراء. اعمله على ما بيناه في العلم المخزون تصل إلى ما تحب، وهو ماء مشبب منفر إن قصدت ذلك به وهو ماء محلل معقد وهو ماء يجري مجرى الأصول المفردات، وكذلك ماء الشب والصابون.

وأعني بالمفردات الحارة والباردة واليابسة والرطبة، فإن كنت لا تعلم ما تعمل هذه فأقرأ حدودها تصل من ذلك إلى ما تحب. وحدودها قد أوضحناها في غير موضع وأجودها كتاب الحدود من جملة الكتب المعروفة بالموازنين.

فاطلبه وبحث عنه وإياك وترك النظر فيه ساعة واحدة، فإنك إذا علمت ما فيه يحصل لك أكثر علم الفلسفة، وفيه فوائد كثيرة نفيسة وخاصة من علم الصنعة والفلسفة وعلم الطبائع، وعليك بكتاب الميزان، وعليك بكتاب التدابير من المائة والاثني عشر، وعليك بكتاب التدابير الصغير، وادرس كتاب التدابير الثالث لنا المعروف بتدابير من لا يخص عنده من علم الجوانية والبرانية وجه تقريب العمل وعليك بكتاب الأصول من غير الكتب المائة والأربعة والأربعين، فإن فيها العمل بغير رمز في الأحجار خاصة وهو والله من نفيس الكتب وفيه غير باب.

والله قد عملته بيدي وبعقلي من قبل وبحثت عنه حتى صح وامتحنته فما كذب. الجرح لك لازم إن فرطت في طلبه، وانظر ما فيه تجده عجباً إن شاء الله، قد اتينا على عدة قواعد مما لا بد منها في السبعين وفي غيرها مما يجري من كتبنا ما يجري السبعون فليكن الآن مقطعتها وآخرها، إن شاء الله والسلام.

من المقالة الثالثة والثلاثين

ووحق خالقي وسيدي صلوات الله عليه ما تركت واحدة من هذه الجمل ولا من غيرها مما قد أجملته في موضع من كتبي إلا وقد شرحتة شرحاً بيناً في مواضع من كتبي، فأبحث عنه تصل منه إلى ما تحب والسلام. وإن أحببت أن تعلم صحة ذلك فعليك بكتاب الحاصل خاصة فإنه نهاية كتبنا في العلم ولا بد لك من هذه العلوم التي قدمتها لك ألبتة كلها وكذلك من كتاب الحاصل، لأنه لا عمل إلا بعلم قبله يتقدمه.

فاعرف ذلك واعمل عليه، وإياك وإهماله فإنك إن فرطت فيه ندمت ندامة تعم الحياة وذلك أنك إذا ذهبت بزمانك فليس يمكنك كل يوم العمل والتجربة لترى الرشد

فيما نقوله لك.

ولكن اتعب أولا تعباً واحداً واجمع وأنظر واعلم ثم اعمل فإنك - وحق سيدي - لا تصل أولاً ثم تصل إلى ما تريد.

هذا في العلم الذي لا بد منه، فإذا نضرت في ذلك وأحكمته وجودته عدلت إلى الأبواب.

فأما السبعون فجياد وأجودها من الأربعين إلى الستين.

وأما المائة والاثني عشر فالأبواب منها مجموعة في كتاب واحد لا بد لطالب العمل منه يقال له كتاب المجردات.

وذلك أنا جردنا فيه جميع الأبواب التي ذكرناها في المائة والاثني عشر كتاباً ومبلغ الأبواب التي فيه آلاف باب.

وهو قاعدة كتبنا المائة والاثني عشر وبه تتم وتصح أبواب المائة والاثني عشر كتاباً.

فاطلبه واعمل بما فيه فهو في نهاية الحسن والشرف لمن علم ليعمل منه، فأما لمن جهل فمشقة وتعب وحسرة، اطلب واجت بلغنا الله وإياك محابنا بمشيئته وقدرته، إنه جواد كريم فعال لما يريد.

وأما الكتب العظيمة النفع للمرء كتب الموازين فإن قاعدتها كما قد قلنا فيها اثنا عشر كتاباً إلا من جيدها وليس فيها ما ينتخب لأنها كلها لا بد للقارئ منها بوجه من الوجوه ولا بسبب من الأسباب، وهي القاعدة العظيمة في جميع العلوم.

ومن سراتها كتاب العلم المخزون أسرى الكتب في العلم والعمل بأي الوجوه شئت إن شئت التدابير وإن شئت على طريق الميزان وإن أحببت العلم بجميع ما تحتاج إليه.

ومنها الكتب الجمل العشرون، فإنها مما لا يسع عاظم ولا جاهل ولا من طلب هذه الصناعة ولا من لا يطلبها إلا أن نظر فيها وتكون عنده فإنها تجمع علم الصناعة ميبنا قريبا وعملها واضحا مكشوفاً ميبنا وهو عشرون كتاباً.

وبعد ذلك فوالله ما أعلم ما أحسن ما أخص منها بالوصف والترك لشيء دون

شيء وإنما كلها والله مما يحتاج الإنسان إليها الحاجة الماسة لأنها تجمع كل فن من العلوم إن شئت طبا ونجوما وصنعة ومطالب وعلماء وهندسة وعزائم وتدابير وخواص ولعبا ونزهة وجميع ضروب العلوم والآداب وأمثال ذلك.

فأما كتبنا الأخر فمثل العشرين والثلاثين والأربعين والسبعة عشر والأربعة والأربعة والأربعة والواحد والواحد والواحد وهذه الواحد والواحد هي كتاب الملك وكتاب المعرفة وكتاب المتحد وكتاب الروضة وأمثال ذلك. والثانية الأحجار، والثالثة من الإمامة، فإن الجامع لذلك كله أو ما ينبغي منه هو أخونا.

واذكر أن الوقت الذي كنا نعدك به سيقبل إليك بقوة الله وقدرته وعونه ومشيتته إن شاء الله. والجامع لهذه العلوم أفضل الناس يكون، فإن كان له بعد ذلك أو قبله درس ما لنا من بقية الكتب التي لنا وما للفلاسفة فذلك يكون عندي مثل سقراط لا غير، فاعمل على ذلك واعلمه تصل منه إلى محابك سرعيا، إن شاء الله.

وهذه المقالة لهذه الفصول جعلناها وفيها خاصية وصول الإنسان إلى مطلوبه بسهولة إذ في معرفة المواضيع التي فيها العلوم خواص نافعة للطالب. وفقنا الله وإياك إلى الرشاد بمنه وكرمه.

وإذ قد أتينا على بغيتنا فليكن الآن آخرها، تمت المقالة الثالثة والثلاثون بحمد الله وعونه.

من المقالة الثامنة والثلاثين

وقد أوضحنا من هذه الأبواب التي من الأجساد خاصة وكيف تكون ومن الأرواح وكيف تكون ومن الأجسام وكيف تكون في كتاب المجردات من المائة والاثني عشر طرائف وعجائب كثيرة ومنها أيضا مركبة، فينبغي أن تستخرج جميع الأبواب الصغار من ثم فما لك كتاب مثله في فك جميع الرموز المستصعبة إن رغبت في ذلك وفك الرموز فيه على سبيل الأبواب لأننا نذكر فيه خمسة آلاف باب عمل غير العلم وهو كتاب كبير وهو من أمهات كتبنا التي لا يسع لأحد أن يجهله. فاعلم جميع ما ذكرناه إن شاء الله عز وجل.

من المقالة الثانية والستين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله وسلم، اعلم بعد ذلك أن الإكسير يتم لمن أكمل العلم في يوم واحد، ولمن توسط في شهر، ولمن قصر في سنة، ولمن قبل ما في ظاهر الكتب في عشرين سنة.

والذي قد علم يتم له الإكسير الأعظم في يوم واحد من جميع هذه الكتب وعلم ما فيها وأخرج جهلها وعرف معانيها ولا يتم - وحق سيدي - إلا كذلك.

ومن توسط فيها الذي يقرأها وحده ويعمد على أشياء من فصولها بعد نظره فيها بأسرها، وهذا - وحق سيدي - من أخص الخواص الذي لا بد له منه.

وإن لم ينظر فيها كلها لا يتم له شيء ولا لمن كان من أنظر الناس وعداها. وقد أحكمناه في كتابنا المعروف بالعلم المخزون وفيه طرائف العلوم وهو على التحقيق العلم المخزون والسلام.

ولولا أن في ذكر للكتب - وحق سيدي - شيئاً من الخواص ما ذكرتها.

وأما من قصر فمن قرأها كلها وعمد منها إلى علم واحد فلو إنه في يوم ما تم له في أقل من سنة لنقصان علمه. وأما في عشرين فللموتى والسلام.

فإن هذه الكتب إذا اجتمعت أمكن الدارس لها ثلاث مرات على ما أصف، وكل ذلك - وحق خالقي وسيدي - من الخواص - أما المرة الأولى فليصححها ويبين له ما فيها من ألفاظها.

وأما الثانية: فلدرسها وإظهار ما تحتها.

وأما الثالثة: فلجمع المعاني إلى مواضعها وما يليق بها من المعاني والفنون أن يبلغ منها على النهاية المطلوبة منها.

وما أنفع كتاب الدار في هذه الكتب، وما أنفع كتاب المرصد في هذه الكتب، وما أنفع كتب الأحجار الأربعة على رأي بليناس وما أنفع كتاب التصريف والميزان من أمهات الكتب.

فإذا علم ما في جميع هذه الكتب بل إذا قرأها أخونا الأكبر ثلاث مرات بلغ بها

-وحق سيدي- إلى فوق ما يريد وفضل من ذلك أيضا ويستعسر أمر قراءتها وفكها
أزمنة مديدة ثم يفتح الطريق فيها بحول الله وقوته.

ولا علم عندي ولا فائدة ولا صدق ولا جدوى لمن لم يجمع هذه المائة كتاب
والأربعة والأربعين كتابا في علم الميزان.

ووحق سيدي ما سميت هذا العدد إلا في موضعين من كتيبي هذه وموضع آخر
مرموز على سبيل الحساب، وستعلم ذلك إذا أنت تطلعت إليه.

واعلم أن من خواصها أنها لا يكمل العلم بها إلا لمن جمعها ولا يصل إلى شيء
منها ولا واحد إلا من جمعها.

ومن خواصها العظيمة النبوية أن هذه الكتب أعني كتب الموازين مائة كتاب
ونيف وأربعون كتابا لا تجتمع أبدا عند من ينظر فيها ويعلم فوائدها إلا أخونا الذي
كنا نصصنا عليه في جميع كتبنا هذه أعني كتب الموازين وفي غير كتب الموازين من
الكتب الأخر، فإننا قد ذكرنا أحيانا هذا. وهذه الأحوال من أكبر علم الخواص،
والسلام.

وأنا أعلم أنها لا تتفق عندك في هذا الوقت لكن إذا علمت ما فيها من جميع
العلوم وعسر عليك علم هذا الموضوع والوصول إليه اتفق عندك غاية اتفاق، وهذا إنما
يكون لما في نفوس الناس من الحسبان.

وذلك أنهم يقدرون أن العلم ضرورة ما يجب أن يعلموه إذا قرأوه أو تطلعوا فيه
وأنة سيكون فيه دليل على ما فيه من العلم، وهذا كله جهل.

أرأيت أن لو قال قائل إن حجر الفلاسفة هو الزئبق والكبريت^(١) أليس كان
كثير من نفوس الناس تتطلع إليه وتنحو نحوه وهم لا يعلمون ما تحته من الحق والباطل؟
فلا بد في حكم النظر من نعم إذ كان ذلك لازما فكذلك هذه الأشياء التي نخبرك بها لا
تدرى أحق هي أم باطل.

(١) الكبريت: كل كبريت ففيه قوة جاذبة لأن مزاجه حار وجوهره لطيف، ولذلك أيضا يضاد
حل سموم الهواء، واستعماله يكون بأن يسحق وينثر على موضع اللسعة أو يعجن بالريق
ويوضع عليها أو بالبول أو بالزيت أو بالعسل أو مع علك البطم ويشفي أيضا الجرب والقوباء
والعلة التي يتقشر فيها الجلد.

فكما أن قولنا الزئبق والكبريت حجر الفلاسفة لعلم الصنعة فنحتاج أن تعلم بسر ما تحته حتى يتم وينكشف فكذلك ما نقول في هذه الأشياء إنما تنكشف وتحقق وتتفق عندك إذا رأيت ذلك وظهر لك وعلمت ما تحته.

ووحق سيدي لئن لم تصغ إلى ما أقول وتقبله لتتلفن عمرك وتذهبن به ضياعاً. وما تعبت بكتبتنا فإن قاعدتنا فيها أن تجمعها أولاً ثم تقرأها ثلاث مرات فإنها من الخواص الكبار التي ليس مثلها وتجمع قواعدها وأحكامها وفصولها الدالة على معانيها المنفردة والمشاركة والمعاني القياسية وغير القياسية في كل واحد من العلوم وتضيف ما في كل كتاب منها إلى ما في الآخر من ذلك المعنى حتى لا يبقى منها شيء إلا أتيت عليه. وقد يجوز أن يكون في بعض الكتب معنيان وثلاثة وأقل وأكثر فيكون الكتاب مبنياً على معنى واحد لا يشاركه غيره، فليضف كل واحد إلى أمثاله حتى يتم لك - وحق سيدي - ما قصدت له، والسلام.

ومن الخواص التي هي وضعية لا طبيعية أن كتاب العلم المحزون يؤلف جميع هذه الكتب.

ومنها أن كتاب الميزان وكتاب التصريف بخلاف معنى كتاب الترتيل وكتاب التقرير وكتاب الحاصل بخلاف كتب الأحجار الأربعة على رأي بليناس وأمثال ذلك من هذه الكتب بعضها يحل شك بعض ويكشفه.

إذا انكشفت الشكوك لم يبق في النفوس والعقول من المطالبات شيء البتة. وهذا لا يكون إلا بالعيان ألبتة وإقامة البرهان الذي لا ينحل للكل وإقامة البرهان لا يكون إلا بالعيان.

وذلك ليس من فعل أحد من الناس لكنه من أفعال الأنبياء، فقد ثبت ما قلنا مما صرحنا به وعرضنا في غير موضع أنه حق، فاعلم ذلك وابن أمرك بحسبه تصل إلى ما تريد إن شاء الله تعالى.

كتاب الزئبق الشرقي

لجابر رحمه الله

الحمد لله الرزاق من يشاء الخير، وهو على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً.

إنه من قرأ كتابي في الأحجار والتدابير علم ما نقول في هذا الكتاب. فإننا قد خصصناه بأعظم الأركان إذ كان الباب الأعظم أجلها قدراً وهو الركن الفاعل بالصورة والمعطي الحياة لكل حي وأشباه ذلك، وهو تدبير الزئبق الشرقي الذي كتتمته الفلاسفة فأبت أن تسميه باسمه وحولت عن علمه جميع الناس. فتأمل ما نقوله فيه بعقل حاضر وفهم ثاقب ولا تأخذه بالهونا فلا تخطأ منه تظاول والله الموفق للصواب، وإياه أسأل الرزق لكان علم فيك خيراً. اعلم أن زئبق الحجر له أعمال لا بد منه لا فرق بينه وبين زئبق المعدن المدبر تديره إلا في مناسبه له في بقية الأركان وذلك أن زئبق المعدن وإن دبر أي التدبير كان من تديره التبييض والتحمير فإن مناسبه كيفية أركان المعدن ليس بالذات بل... الداخلة عليه الجامعة بينه وبينها فلذلك احتيج إلى العقاقير المختلفة بحسب اختلاطها مع التدبير له.

وإذا كانت المناسبة التي بها يقع المزاج الكلبي عرضياً^(١)؛ لأنه واقع بحسبها فلذلك فضلت الفلاسفة الباب الأعظم وكرموه وكتموه وسموه حيراناً؛ لأن الحيوان لا يكون نفسه لغيره أي حيوان كان ولذلك قالوا: اجعلوا للأجساد أرواحاً منها لتألفها وتسكن إليها وتبيت فيها، ولا تجعلوا لها أرواحاً من غيرها فتتفر عنها، وإذا كان حجر الفلاسفة واحداً فيه جميع الأركان على غير اعتدال.

ولا ائتلاف فيما يحتاج إليه ولو كان فيه بالموازين الطبيعية وبحسب قدر الحاجة إليه لكان أكسيرا تاماً، ولم يحتج إلى تديره فلما كان أمره على ما ذكرنا احتاجوا إلى تفصيل أركانه وتظهيرها وترتيبها بحسب ما يكون موافقاً للأصباغ التي أرادوها منه

(١) انظر: الشفاء لابن سينا (١٩٢/٨).

وهي فيه ومنه بالذات لا بطريق العرض.

ولما كان الزئبق فيه زئبقان عند جميع الفلاسفة، وهما أعظم أركانه أحدهما روح، والآخر نفس وأحد هذين الزئبقين قد سموه شرقيا والآخر غربيا وكان الزئبق الآخر هو الصبغ وهو في واحد سم إلا أن يدبر وينقل عنه إلى الآخر ويبرد وكان ذلك له تدبير، وفيه علم، وله عرض مخالف لأمر التدبير الآخر، فاعلم ذلك وما تركنا شيئا من تدبيره ووجوهه إعراضا إلا وقد أتينا عليه في كتبنا مرموزا ومحلولا وضيقا ووسعا وقليلًا وكثيرا وأشباه ذلك مما قصدنا به التطويل على من لم يكن غرضه في هذا الباب إلا تعجيل نفعه لا فضيلة علمه.

ولما كانت تدابير الباب الأعظم قد أحرقتها الفلاسفة، وجوه لا يكاد نفع الناس بها من العلم على شيء من تلك الجهات لشدة الغموض والكتمان وفساد النظر واختلاف الأسماء وصعوبة التدبير وكان ذلك في كلامنا، وإن كان بينا ظاهرا فإنه أيضا من التبديد له والتفريق بين أجزائه وتباعده وتباين الرموز وحد على حال لا يكاد يحصل الانتفاع به لكل واحد لكن لحقنا الرحمة على الناس الطالبين لهذه الصنعة فرأينا أن نعمل في كل ركن من أركان الباب الأعظم كتابا نخصه به، ويأتي على جميع وجوهه بأوجز لفظ، وأقربه على فهم من كان من أهل العلم ليكون كافيا للدرب التحرير وأصلا جامعا للمحتاج إلى التطويل والتكثير.

ولما كان الزئبق الشرقي من أعظم أركان الحجر، وكان مكتوم التدبير والعلامات في الآثار والخواص على الفلاسفة أتينا بشرح جميع مشكلاته في هذا الكتاب على الوجوه الأربعة من المطالب العلمية، ولذلك سلطنا في هذه الكتب الأربعة في أركان الحجر الأعظم آثار ذلك كاشفا للغممة وموضحا للمشكلة، ومفصحا عن هذا الرمز بما لم يحسن أحد من الفلاسفة على (.....)^(١) به فأما السؤال عن الزئبق الشرقي فقد علم جميع من كان من أهل هذا الشأن أن أركان الحجر (الأر الزئبق)^(٢) الشرقي.

(١) غير مقروءة بالأصل.

(٢) غير مقروءة بالأصل.

أحدها وأما ما هو فهو النفس.

واعلم أن النفس قد كثر فيها الخلاف بين أهل هذه الصناعة فجعلها بعضهم حارة يابسة وجعلها بعضهم حارة رطبة ونفى عنها بعضهم الصفة فنسبها إلى الطبائع وامتنع من وصفها بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فتحير الناظرون منها فلم يدروا كيف وقع ذلك من الفلاسفة في معناها، وكذلك قد اختلفوا في أسمائها فسموها بعضهم زئبق الشرق وسموها بعضهم صورة الكمال وبعضهم الصبغ وبعضهم الجوهر وبعضهم الكبريت الأحمر، وبعضهم النحاس الذي لا ظل له إلى غير ذلك من اختلاف الأسماء والصفات فإذا كشفت عن حقيقتها في هذا الكتاب فأريناك الحال في هذا الاختلاف علمت كيف وقوعها، وأن القوم متفقون عليها.

وإن اختلفوا عنه من لا علم له بهذه الأمور وإذا كان جمهورهم الخلاف بينهم على ثلاثة أضرب فيما يتعلق بالطبائع وهي فالأصول لجميع الفروع من اختلاف الأسماء والصفات فيجب أن نقصد بالبيان إذ كان في بيانها بيان جميع الباب.

وهذه الأصول الثلاثة وهي قول من قال: إنها حارة يابسة أو حارة رطبة، وأنها لا حارة، ولا يابسة ولا رطبة، وإذا لم يكن فيهم من يقول: إنها باردة فقد كتبنا الكلام على هذا الوجه وكان الذي يجب بيان الكلام على هذه الوجوه الثلاثة لتعلم كيف قصد القول إلى ما قصدوا إليه عن العبارة عنها، فأقول من سماها حارة يابسة فإنما سماها بذلك على أحد وجهين:

أحدهما: أن تكوينها ممتزجة بحرارة غير خالية من الرطوبة وهي غذاء لحرارتها بل هي معينة لها على أفعالها وما هذه سبيله حرارة محض وما كان كذلك كان متنديا بالرطوبة ومستلذا لها، وما كان سبيله هذا السبيل فهو منسوب إلى اليبس لأجل نشفه رطوبات الأشياء الرطبة فافهم يا أخي فإنه عظيم عظيم لو أردت بسطه في ألوف أوراق (لـ....^(١))، ولهذا العلة قالوا زئبق الشرق: إنه يذهب بظل النحاس رطوبة الآبار، الأنك، وأباق الزئبق لأنه له المزاج بالذات لأجل الدهنية التي هي مزاج الحرارة والرطوبة.

(١) غير مقروءة بالأصل

والوجه الثاني: أن من سماه بهذا الاسم إنما سماه به قبل انفصال منه هو نار الحجر، وكانت النار حارة يابسة، وهي الغالبة على جميع الطبائع والفاعلة، وهي مخالط الدهن بعد أن لم يتميز منه وجب تسميته بطبيعتها لأن كل شيء إنما ينسب إلى الظاهر إذ كل شيء لا يخلو من الطبائع الأربع لما يظهر فيه إنما كان منها طبيعتان فتغلب فيه وتقوى في ظاهره ويمكن فيه الطبيعتان فيضعفان فيه ويصيران كقلوبين للظاهرين فينسب حينئذ إلى الظاهر عليه دون المجتمع فيه من الطبائع فهذا تفسير هذا الرأي.

وأما من قال إنه حار رطب فإنما قال ذلك طلبا للكشف ورغبة للتعليم وإثباتا إلى ظاهر الحال في العقل، والمثال، وإن كان الأول قد قصد إلى مثل هذا القصد من وجه ذلك أن الدهن معلوم أنه حار رطب في ظاهره وإن كان بعض الأدهان قد ينسب إلى اليبس مع الحرارة فإن ظاهرة رطب، وإنما ينسبه في أثره وفعله، ولما كان الزئبق الشرقي هو دهن الحجر قال: فيه هذا القائل إنه حار رطب.

وأما جملة الفلاسفة فعلى أنه حار يابس؛ لأنه بحسب طبيعته نسبه إلى المشرق، وهو عندهم حار يابس، والغربي بالضد.

وأما من لم يسمه بجملة ولا برودة ولا رطوبة ولا ييوسة فلهجتين كان فيه ذلك: أحدهما: أنه حار بالذات بارد الأثر، وهذا آخر طبيعي وهو مع ذلك رطب الأثر يابس الذات يظهر اليبس في ظاهر ما تؤثر فيه الرطوبة، وهذا من العظيمة وفي بيانه وحق سيدي كشف سره ومعرفة أمره فالصحة زوال في ذاته فرمما خرج في التدابير لمن يعاني هذه الأمور، ولا يعلم ما هو فإذا كان قد عرف من حاله ما ذكره في هذا الكتاب لم يخف عليه إذا شاهده.

وأما حرارة ذاته فمن أجل أن دلت على حرارة المزاج ويكون من زيادة طبيعة الحرارة اليابسة على الطبيعة الحارة الرطبة.

وأما برد تأثيره فإنه يعقد النافر إذا مزجه ثابتا، وهذا من فعل الشيء البارد، وأما ييس ذاته فإنه ينسحق، وهذا غاية اليبس وهو مع كونه منسحق بطيء الانسباك، وأما إفادته اليبس والرطوبة معا فإنه ينشف بله الزئبق والرصاص، وكل شيء رطب فاسد الرطوبة يفيد الزئبق بالرطوبة المفيدة الممازجة للدهنية المتعلقة، وهو الذي يكون

الإمساك، وكذلك يفعل في كل ما مزجه فاعلم ذلك مما في (.....)^(١) من هذا ولا أئين، وليس يجهل قدر هذه الكتب إلا من لا حظ له في العلم، أصلاً بل هو إلى (.....)^(٢)، (.....)^(٣) وأشد مناسبة لها منه فاعلم ذلك، واستعد بالله ممن يكون هذه صورته.

وأما من ذلك، ولم ينسبه إلى حرارة ولا رطوبة، ولا برودة، ولا ييوسة، فإنما ذلك من أجل الجوهر الإلهي الذي قد كان ما هو وهي الصورة التي بها تفعل ذلك يا أخي إن هذا الزئبق ظريف الشكل، وذلك أنه هو النفس إلا أنه لم يخل من جسد هو الظاهر الحامل للطبائع، وليس الفعل في التحقيق له، ولا لما فيه من الطبائع بل الفعل للجوهر المحمود، وهو جوهر الصورة غير أن هذه الطبائع بما تظهر أفعاله ويكون بحسبها آثاره، ولأنها فهي له العائلات عند مزاجها لما يؤثره على حد ما هي الطبائع في جسم الإنسان لقبول أفعال النفس بحسبها فلذلك قيل:

إن اختلاف النفس وآثارها تابعة لمزاج البدن فاعلم ذلك فهو وحق سيدي عليه السلام غاية ما في هذا العلم فاعرفه، وإذ قد انتهينا إلى آخر هذا الركن فليكن آخر هذا الكتاب والله أعلم بالصواب.

(١) غير مقروءة بالأصل.

(٢) غير مقروءة بالأصل.

(٣) غير مقروءة بالأصل.

كتاب الزئبق الغربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق العليم ذي القدرة الحكيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله الطاهرين، إنه من كانت له دراية بكتبنا الصنعية الموازنية علم أن هذه الكتب الأربعة على قلة أوراقها وصغر حجمها عظيمة الفائدة جامعة لما لم يجمعه كثير من كتبنا الطوال وكتب غيرنا في هذا الباب.

فقدمنا وتكلمنا في أول كتاب من هذه الأربعة على الزئبق الشرقي إذا كان أشرف الأركان في الشرف هو الزئبق الغربي فإننا قائلون فيه في هذا الكتاب بحسب طبيعة من هذه الكتب بحسب ما ذكرناه في الذي قبله.

واعلم أن الزئبق الغربي عند القول الروح واحدا فهم على قسمين:
أحدهما: أنه بارد رطب.

والثاني: أنه بارد يابس وكلا القولين الظاهر فأما الأمر فواحد وذلك أن هذا الزئبق المنسوب إلى الغرب هو الماء الإلهي والماء بارد رطب لكن لما اختلاف المياه بحسب مزاجها ومعادتها فقد جعلها أهل النظر واليبس والحرارة والبرودة، فأما هذا الماء فإن إضافته إلى ما كان لطيفا في الحجر له أن في لونه، وأن في طبعه؛ لأنه في لونه أبيض وهو في الغالب من أمزاج البرودة، ماء بارد رطب فأما في إضافته في يبوسته ورطوبته فليست كذلك، وذلك إلى الصبغ رطب وبالإضافة إلى الدهن يابس فلذلك وقع الخلاف في نسبتته؛ لأن من قال: أراد به لا يفعل الانسباك، وإنما ينجع الأجزاء، ويمنع من إحراق النار لما مزجه ولايسه.

ومن قال: إنه رطب أراد بأن الصبغ لا ينفذ إلا بأن يحل فيه ويمزجه والأصباغ إنما تنفذ بالأشياء الرطبة فاعلم ذلك وتبينه فإنه وحق سيدي عليه السلام غاية ما في هذه العلوم وفيه حل لجميع الرموز وكشفها لأستار علوم الصنعة التي لا تحصل أسرارها فلا تطمع في كشفها إلا بتوفيق من الله عز وجل ورزق فائض، فاعلم ذلك، وتبينه تجده صحيحا، وإذ قد أتينا على ما في هذا الركن وعلاماته وطبائعه وشرح حاله فلنقل.

ما موضعه، وكيف استخراجه فإنه موضع الفائدة.

وذلك أن ذكره في جميع الكتب على حال من الرمز بعيدة من كل منهم، وقد ذكرناه في السبعين وقلنا: إنه يحتاج إلى سبعمائة تقطيرة، وذكرنا نعت تقطيره وعن ماذا يقطر وكل ذلك رمز بعيد.

فأما ما نذكره في هذا الكتاب فهو بخلاف ذلك في الكشف، ولولا ذلك ما كان في وضعنا لهذه الكتب فائدة إذ كنا قد ذكرناه مرموزا في غيرها ولكننا لما أوردناه من الكشف والتقريب لهذه الأركان خاصة علمنا هذه الكتب الأربعة فيها فاعلم ذلك، واعمل بما نرسمه لك فيها، ولا تخالف شيئا منها، وإن خالفت تلحق الملامة بالمخالف لهم فاعلم أن هذا الماء سمي إلهيا لأنه يخرج الطبائع من طبائعها ويحيي الموتى ولذلك سمي ماء الحيوان وبه سمي الحجر حيوانيا وهو ماء الحياة الذي من شربه لم يموت أبدا، وذلك أنه بعد استخراجة وكماله ومزاجه وتمام أمره لا يجعل للنار طريقا على ما مزاجه، ولا يفارق ما مزاجه بل يقاتل عنها النار بعد أن كانت محترقة بما فاعلم ذلك وتبينه. وقف على الغرض فيه.

تصل إلى علم ما كتتمته الفلاسفة الأولون من الصنعة الإلهية.

والباب الأعظم الحق الذي من غيره شيء لا يكون فاعلم أن استخراج هذا الماء من الحجر الذي هو إنما يكون بغيره، وليس يكون بذاته وذلك أنه متعلق بحجره شديده المزاج له، وما هذه تفريقه بشيء مما هو ممازج به فأحيل له بما بينه مناسبة بالرطوبة لكن الجنس.

ولتدفع عنه حرارة النار فإن النار آخذة من الرطوبة الغير ممازجة أكثر من أخذها من الرطوبة عند التلاقي لهذا الماء فائدتان:
أحدهما: أن أخذ النار منه دون الماء .

والثانية: أنه لمناسبتة ما يمازجه لما يمازجه ويخالطه فتعظم رطوبة الحجر بعد أن كانت.

فإذا تسلطت النار على أجزائه وهي محللة قوته عليها فعملت فيها العمل الذي هو فعل النار جميع الشبهات وتفریق المختلفات فبلغ التفصيل على أبلغ وجوه، وذلك بأن التفصيل هو النوع من التدبير بجميع وجوهها وفوائد كثيرة:

إحداها: أنه يسلم معه ماء الحجر من شيء من أجزائه فيخرج بأسره غير ناقص عن قدر الحاجة عند رده إليه بعد التطهير لجميع أركان الحجر.

وثانية: أن النار تعمل فيه عملاً يغير كيميته بما انضاف إليه من الماء الآخر الدافع عنه حرارة النار يبذل نفسه لها دونه فيكون تغييرها وأخذها من الماء الفادي له بنفسه.

والثالثة: أنه يستفيد من الماء الداخل عليه لتقويته فضل رطوبة نافعة في الحل وذلك أن رطوبته في نفسه إنما نفعها في المزاج والمداخلة فأما في الحل للأجزاء اللطاف فما أقل في العشرة المضافة الجارية للسبعين مجرى الأعراض والنفس والتفسير وحل الرموز.

فأقول: إنما قلنا هناك قطره بقضيب الآس حتى يصفر أو يكون خالصاً وليس الآس عافاك الله هو الآس الذي تظنه إذ كان عادتنا خلع الأسماء على ما بيناه وبين المعروف بما من أركان الحجر وعقاقير صناعتنا مناسبة. إما في أثره، وإما في طبيعته أو في رائحته أو في طعمه أو ما جرى مجرى ذلك فالآس الذي أردناه هو الآس الذي حددناه في كتاب تفسير الخواص الخمسين بل في شرحها وأن حده هناك بين معروف غير مشكل على من هو من أهل الصنعة.

فأما من هو من طبقة من عملنا له هذه الأربعة فإنه يشكل فلذلك يحتاج إلى أن نكشفه ههنا كشفاً يبين فيه حاله من كان قصير العلم بعد أن يكون من أهله؛ لأن هذه الكتب يا أخي ما عملت لرعا ع الناس بل لفضلائهم فإن أنقض الناس هذه الصناعة من يجوز أن ينسب إليها هو أكبر من أفضل الفضلاء في جميع العلوم سواها.

إذ كان علم لا يستعني صاحبه بالإشراف على شيء من علم هذه الصناعة أناساً وتجربه. فهو في غاية التقصير إذ كان لا يحصل إلا تلفيق الألفاظ وترتيب عبارات وخيالات لا وجه لها في ذواتها، وهو يظن أنها موجودة من خارج ويظن به ذلك من سمع عباراته ممن لا خيرة له بهذه الأمور، وإذا كان الأمر على ما قلناه فليقل في الآس قضيه اعلم أن الآس هو الورق.

والقضيب هو الأصل وليس بأصل فلذلك إنه بالإضافة أصل وفرع معا إما أنه أصل فهو أصل لا محالة للورق والتمر، وإما إنه فرع القاعدة والعروق الراسخة إذ كان

الأمر فيه على ما ذكرناه وكانت التسمية له بالآس إنما كان لأجل ورقه الذي هو فرعه الكائن عنه، وكان هذا الفرع هو المعروف بهذا القضيبي الذي هو أصله. فيجب أن نقول في هذا الفرع قولاً ينكشف به حاله فإن حاله إذا انكشف انكشف حال ما يعرف به انكشافاً وفي ذلك وحق سيدي إيضاح أمر الآس الذي سمته مارية سلاليم الذهب.

وسماه سقراط الطائر الأخضر وسماه الناس من الحكماء بكل اسم، وكل لقب ضنا به وصيانة له عن أهله فضلاً عما ليس له بأهل فاعلم ذلك وتبينه تجده حقاً، وإذا كانت هذه منزلة هذا الشيء فلنقل أولاً لم سموه آسا فأقول لهم سموه بذلك لخضرته وطول مكثهم مع اختلاف الأزمان من الحر والبرد عليه سواء الآس. فيحق ما سموه هذا الشيء الأخضر المسمى آسا متلونا من أصل هو الذي سمي به قضيبي الآس فيجب تقطير ماء الحجر عن قضيبي الذي منه تكون.

وهو القضيبي الأغر الذي ذكرناه في كتاب الخواص الخمسين القضيبي والقضيبي خلطه الحجر الذي تريد تقطير نباته عنه بهذا القضيبي. وذلك أن فائدة هذا القضيبي غير فائدة الماء المضاف إلى الحجر، وأن ذلك الماء قد عرفناك فائدته والغرض منه. وهذا القضيبي فهو الذي يحرق نفسه ويحرق أوساخ الحجر التي من شأنها الاحتراق وليخلص جميع أركانه عما يفسدها ويصير جميعه ميتاً لا سلطان للنار عليها، وذلك أن الماء أول دافع عن الماء، وحال الأغراض ومخلص لما فيها يتسلط النار على صغار أجزائها المنحلة به.

وأما هذا القضيبي فإنه مناسب للأوساخ المحرقة لما فيه من وسخ وذلك أنه غليظ ليس كورقة وقد علمت أن ورقه أخضر متلونة من الألوان بين السواد والصفرة بشبه، وليس السواد وإن السواد من احتراق الرطوبة كانت هذه شأن الورق الذي هو فرع فما ظنك بموشح القضيبي الذي هو أصل. لم يلف كان هذه حاله، وهذه الفائدة فيه فقد بان أمره وانكشف ستره وإذ قد انتهينا إلى هذا الحد من هذا الركن فليكن آخر الكتاب.

تم كتاب الزئبق الغربي والحمد لله رب العالمين.

ابتداء

الجزء الأول من كتاب السر المكنون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على خير خلقه محمد المصطفى وآله والسلام.
قد كنا يا أخي قدمنا في كتبنا هذه عدة كتب في فنون كثيرة كل فن منها قائم
بنفسه.

فمنها ما فيه منازعات وشكوك لم نكشفها في مواضعها، ومنها ما كشفناه
وأوضحناه، وينبغي أن تعتقد أن الفائدة في هذه الكتب القديمة عظيمة.
منها أولا علوم الطلسمات، وثانيا علوم الصنعة، وثالثا علوم المطالب، ومن بعد
علوم المطالب الدلالة على أخوين.

ولو قلت: إن هذا القسم الأخير أعظمها لكنت صادقا.
ونحتاج أن ندل في هذا الجزء من هذا الكتاب على أخوين نحن ونعطي أكثر
أوصافهما، فنقول وبالله الاستعانة:

لمن قرأ شيئا من كتبنا من أي فن كان مما ذكرنا الدلالة عليهما فيها فإنه سيعلم
أنا ذكرنا أربعة نفر إلا أن المعول يجب أن يكون من بعد على اثنين: أحدهما فارسي
والآخر عربي.

ولأن كتابي هذا فيه كشف أسرار السرائر المكنونة تحت خاتم النبوة ما سميناه
كتاب السر المكنون. فنقول:

أما بعد فإن الفارسي من أخوي يكون مولده العراق من بلاد الخراب، والعربي
يكون مولده أيضا العراق إلا أن البلاد والموضع التي يولد فيها الصغير مخالفة للموضع
والبلاد التي يولد فيها الكبير.

وقد يجوز أن تكون البلاد واحدة والموضع مختلفة.
وذلك أن مواضع أحيانا الصغير تكون حارة يابسة بعيدة من الماء، ومواضع أحيانا
الأكبر بالضد سواء.

وذلك أن موضعه قريبة من البارد الرطب المائي المنفسح اللدن الرطب، فاعلم

وتبينه وانظر فيه أولا.

ولتعلم أنه إذا تساوت أسنانهما كانت ثمانين سنة، وذلك إذا بلغ الأصغر منهما الثلاثين بلغ الأكبر منهما الخمسين.

فحينئذ تقع الفوائد الكبار والعلوم العزاز والأسباب العظام بغير زمان ودوام الحصاد. فحينئذ يرتفع ويبدأ براحة أخوي هؤلاء.

فأما الأكبر الآخر من الأربعة والأصغر فيلحقهما المنفعة منهما، ولا يكون لهما منهما كثير غناء في أمر أخويهما، والسلام.

وذلك يا أخي إذا كان لأخيك الذكر من الاثنين اللذين كنا في ذكرهما أولا ولد فإنه لا بد من أن يكون له ولدان ذكر وأنثى، وهو قريب من هذا الزمان. ولعل أحدهما أن يكون له والآخر في عقبه، إلا أن الأنثى يكون أولا لعله برده وقربه من الماء كما قد قدمنا أولا.

وحدثني سيدي عن آبائه واحد بعد واحد قال لي آخر: فأما الناشئ في زمان الفسق فإن الأصغر يكون أولاده كثيرا جدا لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وكثير النسوة راغبا في الإنصاف من النساء قليل الرغبة في النساء الصحاح.

فأما أخونا الكبير يكون له امرأتان تقوم مقام امرأة واحدة.

وأخونا الكبير يدم بالغذاء والعمل السوء ويرجع عنه إلا أنه يكون في هذا الزمان قد عمل مرارا كثيرة وقد لحقه من بعض النسوة أثر في بدنه.

إذا تأملت ذلك حسنا وجدته عمالا بالسلاح فاضل الفصول إلا أن عمله بالسلاح يسير. وأظن -والله أعلم وأحكم- أنه لا بد أن يكون محاربا تاما وشجاعته أكثر من فروسيته. تأمل ذلك وافكر فيه، فإن كانت هذه العلامات لك فأنت هو، فلا تخرج ولا تكشف أمرك وأمر أخيك فتهلكان ألبتة.

وأخوك الصغير يكون عظيم الهمة واسع الفكرة، عجولا جبانا، يروم الشجاعة قولاً لا فعلاً، ولا يكون أبدا صاحب حرب بنفسه، فاعلم ذلك.

واعلم يا أخي إنك ستجد مالا في دارك التي ولدت فيها أو قد وجدته ويكون حالاً ولا بد أن يكون قد وجدته وهو حق.

واعلم يا أخي إنك ستجد دينا لغيرك تحتاج فيه إلى تعب ونصب وغمامة بل
تصل إلى ما تريد. وبقي أن تعلم هذا لمن هو من كل واحد منهما.
وأما الكثر - عافاك الله - فللكبير والدفين فللصغير من كل واحد، والله أعلم.
ولتعلم أن أحنانا الصغير سينكب أربع نكبات عظام:
الأولى: من السلطان وهي متوسطة في العظم ويسلم إن شاء الله وحده.
الثانية: من علة تعرض له عظيمة محرقة متلفة تكاد تقتله.
الثالثة: علة أخرى أشق من الأولى وأعظم وأشد يتخلص منهما جميعا بحول الله
تعالى وقوته.

والنكبة الرابعة: أعظمها على سبيل الظنة من الأخ الأكبر، وذلك إنه سيمر
بينهما عجائب من التحاقد والشرور في السر والعلانية بينهما فقط ولا يكون لها
حقيقة، ثم ينكشف الأمر على الصلاح.
وأما أحنونا الأكبر فسيصبيه مرضتان عظيمتان، ثم ينكشف الأمر على الصلاح
والتمام أيضا ويسلم منهما، بل يعقبانه آثارا في بدنه.

وقد كنا بينا في الكتاب المعروف بالأدلة من هذه الكتب الدلالة على أحنونا
هؤلاء، غير أن أحنانا الصغير يتخوف عليه في زمان الحصار ووقوع النكبات واضطراب
السلطان وخراب البلاد وظهور الأشرار على الفجار في جميع الأقطار والأمصار شيء
عظيم، وكذلك على أحنينا الكبير.

وقد كنا قلنا في كتابنا الأغراض لكتاب الأصول كيف يكون وجه سلامة
أحنونا من العلل والأدواء والأوصاب، وبلوغ ما يأملانه من العلوم في ذلك الكتاب.
وذكرنا في كتاب الفرق - ولعمري أن فيه من الأشياء الموصلة إلى العلوم
والطلبات والمهمات وكشفها ما لا ينكر له أن تكون به السلامة.
وقلت: يا سيدي ما معنى السلامة؟ فقال: سلامة أحنونا من الآفات والحسد
يكون بوصول هذا الكتاب إليهما.

وأما الآفات والحسد فإنهما تكون من أعدائهما إن فطنت لذلك.
فاطلبه يا أخي ولا تأس ولا تأسف، وإياك وإياك وإهمال الفكر لنفسك.

فافهما يا أخوي ما أقول في إهمالكما النظر في هذه الكتب.

إن الأسرار المكتومة والعلوم المكنونة إنما تودع -عافاكما- بطون الدفاتر.

وإياكما يا أخوي وإهمالكما النظر لتصيبا علم سرائر الخليقة وصنعة الطبيعة،

فإنك إن لم تنظر فإنك غير أحنينا الذي نصصنا عليه وكذلك أقول لكما: القول في هذا الفصل لواحد منكما هو القول لكما.

فأما أخوانا اللذان قد ذكرناهما فأخونا الذي هو الأصغر من الاثنين يحب العلم

جدا، وهو المسير -وحق سيدي- لهذه الكتب التي لي، وهو يعلم ما فيها كلها، وأخونا الكبير يكون أجود علما فيها وبها منه.

فاعلما ذلك، وحق سيدي إن لن يؤسف على جمع كتبي ليظهرن بمذه الكتب

في العالم جميع ما وعدناك به في كتاب الأدلة وفي كتاب الحياة، وهما نهاية الدلالة من هذه الكتب، وكتاب المزاج وكتاب التجميع، وغيرهما من هذه الكتب، وإياكما وإهمال النظر. وقد كنا وعدناكما بعدة كتب هي تابعة لهذه الكتب المائة وهي تمامها، وليس لهذه الكتب شافع ولا نافع غير هذه التي ذكرناها.

ووحق سيدي لئن وصلت إلى معرفة أسمائها وأي كتب هي من كتبي لتصلن إلى

جميع الذي وعدناك به. فإن وصلت إليك هذه العشرة الكتب مع هذه المائة كتاب فوحق سيدي إنك الرجل الذي نصصنا عليه في هذا الكتاب أنت وأخوك.

ووحق سيدي لئن وصل إليك كتابنا المزاج وفهمته لتكونن بلبناس دهرك به.

فوحق سيدي لئن وصل إليك كتاب المزاج لنا ليصلن إليك جميع الكتب.

وإياك وإهمال النظر فيها والشح لجمعها وطلبها والجلوس والتواني والتشاغل عن

جمعها، وإياك أيضا وترك النظر في كتبنا هذه واختلاط نظرك بشيء غيرها، بل

الصواب أن تعمد لجمعها ودرسها أولا أولا واحدا واحدا وتحصيل ما فيها وأخذ أبوابها

من الأعمال واستنباط العلوم التي فيها وجمع حواشيتها منها حتى يتم الباب إن شاء الله.

وأعني بابا من العلم وغيره من الأعمال وليس لنا في مثل هذا الفن إلا هذه

الكتب فقط في العالم.

كتاب الموازين الصغير

تأليف: جابر بن حيان الأزدي الطوسي الصوفي رحمه الله

الحمد لله رب العالمين وصلاته على نبيه محمد وعلى آله وسلم تسليماً لو ذهبنا نصف فضل الله تعالى علينا وإحسانه لدينا لم نبلغ ذلك بوصف، ولم نخصه بلفظ فمن ذلك أنه عز وعلى لما خلق الثلاثة الأوائل التي لا رابع لها، وهي الحيوان والنبات والحجر وجعل أشرف الثلاثة الحيوان ثم جعل أشرف الحيوان الإنسان الناطق العاقل المأمور المنهي المخاطب المؤدب الذي جعل فيه الجوهرة النفيسة والعلة القريبة منه، وذلك العقل^(١) الذي شرفه الله عز وجل وعظمه فقال: بك آخذ، وبك أعطي، ولك الثواب وعليك العقاب.

ولما أهبط الله آدم عليه السلام إلى الأرض أتخفه بثلاث تحف على يد جبريل عليه السلام فقال له: إلهك يقرئك السلام ويقول لك: قد أنفذت إليك ثلاث خلال الحياء والعقل والدين فاختر واحدة منهن وتخل عن اثنتين فقال: قد اخترت العقل. فقال جبريل للحياء والدين ارتفعاً.

فقالا: لا نفعل قال: ولم أعصيتما؟ قالا: لا ولكننا أمرنا أن لا نفارق العقل حيث

(١) قال ابن سينا في الإشارات والتنبيهات: الإشارات والتنبيهات (ص ١١٣):

حودة الترقى من العقل الهولاني الذي من شأنه الاستعداد المحض باستعمال الحواس إلى العقل بالملكة الذي من شأنه الاستعداد لإدراك المعقولات الأولى أعني البديهيات لا يكون إلا بحسن توفيقه تعالى

وجوده الانتقال من العقل بالملكة إلى العقل بالفعل الذي من شأنه إدراك المعقولات الثانية أعني المكتسبة لا يتأتى إلا بمدايته تعالى إلى سواء الطرق دون مضلاتها، وحصول العقل المستفاد أعني العقود اليقينية التي هي غاية السلوك لا يكون إلا بإلهامه الحق بتحقيقه فإن جميع ما يتقدمها من المقدمات وغيرها لا يفعل في النفس إلا إعداداً ما لقبول ذلك الفيض من مفيضه

وأما العملية فلأن تمذيب الظاهر باستعمال الشرائع الحقة والنواميس الإلهية إنما يكون بحسن توفيقه تعالى وتزكية الباطن من الملكات الردية تكون بمدايته تعالى وتحلية السر بالصور القدسية يكون بإلهامه

وأقول السالك الطالب يرى في بدو سلوكه أن مطالبه إنما تحصل بسعيه وبكده وتوفيق الله تعالى إياه في ذلك وهو جعل الأسباب متوافقة في التسبب.

كان ولو لم يكن من فضيلة العقل إلا ما قال رسول الله ﷺ: «لا تعبدن لمن ليست له عقدة عقل»^(١)، وقال ﷺ: «العقل معيار الإنسان فمن كان فيه أرجح كان أفضل»^(٢).

ولو ذهبنا نذكر الكثير من فضائله لأطلنا الكتاب إلا أنا لم نزل أن نعول عليه كما ذكرته الفلاسفة، وإن سقراط وسائر من يتلمذ له، وإلى وقتنا هذا زعموا أن العقل في القلب؛ لأنه ملك الجوارح وهو الحافظ المؤدي إلى الدماغ ما تعلم الإنسان ولولاه ما فطن الدماغ إليه و لذلك قالوا: إن الملك حقه أن يكون في وسط معسكره فيقرب عليه طرفاه فيعلم غالبهما ويلم شعتهما و يقيم أودهما ومتى كان في طرف معسكره بعد عليه تلافيه وحفظه ومشاورته وبعد الصور منه، ونال عنه.

وقال أصحاب أفلاطون^(٣) وأرسطاطاليس و فيثاغورس وسائر الحكماء إلى وقتنا هذا إن أرفع ما في الإنسان، وأشرفه وأعظمه وأعلاه فرأسه لاجتماع الحواس المستنفع بما فيه فمنه يبصر وناهيك بفعل البصر على سائر الجوارح، ومنه يسمع وأعجب تصويره السمع وعظم منفعته، وفيه يأكل ويشرب فيصل إلى الجسم والقلب من المواد بذلك ما يضبطه ويمسكه، وما بعد ذلك من اللذة الموجودة من الطعام والشراب فوجب أن يكون لهذه الأدلة أفضل من سائر الأعضاء ثم نظرنا فإذا هذه الآلات يمدها بما فيها من سائر ما وصفنا من الدماغ بعروق متصلة دقاق وغلاظ وأعصاب منتسجة بينهما وبينه ثم قالوا:

إن البيوت الثلاثة الموجودة بالعيان في دماغ الإنسان يحجز بين كل بيت وصاحبه حاضر فالذي يلي المقدم مما يلي الجبين يتخايل ويؤدي إلى العينين ما يخايله فرآه. والبيت الثاني الذي في وسط الرأس للذكر يمد به القلب فيذكر الأشياء البعيدة

(١) رواه القضاعي في الشهاب (٨٨/٢)، والبيهقي في الشعب (١٥٦/٤) بنحوه.

(٢) انظر: كشف الخفاء (١٢٠٢/٢).

(٣) ومن أصحاب سقراط أفلاطون كان من أشرف يونان وكان في قديم أمره يميل إلى الشعر فأخذ منه يحظ عظيم ثم حضر مجلس سقراط فرآه يسب الشعراء فتركه ثم انتقل إلى قول فيثاغورس في الأشياء المعقولة وعنه أخذ أرسطاطاليس وألف كتابا وترتيب كتبه هكذا: المنطقيات الطبيعية الإلهيات الخلقيات.

والعهود القديمة.

والبيت الثالث الذي يتصل بمؤخر الرأس الفكر يمدّه بما يتفكر فيه الإنسان فإن فسد بيت المقدم لم يتخيل، وإن فسد الذي في الوسط لم يتذكر وإن فسد الذي في المؤخر لم يتفكر.

وعارضوا القوم الذين قالوا: إن حق الملك أن يكون في وسط معسكره بأن قالوا:

إن الملك حقه أن يكون في أرفع موضع من المواضع ليستشرف منه على سائر معسكره يمنه ويسره وتجاهه وخلفه فلا يسد عليه منه شيء ولا يزول عن عيانه منه مراد فأجادوا الصفات قولاً وقياساً وأخباراً وإطافاً.

فقلنا للفريقين: إن أرسطاطاليس كان قد سبق له تأليف الكتاب المعروف بالمنطق كان معروفاً، وكان له فيه حسن التأليف فجعله أربعة كتب أسماؤها قاطاغورياس وباريرمنياس^(١) وأنولوطيقا^(٢) وطوبيقا^(٣)، وجعل المدخل إليه إيساغوجي^(٤) حتى إنه أتى فيه بكتاب البرهان فسبق إليه.

ولم تكن الفلاسفة ذكرت فيه برهانا فحينئذ سجدت له الفلاسفة لأنه اخترعه فكان أول ما دل فيه أن البرهان برهانان برهان يدل بنفسه لا يحتاج إلى دلالة تبرهن عليه مثل النهار وضوءه ولا يحتاج إلى برهان؛ لأن ضوؤه قد برهن عليه. وكذلك الليل في ظلّمته ونور الشمس مبرهن عليها طلوعها، وحياة الإنسان تبرهن عليها حركته، والشتاء يبرهن عليه ببرده والصيف بجره وغير ذلك يحتاج إلى البرهان مما ليس معه برهانه؛ لأن المقدمات أربعة:

فمقدمة خطبية ومقدمة جدلية ومقدمة سوفسطائية، ومقدمة برهانية.

فمتى اتصلت البرهانية بإحدى الثلاثة كان المعنى لاحقاً بأحسن المقدمتين، وقد

(١) باري أرميناس، معناه العبارة في المنطق، انظر: كشف الظنون (١/٢١٧).

(٢) أنالوطيقا الثاني ومعناه البرهان.

(٣) ويقال بوطيقا معناه الشعر.

(٤) وقد شرح رسالة إيساغوجي في المنطق عدد كبير من العلماء.

شرحت في كتابي هذا الذي شرحت فيه من علم المنطق ما لا يعرف معناه ما لو قرأته كنت منطقياً؛ لأن الفيلسوف أتى به مجملاً إلا أنني أذكر عرضه في المقدمات عنده الخطبية كلام بليغ ليس يعدو بتبين صاحبه بلاغته والجدلية كمثلها تزين بصاحبها بحجته والسوفسطائية تبين عن جهل أصحابها بطرحها الحقائق منها.

وإذا اتصلت البرهانية بأحد الثلاثة فسدت بمجاورتها ما لا منفعة به فإذا قامت البرهانية بنفسها كانت أفضل الأشياء الثلاثة القوانين التي لا رابع لها وهو واجب وممكن وممتنع.

فالواجب هو البرهاني والممكن هو ما اتصلت البرهانية فيه بالحدود الثلاثة فيجوز أن يكون ويجوز أن لا يكون فالممتنع ممتنع بالبرهان وسمته الفلاسفة سالبا ومثاله: ممتنع أن يحرق الماء، وممتنع أن يرطب النار فوجب بواجب لازم أن كل كلام لا برهان له دعوى والدعوى يجوز عليها الحق والباطل.

فمن وجدنا معه البرهان قلنا له: إن قولك صحيح في موضع العقل ومحله ومسكنه، وكان أصحاب القلب الذين بدعوا الكلام فيه. إن البرهان عليهم فلم يجدوه بأكثر مما مضى من كلامهم فيه، وكان ما أتوا به دعوى إذا لم يبرهنوا عنه وسألنا أصحاب الدماغ عن البرهان فوجدناه معهم بأن قالوا: نرى العليل من دماغه يتنوع من أنواع الأوجاع فتبطل عقله بمثل المايلخوليا والتحشف والتسنع وبخار السود الحارة.

فثبت ببرهانهم فوجدت العقل في الدماغ ولا تجد العليل من قلبه بالغم أو غيره من الورم لا يزول عقله، وأنا أبرهن على ما أحتاج ذكره في هذا الكتاب من علم الموازين.

وجابر بن حيان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده وصفيه ونبيه، وهو يستغفر الله من إظهار السر الأعظم والعلم المكتم الذي يجب على سائر الفلاسفة أن لا يتلفظون به، ولا بما هو دونه بمائة ألف طبقة بلفظة واحدة فضلا عن وصف ما كشفته منه وإيضاح مبهم طرائقه حتى لو أراد عالم من العلماء أن يغير أشكاله بسواها ما قدر على ذلك، ولولا أنني علمت أن أهل الدنيا ليس أحد منهم يقف

على ما أتيت به إلا إخواننا المذكورين في كتاب الأدلة ومن جانسهم ممن صفى ذهنه ودق فهمه، ووفر عقله، وكثر حلمه وقرع نفسه، وكثرت دراسته فقد طال علي كم أردد في سائر كتبي ادرسوا الدراسة تورث الدراية فمن فعل ما أمره به رأى في كل دراسة ما لم يره في التي قبلها.

فأما الباقون شخيف الرأي المختلف الناقص الضعيف الخوار القلب إذا أشرف على كتبي نظر فيها صفحا ورمى بما يمينا وشمالا وسب وزنا وقال: رمى بنا جابر بن حيان في البئر كأنه واجب الحق علينا ولو كان ذلك لما جاز أن أعطيه علم الدنيا والآخرة فلأني سبب يجوز لنا ذلك.

وقد أمرنا أن لا نعلمه إلا وعاد السفل اتباع كل ناعق قتلته الأنبياء في بني إسرائيل ومكروهم.

فلو اجتمع منهم عدد الثرى، وأكثر من ذلك كثيرا. ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا لما علموا عرضي فيما قلت، ولا اليسير من الكثير مما ذكرت فكذلك لم آسف أن أعلم إخواننا كما علمنا من قبلنا.

وأنا أبرهن بالأشياء التي تعمل بطبائعها التي لم تفصل، ولم تحلل، ولم تعقد ليكون ذلك برهانا على كون الشيء بنفسه صحيحا عاجلا قريبا من وقته فلو لم تعلم كتابي هذا إلا موضع البرهان على ما ذكرت لكان علما كافيا عظيما شافيا فضلا عن تقريب الطريق الأبعد والمنهاج الأصعب الذي عمله شيبافيسوس في أربعة وعشرين سنة.

وعمله دومقراط في عشرين سنة وعمله فياحرحيس في خمسة عشر سنة وعمله بعده مسلميوس في اثني عشر سنة.

ولم تنزل تختصر قصته وتقصير مدته درجة بعد درجة لا يستعظمون تعبهم به، ولا طول مدتهم في عمله لما يرون من لطف حكم الله تعالى وعلى عبد الله تفصيله ووقت تجميعه وتطويع ألوانه وفرافير أصباغه وتبرهينهم في رياض أنوار علمهم بعظيم منفعة فإن الذي يبلغ إليه لم يحرم نصيبا من الدنيا والآخرة يتنعم بالحلال في الدنيا كيف يشاء ويقدم إلى آخرته ما يرفعه بها إلى أعلى الدرجات كما يشاء فلم يزالوا كذلك إلى

عهد أرسطاطاليس واجتماعه مع التلامذة على باب الملك وقلة فكرة الملك في منفعتهم. فقال لهم أرسطاطاليس^(١): علمنا نفع ما في أيديهم فجنناهم ولم يعلموا نفع ما في أيدينا فجهلوا حقنا وتفرقوا عن باب الملك إلى تدابيرهم فاجتمعوا بعد حول واحد كل واحد منهم قد أصاب على حدته علما، وعمل هذا ما لم يعمل هذا فعجب الفلاسفة منهم وفضلوهم وفضلوا إدهابهم فيه.

وعلم الميزان مكتوم عندهم، وفي أيديهم، وهم يعلمون ويعملون بالصنعة ليروا لطائف الله عز وجل في أحمرها إذا أحمر وأبيضها إلا أبيض وأصفرها إذا أصفر ثم جمعت بماء حار.

وقيل: بماء فاتر وماء التعديل وماء السم وماء التحليل، وماء التجميع وماء التقرير وماء التشميع.

فإذا قام حجرا فرفيريا شعاعيا قرمزيا جوهريا يخطف الأبصار ويذوب كذوب الشمع ويقاوم النيران لا يهرب منها، ولا يروع جسمه عنها فقد يفعل الله تعالى ما يحب بإذن الله عز وجل.

قال واحد: من الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض والزم هذا ما أزم الآية لأهل هذه الصناعة خاصة، ولو أحسنت إلى أهل الدنيا فما تبقى فقير لما افتقرت طوبيا لك وحسن مآب.

ونرجع إلى تمام الكلام الأول: لم يزل علم الموازين من عند جرجس يوصي به

(١) ومعنى أرسطاطاليس محب الحكمة أو الفاضل الكامل عاش سبعا وستين سنة ومصنفاته تنيف على ثمانين وكان أبيض أجلح حسن القامة عظيم العظام صغير العينين والفم عريض الصدر كث اللحية أشهل العينين أقى الأنف يسرع في مشيته ناظرا في الكتب دائما يقف عند كل كلمة ويطلب الإطراق عند السؤال قليل الجواب ينتقل في أوقات النهار في الفياقي ونحو الأتجار محبا لاستماع الألحان والاجتماع بأهل الرياضة وأصحاب الخدل منصفا في نفسه إذا خصم ويعرف بموضع الإصابة والخطأ معتدلا في الملابس والمآكل مات وله ثمان وتسعين سنة ثم إنه تخلف عن خدمة الملوك وبنى موضع التعليم وأقبل على العناية بمصالح الناس، وكان جليل القدر كثير التلاميذ من الملوك وأبناءهم وكان أهل مدينة أسطا إذا أشكل عليهم أمر يجتمعون إلى قبره حتى يفتح لهم ويزعمون أن قبره يصحح فكرهم ويذكي عقولهم واستيفاء أخباره.

عالم العالم عند موته بعد أن يعاهده عليه ألا يذكره ولا يذكر به إلا حكيما مثله فقط سوى سائر الناس إلى أن انتهى ذلك إلى أواني واحتاجت الوصية إلي في زمانى لما لم يوجد لها سواى إذ كنت بقية القوم الذين تقدموني فطلب منى المعاهدة على ستره حتى لا يسمع بذكره.

فامتعت من قبول الوصية مع المعاهدة ثم دفعت الضرورة بعلم خازن الوصية إلى أن سلمها إلي لما لم يجد لها مستحقا غيرى فسألني عن امتناعي عن معاهدته فعرفته أنى خلقت سمحا، وخلق القوم أشحاء فإن تركتني ورأى أظهرت بعضها وخبأت بعضها ورمزت وسترتم فمرزوق ومحروم.

فقال لي: تستجيز أن تجيء إلى علم لا هوى ما سمع الناس، ولا ظنوا أن يقعوا بمثله، ولا يكون والى طريق سلك في أربعة وعشرين سنة وأولهم فنتطلعهم على سره حتى تسلك في سبعة أيام، ولو أردت دوئها في ثلاثة أيام للكيس التحرير والفهم البصير. ولو قلت: دون ذلك في سبع ساعات ولو كان دوئها في ثلاث ساعات.

ولو قلت دوئها حتى يكون بمثل طبيحك القدر الذي يأكل منها لوقتك فعرفته أنى من أن يعلمه غير الحكماء والذين لا أستحل، ولا أستحيز نفع أمثالهم شيئا قدرت عليه وأفضى فهمي إليه فدفعت إلي الوصية فإن كنت ذلك الرجل الذي هذا وصفه، وإخواننا الذين أنبأت بعلامتهم في كتاب الأدلة ودرستم ليلا ونهارا وفتشتم تفتيش الحكماء الذين لا يضحرون ولا يملون، ولا يقولون قد انغلق علينا فتحليه وبعد وهما منه فنقضيه، وأنتم الذين إذا درستم علمم علم الأولين والآخرين وملكتم ملك ملوك العالمين وتبلغتم مبلغ كرام النبيين فانعموا في الدنيا باللذات وفي الآخرة بالحساب.

وما زالوا الحكماء من قبل مكذبون، وكذلك الأنبياء عليهم السلام ما زالوا يدفعون؛ لأنهم لما خلوا بما جهله الناس أنكروه.

وإذا جاز هذا عليهم من أصاغر الناس، وأراذلهم فأحرى أن يجوز علي. ومي عمل العامل حقا لم يضره قول قائل هو باطل فأعداء الحكماء كثير وكذلك جاء للمثل: من عمل شيئا عاداه وأعداء ما جهلوا كثير.

وكيف لا يعادي ما لا يبلغه فهمه، ولا يتصل به رؤيته ويضعف عنه مخبرته وهو

حقيق بمعاداته لا ينبغي أن يلام عليه.

فأما من إذا قرآه فكأنه يراه واستطابه لقرآته، وأهمك على درسه ومحبه لبلوغ غاية سره وإن يدري جميع ما تحويه ويفرق جميع ما فيه فيجب أن يحبه وواضعه غاية المحبة، ويتلمذ له في حياته، وبعد مماته ويكثر به الرحم عليه، ويهدي معرفه إليه أوصلك الله إن كنت مستحقا ولا أحرمك، وأعطاك، ولا منعك.

وقد كنت كررت في كتابي المسمى «كتاب العالم العلوي، والعالم السفلي» أن الطبائع الأربعة القديمة إذا اعتدلت حتى لا يكون جزء واحد منها يزيد، ولا ينقص فيكون بالسواء في ميزان السحاب جاء من ذلك ما لا يفسد أبدا ويصلح كلما فسد بما يخاسده أو يقرب منه.

وقد أتيت في كتابي المسمى «كتاب الشمس والقمر» أنهما لا اعتدلت طبائعهما إلا طبيعتين أرانا الله عز وجل بهما علامتين فنقص منهما وزاد فيهما المخالف بينهما. ووجب بالبرهان أن ما اعتدلت منه ثلاث طبائع وزاد الرابعة كان خالدا أيضا؛ لأننا وجدنا العالم العلوي اعتدلت طبائعه وطالت مدته، وبعد الفساد منه.

فأما النيران فإن الله تعالى لما خلق الأشياء كلها من العناصر الأربع التي هي النار والماء والهواء والأرض خرجت العناصر الأربع من الاستقسات الأربعة من العوالم القديمة التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فلما تزوجت صار من ذلك النار جزءان حرارة ويبوسة، والماء جزءان: برودة ورطوبة، والهواء جزءان: حرارة ورطوبة، والأرض جزءان: برودة ويبوسة.

ثم خلق عز وجل من ذلك العالمين العلوي والسفلي فما اعتدلت طبائعه فصار باقيا على الزمان لا تحرقه النيران، ولا تصديه مياه الغدران وهو الذهب الخالص الذي طبخته الطبيعة فنفت أدرانه بغير عقاقير، ولا تفصيل ولا تطهير وقد ذكرت لك إن كان لك بصر، وقلب التعديل في البابين العظيمين علما وعملا ومثلت لك الحاجة إلى اعتدال الطبيعة في باب الصناعة.

وقلت: الحاجة إليها في غيرها لتعلم أن تعديل الطبائع، واجب في علم الموازين في الصنعة للعاملين، وأن قرب هذا وبعد هذا فالسيل فيهما بمنزلة واحدة وذكرت المياه،

وذكرت التعديل والتجميع والتفريق والتشميع، وإن كان لك نظير فقد أريتك.
وإن كنت أعمى فليس علي لوم وقد قلت في كتاب التجميع: وإنا لو استطعنا
أن نأخذ رجلا فنفضله ونعدل طبائعه ونرده خلقا جديدا لعاد لا يموت أبدا، واعرِف
مائلة عرضي في هذا الإيراد ألم أقل لك إن دواءنا يحتاج إلى تعديل الطبيعة؟ فعدلوه حتى
لا يتحول أبدا، ولا يفسد، ولا يتغير، ولا يدخل تحت التلاشي ويرئ الأكمه والأبرص
والمقلوح والمخدوم بأذن الله عز وجل، وإن لم تعلم ذلك لأعلمت، ولا علم معك، وأنا
أقيم البرهان على ما ذكرته من الحاجة إلى تعديل الطبيعة لعمي لك ورحمتي لك إذ
كنت لا تبصر على الدراية وتجهها لا يفوتك وفيك طبع روحاني من طبائع الحكماء إلا
أنك جامد فقدت حرارة النار والهواء وركنك برودة الأرض والماء.

وأما سائر العالم الكثيف فتنفر قلوبهم من كتبي ويفزعون منها ومن قراءتها
ويصدفون عنها والحمد لله كثيرا.

وفي كتابي الذي فسرت فيه التوراة حتى يقرأ باللغة كما يقرأها أهل اللغة
العبرانية، وإني قرأت بمعونة المعين التوراة والإنجيل والزبور والمزامير فيكون ما وجدته في
التوراة برهانا على تعديل الطبيعة لما يراد بقاؤه، وفقد فساده والحاجة إلى ذكر الخلقة
الأولى لترى منها عملك. وتعلم برد الروح من حرارة النفس وحرارة الروح من برد
النفس، وبرد الأرض والهواء.

وتعلم موقع دواءك إن شاء الله تعالى، وفي التوراة أي حين خلقت الخلق أي:
آدم ركبت جسده في أربعة أشياء ثم جعلتها وراثته في قلده حار وبارد ورطب ويابس؛
لأنني جعلته من تراب وماء ونفس وروح فالبيوسة من قبل التراب والرطوبة من قبل الماء
والحرارة من قبل النفس والبرودة من قبل الروح ثم جعلت الجسد في هذا الخلق الأول
أربعة أنواع لا يقوم الجسد إلا بها، ولا تقوم واحدة منها إلا بالأخرى.

المرّة السوداء والمرّة الصفراء والبلغم والدم ثم جعلت مسكن البيوسة في المرّة
السوداء ومسكن الحرارة في المرّة الصفراء ومسكن الرطوبة في الدم ومسكن البرودة في
البلغم فأَي جسد اعتدلت فيه هذه الطبائع لم يزد، ولم ينقص وجبت صحته أبدا، وإن
زادت واحدة منهن عليهن أو نقصت واحدة منهن عنهن ملي كلهن عليها وعلوها

فحينئذ جاء السقم، ووجب عليه الموت، وقد أظهرت في النار حرارته وبرودته ورطوبته ويوسته، ومن أين تبقى إذا اعتدلت ومن أين تفسد إذا اختلفت فمن أبصر وجدته في التوراة ورآه في جوامع كثيرة وإلا فهو كما قال الله عز وجل فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور.

وها أنا أشرح من علم خواص الأشياء التي عمل الأعمال بطبائنها ما لو رحل بطلبه إلى البلاد البعيدة السحيقة لما عنف طالبه ولا عنت المسافر عليه إذ كان لم يخرج إلى الناس إلا من قبلي، ولا أنبأ به سواي واجعله برهانا على ما ذكرت من أمر الطبائع، وأفعالها العظام فينبغي أن تستره أيها الحكيم إذا وقع إليك، ولا تدفعه لمن لعله لا يستحقه؛ لأنه مكشوف وهو طريق عجيب ولو كان مرموزا مخبوا لا يقف عليه إلا مثلك أيها العلم لهان علي إذاعته، ولم يضرني إشاعته، وأنا آتي بذلك في الأوائل الثلاثة وخواصها أعني الحيوان والنبات والأحجار ولو قيل: لمن يرد على العلماء علومهم ويعيهم ويكذبهم.

لم إذا لبست المرأة النفساء ثياب رجل ثم لبسها الرجل من غير أن يغسلها عنه حمى الربع أفرغت الحمى من ثياب المرأة أم لأي علة؟ وإذا علق عظم الإنسان الميت على ضرس وجع برئ؟ ولم يهرب النمر من جمجمة الإنسان؟

ولم قال أظهورسقسس: إن عظم الإنسان إذا علق على صاحب حمى الربع نفعه؟ ولم إذا تجردت المرأة الحائض وألقت نفسها على ظهرها لم تقرها السباع أتهاب السباع من المرأة الحائض؟

ولم إذا فعلت ذلك تلقاء السحاب الذي فيه البرد حازبها وتنكبها فالمرأة التي فعلت هذا أجزعت السحابة من هذا؟

ولم قال الأسكندر: يؤخذ شيء من سرّة الصبي المولود حين يولد كما يقطع ويوضع تحت فص خاتم فمن لبسه أمن من القولنج ألبة أفرع منه فما العلة فيه؟ ولم إذا أخذت خرقة حائض أو ما تحيض المرأة فربطت على رجل المتقرس برئت؟

ولم بصاق الإنسان الجائع جدا والعطشان جدا يقتل العقارب، وأكثر الهوام. ولم أن خرجت المرأة مكشوفة وجعلت وجهها تحت السحاب لم يمطر، وهو

صحيح؟

وهذه الصورة التي عددا ثلاثة طولاً وعرضاً وقطرها خمسة عشر من كل جهة وبلينوس^(١) زعم أنها من عقد السحر، وهي تسعة بيوت.

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

وهذه صورتها فإذا كتبت هذه الصورة على خرتين لم يصبهما الماء، ووضعتها تحت رجل المرأة التي قد عسر عليها ولادتها ولدت، ولم إذا ذبحت البومة بقيت إحدى عينيها مفتوحة والأخرى مغمضة فيجعلان تحت فص خاتمين فمن لبس فص خاتم العين المفتوحة سهر؟ ومن لبس خاتم العين المغمضة نام؟
ولم الخفاش يفزع من ورق الدلب، ولا يقربه ألبته؟ أو لم نمش الحية ينفعه أكل السرطان؟

ولم السلحفاة إذا عمل من ظهرها مكبة ووضعت على رأس قدر لم تغل، وإذا علقت رجل السرطان^(٢) على حلق الإنسان لم يعرض له الخنازير ما دامت عليه، وإذا علقت عين السرطان على شجرة لم تسقط ثمرتها، ولم يجعل إذا دفن في الورد ذهبت عنه حرته، وإذا أعيد إلى الروث تحرك ورجعت إليه نفسه، ولم لحم القنفذ نافع من الجذام والسل والتشنج ولوجع الكلى يجفف ويشرب ويؤكل مشويا ومطبوخا، ولم لحوم الأفاعي إذا طبخت وأكلت نفعت من الجذام؟ ولم شحم الأسد متى تمسح به أمن من السباع؟

ومن جلس على جلده ذهبت عنه البواسير؟ ولم عين الذئب إن علقت صبي لم يفزع؟ وإن دفن الذئب في قرية لم تقرها الذئاب؟ ولم إذا علقت قطعة من فرج الضبعة

(١) انظر: الفهرست (ص ٣٧٣).

(٢) قال ابن سينا في الشفاء (٥٦/٨): وللسرطانات عشر أرجل مع الزبانيين، وأما العفارين فله اثني عشرة رجلا، والرجل التي تلي الرأس حادة جدا.

على الإنسان كان محبوبا إلى الناس ومن كان معه لسان الضبع لم يؤذه الكلاب.
ولم إذا أخذ قراد من أذن كلب اليسرى وعلق على صاحب الحمى الربع برئ؟
ولم ذكر الكلب إذا جفف وعلق على فخذ رجل أكثر الجماع؟ ولم إذا حمل إنسان معه
ناب كلب لم تنبح عليه الكلاب؟ وبه يسرق الأخباء؟
ولم إن أخذ الحجر الذي يعضه الكلب إذا رمي به وطرح في برج حمام طيرهن؟
وإن طرح في شراب أثار السد وولد الصخب؟
ولم أن علقت إحدى كليتي الثعلب على العنق الذي فيه الخنازير برئ؟
وقيل: دم الأرنب إذا طلي به الكلف ذهب؟ وإذا علق رجله على امرأة لم تحمل
ما دام عليها؟

ولم قال جالينوس: من قتل الأفعى البلوطية الرأس بطل منه حس الشم؟
وقال: إن علق رأس الأفعى على من به خنازير برئ.
وقال أظهورسقس ناب الأفعى الأسبق إن علق على فخذ امرأة منعت للحبل،
وإن ضربت الحية بقصبة مرضت مرضا شديدا، وإن ثنيت لها برئت، و إذا رأت
الأفاعي الزمرد الفائق سالت أعينها وبخاصة البلوطية الرأس.
وها أنا أذكر بعضها من النبات، وغيره، ومن قرأ كتابي هذا رأى فيه علما
عظيما محتاج إليه منتفع به.

فمن النبات المسمى البيش، والقماشير والرند، وما أشبهه كل ذلك يقتل لوقته.
وقد ذكرت في كتاب السموم علاجها فمن قرأ كتابي هذا رأى من قدرة الله
تعالى شيئا حسنا.

وأرجع إلى خواص النبات إذ كنت ذكرت خواص الحيوان لم... المأكولة التي
تسمى الجلوز إذا كانت في يد إنسان لم يقربه العقارب؟ ومن شد في عضده بندقة لم
يلسه العقرب؟ وإن علقت على عضد الملسوع هدى ضربانه؟ أترى العقرب فزعت
من البندق لولا علة في طبعها.

وأصل الهليون إذا علق على الضرس الوجع نفعه، ولم الهندباء إذا رأى الناظر
القمر وكاد وحلف بإله القمر أنه لا يأكل الهندباء الشهر كله سلم من وجع الضرس

الشهر كله الذي حلف به.

ولم الوزغ لا يدخل بيتا فيه الزعفران، ولم الزعفران إذا عجن مثل الجوزة وعلق على المرأة أو الفرس التي قد ولدت بعد الولادة أخرج المسيمة والعفص غير مثقوب إذا شد في التكة أو في العضد أبطل الدماميل، وماء الباذنجان إذا صب على الأملاح والزجات خا، ولم تردد فنا، ولا غيره، ولم ورد الغبراء إذا كان في يد رجل واشتمته امرأة تبعته وأتته، ولو في الطريق، ولم الطلق والخطمي والمغرة إذا طلي به جسد الإنسان لم تعمل فيه النار، وهو أجود ما استعمله النفاطون لأبدانهم، وإن أخذت حلقة من قضيب آس مطوي وأدخل فيه خنصر الرجل الذي في أريته ورم سكن، ولم دهن البلسان إذا غمس فيه مسمار حديد، وأشعل اشتعلت فيه النار؟

وها أنا أبتدئ بخواص الأحجار على رأي سقراط وفيثاغورس أن فيها منافع كثيرة قد ذكرتها ودلت عليها، وهي أربعة وعشرون نوعا ثمانية أنواع أنا أذكرها ونلحقها، وهي حجر متحجر غير منسحق غير ذائب المرقشيثا، حجر غير منسحق ذائب الأجساد الذائبة، حجر متحجر غير منسحق غير ذائب الرخام والأجر، حجر متحجر منسحق ذائب الأرواح الطيارة حجر غير متحجر غير منسحق غير ذائب الجص والتراب، حجر غير متحجر غير منسحق ذائب الأسفنجات، حجر غير متحجر منسحق غير ذائب الشمع حجر متحجر منسحق ذائب ذهب المعدن.

قال أرسطاطاليس: إنه إذا ربط سقيلا على بطن صاحب الاستسقاء نشف منه الماء، وذلك أنه يوزن بعد ربطه بيوم فيوجد زائدا على وزنه الأول وهو الحجر المذكور في التوراة.

وحجر المغناطيس يجذب الحديد بطبعه من بعيد.

ولم الفادرهز يفرق بين الأورام ويعمل في السموم، ولم باليمن جبل يسيل منه ماء فإذا صار في الأرض جمدا، وهو الشب اليماني، ولقد أودع رجل رجلا ودبعة فمنعه منها فدعاه إلى شريح القاضي فاعترف بها. فقال: لم لا تؤديها عليه؟ فقال: يا أبا أمية هو حجر إذا رآته الحامل ألفت ولدها، وإذا طرح في الخل غلى، وإذا وضع على تنور الخباز برد فسكت القاضي ولم يقل رده عليه، ولم البلور يذوب كالزجاج ومن علقه

على رأسه لم يتفزع ولم ير في منامه شراً؟

وإن علق على امرأة حامل حفظ الجنين، وإن أنعم سحقه، ونفخ نحو السراج اشتعلت فيه النار العظيمة، ولا يحرق شيئاً مما مر عليه، وإذا حجر اليرقان فصفّر أولاد الخطاف بزعفران وردها إلى الوكر في أول مرة يفرج فتمضي أمها وتحتها حجر اليرقان وتلقيه عليهن فتبيض فخذة وعلقه على من به يرقان ييراً بإذن الله تعالى.

ويوجد في أعشاشهن حجران أبيضان أو أبيض وأحمر في أول بطن، والأحمر إن علق على من يفزع أبرأه والأبيض إن علق على مصروع أفاق ولم يصرع، وإن لف الجزع على شعر امرأة قد ضربها الطلق ولدت، وإن وضع بالقرب منها دفع وجع الأرحام والبرود نافع لنفث الدم وإسهاله إذا لبسه الإنسان.

وقال بعض الفلاسفة: انه ينفع من الصرع^(١) وحجر العهات وهو الحجر الذي

(١) قال ابن رشد: وأما الصرع فهو سقوط الإنسان بغتة مع تشنج يعتره في جميع بدنه، فيتحرك بذلك حركة منكرة إلى أن يزبد. فكون الإنسان يسقط إلى الأرض ويفقد حواسه وجميع قواه النفسانية دال على أن ذلك الألم في الدماغ. وكونه تشنج أعضاؤه مع حركة منكرة دليل على أن هذا النوع من التشنج هو الذي يعترى عن حركة القوة الدافعة واجتماع الأعضاء إلى نفسها لتدفع الشيء المؤذي، وبخاصة الدماغ ولذلك ما ترى أن هذا الخلط في غاية المضادة لمزاج الدماغ: إما بإحدى كفياته وإما بصورته.

والدليل على أن هذا النوع من التشنج ليس هو الذي يكون لموضع رطوبة العصب واستنقاعه، سرعة تحلل هذا العارض.

وأما الخلط الفاعل لهذا العارض فيلزم ضرورة من سرعة انقضاء نوبته ومدته أن يكون لطيفاً على ما شأنه أن يوجد الأمر في الأمراض الحادة.

لكن لما رأينا أكثر الذين يعترهم هذا المرض أمزجتهم باردة رطبة كالصبيان، أو باردة يابسة كالكهل، وبالجملة فالأعراض التي تظهر على أكثر من يصيبه هذا الألم تدل على أن الفاعل له خلط غليظ، وكان الخلط الغليظ بما هو خلط غليظ ليس يتحلل بسرعة، كان جارياً على ما يقول جالينوس في مجار واسعة أو صيقة.

لأن معنى التحلل ليس شيئاً أكثر من أن تستولي الطباع عليه فتضجحه وتغذي بما شأنه منها أن يقبل التغذي وتدفع الباقي.

وهذا ليس يتفق في الخلط الغليظ بما هو خلط غليظ.

إلا في زمان له عرض على ما أعطته المشاهدة في الأمراض.

=

في جوفه حجر متحرك إذا علق على الحامل أسقطت، وإذا وقع البول في النور بطل

=

ولذلك ما نخدس أن هذا المرض إنما يحدث عن ريح تتولد إما في الدماغ نفسه، وإما في عضو آخر، وترقى منه إلى الدماغ، كما حكى ذلك جالينوس عن الفتي الذي كان يحس كأن ريحا باردة تصعد من بعض أعضائه، ثم يصرع وقد كانت هذه المشاهدة من أمر هذا الفتي كافية في أن سبب هذا الألم، إنما هو ريح.

وحكى الرازي في الحاوي أن هذا هو مذهب أرسطو.

لكن هذه الريح، ضرورة، هي مضارعة للأخلاط الباردة الرطبة أو الباردة اليابسة.

ومثل هذه الأخلاط إذا كانت في البدن هي هيولى هذه الريح.

ولذلك كان شفاء، من شأنه أن يقبل الشفاء من أصحاب هذه العلة، باستفراغ تلك الأخلاط منهم، ومع هذا فقد حكى أنه قد يكون هذا العارض عن خلط مراري، ولست أمتعه: فإن سرعة انقضاء النوبة يشهد بذلك.

وقد ترى الذين يصرعون بمشركة معدهم إنما يعترتهم ذلك في الأكثر عند الجوع الشديد والصوم، أو عند ضيق الحلق.

فهذا أيضا دليل على أن الخلط الفاعل لذلك خلط مراري.

وجالينوس يستفرغه بأرياح الفقرا.

وقد علمنا أن الصبر إنما يخرج أحد أمرين: إما صفراء وإما خلطا شابه صفراء.

وزعم بعضهم أن هذا المرض قد يكون عن سوء مزاج غير مادي بارد يابس، وهذا يبعد لكون هذا المرض إنما يصيب في الأكثر بأدوار.

وأیضا فلو كان عن سوء مزاج غير مادي فإنما كان يكون عن الأشياء التي من خارج، لأن سوء المزاج غير المادي الذي يكون سببه سوء مزاج مادي هو عسير الانقلاع.

وليس يمكن عن مثل هذا أن تعترى نوبة الصرع.

وإذا كان ذلك كذلك فإنما يكون هذا النوع من الأشياء التي من خارج، لأن سوء المزاج المتولد عن مثل هذه الأشياء أعني التي من خارج سريع التحلل.

لكن يبعد أن تبلغ رداءة دماغ إنسان ما أن يصرع عن الأشياء التي من خارج: أعني الهواء البارد.

لكن هذا الذي قلناه إنما هو استبعاد، فإن شهدت التجربة بذلك فيشبه أن يكون قليل الوقوع. وينبغي أن تعلم أنه لا سبيل إلى الوقوف في هذا العلم على إمكان مرض يحدث، أو لا إمكانه مما لما يشاهد، إلا بطريق تخميني، وذلك في الأكثر.

بل سبيل جميع الأمراض ههنا أن تثبت بالحس والمشاهدة، ثم نعطي فيها الأسباب. والسبب في هذا معطي في غير هذا الموضع.

عملها ولم يخلق شيئا.

وببلاد كرمان جبل من اتخذ منه حجرا وشقه وجد في جوفه صورة إنسان إما قائم، وإما جالس فإن سحق ذلك الحجر وجبل بالماء وترك ساعة حتى يجف ثم شق وجد ذلك فيه.

أفترى هذه الأفعال والأعاجيب قصد الطبيعة حاشا لله تعالى أن يكون الأمر كذلك، ولكن تعلموا فتعلموا، ولم تتدربوا بالحكم وتبلهجوا بدراسته العلوم فصار قليل الأشياء تفر عنه أفهامهم.

وأنا أستأنف ذكر الموازين إن شاء الله عز وجل وكل شيء من كلامي مما تقدم من علوم الفلسفة التي ما زلت مذ كنت حدثا ألعب بها لعبا، وأعرف غوامضها، وأركب صعبها فتقلب لي فطنة وتذعن لي بسمعة وأردت بما الفتة في صدر كتابي هذا من إيراد موضع العقل، ومعظم منفعته فإن كنت، واثقا من نفسك بكثرة تجربه فيك ورزقت معه الصبر والفراسة^(١) والتيقظ والدراية فعملك أن تكون صاحبه إن شاء الله

(١) قال أرسطاطاليس في رسالته للإسكندر: يا إسكندر: تحفظ من ناقص الخلقه وصاحب العاهة تحفظك من عدوك وأعدل الخلقه الموافقة توسط القامة وسواد الشعر والعينين وغورتهما وتدور الوجه والبياض المشرب بحمرة أو السمرة مع الخلقه المعتدلة واعتدال القامة وتوسط الرأس مع الصغر والكبر. وقلة الكلام إلا عند الحاجة إليه. والتوسط في جهرارة الصوت ورقته والميل إلى النحافة من غير إفراط وميل أطباعه إلى السوداء والصفراء: فهذه أعدل خلقه وأرضاهما لصحتك.

وأنا أفسر لك شيئا على الأفراد تمزجها أنت بصحة عقلك ونظرك، فالشعر اللين يدل على الجين وبرد الدماغ وقلة الفطنة. والشعر الخشن يدل على الشجاعة، وصحة الدماغ وكثرة الشعر على الكتفين والعنق يدل على الحمق والجرأة. وكثرة الشعر في الصدر والبطن يدل على وحشية الطبع وقلة الفهم وحب الجور والشقرة دليل على الحمق وكثرة الغضب والتسلط والشعر الأسود يدل على الأناة وحب العدل والتوسط بين هذين.

ومن عظمت عيناه وجحظتاه فهو حسود وقح كسلان غير مأمون، لاسيما إن كانت عيناه، زرقاوين. ومن كانت عيناه متوسطتين مائلتين إلى الغورة والكحلة السوداء فهو يقظان محب نفسه. وإن كانتا ذاهبتين في طول البدن فصاحبهما خبيث، ومن كانت عيناه تشبه أعين البهائم في الجمود وبعد الملاحظة فهو جاهل غليظ الطبع، ومن تحركت عيناه بسرعة وحده نظر فهو محتال لص متربص.. وإن كانت العين حمراء فصاحبهما شجاع مقدم، والرديء من

العيون ما كانت زرقاء فيروزرجية فإن كان حولها نقط بيض أو سود فإن صاحبها من أشهر الناس وأردئهم.

والحاجب الكثير الشعر يدل على العياء وغث الكلام وإن كان الحاجب ممتدا إلى الصدغ، فصاحبه تياه صلف. ومن رق حاجبه واعتدل في الطول والقصر وكان أسود فهو يقظان فهم. في الأنف. إذا كان رقيقا فصاحبه نزق ومن كان أنفه طويلا يكاد أن يدخل فمه فهو شجاع. ومن كان أنفه أفطس فهو شبق. ومن كان ثقبا أنفه شديدي الانفتاح فهو غضوب، وإن كان الأنف غليظ الوسط مائلا إلى الفتس فصاحبه غدار كذوب. وأعدل الأنوف ما كان غير طويل فاحش، وكان غلظه متوسطا مائلا إلى الظرف نقيا غير فاحش.

أما الجبهة: فالجبهة المنبسطة التي لا عضون فيها تدل على المخاصمة والشغب والرفاعة والصلف، ومن كانت جبهته متوسطة في السعة والتتق وكان فيها عضون فهو محب عالم فهم يقظان مدير حاذق.

القم: من كان واسع القم فهو شجاع. ومن كان غليظ القم فهو أحمق. ومن كان لحيم الوجه فهو جاهل وقح كذاب. ومن كان نحيف الوجه فهو مهتم بالأمر فهم، ومن صغر وجهه وكان مائلا إلى الصفرة فهو رديء خبيث خداع شكيس. ومن طال وجهه فهو وقح.

الصدغان: من كانت أصداعه منتفخة وأوداجه ممتلئة فهو غضوب. الأذن: من كان عظيم الأذن جدا فهو جاهل إلا أن يكون حافظا، ومن كان صغير الأذن جدا فهو أحمق سارق زان جبان.

الصوت: من كان جهير الصوت فهو شجاع. الكلام: من كان كلامه سريعا لاسيما إن كان صوته سريعا لا سيما إن كان صوته رقيقا فهو وقح جاهل كذوب. ومن كان صوته غليظا فهو غضوب سيء الخلق، ومن كان أغن الصوت فهو حسود متحيل، ومن كان حسن الصوت فهو دليل على الحمق وقلة الفطنة وكبر النفس. الحركة: ومن تحرك كثيرا وعبث بيديه فهو صلف مهذار خداع. ومن كان وقورا فهو تام العقل مدير صحيح القاعدة.

العنق: ومن كان عنقه طويلا رقيقا فهو صياح أحمق جبان. ومن كان عنقه قصيرا جدا فهو مكار خبيث. ومن كان عنقه غليظا فهو جاهل أكول.

البطن: ومن كان بطنه كبيرا فهو أحمق جاهل معجب بحب النكاح. الصدر: ولطافة وضيق الصدر يدلان على جودة العقل وحسن الرأي. الكتفان والظهر: عرض الكتفين والظهر يدلان على شكاسة الخلق، وترافة الصدر واستواء الظهر علامة محمودة. وبروز الكتفين يدل على سوء النية وقبح المذهب.

الذراعان: وإذا طالت الذراعان حتى يبلغ الكف الركبة دل على الشجاعة والكرم، وإذا

تعالى سبحانه فإن لم تتق بنفسك بذلك فلا ترم نفسك فيمن عرف نفسه.
وأعان على طريق حتفه يبحثك فيما لا يبلغ إليه فهمك، ولا تستخرج غوامضها
برؤيتك ثم إني أريتك البرهان عليه وعلمتك غاية البرهان فيه، وفي غيره حتى تزول عنك
الخدیعة بالدعاوى البلیغة فلا يمر بعد ذلك قول إلا طلبت عليه برهانا بالألفاظ، والعيان
فمتى لم يخرج لك ذلك أقمت كلما سمعته مقام السالب لا الواجب؛ لأن الدعوى
يجوز عليها الباطل كما يجوز عليها الحق، وهي إلى الباطل أقرب لبعده البرهان منها ثم
دليلك على الصناعة. وسميت لك مياها الموجدة في كتي مبددة ومجموعة لك في هذا
الكتاب، وأريتك ألوانها وأفعالها بكلام لم يجتمع لي في كتاب غير هذا الكتاب رحمة
لك، وتفصيلا.

ثم عليك رهننت على الأشياء الفاعلة بخواصها، وما فيها من المنافع للأبدان ودفع
الأللال ما يعظم مقداره ويجل خطره، ولم يجتمع في وقت من الأوقات، وزمان من

قصرت الذراعان فصاحبها محب للشر جبان.
الكف: الكف الطويل مع الأصابع الطوال تدل على النفوذ في الصناعات وأحكام الأعمال
ويدل على الرئاسة.

الأصابع: وغلظ الأصابع وقصرها يدل على الجهل والحمق.
القدم: القدم الغليظة تدل على الجهل وحب الجور، والقدم الصغيرة اللينة تدل على الفجور.
العصب: رقة العصب تدل على الجبن وغلظها يدل على الشجاعة.
الساقان والعرقوبان: غلظ الساقين والعرقوبين يدل على البلادة والقحة.

قوة الجسم: وقوة الجسم وكثرة اللحم في الوركين يدل على ضعف القوة والاسترخاء.
الخطو: من كانت خطاه واسعة بطيئة فهو منجح في جميع أموره وأعماله مفكر في عواقبه.
ومن كانت خطاه قصيرة سريعة فهو عجول شكس غير محكم للأمر سبي النية.

أخيار الرجال: أما الرجل المعتدل الفهم الجيد الطبع فهو من كان لحمه لينا رطبا متوسطا بين
الرقة والغلظة. ويكون بين الطول والقصر مائلا إلى الحمرة أسيل الوجه طويل الشعر بين
السيط والجعد أصهب الشعر متوسط العينين مائلتين إلى الغرور معتدل عظم الرأس في رقبته
استواء مائل الأكتاف عديم اللحم في الصلب والأوراك. في صورته صفاء مع الاعتدال في
غلظه ورقته سبك الكف طويل الأصابع مائل إلى الرقة قليل الضحك والمزاح والمرء كأنما
يخالط نظره سرور وفرح: ولا يلزم أن تشرع في دليل واحد. لكن اجمع شواهدك كلها ومتي
جاءتك متضادة فمل إلى الأقوى والأرجح منها إن شاء الله تعالى.

الأزمان ما اجتمع في هذا الكتاب، وما بلغت إلى غرضي فيه إذ كان الموضوع على اسمه كتاب الموازين، وأنا أبدأ بذلك، وأشرح منه ما لا يخفى على ذوي الألباب من العجب العجاب، وبالله سبحانه أستعين على رقمه وهو حسبي ونعم الوكيل.

ثم أبتدئ في ميزان فريري فتركت كتابته وجاء إلى الميزان الطبيعي فقال: اعلم أن غرض الفلاسفة كلهم في الميزان الطبيعي، وأن يعملوا به ما في سائر الأوائل الثلاثة التي هي: الحيوان والنبات والأحجار من الطبائع الأربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فيقدرون بحسابهم الموضوع الذي أنا أشرحه لك بعد هذا كم في الإنسان وسائر الحيوان وغيره من ذلك، وكيف توافقها التغيرات برهنوا عليها بأن قالوا:

إن بطلميوس العالي الحكيم قال في كتاب الموالييد:

إن المولود لا يجوز أن يسمى إلا بالاسم الذي ثبوتُه أوجبه بنحمة لا بتخير أبيه وأمه فمتى اتفق أن يتخير خلاف ما ينبغي اجعل له لقباً ما أوجبه مطالعه فوجب برهانهم أن الأسماء واقعة بالاضطرار على أصحابها فلما سمع أصطفانوس الحكيم ذلك قال: لأجعلن الأسماء أشكالاً توريني ما فيها من الطبيعة فعمل حساب الجمل الذي أصله:

أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ.

وما سمعت بمذنين الشكلين الذين بهما استوعب حروف اب ت ث حتى لم يبق منها شيء إلا من جهتي ودرسي وأثاري، وأنا أبدأ بمعونة الله عز وجل بإظهار الأشكال الموضوععة على الاختيار الذي به شرف الله تعالى هذا الكتاب الذي لو قلت: إني لم أصنف مثله كتاباً لصدقت لثلاث خلال اجتمعت فيه:

إحداها: أنه لا يحتاج إلى غيره فيكون معاوناً له.

والثانية: أي كشفت عنه ما لم أكشف في غيره من كتيبي من غوامض السرائر التي كشفت الأنبياء عليهم السلام للأولياء.

والثالثة: أي فهمتك فيه أعمالاً وعلوماً فلسفية لم تخرج إلى الناس في كتيبي المجتمعة، ولا المتفرقة فإن كشفت لك عن بصرك وأدمت القراءة ودرست بلغت الغاية التي ليس فوقها نهاية، وإن غطى على قلبك فليس علي لأن الذي يلزمي أريك وأوثقك

على المحجة وليس علي أن لا ترى.

وأما بعد فإني كلما سبقت فمطروق قدام ما يجيء في هذا الوقت والله الله في كتمانته والتحرز من إذاعته إلى غير أهله فقد جاء في كتاب الحكمة لا تعلقوا جواهركم في أعناق خنازيركم، ولا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، وهي أمانة في عنقك أن تطلع على سر كتابي هذا غيرك إلا من قام مقامك عند نفسك والله تعالى يوفئك ويسدّدك في هذه الأشكال والمراتب إن شاء الله.

قال الفيلسوف الروابع، والخوامس تدق فلا تبالي أن لا تدخلها في العمل والحساب.

وقال غيره: لو بلغت إلى الثمانية والتاسعة والعاشر لما وجب أن يطرح منها شيء وبرهنوا على ذلك بأن قالوا:

إن حساب المال إذا وجب أن يكون بألف أو مائة أو ما شئت ثم طرحت منه نصف واحد أو ربع واحد لم يجز أن تقول: ألف ومائة حتى تقول غير كذا فتنقص ذلك منه بالوزن الصنجة؛ لأن له موضعا من الوزن لا يتم إلا به، وإلا كان ناقصا.

وهذا جدول الجواهر المكنون والسر الموزون الموصول في علم				
الوزن لجابر بن حيان رحمة الله عليه				
الطبائع	حرارة	برودة	ييسة	رطوبة
مرتبة	أ	ب	ج	د
درجة	ة	و	ز	ح
دقيقة	ط	ي	ك	ل
ثانية	م	ن	س	ع
ثالثة	ف	ص	ق	ر
رابعة	ش	ت	ث	خ
خامسة	ذ	ض	ظ	غ

فمتى أردت علم ما في الشيء من طبائع وكم فيه من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة رجعت إلى الاسم الذي أوجبه طالعه في وقت ولادته ثم نظرت ما في حروفه من المراتب والدرج والدقائق والثواني والثالث والروابع والخوامس فإنك تعلم كم فيه من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة فإن جاءك اسم على أكثر من أربعة أحرف أو أقل منها فترجع عافاك الله تعالى بالزائد إلى أصل حروفه فيخرج لك ما فيه إن شاء الله فكأننا نجيء إلى عقار اسمه فأوينا وهو خارج من الأربعة أحرف فأردنا أن نعلم كم فيه من الطبائع فقلنا ف فوجدنا شكلها ثلاثة حرارة ثم وجدنا أ فكان شكلها مرتبتين من حرارة؛ لأن الألف إذا كان في الثاني صارت مرتبتين وإذا كانت في الثالث صارت ثلاثة، وكذلك في الرابع أربع مراتب، وفي الخامس خمس مراتب، وكل الحروف تجري هذا المجرى أين كانت من الاسم تضاعف على قدر خطها من القسط إلا أن تكون في أوله فلا يضاف قد والله تعالى كشفت لك ما يعز على الفلاسفة أن تخرجه إلى أحد.

ونرجع إلى ألفاويننا وقد خرج لنا بألف ثلاثة حرارة والألف مرتبتين حرارة، لأنها في ثاني الحروف والواو في ثالث حروف الاسم ثلاثة درج برودة والألف أربع مراتب حرارة؛ لأنها في رابع الحروف والنون في خامس الحروف خمس ثواني برودة والياء في سادس الحروف ست دقائق برودة والألف سابع الحروف سبع مراتب حرارة فوجب أن يكون ألفاويننا أشد حرارة إذ كان فيه منها ثلاثة عشر مرتبة وثلاثة حرارة ومنه من البرودة ثلاث درج وست دقائق وخمس ثواني برودة.

وقال الحكيم: إذا لم يكن في الحروف رطوبة، ولا ييبوسة. فاعلم أن المنفعلين، وهما اليبوسة والرطوبة من عمل الفاعلين، وهما الحرارة والبرودة؛ لأن من شأن النار أن تيبس كل شيء ومن شأن الماء أن يرطب كل شيء فإذا فقد بهما من الحروف فصيبر مثل نصف الحرارة ييبوسة، ومثل نصف البرودة رطوبة، وإن لم يكن للحروف في الاسم صورة لأن من شأن الحرارة أن تتبعها اليبوسة، ولا تفارقها أين كانت، وفي أي جسم حلت، وكذلك الرطوبة تتبع البرودة، ولا تفارقها على هذا السبيل فوجب أن يكون في ألفاويننا ثلاث عشرة مرتبة وثلاثة حرارة وفيه من البرودة ثلاث درج وست دقائق وخمس ثواني فوجب أن يكون فيه من اليبوسة ست مراتب وخمس درج ثلاثة وخمس

روابع، وفيه من الرطوبة درجة وثمانية دقائق واثنتين وخمس ثوانث، وإنما بدأت بهذا الحرف الطويل الذي لا يكون في الأسماء أطول منه ليهون عليك ما يقل حروفه.

وأقل ما في الأشياء ما كان على حرفين مثل خل وشب، وما أشبه ذلك فيكون في الخل دقيقة ورابعة رطوبة فوجب أن يكون فيه دقيقتين ورابعتين برودة.

ولما لم نجد فيه حرفا للحرارة علمنا أن البرودة أغلب عليه؛ لأن الرطوبة لا تكون إلا مع البرودة، ولا بد أن يكون فيه حرارة فتجعلها نصف البرودة فوجب أن يكون فيه من الحرارة دقيقة ورابعة ووجب أن تكون اليبوسة مثل نصف الحرارة فتكون خمس ثواني وخمس خوامس، وهذا أتم تعليمك لترى من أين حسبت.

اعلم أن المرتبة عشر درج والدرجة عشر دقائق والدقيقة عشر ثواني والثانية عشر ثوانث والثالثة عشر روابع والرابعة عشر خوامس فانظر بارك الله تعالى عليك إلى هذا الحساب فضعه موضعه وإن جاءك اسم لعقار من العقاقير المشهورة بنهاية الحرارة، ولم تجد فهي من حروف الحرارة شيئا فاعلسه وصير لكل مرتبة من البرودة مرتبتين من الحرارة ولكل مرتبة من الرطوبة مرتبتين من اليبوسة، وكذلك الدرج والدقائق والثواني والثوانث والرابع والخوامس وكذلك إن جاءك اسم لعقار في نهاية البرودة وليس فيه من حروف البرد شيء فانظر كم فيه من حروف الحرارة فأضعفها من البرودة فإنها مختفية فيه، وإن لم تظهر.

وكذلك الرطوبة تجعل ضعف اليبوسة تعمل هذا في كل الحروف لعقلك وتميز كيف عملك فإن لكل جسد في العالم من الأوائل الثلاثة لا بد فيه من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة.

فمتى كانت الحرارة أغلب عليه كانت اليبوسة معها أغلب؛ لأنها منها، ومتى كانت البرودة أغلب عليه كانت الرطوبة معها أغلب؛ لأنها منها ومتى جاءك اسم لعقار لا تعلم أبارد هو أم حار ووجدت فيه حروف البرودة فاجعل حذاء البرودة مثلها من الحرارة ولا تضعفها.

وكذلك فاجعل الرطوبة يحذاها مثلها من اليبوسة وإنما لم أضعف لك ذلك؛ لأنه لما لم يسبقه بغلبة أحد النوعين عليه وجب أن تكون حرارته كبرودته ورطوبته

كيبوسته، وقد والله العظيم سبحانه علمتك، وكشفت لك بغير رمز، ولا ستر فإن كانت قريحتك حادة فستجنيء إلى العقاقير فتزن كل واحد فإذا وزنته فائتبه في روزنامج يكون بين يديك فإذا جئت إلى عقار فهي أجزاء من الحرارة طلبت له عقارا يكون فيه أجزاء من البرودة بوزنها فإن لم يمكنك ذلك إلا في عقار أو عقارين أو ثلاثة وأربعة وإلى مائة حتى يعتدل الفاعلان فيصير مراتبهما ودرجتهما ودقائقهما وثوانيهما بمترلة واحدة ولا يزيد واحد منها على الآخر.

وكذلك اليبوسة والرطوبة إذا اعتدلا في العقاقير التي جمعتهما فتح نح لك من مثلك فركب قدرك فاطبخ المتجانس المعتدل بالنار القريبة اليسيرة يدخل بعضها في بعض ويعشق بعضه بعضا ويذوب فينحل ويجتمع فينعقد عقدا لا تزايل فيه، وقد بلغت إلى الغاية التي وصفتها الحكماء وكتمتها، ورفعتها على طول الزمان، وأنا أشكله أشكالا لتعرفه إن شاء الله فافهم ذلك.

ب ب ب ب ج ج ج ج د د د د ه ه و و ز ز ح ح ح ح ط ط ي ي ك
ك ل ل م ن ن س س ع ع ف ف ص ص ق ق ر ر ش ش ت ت ث ث خ خ ذ
ض ض ظ ظ غ غ.

وهذا هو الصيغ الثاني النافذ فهذا أيضا واحد، وهو اثنين فالكل منها اثنين أرض وماء وهي أربعة في ذاتها مركبة منها وفيها من طبيعتها لا من غيرها فإذا حصلت هذين الجنسين من هذا الحجر الحيواني فقد انحكمت التدبير، وهو الأكبر والأصعب فترفعهما وتصونهما من الغبار والهواء إلى وقت الحاجة ثم تأخذ في تدبير الحجر المعدني الذي لا بد منه، ولا غنى للكل عنه فيه التمام والكمال، ومن غيره لا يتم شيء جيد أبدا فتأخذه وتدبره كما ينبغي له وتضفه إلى الحيوان المدبر كما ينبغي له فيكون ذلك التركيب الأول والثالث من الأول إن شاء الله تعالى.

نخب من كتاب الميزان الصغير (١)

وقد قدمنا في الجزء الأول من هذا الكتاب المعروف بالصفوة ذكر النار والهواء والماء والأرض وكيف موضوعاتها في العالم، وأن النار محلها العلو والماء محله الوسط وهو السفلى إذ شكل العالم مدور وأن الهواء والأرض فيما بين هذين العنصرين، فاعلم ذلك.

وقد كنا قدمنا أن النار والهواء والماء والأرض أيضا مركبة ليست مفردة، وأن المفردات هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة التي منها تركبت النار والماء والهواء والأرض. فالآن ننبئ عن محل الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة إذ كنا محتاجين إليه، وإن لم يكن في العالم إنسان نطق بهذا ولا علمه ضنا به وأسفا عليه.

واحذر أيها القارئ بحق معبودك أن تسمح به إلا لأهله، ومن قبل أن أخبر بذلك فينبغي لقارئ كتبي هذه - إن يقرأها من له دربة وعلم بأمر الطبائع - أن يدبم الدرس لها، فإن البغية فيها والثمرة ليست قليلة وإنما هي المقصد والجمهور المحتاج إليه في كل ما في العالم من شيء، والسلام.

ونقول: إن الدلالة على محل الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة إنما معنى قولنا الفلك لا معنى قولنا جرم الفلك، وكلنها القائمة به.

فانظر وتصور أن الحرارة منه الدائرة العليا والبرودة منه النقطة التي تسمى القطب وهذان الفاعلان، وأن اليبوسة انفعلت من دوران الفلك حينئذ، وكذلك الرطوبة، إذا استوفينا في تعليم الحرارة والبرودة كيف هما ورجعنا إلى تعليمك ما الرطوبة واليبوسة بقول مجمل يشتمل على سائر ما نريد من ذلك، إن شاء الله تعالى جل جلاله.

فنقول: إنه قد وجب أولا من كلامنا أن تعلم أن الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة بالإطلاق أعلى من النار والهواء والماء والأرض بمثل البعد الذي بين النار والهواء والماء والأرض وبين الفلك المحيط بها، فإنها تحت الفلك المحيط بها، والآن نرجع فنقول: كيف تركبت منها.

ونقول: إن الدليل على أن الفلك هو الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة أن تعلم أولاً أن الدائرة عند المهندسين ما يحيط بغير جرم، ومعنى جرم جسم، وأن الخط طول بلا عرض، ولا جسم، وكذلك هو العرض، وأن النقطة شيء يتوهم عقلاً لا حساً، وهو قائم في القوة فكأنه شيء يتوهم ويوجد الحس، وذلك التوهم في غير تلك الحال لا نفس حقيقة الشيء، فكما أن الدائرة تحيط بلا جسم.

كذلك نقول: إن دائرة هذا الفلك هي الحرارة وهي الظاهرة العليا، وإن النقطة منه هي البرودة، وإنه بنفس حركته ما تولد بين الحرارة والبرودة شيء لا هو حار، ولا بارد بل هو شيء زائد التجفيف كثير الخفاء لا يكاد الحس يدركه دون الحرارة في اللطف والدخول فسمى اليبوسة.

ثم إنه تولد عن الجميع شيء غليظ، وأخذ منبسطة، وفيه رخاوة وسمي الرطوبة. وهذا القول لم نقم عليه برهاناً لئلا يطول، وينبغي أيها القارئ المتعلم أن تأخذ ذلك تقليداً وترك الجدل فيه إلا لأصحابه وتعهد إلى جدواه. فإذا رأيت صحیحاً علمت أن الأصل صحيح؛ لأن كل مقدمة كاذبة لا تكون نتیجتها صادقة، فاعلم ذلك.

ومن ركب مما يريد بقاءه على الدهر شيئاً على تركيب تلك الدائرة التي تقدم وصفنا لها بلغ ما يريد من ذلك، إن شاء الله تعالى جل اسمه. ونقول: إن من جرم الفلك أيضاً ما هو طبيعة خامسة على ما قالته الفلاسفة كلها ولم تزد عليه شيئاً، ولست أرضي بذلك، وأريك إياه رؤية في عقلك حتى تتصوره بإذن الله تعالى.

فنقول: إن معنى قولنا جرم الفلك هو ما قد جرت به العادة من كلامنا وكلام الفلاسفة أنه الجوهر القابل لكل شيء، وهو الذي في كل شيء ومنه كل شيء، وإليه يعود كل شيء كما خلقه بارئته تعالى ربنا ومولانا جعله في كل وكل إليه راجع، فهذا ما ضمنا أنا نبينه من أحوال الطبائع.

وأما كيف صورة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والجوهر على تحقيق فإن ذلك هو الطريق إلى علم الموازين.

وأنا أبدأ إن شاء الله تعالى فنقول أولا: إن الذي يخص هذه الأشياء هي العشر المقولات لأرسطاطاليس، وهي الجوهر والكم، والكيف والزمان والمكان والإضافة والقنية والوضع ويفعل وينفعل، فإن هذه المقولات شاملة للموجودات فقط إلا أن الاستدلال إنما هو على ما يوجد من كلامنا على الطبائع، ولا يجد أحد مساعا على أي أردت حد ما لا يوجد، وليس قولنا إنه لا يرى أن لا يوجد فافهم ما نريد فإنه المعنى، إن شاء الله تعالى اسمه.

فأما الجوهر -عافاك الله- فهو الشيء المملوء به الخلل، وهو المشكل بكل صورة وفيه كل شيء، ومنه كل شيء يتركب وإليه ينحل كل شيء. وإن كنت لا تعلم ما هو من هذا القول فهو المباء ولونه إلى البياض ما هو، فإذا وقفت عليه الشمس انقدح وظهر.

فينبغي أن تعلم أن ذلك هو نفس جرم الفلك المنير الأعظم -سبحان خالقه وتقدست أسماؤه- وهو الجسم الذي في سائر الموجودات الثلاثة التي هي الحيوان والنبات والحجر، وليس يمكن أحدا لمسه، ولا إذا مسه وجد له لمسا، ولا يقدر أن يأخذ منه شيئا بيده إلا أن بارئه جل جلاله يدبره كما يشاء أو من أحب أن تكون فيه فضيلة أو كان عنده مقدسا من أنبيائه، وآل نبيه وأصفيائه وأوليائه أو من أحب أن يظهر به أثرا عظيما، ونحن نسأل الله تعالى العون على ما وهبه لنا وأعطانا من فضله الواسع تقدست أسماؤه وتعالى علوا كبيرا، فهذا حد الجوهر بعينه.

فأما الحرارة فإن لونها إنما يتبين لك كلون الجوهر، واعلم أن الذي ذكرناه من لون الجوهر ليس هو لونا له، وإنما هو المتولد بينه وبين الشمس وليس في إمكان أحد المخلوقين إظهار الجوهر بغير ما أوريتك إياه.

فأما لون الحرارة فهي الحمرة الصافية وهي التي تظهر في أعالي النار كأحمر الألوان، فتلك حرارة بلا رطوبة ولا يبوسة بل الجوهر فقط، وليس يمكن أيضا أحدا أكثر من هذا.

وأما البرودة فهو السواد الصافي العظيم الصفاء، وهو المتولد من كل شيء ينحل بالنار.

وأما في النار فهو البياض الذي يعلو النار في بعض أوقاتها حتى يشملها ثم يزول إذا دامت النار، وإنما يتولد في النار؛ لأنه ينحل بالنار من الجسم الآكلة له النار، فلا بد له مما يعلو معها ثم يفارقها، وهو أيضا الصفاء الذي يحدث قبل البرد الذي يقع من الجو بساعة، وهو أسود ويكون بعد ذلك أبيض، وكذلك في النار، فاعلم ذلك إن شاء الله تعالى.

وأما الرطوبة فهي الخضرة العارضة في النار، وأصلها أبيض؛ لأن البياض كله من الرطوبة وهو من تولد كل سواد يعود بياضا أو أي لون كان يحد بحد ما ثم ينقلب ويخرج منه لا يخلو أبيض شديد البياض عظيمه، فاعلم ذلك.

وأما البيوسة فهي أتعب ما في الأمور وأعظمه وهي الأشياء التي تلحق كل شيء قشف أو مشقق أو ناقص، ولونها إلى الزرقة ما هي وفيها نبذة من بياض. وتراه في النار إذا كان المحترق بالنار كثير البيوسة خرجت فيه ذؤابة زرقاء قبل الخضراء، فإذا كانت الرطوبة أكثر تقدمت الذؤابة الخضراء، وربما ظهرت في الشيء المحترق إحداهما ولم تظهر الأخرى.

وكذلك ينسب الشيء إلى أنه بارد على الإطلاق، وفيه حرارة وبيوسة ورطوبة ولا ينسب إلى واحد منها، وإنما هو لأن البرودة تفعل في ذلك الشيء، ويظهر فعلها فيه، ولا يظهر للحرارة، ولا للبيوسة، ولا للرطوبة فيه فعل، وكذلك تحترق الرطوبة والبيوسة في ذلك المحترق وتظهر الأخرى وليس يجوز أن يذهب جميعا منه. فاعلم ذلك. وإذ قد أتينا على محل العناصر وألوانها وسائر ما هي به فلنقل بعد ذلك هل يمكن أن يحصر الإنسان هذه العناصر الأربعة والجوهر معا أم لا.

فنقول: ليس قد قدمنا وقدمت الفلاسفة قبلنا أن الأشياء الموجودة كلها إنما هي جواهر وأعراض حالة فيها وهو حامل لها أو على جهة من الجهات، وأن ليس في شيء من الموجودات شيء آخر داخل عليها؟

وقد وجب مما قلنا، وقالوا: إن الحرارة لا وزن لها وكذلك البرودة والرطوبة والبيوسة وكذلك الجوهر في الظاهر.

وهذا من كلام من لم يستغرق في هذا العلم حق استغراقه، وإنما نظر فيه صفحا،

وهذا محال كله وليس بواجب في باطن كلام الفلاسفة ولا كلامنا أيضا فينبغي أن تعلمه، وهذا سر عظيم جدا.

وانظر وحق سيدي لقد عرضته عليه فقال لي: وحق جدي ليظهرن لك في العالم بعد وقتك أمر عظيم من هذا العلم.

ووالله لئن استغرقت كلامي في هذه العلوم لا أعوزك معها في العالم ولتعلمن العجائب.

وليس علم الموازين نافعا في علم الصنع فقط بل هو نافع فيما هو أعظم منها، وهو علم الطلسمات والكهانة والنواميس العظيمة والتي على مثلها تتذبح الناس، فاعلم وافهم ما أقوله.

وقد وجب الآن على التحقيق أن للحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة أوزانا، وأن للجوهر وزنا لا بد من ذلك، وإلا فوجب أنا إذا جمعنا ما لا يرى ولا يوجد مثلا في الحرارة واليبوسة إلى ما لا يرى ولا يوجد، ولا وزن لأحد منهم لم يكن منه شيء، وكذلك إذا جمعنا لا شيء إلى لا شيء كان من الجمع لا شيء.

وكذلك لو جمعنا ما لا يوجد، ولا يرى، ولا وزن له وهو مثل البرودة واليبوسة إلى ما لا يوجد، ولا يرى، ولا له وزن كان منه شيء لا يرى، ولا يوجد، ولا له وزن وبطل سائر تلك المحمولة عليه، لأن قولنا لا يوجد ولا يرى، ولا وزن له إنما هو حد اللا شيء، فاعلم ذلك.

وإنما حدوده بأنه لا يوجد لأنه لعمرى ليس يوجد منفردا ولا يرى كذلك، فأما لا وزن له فللطافته لا غير، وأما أن يعدمه الوزن ألبتة والوجود والرؤية فنعود بالله جل اسمه من هذه الحال ما أقبح القول فيها وأوحشه، ونحن نسأل الله تبارك وتعالى حسن العون على ما قصدنا له، وألا يزيل رأينا الحسن في الناس بهم وبسوء رأيهم لأنفسهم، فإن العجب والتكبر لا يتركهم ينتفعون، ولا ينفعون وليس كذلك شرط العلماء، ولا المؤمنين فينبغي -عافاك الله- أن لا تضنن على مستأهلي العلم ولا على نفسك أيضا من الدرس والعلم والنظر والبحث، فاعلم ذلك إن شاء الله تعالى.

وقد وجب أيضا من قولنا بعد ذلك أن لهذه العناصر أوزانا إذ في إمكان الإنسان

أن يحصر كل ماله وزن، ولأن ما له وزن ممكن أن يلمس ويوجد ويوضع، فإذا كان كذلك فهو ممكن. فقد وجب إذن أيضا بهذا القول أن الجوهر ممكن لمن أحب الله جل جلاله أن يجعله كسائر الأجسام المدبر منها ما يراد، كمثل الساج للتجار، والحديد للحداد ومثل هذا وأضرابه، وكذلك نقول بعد في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. ونقول بعد ذلك: الآن ينبغي أن تعلم ما حد الكم والكيف حتى إذا علمت ذلك كان لك الوصلة إلى أخذ الجوهر بيدك وعملك منه ما تحب، وأخذك العناصر الأربعة وحملها على الجسم وفك ما تريد فكه منها ورده، وهذه الحال عظيمة يا أخي.

فانظر كيف تصون هذا العلم إلا عن أهله، وأحذرك الله جل اسمه فإنه من السرائر العظام التي لم يعطها إلا العظيم من أصفياؤه وأوليائه ومنتجبيه، والله لا وصلت إليه إلا بما أقوله في آخر كتابي هذا وعلامته أني اسميه الوصية.

فأما الكمية فهي الحاصرة المشتملة على قولنا الأعداد مثل عدد مساو لعدد أو عدد مخالف لعدد وسائر الأبطال والأعداد والأقدار من الأوزان والمكاييل وما شاكل ذلك فيه، وإنما أرادوا بالكمية كم مقدار الشيء في ذاته أي معرفة مقداره على التحقيق، فافهم إن شاء الله تعالى.

وأما الكيفية فإنما أرادوا بها أن يعلموا كيف الشيء هل هو طويل قصير منحرف قائم حار بارد أي كيف حاله وكيف صورة أمره.

وإنما أرادوا بكيفية أيضا أن يعلموا سائر ما في الشيء من الأوصاف كما أرادوا علم مقداره بالكمية.

وهذا حصر سائر الأشياء وليس يخلو من كم وكيف، ولو أنك سألت عن إنسان كنت تقول في سؤالك عنه: كم هو، والجواب: واحد، فإذا سألت عن أعضائه ومفاصله من عظامه وعروقه وسائر ما فيه كان الجواب كذلك على العدد، فإن قلت: كمن يكون وزنه قيل لك كذا وكذا رطلا.

وكذلك إذا قلت كيف هو قيل لك يقوم ويقعد ويتكلم ويضحك وهو أسمر أو أبيض أو أسود أو أحد الألوان وله شعر، وله جلد، وله عروق، وفيه كذا وكذا حتى يؤدي على سائر ما فيه، فما كان من صفة دخل تحت الكيفية وما كان من مقدار دخل

تحت الكمية كذلك. فاعلم ما أرادوا بذلك.

وإنما عملوا ذلك كله لوزن الطبايع لا غير، فلا تهوسن بأنهم إنما عملوه لنجوم أو لغيرها كل ذلك إنما هو داخل تحت الطبايع وتحت موازينها، وإذا كان الإنسان قادرا على وزن النار فقط حتى يعلم ما فيها من حرارة وبيوسة وجوهر على تحقيق كان حد ألف رجل أهون من حد بعضه أو حد واحد من عناصره، فافهم ذلك إن شاء الله تعالى.

وأما الزمان والمكان فهي المحتاج إليها في سائر أعمالك لا بد منها أردتها أو لم تردها هي لك شئت أم أبيت إلا أنه بقى عليك الاختيار لمحمودها من شريرها، وهذا إليك خاصة ونحن نوريك أولا ما الزمان والمكان حتى تختار موضع المحمود من غيره. فنقول: إن قولنا -عافاك الله - الزمان هو الذي يقطع به من حال إلى حال مثل أن تكون قاعدا فأنت في زمانك قاعد ثم تقوم، فذلك الذي من ابتداء قيامك من جلوسك هو الزمان، وهو واحد ما دمت قائما، وإذا جلست فهو أيضا زمان وأنت فيه بغير الحد الأول..

والزمان واحد، وإنما قيل: هذا زمان في القعود وفي القيام زمان ليس أن الزمان متغير عن شيء واحد، ولو كان كذلك للزم أن يكون في كل شيء زمان ولكل شيء زمان، وهذا محال ليس يحتاج إلى تفتيش، ولا نقض، وإنما الإنسان أو الشيء فيه يتغير من حال إلى أخرى، والذي نريد منك أن تضبط لنا ذلك الزمان الذي يكون فيه القيام والقعود والحركة والسكون.

وتحتاج أيضا أن تجعل له مقدارا من الكمية والكيفية أيضا فتقول كم مقدار ما كان زيد قاعدا، وكم مقدار ما كان الدواء سما وكم مقدار ما كان الدواء منحلا. وأما في الكيف فهو أن تقول: كان الزمان حارا أو كان باردا، ولذلك ما وجب أن يقدم الكم، والكيف قبل الزمان والمكان، فاعلم ذلك إن شاء الله تعالى.

وأما المكان فهو الذي ليس يخلو شيء من أن يكون في مكان بته، وليس إرادة الفلاسفة به ذلك فقط إنما أرادوا به أن الشيء الذي تريد ابتداءه في أي زمان هو، وهو أيضا داخل تحت الكم والكيف، وسنين ذلك إن شاء الله تعالى.

وأما معرفة الشيء الذي تريد ابتداءه فلو أنك أردت أن تعمل نارا لم يكن لك بد من حصر الجوهر إلى موضع ما، ثم تحمل عليه الحرارة في موضع غير ذلك الموضع الذي حصرت فيه الجوهر.

وكذلك إذا أردت أن تحمل عليه البيوسة أيضا كان في مكان غير المكان الذي حملت على الجوهر فيه الحرارة، والكيفية تتقدم في هذه الحال على الكمية.

ألا ترى أنك حين أردت أن تعمل النار احتجت أولا إلى أشكالها ثم إلى تأليفها ثم إلى عدد ذلك، ومواضع أماكنها فقد وجب أن تكون الكيفية في هذه الحال متقدمة على الكمية، وليس في ذلك شيء من الخلاف لأن كثيرا من الأشياء تتقدم فيها الكمية على الكيفية والكيفية على الكمية.

وإذ قد فرغنا من معرفة هذه الأشياء الخمسة التي هي الجوهر والكم والكيف والزمان والمكان فينبغي أن تدمم الدرس لها حتى تكون عالما بسائر ما فيها من الأنواع الداخلة تحتها حتى لو ألف لك كلام مثلا علمت سائر ما فيه من جوهر ومن كمية ومن كيفية وزمان ومكان فقلت حده الأول أن فيه جوهرًا وهو الأصل وكميته كذا وكذا وكفيته كذا وكذا، فهذا أول ما يرد عليك، وزمانه ممدود بكذا وكذا ومكانه كذا، وكذا، فهذا أول ما يرد عليك من أمر الموازين.

فإذا أنت علمت ذلك علما صحيح حتى لا يختل عليك فيه شيء دخلت إلى علم الطبائع كدخولك إلى أوائله فاستخرجت سائر ما تريد معرفة طبعه.

واعلم أيضا أنه ليس يجوز أن يكون زمان ومكان ومقدار وجوهر وكمية وكيفية في شيئين مختلفين مقدارًا واحدًا ولا متفقة أيضًا في الجنس والنوع، فمتى اتفقت كان المحدود الثاني مثل الأول بل يكون هو إلا أن يفرق بينهما أيضا الكم، وهو المقدار مثل أن يكون الأول كثيرا والثاني يسيرا أو بعكس ذلك، وهو ما عرفناك أولا في الجزء الأول في الحرارة والبرودة والبيوسة والرطوبة وشيء آخر.

اعلم على أن ذلك دعوى منا، فانظر في سائر الموجودات هل فيها شيء موافق لشيء في جميع حدوده، ولا بد من لا، وإذا وافق الشيء الشيء من جميع حدوده كان هو لا غير، ولذلك ما وقع الاختلاف والاتفاق وعملت بذلك المعادن بما فيها من

تغالب الطبايع حتى كأن في موضع واحد كبريتا وفضة وقارا وملحا وذهبا وزئبقا ونحاسا ودهنجا وترابا وحجارة وحصى وياقوتا، وغير ذلك أو كأن موضع الياقون ذهبا وموضع الذهب ياقوتا والمواضع كلها متقاربة.

وإنما العلة ما أوجبهه أولا واستغني بذلك ههنا عن الدليل من تغالب الطبايع وحلولها في مواضع دون أخرى وتشبث بعضها ببعض، وعندهم أن الحرارة تنافر البرودة، ولا تلائمها، وهذا محال، على أني أوريك أن الحرارة تماثل البرودة، و أن البرودة تماثل الحرارة وكذلك أوريك في الرطوبة واليبوسة.

فإذ قد فرغنا من جميع هذه الخمسة فلنرجع فنوريك أشياء من أنواعها لتقوى على وزن ما أردت وزنه، مثال ذلك أن يكون حجر فيه كمية مناسبة لكمية موازينه في القدر وجوهره مركب عليه طبائعه في دفعة واحدة غير متزيد فيه بعد ذلك شيء من الجواهر وزمانه معادل لمكانه.

ومثال آخر أن يكون حجر فيه كمية مخالفة لمباينة لكميته وجوهره مركب عليه طبائعه في دفعات متزيد فيه وزمانه ومكانه متنافران ما يكونان.

ومثال آخر: حجر كميته مناسبة لكفيته وجوهره غير متزيد فيه مركب عليه طبائعه دفعة واحدة وزمانه مخالف لمكانه.

مثال آخر: أن يكون شيء كميته مخالفة لكفيته وجوهره محمول عليه طبائعه دفعة واحدة وزمانه موافق لمكانه.

مثال آخر: أن يكون شيء كميته مخالفة للكيفية وجوهره مركب عليه طبائعه في دفعات متزيدة عليه وزمانه موافق لمكانه ما يكون، فإذا عرفت هذه وحصلتها تحصيلا جدا فأنت عارف بالأوزان.

فأما الأول فهو الشيء الذي إذا تركب مثله فما أقل ما يكون انحلاله وفساده وهو الذي لا يبلى، ولا يزيله شيء حتى يهلكه بآرائه تبارك وتعالى.

أو ما علمت أن الكمية إذا كانت مناسبة للكيفية والكيفية بإزائها والجوهر منها قد تركبت عليه طبائعه دفعة واحدة فطبائعه ليست تكون مصنوعة إنما تكون صنعة الخالق عز وجل التي لا فساد فيها، ولا علة.

وإذا كان المكان الذي تركب فيه معادلا للزمان في أوانه كان الشيء المركب غير فاسد في النبات والأحجار، وكان في الحيوان في مثل السادة الأبرار صلوات الله عليهم.

فأما إن كان من صنعة آدميين فليس يجوز أن يكون كذلك أبدا ولا يتركب، والسلام.

وأما الثاني فإن الكمية متى خالفت الكيفية، وكان سائر ما في المركب متعادلا على السنن الأول كان كأحد الأشياء التي يلحقها الفساد والتغير والإحالة من لون إلى لون ومن مقدار إلى مقدار.

فأما إذا كانت مختلفة وجوهرها مختلفا متزيدا وزمانها مختلفا لمكانها كان ذلك الموجود بضد الكون وكان سالكا إلى طريق الفساد المنحل.

ومعنى ذلك أن يكون شيء مركبا من أشياء فيها اختلاف واتفاق فيلحقه الفساد فيحلله فيرجع إلى أصله فيكون محدودا بما ذكرنا فيه، وذلك في النبات والحجر والحيوان يكون في الفاني الذاهب الكثير تناقض العلل عليه القصير العمر، وربما كان بطلانه جنينا أو قبل أن يتم على قدر ما وقع فيه الاختلاف.

وأما الثالث فإن الكمية إذا وافقت الكيفية وتناسبت جميعا في المقدار وكان الجوهر مركبا عليه طبائعه دفعة واحدة، وكان زمانه مخالفا لمكانه فإن خالف الزمان المكان فليس يجوز أن يكون إلا بالضد.

فإذا كانا مخالفين بالضد مما أحدهما يوافق الثلاثة المتقدمة المتفقة فقد صحت أربعة وبطل واحد فكان صالحا، وكان من سائر الأشياء التي زمانها أو زمان غيرها لا يوافقها وسلك مسلك الأشياء القلقة التي تفتن وتضمحل سريعا، وإن كان مكانه فاسدا كان من الأشياء التي لا يلائمها مكانها وكانت الأمكنة الأخر موافقة له لا غير، مثل أن يكون المركب في القطر فاسدا فيكون المحيط صالحا موافقا له أو بعكس ذلك.

وافهم سرنا ههنا أعني في الأشكال، فوالله إن علمتها لتكونن الرجل، وانظر وأدم الدرس - عافاك الله - فإنه أحمد إليك في العاقبة دنياه وآخره إن شاء الله.

وإن كان زمانه متضادا في ذاته لا من جهة تماثل الأشياء المترتبة كان من

الأشياء التي كان تركيبها وموضعها صحيحا، وأيامها فاسدا، فهي سريعة الذهاب ومثلها مثال الحواشي التي ليست بقطر، ولا محيط، فافهم إن شئت فإنه المقصد فما قد حددناه، إن شاء الله تعالى.

وأما الرابع فإن الكمية إذا كانت مخالفة للكيفية وكان جوهره وطبائعه صحيحة التركيب دفعة واحدة وكان زمانه معادلا لمكانه فإنه بالعكس من الذي قبله، وهو أن يكون الشيء فاسدا ولكن ليس بمثل ذلك الفساد بل يكون هذا باقيا.

ولذلك قلنا إنه بعكس ما يفسد في زمانه ومكانه وكان من الأشياء التي تركيبها فاسد، إما أن يكون أيضا الخلاف الذي بين الكمية والكيفية مخالفا أو متناسبا. فإذا كان متناسبا صح أحدهما وفسد الآخر كما قلنا في الزمان والمكان. وإن كان مخالفا كان أشد، وأفسد عاقبة، وذلك بأنه يبطل حصر عدده ولونه فلا يكون يحد، ويكون الاضمحلال يلحقه بحسب ذلك.

وأما الشكل الخامس فقد عرفناك ما في خلف الكيفية والكمية، فأما أن يكون جوهره محمولا عليه طبائعه دفعات فإن هذا معمول بالجملة، ولو لم ترد أن تتم ما فيه من أمر الزمان والمكان لكنت مستغنيا عن ذلك، وإنما هذا الفساد لحق هذا المركب من جهة تركيبه، لأن المركب كان قليل العلم بترتيب الكمية والكيفية.

فإن كان زمانه معادلا لمكانه فإنه يكون سببا صالحا، وإن كان مخالفه واتفقت الكمية والكيفية كان أشد وكان أيضا متوسطا، فإن بطل الجميع مع أنه مصنوع بطل الكل من ذلك التركيب. والله أعلم بما نقول والراسخون في العلم.

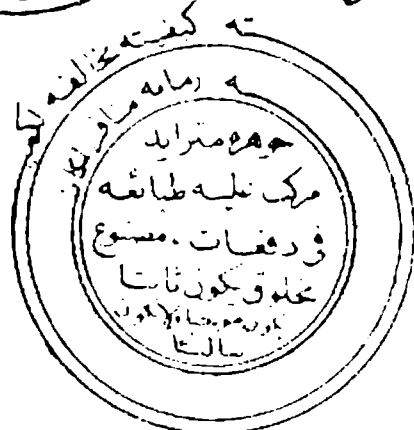
فأما ما يجنك من تركيب هذه الأشياء مما لم نذكره فاحمله على هذا، وإنما أوردت ذلك في كتاب الأصول فقط، والآن حين أبدأ بعمل هذه الأشكال المتصور لك فيها حقيقتها، وإياك أن تغفل عنها في عملك خاصة وعليك بالدرس بما فإنما أصل لكل علم. وليس كلامي فيها ككلامي في سائر العلوم، وهي كتب يسيرة ليست بالكثيرة ولكني ما تركت فيها شيئا إلا بينته وأتيت به في هذه الكتب، وأجمعها أولا وقرأ ما فيها وينبغي لك أيها القارئ أن تضيف بعضها إلى بعض ليخرج لك علم سرائر الخليفة وصنعة الطبيعة بطول دراستها، فاقصد لذلك تكن من عيناه، إن شاء الله تعالى.

شكل التركيب الاول



شكل التركيب الثاني

شكل التركيب الثاني



شكل التركيب الخامس

شكل التركيب الرابع



وإذ قد فرغنا من تمثيل ما يكون، ولا يكون فإننا لم نذكر ما لا يجوز كونه ألبنة وهو على شكلين إما أول أو ثان، وإنما العلة في ذلك الجوهر فقط؛ لأنه الأصل الذي يوضع أولاً ثم يبنى عليه.

فقول: إن الجوهر إما أن تحمل عليه الطبائع دفعة واحدة، وقد بينا أنه مثل خلق الباري جل وعز ما لم يكن، والثاني فعلنا نحن في الجوهر وحمل الطبائع عليه في دفعات، فكأن الأول يكون متخلصاً، وإنما يحصل لنا وزنه، ولا يحصل لنا تخليصه على تحقيق، والثاني أن يحصل لنا وزنه ويمكننا تخليصه على تحقيق، فافهم ذلك لتكون لك به دربة أولاً وشارك المصنوع بغيره، فهما داخلان تحت الجنس والنوع خارجان من الجنس والنوع متفقان فيهما مباينان فيهما، فسبحان خالق هذه الأشياء ما أعظمه وأكرمه وتقدست أسماءه.

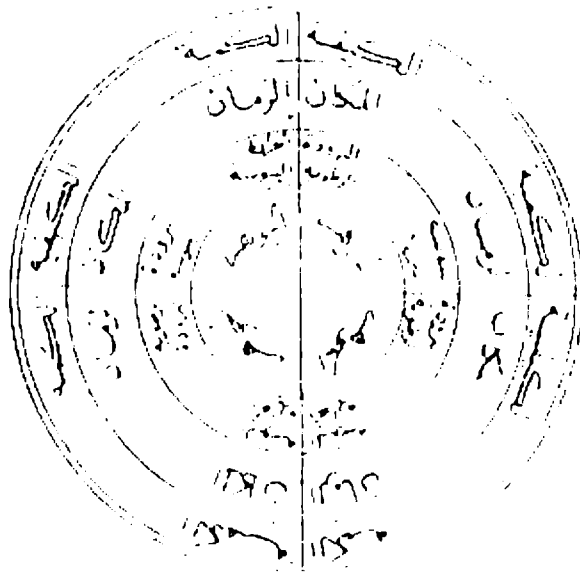
ثم إن الطبائع تحمل في الأول الذي هو دفعة واحدة بما نقوله، وذلك أن الباري جل وعز يأمر الطبائع أن تحصر الجوهر في زمانه ومكانه الذي أحب الله تعالى اسمه أن تكون فيه بأسره فتعتوره ويأخذ كل منها قطره.

وأنا أعلم لذلك شكلاً ليقرب فهمه عليك، وإذا أخذ أحد الفاعلين أعلى الجوهر أخذ الآخر أسفله، وإذا أخذ أحد المفعولين طوله أخذ الآخر عرضه، ويكون ذلك الشيء بعينه فعل ربنا عز وجل ما أعظم هذا، وأطرفه، وكيف سلب ذلك من إمكان المخلوقين وأعلمهم أنه كذلك وهم يصلون إلى أن يفعلوا بالطبائع ما أحبوا وبالجوهر والزمان والمكان والكمية والكيفية وأعجزهم بعد قدرتهم على ذلك أن يعملوا فيه كعمله! أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى! وعزته وجلاله إنه القادر على كل شيء سبحانه سبحانه. فافهم - عافاك الله - ذلك وتبينه وأدم درسه.

وأما المصنوع الثاني فإن من شأن من علم ذلك وتدرّب به، وأراد علمه وكانت فيه مهنة وعلم به اختار أولاً زمان ذلك الشيء الذي يريد تركيبه ثم مكانه، أو مكانه ثم زمانه ليس عليك بذلك ضرر، ثم اختار لحمل الطبائع على الجوهر كمية حسنة وكيفية كذلك، ولم يخل بوحدة عن الأخرى لا بزيادة ولا بنقصان، ثم ركب أولاً أحد الأغلبين وليكن الباطن، وإياك إياك وتركيب الظاهر أولاً فإن ذلك خطأ عظيم.

ثم تركب ما من شأنه أن يلائمه من المفعولين، فافهمه. ثم تركب جسد الظاهر ثم تركب تابعه كما فعل في الباطن فحينئذ يصح كون الشيء من العدم إلى الوجود. فأما الزمان والمكان فإنهما على ما قالت جل الفلاسفة تنقسم أربعة أقسام: زمان ومكان للحرارة، وزمان ومكان للبرودة، زمان ومكان لليبوسة، زمان ومكان للرطوبة، ولو أمكنهم أيضا فصل ما بين الزمان والمكان لعادت ثمانية ولكن لم يمكنهم ذلك. وإنما عمل هذا من الفلاسفة من كان مثل أرسطاطاليس وأفلاطون، وإهم لم يجسروا على ما ذكرناه أولا لأنه لعمرى كثير الفساد والاختلال جدا. وإنما يعمل الماهر الوائق بعلمه ومهنته وهو أن يركب الشيء اثنين اثنين في زمان ومكان واحد.

وذلك بأن يختار الزمان والمكان لهما دفعة، وهذا صعب جدا واتفاقه قليل أيضا من جهة الأزمنة والأهوية ومن جهة النجوم ومن صعوبة الأمر في التركيب فيه؛ لأنه لا يأمن من إبطاء أو سرعة فيخل ذلك به، وهو إذا تم كان أوثق من الأول وأبطأ الانفكاك وألحق بالتركيب الأول، وهذا مثال الشكل الأول ثم الثاني والثالث ليقرب عليك أيها الناظر، فافهم إن شاء الله تعالى.



وذلك أن الكيفية والكمية على حاصرة للزمان والمكان، والزمان والمكان حاصران للجوهر والطبائع، والطبائع أعلى من الجوهر والجوهر دونها، فحملة الطبائع إنما هو ملاصقته أو لا للطبائع ثم إنه يستحد بحدّها حتى يكون الجوهر كله طبائع، فكذلك من قال بالطبائع بلا حامل وكذلك من قال بالأعراض دون الأجسام وكذلك القول بعكس هذا، وهو أن قالوا في أن العرض لا يرى، وإنما الأشياء أجسام.

فكذلك من قال من ههنا بالأجسام ونفى الأعراض إنما هو أن الجوهر لم يفارق هذه الأعراض الملازمة، فانظر ما نقوله، ولأي معنى نقوله، فإنه لا يخفى على منطقي، ولا على طبائعي ولا على فيلسوف، وأدمن الدرس فإنه أنفع لك، إن شاء الله تعالى.

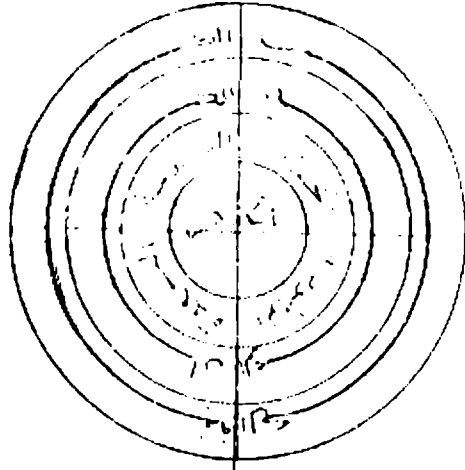
وهذه صورة الشكل الثاني:



وأما ذكر الحرارة والرودة والرطوبة واليبوسة في كل بيت من بيوت الطبائع فإن كل بيت منها إنما يحوي على واحد من الأربعة أيها كان، وهو على ما قدمناه من القول، إن شاء الله تعالى.

وأما الشكل الثالث فهو الذي يكون لاثنين على ما قدمنا من القول نسقا للكلام

فيه، فينبغي أن تدرسه وتفهم معنى الصورة، ولا ينبغي أيضا أن تجاوز شكلا إلى غيره دون أن تفهمه إن أحببت علمه، إن شاء الله تعالى.



فهذا سائر ما يحصل من أمر الكمية والكيفية وكيف وجه تركيبها، وإذ قد أتينا على جملة ما يحتاج إليه فنأخذ أيضا، ونصف أحمد الأزمنة ثم نتلوه بأحمد الأماكن ثم نتلوه بائتلاف الكمية على الزمان والمكان، ثم بائتلاف الكيفية على الزمان والمكان، ثم حمل الطبائع على الجوهر بعد ذلك، ثم آخر هذا الكتاب الوصية التي وعدنا بها.

(٢)

وأما حمل الطبائع على الجوهر فإن الكلام فيه واحد وليس بالمختلف مع سائر ما يدخل فيه من الكلام قديما وحديثا، فينبغي أن تعلم أولا أن الجوهر شيء وأن الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة شيء، وأن الخلق خلقان أول وثان والثاني يشبه الأول؛ لأنه صنعه.

واعلم أن الكلام يلزم أن يكون في التركيب مساويا لكل ما في العالم من نبات وحيوان وحجر.

فأما الحجر فإنه يتخلق خلق الحجر المعدني سواء في جميع صفاته، والحيوان كذلك يتخلق إلا أن بيته وبين الأول فصل، وذلك أن عقل ذلك الحيوان أعني الثاني لا يكون صحيحا أبدا، ولا فاسدا بالجملة، وذلك يكون كالبليد ويكون نطقه ثقيلًا يكاد

أن يستوي بطول العادة، وأدى شيء يهلكه ويضمحل به.

وكذلك في النبات أيضا إلا أنا نعدل في الكلام عن باب الحيوان والنبات ونأتي بأمر الحجر الذي قصدنا له إذ كان جنسا مفردا، فإن كان القارئ يحب ذلك فإننا قد ذكرناه في موضعه من هذه الكتب أعني التي ذكرت فيها الموازين وهي خمسة عشر كتابا وجعلت هذين الكتابين - أعني المتقدم قبل هذا، وهذا الكتاب - كتابا واحدا وسميته بالميزان ولقبت الأول بالصفوة وهذا بالميزان وجعلتهما من أول ما ينبغي للإنسان درسه كتعلم الصبي أبجد.

ثم تتبعه بكتاب يقال له: كتاب البغية ومعناه بغية الرياضة في تعاليم أصول الموازين، والإنسان الذي يكون عنده علم هذا الكتاب يصلح لعلم الموازين، فافهم هذه الأسرار، فوحي سيدي لولا أن في تعديدي لها علما لما عددتها، وإنما قصدي في كتب الموازين التلخيص ضنا بما على غير مستحقها، ولولا ذلك لبسطتها بسطا جعلت الناس بأسرهم يعرفون طبع كل شيء، ولكن أنت تعلم كيف كان يكون الفساد للعالم بذلك.

ثم إنني اتبعت ذلك بكتاب الأصول، وهو الذي ينبغي أن يقرأ في أثر هذين الكتابين وهو الثالث، ثم ألفت كتابا رابعا ولقبته بكتاب القمر الأكبر، وهو مناط بكل ما في كتاب الأصول من علم الميزان على التحقيق، وألفت كتابا خامسا يسمى بكتاب الشمس الأكبر سالكا ذلك المسلك.

ثم إنني ألفت كتابا سادسا وسابعا وثامنا وتاسعا وعاشرا وحادي عشر في الموازين في جملة كتبي في الحجاره وأنا أعرفك أيها هي من الكتب، وهي الرسالة الأولى والعاشره والمائتين والمائة وخمسين والثلاثمائة وهي تسلك هذا المسلك.

ثم إنني ألفت بعد ذلك كتابا يعرف بكتاب المنتهى فيه علوم كثيرة من الموازين، فذلك اثنا عشر كتابا. وألفت بعد ذلك ثلاثة كتب سميتها تفسير السر المكنون - وقد ذكرت جملة هذه الكتب في الفهرست الثالث - وهذه الثلاثة الكتب في الفلسفة أحدها يقال له الطب النبوي على رأي أهل البيت، ومعنى قولي تفسير السر المكنون ليس إنما هو تفسير ما وضعته في هذه الكتب ولكن فيها بقية مما تم به هذه وشيء يسير

من شرح ذلك، فاعلمه إن شاء الله تعالى، وما لنا في هذا الفن شيء آخر إلا ما يقع في الكتب من كلمة بعد كلمة أو شيء تدعو الضرورة إليه، فاعلمه إن شاء الله تعالى.

واعلم أيضا أن في كتابي هذا وصيتين وصية أولى في تعليم قراءة كتب الموازين ووصية ثانية بها يكون تمام عملك للموازين وغيرها، إن شاء الله تعالى.

فأما الوصية الأولى فإن تجمع الكتب أولا كلها أعني الخمسة عشر كتابا ثم تختار أستاذا تأمن به وتثق بعلمه بالمنطق والهندسة والفلسفة وعلم الطبائع وتبدأ بقراءتها من أولها إلى آخرها، فإن الحق يتضح لك إن شاء الله تعالى.

ولنأخذ فيما بدأنا به قبل ذلك من تركيب الطبائع والجوهر، فنقول: إن المقدمة قد كانت على أن الجوهر شيء، وأن الطبائع شيء إلا أن في المقدمة أيضا أشياء ينبغي أن تعلم، منها أن في الطبائع ما هو أخف من الجوهر، وفيها ما هو أثقل من الجوهر، وهما اثنان اثنان فالخفيفان الحرارة واليبوسة، وأما الثقيلان فالبرودة والرطوبة.

وكذلك ينبغي أن تعلم أنه قد وجب بالإطلاق أن كل ما كانت فيه الحرارة فهو خفيف، وكذلك القول في اليبوسة، وبالعكس فإن كل ما كانت فيه البرودة فهو ثقيل، وكذلك الرطوبة، وليس في ذلك شك.

وأيا الطبائع تنقسم أربعة أقسام: قسم يطلب العلو، وهو العظيم البغية، وقسم يأخذ السفلى، وقسم يأخذ العرض، وقسم يأخذ الدواخل من الأشياء وليس في ذلك شك.

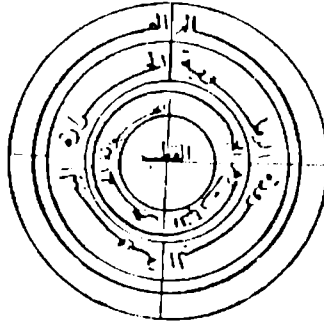
وأيا فينبغي أن تعلم أن الطول كله، والأخذ إلى الأعالي من قسم الحرارة، وأن القصر والعكس بمقابلة تلك الحدود للبرودة، وأن الأخذ عرضا للرطوبة، وهي تكون في الأشياء الغليظة المنبسطة، والأشياء الدقيقة النحيفة لليبوسة لا غير.

وإذا مثلنا أن الجوهر له حد ما في موضع من العالم فليس يكون في كل العالم. وإذا حددنا أنه في كل العالم ومشملة فليس يكون العالم خارجا عنه، وقد وجد أن بعض العالم خارج عن الجوهر، وأن العالم ليس يخلو منه، ومن إحاطته به، فإذا الجوهر لا يخلو من العالم، وإذا كان للطبائع أيضا محل فقد وجب أن يكون بعض العالم خاليا منها.

وإذا حددنا أنها تشتمل على العالم، ولا حيز من العالم يخلو منها فقد وجب أن بعض العالم خارج عن الطبائع وأن العالم ليس يخلو منها، ولا من إحاطتها، فقد حصل ههنا خلاء من شأنه أن يكون حصر الجوهر فيه وحمل الطبائع عليه.

فنقول: إن هذا لا بد له من مثال لتعلم كيف هو وكيف السبيل إلى علمه، إن شاء الله تعالى.

وهذا مثاله:



وإذا كان لا متركب إلا على هذه الصورة فقط وجب أن تعلم أن خلاف هذا متى رأيت عدلت عنه إلى سواه حتى يستقيم لك على هذه المقادير والأوزان، فاعلم ذلك إن شاء الله تعالى.

ولتعلم أن الخلاء ليس يخلو من أن يكون له علو وتحت فقط، فقد وجب أن تحته أصل له، وأن الذي فوقه هو الشيء الذي من شأنه أن يحمل على الأصل بلا شك ولا خلاف، وقد وجب أن تعلم أن الزمان إذا حصلته مع المكان -وقد قدمنا ذلك- بأن تجمع الجوهر في أحد العناصر فإنه ينحصر لك بلا شك، إن شاء الله تعالى ذلك.

أقول أولاً: إن ههنا زمانا ومكانا معتدلين في استقامة واتفاق على ما سلف، وإن الجوهر من شأنه أن يجمع بأحد ما من سبيله أن يتركب عليه إذ لا موجود لنا غير ذلك. فلنقل كيف ينبغي أن يكون ذلك، وعلى أي وجه الدليل إذ كان في المقدمة أي في الإمكان أن الطبائع كلها -وأحدها مساو بانفراد- تنحصر إلى موضع من المواضع وأنها تجمع هذا الجوهر.

والذي قاله فوثاغورس وأمورس وأرشيجانس والطبقة الأولى -وهو متبوع في الأكثر؛ لأن سقراط وطبقته يقول بذلك- هو حمل الرطوبة أولاً على الجوهر؛ لأن من شأن الرطوبة تلزيق الأشياء وتلدنيها وإمكان مكثها عليه لا شك فيه.

وأما ما قالت الطائفة الأخرى فهو حمل أي الطبائع أردت على الجوهر، وهم مقرون مع مخالفتهم أن بطلان تأليفه وصعوبة مسلكه أكثر من تحقيق كونه وسهولته، والأول أنا أحمدته على سائر الوجوه.

فقد وجب أن نقول كيف شكل الجوهر إذا تعلق به الرطوبة أولاً.

نقول: شكل الجوهر إذا تعلق به الطبائع -مفرداً كان أو غير مفرد- كان شيئاً مدوراً، فلذلك وجب أن قولنا إن شكل كل شيء مدور، فاعلم ذلك. ثم تحمل عليه بعد ذلك سائر الطبائع إن شاء الله تعالى.

فقد بينت وأوضحتم لمن يفهم كيف الوصول إلى علم الموازين وكيف ينبغي أن تركيب الطبائع على الجوهر، وأنا أبدأ بذكر الوصية.

وإذ قد بسطت لذلك فلنقل ما سبب ذلك: إني كنت آلفت سيدي -صلوات الله عليه- كثيراً وكنت لهجا بالأدعية وبخاصة ما كان يدعو به الفلاسفة وكنت أعرضه عليه، وكان منها ما استحسنته ومنها ما يقول: الناس كلهم يدعون بهذا وليس فيه خاصية، فلما أكثرت عليه علمني هذا الدعاء، وهو من جنس دعاء الفلاسفة بل هو وتلك واحد إذا قرئت جميعاً، ولكن له فيه اختيار وزيادات.

وقال لي: لا يتم لك الأمر إلا به، وعندني أنه لا يتم لأحد ممن قرأ كتيبي خاصة إلا به إن أزال صورة الشيطان عن قلبه وترك اللجاج واستعمل محض الإسلام والدين والنية الجميلة.

وأما ما دام الشيطان يلعب به ويزله بالقصد فليس ينفعه شيء، وذلك أن اللجاج ليس هو من الشيطان وحده، إنما هو من فساد النية. فاتق الله يا هذا في نفسك، واعمد إلى ما أوصيك به فإنه -وحق سيدي- أحمد لك، وإن أبطأ عليك أمرك. فلا تيأس من روح الله ومن فرجه فتكون ممن ظلم وجور البارئ في قضائه عز وجل، واترك انتظارك فيما أنت فيه محتاج إلى تعلمها، فإنه إذا جاءك الفرج ندمت على ما سلف منك، ولم

تنفعك الندامة شيئاً.

هذه الوصية: أول ما تعمل بأن تطهر وتفيض عليك ماء نظيفاً في موضع نظيف، ثم تلبس ثياباً طاهرة نظيفة لا تمسها امرأة حائض، ثم تستخير الله ألف مرة وتقول في استخارتك: اللهم إني أستخيرك في قصدي فوفقني وأزغ الشيطان عني إنك تقدر عليه، ولا يقدر عليك.

فإذا قلت ذلك ألف مرة عمدت إلى موضع طاهر نظيف وابتدأت فكبرت الله وقرأت الحمد، وقل هو الله أحد مائة مرة وركعت وسجدت، ثم قمت وصليت مثل ذلك، ثم تشهدت وسلمت، ثم قرأت في الركعتين الثانيةين مائة مرة ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر: ١]، وإذا سلمت أعدت مثل الركعتين الأولىين، وقرأت ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] مائة مرة، ثم أعدت اثنتين أخرى بـ ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾، ثم صليت ركعتين أخرى وهما تمام العشر وقرأت سورة، ثم أتممت صلاتك، وإياك أن تكلم أحداً في خلال ذلك، ويشغلك شاغل وأحرى المواضع بك الصحاري الخالية حتى لا يكلمك أحد ألبتة، ثم اجلس وقل بعد أن تمد يديك إلى الله تعالى: اللهم إني قد مددتها إليك طالبا مرضاتك، وأسألك أن لا تردهما خائبتين.

وتبدأ وتقول: اللهم أنت أنت، يا من هو هو، يا من لا يعلم ما هو إلا هو، اللهم أنت خالق الكل، اللهم أنت خالق العقل، اللهم أنت واهب النفس النفسانية، اللهم أنت خالق العلة، اللهم أنت خالق الروح، اللهم أنت قبل الزمان والمكان وخالقهما، اللهم أنت فاعل الخلق بالحركة، والسكون وخالقهما، اللهم إني قصدتك ففضل علي بموهبة العقل الرصين، وإرشادي في مسلكي إلى الصراط المستقيم، اللهم بك فلا شيء أعظم منك نور قلبي، وأوضح لي سبيل القصد إلى مرضاتك، اللهم إني قصدتك ونازعتني نفساي، نفسي النفسانية نازعتني إليك، ونفسي الحيوانية نازعتني إلى طلب الدنيا، اللهم فيك لا أعظم منك، يا فاعل الكل، صل على محمد عبدك ورسولك، وعلى آله وأصحابه المنتجبين، واهد نفسي النفسانية إلى ما أنت أعلم به من مرادها منها، وبلغ نفسي الحيوانية منك غاية آمالها تكون عندك، إذا بلغت ذلك فقد بلغت الدنيا والآخرة إنه سهل عليك، اللهم إني أعلم أنك لا تخاف خللاً، ولا نقصاناً

يوهناك برحمتك وكرمك.

هب لي ما سألتك من الدنيا والآخرة، اللهم يا واهب الكل فاجعل ذلك في مرضاتك ولا تجعله فيما يسخطك، اللهم واجعل ما يرزقني عوناً على أداء حقوقك وشاهداً لي عندك، ولا تجعله شاهداً علي ولا عوناً على طلب ما يعرضك عني، اللهم يا خالق الكل أنت خلقت قلبي، وأنت خلقت الشيطان ولعنته بما استحقه وأمرتنا أن نلعنه، فاصرفه عن قلب وليك أنت، وأعني على ما أقصد له من كيت وكيت.

واذكر حاجتك في هذا الموضوع، فإذا فرغت من سائر ما تريده فعفر خديك على الأرض، ثم قل في تعفيريك: خضع وجهي الذليل الفاني لوجهك العزيز الباقي، عشر مراراً، ثم اجلس ملياً، وقم فتوجه وكبر، واقرأ الحمد وسورة ألم نشرح لك صدرك، واقرأها في الركعة الثانية، فإذا سلمت قل: يا سيدي ما اهتديت إلا بك، ولا علمت إلا بك، ولا قصدت إلا إليك ولا أقصد، ولا أرجو غيرك، اللهم لا تضيع زمام قصدي ورجائي لك، إنك لا تضيع أجر المحسنين، وإنك تقضي، ولا يقضى عليك، قد وعدت الصابرين خير الجزاء فيك ولأصبرن بك لما خفت عني وصبرتني على امتحانك، اللهم قد وعدت بعد العسر يسراً، اللهم فامح أوقات العسر واجعلها زيادة في أوقات اليسر، واجعل ذلك حظاً من الدنيا وحظوظاً من الآخرة، اللهم إن وسيلتي إليك محمد وشفوة أهل بيته، آمين آمين آمين.

قال سيدي لي في ذلك: إن الله عز وجل أكرم من أن يتوسل إليه إنسان بنبيه وأهل بيته فيرده خائباً، فإذا تمت ذلك فصدق في أثره درهمين وثلثين واجعله أربعة أقسام كل قسم أربعة دوانيق، فأول من يلقاك ممن يقبل الصدقة فأعطه قسماً، وكذلك الثاني والثالث والرابع، فإن الله تعالى يحمك العاقبة في سائر أمورك ويزجر الشيطان عن وجهك، واقصد لما أنت تشتهيهِ فإنك ترى فيه الرشد.

وحق سيدي لا وقعت هذه الوصية إلى إنسان إلا وصلت كتبي كلها إليه، ووالله إن لم يدم الدرس والنظر فيها والبحث عن أسبابها ليتعبن تعباً مفراطاً، والوجه قد عرفتك إن تركت الشح في أمر هذه الكتب أيها القارئ، فإن أحببت أن تسلكه وإلا فالله لنا ولك بالرشد.

وحق سيدي لا وقعت كتبي إلى إنسان فضيعه الله منها بل يكون له رزق ولو
اجتهد الناس كلهم على حرمانه ما أمكنهم، وإنها لآية عجيبة وتركه ما يبين عليه من
أول أمرها، فاعلم ذلك إن شاء الله تعالى وبه الثقة، وقد عرفتك وأشرت وإياك
واللجاج يحمد أمرك وتسرب بمنقلبك وتحمد أمر كلامي ويرزقك الله ذلك قريبا، إن شاء
الله.

تم كتاب الميزان الصغير بحمد الله ومنه.

كتاب التجميع لأبي موسى جابر بن حيان

الصوي في الطوسي الأزدي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: اعلم أن كل شيء في الدنيا أعني عالم الكون والفساد لا يعدو في كونه

سبعة عشر قوة.

وهو إما واحد من الحرارة وجب له ثلاثة من البرودة وبالعكس إما واحد من البرودة وثلاثة من الحرارة وليس غير ذلك في الفاعلين وإما خمسة من اليبوسة وثمانية من الرطوبة وبالعكس إما ثمانية من اليبوسة وخمسة من الرطوبة، وليس غير ذلك في المنفعلين. وإن تركيب الأشياء كلها على ذلك فاعرفه، وقس عليه تجد الصواب فيه بإذن الله. وقد كنا تقدمنا فقلنا صورة جميع أشخاص أنواع الأجناس كيف هي كأها ما حل من أحد الفاعلين المحيط فإن الفاعل الآخر يحل الركن وكذلك. ومثال ذلك دواء حار يابس أو حار أو حيوان أو ما كان فإن المحيط به حار يابس وباطنه بارد رطب.

وما أحسن ما قال أصحاب صناعة الحكمة في أن الأسرب ذهب الباطن والقلعي فضة في باطنه؛ لأن ظواهر هذين الحجرين إما الأسرب فمحيطه بارد يابس وباطنه لا شك حار رطب والذهب محيطه حار رطب وباطنه بارد يابس فباطن الذهب مثل ظاهر الأسرب وظاهر الذهب مثل باطن الأسرب، وكذلك القلعي والفضة فإن القلعي حار رطب المحيط بارد يابس الباطن وكذلك الفضة حارة رطبة الباطن باردة يابسة الظاهر فإذا وجب أن يكون بطن شيء من الأشياء مثل ظاهر شيء آخر من جنسه كان ذلك الشيء أو من غير جنسه على أن الجنس أقرب إلى الجنس من غيره كان كهو قد وجب مع ما قدمنا أن الأشياء يجوز انتقالها من شيء إلى شيء إما من جنس إلى جنس، وهو الأقرب. وإما من عين إلى عين وهو الأبعد.

ومعنى قولنا مع ما قدمنا من ذكرنا للسبع عشرة قوة ومقدار بعضها من بعض فإننا نقول: إذا كان مثلاً ما في ظاهر الأسرب ثلاثة أجزاء من البرودة وثمانية من اليبوسة فباطنه غير شك جزء واحد من الحرارة وخمسة من الرطوبة وإنما غلبت البرودة في هذا الكون على الحرارة لكثرة جزئها؛ لأن من سبيل الغالب الظهور والمغلوب الاستبطان ذلك من الأوائل

في العقل ومن شك أن الذهب مع ما قدمنا من القول فيه أن محيطه ثلاثة أجزاء من الحرارة وثمانية أجزاء من الرطوبة وباطنه جزء واحد من البرودة وخمسة أجزاء من اليبوسة.

فالخلف إنما هو واقع قطع من خلف هذه الأجزاء. وهو أن الذهب يزيد جزئين من الحرارة على مقدار حرارة الأسرب فمضى أضيف إلى الأسرب شيء يكون مقدار ما في ظاهره من الحرارة جزئين وثلاثة أجزاء من الرطوبة حتى تمازج بينه وبين الأسرب صار في الأسرب ثلاثة أجزاء من الحرارة وثمانية من الرطوبة وبطلت البرودة واليبوسة لغلبة الحرارة والرطوبة فصار الأسرب ذهباً ضربة واحدة وفي كون واحد وكذلك القول في القلعي والفضة، وإذ قد بان ذلك، وإن الأشياء تنتقل من عنصر إلى عنصر منها تحت جنس واحد كان أقرب مما نقل منها من جنس إلى جنس، فاعلم ذلك.

ونقول: إن الطباع، وإن تفرقت في أشخاص أنواع الأجناس فإنها كلها واحدة فإن ليس حرارة الإنسان مثل حرارة النرجس، ولا غير حرارة الذهب لكن الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة في الحيوان كله وفي أنواعه وفي أشخاص أنواعه كلها، وفي الحجر، وأنواعه، وأشخاص أنواعه كلها، وفي النبات وأنواعه، وأشخاص أنواعه كلها واحدة إذ كان ليس حرارة أطول من حرارة، ولا برودة أقدم من برودة ولا رطوبة أقصر من رطوبة ولا ييبوسة غير ييبوسة لكن الخلف فيما بينهما إنما هو بالكثرة والقلة فإن حرارة المزار أكثر من حرارة الدم، والأكثر ههنا أقوى وحرارة الدم أقل وأضعف وحرارة النحاس أقوى من حرارة اللسان.

وكذلك برودة الطلق أقوى من برودة الخيار وبرودة اللقاح من برودة الورد وبرودة الدماغ أقوى من برودة العظام ورطوبة الماء أقوى من رطوبة العسل، ورطوبة الزئبق أقوى من رطوبة الكبريت^(١) ويبوسة الكبريت أقوى من ييبوسة الزئبق ولذلك وقع التغاير بين الأشياء والخلف، واحتيج إلى الفصل المنطقي ولولا ذلك كانت الأشياء كلها شيئاً واحداً لا يختلف فيها فسبحان المقدر للأمور كيف ما شاء إنه حكيم عليم.

(١) الكبريت: كل كبريت ففيه قوة جاذبة لأن مزاجه حار وجوهره لطيف، ولذلك أيضا يضاد حل سموم الهوام، واستعماله يكون بأن يسحق وينثر على موضع اللسعة أو يعجن بالريق ويوضع عليها أو بالبول أو بالزيت أو بالعسل أو مع علك البطم ويشفي أيضا الجرب والقوباء والعنة التي يتقشر فيها الجلد.

نخب من كتاب التجميع

فينبغي -عافاك الله- أن تعرف هذه المواضع ولا يتصور لك المحال.
فإن النحاس قد يمكن أن يخرج لك منه رصاص ويعود إلى النحاسية.
وهذه الأشياء التي جرت هذا المجرى قد يجوز عليها خلع أنواعها ورجوعها،
وليس ذلك في النبات والحيوان لأنها لا تعكس.

لأن الحجر إذا انفعل منه حجر أو حيوان أو نبات أمكن في ذلك الحجر المنفعل
من الحجر والنبات المنفعل من الحجر والحيوان المنفعل من الحجر أن يعود إلى الحجرية.
فإذا انفعل من الحيوان حجر لم يمكن أن يعود ذلك الحجر إلى الحيوان، وإذا
انفعل من النبات حجر لم يمكن أن يعود ذلك الحجر إلى النبات.

وليس ذلك في النبات والحيوان من قبل ضعفها، وذلك أن الحيوان إذا جاء نباتا
لم يمكن أن يعود إلى الحيوانية في هذه الرتبة إلى أن يصير حجرا ثم يرد إلى الحيوان
فاعرفه، وإياك أن تروم منه ما ليس في الإمكان فتروم حجرا.

ولنمثل أن الحيوان كله ا والنبات ب والحجر ج.

فنقول: إن ا في ب و ب في ج فواجب أن ا في ج إما في البعض أو الكل ليس
فيه خلف.

ونقول: إن ا في بعض ب و ب في كل ج فليس ا في كل ج بل في بعضه.

ونقول: إن ا إن كانت في كل ج و ب في بعض ا في كل ج و ج في كل أ و ب

في كل ج و ج في كل ب و ا في بعض ب و ب في بعض ا فامتنع من جهة وثبت من
الأخرى، وقد ثبت أن ا في كل ج و ب في كل ج فسهل رجوع ب من ج إلى ب.

فاعلم ذلك وافحص عن وجوهه، وقد أنبأنا عن ذلك في كتاب التصريف آخر

وفي كتاب الميزان والأصول والمنطق، فاطلبه إن شاء الله تعالى.

فأما قولنا في المثال فإن المثال في تكوين الحيوان خاصة، فأن ينظر إلى الإنسان

الذي يراد تكوين مثله أو أي شيء أريد من الحيوان فلتؤخذ قوة فهمه أولا إذ لا عالم
أعلى من عالم العقل، ثم ينظر بعد ذلك إلى نفسه وكيف أبو البخل يوصف بأبي الكرم

وأبو الشر بأبي الخير وأبو العلم بأبي الجهل إذ كانت هذه الأخرى دون عالم العقل.
ثم بعد ذلك الذي ينبغي أن يقوم هو الجسم الذي عليه العناصر، فصح أن
الجوهر أعمس كما قلنا وبيننا ذلك في كتاب التصريف، فإنه فيه محكم وكذلك في
الميزان، وضح أن الطبائع قد خرجت بالميزان في التي قد فرغنا منها فيما تقدم من مثل
الكبد والطحال والدماغ والعظام والغضاريف وجميع المفاصل.

ولا تقدر أيضا أن ذلك يعمل واحدا واحدا ولا تقدر أنه يعمل جملة واحدة.
وهذا التفصيل: فالعمل في التكوين على المثال الأول صحيح، والمثال الثاني يخرج
سائر الحيوان أبله لا يفهم شيئا لكنه بالعادة قد يقارب الاستواء، والأول أبعد زمانا.
فليكن الآن تكوين الحيوان على ثلاثة أجزاء: جزء أول وجزء ثان أبله وجزء
ثالث ذكي حي حاد خيول ناموسي الطباع.

وإذ قد بلغنا إلى هنا فلنأخذ في التكوين الأول ليصح القول فيه ثم نتبعه بالثاني
الأبله وبالثالث الذكي ويكون مقطع الباب الأول من الأربعة.

فمعلوم أن المثال لا بد منه وهو قولنا: إما إنسان وإما واحد من الحيوان.
فلنعتمد أولا فنصرف أحواله وتحصل من كتاب يقال فيه من حال ويترك مرتبة
مرتبة.

ثم تتخذ آلة من زجاج أو بلور أو حجارة أو لون من الألوان—والزجاج
أجودها إذا عملت منه— في ثخن الأصبع وإن أريد أن تجعل أنقص في الطول والعرض
أو أكثر فعل.

وكذلك إن أريد بنقل بدن جارية ووجه لرجل أو عقل لرجل وجسم صبي أو
أحب التغيير فإنه ممكن، وعملت الآلة على الشكل الذي يراد.

ثم عمد بعد ذلك إلى كرة مقدارها كطول ذلك المثال مرة ونصف من جميع
جوانبه حتى يكون في وسطها كدائرة في دائرة.

ثم تجعل عند رأس المثال ورجليه زيادة في الزجاجاة وقد تكون الكرة مصممة، ثم
يعمل عليها من الطين الأملس بغير شعر ولا تبين الذي من سبيله أن يكون أملس
المعروف بطين حرى—وقد أتينا به في كتاب الأطيان فاطلبه— ثم طينها به طينا ثخيناً

واتركها تجف وتصلب.

فإذا جفت فاصقل أعلاها حتى يصير كالمرايا، ثم اقطعها بمنشار رقيق لين حاد لا يكون فيه تضريس بنصفين، ثم خذ أحد النصفين واصقل داخله كما صقلت خارجه وكذلك فافعل بالنصف الآخر.

فإذا صارا شيئا واحدا وليكن المثال مجوفا كله مقطعا كل مفصل منه على حدته: رأسه قطعة بما فيه، كتفاه وصدرة وبطنه وظهره قطعة أخرى، وأعضاءه وذراعه وكفاه، كل ذلك يفصل حتى متى خلع يخلع ومتى ركب يتركب.

ثم يؤخذ من المني الذي لم يلحقه برد أو من تراب الجبل الذي قد كنا عرفناك إياه من بلاد مكران وكرمان أو قطعة لحم من ذلك الحيوان الذي يراد تكوين مثله، وكذلك نقول في المني.

فاعلم ذلك واحفظ هذه الأصول أولا هذا ولا واحدا منها.

فخذ من أعضاء الحيوان واللحم والأدوية والعقاقير وأمثال ذلك بالميزان، ثم ركب كل شيء منه في موضعه - وابتداء بوضع العظام ثم اللحم والعصب والعروق والشرابين والغضاريف وجميع ما فيه من ظفر - وأطبق المثال شيئا على شيء على أيها شئت ثم أرفعه بما يكون له مما يضبطه.

ثم تكون قد عملت في داخل تلك الدائرة المقطوعة بنصفين محورا له مرود يدور عليه الصنم في ذلك المرود والمحور والصق النصف على نصفه من الدائرة وسد الوصل ويكون للدائرة أيضا محور وملولب يدور في حفير كالنهر.

وقد استوفينا لك هذا المثال في عمل الأجساد وفكها وردها في الكتاب المعروف بالتدبير من الكتب المائة والاثني عشر.

ثم ركب الدائرة في محورها ويكون لها ما يديرها دائما ويوقد تحتها بنار واحد ووقود واحد - وميزان النار فقد فرغنا منه في كتاب لنا يعرف بكتاب الصفة وفيما مثلنا في كتاب التصريف من الأيام - وتكون حركته دائمة بذاته أو رحا أو غير ذلك من الأشياء التي من شأنها الحركة، كالمثلين ببلاد مصر المتحركة دائما فإن قامت على عمود حديد تحته مرآة مصقولة ليس في طبع العمود ولا المرآة أن يقفا أبدا والعمود

مدملج الدائرة والمرآة مقعرة ورأس العمود مستقر والشكل المدملج اللين لا مستقر فيه
لمدملج لين فقد عملت حركته دائمة على ممر الدهر.

وتلك الحركة عملها صاحبها على حركة الفلك - وقد ثبت ذلك في كتاب
الأشكال الطبيعية - ولم يكن قصده غير الفلك وحركته ويعمل ذلك دائما إلى منتهى
الأيام.

وإياك أن تكون قليل المعرفة بتمام الأيام فتنقصها أو تزيدها فيتلف في ذلك
الشيء المتكون.

فإنه ربما خرج - وحق سيدي - أحسن من كل شخص في العالم وأتمه.
واعمل على أنه يتم بأن تتيقن صحة ذلك، إذا تم عضو من أعضائه فإنه يتكون
الكل كذلك إذ كانت الأجزاء مثل كلياتها في البسائط فاعرفه.

فهذا ما في هذا النوع من التوليدات على ما ذكره فرفوربوس إذ كنا إنما نشرح
في هذا الكتاب كتاب فرفوربوس الصوري وكتاب ريسموس في الميزان.

ومن يطلع على هذه الكتب ويقرأها علم ممننا عليه، وذلك أنهما أغلقا الكلام
في هذه الأشياء إغلاقا شديدا عظيما.

وأما الطائفة الذين قالوا بالتعفين فقالوا: هذا التكوين لا يتم من قبل أنه بغير
تعفين والتكوين لا يكون إلا بالتعفين.

غير أنهم يقولون: إن السياقة جيدة محكمة لو أن لها رطوبة، وذلك يكون بأن
يجعل المثال في جوف دائرة من نحاس مهندمة كما ذكرنا في الأولى ويكون ملؤها ماء
والمثال موضوع في جوف الماء والدائرة النحاس في جوف دائرة الطين والوقود على
أضعاف الأولى.

وينبغي أن تعلم أن الذي يجب أن تكون النار عليه هو مقدار المرتبة الأولى مادام
في دائرة واحدة والمثال في جوفها وهو الذي ذكرنا أنه يتحصل بالعدد وأما إن كانت
الدائرة في جوف الدائرة فالوقود يكون بمقدار المرتبة الثانية وهو على ثلاثة مقادير من
الأولى.

وهذا قول هاتين الطائفتين ليس فيه غير ذلك وهم الذين قالوا بالطبع، فاعلم ذلك.

وأما من قال إن الروح لا يتولد إلا من الهواء فله شكل آخر، وذلك أنهم يجعلون المثال في دائرة شبه مثقبة ثقبا كثيرة اللطائف وتكون فارغة ويجعلونها في دائرة نحاس مملوءة ماء كما كنا مثلنا أولا وتجعل تلك الدائرة الأخيرة في الدائرة الكبرى التي هي الطين ويكون وقودك على أضعاف الأولى خمس مرات وهو مقدار المرتبة الثالثة. وليس للتوليدات ما هو أشد من هذا في جميع الأعمال لأنه الغاية كما قلنا فيما سلف إن وقعت على ذلك.

وينبغي أن تعلم أن مقدار المثال ينبغي أن يكون من الدائرة الأولى على مقدار النصف سواء لا زيادة ولا نقصان فيه.

وهذا فقد ذكرناه لك في تقاطع الدوائر بالنصف والثلاثين من تعليم الهندسة. مثال ذلك مثل قطرها ثلاث مرار وسبع واحد، ونصف ثلاث مرار قدر ونصف سبع قدر إذن على الحقيقة نصف دائرة.

مثال الأول اثنان وعشرون إلى سبعة والثاني أربعة وأربعون إلى أربعة عشر، فلتكن الدائرة العظمى ستة وستين والقطر من الثقبه أحد وعشرون.

فقد صح أن المثال ينبغي أن يكون في النصف من الأولى فوجب إذن أنه إن دخل في العدد المثال كانت الدائرة الأولى ثمانية وثمانين والثانية ستة وستين والثالثة أربعة وأربعين والمثال له مقدار اثنين وعشرين أو على الأضعاف والزيادة، فكان الأولى العظمى أربعين والثانية عشرين والثالثة عشر والمثال خمسة.

فافهم ذلك وتيقنه، فقد - وحق سيدي - أوضحت فيه وجوه التعاليم على مقدار عظيم بالإضافة إلى كلام فرفوروس، فاعلم.

وطائفة قالت: ينبغي أن يكون ما في داخل الصنم المني فإنه الأصل ولا تكوين إلا به.

وهذا شيء يعم الناطق ولا يضاف مني إلى غيره من الأشكال فاعرفه. وقالت طائفة: متى غيرت الصورة فعمل إنسان له جناح احتاج إلى مني ذلك الطائر أو الحيوان وكذلك بالمثال الواحد يعني الاتساع فيه وكثرة الكلام عليه.

وقالت طائفة: لا ولكن ينبغي أن تؤخذ العقاقير التي ذكرت فتسحق ناعما

وتجعل في الإناء الذي هو المثال بعد أن تعجن بالمني عجنا بليغا.
وقالت طائفة: ليس يحتاج التوليد إلى عقار ولا دواء ولا ميزان بل ينبغي أن
يعمل من دم ذلك الجنس لكل جنس، فإنه يكون منه الجنس الذي يراد.
ومتى خالط هذا الدم جنس غير ذلك الجنس لم يكن بد للجنس الذي ولد من
أن يخرج فيه شبه من الجنس الذي خالطه من دمه فاعرفه.
وطائفة قالت: بل تسحق به الأدوية والعقاقير يعني بالدم كالكلام الذي صدرناه
في المني وهو وذلك الكلام واحد.

فلتعرف وجهه وجود النظر فيه حتى لا تخلط شيئا بغيره من الأجناس فيذهب
العلم باطلا.

وقالت طائفة: بل يعجن كل جزء من الأجزاء وماله من العقاقير بالدم -وقد
قلنا في أصحاب المني مثل ذلك وهو كلام حق وينبغي أن يتصور ذلك ويحكم النظر
فيه.

وينبغي لك أيها المتعلم أن تعلم أن جميع هذه الوجوه حق أيها عمل به، فاعرف
ذلك.

فإن الوجه الذي أوريناك قد صار حيوانا غيره وجوها كثيرة ممكن التصريف فيها
أن يستخرج منها ما لا يفنى، فاعرفه وقس عليه.
وهو أن القوم هم الذين سموا أنفسهم مصورين يريدون بذلك التشبه بالعلة التي
ابتدعت هذه الأشياء لأنها عندهم وهم بمتزلة.

وذلك أن هؤلاء القوم عندهم أن القوة الفاعلة لذلك إنما كانت شخصا مثلهم
وأنه ابتدع أولا شيئا ضعيفا وما زال يدبره إلى أن مات.

-ويسمون الموت فناء ويسمون الانعزال وهو أن الفناء لا بد منه لانعزال الجوهر
عن النفس - وأنه أتى بعده ببرهة من الزمان شخص آخر فنظر إلى تلك الصنعة وقال:
إنها فاسدة مرتين أعدادا حتى متى فهم علة ذلك الفساد منها أصلحه وقومه.

وعلى ذلك يأتي واحد بعد واحد حتى اضمحل الفلك، وإن الحكم في تزايد
ذلك دائما لما يقع عليها من استخراج الناس فعملوا الصور كذلك إذ كانت كل نفس

إلى الشكل الأحسن أميل.

وإنهم إنما يطالبون لهذا التدبير الأول ليكون لهم السبق وإن تأخروا.
لأنه من جرى وهو أول فأخر يلحقه ولم يكن أعلم منه وكان في الحالة الثانية
أسبق اطرح الأول عن السبق للثاني، فاعلم ذلك.

والمثال الأول هو نحن وأمثالنا من جميع الأشخاص التي هي موضوع هذا العلم.
هذا الأول هو شيء يختص به الحيوان فقط وإن كان مثله سواء قد يقال في
النبات والحجر لا من جهة التكوين لكن من جهة قولنا المثال وطلب الأول من
أشخاصها.

وقد زعم في ذلك غير زاعم من قبل أن الأول أفضل من الثاني والثالث لأجل أنه
قد يجوز توليد هذا الأول وهو يعلم العلوم الكثيرة.
وإننا وإياه سيان، فقد صح لك الفرق.

فإننا إنما فضلناه لهذه الأسباب وإنهم زعموا بما عمل الكتب والدفاتر وهذه
الأعاجيب تذكرة لنفوسهم مثل الأهرام وما فيها من عجائب الطلسمات وحلولها.
فانظر يا أخي إلى الآراء وكيف هي وموضوعها، فهذا جملة ما في التوليد الأول.
وقد زعمت طائفة أن نفس الحركة الدائمة في العالم الذي هو فيه، فإن الرحم قد
يسمى عالما والعالم الأكبر يحويه، وأن حركة الفلك دائمة كما مثلناه فيما تقدم، وهو
قد يجوز أن لا يتحرك في قول قوم.

وقد زعموا أن الدائرة إذا تحركت فالنقطة أيضا منها متحركة، وهذا كلام يجري
إلى الجزء والطفرة وما الناس فيه متخاصمون على طول السنين الكثيرة.

يريدون بذلك أن الجنين في حال سكونه وحركته متحرك، فالمثال في حال
سكونه وحركته متحرك إذ المحيط به متصل، فإن ذلك متحرك دائما فهو متحرك دائما.
وقالت طائفة منهم: إننا نقول إن حركته دائما في حال سكونه، وفي حال
حركته فمتحرك حركتين إحداهما حركة القطب بحركة المحيط وهي الأولى المتناسبة،
وحركة الجنين من قبل نفسه حركة مخالفة على غير نظام.

وكذلك نقول في المثال: إنما يدور بدوران الدائرة الخارجة الكبرى، فإذا ابتدئ

بالتكوين في جوفه فلا بد له من حركة تقع على غير نظام هذا هو القول الصحيح ليس فيه خلاف.

وينبغي أن تعلم أن الكلام على التوليد الأول قد استوفينا جميع ما فيه، فليكن الآن حين نأخذ في التوليد الثاني الذي وسموه بالبله وأنه المتكون الذي وقع كيف اتفق. والقول في ذلك يا أخي أن تعلم أن هذا الطباخ الأول شيء خاصي يعرفه كثير من أصحاب التوليد.

وذلك أنه تدبير طبيعي وهو مأخوذ للأخير منها، وسنذكره في موضعه إذا بلغت إليه عند ذكرنا توليد الذكي الذي مثلناه من أحد الثلاثة.

فأما القول في التوليد الثاني فإن الفلاسفة كلها من أهل التوليد وغيرهم قالوا: إن الأشياء المعفنة أربعة أحدها وهو أضعفها الحل.

والثاني وهو أقوى قليلا من الأول الندوة وهي المعمولة من الرطوبة وألقت المرصوص والماء والأرض—وقد فرغنا لك من هذه الأمثلة في الكتب المائة واتني عشر وفي السبعين وفي كتبنا هذه، وأيضا وهي شيء متعالم.

والثالث من التعفينات أقوى الثلاثة وهو الذي سميناه في المراتب الغاية فإنه سرجين الخيل خاصة وهو أقواها وأشدّها تحليلا وتعفينا.

والرابع الشيء الطبيعي الذي يعم الأشياء من التعفينات والتحليلات والعقودات على طول الأيام ولا يحتاج أن يجدد ولا يتغير عن طبعه ذلك الذي هو تدرج إلى حل ما عقده ببطلانه البتة.

إن السرجين يبرد ويحتاج أن يغير في كل ثلاثة أيام وأربعة وأبطأه سبعة. وكذلك الخل يقل بخاره ويشور فيحتاج أن يغير هو وإنأوه، والسبب في ذلك امتصاص المعفن لقوته وبه يقع التعفين.

والندوة ففي كل ثلاثة أيام تنفذ قوتها، فاعلم ذلك، والرابع فلا ينفد ما يؤخذ منه من قبل أنه ليس يخرج منه شيء حتى يأخذ بدله ولا يعطي إلا من فضل وهو الأرض وبطوتها، فإن بخارها لا ينفد إلا ببطلانها.

ومثلها ا ومثال بخارها ب فالقول في ذلك: إن ا في كل ب و ب في كل ا فليس

يجوز أن يفترقا بته أعني بطون الأرض من البخار ما دام الكون يقع عليهما.
فإن بطل الكون بطل البخار وهذا محال إن تصورناه ولذلك كان كذلك.
فقد صارت ثلاثة أشياء: أحدهما أرض وهو أ والثاني بخار وهو ب والثالث كون
وهو ج فيج في كل ب و ب في كل أ أو أ في كل ب، و ب في بعض ج، و أ في بعض
ج فينتج أن الأرض في كل البخار في بعض الكون هذا قول صحيح ليس فيه خلاف.
وينبغي أن تعلم أن تكوين الحيوان في الأرض أبطأ وأبلد من قبل البرودة إذ
الذكاء أسرع وأحمى وسببه كثرة الحرارة، لأننا لو جعلنا شيئا من الكلام والعمل قاعدة
وأردنا خلافه احتجنا أن نبحت أولا عنه أمن الأطراف هو أو من الأواسط، فإن كان
المعفن من الأواسط لم نتعب فيه وإن كان من الأطراف طابنا، فبعض قد يوجد
بسهولة وبعض قد يصعب جدا.

وقد أنبأنا عن هذه المقابلات في كتابنا الذي شرحنا فيه كتاب أرسطاطاليس في
البلاغة والخطابة الشعرية والكلامية، وهي المقالة الثامنة من المنطق وشك قوم في ذلك
فجعلوه السابع وكلا الأمرين واحد.

وإن مثال ذلك أنا قلنا: إن الأرض أبطأ وأبلد بسبب البرودة وكذلك مقابلة هذا
الكلام.

أليس قد قلنا إن الحيوان المتولد في الأرض يكون أبطأ وأبلد لأجل البرودة؟
فلنضع حيال الأرض ويكون أربعة.

فلننظر ما طبع الأرض أولا فإننا نجد بالإطلاق وحتى كأنه لا يحتاج إلى برهان
باردا يابسا.

فالنار ليست تقابل ولا توضع قبالة الأرض لأن بين النار والأرض شركة
باليبوسة، فلهما واسطة تجمعهما وسطا فلم يقع التباس.

ثم إنا قابلناها بالماء فلم يكن ينافيها أيضا من جميع الجهات لكن وقعت المنافاة
من قبل المنفعلين فكان لهما واسطة من الفاعلين، فبطل أن يكون الماء قبالة الأرض.

والأرض لا تكون قبالة نفسها وضدها إذ الأشياء الطبيعية لا تعمل أعمالا
متضادة ولأن الجسم ممتنع أن يكون متحركا ساكنا في حالة واحدة، هذا من العلوم

الأوائل لا شك فيه.

ثم إذا وضعنا قبالة الأرض الهواء فلم يقع فيما بينهما واسطة بل كل واحد منهما طرف وبعدا كالمركز والمحيط من الدائرة وهو أبعد الأبعاد، لأن الخطوط الخارجة من المركز إلى المحيط في المدور واحدة، ونظرنا إلى المضادة فيهما والمقابلة فإذا هي في البعد الأبعد لأن الأرض باردة يابسة والهواء حار رطب، فحيال البارد من الأرض الحار من الهواء وحيال الرطب من الهواء اليابس من الأرض، فصح ووجب أنه في البعد الأبعد منها لا من قبل أنه شيء وأنه جسم ولكن من قبل التراكيب، إذ ليس في العالم ضدان إلا العدم والوجود.

وقد جمعتهما في معنى واحد قولنا لفظ ومعنى الكلام وحقيقته وأمثال ذلك، لكن المضادة تقع في التراكيب.

ثم قلنا «أبطأ»، فحال أبطأ وأسرع من الكلام ولا يحتاج أن نقول لك كيف ذلك فنشرح أكثر مما شرحناه في باب الأرض إذ الحد للكلام أكثر منه في العناصر الأربعة.

لأن أبطأ وأسرع يعتورنا في الكلام مثلهما أكثر من أربع مرار وأربع مرار كثيرة.

وليس بين الحكماء خلف في أن السرعة مقابلة للإبطاء بته، فلتعلم ذلك.

ثم إذا قلنا «أبلد مع الأرض وأبطأ» فحيال البليد الذكي، والبلادة والذكاء قد علمناك فيما تقدم كيف ذلك.

وذلك أنا جعلنا البليد شيئا ما يحتاج أن تعلم حقيقته، وذلك أنا وصفناه بأن الأشياء لا تتصور له في أول وهلة بل قد تتصور له وينظر إليها بعين عقله بكثرة الإعادة والتكرير عليها في ذلك، فهذا حد البلادة، ولها حدود أخرى كثيرة إلا أن هذا كنا نخص به البليد وحده.

فقبالة هذا المعنى الذي يتصور الأشياء في أول وهلة ويراها ويغويه بعض الكلام عن كثيره وهو الذكي، فصار حقيقا أن يوضع من هو في هذه المترلة قبالة من هو في تلك المترلة.

والأسماء ففيها متسع إلا أن من العادة لنا وفي الأول من طباعنا أنا نسمي الأول من هذه الأقسام ذكيا، فصار ضرورة الذكي قبالة البليد.

ثم إذا قلنا «يكون أبطأ وأبلد من أجل البرودة وأسرع وأذكى من قبل الحرارة» فينبغي أن يكون هذا حقا ليس فيه خلاف ولا يجوز أن ينازع فيه أحد من قبل ما سبقناه، فقد صح ووجب أن الإبطاء والبلادة تحت البرودة ووجب أن السرعة والذكاء تحت الحرارة لا شك.

فقد وجب من هذا الكلام كله أن كون الحيوان الثاني من الأرض وما جرى مجرى الأرض وأن كون الثالث الذكي من الهواء وما جرى مجراه، فكأن النتيجة إنما كانت أن البليد من الأجسام التي ذكرناها أولا يكون من الأشياء الأرضية الباردة اليابسة كالحيات وهي أرضيات أن الشعور وهي أرضيات وهذا حق.

لأن الحيات خاصة الأسود قد تتولد من الشعر في الزجاج.

وأما الزجاج فإنه لا ضده وهو كالأم إلا أن يجعل الأب هو الشعر.

وليس كذلك لأن الزجاج أو ما جرى مجراه حجر والحجر كله بارد يابس.

وكذلك العقارب قد تتولد من الحوك -وهو البادروج- والدفن في الزجاج.

وقد نرى الخنافس تتولد من النعناع والدفن أيضا، وقد نرى العقارب خاصة تتولد من التراب وعكر الدبس في الحوض الذي نفضه فيه والقصب المتخذ كالقواصر إذا أصابها وهج النار الرطب.

وقد نرى الزناير تتولد من اللحم المنخرم كثيرا أعني الميت.

والدود يتولد من اللحم الذبيح، والعلة في ذلك خروج دم هذا وإبقاء دم الآخر.

وقد نرى البق يتولد من تخين الخل كثيرا دائما، والذباب من الأشياء الحلوة كلها.

والبق شجر ينبت فيه ونباته مقدار ذراع على وجه الأرض وهو كالجوز وأكبر

إذا فتح خرج منه البق، هذا في النبات وكل هذا هو من أقسام الأرض.

وقد نجد جميع ما قلناه يتولد من التراب الغض وهو الذي يؤخذ على ثلاثة أذرع

وأكثر من بطون الأرض، ثم إذا عفناه بالرطوبة مثل ما سلف القول فيه خرج أي شكل

أردنا له إنسان أو غيره، فافحص عن ذلك لتعلم ما السبب فيه بالميزان وكيف هو. وقد نرى في الشاهد ما هو أقوى من هذا كله، وذلك أنا نجد بقاء أكثر هذه الحيوانات يكون بالتراب كالحيات والأفاعي والعقارب والخنافس وبنات وردان. والدود وإن كان من كل شيء فإن ما يتولد منه يكون قوامه به لا بغيره، فإن دود الشراب والأنبذة لو طرح في التراب أو الخل مات من وقته، وكذلك دود النبات والخل فإنما يعيش بما منه بدأ إلا في الفرط.

فاعلم ذلك وقس على كل فصل نقوله فإنه شيء عظيم. وأما الأيام في كون هذا البليد فقد -وحق سيدي- علمناك إياه في كتاب التصريف تعليماً تاماً، إن رزقته فقد رزقت شيئاً عظيماً. وإذ قد وضع أن هذه الحيوانات كلها أرضية فلنفصل بين الأرضية وغير الأرضية لتعلم ذلك.

أما الطائر كله مثل الزنبور والبق والذباب والطيور فمنها ما يكون أرضياً تكثر حرارته فتفاضل الأرضية بالطبع، ومنها ما يكون في الابتداء هوائياً. والدليل على ذلك العقارب الطائرة إذ قد نعالجها بالبارد المحض، فإن الثلج في لدغ هذه العقارب شفاء الأشياء وذلك هو في علاج جميع لدغ العقارب إذا خمد مسح عليه لأنه إذا سقي مات، فاعلم ذلك فهو من الفوائد الكبار. وكذلك القول فيما يكون من النبات، وليس يجب علينا أن نفصل لك جميع الأشياء وقد علمناك المثال وقد أوقعناك في غير كتاب على وجوه الفصول وبخاصة في التعليم المنطقي.

فوحق سيدي ما أقل ما يكون فائدة القليل العلم بالمنطق من كتب الفلاسفة كلهم وكتبنا معهم.

وإذ قد أتينا -عافاك الله- على هذه الأصول في الأول والثاني البليد شيء يقاس عليه ونخرج منه إلى الكلام في الذكي والسريع، إن شاء الله تعالى. زعمت جل الفلاسفة أنا متى أخذنا بياض أي بيض كان وسلك به ذلك المسلك الذي تقدم من الدوائر بالرطب خاصة أو بالهواء والرطب يكون منه الطير الذي تلك

البيضة منه كانت، وإن حولف بين أعضائه كان كذلك.
وإن صبغ بعضها بألوان مختلفة خرج بحسب ما قد صبغ لأن قاعدة الأصباغ عندهم النشادر واللون الذي يراد، كالصفرة من الزرنيخ والنشادر، والأخضر من مياه الأوراق الخضرة والنشادر المحلول فيها، والأبيض من مياه الألوان البيض والنشادر المبيض، وكذلك إن صبغ بغير هذه مما في طبعه أن يصبغ ذلك اللون كإبصال الزرنيخ في الأصفر من الألوان واستعمال الزعفران وما جرى مجراه، وكذلك في جميع الألوان. والعظيم فرفوربوس يقول في ذلك الفصل: وأي الألوان غلب كان جلدة ذلك الحيوان على ذلك اللون.

فيريد بذلك أنه ربما اختير في الشيء أن تكون في الأصباغ جماعة كالأحمر والأزرق والأخضر والأصفر، فإن غلب الأحمر الثلاثة الأخر كان لون جلده أحمر، وكذلك القول في الألوان الأخر.

ويقول أيضا: إن اختلطت كانت أبا قلمون، وهذا واضح لست أحتاج أن نكشف لك، فافهم يا أخي هذه القواعد وتبينها تصب الطريق.
وكذلك إن عفنت في الأرض أو السرجين أو الندوة أو الخل جاء على ما قلنا سواء.

فإن عملت الصورة التي تؤلف وجعل فيها من العنصر الذي يسميه الفلاسفة أحيانا عنصرا وأحيانا مادة وأحيانا ذات الشيء ووقتا جسمه ووقتا منيه -لأن جميع ما حدث منه شيء عند الفلاسفة مني، فاعرفه -ثم أخذ له آنية مثقبة كما قلنا وجعلت الصورة التي هي المثال على محورها في الآنية المثقبة بشرط أنها مدورة - وقد ذكر العظيم فرفوربوس أن هذه الآلة قد يجوز أن تكون صنوبرية - ثم جعلت في جوف قدر واسعة ثم أفرغ في تلك القدر من الماء ما يغمرها وطبخ بنار لينة فإنه أغنى عن كل واحد من التعفينات.

وفرفوربوس يقول مرة: إن هذا التكوين أرضي أيضا، وحينما يقول: إنه هوائي. أما ما قال إنه أرضي فمن قبل الماء ومشاركته لبرودة الأرض، وأما ما قال إنه هوائي فمن جهة الطباخ الذي يلحقه والهواء الذي يكون حدوثة من الماء في ذلك

الوقت، وقد يسميه هوائيا قليلا لكن إنما يطفو من ههنا إلى ههنا حذرا من البرد والنقص عليه.

وكذلك جميع من أنصف نفسه من العلماء الحكماء، لأن العالم إذا كان منصفاً فإنه ليس يتزل في الأقسام شيئا إلا ذكره واحتج عليه وله وأخذ حقه من خصومه ووفاهم حقوقهم، وإلا فقد وقع العناد حماقة وجهلا.

وكذلك أيضا إن طبخ الشعر أو عفن وأيامه كثيرة حدث عنه الأسود، والقول فيما أبيض من الشعر كالقول فيما أسود واللون بحاله، أعني في الأبيض يكون أبيض وفي الأسود يكون أسود، ولو أن الشعر حتى يصبغ صبغا لازما بالطبع كصبغة أبيض بالطبع لوجب اللونان الحيات بتلك الألوان - سبحان الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى تعالى عما يقول الظالمون.

وقد قال فرفور يوس في الكتاب الذي أخذنا هذه الأشياء منه المسمى بالتوليد: إنه إن اتخذ من الشعر الكبير حية على الأشكال التي يمكن أن تؤخذ خرج منها حيوان عظيم مطيع لصاحبه الذي يخرج إليه في أول الفتح عينه من الكون المعدي له. وتفسير ذلك أن هذا الشكل أن يعلم أولا أن الخط الواحد قد يجوز أن نجده وكذلك المدور منه وغير المدور ومثاله ا.

وأن الذي على خطين لا يكون منه شيء لا مدور ولا غيره مثاله ظ. وأن المثلث قد نجده وينقسم في ثلاثة أقسام ومثاله ب.

والمربع قد نجده ينقسم إلى أكثر من ذلك في العدة فإننا قد نجده من جهة طبعه على خمسة ومثاله ج.

والخماسي قد نجده وعدته كثيرة ومثاله د.

والسداسي: قد نجده ومثاله هـ.

والسباعي فمعدوم مثل الأول الذي ذكرناه في الثاني وعلامته غ.

والثماني قد نجده وعلامته و.

والتساعي قد نجده وعلامته ز.

والعشاري قد نجده وعلامته ح.

والحادي عشر قد نجده وعلامته ط.

والثاني عشر قد نجده وعلامته ي.

والثالث عشر قد يعسر وجوده إن قسم بقسمين دخلت السبعة في واحدة منها، وقد يسهل وجوده على غير ذلك وبالعكس وعلامة ما يوجد ك.

والرابع عشر قد يمتنع جدا من الوجود لأنه متى قسم بسبعة كان كذلك وليس يجوز أن يقسم على ذلك بسبب الزوجية والفردية فإننا قد نجد فيه سداسيا وثمانيا وهي لنا متفردة، وكذلك إن عكس الكلام في الثلاثة عشر، ولأن السبعة لا توجد لضعفها أخرى أن لا يوجد فعالته ض.

والخمسة عشر قد توجد صحيحة وعلامتها ل.

والسنة عشر قد توجد وعلامتها م.

والسبعة عشر لا توجد أيضا إلا على شكل ثلاثة عشر ورد الفردية إلى الزوجية وهو مالا يخرج وإن تصوره العقل فالبرهان يبطله وعلامته ذ.

والثمانية عشر قد نجدها وعلامتها ن.

والتسعة عشر قد نجدها وعلامتها س.

والعشرون قد نجدها وعلامتها ع.

والحادي والعشرون قد نجده وعلامته خ.

والثاني والعشرون قد نجده وعلامته ف.

والثالثة والعشرون قد نجده وعلامته ص.

والرابعة والعشرون قد نجده وعلامته ق.

والخامسة والعشرون قد نجده وعلامته ر.

والسادسة والعشرون قد نجده وعلامته ش.

والسابعة والعشرون قد نجده وعلامته ت.

والثمانية والعشرون ممتنع الوجود وعلامته ث.

فمن البين أن الذي أنتج لنا هذا القول أن الكون في الحيات قد يكون من مثال معتبر مثل الحيات الدقاق الصغار وقد تكون من ثلاثة شعرات التي هي ب، وينقسم ب

على ثلاثة أقسام إن عمل في كل واحد منها تم الكون لأن حياته مناسبة لمقداره، إن عمل في الشكل القائم -لأن حد القائم أن ضلعيه مثل قاعدته- فحياته تكون بلا شك كمقداره، وذلك مأخوذ من النصفة.

ومعنى مقداره أعني إن كان في يوم تم كونه بقي مائة وتسعة أيام وإن كان في سنة بقي مائة وتسعة سنين.

وكذلك إن زاد أو نقص: إن كان حادا فمقداره أقل من حياته إذ قاعدة الحاد أقل من ضلعيه، وإن كان منفرجا فحياته أكثر من مقداره لأن أضلاعه أقل من قاعدته، فاعرف ذلك وعليه قس الرباعي تصب الطريق.

وحق سيدي لقد أوريناك من الحروف ما ينبغي أن تطلبه، وإن ذلك ممكن في ا ب ج د هـ و ز ح ط ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت وإنه ممتنع في تحذ ضظغ فاعرفه.

وينبغي أنك تتعب بهذه الوجوه فأما الوجوه الأخر فلتطلب، فأكثرها أن يعمل على ب فإنه يكون شكلا من الحيات عظيما ويعتبر وتسبب فلنعود كلام صاحبه لتعرفه من صغره ولا يسمع كلام غيره فيبطل فعله ويدعى به العجائب. وقد ذكرنا ذلك في الكتاب الذي رددنا فيه على أفلاطون كتابه الذي سماه النواميس.

ثم لا يزال التوليد يوقع بهذه الوجوه في جميع الأشياء فإنها تكون.

ولقد حدثني غير رجل صدوق عن مواضع من جزائر البحر وما يوجد فيها من الأرناب والثعالب والفأر والحيات التي قد يعمل نصفها وثلثها وبعضها- والباقي منها غير تام- من طين، فسبحان خالقنا من هذه الطينة تلك القدرة العظيمة وموهبته لنا العقل حتى عرفنا هذه الأشياء فسبحانه.

ولقد رأيت أنا في غير جزيرة طرائف الحيوانات كذلك مما لم يتم من السرطان والسلاحف والحيات.

وأما جبل مكران كثير حتى لم أر غيره هو الناس والذي رأيت بالجبل من ذلك كثير من العقارب والحيات والأرناب والثعالب، هذا رأيت على أصل فيه لا على أحد غيري.

أليس من فعل ذلك بقادر على إحياء الموتى؟ بلى وعزة ربي وخالقي إنه عليه سهل يسير.

وقد نرى أيضا الزنبور فيه طبع طريف وذلك أنه يتكون من التراب واللحم الميت وإن هذه خاصة له، وإن النحل خاصة يتولد من الميتة أكثر من غير النحل.... ونقول: إنه من أخذ ثورا - وإن كان أحمر اللون فهو أجود - ثم أدخل بيتا فطرح له من ورق الحاشاشيا، ثم سد عليه الباب الذي دخل منه وفتحت له في أعلاه أربع كوى كما يدور البيت فترك الثور حتى يموت ويعفن تولد عنه زنبور النحل وعمل كواراة في ذلك البيت بعد مدة يسيرة.

فهذا وأمثاله مما يريد ما قلناه وينصره ويزيده بيانا فينبغي أن تفهم قواعد هذه الكتب وما تحت كل كلمة منها، فوحق سيدي ما ذكرت كلمة إلا وتحتها معنى من كتبي هذه.

وإذ قد أوريثك مثال ذلك الأول والثاني البليد فقد بقى علينا كيف يصلح أمر هذه البليد.

فإن فرفوربوس قال في هذا الفصل والعادة يلحقه الأول ولا يجوز أن يلحقه الثالث يعني أن عود الكلام في الحكم والدرج قليلا لا يمكن أن يكشف عقلا، ولعمري أن في العدة ذلك.

ولم يجوز أن يلحق الثاني الثالث من قبل أن الثالث يكون ذكيا من ابتداء حركته في الكون والبليد إنما يتعلم ما يتعلمه غير نهايته.

القول في توليد الأشخاص الذكيتة

من جميع الضروب وليوسم

بتوليد أصحاب النواميس

القول في الآلة -عافاك الله- كالقول فيما تقدم سواء من آلة الزجاج والنحاس والطين ليس في ذلك خلاف، وكمال الصورة إلى مهندسها لأن ذكرنا مذهبهم وما يرومون بأنفسهم.

وكذلك نعمل أخلاط الصورة وتعتبر رسومها فهو كذلك على ما تقدم في صدر هذا الكتاب.

وينبغي أن تعلم أن الفلاسفة في ذلك على آراء كثيرة -وأعني بالفلاسفة أصحاب التكوين خاصة- وذلك أن فيهم من قال: ينبغي أن يعرف الوقت. وذلك مأخوذ من كتابنا المعروف بكتاب الميزان، وقد أنبأنا عن هذه الدرج وأسبابها في كتاب من كتب الطلسمات خاصة وعدد درج الفلك وصورها. وقالت طائفة: نعمل ذلك كيف وقع واتفق، والأول على جميع الوجوه أجود في كل رأي ومذهب لأنه لا يجزم عن الصحيح ولا يكذب.

وينبغي أن تعلم أن الفاعل لذلك - أعني المكون لواحد من هذه الأشخاص الذكيتة- يكون على وجهين: إن كان من أشياء شتى فإنه غير قابل كونه، وإن كان من شيء واحد فإنه على ضد ذلك ويكون له كما يريد.

وإن في ذلك من الأمثلة مالا يمكننا أن نصرح به لكن انظر إلى جميع النواميس فإنها كذلك وإن لم تكن من التوليد الذي هو متصل بزماننا. فاعلم ذلك وإياك والإضلاع به فإن ذلك مأخوذ من السياسة، فتعلم وإلا فإياك وأنت تعلم.

وقد قالوا أيضا في المدى الذي فيه يكون تمام ذلك، اجتمعت الفلاسفة فيه على السنين الكثيرة.

وطائفة اختصرت فقالت: كمثل مقامه في البطن من الشهور وطباخه الذي له الطبيعي المناط به.

وطائفة قالت بثلاث سنين فقط، وهو أقرب هذه الوجوه في الثلاثة الأجناس وأيامها في القرب والبعد.

وأیضا فإننا أنبأنا عنه بالمراتب وما يجب أن يعلم أن يكون في ذلك المكون من أحد العناصر، فاعلم ذلك.

وقد بقى علينا من هذه الأقسام قسم وهو نذكر ما قالت كل طائفة من أصحاب التوليد فيما ينبغي أن يكون الذكي منه من الأدوية والعقاقير والأغذية وكيف يكون وقوع العلم له والنطق في الزمان اليسير، وهو آخر ما نذكره في الحيوان ونخرج بعد ذلك إلى الكلام في النبات، بمشيئة الله عز وجل وعونه.

وإذ قد كنا قسمنا هذا التقسيم على المثال في كتابنا هذا عند ذكرنا موضوع هذا الكتاب فنقول في الإحكام على ما يكون منه التكوين أولا إذ هو الأول، إن شاء الله تعالى.

قالت طائفة -ويذكرون أهم أعلى أصحاب هذا التكوين-: إن الأصل الذي ينبعي أن يولد منه الذكي هو الدماغ من ذلك الحيوان الذي يراد منه الشيء الذي كالإنسان من الإنسان والفرس من الفرس، واحتجوا في ذلك بأن الدماغ محل العقل. وانقسموا هؤلاء القوم ثلاثة أقسام كتقسيم الدماغ، فقالت طائفة: يكون من القسم الأول من بطون الدماغ ويسمى بيت الخيال وبه يتخيل الإنسان جميع الأشياء- وقد كنا أنبأنا عن ذلك في كتاب الطب النبوي من هذه الكتب- وهو البيت الأول من قبالة الجبهة إلى ما يوازيها في الرفعة من الرأس.

وقالت طائفة ثانية: لا ولكن يكون من القسم الثاني من البطون الذي يسمى بيت الفكر وإنه أصح وأجود من الخيال.

إن ذلك الشخص إنما يكون متخيلا للأشياء وقد يجوز أن يتخيل باطلا، والفكر أجود: إذا سلم من الآفات كان ذكره صادقا وإن شرط في الأول السلامة كان مثل الأول سواء.

وقالت طائفة ثالثة: بل القسم الثالث أفضل الذي هو بيت الذكر.

إن ذلك -زعموا- أجود ضرورة من قبل أن الإنسان في العلم متذكر إذ العلوم

الفكرية لا تكون إلا بعلم قد تقدم، وأما الأول فإنهم جعلوه من الدماغ بأسره. وإذا كان الأمر على ذلك فهذا القسم إذن أجود الأقسام إذ كان قد يجمع ما كان في قوة أولئك.

وطائفة قالت: محل العقل القلب وإن الأجود أن يكون من دم القلب هذه الطائفة واحدة لا شيء بينهما من الخلاف وهذان المذهبان هما أم هذه الأقاويل.

وأيضاً فإن قوماً آخرين قالوا: بل يكون ذلك بأن تؤخذ العقاقير التي ينبغي أن يركب منها ذلك الشيء المتكون وتعجن بعد السحق بالدماغ.

وانقسموا هؤلاء القوم ثلاثة أقاويل: قوم قالوا: تعجن بالدماغ وهو عبيط، وآخرون قالوا: بالدماغ المقطر وحده لا عن مخالطة.

وقوم آخر قالوا: بل يكون من الدماغ المقطر عن الأدوية.

وانقسم هؤلاء القوم قسمين: عن الأدوية الحادة فقط.

وقال الآخرون: عن أي الأدوية كانت بعد أن تكون فيها خاصية في تقوية الدماغ مثل الغريقون والأسطوخودوس والبلسان والصرير وما جرى مجراها مما لا يحصى كثره.

وأما فرفير يوس فزعم في هذا الفصل خاصة ما نذكره بلفظه، وذلك أنه قال: إذا اعتدلت الحركات العلويات واعتدل لها الزمان، أيضاً ثم كان التكوين من جميع أجزاء المثلث بالحكمة كان ذلك الكون عظيم الشأن فيما يخرج فيه من الزمان وليعلم أن ذلك عسر الوجود فلذلك هم قليلوا الوجود في العالم.

وشرح هذا الكلام أن تعلم أن اعتدال العلويات وحركاتها هي الأمور الحادثة عن الكواكب وأن يكون في نهاية الاعتدال الطبيعي المناسب في القسم حتى يكون له في الطالع صاحب الذكاء وصاحب السلامة والإقبال وجميع ما ينبغي أن يكون فيه من سائر الأوقات ومثل العمر أيضاً.

وهذا أيضاً مما قل ما يقع من ذلك مع تلك الأشياء التي قدمناها، وأما اعتدال الزمان فإنه أراه يكون كثيراً زمان الربيع لأن الكون فيه أقرب وأسرع.

وفرفير يوس يسمي هذا المثال دائماً زمان الأنوار، وقد خالفه في ذلك قوم من

الفلاسفة فقال: بل في وقت ظهور التاج بالناس باح ملك سقرقريوس ويعني بذلك الجدري وزمانه الإقراء وهو محض الشتاء.

والأكثر منهم من قال بالربيع ولطفة أجود، وقوم لم يلتفتوا إلى شيء من ذلك وقالوا: ذلك في الإكسير.

وهو خطأ في جميع الوجوه كما أن ذلك خطأ في الإكسير، إذ كان على طريق الميزان، فليعلم ذلك.

فوحق سيدي لقد انكشف لك بهذه الكلمات سر عظيم إن فطنت له، ولعله شرح الألوفا من الكتب فاعلمه.

وأما قوله «من المثلث بالحكمة» فإن أمورس يسميه في شعره دائما المتخمس بالثانية العلوي.

ومن قرأ كتاب جالينوس المسمى بالمرامير عرف بذلك معرفة تامة حيث يحكي عن الدواء الذي زعم أنه ينفع من جميع أوجاع الجوف خاصة حيث يقول الطبيب الطرسوسي: إذا أخذ من هذا الدواء بوزن عقل الإنسان نفع من هذه العلل.

وعنى بعقل الإنسان حس الإنسان وحس الإنسان ينقسم إلى خمسة أقسام: السمع والبصر والذوق والشم واللمس، فإن سبب ذلك الدماغ فإن جميع الحواس إنما تكون فيه.

فأما فرفيروس فلم يذهب ذلك عليه بل قال: الذي يفعل هذه الخمسة وهو مثلث الحكمة، أي إنه ينقسم ثلاثة أقسام كما مثلنا من الذكر والخيال والفكر.

وهو آخر ما في هذا الباب، فلتعلم ذلك وتبينه حتى تعلم جميع ما فيه، والله أعلم.

القول في وقوع العلم لهذا التكوين وهو في الزمان اليسير.

هذا الباب آخر الكلام في الحيوان، والناس فيه منقسمون ثلاثة أقسام: أحدها من قال: ينبغي أن يكون المكون قاصداً لحركة ذلك حتى إذا تحرك وأخرج من الإناء درس عليه جميع العلوم وضروب الآداب وعلوم العلويات أو غير ذلك مما يراد من ذلك المكون أن يكون ماهراً فيه ويتكلم به.

فأصحاب هذا الرأي يقولون: إنه يتكلم بعد المقدار الذي أقام في الكون، وقوم قالوا: أقل.

وقال آخرون: أكثر. ورفرييوس يذكر أنه من الأشياء المتناسبة التي تدل على فلاح ذلك المكون من أن الطباخ له إن كان معتدلا كان كلامه في مثل أيام كونه- وهو محمود ولعمري أنه كذلك- وأن الطباخ إذا نقص زادت الأيام وإن زاد نقصت. وهذا حق ليس فيه خلاف بته.

وأما الطائفة الثانية فقالوا: ليس يحتاج من ذلك إلى شيء. وذلك أنهم يزعمون أن ذلك الشخص يكون مبتدعا للأشياء من نفسه في أول الأمر بطباعه. ورفرييوس يذكر في هذا الفصل أنه الذي ذكرناه نحن خاصة في صدر كتابنا المعروف بأسطقس الأس حيث قلنا: ثم تلاشى الأمر وعاد ثانية وثالثة ودائما إلى أن تقوم الساعة.

وذكرنا في شرحه من الأغراض أنه المعتدل وأن الشخص المعتدل هو الذي يستخرج الأشياء بطبعه ويقع له العلم بالبديهة في أول وهلة، فاعرفه. فوحق سيدي إن فطنت لما نقول مع أنه ظاهر غير مرموز لتكون من أنفس الناس بل قد تكون مثل هؤلاء الفلاسفة.

ورفرييوس يقول: ونرى أن من كان هذه سبيله سقراط الحكيم، فإنهم لا يشكون أن كثيرا من العلم وقع له بقليل الرياضة وأن ذلك بالطباع. ومن قرأ شرح كتاب أسطقس الأس لنا من كتاب الأغراض علم ذلك من قريب: فاعلم ما نقول تصب الطريق سهلا يسيرا.

والطائفة الثالثة تقول: إن ذلك لا يكون بالبديهة ولا بالتعليم من الصغر بل يكون على البديهة حسب ما نقول نحن. يزعمون أن البديهة هي الشهوة وذلك أن يشتهي المكون لهذه العلوم.

وطلبنا بالبديهة أن ذلك أكثر ما في النفس وأنه لا يجوز أن تكون عالمة أولا بالضرورة إذ كان حدها كما ذكرنا وقدمنا من قولنا أنها قادرة فاعلة جاهلة. وإنما أريد تجهل في توليد النفس لذلك الحيوان فقط، فليس يجوز أن تكون عالمة.

وأما أولئك فيحتجون في ذلك بأن النفس المتولدة في هذا الشخص إنما تكون من النفس التي قد تكررت ونشرت وانجبلت.

إن كان في حد النفس أنها جاهلة فإنها ولها أن تختار الهياكل والأجسام الحالة فيها، وإن ما ركب من هذه الأشياء الشريفة لم يجوز أن تحله إلا نفس شريفة. من دفع هذا محتج عليهم بأننا قد نرى أقواما حسانا سادات العالم وملوكهم ونفوسهم رذيلة مهينة بليدة، فإن كان قياسكم على هذا فيجب أن لا تحل في واحد من هؤلاء إلا نفس شريفة إذ كانت مختارة.

والجواب منهم في ذلك أزالتها واليسر وليس من الأشياء التي تذكر النفس فيها في الحال الأولى، لأننا لم نجز عليها أنها عاملة، وإذا لم تجز عليها أنها عاملة فليست تحق ما يكون منها فيما بعد، وإنما اختارت ما وجدت الشرف والعظم فيه من صفو ذلك الشيء أعني الجسم الذي زعمت أنه أفضل الأجسام، ومعنى أفضل أظهر وأخف. وإذا خف الجسم كان كذلك من المسهلة بالعلو المبينة للسفل، وإذا كانت كذلك فالقسم العلوي هو الناري وتحتة الهوائي وكلاهما سبب الذكاء، والقسم السفلي هو المائي والأرضي وكلاهما سبب البلادة.

وقد كنا قلنا فيما سلف: ينبغي أن يبحث عن وجوه المقابلة، وإنما إذا صحت ثبت ذلك المحدود، فاعرفه تصب الطريق الذي ذكرناه.

وينبغي أن تعلم أن أحد التعاليم التي قدمناها لك مما يسهل عليك طلب الأطراف والأوساط ويسهل عليك وجود المقابلات كتاب لنا من هذه الكتب يعرف بكتاب الحدود، وينبغي أن تراض فيه رياضة تامة فإن الأشياء إذا علمت حدودها ووجدت سهل ذلك على المتعلم فقد سهل عليه جميع العمل إذ كان قد ظهر في العلوم التي ذكرناها أنها أصول الأعمال. فلتعلم ذلك وجود النظر في كل واحد من هذه الكتب وما ذكرنا أن لها توالي فيها من الكتب الأخر. فاعلم هذه الوجوه فهو الطريق إلى تحصيل جميع هذه العلوم. وإذا قد أتينا على جميع أقسام الحيوان وأسبابه فليكن الآن مقطوع الكلام في الحيوان، ونسأل الله العون على جميع الأمور ونسأله الأجر والثواب والله أعلم.

القول في النبات

قد كنا علمناك فيما تقدم الفرق بين الحيوان والنبات وما يختصان به مستجمعان من النماء والعقل، وإنا إنما قلنا: إن الحيوان يجمع القسمين والنبات فيه واحد منهما. فأتج هذا الكلام أن النبات ينقص عن الحيوان مرتبة في القياس. ونحتاج أن نبحث عن الفصل بينهما في العمل هل هما سواء أو بعضهما يزيد وينقص عن بعض، فنقول: إن الحيوان قد مثلنا ما يحتاج إليه من الأدوات وما وقع فيه من الخلاف وما اختير له الدماغ وجميع الأعضاء وما قيل في كل فصل من المذاهب. والنبات فإنما يحتاج في الأول إلى شيء واحد وفي الحال الثانية إلى أكثر ما يحتاج إليه الحيوان بل إلى جميعه إلا إلى شيتين، فإن النبات غير محتاج إليهما وهما النفس والعقل إذ كان قد يجمعهما النمو والتفصيل في الأعضاء. ويحتاج النبات إلى الورق والثمر واللحاء كما يحتاج الحيوان إلى العظام والعروق واللحم وغير ذلك من جميع القواعد. ولعمري أن بينهما نسبة أخرى من قبل الطبائع، وقد -وحق سيدي- أنبأت عن ذلك وأنه بالتقريب حسن في كتابنا المعروف بالصفوة. والذي أرى أنه أتج هذا الكلام لنا أنه أسهل في الكون منه على جميع الوجوه إذ الأول من النبات هو تكوين أصله فقط من غير ثمر ولا ورق ولا نور ولا شيء غير الأصل والغصن واللحاء، والثاني منه هو المحتاج إلى جميع القواعد التي كانت في الحيوان على ثلاثة أشياء: أول وبليد وذكي. فالنبات إذن ينبغي أن يكون على ثلاثة وجوه من قبل أنه يوجد منقسما إليها لا من قبل أن الحيوان كذلك كأن واحد الثلاثة الأوجه في النبات الأول كالأول، والثاني هو مقام البليد، ومعناه في النبات الذي يكون برهة من الزمان يسيرة ويذهب، كما قد نجد في الحيوان مثل ذلك، وله مرجوع وهذا مرجوع له كالبقول والأشياء السريعة الزوال والذبول مما تراه دائما، وقد يجوز أن يتخذ منه مثله، فأفهم هذه الفصول والأصول التي يبتنى كلامنا عليها في كل موضع منها. ومقام هذا الأخير مقام الذكي، وينبغي أن تعلم أن أصول أعمالها واحدة ولكن

إنما تختلف فيها الأدوية والأشياء التي تتخذ منها، فهو الفصل وينبغي أن تعرفه، والسلام.

القول في العمل للنبات: أول ما ينبغي أن يتخذ له الآلة التي قد مثلناها من الزجاج.

وهذه الآلة تنقسم ثلاثة أقسام: أما الأول ما هو عسر مشكل عليه. ويجعل موضع الورق على غير هيئة الورق لأنه محتاج إلى ذلك من قبل أنه مفصل بالطبع لذلك الورق الذي يراد، ولو أنه احتاج إلى ذلك لاحتاج إلى كلفة ومشقة. وقالت طائفة: لا بد للأول من الأقسام والثالث خاصة من أن يكون جميع ما فيه كجميع ما في الصورة.

فاعلم وهو مذهب قوم لهم تقدم في الصناعة، وأما فرفيوريوس فيرى أن ذلك في جميع الأقسام الثلاثة ضرورة.

وهو أجود الآراء عندي، لأن الذي يعمل في غير صورة تستوفي جميع شكل ذلك الشيء المكون جاز فيه أن يجيء على غير السبيل التي يراد منها أن يتخذ بها ونموه إلى غير قصد، وهو الحق في القياس.

وأما الثمر فإن ذلك يجمع عليه أن تكون الآلة كمثاله سواء، إن كان مدورا فمدورا أو مربعا فمربعاً أو مطاولاً فمطاولاً، وكيف كان فهي كذلك ينبغي أن تكون. ولم أن المحققين يختارون غير ذلك كما اختاروا غير الورق والنور، هذا إذا كان المراد من ذلك الشيء المكون أن يبدو بورقه ونوره وثمره وأغصانه وجميع ما فيه من أسبابه.

فأما إن أريد الأصل فقط فهو أسهل في العمل جدا من ذلك، من قبل أن الآلة إن كانت بخلاف الأولى في المحيط أعني في تشكيل الصورة فإن ذلك غير مدافع أن عمل ذلك أصعب وأتعب من عمل ذلك النبات أو تكوينه.

فإذ قد علمت هذه الأصول في جملتها فلنقل في وجه التكوين لذلك. هو أن تعلم فيه شرطاً آخر، وهو أن طائفة من هؤلاء القوم قالوا: تكون آلة من الزجاج في جوف آلة أخرى من الزجاج وتكون الداخلة هي الصورة وتكون كثيرة

الثقب من أولها إلى آخرها، وتكون إحداها مدخلة في الأخرى ويمكن خروجها، وليكن مقدار الأولى من الثانية مقدار الثلاثين كعشرين إلى ثلاثين.

ثم يؤخذ من التراب الأحمر النقي من تراب الأرض الأعم لا من تراب الحر الذي يشرب ويستعمل في العلاجات، ثم يدفن في جرة نظيفة لم يصبها ماء قط تدفن في الزبل مدة طويلة، ثم يمتحن.

فإذا صار كالهباء في اللين أخذ فطرح في المثال الأول الذي قلنا إنه ينبغي أن يكون الأعلى.

ثم يجعل فيه من ذلك التراب على مقدار الصورة الداخلة التي هي المثال حتى لا يمكن المثال يضطرب فيه بته ولا يتحرك، ثم تدخل الصورة في جوفه وقد جعل فيها بالميزان ما يحتاج إليه ويراد تكوينه، ويبدأ بحسب ما رسمناه من ذلك في أمر الحيوان.

ولتكن الصورة الخارجة إناء مدورا من نحاس كمثل الطين، وإن كان من خشب صلب لا يسرع إليه العفن كان أجود وأقرب إلى الكون.

ثم يجعل ما تحتاج إليه الصورة الخارجة من الزجاج وسقته في الوقود تلك السياقة التي ذكرناها في باب الحيوان، فإنه يتم النشوء في هذه الأزمنة التي حددناها له. ومن قرأ كتابنا المعروف بكتاب التصريف علم ذلك حقيقة، هذا هو النشوء الطبيعي في النبات خاصة.

فأما الثاني من النبات وهو بمثالة البلبل الثاني من الحيوان فإن فرفوروس يقول في كتابه في هذا الفن: إن الحيوان والنبات الذي لا ينتفع به إلا لوقته هو الذي إن كانت طبائعه مختلفة لم يبال بذلك منها وإنه بعد نظم كلامها جار بمعنى الميزان، فاعرفه ففيه كفاية.

وأما النار والآلة فواحدة أو تكون على ما عرفتك في مصادرة هذا الكتاب، فافهمه فهو السر إن شاء الله.

وينبغي أن تفهم من الثاني أنه قد يتم وإن جاز فيه الخطأ والتغافل، فأما أن يراد من ذلك فهو الأجود.

قال فرفوروس ومعلمه: ينبغي أن يبدأ المتعلم فإنه قاعدة الحن التجريبات وبه يتم

عمل الإنسان وحده، فلتعلم ذلك.

وإذ قد فرغنا من ذكر النوعين الأولين من النبات فلنذكر الثالث الذي مقامه مقام الذكي من الحيوان.

فنقول: إن النوع الثالث من هذا الباب ينبغي أن يعتمد فيه أولاً اختيار الأدوية التي تكون الحرارة فيها أكثر أو البرودة أو الرطوبة أو اليبوسة ونقصان الباقي أعني من الطبائع.

وذلك أن يكون في الدواء من الحرارة خمسة أجزاء ومن البرودة واليبوسة والرطوبة أمكن أو لا يكون ينبغي أن يستعمل فيه الهجاء فقط لا يستعمل فيه الحدس والقياس، ويتعمد أن يكون الطبع فيه بما يوجد من الحروف لا بالعكس والمفقود. وإن كنت قد قرأت كتاب الحاصل فطنت إلى ذلك وعلمته، وإلا فاطلبه تجد ذلك وحق سيدي.

ولا يستعمل الهجاء إذا كان على فضل بل تؤخذ الأفعال كما وصفنا، فاعرفه. فأما الأول فإنه إن كان على الأول فأخلق الوجوه به عمل السموم لا غير، فينبغي أن يساق على الحكاية الأولى. فأما إن لا يكون على الأول فإنه يحتمل المعنيين جميعاً أعني السموم وغيرها، فليعلم ذلك.

وإذا اختير فيه أن يجعل أحد الفاعلين أو المنفعلين أكثر ونقصان الثلاثة الأخر كما قدمنا لك أن الأشياء الطبيعية لا تعمل عملين متضادين فهو ميزانه إن فطنت. فلم يختر فيما نريد منه التأثير السريع في الوقت أن يجعل فيه إلا ما هو أخص بذلك الفعل من جانب واحد فقط، وإلا فإن جعل من الأربعة وجوه التي هي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة عمل كل واحد بطبعه لكان هو الشيء المعتدل، وهو الذي نطلبه في الأكاسير لا في كون أمثلة أشياء لا يجعل ذلك لها ولا هي فيه.

لأنه إذا عملت الحرارة فيما خصت به وكذلك البرودة والرطوبة واليبوسة فما تعمله الحرارة قد يتكافأ بعمل البرودة وما تعمله اليبوسة قد يعتدل بعمل الرطوبة، فوجب ما قلنا فيها عند ما ذكرنا في كتاب الصفوة من هذه المراتب والأحوال.

ونحن قد نسمي ذلك في وقت غاية وفي وقت غالبا، وذلك أن الذي نسميه غالبا فهو ما كان على الشكل السمي.

وقد أرى في معرفة الميزان بعد التكوين علما لا يضر أن نذكره لتكون قد استوفينا جميع أقسام الميزان، وعلى الله توكلني في جميع الأحوال.

وذلك إذا خلطت الأدوية التي منها وبما يتم كون الحيوان أو النبات أو الحجر ثم جعل في كل واحد من أجزائه علامة بما فيه من الطبائع وتم الكون كما قلنا ومثلنا كان في ذلك المكون من الطبائع بحسب ما حدسنا.

وقد قال فرفيوريوس في ذلك: إنه بعد التكوين شأن، وهذا حق من القول من قبل أنا نحن عملنا ذلك، فإذا تم فقد كان الذي عملناه حقا.

إلا إن من عادة فرفيوريوس أن لا يسمي هذا كما يسميه المحدثون، فإنهم يسمونه حدسا وفرفيوريوس قال: ينبغي أن تجعل المسميات لائقة بأحوالها يعني معانيها، فتعلم ذلك إن شاء الله تعالى.

ومن عادة فرفيوريوس أن يجعل هذا الشكل من النبات في التراب والماء لا يعمل في غيره مما تقدم ماء وترابا.

ويقول: إن ذلك قد يتم بغير ماء وغير تراب معفن.

ويقول في فصل يذكر فيه الدائرة الأولى: ينبغي أن يكون الفلك له من خشب العناب، وقد هذي من فرفيوريوس من هذا وقيل فيه إنه قال: إن الفلك قد يكون قبيلة من خشب فإن خشبها من خشب العناب.

وهذا يا أخي إن فطنت له ينبغي أن تحمد الله كثيرا إذا تبينته فإنه حسن.

وإذ قد أتينا على جميع ما في ذلك فلنقل في طباحه كيف يكون.

وأما فرفوروريوس فيقول: إن الأرض أولى بطباخ النبات من جميع الطبابخات، وهذا مذهبه الذي يختص به، وقد كان انتشر عنه ذلك فظهر مدة الزمان لا يقول بغيره، ثم ذكر بعده المذاهب الباقية.

أما أصحاب التوليدات من المشائين خاصة فإنهم زعموا أن جميع الطبابخات في جميع المولدات بالنار فقط وأن الذي ينبغي أن يصل إلى المكون منها حمي، كحضان

الطير أو بدن الإنسان قبل العرق وأمثال ذلك.

وأما الفيثاغوريون فإنهم لا يفضلون في الطباخات على الماء شيئا بته، وذلك أنهم يجعلون الدائرة العظمى العليا من الخشب ويجعلونها في الماء المغلي إلى أن يتم ما يراد منها.

وإنها تكون دائرة دائما والوقود واحد، وقد أنبأنا عن ذلك وجودنا موازين النار في كتاب الصفوة من كتبنا هذه التي هي اثنان وثلاثون ومن ذلك الموضع يجب أن تؤخذ وتعلم، إن شاء الله تعالى.

وقد ذكرنا الوجه بالأرض، واختص أبو الفلاسفة وسيدها كلها سقراط بالطباخ الهوائي المستخرج من بخار الماء، وذلك أنه قال: وإن جعل فلکها يدور على الماء بمقدار ما لا يبلغ إليه إلا بخاره - وكانت الدائرة التي يسميها أحيانا فلکا وأحيانا دائرة مثقبة تقيا صغارا داخلها دائرة مثلها على تقاسم النصف باستواء - كان الكون أعدل من غيره، فاعرفه.

ونحتاج أن نذكر أمر الماء الذي يراه سقراط أي ماء هو والشكل النصف كيف يجوز أن يكون خروجه على رأي سقراط، إن سقراط يرى أن يكون الماء الماء من المياه الحادة حتى يقول: ماء: ماء الطائر والحلقوس الأخضر الصافي الخفيف والملح الحاد. وبيان ذلك أن تعلم أن سقراط دائما يسمي هذا الماء ماء الحياة، وذلك أنه عنده من أبلغ المياه لأنه عنده يفعل الأشياء كلها بأدنى مداخلة لأشياء آخر وأنه يعمل الأشياء وأضدادها كالتحليل والتعقيد وما جانسه.

ولنتشرح مذهب سقراط في هذا الماء أولا وما الذي أراد به فنقول: إن ماء الطائر عنده ماء قشور البيض الحي، والحلقوس هو الزنجار، والملح الحاد هو أم الأملاح بعبي النشار، فإن هذه الأحجار الثلاثة متى جمعت بالتساوي فاستقطرت خرج منها الماء الذي ذكره، وهو والله كما ذكر وأفضل، ثم يطبخ بهذا الماء ذلك المكون فإنه يكون عجبا.

وقد صدق سقراط في ذلك، وما أكثر ما كان فرفيوريوس يقول بفضل هذا الماء وإنه خليق، فلتعلم الحاجة الداعية لسقراط إلى ذلك فإنه خارج بالميزان.

وأما الشكل الذي يكون على النصف فإنه إذا كان مدورا -وهو أجودها- كان
كعشرة من عشرين، وكذلك إن كان في غير المدور فإنه بحسبه.
وقد فرغنا لك من ذلك في صدر هذا الكتاب عند ذكرنا هذه المقادير للحيوان
الأول وإخوته.

وإذ قد أتينا على جميع أقسام الحيوان والنبات وكوئهما وجميع الآراء والمذاهب
والشكوك الواقعة في كل فصل من الفصول المحتاج إليها في المواضع الصعبة وشرحنا
ذلك أجمع فليكن الآن مقطع هذا الباب والكلام في الحيوان والنبات، وتتلو ذلك
بالكلام في الأحجار بحسب ما رسمناه وقدرناه في أول هذا الكتاب.
ولتعلم أن ما ذكرناه من ذلك ليس هو جميع الكلام في الحيوان والنبات وإنما
ذكرنا الجمل المحتاج إليها في علم الحيوان والنبات بجملتها وليس ينقص واحدة منها
على ما يحتاج إليه في أمر جميع الحيوانات والنبات.
وإن أحسن الدارس لهذه الكتب أخرج منها في العلوم وفي هذه الفنون مالا يفنى
ولا توقف له على أخير، ونحن نسأل الله حسن الأجر والثواب إنه جواد كريم.

القول في الجسم والجوهر والعرض

اعلم أن أصول العالم بما فيه عشرة أشياء، وهي جوهر واحد وتسعة أعراض
يعرف بالكيفيات تارة وبالأعراض وكلا الأمرين واحد إذا دقق النظر فيها، وهذه
العشرة، إن كنا قد أعلمناك إياها.
في قاطوغورياس فلا بأس أن نذكرها ههنا ليكون القول في الكتاب تاما إن
شاء الله.

وهذه العشرة في الجوهر والكمية والكيفية والإضافة والزمان والعينية والنسبة
والفاعل والمنفعل فهذه جامعة إنا نفسرها ليصح أمرها للمتعلم، وينكشف ويكون له
قياسا في وضع كتابنا هذا فيعلم ذلك على حقيقته ويجعل ذلك بقول يليق بمعنى هذا
الكتاب إن شاء الله.

أما الجوهر فهو الأصل القائم الحامل لهذه الأعراض كلها وهو أصل لا بد منه
للأعراض.

أما الكلي، وهو الجوهر الأول، وأما الجزئي وهو الجوهر الثاني المركب وهو تعسر وجوده مفردا للحس لكن العقل هو مدرك ومثال ذلك الجسم فإنه ضرورة يبقى الجوهر وإذا قد بان وجود الجوهر فيبقى الآن أن تعلم تقليدا إلى أن تعلمه في كتب الموازين ومقداره في كل شيء وسنقول كيف أيضا ههنا ومثاله للحس كالقصب للقلم والذهب للسوار والخاتم والطين للكوز والتخاليط التي فيه هي الأعراض فاعلم ذلك إن شاء الله.

وأما مقدار الجوهر من كل شيء فقالت طائفة: الكل والأعراض لا وزن لها وقالت طائفة: النصف جوهر والنصف أعراض، واستدلوا على ذلك أعني جميعهم بالتقطير لا غير، وينبغي أن تعتقد أن الجوهر أولى أن يكون أكثر من الأعراض، وهذا موجود للحس؛ لأن ما في الخاتم من الذهب أكثر من التخطيط والصناعة، وكذلك في السوار وكذلك في الكوز من الطين وفي السرير من الخشب، وعلى مثل ذلك سائر الموجودات وإذا قد بان أمر الجوهر فإننا نحتاج أن نقول في الزمان.

أما الزمان فقد تقدم لنا في كتبنا هذه فيه كلام كثير واسع جميعه نافع والغرض في هذا الزمان هو تنقيح الأشياء عليه وهي ثلاثة: ماض كالذهاب في الزمان المتقدم كأمسك، وكائن وهو الدائم الذي أنت فيه كيومك، وآت وهو المستقبل الذي يجيء ويتوقع كذلك ليس يحتاج في هذا الكتاب أكثر من ذلك والحاجة إلى ذلك في التدبير ماسة لتوفية التعفين والتمام والاتصال والسلام.

وأما المكان فهو نسبة إلى الممكن واستقرار الأجسام فيه إذ لا يكون موجود إلا بزمان ومكان والمكان ينقسم بحسب الكيفية والكمية وسنقول في حدنا الكيفية والكمية ما لنا مكان بارد كذا وكذا يوما ومكان حار ومكان رطب ومكان يابس عليه وإذا قد بينا على ذلك فلنعدل منه إلى القول في الكيفية، والكيفية حال الشيء وإعطاء علامة الشيء كقولنا أبيض وأسود وحار وبارد وفيها بيان ثان أعني الكيفية، وهي أكثر وأقل وأشد وأضعف وليس يوصف شيء من العشرة بذلك غير الكيفية لأنك تقول هذا أبيض من هذا، وهذا أسود من هذا وهذا أحر أو أبرد من هذا وهذا أشد من هذا وهذا أضعف من هذا حمرة من هذا فاعرف ذلك، واعمل عليه إن شاء

الله، وبعد الكيفية الكمية، والكمية دليل على العدد والوزن فإنك تقول كم كذا فيقال عشرة وخمسة أشبار وعشرة أذرع ومائة رطل، وأمثال ذلك، وهي إما أن تكون عددا متساويا لعدد أو عددا مخالفا لعدد فاعلم ذلك فقد بان الكثير من شكوك القوم ووضع أصولهم.

وأما العينة فهي صفة تابعة للشيء كقولك ذو مال وفلان ذو عدم وهي التملك فإن للنار الإحراق وللماء التبريد، وهي تنقسم قسمين:
قنية لازمة وقنية مفارقة.

كما يوصف العرض بالقنية اللازمة جذب حجر المغناطيس الحديد وما أشبه ذلك. وأما المفارقة كفرار الحديد عن حجر المغناطيس، وما أشبه ذلك، فاعرفه، واعمل به إن شاء الله، وبعد ذلك النصبه والنصبه شكل الشيء ووسمه الموضوع عليه في العالم كالإنسان والطائر يمشي على رجلين وكالفرس والحمار يمتي على أربع وكالحية على بطنها والسماك يسبح وكنصبه السرير والباب وأوضاع هذه الأشكال في العالم موافقة لما يحتاج إليه منها، وهي أيضا تنقسم قسمين: طبيعي كما خرج إلى العالم، ومتهين كما رتب وقصد لك به فهذه حال النصبه فاعرفها.

وأما الإضافة فقياس الشيء إلى الشيء كإضافة البطيخة كبيرة إلى الرمانة وقياس الجوزة صغيرة إلى الرمانة وهو ينقسم إلى أربعة أقسام: المماثل كالشيء لمثله كالإنسان للإنسان والحمار للحمار كما يقال في التناسل العام مقابلة وهو التضاد والتكافؤ كالحرارة للبرودة والحر للبارد والمسخن وأمثاله السلب والإيجاب كقولك فلان قائم فلان ليس بقائم، والعينة والعدم منه في هذه الحالة مشارك كقولك ذو مال وفقير فاعرف ذلك وابن أمرك بحسبه بحده معينا فيما بعد إن شاء الله.

وبعد ذلك الفاعل، وهو ما لفظه أيضا كقولك ضارب وكاتب وحاسب وقاطع، وما أشبه ذلك، وليس له غير هذا الوجه إلا أن فيه دليلا لوجود مفعوله وهو الذي سميناه المنفعل، وقد يقال فيه أيضا مضروب ومكتوب ومحسوب ومقطوع، وهما صواب فهذه العشرة مبنى العالم عليها، وإذ قد فرغنا من حدودها على هذا الوجه اللائق بمعنى كتابنا فلنوازي صورة الطباع مفردة ومركبة إما مفردة فواحدة واحدة،

وإما مركبة فائتنان اثنتان وثلاث ثلاث، وما هو أكثر من ذلك ثم لنخرج بعد ذلك إلى غرض كتابنا إن شاء الله.

القول في إيجاد الطبائع والجواهر مفردة

ومركبة بدليل برهاني

اسمع كلامنا في إيجاد الجواهر والطبائع مفردة ومركبة في نهاية الكمال والاستيفاء لذلك على أصول الكون والفساد فاعمل به تصب الطريق فمن غيره شيء لا يكون. أقول: إن الجواهر جنس حامل للأعراض والكيفيات إذا كانت الأعراض لا تقوم ببعضها، ولا تحمل بعضها بعضا، ونحن الآن قاصدون لتبصيرك الطبائع إنما يمكن أن يدرك مفردة عقلا كما أفردنا الجواهر لا غير لأننا إذا قلنا إن ههنا شيء حار يابس بارد رطب موجود فقولنا موجود تعطيه حد الجواهر.

وقولنا: حار يابس تعطيه حد الجسمية والجسم تتبعه الأعراض والكيفيات كالطول والعرض والعمق واللون وغير ذلك؛ لأن كل موجود في العالم من أشخاص أنواع الأجناس الثلاثة لا يخلو من المقدمات العشر إن توجد فيه فإذا تمثلنا الجسم قد عري من أن يكون مفعولا بقي على تسعة ثم عري أن يكون فاعلا بقي على ثمانية ثم عري أن يكون على نسبة بقي على سبعة ثم عري أن يكون مضافا بقي على ستة ثم عري أن يكون عينة بقي على خمسة ثم عري، بقي على أربعة ثم سلبناه كميته بقي على ثلاثة ثم سلبناه مكانه بقي على اثنين ثم سلبناه مكانه بقي جوهرًا واحدا فاعلم ذلك فقد رأيت هذه الأصول ويحتاج أن نقول في تركيبها كل شيء كان صحيحا في تركيبه فهو صحيح في تحليله والعلم والعمل لا يخلو أن من أن يكونا تحليلًا أو تركيبًا فالتحليل فيه كالتقص والتركيب كالبناء، وعلى مثال ذلك سائر الأشياء، وإذا قد حللت الأشياء حتى رجعت إلى الجواهر فكذلك التركيب فلنقل فيه إن الجواهر إذا تركيب عليه شيء فأول تركيب عليه الكيفية فيصير ذا لون وذا حال معلومة فهو جوهر بكيفية، إما طول، وإما عرض، وإما عمق، وإما لون وإما شيء من الأشياء.

ثم الكمية وهي التي تعطي المقدار فيكون ذا عدد، وذا مقدار ووزن وكيل وتحصل له مادة ويصير ذا زمان ومكان فاعلم ذلك وقس عليه ثم تركيب عليه بعد

ذلك التوابع الموجودة في الطبائع.

ومعنى الموجود التي تتبع الطبائع كالحمرة والإحراق والمرارة وما أشبه ذلك تابعة للحرارة وكالبياض والتبريد، وما أشبه ذلك تابعة للبرودة وكالطول تابع للحرارة والقصر تابع للبرودة وكالنفاسة تتبع اليبوسة وكالغلظ يتبع إلى أمثال ذلك من توابع الأشياء وخواصها وبذلك تصح صورة الأعراض والجواهر ولست أعلم أن بعد ذلك زيادة في القول فاعلم ذلك وقس عليه ما يجئك تصيب الطريق فيه.

والصواب إن شاء الله، وإذ قد أتينا على ذكر الطبائع والجواهر مفردة ومركبة وأوجدناها للعقل وامتناع ذلك القياس فيها وأوجدناك الطبائع أيضا مفردة للحس كقولنا: إن الفضة جوهر الخاتم والطين جوهر الكوز والخشب جوهر الكرسي كذلك القول فيما لا يدرك بالحس؛ لأن هذه تجري مجرى ذلك في الإيجاد ونقص التخطيط وما يحمل عليها من الأعراض التي هي مقام توابع الأعراض وأفعالها فاعلم ذلك وقس عليه إن شاء الله ثم لنأخذ فيما بدأنا فيه من أصل مقدمات الكون إن شاء الله.

القول في مقدمات الكون بالعمل

إن كون الجسم لا يمكن أن يكون إلا من رطوبة يمكن أن يكون منها الكون، وهي التي تحالطها الحرارة كما أن الحجر من هذه الرطوبة لكن يكون من الرطوبة المخالطة للبرودة التي قد لحقها النشف ودوام الطبخ حتى انعقدت، وهذه الرطوبة ينبغي أن تعرف أيضا بحد آخر خاصة أن جميع ما يأكله الحيوان قد يستحيل أكثره إلى الدم وهو الذي منه يمكن أن يكون الحيوان ومنه ما لا يستحيل إلى الدم، ولا يكون منه الحيوان، ومثال ذلك أن أكل الباقلي والجرجير والحمص والبوري واللوبيا وما أشبه ذلك يولد له منيا لا يتكون منه الولد وإذا أكل الهرايس والسموك الطرية والبصل والأدهان الحارة كان عنها المني الذي يكون منه الولد.

وما أجود ما أتى به صاحب إقليدس في المقالة الخامسة من كتابه حيث يقول الأشياء التي بين بعضها وبين بعض نسبة هي التي إذا ضعفت أمكن أن تزيد بعضها على بعض فإن هذا كلام في نهاية الصحة والبرهان؛ لأنه من الأوائل في العقل وبيان ما فيه هو أن الأعراض لا تزيد بالأجسام والأجسام لا تزيد بالأعراض كالذهب فإنه لا

يزيد بالفضة ولا الفضة تزيد بالذهب ومثال ذلك أن الذهب جوهر منطرق ومنسبك أصفر رزين فهذان الجوهرا إنهما يزيدان بالجوهريّة والانطراق والانسباك.

وأما إن يزيد الجوهر بالانطراق والانسباك فمحال ولذلك لا يزيد الانطراق والانسباك بالجوهر لأنه محال إن يزيد في الشيء ما ليس من مادته ومثال ذلك أيضا لو أن جوهرًا منسبكا، وآخر غير منسبك إلا أنهما يختلطان اختلاطا ما لما أحدث في المنسبك الامتناع من الانسباك ولا يحدث في غير المنسبك الانسباك، فاعلم ذلك، وقس عليه.

فهذا معنى قول الحكماء الأشياء تماثل أشكالها وتخالف أضدادها، وينبغي أن تعلم أن من المقدمات الأوائل في العقل أيضا مما تحتاج إليه في هذا الكتاب أن الكليات تجتذب الجزئيات والجزئيات تستمد بالكليات فإذا عرفت ذلك قلنا خذ فيما كنا بدأنا به من ذكر الرطوبة المحدودة أن الرطوبة إذا مدتها البرودة لم تحلها الحرارة لأن الحرارة لا تحل في مكان البرودة، ولا البرودة في مكان الحرارة للعلل التي قدمنا ذكرها في صدر هذا الكتاب، وفي كثير من كتبنا هذه الموازين المائة والأربعة وأربعين كتابا.

وإذا كانت الرطوبة مستمدة بالحرارة أمكن تحريك الحرارة عليها، وإن أوجلت الحرارة في الرطوبة الممازجة لها والحرارة تطلب العلو كما أن البرودة تطلب القعر، وكما أن الرطوبة تطلب محيط الشيء كذلك اليبوسة تطلب مراكز الأشياء وقد بينا ذلك في كتاب الميزان إذا توسطت الحرارة في تلك الرطوبة ودبت فيها، لأن الحرارة متحركة خرجت الرطوبة إذ كانت الحرارة تقدر على الرطوبة وهذا معنى لطيف في علم الميزان، وقد ذكرنا ذلك في كتبنا هذه ونحن نوضحه ههنا إن شاء الله وذلك مأخوذ من السبع عشر قوة؛ لأن الجزء من الحرارة قد يمكنه أن يتسوا ويحرك ثمانية من الرطوبة وثمانية من اليبوسة أيهما كان وتحريك اليبوسة على الحرارة أهون من تحريك الرطوبة؛ لأن الرطوبة أثقل وهي من جنس البرودة وإن كان في بعض الأوقات بينهما وبين الحرارة ممازجة وتواصل.

وقد قلنا: إن السبع عشرة قوة إنما هي جزء من أحد الفاعلين وثلاثة من الآخر وثمانية من أحد المنفعلين وخمسة من الآخر وأربعة وخمسة تسعة وثمانية سبع عشرة قوة فهذه هي أصل العالم فاعلم ذلك والميزان الطبيعي هو الذي نقصده في علم الأشياء وإخراجها إلى الوجود فإن الكبد حار رطب والطحال بارد يابس وليس بينهما تناسب؛

لأنهما في أبعاد الأقطار وأمكن المضار فلو أكل أكل طعاما كان ذلك الطعام لا يخلو من أن يكون فيه حار ورطب وبارد ويابس بل إنما يكون فيه بارد رطب وبارد يابس وحار رطب وحار يابس فتأخذ الأعضاء حقها من تلك الأشياء وتستمد كل عضو منها بطبعه ولكن ليس يزيد في الشيء إذا جاوره وخالطه، وإن كان من جنسه لا سيما من الأجسام الكثيفة ولكن يزيد فيه إذا مزجته والمزاج لا يكون إلا بعد الاستحالة، والاستحالة عماد كتابنا هذا وكلامنا فيه، ومثال الاستحالة كجزئين من الذهب جمعنا بينهما في كيس أو صرة أو غير ذلك فإن أحدهما لا يزيد بالآخر فإن نحن حللناهما بالسبك ثم جمعنا أحدهما في الآخر وصارا شيئا واحدا كذلك الطعام الذي يتغذى به المتغذي ثم تأخذ الطبائع حقها منه لأنه إذا آل إلى الاستحالة صار ماء ودما وصفراء وسوداء مختلط، وأخذ كل شيء من الأعضاء منه ما يوافقه وإذ قد بلغنا إلا ههنا فلا بأس أن نصف كيف تكون صورة الاستحالة في أبدان حيوان ليزيد المتعلم يقينا من أمره ويصح له ما نذكره فيما بعد إن شاء الله.

القول في الاستحالة

إن الحيوان إذا أكل الطعام وعادته أكله فأول أمره يكسره بأسنانه والرطوبة التي قد ملئت بها لهواته أما لتليينه ليسهل انحلاله وإما لتلا يصادم الطعام أحد اللهوات وهي رقيقة بخشونته فيؤلمها وكل ما انطحن في اللهوات وتكسر كان أسرع أيضا لانحلاله واستحالته وكلما كانت الحرارة فيه أكثر مما ينسب إلى اعتدال لا ما ينسب إلى الزيادة كان أيضا أسرع لانحلاله واستحالته ومتى خرج عن الاعتدال إلى حد الطرفين التي هي الزيادة والنقصان كان نقصان الاستحالة وعسرهما وفسادها؛ لأنها بالنقصان يتولد عن الانحلال والاستحالة، ويطول زمانها وبالزيادة يحترق ولا ينهضم ويسمى الطيب الذي بالزيادة الشهوة الكلبية والبقرية وما أشبه ذلك، ويسمى أيضا الأطباء الذي بالنقصان رخاوة المعدة وتخلف الهضم وأمثال ذلك أعني هذه الأحوال، وإذ قد ذكرنا ذلك فلنستتم ما بدأنا به من ذكر الهضم فإذا صار إلى المعدة، وورد إلى أولها وكانت المعدة سليمة فباطن المعدة كالكرش حملية وبذلك الحمل يكون الانحلال والاستحالة فإذا كان ذلك الحمل كثير الرطوبة حتى تعمره لم يمكنه أن يستقصي طحن الطعام فرماه الإنسان صحيحا وربما دافعت المعدة ونازعت عند وروده عليها فرما به الإنسان من فمه لوقته

وعلى مقدار ما قد اشتمل على خمل المعدة من تلك الرطوبة.

وإذا هي اعتدلت فكان في المعدة من الرطوبة بمقدار ما تندي الغذاء الوارد عليها ليدخله إلى باب الحل فهي سليمة، وكان خملها ظاهرا فإذا ورد الطعام على مثل هذه المعدة السليمة وكان خملها ظاهرا فإذا وردت الطعام على مثل هذه المعدة السليمة استدارت المعدة عليه وطحنه الطبايع فيها واستعانت على.... والمرارة لثلا ينحل أيضا، ويستحيل فيكون فجا يورث الأورام والاستسقاء وما أشبههما من العلل، وكل فساد يلحق المعدة في تخلف الهضم إنما سببه كثرة البرودة وقلة الحرارة وكل فساد يلحق المعدة في زيادة الهضم إنما هو لكثرة الحرارة فإذا طحنت المعدة ذلك الغذاء صار كله شيئا واحدا يحاكي ماء الشعير فإذا صار كذلك فهو الذي يسميه الأطباء الهضم الأول ثم أنه يرسب إلى أسفل المعدة وكل اثنين اختلطتا فإن من سبيل أرقهما أن يعلو وأغلظهما أن يرسب فيصير هذا المستحيل في المعدة كذلك فالراسب هو الثقل الخارج في المعى. والعالي هو الغذاء النافذ إلى سائر أقطار البدن، وذلك أن للكبد إلى المعدة فم يمتص به الماء الصافي حتى يستنفذه.

فإذا أخذته إليها ففيه عنصر جميع الطبايع انقسم إلى الكبد أيضا قسمين: رقيق مائي تنفذه الكبد إلى الكلبي فيكون عنه البول، وما هو أغلظ منه يحيله الكبد إليها دما بطبعها فإذا استحال دما استحال، وفيه بقية الطبايع فللمرارة فم إلى الكبد يمتص به منه المرار الأصفر وللطحال إليها فم يمتص به منها المرار الأسود، ويبقى صافي الدم فينفذه الكبد بالعروق إلى سائر ما بقي من الأعضاء.

وهذا يسمى الهضم الثاني وبين القدماء في ذلك خلاف؛ لأنها تقول طائفة منهم أن امتصاص المرارة للمرار الأصفر من الكبد قبل أن يحيل الكبد ذلك إليها دما امتصته من الغذاء. وبعض يقول من بعد، وقول من قال قبل أجود.

وكلا الأمرين غير بعيدين من الحق إذ من سبيل الطبايع أن لا تختلط ولا يأخذ شيء منها ما ليس له إلا على سبيل العدل والفهم لكن على سبيل تنافر الطبايع، وأن الأشياء تماثل أشكالها وتخالف أضدادها وإذا أخذت الأعضاء من بعد ذلك حقها من الغذاء أحال كل عضو ما أخذه إلى طبعه كالدماع أحال ما اكتسبه من الغذاء إلى البرد

والرطوبة وكالقلب يحيل ما يتغدها إلى الحرارة واليبوسة وكذلك سائرهما، وهذا الغذاء سبب بقائها ومادة فإذا أحاله إليه وقوي عليه فحينئذ يسمى الهضم الثالث، وهو آخر الهضوم الرئيسة المدبرة للبدن أربعة وهي الدماغ والقلب والكبد والأنتيان فالدماغ يعطيه الحس، والقلب يعطيه الحركة والكبد يعطيه قوة الهضم والشهوة والأنتيان مادة النسل وإخراج ما فيه من الغذاء بالبول والغائط سبحان الخالق الحكيم ثم إنا نقول: إنا قد قدمنا جميع ما تحتاج إليه في علم الكون، وكما أنا مثلنا لك صورة الهضم فلا فرق بين الهضم عندها والكون ألبتة وعلى ذلك نمثله إن شاء الله.

القول في الرحم

إن الرحم بيت فيه خمسة بيوت اثنان منها في الجانب الأيمن واثنان منها في الجانب الأيسر.

والخامس في صدره وأعله، وهو بيت حار رطب معتدل ليست حرارته مفرطة، ولا رطوبته.

لكنه بمقدار ما يحتاج إليه كل واحد منهما من صاحبه.

ومتى زادت حرارته أحرقت المني الواقع فيه ومتى زادت برودته أجمدت المني فيه، وبطل أن يكون منه شيء؛ لأن المني إذا أصابه الهواء بطل فعله.

وأدنى شيء يفسده للطافة جوهر الحيوان وإذا كان الرحم في نهاية الصحة معتدل الحرارة والرطوبة غير خارج عن الاعتدال فهو الرحم الذي يمكن أن يتكون فيه الحيوان وإذا زال عن ذلك لم يتكون فيه شيء وإذا سقط المني في البيت الأول الأيمن من الرحم كان المتولد فيه أثنى، وإذا سقط المني في الثاني الأيمن كان المتولد ذكرا، وإذا كان في البيت الأول الأيسر كان ذكرا، وإذا سقط في الثاني الأيسر كان المتولد أثنى، وإذا سقط في المتصدر، وقل ما يلج الذكر إليه كان خنثى، وهذا الذي تبطل فيه آلة النسل سبحان المدير ما يشاء إنه عدل لطيف فافهم ذلك تجده فيما تحتاج إليه سرا إن شاء الله.

وقد ينبغي أن تعتقد أن الطبايع إن كانت أربعا أعني الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة فإن مراتبها أيضا أربعة.

ومعنى مراتبها هو علم مقدار ما حل منها في الأجناس الثلاثة لموضع التغير.
ولولا ذلك التغير كانت الأشياء واحداً، وذلك أن ما يكون الحرارة في الأشياء بمقدار يسير كما يكون في الماء المغلي وكما يكون في سخنة البدن من الحرارة وكما يكون في مزاج الكبد واللحم من الحرارة سمي درجة أولى وما يكون مقدار ما ينسب إلى التوسط بين هذا الأول الذي ذكرنا وبين الشيء الحار الشديد الحرارة، والقلب والإنسان المتغرق في الحمام طويلاً والماء الشديد الغليان وكحرارة الأهلون وما أشبه ذلك.
قيل له: في الدرجة الثانية، وما كان في المقدار العالي الذي ليس بعده زيادة في الحرارة كالإنسان المحموم الحمى الحارة وكالماء الذي يهري وكحرارة الفريون والبلسان والفلفل، وما أشبه ذلك.
قيل: إنه في الدرجة الثالثة وليس بعد ذلك فمتى وجدت شيء زائد على هذا، وليس يكون ذلك إلا في السموم فقط مثل فهشة الرتيلاء والمكس وكال نار وحرها نفسها، وسموم الأفاعي، وما أشبه ذلك.
قيل: إنه في المترلة أو المرتبة الرابعة فاعلم ذلك، والمراتب الأربع تجري على السبع عشرة قوة في الوزن فالأولى واحد والثانية ثلاثة لمثل ذلك الواحد والثالثة خمسة لمثل ذلك الواحد والمرتبة الرابعة ثمانية مثل ذلك الواحد فإذا كانت المرتبة الأولى من طبع من الطبائع مثلاً درهم ودانق فالثانية ثلث ونصف والمرتبة الثالثة خمسة دراهم ونصف وثلث والمرتبة الرابعة تسعة دراهم، وثلاث على مثال ذلك أبداً دائماً فقس عليه تجده صواباً في كل شيء تريده إن شاء الله.

فصل

اعلم أن الزنجار المعدني غير موافق لما تحتاج إليه والزنجار المتخذ هو الزنجار^(١) الذي ترى منه العجائب في الأعمال، ووجه اتخاذ الزنجار أن يؤخذ جزء من الراسخنج وجزء من النشادر فيسحق كل واحد منهما على حدته، ويخلطان جميعا ويرش عليهما شيء من الخمر أو الخل الجيد الحموضة ويترك في إناء ويغطى من الغبار ويتعاهده برش الخل عليه في كل وقت لثلا يجف وإن شئت عمرته بالخل فإذا صار زنجارا داخله وخارجه وصلب فارفعه.

واعلم أن هذا الدواء الذي قد ارتفع لك، وهو بالحقيقة الزنجار وهو يدوب على النار ويصفر الفضة تصفيرا خفيفا وهو إكسير في هذه الدرجة.

واعلم أنك إن سحقته بماء الزاج المقطر بالكبريت وأرويته بالتسقية والسحق ثم شويته تشوية خفيفة وأعدت عليه العمل دائما إلى أن يحمر صبغ الفضة ذهبيا كاملا لا علة فيه، وهو من الأبواب الكبار ووجه عمله أن تقطر الزاج فإنه يقطر ماء حادا فتسحق به الكبريت الأصفر، وتجعله في قرعة وتقطر فإنه يقطر ماء أحمر اللون وهو صبغ الكبريت فتسحق الزنجار بذلك الماء وتشوي فإنه يكون كما ذكرنا إن شاء الله فإذا احمر دواءك فاعجنه بذلك الماء أيضا وحببه مثل حب الحمص وتسبك الفضة وتطاعم من هذا الدواء إن شاء الله، ووجه تسقيته أن تجيد سحقه ونخله ثم تجعله في صلابة مقعرة وتصب عليه شيئا من ماء الزاج المقطر وتسحقه بدستج زجاج دائما حتى يجف وتشويه تشوية يسيرة ثم تخرجه وتصب عليه ماء الزاج وتسحقه به أياما حتى يجف تفعل به كذلك حتى يصير تربة حمراء ذائبة على النار فاستعمله فإنه يكون منه ما ذكرنا فاحفظه إن شاء الله.

تم وكمل الكلام المختصر من كتاب التجميع والله الحمد وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم

(١) وهو نوعان منه معدني، وهو ما يوجد في معادن النحاس وقد تقدم في الدال « دهنج » ومنه عملي، وكله حار يابس في الرابعة بدله زهر النحاس، وصنعتة نحاس محرق ودقيق الباقلاء ونوسادر وملح أندرا في أجزاء سواء يعجن بالخل ويقطر في خرقة صوف ويرصع للشمس.

نخب من كتاب التصريف (١)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وسلم تسليماً. قد تقدم لنا قبل كتابنا كتب كثيرة في علم الموازين وعلمنا فيها وجوه انفعالها ولم ندل كيف وجه العمل فيها، وعلمنا كيفيات الأشياء بالحروف على الأصول التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ولم ندل على الكمية. وذلك أن الدليل عليها في الكمية علم آخر ليس بمشارك لما تقدم فلذلك عدلنا به إلى كتاب آخر.

لأننا لما دللنا على أن الكلام لا يكون إلا بتأليف الحروف - فإن الحرف الواحد لا يمكن أن ينطق به - ودلنا على البسيطة وموضعها لم يكن بد لنا من أن نذكر كيف العمل بتلك الحروف التي هي مفردات ومركبات - فإن الفائدة حينئذ تكون عظيمة خطيرة - ولم يكن لنا بد من أن ندل كيف الوصول إلى استعمال البسيطة والمركبة حتى يكون العمل بهذه مستوعباً في كتبنا هذه.

وإنه لما كان هذا الموضوع من البسائط هو تصريف بعضها في بعض وتأثيرها كلها لذلك ما رسمت كتابي هذا بالتصريف.

لأن ذلك الموضوع من تأليف الحروف للنحويين يسمونه تصريفاً، وهذا الموضوع من البسائط يسمونه الفلاسفة تصريفاً. فلم يجوز أن يكون اسم الكتاب غير التصريف. والدليل على ذلك أن القاف والألف واللام حروف منفردة، فإذا ألفت كانت قال.

وأصل قال في العربية قول بتحريك الواو، فلما كثرت أسكنت الواو فصارت قول، فليسكون الواو وانفتاح ما قبلها انقلبت ألفاً فصارت قال.

ولما وجدنا هذا في الكلام وكنا بينا أن الكلام كله على الحروف ولا كلام إلا بتأليف الحروف لم يكن بد من أن يقع في الطبائع مثل ذلك، فحقيق أن يكون تصريف الطبائع كتصريف الحروف إذ كان القياس قد لزم في الثلاثة التي هي الطرفان والوسط، فاعلمه.

والذي نذكره في كتابنا هذا تصريف الطبائع وأحوالها وكمياتها ووجوه جمعها على سبيل التعليم، ويكون عند ذلك تمام الكتاب.

وانظر -عافاك الله- إلى هذه المنن مني عليك، واحفظ نفسك وأدم النظر فيها، مع أني قد شفيتك في هذا الكتاب بحسب الحاجة وفوق الحاجة. فنقول: ينبغي أن تعلم سبب الطبائع كما قلنا وتصريفها.

فمن المعلوم أنه لما كان الامتلاء هو من الرطوبة من قبل أنه لا ينحاز بحيز خاص وينحاز بحيز غيره ويلزم ما يماسها- وما هو لطيف فله أنه يملأ إذ كانت أجزاؤه لطافا وما كانت أجزاؤه صغارا فهو يملأ، وذلك أنه قد يماس بجملته جملة الشيء واللطيف هو كذلك خاصة -فمن الظاهر أن اللطافة تكون من الرطوبة والغلظ من اليبوسة.

وقد أتى أرسطاطاليس في كتابه الكون والفساد، وينبغي أن تفهم ههنا بسط هذا الكتاب وتصريفه ليسهل عليك ما تريد تكوينه وتحليله.

فإذا بينا أن اللطافة محصورة تحت الرطوبة كما أن الإنسان تحت الحيوان لأن اللطيف هو ما يملأ، إذ كان ما هو لطيف صغير الأجزاء وما هو صغير الأجزاء هو يملأ، إذ كان قد يماس الشيء بجملته ويداخل ويرسب- وإن ما يماس الرطب، وذلك أن ما يماس لم ينحز بحيز خاص لكن إنما ينحاز من شيء آخر، فقد يلزم أن ما يرسب ويلح على ما يماسه وهذه هي حال الرطب فإنه بهذا السبب قد ينحاز بسهولة -فاللطافة إذن من فعل الرطوبة.

وإن كان هذا هكذا فالكيفية المتضادة هي من كيفية متضادة والغلظ إذن من اليبوسة.

وأياضا فاللزوجة من الرطوبة إذ كانت اللزوجة إنما هي رطوبة قد شأبما تأثير ما يمتزلة الدهن، وضدها من اليبوسة إذ كان هذا هو اليابس في الغاية حتى يستحجر من يسير الرطوبة.

وبيان ذلك -فإنه على مثال واحد- أن اللزوجة محصورة تحت الرطوبة وضدها تحت اليبوسة.

وأما إن اللزوجة محصورة تحت الرطوبة فبين أن اللزج هو الرطب مع تأثير ما،

وذلك أنه ما كان الأشياء الرطبة ليس ينقسم بسهولة لكن يزلق منها القاسم بمزلة الدبق والزفت والدهن فقد يقال لها لرجة. وكذلك القحل من اليبوسة إذ كان هذا إنما هو شيء ينعقد لقلة الرطوبة.

وأيضاً فإن اللين من قبل الرطوبة، وذلك أن اللين هو ما طبع وانغمر فيه رزاته ولا ينتقل وهذا إنما يفعله الرطب، ولذلك ليس الرطوبة تحت اللين ولكن اللين تحت الرطوبة.

والصلب تحت اليبوسة، وذلك أن الصلب هو الشيء المنعقد المتحجر. واللين والصلابة هما محصورتان تحت الرطوبة واليبوسة.

وذلك أن اللين هو ما ينطبع وينغمر رزاته، ولا ينتقل كما ينتقل الرطب. وذلك أن الرطب قد ينتقل، وأما اللين فقد ينغمر وينطبع غير أنه ليس ينتقل. فاللين إذن رطب قد شابه أثر مثل اللزج، فلذلك صار اللين محصوراً تحت الرطب، وليس ينعكس هذا.

وذلك أن اللين مع ما أن له انغمار له مع ذلك أيضاً أن لا ينتقل، كما أن اللزج هو رطب قد شابه أثر ما، فالرطب إذن أكثر من اللين، والصلب فهو محصور تحت اليباس، وذلك أن الصلب المنعقد المستحجر، والمنعقد المستحجر هو يابس.

قال أرسطاطاليس في كتاب الكون والفساد: والرطب واليباس قد يقال كل واحد منهما على أنحاء كثيرة.

وذلك أن اليباس موضوع قبالة الرطب والمبتل، وقبالة الرطب اليباس والمنعقد. بيان ذلك أنه لما حدد الرطب واليباس الذين هما كذلك على التحقيق وقال: «إن الرطب هو الذي لا ينحاز بحيز خاص وينحاز بحيز غريب بسهولة» وقال: «إن اليباس هو ما يعسر انخيازه بحيز غريب ويسهل انخيازه بحيز خاص» أخذ يبين بهذا الكلام أنه تحت هاتين المتضادتين- الرطوبة واليبوسة- تنحصر سائر المتضادات الأخر وتحتها تترتب.

قال: «إنه لما كان الرطب واليباس قد يقال كل واحد منهما على أنحاء كثيرة»، إما أن هذين قد يقال كل واحد منهما على أنحاء كثيرة فهو يبين أولاً من الشئيين

المقابلين لهما.

وذلك أنه إذا كان للشيء مقابلات كثيرة فهو من الأشياء التي تقال على أنحاء كثيرة.

وهذا موجود في الأشياء الموضوعه لها مقابلات. وذلك أن الأشياء اليابسة قد تقابلها الرطبة والمبلولة، وهذان قد يخالف أحدهما الآخر. فهو يبين بهذا أن الرطب واليابس قد يقال كل واحد منهما على أنحاء كثيرة، وأن جميع المعاني التي تدل عليها هي محصورة تحت ذينك الأولين اللذين إنما تحد بهما.

(٢)

فكأننا نقول: الحرارة ا ه ط م ف ش ذ، والبرودة ب و ي ن ص ت ض، واليبوسة ج ز ك س ق ث ظ، والرطوبة د ح ل ع ر خ غ، وإن هذه الحروف قد توجد في كل موجود في العالم. وإن الموجودات نار وهواء وماء وأرض، والمتركب منها الحيوان والنبات والحجر.

فالنار والهواء والماء والأرض قد استوفينا أمرها في غير كتاب من هذه الكتب وجودنا ذلك وأوضحناه مع ما فيه من علم الميزان. وأما الموجودات الثلاثة الأخر المتركبة من الأربعة المركبة فإن الحيوان ينبغي أن تعلم أنه ينقسم ثلاثة أقسام: أول وثان وثالث. وأن الأول هو الذي بدأ بذاته لمبدئ. والثاني المبدأ بذاته وهو علة نفسه. والثالث الذي بدأ عن الثاني لا غير. وأما جميعا تنقسم إلى أربعة أقسام وهي:

الحيوان			
ساح	طائر	زاحق	ماش

ليس يخلو من ذلك، إلا أن فعل كل واحد منها أيضا ينقسم ثلاثة أقسام وكونه

وتوليدته كذلك، وأزمان هذه ومقادير مراتبها واحدة.
وذلك أن الحيوان الأول يكون على ما أصف، وذلك أنه يحتاج أن يعدد جميع ما
فيه. مثال ذلك:

	النفس	
	الجوهر	
	الحرارة	
الزمان	البرودة	المكان
	اليبوسة	
	الرطوبة	

فإن كان في الحيوان الإنساث كان على هذا وهو بزيادة واحدة.

	النفس	
	الجوهر	
	الحرارة	
الزمان	البرودة	المكان
	اليبوسة	
	الرطوبة	

ثم يوضع تحت ذلك الحيوان فيقال: الحيوان، ويقال تحته: المشي، الزاحف،
الطائر، السابح.

وإذ قد أوضحنا ذلك فلنقل كيف الميزان ليطم به ما مضى من القول ويكون
الأمر على ما تبين، إن شاء الله تعالى.

وذلك أنا نحتاج أن نذكر الحيوان بأنواعه الثلاثة وميزان كل واحد، فلنقل في
ذلك بحسب ما يرسخ في فهم المتعلم ما يوجب منه كون الحيوان في الدفعة الأولى
وميزانه وميزان ما ينبغي أن يعلم به إن أريد تكوين.

الحرارة: المرتبة الأولى: من المراتب الأربع: عشرة دراهم، مائة وخمسون يوماً،
خمسة أشهر.

المرتبة الثانية: ثلاثون درهماً، أربعمائة وخمسون يوماً، خمسة عشر شهراً.

المرتبة الثالثة: خمسون درهماً، سبعمائة وخمسون يوماً، خمسة وعشرون شهراً.

المرتبة الرابعة: ثمانون درهماً، ألف ومائتان يوم، أربعون شهراً.

وليس إنما يحتاج إلى ذلك في التكرار من الزمان ولكن حتى يتم ويكمل ويتحرك
ويتكلم.

فهذا معناه وقد قيل إن هذا مقامه أعني هذه الأيام، وإنه كلما أقام كان أشد
لشبهه ولقربه من المماثلة، سبحانه الخالق الفرد الصمد.

فأما الثاني من الحيوان فإنه يجري مجرى الأول سواء في مراتبه وقليله وكثيره من
أيامه وأحواله، وبينهما فرق في الآلة والأدوية ويذكر في موضعه من كتاب التجميع.
والقول في النبات كالقول في الحيوان إلا أن له من الأوزان شيئاً غير ما للحيوان
للخلف الذي بينهما ضرورة.

وإنما جعلناه الثاني لأنه يعطف على الاثنين إذ الحيوان والحجر طرفان والنبات
واسطة.

ولتعلم هذا الكلام، فإنه إن لم تفهم قاعدة الكتاب لم ينفعك أن تقرأ شيئاً،
وذلك أن العلم فيه على الفهم إذ مقصود كل علم أن يفهم.

ونقول بعد ذلك في النبات: ينبغي أن يعتقد الذي مثلناه أولاً في الحيوان بغير
زيادة في النبات والحجر، وذلك أن الذي مثلناه من العقل في القسم الشريف من
الحيوان على ما مثلناه إذ كل موجود ذو نفس وليس ذا عقل.

فليعلم ذلك فقد استوفينا في كتاب ميدان العقل من كتبنا هذه.

فأما النبات فمعلوم أنك تحتاج أن تبدأ به من عالم النفس لعل الكون أولاً—وقد
بدأ غير مؤتلف من عالم الجوهر وكلا الأمرين واحد— ثم كذلك حتى تنزل إلى كون
النبات.

	النفس	
	الجوهر	
الزمان	الحرارة	المكان
	البرودة	
	اليبوسة	
	الرطوبة	

ونحتاج أن نوريك أيضا مقادير مراتبه كما مثلناه لك في الحيوان.
كون النبات في الدفعة الأولى وميزانه وميزان ما ينبغي أن تعلم علته في أمثاله،
وكذلك الثاني والثالث:

الحرارة: المرتبة الأولى: سبعة دراهم، خمسة وسبعون يوما، شهران ونصف.
المرتبة الثانية: أحد وعشرون درهما، مائتان وعشرون يوما، سبعة أشهر ونصف.
المرتبة الثالثة: خمسة وثلاثون درهما، ثلاثمائة وخمسة وسبعون يوما، اثنا عشر
شهرًا ونصف.

المرتبة الرابعة: ستة وخمسون درهما، ستمائة يوما، عشرون شهرًا.
ومهما كان للحرارة من شيء فللبرودة مثله وكذلك القول في اليبوسة
والرطوبة، فاعلم.
وإنما قدمنا ذكر الحرارة لأنها أول لا غير، وكذلك لو جعلنا مكانها واحدة
من أخواتها.

ونحتاج أن نأتي بذكر الحجر بحسب ما رسمناه للنبات والحيوان.
فلتعلم أن الحجر ينقسم ثمانية أنواع، وكل واحد من تلك الأنواع الثمانية ينقسم
ثلاثة أقسام تعم جميع الثمانية الأنواع.
فهذه الأنواع المذكورة:
(أ) متحجر منسحق غير ذائب.
(ب) متحجر غير منسحق غير ذائب.

(ج) متحجر غير منسحق ذائب.

(د) متحجر مسحق ذائب.

(هـ) غير متحجر غير منسحق غير ذائب.

(و) غير متحجر غير منسحق ذائب.

(ز) غير متحجر منسحق غير ذائب.

(ح) غير متحجر منسحق ذائب.

فهذا ما في الحجر وذلك أنه أصعب هذه المكونات وأتعبها لأنه عندهم الدورة

الثالثة.

ولما كانت الأولى أسهل فإذن الثالثة أصعب، فالحجر أصعب في العمل من غيره.

ولما كانت الدورة الوسطى واسطة بين الصعب والسهل كان فعل النبات كذلك

وإنه ينقسم عليها راجع إليها وهو كذلك وبه يتم وبهما يتم هذا قول حق.

وقد أوريناك من الأمثلة ما فيه كفاية فلنأخذ في أقسام الحجر فنقول: إن الحجر

ينقسم ثلاثة أقسام: قسم أول وهو كالخلق الأول من الحجارة وله ميزان منفرد من

جميع الموازين، وقسم ثان وهو المنفعل من الحجر الأول ويحاكيه ويجري مجراه لكن

اضمحلاله أقرب من زمان الأول وإن كان قد يطول كأنه في العالم ألوف سنين،

والثالث من الأقسام وهو الحجر المكون لنا نحن بقصد، واحد خلف المراتب.

ونحن نأتي على الجميع بحسب ما تعلمه من ذلك دائما في جميع الأمور المعلمة لمن

أرادها منه.

فنقول: كون الحجر في الدفعة الأولى من الثمانية الأقسام:

العناصر:

المرتبة الأولى: خمسة عشر درهما، ثلاثون يوما، شهر.

المرتبة الثانية: خمسة عشر درهما، تسعون يوما، ثلاثة أشهر.

المرتبة الثالثة: خمسة وعشرون درهما، مائة وخمسون يوما، خمسة أشهر.

المرتبة الرابعة: أربعون درهما، مائتان وأربعون يوما، ثمانية أشهر.

كون الحجر في الدفعة الثانية:

العناصر:

المرتبة الأولى: ثلاثة دراهم، عشرة أيام، ثلث شهر.

المرتبة الثانية: تسعة دراهم، ثلاثون يوما، شهر.

المرتبة الثالثة: خمسة عشر درهما، خمسون يوما، شهر وثلثا شهر.

المرتبة الرابعة: أربعة وعشرون درهما، ثمانون يوما، شهران وثلثا شهر.

وإذ قد أتينا على ما في الحجر من الكونين الأول والثاني فلنقل في الكون الثالث ليتم الكلام فيه ولتعلم وتستخرج من هذه المواضع وما قبلها وأسبابها كيف يكون الكيف في اليوم الواحد والساعة الواحدة.

فأما الحيوان فقد خصصناه بمواضع والنبات بالأخر إلا أنه كثيرا ما نذكره مع الحيوان. والحجر فقد أفردناه في مثل الكتب الأربعة في الأحجار وما يجري مجراها، وأشر كناها بالحيوان والنبات في مواضع أحر، فلنقل في تمام الحجر، إن شاء الله تعالى.

كون الحجر في الدفعة الثالثة:

العناصر:

المرتبة الأولى: درهم ونصف، ثلاثة أيام، عشر شهر.

المرتبة الثانية: أربعة دراهم ونصف، تسعة أيام.

المرتبة الثالثة: سبعة دراهم ونصف، خمسة عشر يوما، نصف شهر.

المرتبة الرابعة: اثنا عشر درهما، أربعة وعشرون يوما، أربعة أخماس شهر.

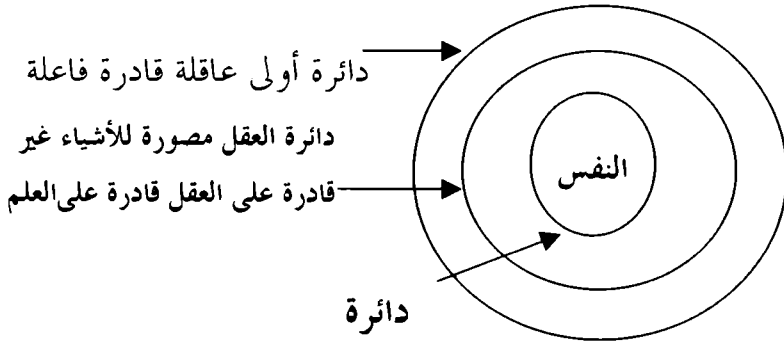
فهذا جميع القول على الحيوان والنبات والحجر، ولتعلم أن القول على كل واحد من المراتب والدرج والدقائق والثواني والثوالت والروابع والخوامس واحد في الحيوان والنبات والحجر.

ولتقوم الحروف على ما مثلناه ثم تساق إلى هذه الأوزان إن أردت أن تستخرج للمراتب حقائقها وكذلك للدرج وما دونها إلى الخوامس.

(٣)

وإذ قد أتينا على تصنيف الحساب فلنقل في العالم جميعه وما ينسب إلى العوالم فنقول أولا: إنه ينبغي أن نتصور دائرة لا نهاية لآخرها متصلة بالأول مما تحويه، فإن الفلاسفة تسمى تلك الدائرة العلة الأولى ومثالها دائرة لا نهاية لها فاعلة- فإذن العلة الفاعلية عاملة- ولنتصور أنها قادرة على العقل وأنها عاقلة وأنها لا تعقل إلا الصواب والخير خاصة والعدل وما فيه للنفس فرح وراحة وأمثال ذلك إلى ما لا آخر له مما توصف به هذه الدائرة ولنتصور دائرة دون تلك الدائرة عاقلة غير فاعلة ولا قادرة بل متصورة للأمور كلها باطنها وظاهرها دقيقها وجليلها عامها وخاصها.

ولتعلم أن معنى قولنا: دائرة دون دائرة أي جوفها أصغر منها، ولتعلم أن الفلاسفة كلهم لم يمكنهم أن يحصلوا نسبة هذه الدائرة أعني الداخلة من التي فوقها بته لأنه لا يقع على الأولى حدس ولا مقدار، تبارك الله تعالى.
مثال ذلك:



ولنتصور أيضا في جوف هذه الدائرة الثانية دائرة أخرى ثلاثة دونهما في المقدار كثيرا.

ولتعلم أيضا أن حل الفلاسفة بل كلهم لم يعلموا مقدار هذه الدائرة الثالثة من الدائرة الثانية لكنهم حدسوا فقالوا: مقدارها عشر العشر كواحد من المائة، وهو أضعاف ذلك كثيرا إلى ما لا نهاية عند أستاذينا وطائفنا من الفلاسفة، وبالجملة فإنه

غير محصل بته لأنه قد يوقع عليه حدس كما يوقع على الأشكال السباعية فيقع تقريباً لا صحيحاً محصلاً.

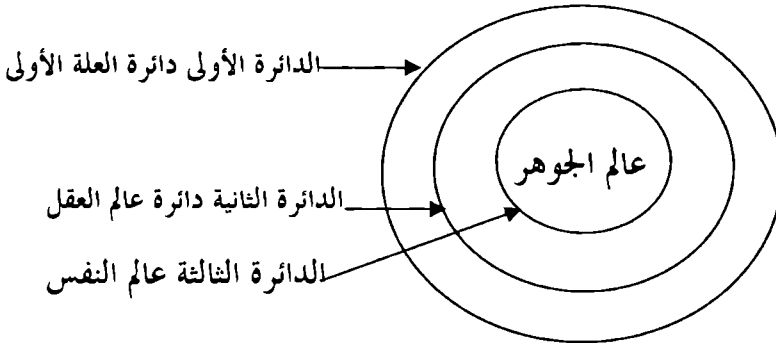
ولنتصور في الدائرة الثالثة أنهما فاعلة قادرة جاهلة بضد الذي وصفناه في الدائرتين الأوليين تساوي هذه الدائرة الثالثة الأولى بالفعل والقدرة وتفصلها بالجهل والعقل وتفصل الدائرة الثالثة الدائرة الثانية بالفعل والقدرة والجهل لأنه في الثانية ممكن وفي الأولى غير ممكن، وتفصلها الثانية بالعقل والعلم.

وهذه الدائرة الثالثة هي النفس وعالمها هو كقول المقدم المذكور وليس متحصلاً كما مثلناه أولاً.

ولنتصور أيضاً في داخل هذه الدائرة الثالثة التي هي دائرة النفس دائرة رابعة أصغر منها كثيراً بمقدار غير معلوم كما مثلنا.

ولتعلم في هذه الدائرة أنما لا تعلم ولا تجهل ولا تقدر إلا أن من سبيلها ألا تفعل ولا تنفعل وهي عالم الجوهر - الهباء المنثور - الذي منه بنية هذا العالم وهو الذي يسميه قوم الهيوالي.

وقد كنا علمناك ما هو في غير كتاب، قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] أعنى هذا هو تفسيرنا نحن. وهذه صورة الدائرة:

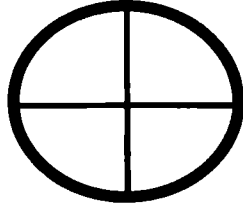


ثم لتصور أيضاً من جوانب هذه الدائرة داخلها أو خارجها جوانبها أو قواعدها إما في حدود الدوائر أو غيره الزمان والمكان، والأصوب أن يمثل في الجوانب على مانوريك بعد هذا الموضع قليلاً.

ثم لتصور في داخل دائرة الجوهر دائرة لا يعلم أيضاً مقدارها، وهي دائرة

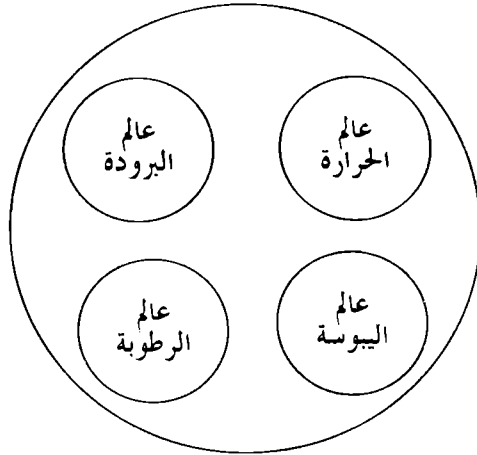
العناصر البسائط أعني الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة.

ولتعلم أن بين الفلاسفة في ذلك خلفا كثيرا لأن طائفة قالت: هي دائرة تنقسم بخطين من أولها إلى آخرها على الاستقامة كما تخرج الأقطار كهذه الصورة:



وقوم قالوا: ليس من سبيل واحد من هذه العوالم أن يكون مربعا ولا مثلثا، ولا على واحد من الأشكال غير المدور، وذلك أن الأشياء الباقية إنما هي في الأشكال المدورة، ولأن ذلك في الأشكال السباعية والأشكال السباعية غير موجودة لنا، وأمثال ذلك نقول: إنما دائرة عظيمة فيها أربع دوائر تتقابل على الاستقامة فتكون في كل جانب من الدوائر العظيمة دائرة تحتال بجانبها، وهي واحد من العناصر.

وهذه صورة ذلك:

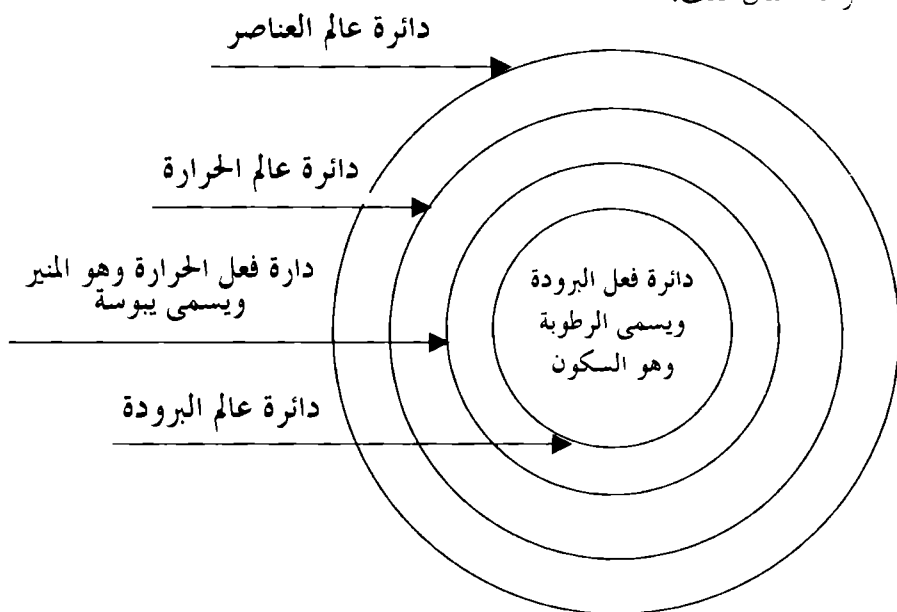


وقوم قالوا: بل إنما تكون دائرة جوف دائرة يفضل أحد المنفعلين بين الفاعلين، وأحد الفاعلين بين المنفعلين.

وذلك أن تجعل دائرة عظمى هي الحاوية لتلك الدوائر جميعا ثم دوها دائرة تسامتها ويختال جزء منها بجزء منها، والدائرة العظمى ليست غيرها لكن يقال عليها

دائرة العناصر كلها أي دائرة تجمع الأضداد كلها فعلى هذا المثال يقال عليها عوالم، ثم تجعل في جوف الدائرة العظمى دائرة كما قلنا نسمةا بألها عالم الحرارة، وفي جوف دائرة الحرارة دائرة أصغر منها تسمى دائرة فعل الحرارة، وفعل المنير وأمثلة ذلك نسمةا بدائرة اليبوسة، ولتجعل في جوف الدائرة الثالثة التي هي اليبوسة دائرة رابعة دون الثالثة كثيرا يقال عليها عالم البرودة، وتجعل دون تلك الدائرة التي هي دائرة البرودة دائرة دونها قليلا توسم بدائرة فعل البرودة ودائرة السكون وعالم الرطوبة.

وهذا مثال ذلك:



فهذا جميع ما قالوا في هذه العوالم فينبغي أن تتصور أنت ذلك كيف شئت فليس يقع عليك خطأ من ذلك في علم الميزان خاصة.

لأننا لو أخذنا في شرح ذلك، وأن نوريك أين الصواب، وكيف الخطأ فيه لطلال الكلام، وكلفنا ما ليس في العدل تكليف لنا إياه، ولأننا قد خصصناه بمواضع أخر ينبغي أن يبحث عنها من أراد الجدل في ذلك لا في علم الميزان، وإننا قد فرغنا منه في غير موضع وجودناه وأوضحناه بتعليمه.

وذلك أن ما لنا من المنطق والهندسة والجدل وغير ذلك من هذه العلوم الفلسفيات وجميع التعليمات لم نرمز فيها شيئا ألبتة لأنه يخرج ما فيها من أفاد العلم

كما يكون في هذه العلوم الأخر.

ولأن تلك العلوم أوائل قد كشفتها الفلاسفة لم نرمز فيها شيئا ألبتة إلا أوضحناه وكشفناه، والذي نذكره ههنا من هذه العلوم إنما هو في الأقل منه شيء على سبيل التقليد، وفي الأكثر على سبيل البرهان، وما قرب الكلام من إقامة البرهان عليه وقلت فيه المنازعات فإننا نأتي به.

وإننا لو لم نفعل ذلك لاحتاج كل كتاب أن ما يكون فيه إما أن يكون كل كتاب في العالم أو أكثره، فاعرفه.

ثم ليتصور المتعلم بعد ذلك دائرة عظيمة تحت هذه الدوائر في داخل دائرة الرطوبة. قالت طائفة: هي خلاء، وقالت طائفة: ليس فيها خلاء لكن ليتصور فيما هي أنه خلاء، وهو أصح الوجهين.

وأما النفس الأولى التي ذكرتها دون عالم العقل، وهي الدائرة الثالثة من الدوائر الأولى فإنها قد تشبثت بالدائرة التي دونها، وهي دائرة الجوهر، وإنهما صارا شيئا واحدا مرثيا، وهو أول ما انفعل، فيه بدء إلى العالم الذي دونها في الكون، ومن الكون الشهوة كما مثلناه لك في غير موضع، وإن ذلك الشيء المتكون انقسم أقساما أو كان شيئا واحدا.

وينبغي أن يتصور بعد ذلك أنه يكون منه دائرة عظيمة؛ لأن الأشياء إذا كانت أجزاءها وكيانها واحدة - وذلك لا يكون إلا في باقي البسائط - فإن ما يبدو منها يكون كشكلها إن كان مدورا أو مثلثا فمثلثا.

وهذا الكلام يحتاج إلى شرط، وذلك أنه أراد تمام بأن يقال في البسائط الأولى المفردات لا المركبات، والبسائط المفردات كالحرارة وغيرها من أخواتها كالنفس والعقل والجوهر، والمركبات كالنار، والهواء، والماء، والأرض والذهب والزجاج، وما جرى مجرى ذلك.

وإن تلك الدائرة هي الفلك المنير الأعظم الذي يسمى الفلك الحاوي للعالم الذي نحن فيه، وما فوقنا بأسره، ولتتصور أنه مما كان بقصد وتأليف إذ قد كنا حصلنا أن ما كان مؤلفا غير بسيط، فليس بجائز أن يكون على شيء واحد، وقد يجوز أن يتغير.

فأقول: إن العالم الذي هو هذه الدائرة إنما تدور بقصد، وعلم بأن الأشياء المدورة قليلة الآفات، وإنه غير هالك إلا أن يشاء صانعه سبحانه وتعالى الذي لا إله إلا هو تقدست أسماؤه، وهو الذي فوق العلة الأولى وتحت مركز الدائرة الصغرى من هذا العالم الذي نحن فيه، وهو الأول والآخر، وهو على كل شيء قدير، وإنه يكون في تلك الدائرة إحدى عشرة دائرة ودوائر أخر كثيرة.

ولنتصور أولاً أن الجوهر والنفس لما اختلطا نزلا إلى عالم الحرارة واليبوسة فأخذتا منهما جزءاً قويا فصار جرم تلك الدائرة التي وسمت بالأثير وبالفلك نارا ذات نفس لا كمثل النار التي فيها قوة النفس فقط، فافهم هذه الفروق. ولتعلم أن أول دائرة تركبت في هذه الدائرة العظمى سبع دوائر واحدة تعلو على الأخرى إلى أن كان بين الدائرة والدائرة كما قلنا في كتاب الميزان وكتاب الشمس والقمر.

وأول هذه الدوائر في العلو هي دائرة زحل وتحتها المشترى وتحتة المريخ ثم الشمس واحدا واحدا إلى عالم القمر، وإنه يتركب بعد ذلك البروج وجميع الكواكب الأخرى.

وقد أتينا على ذلك في كتاب أحوال الكوكب وعدد الدرج وأسمائها مستقصى، والله سبحانه الحمد والشكر، ثم على ذلك دائرة بعد دائرة إلى الأركان وما فوقها من الأربعة العناصر المركبات أعني النار والهواء والماء والأرض.

ثم إن هذه الدوائر ينبغي أن تعلم أن فيها ماله حركة، وفيها مالا حركة فيه، وأن الدوائر المتحركة تجاذب الساكنة على الحركة، وأن تلك لما تحركت الحركة الأولى حدث عنها هذه الحيوان وكذلك النبات والحجر، وأن الحجر كان آخر الحركات والأولى الحيوان.

وإذ قد أتينا على جميع هذه القواعد فلنأخذ في تصريف الطبائع ونورد كيف ذلك على الحروف إن شاء الله تعالى ليتصور المتعلم لذلك تصورا حسنا، ولا شك في شيء منه حسب ما لا نزال نعلمه في جميع التعاليم، والله المرشد إلى الصواب والموفق إنه جواد كريم.

(٤)

فلننظر الآن في كيفية هذا التعلق والإشارة من هذه العلوم الأوائل إلى الثواني، وما بعدها كيف تكون، فهذا هو كيفية الاستدلال والاستنباط.

فنقول: إن هذا التعلق يكون من الشاهد بالغائب على ثلاثة أوجه، وهي: المحانسة، ومجرى السعادة، والآثار.

وأنا ممثل كل واحد من هذه الوجوه وقائل فيه بحسب ما أراه كافيا في غرضي الذي قصدته.

فأقول: إن مثل دلالة المحانسة الأتمودج، كالرجل يري صاحبه بعضا من الشيء ليدل به على أن الكل من ذلك الشيء مشابه لهذا البعض.

ودلالة هذا الباب من هذا الوجه لا دلالة ثابتة صحيحة، غير أن جماعة من أهل النظر قد استدلوا من هذا الباب على ما دلالة فيه عليه باضطرار، أعني أنهم أثبتوا من أجل هذا الشيء الذي هو الأتمودج مثلا وهو من جنسه شيئا آخر هو أكثر منه.

وهذا دلالة غير اضطرارية ولا ثابتة في كل حال، وذلك أن هذا الشيء الذي هو الأتمودج مثلا لا يوجب وجود شيء آخر من جنسه حكمه في الجوهر والطبيعة حكمه.

وقد استدلت المتأنيبة بهذا الاستدلال فقالت: إذا كان في العلم نور وظلمة وخير وشر وحسن وقبيح فإنه يجب أن يكون خارج هذا العالم أيضا نور وظلمة وسار ما ذكروا تكون كليات لهذه.

وليس هذا الاستدلال بواجب دون أن يثبتوا أن ما في العالم من هذه أجزاء وأبعاض، وأما قبل أن يثبتوا ذلك فليس يجب عنه ما أوجبه اضطرارا.

وذلك أنه يمكن أن لا يكون ما في العالم من هذه أبعاضا بل هي كليات أنفسها، فلذلك لا تصح هذه الدلالة دون أن يبين أن ما في العالم من هذه أبعاض وأجزاء، ألا ترى أن الأتمودج لا يثبت عند من دفع إليه كم من ذلك الجوهر عند من أراه ذلك الأتمودج، بل لا يثبت عنده بعلم يقين أن عنده من ذلك شيئا غير ما أراه.

وكذلك من لم يجمع كتبي هذه، وما ينضاف إليها منها، وحواشيها وما لوحنا

به فيها فما أقل فائدته من العلوم الكبار، إنما يكون الإنسان بقراءة كتابين من كل فن من فنون كتي. أعلم ممن قرأ كتابا واحدا منها بالفن الذي فيه، وأعلم أن كتبنا هذه الاثنتين وثلاثين كتابا تامة بجواشيها، إن فطنت لذلك، فقد أوضحت في كتاب الطب والأربعة الأحجار والتجميع والميدان والميزان، و أمثال ذلك منها، فإنما نصصنا عليه، فإن هذه الكتب تحتاج إليه، وهي قليلة ينبغي أن ينضاف إليها لئتم القول فيها بقوة الله وقدرته، وحق سيدي ما هو بكثير أن يتعب الإنسان في كتي الاثنتين وثلاثين، وما ينضاف إليها خاصة مائة سنة حتى يعلم ما فيها، فكيف وذلك - وحق سيدي - يوجد في أقل من سنة، إن جمعت وأسبابها ودرست على الولاء والدوام خرج العلم منها وانقدح ذلك، إذ كان - وحق سيدي - العلم غير مرموز ولا مكشوف، ولكن بعضه مكشوف وبعضه مكشوف ومبدد، فاعلم ذلك.

ثم نقول: إنما يتب عند من له العلم الاضطراري الواجب أن كل ما كان من ذلك الجوهر عند صاحب الأنموذج، والمستدلون بهذا الدليل يتعلقون في هذا الموضوع بما أقول.

يقولون: إن الجزء والكل من باب المضاف، ولأجل ذلك يقتضي وجود أحدهما بوجود الآخر، إذ كان لا جزء إلا من كل، ولا كل إلا من أجزاء، والذي قالوه في هذا المعنى قول صحيح لكن يبقى عليهم فيما يستدلون به أن يثبتوا أن هذا الشيء الذي أوجبوا من وجوده وجود شيء آخر هو جزء وبعض وليس هو الكل بعينه.

وكذلك ينبغي أن يقال لهم في هذا الموضوع: إن الأمر في الجزء، والكل على ما قلتم لكن يبقى أن تثبتوا عندما أولا أن هذا الشيء جزء وبعض، وإلا فممكن غير مأمون أن يكون هذا الشيء الذي استدلتتم به على وجود غيره من جنسه هو كل ما في هذه الوجوه من هذا الشيء، فمتى قدروا على ذلك في شيء من الأشياء كان هذا الاستدلال صحيحا، ومتى لم يقدروا على بيان ذلك لم يكن صحيحا اضطراريا لكن يمكننا يجوز أن يكون، وأن لا يكون ليس فيه علم ثابت يقين، والذي يحصل إذن من هذا الوجه من الاستدلال ما ذكرنا دون غيره، أعني المشابهة في الطبع متى وجدت لا إيجاب الوجود، فمتى عرض هذا الاستدلال بين خصمين فإلى هذا الحاصل منه يرجعان،

ومتى فتشت من تركيب هذا التفتيش وإلى مثل ذلك تخرج النتيجة فيه.

وأما التعلق المأخوذ من جري العادة فإنه ليس فيه علم يقين واجب اضطراري برهاني أصلا، بل علم إقناعي يبلغ إلى أن يكون أخرى، وأولى، وأجدر لا غير، لكن استعمال الناس له وتقليبهم فيه واستدلالهم به والعمل في أمورهم عليه أكثر من استعمالهم للتعلقين الآخرين كثيرا جدا، وذلك أنه القياس واستقراء النظائر واستشهادها للأمر المطلوب عليه.

وهذا الباب يناصب البرهان ويقابله كثيرا، ويدل على خلاف ما يدل عليه، وقوته وضعفه بحسب كثرة النظائر والأمثال المتشابهة وقتتها، حتى إن قوما قد ظنوا أنه يمكن أن يكون في هذا الباب علم برهاني يقين، وذلك إذا لم يوجد في كل ما يسبقه أمر واحد مخالف لما يشهد بأمر ما من الأمور.

ونستوفي جميع هذا الباب ونقول فيه، فإن الحاجة إلى معرفة كيفية ذلك الاستدلال شديدة جدا، وهذا عام لك في هذه الصناعة وغيرها.

فنقول: إن أضعف ما يوجد من القياس ما لم يوجد له إلا مثال، واحد، كرجل قال مثلا: إن امرأة ما ستلد غلاما، فسألناه عن الدليل من أين علم ذلك، فأجابنا بأن قال: من حيث إنها ولدت في العام الأول غلاما، ولم تكن تلك المرأة ولدت إلا ولدا واحدا فقط.

وأقوى ما يوجد منه ما كان جميع ما في الوجود مثاله، ولم يوجد فيما قد كان، ولا في الشاهد مخالف له، كرجل قال: إن ليلتنا هذه ستتكشف عن يوم يتبعها ويكون بعقبها، فسألناه من أين علم ذلك فأجاب بأن قال: من قبل أي لم أجد ليلة إلا وانكشفت عن يوم فظاهر ألا يكون إلا على ما وجدت.

وأما ما بين هذين فقوية وضعيفة في الدلالة بحسب كثرة النظائر وقتتها، وليس في هذا الباب علم يقين وواجب، وإنما وقع منه تعلق واستشهاد بالشاهد على الغائب لما في النفس من الظن والحسبان، فإن الأمور ينبغي أن تجري على نظام ومشاهدة ومماثلة، فإنك تجد أكثر الناس يجرون أمورهم على هذا الحسبان والظن ويكاد أن يكون ذلك يقينا، حتى إنه لو حدث في يوم ما من السنة حادث لترجو حدوث مثل ذلك الحادث

بعينه في ذلك اليوم من السنة الأخرى، فإن حدث في ذلك اليوم بعينه من هذه السنة مثل ذلك الحادث تأكد عندهم ذلك أن سيحدث مثله في السنة الثالثة.

وإن حدث في السنة الثالثة أيضا حتى إذا حدث ذلك مثلا عشر مرار في عشر سنين لم يشكوا ألبتة في حدوثه في كل سنة تكون من بعد.

وإذا كان هذا مقدار ما يقع في النفس من هذا المعنى فما ترى يكون فيما لم يشاهد قط إلا على ذلك الوجه كما ذكرنا من استدلال المستدل بأن ليلتنا هذه ستفرج عن يوم؟ فإن جالينوس مع تمكنه من العلم وتدربه في النظر قد أخذ مقدمات من هذا الباب على أنها أوائل وتمثل بما حتى أنه قال في كتابه البرهان: إن من المقدمات الأولى في العقل أنه إذا كان الصيف يتبعه الخريف لا محالة فإنه لم يكن إلا بعد خروج الربيع.

وأنا أحسب أن هذه المقدمة ليست لصحيحة دون أن يصح أن الأزمان لم تزل، ولا تزال على مثل ما هي عليه، فإذا لم يصح ذلك فإنه لا يؤمن أن يكون صيف لا يعقبه خريف، ولم يتقدمه ربيع، فقد استقصيت هذا المعنى في كتابي المسمى كيفية الاستدلال بغاية البيان على مذهب المنطق والنطق.

وقد استعمل هذا أيضا في كتابه المسمى كيفية الاستدلال بغاية البيان على مذهب المنطق والنطق.

وقد استعمل هذا أيضا في كتابه فإنه قال هناك مغالطا أو على سبيل أنه خاف عليه، فإنه قال: وقد ينبغي لنا أن نعلم أن هذا الجزء الشريف -يعني جزء السماء- غير مكون من أن آباءنا وجميع القدماء لم يزالوا يرونه على مثال واحد، وقد رصد المنجمون قبل ألوف السنين فوجدوه على مثال واحد في إعظامه وحركاته، ومد في هذا الكلام وتوسع فقد تعلق بهذا الاستدلال، وما يأتيه، واعتمد عليه الدهرية حتى أوجبوا أنه يجب من أجل أنهم لم يروا ولم يشاهدوا رجلا إلا عن امرأة، وأن لا يكون يوم إلا يعقب ليلة، ولا ليلة إلا يعقب يوم، ودفعوا واطرحوا بجميع ما شهدته البراهين بخلاف ذلك، وسنقول في ذلك المعنى ما ينبغي ذلك، وسنقول في ذلك المعنى ما ينبغي أن يقال، وإن هذا باب لا ينبغي أن يتجاوز المعنى بهذا المذهب بالهويناء، وكذلك أيضا

ليس موجودا في الشاهد إقامة الدليل على أن الحروف إذا ألفت على الطباع بالهجاء كانت صحيحة، والبرهان قائم عليها.

ومثال ذلك أنا نقول: إنه إنما كان يمكن أن لا يكون مولود إلا على مثال ما أدركناه وشاهدناه لو كنا قد أدركنا جميع الموجودات، وأحاط علمنا بها، فأما ما نحن نقصر على ذلك فإنه قد يمكن أن يكون موجودات مخالف حكمها في أشياء حكم ما شاهدنا وعلمنا إذ كان التقصير عن إدراك جميع الموجودات لازما لكل واحد منا.

وبالجملة فليس الذي نحن فيه فليس لأحد أن يدعي بحق أنه ليس في الغائب إلا مثل ما شاهد، أو في الماضي والمستقبل إلا مثل ما في الآن، إذ كان مقصرا جزئيا متناهي المدة والإحساس، وكذلك لا ينبغي أن يستدل الإنسان على أن العالم لم يزل من أنه لم يدرك أحدا من الناس ابتداء كونه، ولا على أنه لم يكن رجل إلا عن امرأة ورجل لأنه لم يدرك الأمر إلا كذلك، من قبل أنه يمكن أن يكون وجود الناس متأخرا عن ابتداء كون العالم، وأن يكون كون الإنسان الأول مخالفا لما عليه الأمر في تكوين سائر الناس.

ومن أبي ذلك لزمه أن لا يقبل مالا حسه هو أو من تناهى إليه خبره ولزمه أن ينكر وجود أشياء كثيرة وهي موجودة.

وذلك أن في العالم بلدان وأمم لم يحس أهلا بالتمساح قط، ولا فيجب على هذا الحكم متى خبرهم مخبر أنه موجود حيوان يحرك لحتيه العليا عند المضغ أو حيوان يأكل النار ويزدرد الحديد المحمي أن يدفعوا ذلك، ويمنعوه، ومتى فعلوا ذلك كانوا مخطئين، وكذلك في العلم أناس، وأهل بلدان، ومواضع لم يشاهدوا جذب المغناطيس الحديد ولا هرب الباغض للخل من الخل ولا تكون الحيات من الشعر، وتكون النحل من العجل إلى أشباه هذه الأمور كثيرة يجب على هذا الكلام أن يبطل وجودها ألبتة من لم يشاهدها أو لم يخبره مخبر أنه شاهدها.

وإذا كان الأمر كذلك أمكن أن يكون حال جميع الناس في التقصير عن إدراك الأشياء كثيرة في الغائب مخالفا للشاهد كتقصير هؤلاء في القوم الذي ذكرنا.

فليس لأحد أن يدفع ويمنع وجود ما لم يشاهد مثله بل إنما ينبغي له أن يتوقف

عن ذلك حتى يشهد البرهان بوجوده أو عدمه.

وأما أن يظن أو يحسب عدمه قبل ما خير به وورد عليه أو يوجب بطلان ما خير به، وعدمه ألبة فجهل بطريق الاستدلال على ما قدرنا واضح.

وكذلك ينبغي إذا ذهب الدهري يمنع أن يكون العالم مكونا مصنوعا؛ لأنه لم يشاهد، ولا واحد من الناس بدء تكوينه ووضعه أن يقال له: ما تنكر أن يكون وجود الناس بعد وجود ابتداء العالم بدهر طويل وتذكر كون مدينة أو قصر ولا يذكر أحد من أهل بلده ابتداء بناءه؟ فسلم أن تثبت قدم ذلك بالعلة التي أثبت بها قدم العالم. فإن قال: إنما علمت المدينة والقصر التي لم نشاهد، ولا من توفى ابتداء بناءها أنها مبنية من قبل أني رأيت مثلها بني، ولم أر مثل العالم مبنيا.

قيل له: إن هذا بعينه ما نقول فهي وندفع كونه في طريق الاستدلال، فمن أين قلت ووجب عندك أن كل ما لم نشاهده، وله مثل وشبيه فهو موجود، وأن كل ما لم نشاهده وليس له مثل وشبيه فليس بموجود؟ وما تنكر أن يكون العالم مبنيا، وإن بنيت لم نشاهد مثله بني إذ قد بان تقصيرك وتقصير أمثالك عن مشاهدة جميع الموجودات وأمكن أن يكون أكثر الموجودات مما يشاهد؟

كتاب إخراج ما في القوة إلى الفعل

الحمد لله الذي ليس كمثلته شيء، وهو على كل شيء قدير. الأول بلا مثال، والآخر بلا زوال، وتعالى وتقدست أسماؤه، وهو بكل شيء محيط، اللطيف الغامض في بطون الأجزاء، وظاهرها وما في أوساطها، العلي إلى ما لا نهاية له، والأسفل إلى ما لا نهاية له، التقدير على إدراك جميع الأشياء لطيفها وكثيفها، وتقدست أسماؤه وتعالى علوا كبيرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد فقد سبق لنا قبل كتابنا هذا عدة كتب، وتأخر عدة كتب، جميعها مصدق لما فيه وشاهد له ودليل عليه، وقد سمنا كتابنا بأعظم السمات، وضمنا فيه، وفي غيره من الكتب المعنى الذي يقتضيه اسمه، وهو أعظم ما سمت إليه القدرة، وهو إخراج ما في القوة إلى الفعل.

ولما كان هذا الكلام نهاية ما في العالم وما بعد العالم خصصناه بكتابنا هذا، وفيه الفائدة العظمى والعائدة الكبرى وعلى الله تتوكل، ومن قرأ كتابنا من كتبنا علم أن لنا نكتا في كتب التعليم وغيرها أو على ذكر التعليم بالتركيب.

ولا بد لنا من ذكر الأوائل التي يحتاج إليها في كل كتاب، ونحتاج أن نقول في القوة والفعل، وما هما ليتضح الطريق ويبين مقدار الفائدة، ويعلم أنه ليس على وجه الأرض كتاب مثل كتابنا هذا، ولا ألف، ولا يؤلف آخر الأبد، ونحن قائلون في ذلك بحسب ذلك والحاجة إليه، إن شاء الله تعالى.

فنقول: إن الزمان جوهر واحد، وهو بلا جزء ومتى مثل الآن، وهو جنس لا شيء فوقه، والمتزمن بالزمان هو المتجزئ لا الزمان، وهو جوهر واحد أبدي سرمدي، والمتزمن ينقسم ثلاثة أقسام: ماضٍ ذاهب قد قطعه وجازه بدوران الشمس والتعريف الذي نصب عليه، ودائم واقف بالوقت الذي هو فيه، وآتٍ مستقبل متوقع وروده.

وهذه أشياء مشكلة إلا أنا قد أوسعنا الكلام فيها غاية الاتساع. فالشيء الذي هو بالقوة هو الذي يمكن أين يكون وجوده في الزمان الآتي المستقبل كقيام القاعد ووقوع القائم، والشيء الذي بالفعل هو الموجود في الزمان الحاضر من سائر الأفعال الكائنة كقعود القاعد وقيام القائم، وهذا أيضا يحتاج أن نزيد في بيانه قليلا، وذلك أن

الشيء الذي بالقوة ما هو فيه هو الذي يمكن أن يتأتى منه والشيء الذي بالفعل الظاهر الكائن مما في القوة. كما نمثل لك أن الفضة التي لا فرق بينها وبين الذهب إلا الرزاة والصفرة يمكن أن تصير ذهباً.

فللفضة بالقوة أدنى قبول الرزاة حتى تصير في قوام الذهب، ولها أدنى قبول للصفرة حتى تكون بلون الذهب، ولو لم يكن ذلك لها بالقوة لم يتأت ذلك عنها في الفعل ولم يظهر، وكما أن للنار أن تصير هواء بالقوة، وللحواء أن يصير ماء بالقوة، وللماء أن يصير أرضاً بالقوة، فللنار أن تصير أرضاً بالقوة؛ لأن أ إن كانت في بعض ب، وب في بعض ج، وج في بعض ر، فـ ر في بعض ضرورة وأ في بعض ر، هذا ما لا شك فيه، وكذلك ما يستوعب الكلليات، إذا عكس هذا القول لا عكسا منطقياً لكن عكس التناقض والتقابل، فإنه يكون أ في كل ب، وب في كل ج، وج في كل ر، فـ أ ضرورة في كل ر.

وإذا حصلت ذلك فإنه قد أوجب هذا الكلام أن سبب كون الفعل وجود ما في القوة، فالقوة إذا مادة الفعل فالقوة طبيعة الفعل لا غير، والفعل منفعل الطبيعة التي هي القوة.

ولما كان الأمر كذلك وجب ضرورة أن نسبر بعد ذلك هل كل ما في القوة خارج إلى الفعل أو ممتنع منه أو ممكن لتكون من ذلك على علم يقين، ونحن شارحون ذلك، إن شاء الله تعالى.

إن الموضوع الذي نحن بسبيله ونحتاج إلى شرحه صعب جداً، وينبغي يا أخي - عافاك الله - أن تسبر ما هو له.

إن الأشياء انقسمت قسمين، وهي إما بسيطة، وإما مركبة فما كان منها في الكون فهو مركب مطلق أو مركب ثان أو مركب المركب، فأما ما كان في البسيط الأول فممتنع أن يخرج كل ما فيه بالقوة إلى الفعل لا لذاته، ولا لأجزائه، أما لذاته فلأن البسيط غير متناه، وما لم يكن متناهي فهو غير فان، وإذا وجب ذلك فليس كل ما فيه بالقوة خارجاً إلى الفعل، وأما لا لأجزائه فلأن الناس خاصة لا يصلون إلى موضع البسيط.

وأما المركب الأول والمركب الثاني ومركب المركب فإن المركب الأول خارج بالجزء من القوة إلى الفعل لا بالذات، وفيه كلية ذاته. كالشمس والنار، وما أشبه ذلك، فإن المدبر بها شيئاً يمكنه أخذ الخير منها لما يحتاج إليه في الشيء وقبالتة أعني الصلاح والفساد، وأما المركب الثاني فجميع ما فيه بالقوة خارج إلى الفعل. والمركب الثالث من القوة إلى الفعل، فاعلم ذلك.

ونحتاج أن نضرب لذلك مثلاً، وإلا كان مجهولاً، ومثال المركب الأول الطبيعة، ومثال المركب الثاني تركيبها الأول: فالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والنار والهواء والأرض والماء.

والتركيب الثالث أعني مركب المركب فالأجناس الثلاثة أعني الحيوان والحجر والنبات، فجميع ما في الطبيعة خارج ضرورة ما فيه بالقوة إلى الفعل.

ولقد كان في نفوس الناس من ذلك شكوك عظيمة وأنا أوضحها وأبينها، وذلك أن الأشياء التي يمتنع ويعسر خروجها من القوة إلى الفعل على ضربين: إما أن يرام من الأشياء ما ليس فيها بالقوة، كالمسهل بالخروب والعفص وقشور الرمان، وما أشبه ذلك، وكالممسك بالرند وحب النيل والسقمونيا، ومن أين لها ذلك؟، وإما أن يرام من الأشياء ما فيها بالقوة ولكن عسر خروجها إلى الفعل، وقد مر تعبير الوجه المستخرج ذلك منها، كالذي يروم خروج الماء من النار من أول وهلة، فإن هذا، وإن كان لها بالقوة ممتنع إلا أنهم عملوه على ترتيب.

فإن الطلع في الرطب، والرطب في الطلع بالقوة، ولكن بالطبخ وطول الزمان، و أمثال ذلك، فأما أن يكون ذلك من أول وهلة فلا، وكذلك القائم القاعد بالقوة، ولكن بعد تقضى زمان القعود وانتهائه بحركة القاعد للقيام وحركة الإرادة، وأمثال ذلك.

وإذا قد بآن ذلك فإن في الأشياء كلها وجوداً للأشياء كلها، ولكن على وجوه من الاستخراج، فإن النار في الحجر كامنة ولا تظهر وهي له بالقوة، فإذا زند أورى فظهرت، وكذلك الشمع في النحل، ولو أخذنا مائة ألف نحلة أو ألف كونحل ثم عصرناها وطبخناها ودبرناها تدبيرنا للعسل الذي فيه الشمع لم يخرج منه دائق شمع،

ولكن النحل إذا تغذى غذاء معتدلا وعملت له الكوى التي يأوى فيها وعمل العسل واجتني ذلك العسل خرج منه الشمع وأمثال ذلك.

فقد وضح من هذا القول أن التدبير على القصد المستقيم هو الذي يخرج ما في قوة الأشياء مما هو لها بالقوة إلى الفعل فيما يخرج هو بطبعه وفيما لا يخرج حتى يخرج. لأن في قوى الأشياء ما يخرج بغير تدبير مدبر، لكن الطبيعة علة خروج الطلع، وخروج الرياحين البرية التي لا تعالج بالسقي واللقاح، وأمثال ذلك، فتخرج من القوة إلى الفعل بأنفسها، وفي زماها، وأما غير ذلك مما علته إخراج التدبير للأشياء، واحتل به، وفيه ظهرت الأشياء بالتدبير من القوة إلى الفعل.

وأما ما يتوهم من أنه يعسر أو يمتنع خروج جميع ما في طبيعته من القوة إلى الفعل فإن كان على قول من قال: إنما يمتنع ذلك؛ لأنه غير مدرك بالعمل الجزئي فذلك وجه، وإن كان إنما يمتنع من أنه لا يطاق ويخفى على الحواس فهذا أيضا وجه، وإن كان لعلة أخرى علمناك ذلك وعملناه.

فأما أن يكون؛ لأن العلم لا يصل إلى ما في الطبيعة فالعلم يصل إلى ما بعد الطبيعة ويستخرجه، فكيف لا يصل إلى الطبيعة؟ ولسنا نقول: إنه يستخرج ما في الطبيعة من لا علم له، إنما نقول: ذلك العالم التام.

وإن كان إنما يمتنع من خفائه وعسره فلكل شيء مثال ومقابل يستخرجه ويظهره، وإن كان للطاقته كان الأمر كذلك، ومتى لم يكن الأمر كذلك فعلم الفلاسفة والميزان باطل، ومتى وجب ذلك وجب وجود الميزان، فاعلم ذلك وقايس عليه تجده صحيحا، إن شاء الله تعالى.

وإذ قد صح ما في القوة والفعل من الكلام فإننا عادلون إلى الكلام في الجواهر وأصول العلوم أولا أولا وواحدا واحدا، إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

القول في تقسيم الأشياء

الأشياء كلها تنقسم قسمين: إما نطق، وإما معنى، والكلام الذي لا معنى تحته فلا فائدة فيه، والمعنى كالجوهر، والكلام في المعنى عند ذلك المعنى كالعرض، وكذلك حد البلاغة أيضا.

والحروف ثمانية وعشرون حرفا ليس في قوة العربية استخراج أكثر منها إلى الفعل، بل في القوة استخراج مكان الحروف المشبهة حروفا غير مشبهة لتكون بدلا منها لأجل التصحيف، فإن عملت هذه الحروف في صورتها كالباء والتاء والثاء والنون والياء، والجيم والحاء والخاء والذال، وما أشبه ذلك فإنما إنما تعود من الثمانية وعشرين حرفا إلى ستة عشر حرفا، وذلك أن حرف أ واحد، والباء والتاء والثاء والنون والياء حرف واحد ثان، والجيم والحاء والخاء حرف واحد ثالث والذال حرف رابع، والزاي والراء حرف واحد خامس، والسين والشين حرف سادس، والصاد والضاد حرف سابع؛ والطاء والظاء حرف ثامن، والعين والغين حرف تاسع، والفاء والقاف حرف عاشر، والكاف حرف حادي عشر، واللام حرف ثاني عشر، والميم حرف ثالث عشر، والواو حرف رابع عشر، والهاء حرف خامس عشر، ولا حرف سادس عشر، ولو جعل مكان كل واحد من تلك الأشباه مثال غير المثال المشابه لأمن الناس من تصحيف الكلام والغلط، فهذا مما قصر فيه ناظمه، وهو ممكن في الطبيعة والقوة معا، ولعل خلقا من الناس يقدر أن ذلك ممتنع أن يكون.

فأما نظم اللغة فإن الحروف المنظومة تدل على اسم وفعل وحرف، هذا لأهل اللغة، فأما عند أهل الكلام الجوهري المحتاج إليه فإن الحروف المنظومة تدل بالاصطلاح على ثلاثة أجناس، وهي: إما اسم، وإما كلمة، وإما قول.

والاسم يدل على أنت، وأنا وهذا وذلك ونحن وأنتم وهي وما أشبه ذلك، وله ربط وصلات أيضا. فالرباط ما قرن اسما باسم كقولك: زيد وخالد، فالواو رباط، والصلة ملك ما يقرن بالاسم كقولك: بخالد، ولزيد مال.

الكلمة تصريف وهو موضع الفعل الذي يسميه النحويون، كقولك: صح يصح، وقام يقوم، وهو ما كان في الزمانين المستقبل والماضي، وقد فرغنا لك من ذلك في

المنطق وجودنا وأوضحناه، ولكننا إنما ذكرنا هذا ههنا للحاجة إليه وإيصال المتعلم به إلى ما بعده.

وإذ قد بان أمر الاسم والكلمة وما هما ووجودهما في الحال الصحيحة المحتاج إليها فإننا قائلون في القول، فأقول: هذا الكلام نفسه، وينقسم أفساما مثل الأمر والنهي والطلب والتمني، وأمثال ذلك، وهذا لا فائدة في علمنا له أعني عند الفلاسفة. وقد ينقسم القول إلى المبتدأ والخبر، وأما الخبر فهو الذي فيه الفائدة العظمى، فالقول هو إما اشتراك اسم بفعل أو اسم باسم، كقولك زيد يمشي، أو كقولك زيد ضارب، أو زيد غلام جعفر.

وهذا هو الخبر الذي فيه وقوع الفائدة كلها، وهو الذي يحتمل الصدق والكذب، وفيه تدفن العجائب من الكلام من المحال والحق، ومن لم يحسن يقين الأخبار ويقايس بعضها ببعض فإنه عرى من علم الفلاسفة والفلسفة، فاعلم ذلك.

وقد ذكرنا من ذلك في كتب المنطق ما فيه كفاية وعرفناك كيف تعلم الخبر الحق من الباطل وجودناه هنالك، وإنما نذكر ههنا ما قد خرج من القوة إلى الفعل، وما يمكن أن يخرج أيضا.

ثم نقول أيضا في الشعر والبلاغة الخطبية، ولا فائدة في علومنا فيها، ولكنها نافعة في مواضع أخر في ترتيب الحروف نفسها. العلم النفيس الكبير أعني علم الموسيقى وعلم الحروف الزوائد في الكلام والمجھورة والتي لا صوت لها والهوائية والممدودة، وهذا كله مجرد للنحويين في المواضع المعروفة بالتصريف، فإنهم قد أحكموا ذلك غاية الإحكام، إلا أنا نقول فيه بحسب الحاجة إليه.

أما أمر الموسيقى فقد ذكرنا في كتبنا هذه كتابا فيه بديع الأمر لا يعمل أحد من الناس مثله، قد استوفينا فيه صغير ما في الصناعة وكبيره.

ونحن نذكر ههنا منه شيئا يكون طريقا للمتعلم فيما يحتاج إليه، وذلك أن حروف المد واللين ثلاثة، وهي التي عليها مدار اللحن والقرع، لأن الموسيقى إنما هو مساواة بين الصوت بالنغمة وقرع الوتر في زمانه وكيفية صوته جزءا جزءا.

والثلاثة هي: ألف وواو وياء، وأما الحروف المزادة ف عشرة وهي: الألف واللام

والياء والواو والميم والتاء والنون والسين والهمزة والهاء، وهي مجموعة في كلمتين لثلاثي تنسى، وهي قولك: اليوم تنساه، فالهمزة واللام والياء والواو والميم والتاء والنون و السين والألف والهاء عشرة تزداد في الكلام كله.

ومبنى الكلام المنطوق به كله على ثلاثة أوضاع: ثلاثي كقولك جمل، ورباعي كقولك جعفر، وخماسي كقولك جحمرش، ولكل جنس من هذه الأجناس أنواع نحتاج إلى ذكرها لحاجتنا إليها في علم الموسيقى، ونذكر بعدها ما نحتاج إليه في ذلك أولاً أولاً وشيئاً شيئاً، إن شاء الله تعالى.

أما الثلاثي فإنه ينقسم من قبل طبعه اثني عشر قسماً، وهي إما فعل متحرك العين كقولك: ملص، وإما فعل ساكن العين كقولك بعد، وإما فعل كقولك جمل، وإما فعل كقولك ملك، وإما فعل كقولك جرد، وإما فعل كقولك: سبع، وإما فعل كقولك: ضرب، هذا من الفعل، ولم يرد شيء من الأسماء على وزنه، وأما فعل فليس ينطق به، فذلك في الثلاثي.

وأما الرباعي فإنه ينقسم على خمسة أنواع، وهي: إما فعلل كقولك جعفر، وأما فعلل كقولك زبرج، وإما فعلل كقولك جبرج، وإما فعلل كقولك درهم، وإما فعلل كقولك قمطر: فهذا في الرباعي.

فأما الخماسي فإنه ينقسم إلى أربعة أقسام، ومعنى أربعة أقسام وغيرها إنما هو من قبل الضرورة والطبع القائد إلى الاصطلاح، أو ما قاد إليه، فاعلمه، وهو خروج بعض ما في القوة أعني ما يوجد بالطبع، لأن ليس كل ما في القوة يدركه الطباع الجزئي، ولا يهتدي إليه.

والخماسي يكون على أربعة أمثال وهي: على فعلل مثل جحمرش وعلى فعلل، مثل خزعبل، وعلى فعلل مثل جردحل، وعلى فعلل مثل قذعمل، فهذا ما في تركيب الحروف الصحاح.

فأما الحروف الصم التي لا صوت لها، فهي ستة عشر حرفاً، وهي: العين والغين والنون والذال والميم والقاف والذال والزاي والجيم والضاد والطاء والواو واللام والظاء والألف فهذا جميع ما يحتاج إليه في الصوت.

جار في الأول الثلاثة التي هي أمثال النغم، وهي تنقسم قسمين، أعني الهمزة والواو والياء، وذلك أن منها ما يقال لها الصغار، ومنها ما يقال لها الكبار، فالفتحة ألف صغيرة، والألف نفسها - أعني الهمزة المكية - ألف كبيرة، والضمة واو صغيرة، والواو نفسها واو كبيرة، والكسرة ياء صغيرة، والياء نفسها ياء كبيرة، والنغم إنما هي تركيب هذه الستة الحروف بدخول الأحرف الأخر التي لا صوت لها والتي لها صوت يسير فيها بنيتها على وزن التحويل، وقد ذكرنا طرفا منه حسنا في كتاب مفرد لنا.

وليس يمكن أحدا أن يعلم الموسيقى إلا بعد علم العروض والتصريف وعلم النغم والإيقاع وعلم الشعر، وصنعتة والمعرفة بالأوزان الهوائية.

وجميع هذه الأدوات لا يحتمل ذكرها في كتابنا هذا، ولكننا بعد ذكرنا الحروف والأسماء والكلم والقول، والخبر وما قد ذكرناه مما قادنا الكلام إليه من علم الموسيقى للتقريب فإننا عادلون إلى القول فيما يتبع ذلك أولا أولا مما يخرج من القوة إلى الفعل بعد أن نذكر الدلالة على أ. ب. ت. ث لنا ذكرا فقط.

فإننا قد عملنا رسالة مفردة في وضع الحروف لو اتفق عليها وقتا من الأوقات لأغنت الناس عن التصحيف وغيره وعرفتهم بكلام الطير إن كان كلاما وصرير البكر وطحن الرحاء وجميع الأصوات، وهي كبيرة يفهم منها كل لغة يقال لها رسالة أ. ب. ت. ث. فاطلبها فإنها من غريب كتيبي. وكان سيدي - صلوات الله عليه - يعشقها ويدم النظر فيها لحسنها، فهي عجيبة غريبة تفهم منها حركة كل شيء متحرك ونطق كل صوت إما بمعنى تحته أو بغير معنى مثل زئير الأسد ونباح الكلب وصهيل الدواب، وأمثال ذلك؛ لأن ذلك كله خارج من القوة إلى الفعل كما ذكرنا في كتاب الحاصل إذ كان أصل الحروف وبنائها لاستخراج الطبائع منها، وهي أ. ب. ت. ث إلى سبع مائة حرف في نهاية الكمال.

وإذ قد أتينا على ما وعدنا به فلنعد إلى الكلام في الطبيعة، وما يخرج فيها من القوة إلى الفعل، إن شاء الله تعالى.

القول في الطبيعة وتكوينها للأجناس وما فوقها وتحتها

كلام من المحيط إلى المركز

إن الطبيعة كائنة من تضاعيف الكيفيات بالحركة والسكون، وابتداء تضاعيفها امتزاج الكمية معها، فالطبيعة إذا أربعة أشياء ابتداء: حركة وسكون بكيفية وكمية، هذا هو جوهر الطبيعة، فإذا هي صارت كذلك انفطرت منها أربعة أشياء لا غير: حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة، أوائل أمهات بسائط.

ثم أحاطت الحركة والسكون والكيفية بتلك الأمهات والكمية بعد اجتماعها، فكان أيضا عنها جميع الأشياء الموجودات من لدن الفلك المنير إلى جميع الأجناس الثلاثة أعني الحيوان والنبات، والحجر فكان عن كل شيء منها طريفا بديعا، وذلك أن الأفلاك والبروج تعطى العناصر طبائعها وموادها وتتممها فيكون عنها الزيادة والنقصان.

ونحن قائلون في ذلك: إن الكواكب الحارة إذا حلت في البروج الحارة فكان قرين الحرارة اليبوسة وكان عنها ثوران النيران والزيادة والنقصان في مادتها وحماء الزمان - وهو المسمى القيظ - وجفاف الشجر والنبات ويسبب الأشياء وحماءها وثوران الصفراء في الأجسام وكثرة ثوران النيران بالإحراق، وما أشبه ذلك، واحتراق الألوان وسمررة الصغار الذين في الأرحام وسوادهم ونقصان المياه وجمود الأرضين والمياه وهبوب الرياح الوبئة المحرقة والمتلونة كالريح الحمراء والصفراء وتلهب البحر وانعقاد الحجارة الشريفة كالكبريت والياقوت، وما أشبه ذلك.

وإذا كانت الكواكب الحارة في البروج الحارة وكان ما يجاورها رطبا في الجميع - أعني أن تكون الحرارة التي في الكواكب حارة رطبة والتي في البروج حارة رطبة، فحينئذ يعتدل الزمان والدم وتنور الأشجار ويصفو العالم والرياح ويطيب الزمان وتشرق الألوان وتحسن أحوال المواشي والأرضين ويربع الحيوان وتعتدل الرياح، وعلى قدر اعتدال الحرارتين والرطوبتين يكون اعتدالها، وعلى قدر خروجها عن الاعتدال إما في الحرارة، وإما في الرطوبة يكون الخروج، وحينئذ يكون زمان الربيع وخروجه من القوة إلى الفعل، واعتدال الأطعمة وغير ذلك، فالقول في هذا كالقول في الأول سواء. وإذا كانت الكواكب الباردة اليابسة في بروج باردة يابسة كان عنها زمان

الخريف وهبوب الرياح السوداوية وغلبة السوداء في أبدان الحيوان ونشف الأرض وشدتها وانعقاد المياه واستحالتها إلى الأرضية وهبوب الرياح الوبئة القشعة المنشفة وكثرة المواشي الكبار كالجمل والفيلة والجواميس، وما أشبه ذلك، والقول في ذلك كالقول فيما تقدم، فلتعرف ذلك إن شاء الله تعالى.

وإذا كانت الكواكب الباردة الرطبة في البروج الباردة الرطبة كان عنها زمان الشتاء والبرد وثوران الرياح الباردة والبحار وانقلاب ما في بطونها إلى ظواهرها لموضع غلبة الريح والزيادة في جوهر الماء وجهوده في المواضع التي يفارقها الهواء ويتقرب منها، ولين الأرضين وثبات الأشياء وانحلالها واستحالتها من عنصرها إلى الكون الثاني وأمثال ذلك في المشاكلة حسب ما تقدم، فهذا في تناسب الطبائع بالكواكب والبروج الحارة والباردة والرطبة واليابسة.

فإذا وقع الخلاف فيها أيضا فمثل ذلك، وهو أربعة أوجه أيضا، وهو أن تتزل الكواكب الحارة اليابسة إلى البروج الباردة الرطبة في أولها أو وسطها أو آخرها، فذلك حينئذ كون الأشياء المخالفة بالغلبة، أما إن كانت الكواكب الغالبة في الطبع للبروج كان عنها كون الصواعق وتكثر البروق والرعود والرياح مع يسير المطر وكثرة الغيم وما أشبه ذلك، وإن كانت البروج أغلب في الطبع كان عنها كثرة الأمطار وتوسط هبوب الرياح وقلة البروق والرعود والصواعق وكثرة الزلازل وأمثال ذلك.

وإن تعادلا اعتدل الزمان أكثر ما يكون من الاعتدال وحينئذ يكون ظهور المعجزات في العالم لنهاية الاعتدال وتكافئ الطبائع في الكمية والكيفية، فالكيفية للحار والبارد والرطب واليابس، والكمية تكافؤ الأقدار لثلاث يكون أحدها غالبا للآخر.

وإن كانت الكواكب الحارة الرطبة نازلة بالبروج الباردة اليابسة قارب هذا في الكون فكان مثل زمان الفلاسفة واستخراج العلوم وأمثال ذلك.

وإنما لم يساو هذا الزمان ذلك الزمان؛ لأن الإضافة إلى الحرارة في الأول البيوسة فهي أقوى للكون، وفي هذه الحالة الحرارة ممازجة للرطوبة فهي ضعيفة، والأول زمان الأنبياء الذين هم أتم أشكال الناس، فاعلم ذلك.

فأما حدوث الرعد والبرق والرياح والزلازل والأمطار، وما وإلى ذلك من هذه

الحوادث فكلها تابعة للطبائع الأربع الثواني.

أما الغيم فإنه من ترادف البخار، والبخار ينقسم قسمين: بخار رطب وبخار يابس، فالبخار الحار الرطب إذا ترقى إلى العلو انعقد. فإن كانت رطوبته كثيرة رجع منعكسا فكان عنه المطر، ولم ينحل ذلك الغيم كله، وإن كانت الرطوبة أقل والجو بارد انعقد الماء وعلى قدر كثرتة وقلته ما يكون كبيره وصغيره، - أعني على قدر شدة استحالته في الجو والبرد الذي في الجو، وإن اعتدلت الحرارة والرطوبة والجو انعقد غيما كثيفا بغير مطر، فهذا الغيم والبرد.

فأما البرد واستطالته في بعض الأوقات فإن الرياح إذا كثرت استطال البرد وتغير عن شكله لتغير الريح المريحة فيها، وهذا قليل ما يحدث، وأما استدارته فقللة الرياح المختلفة عليه.

وأما العلة في البرق فلاصطكاك قطع الغيم العظيمة بعضها ببعض، فينقذح بعضها ببعض كأنقذاح النار بين الحجرين.

والرعد حادث من هذا أيضا؛ لأن البرق يوجد بوجود الرعد، والرعد يوجد بوجود البرق، لا يخلو أحدهما من الآخر، وإنما يرى البرق في بعض الأحيان، ولا يسمع الرعد، ويسمع الرعد، ولا يرى البرق، فأما رؤية البرق وعدم الرعد فلبعد المسافة وضعف الصوت، لأن القذح أيضا تابع للطاقة الجوهرية، وإذا كان البخار الذي يكون منه الغيم حارا قابلا للاحتراق، كثر قذحه بلطافة الجوهرية وضعف الصوت، فلبعد المسافة لا يسمع، وأما حدوث الرعد بلا برق فلأن تراكم الغيم بعضه على بعض يمنع وصول الضوء إلى أرض العالم، فاعلم ذلك وقس عليه.

وفي هذا الموضوع نحتاج أن نذكر انقضاض الكواكب، وذلك أن البخار الحار إذا صعد ورقى إلى أكبر موضع في إمكان تلك الحرارة أن ترتقي إليه وأقصاه وغلظت رطوبته وحاد عن إخراج حرارته لتلك الرطوبة عكست الرطوبة راجعة فانقذح بالهواء اشتعالا بين الحرارة والهواء نارا آكلة لتلك الرطوبة التي فيه، فكان عنه ما يسمى انقضاض الكواكب، والعرب العاربة تتبع موضع انقضاض الكواكب، ونحن نبين بعض هذا في موضع آخر، إن شاء الله تعالى.

فتجد في ذلك الموضوع قطعاً تشاكل الطباشير - الأزرق منه - مطروحة فتوجد، وهو دواء نافع لقلع البياض من أعين الحيوان إذا اكتحل به ولأشياء أحر ليس هذا موضعها، فأما الكواكب فإنها لا تنقض ولا تخرج من أماكنها من مراكزها، وإلا فسد الرباط، بل ربما كثر البخار فحدث من ذلك في الجو أمر هائل يدل على خراب البلاد، وزيادة البخار، ويكاد أن يكون هذا القول مناقضاً للفلسفة في قولنا: إن البخار يكثر ويقل، ولكنه متوان ههنا قدره، فإنك تجده، إن شاء الله تعالى.

وأما الرياح فتغالب الطبائع بين الهواء وما يمر به من ذلك، كمروره بالجبال الباردة، ومعادن الكباريت الحارة، وأمثال ذلك، فأما الباردة فيغالب جزؤه الأكبر أعني الحرارة، وأما الحارة فيغالب جزؤه الأصغر أعني الرطوبة، وعلى قدر كثرة المادة يكون منها شدتها ودوامها، فاعلم ذلك تجده، إن شاء الله تعالى.

وأما ما ينسب إلى الصاعقة فإنه مسامته لأحد شيئين: إما أن يسامت الجزء الأعلى الناري شيئاً قد استعد لقبول الاحتراق. وأما أن فساعة يسامته - ومعنى يسامته يساويه ويحاذيه - الحرقة للمرأة المحرقة في عين الشمس والقارورة - فإنه لا يزال الإنسان يقومها حتى سامت الضوء الموضوع الذي يمكن منه انعكاس الشعاع على الحرقة - فساعة يسامته ينقدح النار منه، وليس نار في الموضوع، وكذلك ما هو بين مرآة الاضطراب ودخول نقطة الشمس في ثقب هدفته، فلا يزال يقوم حتى يصح المتقابلان فتحرقه الشمس من موضع إلى موضع، فإذا عرفت ذلك سهل عليك تصور المسامته بين الجو والحرق بالصاعقة، فاعلم ذلك وقس عليه أمرك تصبه، إن شاء الله تعالى.

والدكادك من أثر القدح أيضاً، لأن الدكدة إنما تحدث من الصوت، فإن المواضع التي لا مرد لها يخرقها الصوت أكثر وينحصر فيها، فمتى ردها راد من شيء من الأجسام قلعتة وذهبت به، وأقواه الرياح والرعود على تقلعها من أماكنها وتزيلها عن مواطنها، وهي الدكادك.

وكذلك ما يسمى انقلاب الأرض قد نسبه بعض الناس إلى الدكادك، وهذا خطأ؛ لأن الحسف إلى الزلزلة أقرب، ونحن نقول كيف ذلك، وما أشبهه لا بالأسماء

المترادفة على معنى واحد.

وذلك أن الزلازل إنما تحدث من استبطان رياح في بطون الأرض إما لكونها من باطن الأرض وانحصارها وقلة وجود المنافذ لخروجها، فإذا ترادفت وكثرت طلبت المخرج فرحم بعضها بعضا فانزعج لها ذلك المكان، وبكثرة حركتها وبكثرة مادتها وتواصلها تكون زيادتها وعظم حركتها ودوامها.

والدليل على ذلك أنها إذا كثرت ودامت حفرت لها الآبار فتبطل الزلازل وتقل، وربما كانت من خارج، واختفاؤها وامتناع رجوعها لكثرة ترادفها في المدخل فيكون ذلك عنها، وهو قليل جدا.

والخسف تابع لانزعاج الأرض من الأشياء التي خللت في باطنها وضعف أركانها وثقل ما عليها، وأمثال ذلك وربما حدث هذا الحادث القوي في الذي لا خلل فيه بالقوة؛ لأن الضعيف إذا كثر وقلت مادته من القوى في هذه الحال ولا اتصال أجزائهما، أعني أجزاء الضعيف بأجزاء القوي، فينخسف المكان المتخلل والمجاور له المصمت فاعلم ذلك وتدبر ما أومئ إليه، فإنني على الإسراع للخروج إلى الفائدة العظمى في هذا الكتاب، إن شاء الله عز وجل.

فهذا كله مما يمكن خروجه من القوة إلى الفعل، وقد بآن أثره ووضح. فأما طباع المياه فإنه بحسب الأمكنة، وذلك لقرب طباخ الشمس للمعادن المجاورة له، ويكون على ثلاثة تراكيب فقط: إما أن يكون حارا يابسا، وهو المر الذي لا يتكون فيه الحيوانات، فإن تكونت فقليل، وهو ماء البحار التي يقرب منها الكباريت والملح وغير ذلك من الأشياء المحيلة له والتي تجري هذا المجرى، وهذه المياه تحمل منها الأرضون ألف فرسخ، وأكثر من ذلك، وأقل.

ومنها مياه حارة رطبة، وهي المياه الحلوة كمياء فارس والجال العذبة، وما أشبه ذلك، وهذه المياه وبيئة قتالة معلقة مغيرة للكيروس مفسدة للمزاج.

ومنها مياه باردة رطبة، وهي المياه المعتدلة الطبيعة التي تكون تكثر صبتها وبعدت مجاريها من المياه الغير محمودة الكيروس أو فعل المعادن الرديئة نحوها، كمياء دجلة والجال الباردة التي ينصب المياه من علوها غير متغيرة الرائحة والطعم.

ومنها باردة يابسة، وليست طبعاً، وهي غير مياه كالثلوج، وأكثر ذلك الجبال وما أشبهها من المواضع التي يكثر بها الهواء البارد، فاعلم ذلك وقس عليه، إن شاء الله تعالى.

وإذ قد أتينا على بيان هذه الأشياء أعني طبائع الرياح والمياه والرعود والبروق والزلازل والأمطار والصواعق وغير ذلك وبأن فعلها فغير ضائر أن نذكر طبائع الكواكب والبروج والبلدان والطعوم على الأمر الظاهر، ثم نخرج بعده إلى الكلام في القوة والفعل عند السباعية والعلة في ذلك على سبيل الإرشاد الطبيعي، إن شاء الله عز وجل.

القول في طبائع الكواكب السبعة

جماع القول أولا في الطبائع أنما بالعدد ثمانية، وأعني بذلك الأمهات الأول، وهي: أربعة منها أول كالحروف للكلم، وأربعة ثوان كالنطق عند الحروف.

وطبائع الكواكب عند الحس إنما يكون من الثواني التي هي: الحارة الماء اليابسة، والحارة الرطبة، والباردة اليابسة، والباردة الرطبة، لأنها مركبة - أعني الكواكب - وإن كانت في ذواتها بسائط، وبالجملة إن الكواكب كلها حارة يابسة قولا مطلقا، ولكن على شرط ما كانت متغايرة.

أما الكواكب المتحيرة فإنها سبعة أفلاك محيط بعضها ببعض على مثال هذا الشكل، فدائرة الشمس تحيط بالجميع؛ لأنها في وسط الفلك، فبعدها من زحل ثم بعدها من القمر على الصل أصل الوسط العالي، وهي ممددة الكواكب كلها بالحرارة والنور، فلذلك ما صار طبع الأفلاك كلها بطبع الحرارة، ولذلك جعلت الشمس وسطا لتصل إلى الأول والأخير وجعلت الحرارة كلها فيها، فهي سراج الفلك ونوره، ولولاها لبطل الفلك بالبرد ولم يكن.

وجعل المريخ يليها في الحماء؛ لأنه بطبعه حار وهو قريب منها، فأعطته من الحماء جزءها الأكبر، فاعلم ذلك.

ثم يلي ذلك المشتري، فهو في الحماء دون المريخ لبعده عنها، وكان في الحرارة أقوى من زحل لقربه منها، فهو كالواسطة لا في حماء المريخ ولا في برد زحل. وجعل زحل أقلها حرارة لبعده عنها، وأكثرها برودة؛ لأنه نهاية السكون الذي كان عنه كون الطبيعة، وجعل متحركا؛ لأنه آخر الحركة التي مزجت السكون والتي كان عنها كون الطبيعة.

وجعلت الزهرة في الحماء تقارب المريخ وليست كمثلها، لأنها تلي الشمس من الوجه الأدنى، وكان في هذا الوجه إشكال وهو الأذى، وكانت الزهرة في الحماء مثل المريخ وهما جميعا لاصقان بالشمس، والقول في ذلك طريف، وهو أن الحرارة والنار أبدا تطلب العلو لخفتها، والمريخ أعلى من الزهرة، فجوهرية النارية فيه أقوى؛ لأن قوة الشمس إلى فوق أقوى منها إلى أسفل لأجل الحد الذي ذكرناه في النار وطلبها للعلو،

وكانت الزهرة أضعف لهذه العلة، وكذلك يعمل أصحاب الحيل ذلك من المشي على النار وحمل القدور المحمية على أيديهم لعله أن جرم النار حار في العلو وأسفلها بارد. ثم عطارد وهو مثل المشتري في الطبع إلا أنه أنقص للعلة التي مضت فيما بين الزهرة والمريخ، والبعد في قوة الطبع بين المشتري وعطارد كالذي كان بين الزهرة والمريخ.

وكذلك القول في القمر وزحل، فلذلك ما صار الطرفان العاليان باردين بحماء الوسط لما في ذلك من الحكمة وإعطاء الخواص حقوقها. وهذا - وحق سيدي - كلام جوهري نقي ما فيه شوب ولا رمز، ولقد صورت لك به طبائع الكواكب في مصوغاتها على حقها، ونحتاج أن نقول من بعد ذلك في البروج، إن شاء الله تعالى.

القول في طبائع البروج الاثني عشر

اعلم أن انقسام البروج الاثني عشر برجا على الطبائع كانقسام الأفلاك سواء، أعني على أربعة أقسام، إلا أنها على مراتب ثلاث، وذلك أن الحمل، والأسد والقوس بروج نارية حارة يابسة، فالحمل منها أقوى من الأسد، وهو طبيعة الأسد، والأسد أقوى من القوس وهو طبيعة القوس وقد قلنا العلة فيها ولم صارت ثلاث مراتب في الكتاب الذي سميناه كتاب ما بعد الطبيعة، وذكرنا من أسباب هذه الأفلاك في كثير من كتبنا هذه المائة والثلاثة والأربعين.

والقول في البروج الباقية المتقدمة. فالثور والسنبلة والجدي أرضية باردة يابسة، ومرتبها في القوة والضعف والتوسط كما مثلنا في الحمل والأسد والقوس، فالثور مثل الحمل، والسنبلة للثور مثل الأسد للحمل، والجدي للسنبلة مثل القوس للأسد. وكذلك ما بعدها من البروج، فالجوزاء والميزان والدلو هوائية حارة رطبة، والقول فيها كالقول فيما تقدم منها، فالجوزاء أول، والميزان ثان، والدلو الثالث الأصغر الأقل.

والسرطان والعقرب والحوت مثل تلك، فالسرطان أقوى من العقرب والحوت، والعقرب أقوى من الحوت.

وكل برج من هذه البروج خاصية من الأفلاك، والأفلاك تنقسم على هذه البروج قسمين: أما أحدهما فإن العلة من أجل الشمس والقمر، وهما مخصوصان ببرج برج، وهما الأسد والسرطان، وإنما صارا مخصوصين ببرجين لتجاورهما، فاختصت الشمس بالأسد والقمر بالسرطان، ولأنها ليست من ذوات أفلاك التداوير، وتبقى عشرة بخمسة كواكب عن يمين الشمس والقمر ويسارهما، ومعنى ذلك عليهما وتحتهما، وذلك كلما عدت سبعة منها بدأ برج الكواكب؛ لأن نظير كل واحد سابعه، فيصير الحمل والعقرب للمريخ، والدلو والجدي لزحل، والثور والميزان للزهرة، والحوت والقوس للمشتري، والجوزاء والسنبله لعطارد، فعلى ذلك جرى أمر البروج، فاعرفه إن شاء الله تعالى.

فأما صورة فلك البروج فإنه فلك منظوم كل برج منها إلى جنب برج كنظم الكرة والرحى، وما أشبه ذلك، فليس على عمل فلك الكواكب الذي هو سبعة أفلاك لكن هو فلك واحد، وسوف نشرح ذلك جيدا فيما بعد هذا الموضوع. فإذا قد بآن صورة كيفية البروج ونسبتها للشمس والقمر فنقل فيما بعده، إن شاء الله عز وجل وبالله التوفيق.

القول على أفلاك البروج والكواكب

وخول بعضها على بعض

يا أخي!! اسمع ما أتيتك به ههنا من علم الأفلاك وطرائف أعمالها الخارجة من القوة إلى الفعل، لا بعناية قول من يرمز فيها ويعدل عن الطريق في الإفصاح المسمى فلك البروج قطعة واحدة منقسمة من جهة طبعها اثني عشر قسما، كل قسم منها ينقسم ثلاثين قسما، فيصير ثلاثمائة وستين جزءا، وهو يسير من المغرب إلى المشرق على كرة الأرض بحركة خفية.

وفوق ذلك فلك الكل وهو الأثير، وهو يسير بصد ذلك؛ لأنه يسير من المشرق إلى المغرب، ثم فلك الكواكب المتحيرة سبعة أفلاك بعضها داخل بعض، فأعلاها وأعظمها زحل وأصغرها وأسفلها القمر، وهو يسير من المغرب إلى المشرق على كرة الأرض بحركة ظاهرة للحس.

فكأن هذا القول مشكل في العيان عند جل الناس، ولا خيرة لديهم، ولقد صدق الله تعالى حيث يقول: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهَمَّ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨] أراد أن بين أيديهم وأعينهم الحق، ولا يفكرون فيه ولا يعرفونه، وذلك أنا لو سألنا مائة ألف من الناس: من أين تطلع الشمس؟ لقال: من المشرق وتغرب في المغرب !

وذلك إذا سمي المشرق مشرقا والمغرب مغربا إنما هو بالإضافة إلى الشمس، وإلا فالواجب على ما حكينا نحن أن يكون المغرب مشرق، والمشرق مغربا ليكون الصواب، ونحن شارحون ذلك، إن شاء الله تعالى.

وذلك أن المغرب هو مكان مغيب الشمس عن أبصارنا في الوقت الذي نسميه ليلا، لأن ذلك مأخوذ من اللغة في هذه العبارة، وأما المشرق فهو ابتداء طلوعها من الوجه المقابل لموضع مغربها، والسبب في ذلك، وإن كان غير ناقض لما قلنا، وذلك أن فلك البروج محل لفلك الكواكب، وفلك البروج أبداً حركة من فلك الكواكب، فإذا نزل كوكب من الكواكب إلى حال برج من البروج فمسيرهما واحد من نحو المغرب إلى المشرق، والفلك الأعلى يجوى بهما ويعكسهما من نحو المشرق إلى المغرب، وهو أسرع حركة منهما، كصعود الرجل الذي يدير الدولاب خلاف دوران الدولاب، فسرعة دوران فلك الكل ما ترى الكواكب مقبلة من المشرق إلى المغرب.

وتصحیح ذلك أنها ليست ترجع إلى خلف - أعني الكواكب - وإنما تسير إلى قدام، ولو كان مسيرها على ما يتوهم الجهلة من المشرق إلى المغرب لكان نزولها برج الحمل إلى الحوت إلى الدلو، وكذلك دائما إلى خلف، ولم يكن نزولها من أول الزمان على نسب الاستقبال، فإنها إنما توجد بعد الحمل في الثور، وبعد الثور في الجوزاء، وذلك هو المبدأ، ومن ذلك أيضا القمر، فإنه يسير مسيرا مقلعه من المغرب إلى المشرق، وإذ قد صح ذلك فلا بأس أنه يبين فيه شيئا عظيما من أمر السادة عليهم السلام.

وذلك أن الشمس قد روى أنها ردت لأمر المؤمنين لما فاتته الصلاة، كما ردت له لما ظهر الميم في شخص إبراهيم، فإن إنسانا ناظره فقال: ﴿أَنَا أُتِيءُ وَأُمِيْتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] كما احتج عليه، وكان المناظر بليغا لم يكن عاميا، لأن إبراهيم مكان الميم في الوقت، والمناظر أمير المؤمنين، ومعنى قوله: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

ليس المناظر، إنما بهت من كان حاضرا من العميان لعنهم الله ولعن أمثالهم، وردت مثل ذلك في هذا الزمان لإقامة الظاهر للصلاة، والمعنى واحد في العمي والتليس لمن حضر. واختلف الناس في ذلك ثلاث فرق: وطائفة قالت: هذا الخبر كذب، لأن الشمس لو رجعت لفسد العالم بما فيه، وطائفة قالت: بلى ردت على معنى الرجوع إلى الصلاة، وطائفة ثالثة قد ثبتت من قول مرتين، وما نقول نحن إذا بلغنا إليها، إن شاء الله. فأما من قال: إن العالم يفسد برجوع الشمس فقد أخطأ؛ لأن ليس في مقدار ساعة من الزمان فساد العالم.

وقد أوضحنا ذلك في كتابنا المعروف بمناقب أمير المؤمنين العزيز، وهو دفتر الصادق لوح القدس وشرف أهل البيت، ولست أسمى هذا الكتاب، وبالله أستعين وعليه أتوكل.

وأما من قال لها: ردت بمعنى الصلاة، فإن الشمس والصلاة الخماسية والسبوعية في مذهب الميم والعين لا فرق بينهما؛ لأن الشمس سبوعية والصلاة خماسية، وكذلك ظهورها في الزمنين المتقدمين.

ولعل الأشكال السبوعية تظهر الآن فيما أتوهم وأرجو بلاغا لإخواننا إن شاء الله، ولا تتوهمن - عافاك الله - ممن يقول بشيء من هذه المذاهب، ولولا أنه يلزمني في شرح هذا الكتاب أن أذكر جميع ما في إمكان خروج القوة إلى الفعل ما نطقت بشيء منه.

وأما الطائفة الثالثة فقالت: إن الشمس رجعت هو قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وإلا فما كان في استطاعته أن يقول. فأنا آتي بها من المغرب، حسب ما قال: ﴿أَنَا أُتِي - وَأُمِّيْتُ - وكيف والأمر فيها أنها سيارة من المشرق إلى المغرب؟ وإن هذا لمن عظيم الجهل وفادح القول.

يا معشر الناس !! اسمعوا وعوا واحذروا وانحثوا واطلبوا لتفلحوا بهذه الأنوار العالية وترقوا في فردوس العظمة وتخلصوا من هذا الكون الفاسد والعذاب الأليم. فإنه ليس براق من أغفل صناعة الفلسفة، لكنه راسب مضمحل إلى أسفل دائما.

ومن المسائل المستصعبة جدا أن سائلا قال: لم علم أهل البيت مكتوم وهم

أصحاب الحق؟ وليس هم كاتمين له، ولكن الحق ظاهر، وإنما جهلكم وتغافلکم بمنعكم من النظر، ومن ذلك أيضا كتمانهم هم لكم بحسب الدرجة، ولذلك مثال لي خاصة: لو أن لإنسان مالا وجوهرا وحديدا ونحاسا وعدة من أصناف جواهر كان من الرأي أن يخأ ويدخر بعض هذه التي ذكرت مع بعض أو كل واحد منها وحده مع جنسه ويدخر النفيس منها ويصونه؟ وكذلك إذا كانت مادة أهل مادة النور فيخلط بأنفسها الظلمة؟ أم كيف ذلك وما العلة فيه؟ فإن قلت: نعم، بشعتم على أنفسكم، وإن قلت: لا، علمتم الوجه الحق.

ولنعد إلى غرض الكتاب ليتضح القول في الكواكب ليتضح القول في الكواكب والبروج، وأما مقام الشمس في كل برج فثلثين يوما بالتقريب، وزحل سنتين ونصفا وهو ثلاثون شهرا والمشتري سنة، والمريخ أربعين يوما، وعطارد مثله، وهذه تتغير وتقيم أكثر من ذلك، وأقل مسافات لها نهايات في شكلها، ولهذا صورتها. وأما الزهرة فمثل المريخ أيضا، والقمر يومين ونصفا، وأعجب ما في الأمر يا حمير - عليكم لعنة الله ولعنة اللاعنين -

فاعلم أن قطب فلك الكواكب قطب واحد ومقدارهما مقدار واحد، وهذه تسير خلاف هذه، أليس ذلك من صنعة حكيم؟! والأمر في ذلك - عافاك الله - أن حركة الفلك حركة واحدة، إلا أن اعتماد فلك البروج على فلك الكواكب، ومتى عمل إنسان ذلك من شعع أو قصب أو صفر أو فضة أو غير ذلك من الأجسام كان عينه ما ذكرنا من هذه الأمثلة.

وإذ قد أتينا على القول في مزاج الأفلاك فنقل فيما بعده من علومها.

القول في طبائع البلدان

انقسم الناس في طبائع البلدان قسمين عامين: فأحدهما قسمها أربعة أجزاء بقسمة الطبائع الأربع الثواني، لأنها صنعتها - أعني البلدان صنع المركبات الأربع -، وهن: النار والهواء والماء والأرض.

والقسم الثاني: انقسموا إلى قسمين: فطائفة جعلتها سبعة أقسام حسب تقسيم أفلاك الكواكب، واحتجت في ذلك أن التأثيرات في هذا العالم لتلك الكواكب السبعة، وقسم ثان قسمتها اثني عشر قسما حسب قسمة فلك البروج، واحتجت في ذلك بمثل حجة أصحاب الطبائع، وأصحاب فلك الكواكب.

فأما أصحاب الطبائع فجعلوا المغرب من فعل الحرارة، والمشرق للبرودة، والشمال لليبوسة، والجنوب للرطوبة: واستراحوا من التعب وأراحوا المتعلم.

وأما أصحاب الأفلاك فجعلت المشرق كله وأقاصي البلاد ومواضع البرد الغالب لزحل، ومواضع الشمال والاعتدال للمشتري، والمغرب والحمام وأقطار البلدان لمسافات مسامتة للشمس واستدامة طلوع الشمس للمريخ، والمواضع الطاهرة المحرقة للشمس، - واستدامة طلوع المريخ والمواضع الطاهرة المحرقة للشمس - والمواضع المعتدلة الفاعلة الكثيرة العفونة للزهرة، والبلاد المنتقلة الكيموس الذي يكثر تغييره من طبع إلى طبع لعطارد، والمواضع المظلمة وبطون الأرض للقمر، فهذا ما ذكره القوم.

وأما أصحاب الاثني عشر فإنما سلكوا هذه الطريق فجعلوا البلاد المعتدلة للحمل، والمواضع التي تكثر فيها الحرب للثور، ومواضع الفيافي والمسالك للجوزاء، ومواضع المياه والبحار للسرطان، ومواضع الإحراق والحرارة للأسد، ومواضع الصحاري والعمارة للسنبلة، والأماكن التي تكون بين المدن، وما أشبه ذلك للميزان، والأهوار الكبار، وما أشبه ذلك للعقرب، وعلى مثل ذلك الأربعة الباقية على سبيل التجربة، فرجعت الاثني عشر إلى الأربعة وحكمها، وكذلك السبعة إلى حكم الأربعة، وإن الأربعة الأشياء أصل، وإن حملت، فإنها تجري في النظم الطبيعي مجرى الصواب والمقصد له.

فهذا ما في علم البلدان، فليعرف ذلك إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق وعليه التوكل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

باب القول على خواص النجوم وأفعالها

في البلدان والطعوم في الحيوان والنبات والحجر وبالله التوفيق

اعلم أن القول قد تقدم في جميع الأصول، ونحتاج أن نذكر من العلوم في هذا الكتاب في المستأنف من العلوم ما يحتاج فيه إلى مقدمات رياضية أوائلية، وإن كانت ثوابي في مواضع أخرى، فإننا قائلون في خواص النجوم، وأفعالها في طبائع البلدان وطعوم الأشياء التي هي أوثق في الطبع من اللون والشم في الأجناس الثلاثة ومتصرفون من ذلك إلى السباعية.

فاعلم أنا وإن كنا قد تكلمنا في الأفلاك والبروج فإنه يجب أن تعلم أن الكواكب أعمل في علمنا من البروج لقرها منه، ولبعد فلك البروج وتوسط فلك الكواكب بين هذا العالم وبين فلك البروج، وقد سمعت لنا في غير موضع من كتبنا هذه وغيرها أنه واجب ضروري أن يكون لكل شيء خاصية ما فيه طبعه، ونحتاج أن نقول ذلك في كوكب كوكب، إن شاء الله تعالى.

القول على فلك زحل

اعلم أن جميع السواد والحاد والمحلل الأرضي في الطبع والحامض والمر، وما أشبه ذلك والبلد الكثير الوباء من أقسام زحل البطيء المشي، وخروج ما في بطن أرضه إلى ظاهرها من النبات في الجبال والعشب، ومن الحجارة السود والزرق والخضر، وما إلى ذلك، والأسرب والملس والرمل والزجاج والسنبادج والخماهن وجميع هذه الأشياء، ومن البحار المنتنة التي تعمل السلاحف وتأوى الجمال والجواميس والأفيلة وكبار الدواب والعسر الحركة والبطيئة الفطنة، فذلك من أقسام زحل، ومن النبات الأشجار الكبار والنخل، وما يطول زمانه ويقل نوعه ويكثر التفافه وصلابته، وكثيرا ما يكون مما لا فائدة فيه من أكله، فذلك كله من أقسام زحل، فاعلم ذلك وقس عليه أمرك.

القول على فلك المشتري

المشتري حار رطب كما كان زحل باردا يابسا، وهو كوكب نير مشرق، وهو بالحقيقة سعد الفلك وموضع فائدته ونشوءه.

ويتبع أمره أن البلد الذي يخصه بنظر يطول مسامته له فهو بلد مشرق نير فيه اللون الأصفر والدري الصافي من الأخضر والمشرق من الأبيض والأحمر الخفيف، والطعوم الطيبة والروائح الذكية المعتدلة، فذلك من أقسام المشتري، والحلو والبلد النير المشرق المعتدل فيه زهره وخروج ما في باطن أرضه إلى ظاهرها المعتدل الجبال المتناوحة الكثيرة الزهرة. ومن الحجارة الصفر والحمر الرقيقة، وما أشبه ذلك كالرصاص والقلعي والبلور واللؤلؤ والدر، وما أشبه ذلك. ومن الحيوان الإنسان والقرود والكلاب والثعالب، وما أشبه ذلك، ومن الأشجار المعتدلة الطبيعة كالتين والنبق والفواكه الكبار وأمثال ذلك، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

القول على فلك المريخ

جميع الأشياء الحمر والحادة الرائحة والذباح وفورة الدم وما جانس ذلك مثل الشباه والعز والسخلان وما يذبح ويسلخ ويعذب ومن الحجارة الحديد والكبريت والمرقيثا الحمراء والمغنيسيا وأشباه ذلك والياقوت الأحمر. ومن الأشجار الحادة الحريفية وما أشبه ذلك. ومن الصناعات الإمارة وقود الجيوش والجلادون والحدادون والوقادون وجميع أعمال النار وما أشبه ذلك، فإنه كله من أقسام المريخ، فاعلم ذلك إن شاء الله عز وجل.

القول على فلك الشمس

الأشياء المشرقة النيرة والملك ونشوء العالم ونفسه وماؤه وحياته، ومن الأشجار الطيبة الحسنة كاللوز والجوز وجميع الأشياء الدهنية كالزيتون والصنوبر والনারدين وما أشبه ذلك، ومن الحيوان الغزلان والأسد والكرك وما أشبه ذلك، ومن الحجارة الذهب والياقوت الموردة وأمثال ذلك، وهو أكثر الكواكب فعلا في العالم وأثبتها وأحسنها وأنضرها، فابن أمرك على ذلك فيه، إن شاء الله تعالى.

القول على فلك الزهرة

جميع الأشياء الزهرة والنيرة والمشرقة السالكة مع نورها وبهائها مسلك الحسن والجمال ومن النساء خاصة، والزينة والحرف واعتدال الأمور ورقة القلوب وحسن الصور، ومن الحجارة النحاس والمرقشيثا والدهن الأبيض وجميع الأوصاف الجميلة، ومن الأشجار الرياحين والفواكه الطيبة، والأعراس والولائم والزناء وجميع الخنى واللهو والغناء واللعب، ومن الحيوان الطيب كالعنبر والمسك، ومن الأشجار الكافور والصندل، وإن كانت هذه تتخالف بالطبع فإن مزاجها موافق لذلك، فافهم هذا واعرفه تصب، إن شاء الله تعالى.

القول على فلك العطار

الحب والدعابة والحديدية وسرعة الحركة والانطباع بكل طبع والعدول إلى كل مذهب وقول، وله من الناس والحيوان: أصحاب الحيل والنواميس والثعالب وكل شيء له مكر وحيلة كالزراقين والمحتالين وكل شيء له مكر كاللصوص، ومن الأشجار الصفصاف والتي لها أفعال لطيفة في الأدوية والعقاقير خاصة، ومن الحجارة الزئبق والأدهان الصافية. ومن الصناعات الأشياء الدقيقة العسرة كالكتابة والهندسة، وعلوم الصور وجميع الآلات اللطيفة الدقيقة، فهذا ما فيه، فليعرف إن شاء الله تعالى.

القول على فلك القمر

الكذب والنميمة والظلم والسرعة وقلة الصبر على حال واحدة، وأمثال ذلك، ومن الأشياء الظلمة والماء والجواهر السود الرطبة الخسيسة كالطين^(١) والحماة والفضة،

(١) منه: الطين المختموم: وهو بارد يابس مجفف، فيه قبض معتدل، ينفع من السموم ويقطع نفث الدم ويشفي اختلاف الدم من الأمعاء ومن الكبد ويجفف القروح الخبيثة إذا طلي عليها. والطين الأرميني: هذا أيضا بارد يابس قوي التجفيف، ينفع من استطلاق البطن ومن نفث الدم ويجفف قروح الرئة والصدر حتى إنه يصلب قرحة الرئة ويبقى العليل يعيش على تلك الحال، ولا سيما إذا انتقل إلى البلاد الحارة اليابسة. وينفع أصحاب الأمراض البوائية، هذه التربة هي غير موجودة عندنا، والطين الذي تحتم به الكتب عندنا إذا صول، لم يبعد كثيرا من هذه الأفاعيل، وكذلك الانجبار.

ومن الناس ذوو الرياء وأهل المصائب كالعميان والزمنى وأهل العاهات، وأمثال ذلك، ومن الأشجار الحشيش وبعض السموم كبزر قطونا والكزبرة، وأمثال ذلك، ومن الأيام أشرها وأقبحها يوم الاثنين يوم العقد والغيبة والأسفار وظهور الفتن والآفات وإنما جعل يوم الاثنين كذلك لأجل الشهوة والكون؛ لأن الأول هو الواحد والثاني الشهوة والكون، ولولا أنني أمرت أن أعطي الناس بقدر استحقاقهم لكشفت من نور الحكمة ما يكون معه الشفاء الأقصى، ولكني أمرت بذلك لما فيه من الحكمة. لأن العلم -يا أخي- لا يحمله الإنسان إلا على قدر طاقته وإلا أحرقه، كما لا يقدر الإناء والحيوان أن يحمل إلا بقدر طاقته وملئه وإلا فاض ورجع بالذل والعجز، وقد مضى ذلك في كلام الأئمة، ومن ذلك عمل علم الميزان كما قال سيدنا صلوات الله عليه: إن العدل هو الحق، وإن العدل في الميزان، فمتى زاد نقص، ومتى نقص زاد، وكذلك الزيادة في الحد نقصان من المحدود، والنقصان من الحد زيادة في المحدود، فاعلم ذلك تجده كما علمناك.

وإذ قد أتينا على ما في الأفلاك من العلم فليكن آخر كلامنا والعدل إلى الكلام في السباعية، إن شاء الله تعالى.

القول في السباعية

إن السباعية هي العلوم التي قدمنا الوعد بها، وإنا نشرحها في كتبنا هذه أعني كتب الموازين، وهذه السبعة:

أ- علم الطب وحقيقة ما فيه^(١).

(١) قال ابن رشد في تعريف الطب: فإن الغرض في هذا القول أن تثبت ههنا من صناعة الطب جملة كافية على جهة الإيجاز والاختصار تتضمن أصول الصناعة، وتكون كالمدخل لمن أحب أن يتقضى أجزاء الصناعة، وكالتذكرة أيضا لمن نظر في الصناعة، وتحرى في ذلك الأقاويل المطابقة للحق، وإن خالف ذلك آراء أهل صناعة الطب فنقول:

إن صناعة الطب هي صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة، يلتمس بها حفظ صحة بدن الإنسان وإبطال المرض، وذلك بأقصى ما يمكن في واحد واحد من الأبدان، فإن هذه الصناعة ليس غايتها أن تبرى ولا بد، بل أن تفعل ما يجب بالمقدار الذي يجب وفي الوقت الذي يجب، ثم ينتظر حصول غايتها، كالحال في صناعة الملاحة وقود الجيوش.

ولما كانت الصناعات الفاعلة، بما هي صناعات فاعلة، تشتمل على ثلاثة أشياء:

أحدها: معفة موضوعاتها.

والثاني: معرفة الغايات المطلوب تحصيلها في تلك الموضوعات.

والثالث: معرفة الآلات التي بها تحصل تلك الغايات في تلك الموضوعات، انقسمت باضطراب صناعة الطب أولاً إلى هذه الأقسام الثلاثة.

أقسام علم الطب فالقسم الأول، الذي هو معرفة الموضوعات. يعرف فيه الأعضاء التي يتركب منها بدن الإنسان البسيطة والمركبة وأخلاطه وأرواحه.

ولما كانت الغاية المطلوبة هاهنا صنفين: حفظ الصحة وإزالة المرض، انقسم هذا الجزء إلى قسمين:

أحدهما: يعرف فيه ما هي الصحة بجميع ما به تتقوم، وهي الأسباب الأربعة التي هي العنصر والصورة والفاعل والغاية وجميع لواحقها.

والقسم الثاني: يعرف فيه ما هو المرض أيضاً بجميع أسبابه ولواحقه.

ولما كان أيضاً ليس في معرفة ماهية الصحة والمرض كفاية في حفظ هذه وإزالة هذا، انقسم هذان الجزآن أيضاً إلى جزأين آخرين:

أحدهما: يعرف فيه كيف تحفظ الصحة.

والثاني: كيف يبطل المرض.

ولما كانت الصحة أيضاً والمرض ليسا يبينان بأنفسهما من أول الأمر، احتيج أيضاً إلى تعرف العلامات الصحية والمرضية الدالة عليهما. وصار هذا أيضاً أحد أجزاء هذه الصناعة.

وإذا كان ذلك كذلك، فباضطراب ما انقسمت هذه الصناعة إلى سبعة أجزاء عظمية:

الجزء الأول: يذكر فيه أعضاء الإنسان التي شوهدت بالحس، البسيطة والمركبة، وأخلاطه وأرواحه.

والثاني: تعرف فيه الصحة وأنواعها ولواحقها.

والثالث: المرض وأنواعه وأعراضه.

والرابع: العلامات الصحية والمرضية.

والخامس: الآلات، وهي الأغذية والأدوية.

والسادس: الوجه في حفظ الصحة.

والسابع: الحيلة في إزالة المرض.

ونحن نقصد في ترتيبها ههنا إلى هذه القسمة، إذ كانت هي القسمة الذاتية لها.

علم الطب بين العلم الطبيعي والممارسة الطبية

ولما كانت الصنائع الفكرية أحد ما يتسلم فيها هي الموضوعات والمبادئ سواء كانت الموضوعات والمبادئ بينة بنفسها أو مما شأنها أن تتبين في صناعة أخرى وجب أولاً أن نعرف

الصنائع التي تتسلم منها هذه الصناعة (١) كثيرا من مبادئها، ثم بعد ذلك نشير إلى القول في جزء جزء منها، فنقول:

إن هذه الصنائع بعضها نظرية وهو العلم الطبيعي، وبعضها عملية، وهذه منها صناعة الطب التجريبية. ومنها صناعة التشريح. أما العلم الطبيعي فإنها تتسلم منه كثيرا من أسباب الصحة والمرض، ولاسيما الأسباب القصوى كالاسطقسات وغيرها.

وأما صناعة الطب التجريبية فإنها تستفيد منها معرفة قوى أكثر الأدوية، فإن الذي يدرك منها بالقياس نزر بالإضافة إلى ما يحتاج من ذلك، بل سبيل هذه الصناعة الطبية القياسية أن تعطي أسباب ما أوجدهت الصناعة الطبية التجريبية. وأما صناعة التشريح، فإنها (١) تتسلم منها كثيرا من أجزاء موضوعاتها.

ولما كان صاحب الصناعة ليس يمكنه، بما هو صاحب تلك الصناعة، أن يعلم المبادئ المتسلمة في تلك الصناعة على ما لاح في كتاب البرهان بل إن كان، فمن حيث هو صاحب صناعة أخرى. وجب أن يأخذ تلك المبادئ في صناعته من حيث هي مشهورة وبخاصة في الممارسة الطبية التي لا يتفق له فيها الوقوف على اليقين في جميع أجزائها كتجربة الأدوية، فإنه بالإضافة إلى الوقوف على هذا الجزء من الصناعة استقصر أبقراط العمر الإنساني في قوله: العمر قصير وأما في الجزء القياسي منها فليس هنالك قصر وكذلك الأمر في زماننا هذا في كثير من الأعضاء المشاهدة بالتشريح، إذ كانت هذه الصناعة قد دثرت.

وينبغي أن تعلم أن صاحب العلم الطبيعي يشارك الطبيب إذ كان بدن الإنسان أحد أجزاء موضوعات صاحب علم الطب، لكن يفترقان بأن هذا ينظر في الصحة والمرض من حيث هما أحد الموجودات الطبيعية.

وينظر الطبيب فيهما من حيث يروم حفظ هذه وإزالة هذا. ولذلك يحتاج الطبيب بعد معرفة الكليات التي تحتوي عليها هذه الصناعة من العلم الطبيعي إلى طول مزاوله، وحينئذ يمكن أن يوجد في المواد فإن الكليات المكتوبة في هذه الصناعة بلحقها، عند إيجادها في المواد، أعراض ليس يمكن أن تكتب.

فإذا زاول الإنسان أعمال هذه الصناعة، حصلت له مقدمات تجريبية يقدر بها أن يوجد تلك الكليات في المواد. وذلك كالحال في الصنائع العملية التي تستعمل الروية كالملاحة وقود الجيوش، وأرسطو يخص هذه من بين الصنائع العملية بالقوى.

ما به يتميز الطب عن العلم الطبيعي:

ومن هنا يظهر أن ما قيل في حد الطب، من أنه معرفة الصحة والمرض والأشياء المنسوبة إليهما أنه حد غير صحيح. وذلك أنه أسقط من هذا الحد الفصل الذي به يتميز نظر صاحب هذا العلم من نظر صاحب العلم الطبيعي، وهو أن يزداد فيه: ليحفظ الصحة حاصله ويستردها زائلة.

ب- وعلم الصنعة وإخراج ما فيها.

ج- وعلم الخواص وما فيها.

د- والعلم الأكبر العظيم الباطل في زماننا هذا أهله والمتكلمون فيه، أعني علم
الطلسمات.

هـ- والعلم العظيم الكبير الذي ليس في العلوم كلها مثله، ولا أعز منه ولا هو
مفهوم ولا معقول ولا ألف فيه شيء من الكتب: علم استخدام الكواكب العلوية، وما
فيه وكيف هو.

و- وعلم الطبيعة كله وهو علم الميزان.

ز- وعلم الصور، وهو علم التكوين وإخراج ما فيه، وجعل ذلك على سبيل
إخراج ما في القوة إلى الفعل.

فاضبط نفسك وعقلك فيما أنا ذاكره، وإلا هلكت وضعت ولم تحصل شيئاً من
أمرك، وكنت كمن يقرأ هذا العلم بل يكون جهلك به أعم من علمك، والعلم نور،
والعقل نور، فالعلم عقل والنور عقل. وكل واحدة من هذه يمكن أن تكون مقدمة
ويمكن أن تكون وسطاً، فتقول:

كل علم عقل // وكل عقل نور // فالنتيجة = كل علم نور.

وكذلك إذا قدم العقل وجعل العلم وسط كان كذلك وكذلك أن قدم النور
وجعل العلم وسطاً فكأن كل نور علم وكل علم عقل فالنتيجة كل نور عقل.
هذا كله جائز مستقيم. فاعرفه إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق وهو حسبنا
ونعم الوكيل.

=

وكذلك أيضاً لا يلتفت إلى ما يقولونه في الحد من الحال التي ليست بصحة ولا مرض، فإنه
ليس بين ضرر الفعل المحسوس ولا ضرره وسط، وإنما يختلف بالأقل والأكثر. وليس المتوسط
بين الضدين أن يكون كل واحد منهما في جزء غير الجزء الذي فيه الآخر. ولا في زمن غير
الزمن الذي فيه الآخر، وهذا بين مما قيل في العلم النظري.
وإذا قد تبين من هذا القول ما غرض هذه الصناعة وما أجزاؤها وكيف وجه النظر فيها، فقد ينبغي
أن نشرع في القول في جزء جزء منها.

باب القول في الطب

الطب ينقسم قسمين: إلى نظر وإلى عمل، والنظر ينقسم قسمين: أول في العقل وثان في الجسم.

فأما الأول فهو الأول لكل صناعة من العلوم الأوائل أعني بذلك المداخل. والثاني العلم المستفاد مما سنذكره.

والعمل ينقسم قسمين أيضا: في النفس وفي الجسم، وذلك في النفس ينقسم قسمين: إما طبيعي ضروري، وإما وضعي اصطلاحي.

وأما الذي في الجسم فينقسم قسمين: إما من داخل، وما من خارج، هذا جميع ما يحتاج إليه في علم الطب، وعمله، ونحن الآن قائلون في شرح هذه الأصول بحسب ما نراه كافيا، إن شاء الله عز وجل.

أما الأوائل في هذه الصناعة فأن تعلم أن الاستقصات أربعة، وهي: الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة.

وأن تعلم بعد ذلك أن العناصر أربعة، وهي: النار والهواء والماء والأرض، وأنها مركبات ثوان، وأن النار حارة يابسة، والهواء حار رطب، والماء بارد رطب، والأرض باردة يابسة.

وأن تعلم أن النار أعلى الأشياء، والهواء دونها، والماء دون الهواء، والأرض أسفل كل شيء، وأن تعلم أن الأزمنة أربعة، وهي قيظ وخريف وشتاء وربيع.

وأن تعلم أن الربيع أولها، وهو بمنزلة الهواء في الطبع، وهو ثلاثة أشهر من السنة، وأول ذلك من سبعة عشر يوما تخلو من آذار إلى سبعة عشر يوما تخلو من حزيران، ثم الصيف وهو القيظ - وهو من سبعة عشر يوما تخلو من حزيران إلى سبعة عشر يوما تخلو من إيلول، ثم الخريف - وهو من سبعة عشر يوما تخلو من إيلول إلى سبعة عشر يوما تخلو من كانون - ثم الشتاء وهو من سبعة عشر يوما تخلو من كانون - إلى سبعة عشر يوما تخلو من آذار.

ثم الثواني من العلوم، وهو أن تعلم أن الأخلاط في بدن الإنسان أربعة تسمى الرطوبات، وهي الصفراء والسوداء والبلغم والدم، فالصفراء مثل النار، ولها من الزمان

القيظ، والدم مثل الهواء، وله من الزمان الربيع، والسوداء مثل الأرض، ولها من الزمان الخريف، ثم البلغم وهو مثل الماء، وله من الزمان الشتاء.

وأن الأعضاء الرئيسة التي ينبغي أن تعرف خبر سلامتها وعللها أربعة، وهي كما مثلنا أولاً: الدماغ والقلب والكبد والأنتيان، فالدماغ مثل البلغم من الرطوبات، ومثل الماء من العناصر، ومثل الشتاء من الأزمنة، والقلب مثل الصفراء ومثل النار والقيظ، والكبد مثل الدم والهواء والربيع، والأنتيان مثل السوداء والأرض والخريف، فقد بان بذلك بنية العالم والطبيعة والإنسان، فكان العالم ضرورة إنسانا والإنسان جزءا صغيرا بالإضافة إلى العالم.

ثم بعد ذلك نريد أن نحكم في العلم الثاني بعد علم النفس، أعني علم الجسم وهو علم المجسة، وقد شرحنا ذلك في غير كتاب وخاصة ما حكاه جالينوس، فإنه جود ذلك غاية التجويد في كتابه الكبير والصغير بما لم يشر إليه أحد، وقد أوضحنا ذلك بقول شاف، ولكننا نحتاج إلى ذكره ههنا، وقد ذكرت لك ما كنت غافلا عنه، وقد أغناك ما أذكره في كتابي هذا عن كل قول وكتاب.

فمن ذلك أن تعلم أن المجسة من الأشياء المركبة، وليس يخلو انقسامها من أن يكون على أربعة أوجه، وذلك أنها شيء مركب من كيفية وكمية، وكل شيء مركب من شيئين فانقسامه إلى أربعة أوجه لا غير، وهو إما أن تكون المجسة سريعة، وإما أن تكون بطيئة، وإما أن تكون دقيقة، وإما أن تكون غليظة، فقولنا بطيئة وسريعة كيفية، وقولنا دقيقة وغليظة كمية، فاعلم ذلك.

ولها بعد انقسامها أربعة أقسام أربعة تراكيب: إما أن تكون سريعة غليظة، وإما أن تكون سريعة دقيقة، وإما أن تكون بطيئة غليظة، وإما أن تكون بطيئة دقيقة، فالسريعة الغليظة تدل على الدم، فالسرعة للحرارة والغلظة للرطوبة، وكذلك الدم حار رطب.

فأما السريعة الدقيقة فتدل على الصفراء، فأما السرعة للحرارة، وأما الدقة فلييوسة، وكذلك الصفراء حارة يابسة، وأما أن تكون بطيئة غليظة، والغليظة البطيئة تدل على البلغم، أما الغلظ فللرطوبة، وأما البطوء فللبرودة، وكذلك البلغم بارد رطب،

وأما البطيئة الدقيقة فتدل على السوداء، وأما البطوء فيدل على البرودة، وأما الدقة فتدل على اليبوسة، وكذلك السوداء باردة يابسة.

فهذه أحكام المجسة الداخلة مدخل الاعتدال والصحة البسيطة، وفي المجسة زيادات وعلامات تدل على الموت، منها الدودي وهو مشبه بمشي الدود، فيه تواتر ضعيف وتحرك، وتأوي يؤدي إلى خمول وذبول وضعف في الحركة ووقوف حتى لا تجد لها تحت الأصابع حركة، ووقوف حتى لا تجد لها تحت الأصابع حركة ثم تعود، وصاحبها لا يعيش أكثر من ثلاث ساعات إلا ما تباليه.

وأما النملي فهو دقيق سريع ضئيل لا قدر له تحت الأصابع غير متحصل تحت نظم واحد؛ لأنه يضرب خمس ضربات ويذبل ويخفى، وعشر ضربات ويذبل ويخفى، وثلاث ضربات.

ثم يكثر ذلك أيضا على نظام كأنه يضرب خمسا، ثم عشرا، ثم ثلاثا، ثم أي شيء كان ويعود منعكسا من أول الأمر.

هذا محمود وإن كان نمليا، لأن النظم يزيد في البقاء قليلا من الزمان، والمجسة ما كانت ذات تحصل في الضرب ونظام لكان يكاد أن تكون سليمة، أعني هذه العلامات. فأما في القول الأول فإنها إذا اختلطت أنذرت بمثل هذه الحالة الثانية، لأن نظم ضرب المجسة سببه فعل الطبيعة ونظمها، واختلاطها سببه إهمال الطبيعة لها ودون ذلك الذهاب، ووحى الموت.

ومن تلك العلامات ما يقال طفر الغزال، وهي خمس نفزات أو أقل صغار يقال لها: حادية واثنتان وثلاث وواحدة شاهقة، والشاهق القرع العظيم شبه أيضا بمشي الغزال؛ لأنه يمشي ويطفر ثم يعود إلى الخمول واللين، فاعلم ذلك. فأما طفر الغزال فيؤول إن كان في بدن العليل مادة وبقية إلى النملي، والنملي إن كان فيه بقية إلى الدودي، والدودي إلى الخمول والذهب، وليس في ذلك براءة ألبتة ولا حيلة تؤدي إلى البرء. وهذا جميع ما في المجسة للمتعلمين مما ينبغي أن يعلموه، فأما على طريق الشرح والبسط فلا ينبغي أن يكون ذلك، ولكنه أصل لكل علم.

وإذ قد أتينا على ذلك فينبغي أن تعلم القول في علامات المجسة الأول. وينبغي

أيضا أن تعلم أن بعضها منحل إلى بعض بحسب استحالة الطبائع وغلبة بعضها على بعض، وهذه صورة المحسة فإذا عرفت ذلك فينبغي أن تعلم أمر القارورة أيضا، وذلك تابع للضرب، فمنه سريع دقيق، ومنه سريع وبطيء، فأما الحمراء الخلوقية فتدل على الدم، وكذلك الحمراء الكمدية، والصفراء الشديدة الصفرة التي تؤول إلى الحمرة فتدل على الصفراء، والبيضاء والمائية والصفراء الكدرة كل ذلك يدل على البلغم والسوداء، فإذا كانت كدرة غير شفاقة دلت على البلغم، وإذا كانت غليظة القوام قليلة الزبد دلت على السوداء، والتي حمرتها تضرب إلى السواد فإنها تدل على الصفراء، والسوداء، فليس له براء ألبتة.

وأما الماء الأزرق الكثير الزبد مع يسير الصفرة فهو إما ماء الجماع، وإما ماء الحبل، وإذا كان فيه عرق خفي من الحمرة يحتاج إلى حدة نظر دل على أن الحبل ذكر، وإن أبيض دل على أنثى، فأما الماء المغير والمحال فيه على الأطباء فذلك غير محتاج إليه ههنا. وإذا قد أتينا على هذه الأصول فلتعلم أنا نعدل إلى القول في التشريح وعلامات العلل والقول في العلاج، ويكون ذلك آخر كلامنا إن شاء الله تعالى.

(١) القول في التشريح

الإنسان مركب من أربعة وثمانين ألف قطعة كبار وصغار، وجميعها يقال لها عظم، وإما عضل، وإما عصب، وإما شريان، وإما وتر، وإما ليف، وإما غضروف، وإما عظام سمسمانية يقال لها: السلامى في لغة العرب، وإما ظفر وإما جلد، فأما العظام الأمهات فمائتان وتسعة وأربعون عظما، وأما العضل فخمسمائة وتسع وأربعون عضلة، والعصب والشرايين والعروق تخصى في التشريح بحسب الحاجة والوجود لها في كل عضو إذ كانت قد تنقص وتزيد.

(١) تشريح الأعضاء:

١ - أصناف أعضاء بدن الإنسان:

١ - الأجزاء المشاهدة بالحمس في بدن الإنسان صنفان:

أحدهما: الأعضاء المتشابهة الأجزاء. أعني التي حد الجزء والكل منها واحد كاللحم والعظم، فإن جزء اللحم لحم ضرورة وكذلك العظم.

=

والثاني: الأعضاء المركبة، وهي التي ليس يشبه أجزاؤها بعضها بعضا كاليد المركبة من لحم عصب ووتر.

٢- والأعضاء البسيطة: عظام وعصب ووتر وعروق ورباط ولحم وشحم وجلد وغشاء ودم وبلغم ومرة سوداء ومرة صفراء، وروح، وهو البخار المحسوس في القلب والدماغ. فنبتدئ أولا بذكر الأعضاء البسيطة ثم نذكر المركبة.

٢- القول في العظام:

٣- عظام الرأس ما خلا الأسنان ثلاثة وعشرون عظما: منها ستة تخص القحف، وملتقى هذه العظام في ظاهر القحف يسمى الشئون، وأربعة عشر عظما للحجى الأعلى، فيها الخدان والأذنان والعيان، واثنان للحجى الأسفل، وواحد وهو المسمى وتدا، وهو عظم تحت القحف من ناحية خلف، فيما بينه وبين الحجى الأعلى.

وجميع هذه العظام يتصل بعضها ببعض اتصالا درزيا، إلا عظما الفك الأسفل، فإنهما يتصلان اتصالا مفصليا.

٤- والأسنان ستة عشر في كل لحي، منها ثنيتان ورباعيتان ونابان، وخمسة أضراس يمنة، وخمسة أضراس يسرة، وربما نقصت الأضراس فكانت أربعة عند بعض الناس، وأصول أضراس الفك الأعلى ثلاثة في كل واحد، وربما كانت أربعة. وأما أضراس الفك الأسفل فأصولها اثنان. وربما كانت ثلاثة وسائر الأسنان لها أصل واحد. فجملة عظام الرأس خمسة وخمسون عظما.

٥- ويتصل بالرأس عند الثقب الأعظم الذي فيه من خلف خرزات العنق. وهي سبع. فيها ثقب من الجانبين. ويتصل بهذه خرز الظهر، وهي سبع عشرة خرزة: اثنا عشرة خرزة منها تنسب إلى أما خرز الصدر، وذلك أن حد الصدر عندها ينتهي، وخمس منها خرز القطن. فجميع الخرز من لدن الدماغ إلى العجز أربع وعشرون خرزة، وربما زادت واحدة أو نقصت واحدة، وذلك في الأقل.

٦- ويتصل بالخرز من هذا الموضع عظم العجز. وهو مؤلف من ثلاثة أجزاء تشبه الخرز. ويتصل أيضا بهذا من أسفله عظم العصعص. وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء. والثالث منها بالحقيقة هو العصعص، كأنه غضروف عظمي. وجميع هذه الخرز تتصل اتصالا مفصليا. ما خلا الفقارتين الأوليين من الرقبة.

وأما الفقارة الأولى، فإنها تتصل وترتبط مع الرأس بزائدين تتشعبان من قحف الرأس وتدخلان في فقرتين من الفقارة الأولى، وأما الفقارة الثانية، فتتصل بالرأس وترتبط بزائدة شبيهة بالسن ترتفع منها وتدخل في موضع من الفقارة الأولى، وأما الفقارة الثانية، فتتصل بالرأس وترتبط بزائدة شبيهة بالسن ترتفع منها وتدخل في موضع من الفقارة الأولى، وترتبط بالرأس برباط قوي. ويتصل من الجانبين بعظم خرز العجز عظما الخاصرتين: من كل جانب واحد. وفيهما

- حق الورك الذي فيه رأس الفخذ المسمى رمانة الفخذ.
- ٧- فهذه هي جميع العظام التي في المؤخر. وأما التي في المقدم مما دون الرقبة، فالترقوتان وعظام الكتف وعظام الصدر وعظام اليد وعظام العانة وعظام الرجل، أما الترقوة فهو عظم محذب الخارج مقعر الباطن، يتصل أحد رأسيه مع المنكب ورأس العضد، والطرف الآخر يتصل بأعالي الصدر حيث نقرة الحلق.
- وأما الكتف فإنه من حيث هو موضوع على الظهر هو عريض، ويتصل به رأس غضروفي، ومن حيث يقارب الترقوة يستدير، وله نقرة يدخل فيها رأس العضد.
- ٨- وأما عظام الصدر فالقص، وهو مؤلف من سبعة أعظم، في طرفها الأسفل غضروف شبيه بالخنجر مشرف على فم المعدة، وابتدأه من حيث نقرة الحلق وانتهأه إلى أسفل من الثدي بقليل حيث أضيقت موضع من المواضع التي تحس من البطن لينة الغمز لا عظم تحتها.
- وعظام الأضلاع وهي من كل جانب اثنا عشر محدبة، أطولها أوسطها: سبعة يتصل منها أحد طرفيها من خلف بخرز الظهر ومن قدام بخرز عظام القص برءوس غضروفية، وخمس منها تنقطع دون الاتصال بالقص وتسمى ضلوع الخلف، ولذلك تنغمز هذه داخلا إذا غمزت. وليس فيما دون القص من البطن عظم إلا عظم العانة أسفل.
- ٩- وأما عظام اليد فثلاثون عظما: عظم العضد، وهو واحد محذب من خارج مقعر من داخل، له رأس يدخل في نقرة الكتف، والطرف الآخر منه عند المرفق، وله هنالك حزرزة شبيهة بالبكرة يدخل فيها طرف الزند الأعلى، وعظم الزند، وهما عظمان طولهما من المرفق إلى الرسغ. أحدهما: أصغر ويسمى الزند الأعلى، والآخر: أكبر ويسمى الزند الأسفل، ولهما في طرفيهما اللذين يليان الرسغ زوائد يلتصق بها فيما بينهما وبين الرسغ مفصل، وثمانية أعظم يتركب منها الرسغ منضودة في صفين، وهي عظام صلبة عديمة المخ متقبية الشكل تقبياً، يلتصق من اجتماعها هيئة موافقة لما هو عليه الرسغ، وأربعة يتركب منها المشط منضودة تتصل بأصل عظام الرسغ برباطات موثقة، وخمسة عشر للأصابع الخمس، ثلاثة في كل أصبع، وهي التي تدعى السلاميات، يتصل بعضها ببعض وتتصل هي بعظم المشط بمفاصل موثقة. والسلامية الأولى من الإهام تتصل بطرف الزند الأعلى بمفصل واسع سلس.
- ١٠- وأما عظام الرجل فتسعة وعشرون عظما. أولها عظم الفخذ، وهو عظم واحد محذب الخارج أخمص الداخل، له طرف مستدير في أعلاه يسمى رمانة الفخذ، وله من ناحية أسفل طرف يدخل في نقرة الزند الأعظم من زندي الساق. والزندان هما من لدن الركبة إلى عظم الكعب، والأعظم منهما يسمى الزند الأسفل، والأصغر يسمى الزند الأعلى، ويلتقي طرفا الزندان عند الكعب.
- ١١- فيحدث في الرجل ثلاثة مفاصل: مدخل عظم الفخذ في الورك من ناحية خلف، ومدخل

طرفه الآخر في نقرة الزند الأعظم وهو مفصل الركبة وعلى هذا المفصل عظم مطبق عليه مستدر، فيه غضروفية تسمى عين الركبة، والثالث ملتقى الزندين، وهو الكعب، ويلاصق الكعب عظمان: أما من قدام، فعظم يسمى الزورقي، وأما من أسفل، فعظم العقب. ويتصل بهذين العظمين عظم الرسغ، وهو مؤلف من ثلاثة أعظم يلتئم منها شكل موافق له، ثم يتصل بهذا مشط القدم، وهو مركب من خمسة أعظم، ثم سلاميات الأصابع، وهي ثلاث لكل أصبع، ما خلا الإبهام فإن لها سلاميتين.

١٢- فمبلغ جميع العظام على رأي جالينوس مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما، سوى الأعظم الصغار التي حشيت بها خلل المفاصل وتسمى السمسمية، وسوى عظم الحنجرة والعظم الغضروفي الذي يقول بعض المشرحين بأنه في القلب. وإنما أضربنا عن أشكال اتصالات هذه العظام بعضها ببعض لأن الذي يتصور منها بالقول نزر بالإضافة إلى ما هو عليه الأمر في نفسه.

٣- في العروق:

١٣- والعروق المحسوسة صنفان: ضوارب وغير ضوارب. أما العروق الضوارب فهي مؤلفة إلا واحدا من طبقتين متشابهتي الأجزاء. الداخلة منهما ليفها ذاهب عرضا وهي أصلب وأغلظ. والخارجة ليفها ذاهب بالطول.

١٤- وهذه العروق الضوارب يظهر بالحس أنها خارجة من القلب، وذلك أنه يخرج من تجويفه الأيسر شريانان: أحدهما أصغر وطبقته واحدة، وهي أرق من إحدى طبقتي سائر الشرايين، وهذا العرق يدخل إلى الرئة وينقسم فيها، وأما الآخر، فهو أكبر كثيرا، وهو المعروف بالأهر. وهذا حين يطلع يتشعب منه شعبتان، فتصير إحداهما إلى التجويف الأيمن من تجويف القلب وهي أصغر الشعبتين، والأخرى تستدير حول القلب كما يدور ثم تدخل إليه وتتفرق فيه، ثم إن القسم الباقي من العرق النابت من تجويف القلب الأيسر بعد انشعاب هاتين الشعبتين منه ينقسم قسمين، فيأخذ أحدهما إلى أسافل البدن. ويأخذ الآخر إلى أعاليه.

١٥- والقسم الآخذ إلى أعالي البدن تنقسم منه في مصعده في الجانبيين شعب تتصل بما يحاذيها من الأعضاء، حتى إذا حاذى الإبطن خرجت منه شعبة مع العرق الإبطي الغير ضارب إلى اليد، وتنقسم فيه كتقسيمها آتفا، وتتصل منه شعب صغار بالعضل الظاهر والباطن من العضد وهو مع ذلك غائر مندفن، حتى إذا صار عند المرفق صعد إلى فوق قليلا حتى إن نبضه يظهر في هذا الموضع في كثير من الأبدان، ولا يزال تحت الإبطي ملاصقا له حتى يتزل عن المرفق قليلا، ثم إنه يغوص أيضا في العمق وتتشعب منه شعب شعيرية تتصل بعضل الساعد، إلى أن يقطع من الساند مسافة سالحة، ثم إنه ينقسم قسمين أيضا: فيأخذ أحدهما إلى الرسغ مارا على الزند الأعلى وهو العرق الذي يجسه الأطباء ثم يأخذ الآخر إلى الرسغ أيضا مارا على الزند الأسفل،

وهو أصغرهما، ويتفرقان في الكف، وربما ظهر لهما نبض في ظاهر الكف.
 ١٦- وإذا بلغ هذا القسم الأعلى موضع اللبنة، انقسم قسمين آخرين، وجاوز أحد هذين القسمين الودج الغائر ومر صاعدا حتى يدخل القحف، ويتصل في مروره منه شعب بالأعضاء الغائرة التي هنالك.

وإذا دخل القحف انقسم هنالك تقسما كثيرا، وصار منه الشيء المعروف بالشبكة المفروشة تحت الدماغ، ثم إنه بعد تقسمة يجتمع ويفور، فيخرج من هذه الشبكة عرقان متساويان في العظم كحاهما قبل الانقسام، ويدخلان حينئذ جرم الدماغ، فينقسمان فيه.
 ١٧- وأما القسم الآخر من هذين القسمين وهو أصغرهما فإنه يصعد إلى ظاهر الوجه والرأس. ويتفرق فيما هنالك من الأعضاء الظاهرة كتفرق الودج الظاهر.

وقد يظهر نبض هذا القسم خلف الأذن وفي الصدغ. فأما النبض الظاهر عند الودجين فإنه نبض القسم العظيم المحاور للودج الغائر، ويسمى هذان الشريانان شرياني السبات.
 ١٨- وأما القسم النابت من القلب إلى أسافل البدن، فإنه يركب خرز الصلب نازلا إلى أسفل، وتشعب منه عند كل خرزة شعب بمنة ويسرة وتتصل بالأعضاء المخاذية لها، وأول شعبة تتشعب منه شعبة تأتي الرئة، ثم شعب تأتي العضل الذي بين الأضلاع، ثم شعبتان تأتيان الحجاب، ثم شعب تأتي المعدة والكبد والطحال والثرب والأمعاء والكلية والأرحام والأنثيين والمثانة والقضيب وشعب تخرج منه حتى تتصل بالعضل الخارج.

المخاذية لهذه المواضع. حتى إذا جاء إلى آخر الخرز انقسم قسمين. وأخذ كل قسم منهما نحو إحدى الرجلين وانقسما فيهما كتقسيم العروق، إلا أنهما غائران. ويظهر نبضهما عند الأربيتين.

وعند العقب تحت الكعبين، وفي ظهر القدمين بالقرب من الوتر العظيم.

٤- في العروق غير الضواري:

١٩- والعروق غير الضواري هي من طبقة واحدة، وتوجد بالحس متشعبة من عرق عظيم في محذب الكبد يسمونه الأجوف وإذا طلع هذا العرق لم يمر كبير شيء حتى ينقسم بقسمين: أحدهما: وهو الأعظم يأخذ إلى أسافل البدن.

والثاني: يأخذ إلى أعالي البدن.

وهذا الأعلى يمر حتى يلاصق الحجاب. وينقسم منه هنالك عرقان يتفرقان في الحجاب، ثم ينفذان الحجاب، حتى إذا نفذاه انقسمت منهما عروق دقيقة واتصلت بالغشاء الذي يقسم الصدر بنصفين وبغلاف القلب والغدة التي تسمى التوتة وتفرقت فيها، ثم تشعب منه شعبة عظيمة تتصل بالأذن الأيمن من أدنى القلب وتنقسم هذه الشعبة ثلاثة أقسام:

أحدها: يدخل التحوييف الأيمن من تحوييف القلب، وهو أعظم هذه الأقسام.

والثاني: يستدير حول القلب من ظاهره وينبث فيه كله.

والثالث: يتصل بالناحية السفلى من الصدر. ويعذو ما هنالك من الأجسام.

٢٠- وإذا جاوز القلب مر على استقامة إلى أن يخاذي الترقوتين. ويتقسم منه في مسلكه هذا شعب صغار في كل واحد من الجانبين. وتخرج منها شعب إلى العضل الخارج المحاذي لتلك الأعضاء الداخلة.

وعند محاذاته للإبط يخرج منه إلى خارج شعبة عظيمة تأتي اليدين من ناحية الإبط. وهو المسمى بالسليق.

فإذا حاذى من الترقوة الوسط وهو موضع اللبة انقسم قسمين: فصار أحدهما إلى ناحية اليمين، والآخر إلى ناحية اليسار. وانقسم كل واحد من هذين القسمين إلى قسمين: فركب أحد القسمين الكتف وجاء إلى اليد من الجانب الوحشي، وهو العرق المسمى القيغال، وانقسم الثاني قسمين، في كل جانب يمر أحدهما غائرا صاعدا في العنق حتى يدخل القحف.

وفي مروره في العنق إلى أن يدخل الدماغ، تتشعب منه شعب صغار تتصل بما في العنق من الأعضاء الداخلة، ويسمى هذا القسم الودج الغائر، وأما الثاني، فيمر صاعدا في الظاهر حتى ينقسم في الوجه والرأس والعين والأنف وهو الودج الظاهر.

٢١- وتتشعب من العرق الكتفي في مروره بالعضد شعب صغار تنبث في العضد. وتتشعب أيضا من الإبطي شعب صغار تتصل أيضا بباطن العضد. وإذا قارب العرق الكتفي والعرق الإبطي مفصل المرفق انقسما: فأحد أقسام العرق الكتفي يمازج قسما من العرق الإبطي، ويتحدان فيكون منهما عند المرفق العرق المسمى الأكحل.

والقسم الثاني من أقسام العرق الكتفي يمتد في ظاهر الساعد، ويركب بعد ذلك الزند الأعلى، وهو المسمى جبل الذراع، وقسم من العرق الإبطي وهو الأسفل مكانا يمر في الجانب الداخل من الساعد حتى يبلغ رأس الزند الأعلى، ويكون من بعض شعبه العرق الذي بين الخنصر والبنصر، المسمى الأسليم.

٢٢- وأما القسم الذي يأخذ إلى أسفل البدن، فإنه يركب خرز الظهر آخذا إلى أسفل، وتتشعب منه أولا شعب تأتي لفائف الكلى وأغشيتها والأجسام التي بالقرب منها، ثم تتشعب منه شعبتان عظيمتان تدخلان في تجويف الكلى، ثم شعبتان تصيران إلى الأنتيين، ثم يتشعب منه عند كل فقارة عرقان يمران في الجانبين ويتصلان بالأعضاء القريبة منهما، ما كان منها داخلا كالرحم والمثانة، وما كان منها خارجا كمرق البطن والخاصرتين، حتى إذا بلغ آخر الخرز انقسم قسمين: يأخذ أحدهما إلى الرجل اليمنى، والآخر إلى اليسرى.

وانشعبت منه شعب تتصل بعضل الفخذين، منها غائرة ومنها ظاهرة، حتى إذا بلغ منتهى الركبة انقسم ثلاثة أقسام: فمر قسم منها في الوسط واتصل بشعب له بجميع عضل الساق

الداخل والخارج، ومر قسم في الجانب الداخل من الساق حتى ظهر عند الكعب الداخل، وهو الصافن، والقسم الآخر يمر في الجانب الظاهر من الساق، وهو غائر إلى ناحية الكعب الخارج، وهو عرق النسا.

٢٣- وتنشعب من كل واحد من هذين عند بلوغه القدم شعب تتفرق في القدم، فتكون الشعب التي هي من القدم في ناحية الخنصر والبصر من شعب عرق النسا، والتي في ناحية الإهام من شعب الصافن.

٥- في العصب:

٢٤- وهذه الأجسام تظهر متصلة رءوسها إما بالدماغ وإما بالنخاع. ولذلك قد يظن أن منهما نشوء جميعها. والنخاع يرى متصلاً رأسه بمؤخر الدماغ مستجنا بغشائه ممثداً إلى أن يبلغ العظم المسمى العصعص. ولذلك قد يظن أيضاً أنه ينشأ من الدماغ.

٢٥- ويتصل بالنخاع عند كل ملتقى خرزتين منه رءوس زوج من العصب، يأخذ أحدهما بمنة والآخر يسرة، حتى ينتهي إلى آخر العصعص، فيتصل بأسفله رأس عصبية واحدة. وكذلك، يتصل بالدماغ رءوس سبعة أزواج من العصب.

الزوج الأول عصبتان تظهران كأنهما تنشآن من الدماغ وتتصلان بالعينين. وهاتان العصبتان مجوفتان. فإذا بعدتا من الدماغ اتصلتا وأفضى ثقب كل واحد منهما إلى صاحبه، ثم تفترقان وهما بعد داخل القحف ثم تخرجان وتصير كل واحدة منهما إلى العين التي تليها من جانبها. والزوج الثاني يرى كأنه ينشأ من خلف منشأ الزوج الأول، ويخرج من القحف في الثقب الذي في قعر العين، ويتفرق في عضل العين.

والزوج الثالث يظهر أيضاً كأنه ينشأ من خلف منشأ الزوج الثاني من حيث ينتهي البطن المقدم إلى البطن الثاني، ويخالط الزوج الرابع الذي بعده، ثم يفارقه وينقسم أربعة أقسام: أحدها يتزل إلى البطن إلى ما دون الحجاب، والباقية منها ما يتفرق في أماكن من الوجه والأذن والأنف، ومنها ما يتصل بالزوج الذي بعده.

والزوج الرابع منشؤه من خلف منشأ الزوج الثالث، ويتفرق في الحنك.

والزوج الخامس يصير بعضه إلى الأذن، وبعضه إلى عضل الخد.

والزوج السادس يصير بعضه إلى الحلق واللسان، وبعضه يصير إلى العضل الذي في ناحية الكتف وما حواليتها.

وبعضه ينحدر في العنق، وتنشعب منه في مروره شعب يتصل بعضها بعضل الخنجرة، وإذا بلغت إلى الصدر انقسمت أيضاً فراجع بعضها صاعداً حتى يتصل بعضل الخنجرة ويتفرق شيء منها في غلاف القلب والرئة والمرئ، وما جاورها. ويمر الباقي (١) وهو أكثره حتى ينفذ في الحجاب، ويتصل بقم المعدة منه أكثره، ويتصل الباقي بغشاء الكبد والطحال وسائر الأحشاء،

ويتصل به هنالك بعض أقسام الزوج الثالث.

والزوج السابع يتدئ من مؤخر الدماغ حيث منشأ النخاع، ويتفرق في عضل اللسان والحنجرة.

٢٦- ويظهر بالحس كأنه ينشأ من النخاع أحد وثلاثون زوجا من العصب وفرد لا مقابل له (١). ثمانية أزواج منها تخرج ما بين خرز العنق، وأثنا عشر زوجا من خرز الظهر إلى حيث يقابل من الظهر الصدر، وخمسة أزواج من خرز القطن وهو أسفل الظهر، وثلاثة من عظم العصعص، وفرد لا مقابل له يخرج من طرف عظم العصعص من وسطه.

٢٧- فالزوج الأول يخرج من الثقب الذي في الفقارة الأولى من فقار العنق، ويصعد حتى يتفرق في عضل الرأس. والثاني يخرج ما بين الثقب الملتئم فيما بين الفقارة الأولى والثانية.

وينقسم قسمين: فيتصل بجلدة الرأس بعضه وبعضه بعضل العنق وعضل الكتف والزوج الثالث يخرج من الثقب الملتئم فيما بين الفقارة الثانية والثالثة، وينقسم قسمين: فبعضه يصير إلى بعض العضل الذي في الخد، وبعضه يتفرق في العضل الذي بين الكتفين.

والزوج الرابع منشؤه فيما بين الفقارة الثالثة والرابعة، وينقسم قسمين: يأخذ أحدهما في العضل الذي في الظهر، والآخر يأخذ إلى قدام ويتفرق في العضل الموضوع بمحذاته وفوقه.

والخامس يخرج فيما بين الفقارة الرابعة والخامسة، وينقسم أقساما: بعضها يصير إلى الحجاب، وبعضها يصير إلى بعض العضل الذي في الرأس والرقبة، وبعضها إلى عضل الكتف.

والسادس منشؤه مما بين الفقارة الخامسة والسادسة والسابع منشؤه مما بين السادسة والسابعة والثامن مما بين السابعة والثامنة وهي آخر فقار العنق. وينقسم العصب الخارج من هذه كلها.

فيصير بعض في عضل الصدر والرقبة، وبعض في عضل الصلب وفي الحجاب، ما خلا الزوج الثامن فإنه لا يأتي الحجاب منه شيء.

وبعضها يصير إلى العضد وإلى الذراع وإلى الكتف. ومن الزوج السادس يتصل بعض بعض بعضل الكتف وبعض بالعضد ومن السابع يصير بعض إلى العضل الذي في العضد. وبعض يتفرق في

جلدة العضد الباقي. وبعض من الزوج الثامن ينبت في جلدة الذراع، وبعضه يصير في عضل الذراع. والزوج التاسع يخرج ما بين الخرزة الثامنة والتاسعة. وهو أول العصب الخارج من

خرز الظهر.

وينقسم بعضه في العضل الذي فيما بين الأضلاع، وبعضه في عضل الصلب، وبعضه يتزل إلى الكتف وينبت فيه. والزوج العاشر يخرج ما بين الخرزة التاسعة والعاشرة، ويصير منه جزء إلى

جلدة العضد. وباقيه ينقسم: فيأخذ منه قسم إلى قدام ويتفرق في العضل الذي فيما بين الأضلاع، والعضل الملبس على الصدر، والآخر يتفرق في عضل الظهر والكتف. وعلى نحو

هذا يكون خروج العصب وتفرقه إلى التاسع عشر.

والزوج العشرون وهو أول العصب الخارج من خرز القطن يخرج ما بين الفقارة التاسعة عشرة والعشرين. وعلى هذا القياس إلى أن تخرج خمسة أزواج من بين هذه الخرز، ويصير بعضها إلى قدام فيتفرق في العضل الذي على البطن، وبعض يتفرق في العضل الذي على المتن. ويخالط الثلاثة أزواج العليا منه عصب ينحدر من الدماغ، والزوجان اللذان تحت هذه الثلاثة ينحدر منهما شعب كبار إلى السق، حتى يبلغ طرف القدم.

والزوج الخامس والعشرون وهو أول العصب الخارج من أول عظم العجز يخرج من العظم الأول من عظام العجز الأول من العظم الأول والثاني من الثاني، والثالث من الثالث. وكلها يخالط العصب الخارج من أسفل الظهر، ويتزل منها إلى الرجلين شيء كثير. وأما الثلاثة الخارجة من عظم العصعص والفرد الخارج فكلها تنبت في القضيب وفي عضل المقعدة وفي المثانة وفي العضل الموضوع بقرب هذا الموضوع.

٢٨- وأما الرباطات فجوهرها فيما بين جوهر العظم وجوهر العصب، ومنشؤها من أطراف العظام المفصليّة.

٢٩- وأما الأوتار فإنها متوسطة بين الرباطات والعصب، ومنشؤها من العصب الجائي إلى العضل ومن الرباط النابت من العظم.

٣٠- وأما اللحم فإنه ثلاثة أنواع: أحدها نوع اللحم المختلط مع العصب والوتر، ويقال له العضل، وهذا أكثر ما يكون في البدن، وهو يذكر في الأعضاء الآلية والنوع الثاني نوع اللحم المفرد، والليف فيه كثير. وهذا النوع أقل ما في البدن، والنوع الثالث نوع اللحم الغددي، واللحم المفرد منه ما هو في الفخذ، ومنه ما هو في باطن الصلب، ومنه اللحم الذي بين الأسنان. وأما اللحم الغددي، فكالذي في الأنتيين وفي الثديين وفي أصل اللسان، وكاللحم الذي تحت الإبطين والأريبتين وخلف الأذنين وفي العنق، ومن هذا النوع اللحم الذي حول الأمعاء والعروق.

٣١- وأما الأغشية، فسندكرها عند ذكر الأعضاء المركبة التي في داخل الجوف، إذ كان ذلك أخص بها.

٣٢- وأما الأخلاط المشاهدة في بدن الإنسان فأربعة: الدم والبلغم والمرّة الصفراء والمرّة السوداء.

٣٣- ومن هذه الأعضاء البسيطة: الجلد والأظافر والشعر، والأمر فيها بين. ومنها الروحان: الروح المشاهد في القلب. والروح المشاهد في الرأس، وأما الكبد فليس يظهر فيها بالخص روح.

٣٤- فهذه جملة القول في الأعضاء البسيطة الذي نظن به أنه كاف في هذا الغرض. ومن أحب ههنا أن يزيد في ذلك فليزد. فلنسر بعد إلى الأعضاء الآلية، ونبتدئ من أبسطها وهو العضل.

٦- القول في العضل:

٣٥- العضل جسم مركب من لحم أحمر ورباط وعصب وغشاء يعلوه، وهو ملبس فوق العظام

مرتبطة برباطات تنشأ من العظم. وذلك أن العصبه إذا بلغت إلى الطرف الأعلى من العضلة انقسمت إلى أقسام واختلطت بليف لحم العضلة، ونبت من العظم الموضوع تحت العضلة رباط واختلط مع العصب واللحم.

فصار من جملة ذلك الجسم المسمى عضلة. فإذا صارت أقسام العصب إلى الطرف الأسفل من العضلة. اتحدت أجزاء العصب مع أجزاء الرباط على الانفراد من غير أن يخالطها شيء من اللحم. فصار منه جسم يسمى وترًا. ويمر هذا الوتر حتى يتصل من ذلك العضو بالطرف الأسفل.

٣٦- وجملة ما في البدن من العضل على رأي جالينوس خمسمائة وتسع وعشرون عضلة.

٣٧- وهذه الأقسام فيما زعموا تختلف بالشكل والمقدار والوضع، وفيما ينبت منها من الوتر وفي هيئة تركيبها. أما اختلافها في المقدار، فإن منها ما هو عظيم ومنها ما هو صغير.

فالعظيم بمرتلة العضل الموضوع على الفخذ، والصغير كالعضل الموضوع على العين. وأما اختلافها في الشكل، فإن منها ما هو مثلث بمرتلة العضل الموضوع على الصدر، ومنها ما هو مدور بمرتلة العضل الموضوع حول المثانة. وأما اختلافها في التركيب، فلأن من العضل ما لا يختلط لحمه بالعصب.

وأما اختلافها فيما ينبت من الوتر منها، فإن منها ما ينبت الوتر فيه من عضلتين. ومنها ما ينبت من كل عضلة وتران أو ثلاثة، وذلك للحاجة. وأما اختلافها من قبل الوضع، فإن منها ما وضعه باستقامة العضو. ومنها ما ليس كذلك.

٣٨- ووصف هذه الأشياء في عضل عضل مما يطول، وليس له كبير جدوى في هذه الصناعة - أعني الصناعة التي تفعل بالغذاء والدواء - وأما التي تفعل بالحديد، فله كبير منفعة. وأيضاً فإنه ليس يحصل في تصور ذلك عن القول شيء له قدر. وسنعدد هذه العضل عند تعدينا منافعها وذلك في كتاب الصحة.

٧- في الرأس:

٣٩- والرأس شكله الطبيعي شكل مستدير، فيه تفرطح قليل من الجانبين جميعاً، كما لو توهمت كرة شمع قد غمرت على جانبيها. وله في داخله تجاويف يفضي بعضها إلى بعض تسمى بطون الدماغ: اثنان منها في مقدم الدماغ، وواحد في وسطه، وآخر في مؤخره. وعند اتصالات هذه البطون بعضها ببعض أجسام شكلها شكل موافق لسدها في بعض الأحيان ولفتحها في أخرى.

٤٠- وللدماغ زائدتان تتبان من بطنيه المقدمين، شبيهتان بجمليتي الثدي، تبلغان إلى العظم الشبيه بالمصفي، وهو عظم مثقب ثقبا كثيرة على غير استواء بل مشاشي، وموضعه من القحف حيث ينتهي إليه أقصى الأنف. وللدماغ غشاءان: أحدهما صلب غليظ، والآخر رقيق. والرقيق

ملاصق للدماغ، وهو المسمى أم الرأس، ويخالطه في مواضع. والغليظ ملاصق للقحف، وملاصق للدماغ في أمكنة منه. وهذا الغشاء الصلب مثقب ثقبا كثيرة في موضعين: أحدهما عند الثقب الذي في أقصى الأنف المسمى المصفي، والآخر عند العظم الذي في الحنك، وهذا العظم أيضا مثقب. وتحت الدماغ، تحت الغشاء الغليظ توجد الشبكة العجيبة التي تتكون من الشرايين الصاعدة إلى الرأس.

٤١- وأما النخاع، فإن الفقار محتو عليه احتواء قحف الرأس على الدماغ، ويحيط به غشاءان منشؤهما من غشائي الدماغ، ومنه يخرج العصب الذي يتصل به.

٨- في هيئة العين:

٤٢- العين مركبة من سبع طبقات وثلاث رطوبات. فأولها، مما يلي القحف، طبقة غشائية تنشأ من الغشاء الغليظ من أغشية الدماغ، وتسمى الطبقة الصلبة، ثم تليها إلى خارج طبقة أخرى غشائية تنشأ من الغشاء الرقيق من أغشية الدماغ، وتسمى هذه الطبقة المشيمية، ثم يلي هذه طبقة شبيهة بالشبكة تنشأ من نفس العصبة الخارجة من الدماغ ثم في وسط هذا الغشاء جسم لين رطب يسمى الرطوبة الزجاجية، وفي وسط هذا الجسم جسم كروي (١) إلا أن فيه أدنى تفرطح شبيه بالجليد في صفاته.

ويسمى هذا الرطوبة الجليدية، وهذا الجسم مغوص في الرطوبة الزجاجية إلى النصف، ثم يلي النصف الآخر الذي بجهة الهواء من الرطوبة الجليدية جسم شبيه بنسج العنكبوت في غاية الصقالة والصفاء يسمى الطبقة العنكبوتية، ثم يلي هذا الجسم إلى خارج رطوبة في لون البيض تسمى الرطوبة البيضية.

٤٣- ويعلو هذه الرطوبة إلى خارج جسم رقيق يحمل الداخل حيث يلي البيضية أملس الخارج، ويختلف لونه في الأبدان فرمما كان شديد السواد وربما كان دون ذلك وربما كان أزرق، وفي وسطه حيث يحاذي الجليدية ثقب يتسع ويضيق في حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية إلى الضوء فيه، فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع في الظلمة.

وهذا الثقب هو المسمى حدقة، وهذا الغشاء يسمى الطبقة العنبية، ويلي هذه الطبقة مغشيا لها جسم كثيف صلب صاف شبيه بصفيحة رقيقة من قرن أبيض، وتسمى القرنية، وهي تتلون بلون الطبقة التي تحتها الطبقة العنبية.

٤٤- ويعلو هذا الجسم جسم أبيض اللون صلب يسمى المتحجم إلا أنه لا يغطي منه موضع سواد العين، وهذا هو بياض العين، ونباته من الجلد الذي يلي القحف من خارج. ونبات القرنية من الطبقة الصلبة، ونبات العنبية من المشيمية، ونبات العنكبوتية من الشبكية.

٩- في هيئة الأنف:

٤٥- مجريا الأنف إذا علوا تقسما قسمين: فيفضي أحدهما إلى أقصى الفم، ويمر الآخر صاعدا حتى

ينتهي إلى العظم الشبيه بالمصفي الموضوع في وجه زائدي الدماغ الشبهتين تخلمي الثدي،
وهذه المجاري ملبسة بغشاء غليظ منشؤه من غشاء الفم.

١٠- في هيئة الأذن

٤٦- إن مجرى الأذن في عظم صلب يسمى الحجري، وهو كثير التعاريج، ويمر كذلك إلى أن يلقى
العصبة الخامسة النابتة من الدماغ التي ينشأ منها الغشاء الذي ينسبط على العظم الحجري.
وأما الجسم الغضروفي الذي من خارج، وهو المسمى الأذن. فأمره بين.

١١- في هيئة اللسان

٤٧- اللسان لحم رخو أبيض قد التفت فيه عروق صغار كثيرة فيها دم، وفيه عروق وشريانات،
وأعصاب كثيرة فوق ما يستحق قدره من العظم وهو مغشي بغشاء الفم. وتحت فوهتان
تفضيان إلى اللحم الغددي الموضوع تحت أصله.

١٢- في هيئة الحلق والفم

٤٨- إن أقصى الفم يفضي إلى مجريين: أحدهما من قدام، وهو الحلقوم، ويسمى قصبه الرئة،
والآخر موضوع من خلف، من ناحية القفا على حزر العنق، ويسمى المريء، وفيه ينفذ الطعام
والشراب. فأما الحلقوم، فإنما يخترقه وتنفذ فيه الريح التي تدخل وتخرج بالتنفس، وقد جعل له
صمام يلزمه وينطبق عليه في وقت الازدراء لأن لا يدخل فيه شيء مما يزدرد، لأنه متى دخل
فيه شيء أهاج ذلك سعالاً.

وقد هيئت في هذا الموضع آلة يكون بما الصوت، أعني عند فم الحلقوم. وهذه الآلة هي العضو
المسمى الحنجرة، وهو مؤلف من ثلاثة غضاريف تأليفاً موافقاً شبيه بأنبوب المزمار، وفي هذا
التجويف هو الجسم الشبيه بلسان المزمار. وهناك عضل كثير.

١٣- في هيئة الصدر والرئة

٤٩- إن تجويف البطن كله من لدن الترقوة إلى عظم الخاصرة ينقسم إلى تجويفين عظيمين: أحدهما
فوق، يحوي الرئة والقلب. والثاني أسفل، يحوي المعدة والأمعاء والكبد والطحال والمرارة
والكلى والمثانة والأرحام. ويفصل بين هذين التجويفين العضو الذي يسمى الحجاب.

وهذا الحجاب يأخذ من رأس القص ويمر بتأريب بصعوبة إلى أسفل في كل واحد من الجانبين.
حتى يتصل بحزر الظهر عند الخرزة الثانية عشرة ويصير حاجزاً بين ما فوقه وما تحته، ثم ينقسم
هذا التجويف الأرفع إلى قسمين يفصل بينهما حجاب، ويمر في الوسط حتى يلصق أيضاً بحزر
الظهر، ويسمى هذا التجويف الأعلى كله صدراً. وحده من فوق: الترقوتان، ومن أسفل:
الحجاب القاسم للبطن عرضاً. فهذه هيئة الصدر.

٥٠- وأما هيئة الرئة. فإن قصبتهما تتدنى من أقصى الفم على ما ذكرنا حتى إذا جاءت إلى ما دون الترقوة
انقسمت قسمين. وينقسم كل قسم منهما أقساماً كثيرة. واتسجج واحتشا حواليها لحم الرئة.

فصار من جملة هذا القصب المنقسم والعروق التي تحتها واللحم الذي يحتمشي حوالها بدن الرئة. فنصف الرئة في تجويف البطن الأيمن. والنصف الآخر في تجويف البطن الأيسر. فأما قصبته فإنها مهيأة مؤلفة من غضاريف هي على شكل الدوائر، لكنها ليست بدوائر تامة بل مقدار ثلث دائرة. ويصل بين طرفيها غشاء لين يمر على حط مستقيم. ويصل ما بين هذه الحلقات أغشية لينة ليفية. فأما الحلقت نفسها فصلبة غضروفية، وحادية هذه الحلقت تلي ظاهر البدن وتلمس باليد، وأما الموضع المستقيم منها فيلاصق المريء. فإن أنت توهمت أنبوتني قصب شقت إحداهما بقسمين، أحد القسمين على الثلث والآخر إلى الثلثين، وألصق على ما شق في القسم الأكبر منها كاغد ثم جيء به فضم إلى الأنبوبة الأخرى وألصق بها حيث هذا الكاغد، كنت قد لاحظت هيئة قصبه الرئة والمريء على كنهيهما.

١٤- في هيئة القلب

٥١- شكل القلب كشكل صنوبرة منكوسة. رأسها المخروط إلى أسفل البدن وأصلها إلى أعاليه. وله غلاف من غشاء كثيف يحيط به. غير أنه ليس بملتصق به كله، لكن يلتصق به عند أصله. وهو موضوع في وسط الصدر، إلا أن رأسه يميل إلى ناحية اليسار قليلا. والشريان العظيم إنما ينبت من هذا الجانب، فيتبين النبض في هذه الجهة. ولذلك ظن قوم أن القلب موضوع في هذا الجانب.

وللقلب بطنان عظيمان: إحداهما في الجانب الأيمن، والآخر في الجانب الأيسر، وعند أصله ومنبته شيء شبيه بالغضروف، وكأنه قاعدة لجميع القلب ومن البطن الأيمن إلى البطن الأيسر منافذ للبطن الأيمن فوهتان: إحداهما فوهة العرق المتصل بالكبد. الذي يرى جالينوس أنه نابت من الكبد ويرى أرسطو أنه نابت من القلب، وعلى هذه الفوهة أغشية ثلاثة تفتح عند دخول الدم منه ثم تنسد انسدادا محكما. والفوهة الثانية هي فوهة العرق الذي يتصل من هذا التجويف بالرئة، وهو عرق غير ضارب، إلا أن أغشيته غلاظ، وهو شبيه بالشريان. وعلى هذه الفوهة الثانية أغشية تفتح إلى خارج ولا تفتح إلى داخل، بخلاف الأغشية التي على الفوهة الأخرى.

وفي البطن الأيسر فوهتان: إحداهما فوهة الشريان العظيم، وعلى فمها أغشية ثلاثة تفتح من داخل إلى خارج، والثانية فوهة الشريان الذي يتصل بالرئة، وعلى هذه الفوهة غشاء يفتح من خارج إلى داخل. وله زائدتان شبيهتان بالأذنين، إحداهما يمنة والأخرى يسرة. والرئة مجللة للقلب. وهو ذو ليف كثير مختلف الوضع.

١٥- في هيئة المعدة والمريء:

٥٢- قد قيل أعلاه في هيئة الحلقت والفم إن في أقصى الفم منفذين: أحدهما منفذ النفس إلى الرئة، وهو المسمى قصبه الرئة، والثاني منفذ الطعام والشراب، وهو المريء. وهذا المجرى المسمى

مريئا مؤلف من طبقتين: إحداهما من خارج، وهي طبقة لحمية ليفها ذاهب عرضا، والأخرى من داخل، عصبية ليفها ذاهب طولاً، وفيه شيء من الليف ذاهب ورابا وهو موضوع خلف على حرز العنق، ويمتد نازلاً إلى أسفل حتى ينفذ إلى الحجاب. وهو مشدود مع الحرز بأغشية تربطه، حتى إذا نفذ الحجاب اتسع، ويكون هنالك العضو المسمى المعدة.

وإذا هو نفذ الحجاب، مال إلى الجانب الأيسر قليلاً فلذلك رأس المعدة مائل إلى الجانب الأيسر وقعرها مائل إلى الجانب الأيمن، وإن أنت توهمت قرعة مستديرة طويلة العنق يتصل بها من أسفلها عنق آخر، كنت قد لاحظت هيئة المعدة والمرء غير أن المعدة من الجانب الذي يلي الظهر مستطيلة قليلاً. وأحد رأسها وهو الأعلى هو المريء، والأسفل هو ابتداء المعى.

وهو المسمى البواب وهي مربوطة مع الفقار ومع غيره من الأحشاء برباطات وثيقة تمسكها. وجسم المعدة مؤلف من ثلاث طبقات: إحداهما يأخذ ليفها ذاهباً طولاً، وفيها ليف ذاهب ورابا وهي الداخلة، وهذه الطبقة عصبية، والخارجة لحمية، وليفها ذاهب عرضاً.

١٦- في هيئة الأمعاء:

٥٣- الأمعاء مؤلفة من طبقتين، ولها ليف ذاهب عرضاً فقط وعلى الطبقة الداخلة لزوجات قد أبستها الطبيعة إياها. وجميع الأمعاء ستة: ثلاث دقاق وهي العليا، وثلاث غلاظ وهي السفلى.

فأول الدقاق هو المعى المتصل بأسفل المعدة. ويسمى الاثني عشر أصبعاً، ويتلوه معى يسمى الصائم، وهذان جميعاً منتصبان قائمان ممتدان في طول البدن، والفوهات التي بها تتصل بالكبد في هذا المعى أكثر منها في سائر الأمعاء.

ويتلو الصائم معى يسمى الدقيق، وهو ملتف تلافيف كثيرة. وسعة هذه الأمعاء الثلاث كلها بقدر سعة المعى المسمى البواب. ويتلوه المعى المعروف بالأعور، وهو معى واسع وليس له منفذ ولا مجرى، لكن كأنه وعاء أو كيس، لأن له فما واحداً يدخل إليه ما يترل في وقت ويخرج منه في آخر من ذلك الفم بعينه، وهو موضوع في الجانب الأيمن. ويتلوه المعى المسمى القولون. وابتدأؤه من الجانب الأيمن ويأخذ في عرض البطن إلى الجانب الأيسر. ويتلوه المعى المسمى المستقيم. وهذا المعى له تجويف واسع يجتمع فيه النفل كما يجتمع البول في المثانة، وعلى فمه وهو الدبر عضل.

١٧- في هيئة الكبد:

٥٤- الكبد موضوعة في الجانب الأيمن تحت الضلوع العالية من ضلوع الخلف وشكلها هلالى له تقعر في الجانب الذي يلي المعدة وزوائد ربما كانت أربعة وربما كانت خمساً.

وتحتوي الكبد على الجانب الأيمن من المعدة. وحدبتها تلي الحجاب، وهي مربوطة برباطات تتصل بالغشاء الذي عليها. وتثبت من مقعر الكبد قناة تسمى باب الكبد، صورها صورة

عرق، لكنها لا تحوي دما.

وتنقسم أقساما، ثم تنقسم تلك الأقسام إلى أقسام كثيرة جدا. وتأتي منها أقسام كثيرة إلى قعر المعدة وإلى المعى المسمى: اثنا عشر إصبعا، وأقسام كثيرة إلى المعى الصائم، ثم تمر إلى سائر الأمعاء حتى تبلغ المعى المستقيم. والقناة التي في باب الكبد تنقسم أيضا في داخل الكبد إلى أقسام في دقة الشعر.

ويظهر من حدة الكبد عرق عظيم، منه تفرع جميع العروق التي في البدن على ما ذكرنا في تشريح العروق.

وأصل هذا العرق ينقسم في الكبد إلى أقسام في دقة الشعر فتلتقي مع الأقسام المنقسمة في الجرى الذي يسمى الباب.

والغذاء الكيلوسي يدخل الكبد من باها وينطبخ في تلك العروق حتى يعود دما، ثم يخرج من العرق العظيم الذي في حدها.

١٨- في هيئة الطحال:

٥٥- الطحال مطاول الشكل، وهو موضوع في الجانب الأيسر، مربوط برباطات تتصل بالغشاء الذي عليه. ويلزم المعدة من جانب، وضلوع الخلف من جانب آخر. وتبنت منه قناتان: إحداهما: تتصل بقم المعدة، والأخرى: بالكبد عند تقعرها.

١٩- في هيئة المرارة:

٥٦- والمرارة موضوعة على الكبد، ولها مجريان: أحدهما: يتصل بتقعر الكبد، والآخر: يتشعب فيتصل بالأمعاء العليا وبأسفل المعدة.

٢٠- في هيئة الكلى

٥٧- الكليتان موضوعتان عند جنبي حرز الصلب بالقرب من الكبد، والكلى اليمنى أرفع موضعا من اليسرى ولك واحدة منهما عنقان: يتصل أحدهما بالعرق العظيم الطالع من حدة الكبد. والثاني يمر سفلا حتى يتصل بالمثانة اتصالا عجيبا. وهذان المجران يسميان الحالبين.

٢١- في هيئة المثانة

٥٨- المثانة بين الدبر والعانة، وهي مؤلفة من طبقتين، وعلى فمها عضل، والبول يجيئها من الكلى في عنقها للذين يسميان الحالبين. وهذان المجران يأخذان على تأريب، ويمران طولا حتى ينفذا إلى داخل المثانة. وتنشأ من جرمها قشرة شبيهة بالغشاء تفتح إلى المثانة وتسد إلى جهة الكلى، وذلك لا شك لأن لا يرجع من البول شيء إلى الكلى.

٢٢- في هيئة مراق البطن:

٥٩- إن تحت العضل الملبس على البطن غشاء مدجا يسمى الصفاق. ووراءه الثرب، ووراء الثرب الأحشاء، ومنفعة هذا الغشاء ألا تبرز الأمعاء كما يعتري ذلك في الفتوق، ومنفعة الثرب

وفي تجويف القلب عظم لطيف ينحل سريعاً كصورة اللام سواء، إذا شق القلب سريعاً في أول الذبح لحق، وإلا لم يلحق وذاب.

والدماغ ينقسم ثلاثة أقسام: الأول السامت للوجه ويقال له بيت الخيال، والأوسط وهو الدماغ يقال له بيت الذكر، والثالث في مؤخرة الدماغ يقال له: بيت الفكر، وأي هذه فسد فسد ذلك الشيء المحدود به حتى يفسد الخيال والفكر والذكر، فاعلم ذلك، فهذا ما ينبغي أن تعلم كذا في ظاهره، فإن أراد المتعلم أن يقرأ كتبنا وبخاصة كتابنا هذا فليكن قد زاول هذه الصناعات على طريق البسط.

فأما باب الغذاء والمضوم والثلاثة فقد استوفينا الكلام فيه في كتاب التجميع

تسخين الأحشاء. وهذا ما يتعلق بمنافع هذه الأعضاء فذكره أليق بكتاب الصحة.

٢٣- في هيئة الأثنين والقضيب

٦٠- ينبت من عظم العانة جسم عصبي كثير التجايف واسعها. وتحت شريانات كثيرة واسعة فوق ما يستحقه قدره من العظم. وهذا الجسم هو القضيب.

ويتزل من الصفاق مجريان شبه البرنجين. ثم يتشعبان فتكون منهما الطبقة الداخلة من كيس البيضتين، وفيه البيضتان، وتجيء إلى ناحية البيضتين من أقسام العروق المنسفة لشعب تلتف لفائف كثيرة، ويحتوي عليها لحم غددي أبيض، وللأثنين مجريان يفضيان إلى القضيب.

٢٤- في هيئة الثدي

٦١- الثدي مركبة من شرايين وعروق وعصب قد حشيت بنوع من اللحم غددي أبيض. وهذه الشرايين والأوراد تنقسم في الثدي إلى أقسام دقاق، وتستدير وتلتف لفائف كثيرة.

٢٥- في هيئة الرحم

٦٢- الرحم موضوعة فيما بين المثانة إلى المستقيم، إلا أنها تفضل على المثانة إلى ناحية فوق. وهي مربوطة برباطات سلسلة، وهي في نفسها عصبية يمكن فيها أن تمتد وتتسع وتنضم وتقلص. ولها بطنان يتنهيان إلى فم واحد، وفي كل واحد من البطينين موضع مقعرة يقال لها النقر، وهي أفواه العروق التي يصير فيها دم الطمث إلى الرحم.

وللرحم زائدتان تسميان قرني الرحم، وخلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة وهما أصغر من اللتين للرجل. ورقبة الرحم تنتهي إلى الفرج من المرأة. وللفرج زوائد تقيه من البرد. وفم الرحم من البكر غضن، وقد نشأت في ما بين تلك الغضون عروق دقاق، وهو ذو طبقة واحدة مؤلفة من ليفين: أحدهما: ذاهب بالطول وهو أقل ما فيه، والآخر: ذاهب بالعرض.

وهذا القدر من القول في التشريح كاف ههنا. ومن شاء أن ينقل إلى ههنا أكثر منه، فليفعل.

بغاية البيان.

فأما القول في أقسام الطب كلها فقد توسعنا فيه في كتاب الطب الكبير، وإنما نذكر ههنا ما لاق بالأشياء اللطيفة المشكلة وخروج ما في القوة إلى الفعل. فمن ذلك العين، وهي مركبة من عشرة أشياء منها ثلاث طبقات وثلاث رطوبات، وأعني بالعين الناظر وما أحاط به من بياض العين لا الأجفان والآماق وما حولها، ومن ذلك الرحم وهو خمس قطع لكل قطعة منهم حد وصورة ودليل على ما يتكون فيه وأمثال ذلك.

فأما العين فإننا نبدأ بشرح حالها من داخلها إلى خارجها ليكون التعليم على سبيل التركيب، فأما الطبقات من داخل العين إلى خارجها فالطبقة المسماة الصلبة، وفوقها الطبقة المسماة المشيمية، وفوقها الطبقة الثالثة المسماة الشبكية، فوق هذه الشبكية رطوبة يقال لها: الزجاجية، وخلفها رطوبة ثانية يقال لها: الجليدية، وخلفها رطوبة ثانية يقال لها الجليدية، وخلفها رطوبة ثالثة المسماة البيضية، وما بين هاتين الرطوبتين أعني الجليدية والبيضية قشر رقيق شبيه بقشر البصلة وهي الطبقة العنبية، وخلفها الطبقة القرنية، وخلفها الطبقة الملتحمة، فهذه سبع طبقات وثلاث رطوبات كما ذكرنا.

وقد وقع بين الأطباء خلف في ذلك ومنازعة فمنهم من ذكر أن طبقات العين ست، وزعم أن نبات القرنية من الصلبة، ولم يسموا العنكبوتية طبقة وقالوا أنها جزء منها وبعض قال طبقتان فقط وذلك إثم لم يروا أن يسموا الصلبة طبقة، وبعض قال: الطبقات خمس طبقات، وذلك أن المشيمية ليست بطبقة أيضا، وذلك أن نبات العنبية منها.

وبعض قال: أربع، وذلك أنهم لم يروا أن يسموا الطبقة الشبكية طبقة، واحتجوا في ذلك بأن قالوا: إن الطبقة توقي عليه، وليس بالشبكية على ذلك ولكنها تغذو فقط. وبعض قال: ثلاث طبقات، وذلك أنهم لم يروا أن يسموا الطبقة الخارجة طبقة. وقالوا: إنها زنار العين، فهذا ما في طبقات العين من القول، فأما منافع هذه الطبقات وصفة وضعها ونشوءها والعلل التي فيها ولم صارت كذلك، وألوان العين

وطباعتها وعللها وعلاجات أو صابها وحدود ما فيها ففي كتابنا المرسوم بالعين، وأنا أذكر ههنا ما يليق ببديع العالم وصنع الطبيعة.
وإذا قد أتينا على ما في العين فلنقل الآن في الرحم بحسب القول، إن شاء الله تعالى.

فنقول: إن الرحم خمس طبقات، ليس بمعنى طبقات العين طبقة على طبقة ولكن تصوره بيت منها إلى جنب بيت منها: اثنان من الجانب الأيمن، واثنان حيالهما من الجانب الأيسر مساوية للأيمن سواء، وبيت خامس في الصدر من الرحم.
فأما البيت الأول الأسفل من الرحم الأيمن فإن جميع ما يتكون فيه أنثى، والبيت الأعلى منه - أعني الأيمن فإن المتكون فيه ذكر-، والبيت الأول الأسفل من الرحم الأيسر فإن جميع ما يتكون فيه ذكر، والبيت الأعلى منه أعني الأيسر فإن المتكون فيه أنثى، والبيت الذي في صدر الرحم فإنه يتكون فيه الخنثى.
فأما طبيعة الأول الأسفل الأيمن فبارد رطب، وطبيعة البيت الثاني الأعلى الأيمن فحار رطب.

ولذلك من يولد منه من الذكران يكون رخوا رطبا ناعما تام، الخلقه مليح الشكل لأن مجرى الحرارة في الرطوبة أنفذ من مجرى الحرارة في اليبوسة، لأن الحرارة غذاء النار.

وأما طبيعة الأول الأسفل الأيسر فبارد يابس، وطبيعة البيت الأعلى الثاني الأيسر فحار يابس شديد الحرارة واليبوسة.

ولذلك من يولد فيه من النساء تكون قبيحة شريرة خبيثة، وربما كانت جميلة جافية الأعضاء.

وأما طبيعة البيت الخامس الذي في صدر الرحم فكاد أن يكون عادما للحرارة، ولكن فيه من الحرارة يسير النشوء فقط كمثل الحرارة التي في السمك، فاعلم ذلك وقايس عليه إن شاء الله تعالى.

القول في العلل^(١)

اعلم أن أنواع العلل تابعة لأنواع تراكيب الطبائع، والطبائع التي تكون منها العلل تابعة للرطوبات التي في الجسم المريض، أعني الصفراء والدم والبلغم والسوداء. وهي إما أن تكون العلل منها مفردة وتكون خالصة كالحمي الصفراوية والبيرقان والخبول الصفراوي أو البلغمي الخالص وما أشبه ذلك، وكثوران الدم وحمرة اللون والحمي الدموية والسكتة الدموية وذات الجنب والرئة وما أشبههما من العلل الدموية، والخبول السوداء والتشنج والقوباء والآثار في الجسم كالسلع والسرطان وما أشبههما، وكالفالج والسكتة الباردة والليمة والقوة والبرص وما أشبهه مما هو منسوب إلى البلغم.

(١) قال ابن رشد: [١- تعريف المرض مفهوم من تعريف الصحة]

١- إن حد المرض مفهوم من حد الصحة. إذ كان مقابله. ولما كانت الصحة هي حال في العضو بما يفعل الفعل الذي له بالطبع أو ينفع الانفعال الذي له، لزم ضرورة أن يكون المرض حالة في العضو بما يفعل على غير المجرى الطبيعي أو ينفع.

٢- وقد ينبغي أن نفعل أولا في تعريف أنواع المرض ما فعلناه في تعريف أنواع الصحة: فنعرف أولا ما هي هذه الحال وأنواعها، ونعطي أسباب جميع ذلك، ثم نعرف بعد ما الأفعال التي تكون على غير المجرى الطبيعي، وما الانفعال وهو المسمى عند الأطباء عرضا (١)، فإننا أيضا متى فعلنا ذلك نكون قد أحطنا علما بالأمراض بجميع الأسباب الأربعة وهي غاية المعرفة بالشيء.

٣- والوقوف على جميع ذلك، كما قلنا، يكون مما تقدم من معرفة الصحة فإن أنواع المرض معادة (١) لأنواع الصحة ومفهومة منها. وإن كان يظن أن كثيرا من أنواع الأمراض أعرف من أنواع الصحة؛ لأن كثيرا من الأمراض لها أسماء وليس للحصنة المقابلة لواحد واحد منها اسم. لكن لا سبيل هنا إلى معرفة الأمراض بيقين إلا بمعرفة مقابله. ولذلك قيل: إن علم الأضداد واحد. فلنرجع فنقول:

٤- لما كانت الحال الصحية في العضو صنفين: إما مزاج وذلك في الأعضاء المتشابهة الأجزاء، وإما تركيب وذلك في الأعضاء الآلية وجب أن نقسم الأمراض أولا إلى هذين القسمين، فنبتدئ نحن فنعرف أولا أمراض الأعضاء المتشابهة الأجزاء، ونعطي أسبابها الفاعلة والمادية.

ثم نعرف بعد ذلك أنواع أمراض التركيب ونعطي أيضا أسبابها فنقول:

[٢- أصناف الأمراض]

٥- لما كانت الأعضاء المتشابهة الأجزاء، إنما تفعل أو تنفع على المجرى الطبيعي متى كانت مقادير

الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فيها هي مقادير صنف صنف من أصناف الأمزجة الصحية التي عدت في كتاب الصحة، لزم أن تكون أمراض هذه الأعضاء إنما هو خروجها عن تلك المقادير في كيفية واحدة أو اثنتين مما يمكن أن تتركب.

فتكون أصناف أمراض هذه الأعضاء ثمانية على مذهب جالينوس: إما حارة وإما باردة وإما رطبة وإما يابسة، وإما حارة رطبة وإما حارة يابسة وإما باردة رطبة وإما باردة يابسة. وهذه الأصناف المركبة فقط هي الأمراض على مذهب المشائين.

٦- وهذه الأصناف من الأمراض إنما توجد أولا للأعضاء المتشابهة الأجزاء وثانيا للمركبة من جهة المتشابهة. وذلك كالحال في المزاجات الصحية. وهذه الأصناف الثمانية منها مادية ومنها غير مادية.

إلا أنه يعسر تصور مرض مادي مفرد. بل كل كيفية بما يفعل العضو فعله أو ينفعل انفعاله. كالصلابة واللين وغير ذلك مما يخص بعض الأعضاء؛ لأن كل مرض مادي إنما يضر بالأفعال من قبل مرض غير مادي يحدث في العضو: إما حرارة وإما برودة وينبغي أن نصير إلى إعطاء أسبابها فنقول:

٧- أما الأمراض المادية فأسبابها هي الأخلاط (١) الأربعة إذا خرجت عن الاعتدال، إما في كميتها وإما في كميتها. وسبب خروجها في كميتها يكون إما من قبل الهوى، وإما من قبل الفاعل. وذلك أن الأعضاء إنما تكون على أمرجتها الصحية إذا كان ما يصل إليها من الدم موافقا في الكمية والكيفية.

وإنما تكون بهذه الحال متى كانت الأعضاء الفاعلة للغذاء على أمرجتها الصحية وكانت الأغذية التي ترد البدن أغذية طبيعية واستعملت بالمقدار الذي ينبغي. وفي الوقت الذي ينبغي وعلى الترتيب الذي ينبغي، وموافقة الأشياء التي من خارج والأحوال النفسانية والنوم واليقظة.

٨- وأما إذا كانت الأغذية غير طبيعية واستعملت على غير المقدار الذي ينبغي وفي غير الوقت الذي ينبغي أو على غير الترتيب الذي ينبغي، فإنها ليس تكون فقط أسبابا هيولانية لتولد مثل هذه الأخلاط في البدن، بل وتكسب الأعضاء الفاعلة للغذاء سوء مزاج حتى يكون تولد الأخلاط الخارجة عن الطبع، وتكون الأشياء التي من خارج تكسب الأعضاء الفاعلة سوء مزاج موافق لتوليد خلط خلط منها. والأشياء التي من خارج هي مثل الأهوية والمهن وغير ذلك.

وقد يجتمع الأمران جميعا وحينئذ أعظم ما يكون تولد أمثال هذه الأخلاط وخروجها في الكمية والكيفية.

وقد يكون ذلك من رداءة مزاج أصلي في حلقة الأعضاء الفاعلة للغذاء. وكثيرا ما يكون

سبب هذا المزاج الأبياء إذا كانت أمزجتهم منحرفة. وبهذه الاستعدادات الأولى التي في الخلقة ترى كثيرا من الناس متشابهين في الخلقة الظاهرة وفي التدبير، ويختلفون فيما يصيبهم من كثرة الأمراض وقتلتها وفي طول العمر وقصره.

وإذ قد تبين أسباب حدوث هذه الأخلاط بإطلاق، فينبغي أن ننظر كيفية حدوث واحد واحد منها وكم هي الأمراض التي تتولد عنه؟ فنقول:

[٣- في أسباب الأمراض الحارة اليابسة المادية]

٩- إن المرض الحار اليابس إنما يحدث متى كانت الأغذية في أمزجتها أحر مما ينبغي و أيس، أو كانت قليلة أو متباعدة الوقت: فإن الأغذية التي بهذه الصفة، إذا وردت المعدة والكبد استحالحت إلى أحر مما ينبغي و أيس مما ينبغي مع أنها إلى جانب أنها تكسب المعدة والكبد مثل هذا المزاج فيكون فعلا ذلك بجهتين.

١٠- وإذا كان ذلك كذلك، فيكون الدم المتولد عنها أحر وأيس مما ينبغي، وتكون الصفراء (١) حينئذ أحر مما ينبغي أو أكثر أو كليهما، فيختل لذلك فعل الحرارة: إما أنها لا تنفي بما تحتاج إليه من جذب الصفراء، وذلك لخروج الصفراء عن المجرى الطبيعي في الكمية أو في الكيفية أو كليهما، فتبقى الصفراء مبنوثة في الدم فلا تزال الأعضاء إذا تغذت بمثل هذا تخرج شيئا فشيئا عن مزاجها الطبيعي إلى الحرارة واليس، حتى يتولد فيها أمراض كثيرة. وهذا المعنى الذي يلحق من أمر الأغذية يلحق من الأمور التي من خارج إذا أحررت وييست الأعضاء الفاعلة للغذاء.

١١- والأشياء التي تفعل مثل هذا المزاج من خارج هي الهواء الحار، والرياضة المفرطة، والسهر، والأعراض النفسانية التي تحر الجسم: مثل الغضب والفكر وغير ذلك. وأعظم هذه الأسباب فعلا هو الهواء والمهنة. وقد يفعل ذلك استحصاف (١) البدن؛ لأن الحرارة حينئذ تحتقن. وقد يكون ذلك كما قلنا عن مزاج أصلي طبيعي.

١٢- والصفراء غير الطبيعية المتولدة في أبدان المرضى عن هذه الأسباب هي في الأشهر أربعة أنواع: - أحدها: الشبيه بمخ البيض. وجالينوس يرى أن هذا الصنف أحر من الطبيعي وأكثر نارية، وذلك أنه إنما غلظ عنده لفعل الحرارة فيه، قال: ولذلك كان ناري اللون. وأما غيره من الأطباء فإهم زعموا أن هذا الصنف أقل حرارة، قالوا وسبب الغلظ فيه إنما هو مخالطة البلغم له. وهذا إن كان، كما قالوا، فيجب أن يكون هذا الصنف أقل صفرة من الطبيعية، وجالينوس يزعم خلاف ذلك. ويكون مع هذا فيه نية ما و الزوجة ما، لمكان البلغم، وسبيل الوقوف على هذا الخلاف يكون بالحس والمشاهدة لهذه الأعراض.

- والنوع الثاني نوع أصفر. وتولده يكون عن مخالطة الصفراء الطبيعية للرطوبة المائية. وهذا لا خلاف فيه أنه أقل حرارة من الطبيعي لكن الأمراض الحادثة عن هذين الصنفين أعني المحي -

على رأي من يرى أنه إنما غلظ لبلغم خالطه-والصفر ليس ينبغي أن تعد في الأمراض الحارة اليابسة البسيطة، بل في المركبة.

وأما على رأي جالينوس في المحي فالأمراض المتولدة عنه هي الغاية في الأمراض الحارة اليابسة البسيطة. وأظن أن هذه هي التي يسميها جالينوس المرة الحمراء.

-وأما الصنفان الآخران فهما الزنجارية والكراثية. قالوا: وتولد هذين إنما يكون في المعدة. ولا أعلم جالينوس ينسب هذين الصنفين من الأخلاط إلى الصفراء البسيطة، بل قد صرح في كتابه "في التقوى الطبيعية" أن سائر ضروب الصفراء إنما تتولد عن مخالطة المحية لسائر الأخلاط.

ومما يشهد أن هذين الصنفين من الصفراء مركب أن تولدهما، زعموا، إنما يكون في المعدة، وليس المعدة مما شأنها أن تولد صفراء، لا طبيعية ولا غير طبيعية، فإن الذي شأنه أن يولد الطبيعية هو الذي شأنه إذا انحرف مزاجه أن يولد صفراء غير طبيعية وإذا كان ذلك كذلك فهذه الكراثية والزنجارية ليست صفراء إلا باشتراك الاسم.

ويشبه أن يكون السبب في تولدها إنما هي الصفراء الخارجة عن الطبع جدا في الحر واليبس إذا انصبت إلى المعدة ثم خالطها هناك بعض الأخلاط.

وبخاصة السوداء، فتعفت هنالك ضربا من التعفن، وحدث لها مثل هذا المزاج. ولذلك أمثال هذه الأخلاط في طباع السموم، وبخاصة، زعموا، الزنجارية. والأمراض المتولدة عنها لا يكاد يتخلص منها لأنها لا تجيب إلى النضج ولا تنفعل عن الحرارة الغريزية، بل تضادها بصورتها الطبيعية كما تضادها السموم. وهذه الأخلاط، كما قلنا: إذا تكونت في البدن حدثت عنها أمراض شتى، ومن أكثر ذلك حدوثا وأشهرها هي الحميات الصفراوية والأورام الصفراوية.

وينبغي أن نقول: كيف تولد هذين الجنسيتين عنها؟ فنقول:

[٤- الحميات الصفراوية]

١٣- أما الحميات فيظهر أنها حرارة تعم البدن بمضرة بجميع أفعال الأعضاء وانفعالهما، فمن حيث إنها مضرة بأفعال الأعضاء وانفعالهما نرى أنها حرارة غريبة، ومن حيث إن لها أيضا أفعال الحرارة الغريزية.

وذلك أنها تنضج الأخلاط ويكون عنها البرء. وبالجملة فليست هي مثل الحرارة الغريبة التي تكون في أبدان الموتى. قد نرى أيضا أنها طبيعية. ولذلك الحق من أمرها أنها حرارة طبيعية خالطتها عفونية ما، فاشتدت بذلك كفيتهما.

ومن حيث أيضا إن هذه الحرارة تعم جميع البدن وتنتشر فيه، وكان هذا من فعل الحرارة التي في القلب المنبثة في الشرايين إلى جميع البدن، حكمتنا أن الموضوع الأقرب لهذه الحرارة هو القلب.

وأيا فلما كانت حرارة القلب هي التي بها تفعل جميع الأعضاء أفعالها. وكان الضرر الداخِل

على جميع أفعالها إنما هو ضرورة من تغير مزاج هذه الحرارة. وإذا كان ذلك كذلك فحد الحمى إذن هو أما حرارة ممتزجة من الحرارة الطبيعية والحرارة العفوية تنبعث في جميع البدن من القلب فتضر بجمع الأفعال والانفعالات.

وإذا حققنا قلنا إن هذه الحرارة هي تغير الحرارة الطبيعية في كفيتهها وكميتها لفعل منها في مادة غير طبيعية.

وإذا قد تبين ما هي الحمى بإطلاق، فينبغي أن ننظر في تولد أمثال هذه الحرارة في البدن، فنقول:

١٤- إن أسبابها هي بعينها أسباب تولد الحرارة الغريبة، لكنها على النصف وإلا كانت حرارة غريبة محضة.

وقد تبين في الرابعة من الآثار ما أسباب تولد الحرارة الغريبة وكيف تولدها؟ وذلك أنه قيل هنالك أن الفاعل للعفونة سببان:

أحدهما: فاعل بالذات وعلى القصد الأول، وهي الحرارة التي من خارج.

وذلك أن من شأن هذه الحرارة أن تبدد الحار الغريزي، وبخاصة إذا اشتدت كفيتهها كالحال في زمن الحر.

فإذا تبذدت الحار الغريزي المستولي على الهوى حدثت هناك في هيولاه حرارة غريبة. وبخاصة متى كانت رطبة: فإن الرطوبة سهلة الانفعال عما من خارج عسرة الانفعال من ذاتها. وأما السبب الفاعل لذلك على القصد الثاني فهي البرودة.

وذلك أنه متى غلبت على الحرارة الغريزية أطفأها فتولدت في هيولاها من الحرارة التي من خارج حرارة غريبة.

وبالجملة تبين هناك أن الموجود الطبيعي إنما ينحفظ بقاؤه ما دامت القوى الفاعلة تقهر المنفصلة وتستولي عليها.

وأعني بالفاعلة الحرارة والبرودة والمنفصلة الرطوبة واليبوسة.

وأما إذا ضعفت عن تدبيره. وفعلت فيه القوى التي من خارج. صار في طريق الفساد.

١٥- والأسباب المعينة في بدن الحي على تولد أمثال هذه الحرارة فيه، هي ضرورة الأسباب المعينة

على إطفاء الحرارة الغريزية. وذلك إما استعداد الموضوع فقط لتكون الحرارة الغريبة، كالحال في الدم إذا تولدت فيه صفراء خارجة عن الطبع في كميتها وكفيتهها، وإما بكثره الدم وغلظه ولزوجته، فيبرد الحرارة الغريزية ويطفئها بمزلة الحطب الكثير الأخضر إذا وضع على النار.

والسدد الحادثة عن أمثال هذه الأخلاط مما يعين على ذلك، فإنها تمنع الحرارة الغريزية من أن تنفس فيعتربها ما يعترى النار التي لا تنفس، فإنها لا تلبث أن تنطفئ أو تضعف.

وذلك بين من فعل الذين يعالجون عمل الفحم، فإنهم يغطونه بالتراب لئلا تسري النار في جميع

أجزائه فيترمد.

وإذ قد تبين ما هي الحمى بإطلاق وما أسباب تولدها فقد يمكننا أن نقف على جهة تولد الحمى الصفراوية فنقول:

١٦ - إن أملك الأسباب في تولد هذه الحمى في أبدان الأحياء يكون لتزيد مزاج الدم في الحرارة واليبس، واستعداده لأن يتولد فيه مثل هذه الحرارة أو استعداد فضلات المهضم الأخير التي في الأعضاء.

وأما الغلظ أو اللزوجة أو السدد فليس تتصور ههنا، اللهم إلا في الصفراء الحمية أو من جهة الكمية.

وينبغي أن تعلم أنه ليس في بدن الحي صفراء محضة على أهما جزء عضو منه، على ما سلف من قولنا، إلا الصفراء الموجودة في المرارة أو ما تدفعها الطبيعة من الأعضاء أو الدم عند تميزها. ولذلك ليس يمكن أن يتوهم الموضوع لهذه الحميات الصفراوية هي صفراء محضة، بل إنما هو دم ورطوبة الصفراء أكثر أجزائه، وبذلك أمكن أن تقبل النضج وتصير إلى الحال الطبيعية. فمئى تميزت منه صفراء محضة دفعتها الطباع.

وما أمكن فيه أن يقبل النضج وتصير إلى الحال الطبيعية.

فمئى تميزت منه صفراء محضة دفعتها الطباع.

وما أمكن فيه أن يقبل النضج تغذت به الأعضاء.

وليس يمكن في الصفراء نضج بته ولا فيها جزء تغذى به الأعضاء أصلا.

وإذا لم يكن ذلك في الطبيعة فكم بالحري أن لا يكون ذلك في غير الطبيعة، وإنما هذا الرأي من آراء الأطباء مبني على رأيهم أن هذه الأخلاط الأربعة اسطقسات المتشابهة الأجزاء، وقد بينا الأمر في ذلك في كتاب الصحة.

١٧ - ولما كانت الحرارة الغرية إنما تتولد في الرطوبة الخارجة عن الطبع، مع ضعف الحرارة الغريزية، لا مع زيادتها كما ظن جالينوس، إذ كانت هي أسرع إلى التعفن، إن قلنا إن كل حرارة غرية عفونية فإن فيه نظر.

وذلك أن كل حرارة غرية فالها تتولد عند أرسطو أولا وبالذات إما عند الحر وإما عن البرد. فإذا ضعفت الحرارة الطبيعية من البرد غلبت الرطوبة، فتعجز الحرارة الغريزية أن تستولي على الرطوبة فيعرض العفن إذا كانت غير منحصرة من ذاتها بل من غيرها، وأما إذا كان سبب الحرارة الغرية الحر فإن الذي يعرض هو الشيء والاحتراق لا العفونة، فلذلك ليس يلزم ضرورة أن تكون كل حرارة غرية عفونية ولا كل حمى، وبخاصة المحرقة.

فإن كانت الحرارة الغرية في المواضع التي فيها المهضم، أعني في فضلاتها، نضج وطبخ من الأغذية، وصار جزء عضو بالفعل، إذا اجتمعت هنالك فضلات خارج عن الطبع حارة

منسوبة إلى الصفراء.

إما في الكيفية أو الكمية أو كليهما.

وكانت الرطوبة الصفراوية في البدن إنما توجد في مواضع الهضم.

وكانت أعظم هذه المواضع إما الموضع الذي فيه الهضم الثاني وهو الكبد والعروق.

وإما موضع الهضم الثالث وهي التي في الأعضاء نفسها.

ولا يبعد أن يكون أمثال هذه الفضول في الهضم الأول، كانت هذه الحميات صنفين:

صنف يكون في العروق وصنف يكون في الأعضاء أنفسها.

أعني في مواضع الهضم منها لا في أنفسها، وسنبين في كتاب العلامات الفضول التي يفصل بها

هذان الصنفان من الحمى.

١٨ - وهذه الحميات يلقى لها فصول أخر أيضا من قبل الأخلاط الصفراوية التي هي أسباب تولدها.

وذلك أن منها ما ينسب إلى الصفراء الخالصة وهي التي تعرف بالغيب الخالصة.

ومنها ما ينسب إلى الصفراء غير الخالصة وستأتي العلامات التي يفصل بها بعضها من بعض.

وإذ قد تبين ما هي هذه الحميات الصفراوية وكم أنواعها فينبغي أن نقول في الأورام

الصفراوية.

٥ - الأورام الصفراوية

١٩ - والورم بالجملة إنما يحدث عن مثل هذه الأخلاط في عضو عضو على أحد وجهين:

إما أن يندفع إلى ذلك العضو من ذلك الخلط ما لا يفي ذلك العضو بهضمه، حتى يعرض

لذلك العضو أن يتزيد في أقطاره.

ولذلك يظن بالورم أنه مركب من أمراض المتشابهة الأجزاء والآلية على ما سيظهر بعد.

وسبب اندفاع هذا الخلط يكون لوفور القوة الدافعة في العضو الدافع وضعفها في المندفع إليه.

وقد يعين على ذلك سعة المجاري والوضع: مثل أن يكون العضو الدافع فوق المندفع إليه،

وبخاصة متى كان الخلط أرضيا غليظا. فإذا اندفع هذا الخلط إلى عضو انعمرت هنالك الحرارة

الغريزية وتولدت حرارة غريبة إن لم يكن الخلط في غاية اليبوسة. فإن كان الورم في عضو

رئيس اتصلت تلك الحرارة الغريبة بالقلب. وكانت الحمى، وإن كان في عضو غير رئيس لم

تكن حمى.

وأما الوجه الثاني من تكون هذه الأورام فإنه يكون متى ضعف العضو عن هضم ما يصل إليه

من الغذاء. إما لخروجه في الكمية وإما في الكيفية.

ولم يقدر على دفعه: فإنه إذا كانت حال العضو مع ما يصل إليه هذه الحال لم تنزل المادة تكثر

في ذلك العضو حتى يعظم في أقطاره وتنطفئ حرارته. فتحدث هنالك حرارة عفونية.

=

٢٠ - والأورام الصفراوية، أعني التي الغالب عليها خلط صفراوي، والحادثة على هذا الوجه ضربان:

الضرب المسمى حمرة، وهذا يظهر من أمره أن فيه خلطا دمويا صالحا لمكان الحمرة الظاهرة فيه، وليس يحدث منه في العضو كبير تزايد.

والضرب الآخر المسمى ثملة، وهذا الخلط الصفراوي فيه أكثر تمييزا، ولذلك صار يقرح الأعضاء ويأكلها.

وهذا منها ما يكون التآكل الحادث عنه في الجلد فقط، ومنها ما يكون في نفس الأعضاء، وهذا أشد الصنفين، وربما استكن هذا الخلط في تجويف عضو فأضر بفعله مثل المعدة والأمعاء، على ما سنبين بعد، من غير أن يورمه.

٦ - القول في الأمراض الباردة الرطبة المادية

٢١ - وحدوث هذه الأمراض إنما يكون ضرورة عن خروج الخلط البلغمي في الكمية والكيفية. وأسباب خروج هذا الخلط في بدن الحيوان هي بعينها أزداد أسباب خروج المرة الصفراء، وأنت فقد يمكنك أن تفهم المقابل من مقابله.

وأشهر الأمراض المتولدة عنه هي الحميات البلغمية والأورام البلغمية، إلا أن الذي يعين على تولد هذه الحمي، أكثر ذلك في بدن الحي من هذا الخلط، هي السدد الحادثة عن غلظه ولزوجته، وبالجملة إنما تحدث العفونة فيه من حيث تطفى الحرارة الغريزية.

كالحال فيما يلقي على النار من الحطب الأخضر. والحمى أيضا، المتولدة عن هذا الخلط تكون في العروق وفي موضع الهضم الثالث.

٢٢ - وهذا الخلط، الخارج عن الطبع في كفيته، أربعة أصناف:

١ - إما مالح وهو أيس.

٢ - الطبيعي الذي هو حلو، فإن الملوحة إنما تتولد عن جوهر أرضي محترق تخالطه رطوبة ما على ما يشاهد من تكون الأملاح.

٣ - وإما حامض، وهذا مع أنه يابس هو بارد، فإن الحموضة إنما تكون عن البرودة. ولذلك ما ترى الفواكه تحمض أولا، ثم تحلى ثم تطيب.

٤ - وأما الصنف المعروف بالزجاجي، فهذا هو أردأ أصنافه، إذ كان فيه مع البرد غلظ مفرط. وأصناف الحميات المتولدة من البلغم تختلف بحسب هذا الاختلاف، لكن أصناف البلغم أكثر إمكانا فيها قبول النضج من الصفراء وإنما صارت حميا لها أشد خطرا من حميات الصفراء لغلظ هذا الخلط وتسديده، وأن العفونة لا تكاد تنفك منه لرطوبته إلا زمانا يسيرا على ما سيقال بعد.

٢٣ - وأما الأورام البلغمية فمنها ما يحدث عن بلغم رقيق، وربما كان رجيما أكثره.

كالذي يكون في أطراف المستسقين ومنها ما يحدث عن بلغم غليظ مثل الأورام المسماة

خنازير، وهي أورام تحدث إما في اللحم الرخو الذي في العنق أو في الأربيتين أو في الإباط أو في المادة المحتقنة في هذه الأورام كأن لها غشاء خاصا، ومنها العقد الغددية وهي أورام في مقدار البندقة أو الجوزة تحدث في المواضع من اللحم.

وقريب من هذا الجنس هي الثآليل، وكأنها مسامير العقد الغددية.

ومن الأورام الرديئة المنسوبة إلى غلظ الأخلاط الخارجة عن الطبع الأورام المسماة دبيلات، وهذه الأورام توجد محتوية على مادة شبيهة بالحماة أو الزبل أو عكر الزيت أو الطين أو الفحم، وهذه الأورام أكثر ذلك إنما هي مركبة من الخليطين الأسود والبلغم.

٢٤ - ومن الأورام المنسوبة إلى البلغم جنس الأورام المسماة سلعا، وهي كما زعموا أصناف أربعة الشحمية والعسلية والأزدهالجية والشيرازية: فالشحمية تتولد من بلغم غليظ، والعسلية تكون عن بلغم عفن وتحتوي على مادة شبيهة بالعسل، والأزدهالجية والشيرازية تحدث عن بلغم مثل البلغم الذي تحدث عنه العسلية.

وإنما سميت بهذه الأسماء من الشبه الذي بين هذه المواد التي تلتفي فيها وبين ما اشتقت لها منها هذه الأسماء.

والأزدهالج هو الحسو المتخذ من الدقيق، والدبيلات هي أيضا منسوبة إلى هذا الخلط وقد يحدث عن هذا البلغم أمراض كثيرة سنخبر بها عند تصنيفنا الأعراض التي تلتفي لأفعال الأعضاء وانفعالاتها.

٧ - في الأمراض الباردة اليابسة المادية

٢٥ - وهذه الأمراض إنما تتولد عن الأخلاط السوداوية إذا خرجت عن الطبع في كميتها أو كلفتها أو كليهما.

والأشياء المخرجة لهذه الأخلاط هي، كما قلنا غير ما مرة.

أما المواد الشبيهة به وهي الأغذية الباردة اليابسة أو الحارة اليابسة.

وأما خروج أمزجة الأعضاء الفاعلة للغذاء إلى البرد واليبس أو الحر المفرط واليبس وخروج أمزجة الأعضاء يكون من الأشياء التي من خارج كالهواء والمهن وقد يجتمع الأمران جميعا.

وقد يكون ذلك شيئا في أصل الخلقة، ولا سيما في كثير من العلل التي تتولد عن هذا الخلط، كالجلذام وغير ذلك.

وأكثر ما يعترى ذلك من على جهة الإرث عن الآباء. فمثل هذه إذا كثرت في البدن لم يف الطحال يجذبها، وذلك لخروجها إما في الكمية وإما في الكيفية أو كليهما.

فنشيع في الدم فلا تزال الأعضاء تتغذى بها حتى تحدث عن ذلك أمراض صعبة عسيرة البرء، فإن هذا الخلط أشد شيء منافرة للطباع.

٢٦ - والسوداء غير الطبيعية في الكيفية صنفان: صنف يتولد عن احتراق المرة السوداء الطبيعية،

وصنف يتولد عن احتراق الصفراء الخارجة عن الطبع. وهذان الصنفان فاعلهما حرارة ويس، وهما في طباعهما باردان قد خالطتهما حرارة غريبة جدا، خارجة عن الطبع. ويدل على هذا المزاج منهما الحمضة الموجودة فيهما، وأتمها إذا صبا على الأرض أحدثا نفاخات وغلينا، كما يغلي الخل.

وكلا هذين الصنفين أكال للأعضاء، مقرح لها، وبخاصة الذي يكون عن احتراق الصفراء.

٢٧ - والأمراض الحادثة عن مثل هذه الأخلاط، منها حميات ومنها أورام.

والحميات المتولدة عنها منها ما هي في مواضع الهضم الثاني وهي العروق، ومنها ما هي في الأعضاء أنفسها أعني في مواضع الهضم الثالث منها. وأسباب تولد هذه الحميات من هذه الأخلاط هي بعينها أسباب تولد سائر الحميات، ويعين على هذه الأشياء انسداد المسام وغلظ الخلط وعسر نضج. وأما الأورام الحادثة عنها فمثل الورم المسمى سفروس، وهو يتولد عن الخلط السوداوي الطبيعي، ومنها الورم المسمى سرطانا.

وهذا الورم صنفان: منه ما يكون بغير تآكل، وحدوث هذا عن السوداء الطبيعية، ومنه ما يكون معه تآكل، وحدوث هذا يكون عن السوداء غير الطبيعية.

وربما انتشر هذا الخلط في جميع الأعضاء فحدث عنه المرض المسمى جذاما. ولذلك قيل في الجذام إنه سرطان عام. وهذا أيضا نوعان: منه ما لا يكون معه تآكل، ومنه ما يكون معه تآكل، وهو المتولد عن السوداء الخارجة عن الطبع.

٨ - في الأمراض الحارة الرطبة المادية

٢٨ - وهذه الأمراض إنما تحدث عن خروج الدم عن الطباع: إما في كميته وإما في كيفيته، لكن خروجها قليلا؛ لأنه متى خرج خروجا كثيرا نسب ذلك المرض إلى طبيعة الخلط الذي خرج إليه؛ لأنه إذا استحر أكثر مما ينبغي فإنما يكون ذلك لمكان ظهور الخلط الصفراوي فيه ووفوره. ولذلك ينسب حينئذ ذلك المرض إلى ذلك الخلط وكذلك إن برد جدا ورطب نسب إلى البلغم.

٢٩ - وينبغي أن تعلم، كما قلنا، أن هذه الأمراض البسيطة ليست موجودة عن هذه الأخلاط صرفا، وبخاصة ما كان منها لا يجيب إلى النضج ولا يقبله.

ومهما قربت الأمراض من أن توجد عنها صرفا قتلت ضرورة وبخاصة السوداوية والصفراوية، إذ كانت هذه من شأنها أن لا تقبل النضج.

وإنما معنى البساطة ههنا فيها نسبتها إلى الخلط الأغلب، كما أن معنى التركيب فيها إنما هو نسبتها إلى ظهور خلطين من هذه الأخلاط أو أكثر من ذلك فيها.

والأمراض المتولدة عن الدم هي أيضا في الأكثر حميات وأورام، والحميات المتولدة عنه صنفان

إما حميات حادثة من قبل تزيده في الكمية فقط، فإنه إذا تزيدت كميته جدا انسدت المسام وكثرت الحرارة فأصابته منه هذا النوع من الحمى.

وليس في هذه الحمى في أول حدوثها حرارة عفونية، لكن إن تروخى في علاجها حدثت فيها ضرورة. وهذا الصنف من الحميات كأنه متوسط بين الحمى العفونية وحمى يوم، المتولدة في الأرواح، والصنف الآخر من هذه الحميات هي التي تكون مع عفونة ما.

وهذا النوع من الحميات أعني الدموية إنما تكون في العروق فقط، إذ كان ليس في البدن دم إلا محمول في العروق، وجميعها تسمى مطبقة من قبل أن ليس لها نوايب.

وأما الأورام الحادثة عن هذا الخلط ومنها الورم المسمى فلغموني وحدث هذا الورم إنما يكون عن خروج هذا الخلط في الكمية أكثر ذلك.

وقد يعين على حدوثه الأسباب التي من خارج بمثالة الرض والقطع وحرق النار وغير ذلك.

وهذا الورم يختلف بقدر غوره في الجسم وقلة غوره. وأخفه ما كان قليل الغور.

وأما إذا كان الدم المنصب إلى العضو قد خرج في كفيته خروجاً يسيراً فإنه يحدث الورم المسمى حمرة خالصة.

وإنما سميت بذلك لأن ههنا حمرات تحدث عن اختلاط الدم بالمرّة بالصفراء المحترقة، وهو أشد أصنافها خطراً.

٣٠ - والأورام بالجملة ينبغي أن يعلم من أمرها أنها تختلف من جهة الأعضاء الحادثة فيها، وأما

متى حدثت في عضو رئيس يتبعها ضرورة مرض آخر وهو الحمى.

والحميات التي تكون عن الأورام الفلغمونية عظام جدا.

وربما حدثت أورام فلغمونية عظام جدا في الإباض أو في الأربيتين أو خلف الأذن.

فدلت على عفن عظيم في الدم، وبخاصة ما كان منها في الإباض؛ لأن فضول القلب هنالك تندفع. ولذلك تسمى مثل هذه الأورام طواعن. وربما حدثت في هذه المواضع أورام عن ضربات تكون في أطراف الجسم، أو أورام في غيرها من المواضع. وهذه فلا خطر فيها لأن هذه الأماكن لما أعدتها الطبيعة مغيضا للفضول.

وكانت رخوة جدا، صار متى اعتل عضو في البدن دفع إليها بقدر طاقته، فترم (١) هي لأذن

ورم يكون في الأطراف أو ما يجاورها، لأن في كل عضو كما قيل قوة دافعة.

٣١ - والجدرى والحصبية من الأمراض الدموية.

وهذان النوعان من الأمراض لما كانا يصيبان جميع الناس في وقت النشاء لم يكن أن يظن أن سب ذلك هي الأغذية.

وبالجملة الأشياء التي من خارج: إذ الأمراض المتولدة عن هذه ليس تصيب جميع الناس.

وهذا المرض كأنه شيء طبيعي، أي لاحق ولا بد، فجعلوا سبب ذلك التغيير ما يكون من المادة

الرديفة المحمولة في الدم الذي يغتذي به الجنين في زمان الحمل.
وهذا المرض يكون معه ضرورة حمى دموية، وربما كان هذا المرض قتالا إذا كان الدم المتولد عنه دما فاسدا جدا.

٩ - القول في الأمراض المركبة المادية

٣٢ - وينبغي أن تعلم أنه قليلا ما توجد هذه الأمراض التي وصفناها عن الأخلاط في الغاية من البساطة التي وصفناها وجعلناها أسبابا لمرض مرض من الأمراض المتولدة عن خلط خلط، بل إنما تلقى أكثر ذلك مركبة من أكثر من خلط واحد من هذه الأخلاط وتركيبها يكون: أما في الأورام فعلى جهة المزاج وأما في الحميات فقد يكون على جهة المزاج وقد يكون على جهة التجاور، مثل أن يتفق أن يكون بإنسان واحد حمى صفراوية في مكان من جسمه، وحمى بلغمية في موضع آخر.

ويتفق أن تكون نوبتهما واحدة والمختلطة منها ما هي محضة الاختلاط، ومنها ما هو أولى أن يسمى تركيبا منه اختلاطا، وإذا كان كذلك اشتركت في العلامات والخواص التي تخص البسائط.

٣٣ - وهذا الامتزاج والتركيب في الأخلاط يحدث أنواعا كثيرا من الاختلاط يكاد تكون غير متناهية.

ولما كانت الحمى يلقى فيها هذان الصنفان من التركيب أمكن أن توجد حميات مختلطة. ليس من نوعين فقط من الأخلاط، بل من نوع واحد، وذلك إذا كانت في موضعين من البدن مختلفين.

وأشهر الحميات المركبة هي الحمى المعروفة بشطر الغب.

وهي أصناف، وهي بالجملة إنما تتولد عن البلغم والصفراء، فمنها ما يتركب عن حمى بلغمية في العروق وصفراوية في موضع الهضم الأخير، ومنها ما يتركب عن صفراوية داخل العروق، وبلغمية في موضع الهضم الأخير.

ومنها ما يتركب من بلغمية وصفراوية في موضع واحد، وذلك إما في العروق وإما في موضع الهضم الأخير.

٣٤ - والحميات تختلف بقدر الكمية والكيفية، مثل الحميات التي تسمى محرقة، ومثل الحمى

البلغمية التي يكون فيها الحر والبرد معا في باطن الجوف، وهي المتولدة عن البلغم الزجاجي. ومثل الحمى البلغمية أيضا، التي يجد صاحبها حرارة شديدة في باطن جوفه، وملمسه فاتر، وربما كان ظاهر البدن فيه برد شديد. وهذه تسمى الزمهيرية.

٣٥ - فهذه هي أشهر الأمراض المتولدة عن الأخلاط الأربع. ولجميع هذه الأمراض أوقات أربعة: ابتداء وتزايد وانتهاء وانحطاط.

أما زمان الابتداء فهو الزمان الذي يظهر فيه المرض بالفعل من غير أن يبدو للطبيعة فيه فعل ما، فإذا ابتداء الخلط ينضج ويظهر فعل الطبيعة فيه فهو زمان التزيد. وإنما سمي زمان التزيد لأن الأعراض فيه تشتد.

فإذا انتهى النضج فهو زمان الانتهاء، وهو أشد وقت تظهر فيه المقاومة بين المرض والخلط. فإذا استولت الطبيعة على الخلط وقهرته سمي زمان الانحطاط.

٣٦ - ومن الأمراض ما يتحلل الخلط فيها من غير استفراغ محسوس، حتى تكون الصحة.

ومنها ما تتحلل فيه القوى شيئاً شيئاً حتى يتول ذلك إلى الموت.

ومنها ما تكون الصحة أو الموت فيها باستفراغ محسوس من الطبيعة، وحركة عنيفة في زمان قصير وهو المسمى بحرانا.

والذي تكون الصحة به نوعان:

أحدهما: أن يكون ذلك الاستفراغ يقع فيه براء تام.

والثاني: أن تبقى بعد من المرض بقية حتى تتحلل ويقع البرء.

وكذلك يوجد هذان النوعان في البحران الرديء، أعني أن منه ما يقع فيه الموت دفعة، ومنه ما يتول الأمر فيه بعد إلى الموت، والبحارين إنما توجد في الأكثر في الأمراض الحادة، وهي الأمراض التي يكون انقضاؤها في زمن يسير.

ولما كانت البحارين إنما تكون بعد نضج ما. وذلك إما تام كما يكون في البحارين المحمودة وإما غير تام.

وكان النضج إنما يتم في زمان ما، طوله على مقدار نسبة الفاعل إلى القابل.

فإنه ليس في أي زمان اتفق ينفع أي منفعل اتفق عن أي فاعل اتفق، بل لكل منفعل زمان خاص، بإضافة نسبة الفاعل إلى المنفع.

وذلك ظاهر في الأمور الصناعية، فإن مقادير أزمنة النضج في الأشياء التي تعالج بالمهنة مختلفة.

٣٧ - ولما كان ذلك كذلك، وطال إحساس الأطباء للأمراض، وقفوا منها على الأزمنة التي يكون

فيها النضج، إما محموداً وإما مذموماً، وهي الأيام التي تسمى أيام البحران.

إلا أنه لما كان النضج المحمود فعلاً تاماً من الطبيعة كان زمانه في الأكثر محدوداً. وأما النضج الذي هو غير تام فله عرض.

فلذلك ليس صدق البحارين غير المحمودة كصدق البحارين المحمودة في الإنذارات الدالة عليها. وقد رأى قوم أن سبب كون هذه البحارين تجري على نظام وترتيب هو القمر.

وأنت فينبغي لك أن تعلم أنه وإن كان سبباً فإنما هو سبب بعيد. والسبب القريب في ذلك هو ما وصفناه.

٣٨ - والموت يكون في الأزمنة الأربعة، فقد يكون في الابتداء وذلك لغلبة الأخلط الحرارة

الغريزية وإطفائها دفعة واحدة، إما بكميتها وإما بكيفيتها وإما بكليهما، وقد يكون أيضا في التزيد وفي الانتهاء وفي الانحطاط.

ومعنى الانحطاط في الأمراض التي يكون فيها الموت إنما هو من ضعف القوة، لا من ضعف المرض، كالحال في الانحطاط الذي يتول بصاحبه إلى الصحة، فإن الانحطاط ههنا إنما هو باستيلاء القوة على المرض. وهذا المنقار من القول في الأمراض المادية وإعطاء أسباب تكونها كاف بحسب غرضنا في الإيجاز. وينبغي أن نقول في الأصناف غير المادية.

١٠ - القول في الأمراض غير المادية

٣٩ - وهذه الأمراض لما لم تكن أسبابها الأخلط كانت موضوعاتها ضرورة هي إما الأعضاء وإما الأرواح، وكان فاعلها أحد أمرين: إما الأشياء التي من خارج وإما الأمراض المعدية. ونحن نعدد من ذلك أشهره.

وفي المرض الحار اليابس:

٤٠ - والأمراض الحارة اليابسة منها ما يكون في الروح الذي في القلب فقط. وهذا المرض هو المسمى بحمى يوم.

وإنما سمي بذلك لقلته لبثه، وأسباب هذا النوع من الحميات هي الأشياء التي من خارج، وهي بالجملة منحصرة في أربعة أجناس:

أحدها: الأشياء التي تلقى ظاهر البدن من خارج؛ وهذه أقسام: منها بالذات ومنها بالعرض. والذي بالذات منه بالقوة ومنه بالفعل.

أما الذي بالذات وبالفعل فمثل لقاء النار والشمس. وبالجملة الأشياء الحارة بالفعل من خارج. وأما الذي بالقوة فمثل الاستحمام بماء فيه أدوية حارة بالقوة بمتزلة ماء الكبريت وغير ذلك. وأما التي بالعرض فما يكتف المسام حتى تشتعل الحرارة داخل الجسم، كالأستحمام بماء الشب وغير ذلك.

والجنس الثاني: الأشياء التي ترد باطن البدن بمتزلة الأغذية الحارة والأشربة الحارة.

والثالث: الحركة المفرطة، إما للبدن بمتزلة الرياضة الشاقة وإما للنفس بمتزلة الغضب والهمل والأرق.

والرابع: الأمراض التي تعرض في ظاهر الأعضاء من الأسباب التي من خارج مثل الأورام التي في الأربيتين وفي الإباط، بسبب قروح في اليد أو في الرجل.

٤١ - ومن هذه الأمراض الحميات المسميات بحمى الدق.

وهذه الحمى هي حرارة غريبة قد تمكنت في الأعضاء أنفسها حتى عاقبتها عن أفعالها الطبيعية. ولها عرض ثلاث مراتب تختلف فيها أعراضها بالأقل والأكثر: فأخفها هي التي تشبث الحرارة الغريبة فيها بالرطوبات الطبيعية التي في العروق الصغار أنفسها، ثم يتلو هذا أن تكون الحرارة

في الرطوبات التي في اللحم نفسه الذي يمكن أن يعود بدل ما تحلل منها بالغذاء، ثم يلي هذه، وهو أشدها، أن تكون الحرارة في الرطوبات الأصلية التي في الأعضاء، وهي التي ليس يمكن أن يخلف الغذاء ما تحلل منها، بل مقادير أعمار الناس الطبيعية، إنما هي بقدر وفور هذه الرطوبة في شخص شخص.

وحدوث هذا الصنف الأول من الحميات يكون في الأكثر عن حمى يوم.
وأما الصنفان الأردبان فحدوثهما إنما يكون في الأكثر عن الحميات الخلطية.
في الأمراض الباردة اليابسة:

٤٢ - وأما الأمراض الباردة اليابسة فمنها المرض المسمى شيخوخة، وهو استيلاء البرد واليبس على الأعضاء. وذلك أنه لما كان فاعل الحياة إنما هو الحرارة والرطوبة كان هذا المرض لازماً للشيوخ ضرورة. لكن إنما سمي مرضاً، أكثر ذلك، إذا عرض لمن هو في غير سن الشيوخ.
وأما مرض حار رطب في غير مادة، فيعسر وجوده. وكذلك بارد رطب. وأما يابس مفرد، أو بارد مفرد، أو رطب مفرد أو حار مفرد، فقد يمكن ههنا أن يتصور وجودها إذا سلطنا وجود مرض مادي مفرد.

وسنعد جميع ذلك عند إعطاء الأشياء الضارة بالأفعال والانفعالات.
وإذ قد تبين كم أنواع الأمراض المنسوبة إلى الأعضاء المتشابهة وأسبابها، فقد ينبغي أن نشرع أيضاً في أمراض الأعضاء الآلية.

١١ - القول في أمراض الأعضاء الآلية

٤٣ - ولأنه قد سلف من قولنا إن صحة هذه الأعضاء الآلية تكون في الكيفية التي في الكمية وفي الوضع وفي حال المشاركة - وذلك أن هذا هو جنس مفرد بعينه لا راجع إلى الأجناس الأربعة التي يذكرها الأطباء وهو داخل في مقولة الإضافة كما أن الأغشية والجلد داخلة في مقولة «له» (١) فأجناس الأمراض توجد في خمس مقولات: في الكيف. وفي الكم المنفصل والمتصل، وفي الوضع، وفي مقولة «له» وفي الإضافة.

والاتحاد والانفصال هو من لواحق الكم المنفصل: وذلك أن الكم العددي ينقسم إلى وحدة وإلى كثرة.

ثم يوجد هذا للكم المتصل بتأخير، وأما الترتيب الذي يوجد في الأعضاء الآلية، والتقديم والتأخير، فهو من لواحق المقولات.

٤٤ - وينبغي أن تعلم أنه ليس في كل جنس من أجناس الصحة يدخل المرض، مثل الترتيب الذي في طبقات العين، وفي أكثر الأعضاء الآلية. فإنه لا يلحقه مرض بأن يرجع المتقدم متأخراً.
وأما الاتصال والانفصال وكيفية ذلك فقد تدخل في أجناس الأمراض وجنس المشاركة لا يدخل في الأمراض أنفسها. وأما أمراض الأعضاء بذاتها فتدخل على الأعضاء بسبب أمراض

الأعضاء المشاركة لها:

فالمشاركة هي أحرى أن تعد في أسباب الأمراض منها في أجناسها.
وأما الجنس من المرض الذي هو مقابل الاتصال الطبيعي، وهو المرض المعروف بتفرق
الاتصال، فهو في الحقيقة قسمان:

تفرق اتصال حقيقي، وهو الاتصال الموجود في العضو المتشابه الأجزاء، وهذا الجنس من
المرض ينبغي أن يكون خاصا بهذه الأعضاء، وذلك أن مثل هذا التفرق إنما يوجد للآلي من
أجل المتشابه.

والقسم الثاني تفرق الاتصال الذي يكون بين أجزاء العضو الآلي، أو بين الأعضاء الآلية
أنفاسها. وهذا الاتصال يكون باللماسة والتداخل وبالربط. وهذا هو أحد أنواع الأجناس التي
عددناها من أمراض الأعضاء الآلية، وهو جنس مشاركة اتصالها وانفصالها وكيفية ذلك.
فلذلك ليس تفرق الاتصال، كما يقول الأطباء، مرضا مشتركا للأعضاء المتشابهة الأجزاء
والآلية، بل معنى التفرق فيهما معنيان اثنان.

٤٥ - ولما كان جنس الصحة الذي يكون في الكيفية يكون في الشكل وفي المنافذ والتجاويف وفي
الملاسة والخشونة كانت أمراض هذا الجنس تنقسم إلى هذه الأنواع الثلاثة. وكذلك أيضا
الأمراض التي في الكمية منها ما هي أمراض في المقدار، وذلك بالزيادة أو النقصان.
وهذه إنما توجد أولا للمتشابهة على ما سلف من قولنا.

لكن جرت عادتهم بذكرها ههنا. ومنها في العدد. والتي في العدد صنفان: إما زيادة أو
نقصان. والنقصان والزيادة.

منها ما يجري مجرى الأمر الطبيعي مثل زيادة الأصبع السادسة أو نقصان أصبع من الأصابع
الخمسة، وإما زيادة ما هو خارج عن الطبع، مثل الدود وحب القرع.
وأما مرض الوضع فهو مثل الخلع وغير ذلك مما يمكن أن يفسد وضع العضو من عضو آخر،
ووضع أجزاء العضو الواحد بعضها من بعض.

٤٦ - وأما الأمراض التي يعرفها الأطباء بأمراض المشاركة فتكون في اتصال الأعضاء الآلية بعضها
مع بعض بأجزاء الشرك، مثل مشاركة القلب لجميع الأعضاء بالشرابين التي تتصل بها،
ومشاركة الكبد، وربما كانت المشاركة بين بعضها دون بعض مثل مشاركة فم المعدة الدماغ
بالعصب الواصل بينهما.

وأما أمراض المشاركة فتكون في الاتصال والانفصال، وكيفية الاتصال والانفصال، فهذه هي
أنواع أمراض الآلية. وينبغي أن نصير إلى القول في أسبابها فنقول:

٤٧ - أما المرض الطارئ على شكل العضو فإنه إنما يكون عن سببين: إما من قبل الطبيعة. وإما من
قبل الأشياء التي من خارج.

أما من قبل الطبيعة فإن تكون المادة غير ملائمة لفعل القوة المصورة أو الآلة التي بها تفعل القوة المصورة.

وأما الأشياء التي من خارج فمثل ما يعترى الأطفال في حين الولادة وفي حين التربية. وقد يكون ذلك من قبل المعالجة الرديئة مثل الأعضاء التي تجبر على اعوجاج.

٤٨ - وأما أسباب ضيق المجاري وانضمامها فيكون إما لغلبة البرد واليبس على مزاجها، وإما لتضاغط يعرض لها من غيرها، وإما لسدة. والسدة تكون إما لورم وإما لخلط غليظ متحجر كالحال في الحصى، أو غير متحجر. وربما كان ذلك الخلط دما منعقدا.

وقد تكون السدة من شيء ينبت في نفس المجرى مثل ثؤلول أو غير ذلك. وقد يكون الانضمام لإفراط القوة الماسكة أو ضعف القوة الدافعة.

وقد يمكن أن يجتمع جميع هذه. وأما أسباب سعة المجاري فهي إما حرارة ورطوبة، وإما خلط لذاع أو أدوية فتاحة. وقد يكون ذلك من ضعف القوة الماسكة.

٤٩ - وأما أسباب الملاسة فهي الأشياء اللزجة الرطبة مثل الأخلاط الغليظة وغير ذلك.

وأما الخشونة فسيبها الأشياء الحادة الأكاله، وذلك إما خلط وإما شيء من خارج.

٥٠ - وأما أمراض الغدد فما كان من ذلك زيادة تجري مجرى الأمر الطبيعي، فإنما يكون ذلك من قبل فضل يكون في المادة.

وأما ما كان منها ليس يجري مجرى الطبع، كاللذود وحب القرع فسيبها خلط خارج عن الطبع: إما في الكيفية وإما في الكمية.

وأما النقصان فإنه يعرض إما عن عفونة كتساقط الشعر وكثير من الأعضاء المتعفنة. وبخاصة إذا كانت العفونة عن خلط أكال، وإما من سبب من خارج.

٥١ - وأما عظم الأعضاء فإنما يكون سببه، إذا كان يجري مجرى الطبع، وفور المادة واستيلاء القوة المصورة عليها. فأما إذا كان غير طبيعي فتزيد خلط من الأخلاط في ذلك العضو وانصبابه إليه.

وأما صغره إذا كان يجري مجرى الطبع فقلة المادة، وما لم يجر منه مجرى الطبع فضعف القوة الغذائية كما يعترى المسلولين.

٥٢ - وأما أسباب اختلاف وضع العضو فسيبان:

أحدهما الحركة المفرطة كالذي يحدث من القفز والطفرة، وبالجملة عما يكون من خارج مثل انخراق المجرى النافذ من الصفاق إلى الأنثيين، فتترل فيه الأمعاء والترب (١) ومثل انخراق صفاق البطن نفسه حتى تخرج الأمعاء أو الترب، وربما انخرق حتى خرجت زائدة من زوائد الكبد؛ أو كالذي يعرض في مفصل الورك عند خروج الزائدة التي في عظم الفخذ عن حفرة الورك.

وأما السبب الآخر فالأشياء التي من داخل مثل رطوبة مفرطة ترخي العضو حتى تزيله عن موضعه.

فهذه هي العلل المفردة من الطبائع المفردة وما أشبهها، وهي في التحقيق مركبة من كبة.

وإما أن تكون العلل مركبة من هذه العناصر بتركيب العناصر بعضها على بعض، ولها علامات تعرف بها.

فمن ذلك السوداء إذا خالطت الصفراء أو كانت حادثة منها، وهي تكون على ثلاثة.

القول في علم الصناعة

في كل شيء في العالم، وهي الزئبق والزرنيخ والكبريت والنشادر والكافور والدهن^(١) من كل شيء، فهذه تطير عن النار.

ولها فروق في ذواتها، وذلك أن هذه الأرواح الستة انقسمت ثلاثة أقسام: إما طائر الغير محترق ممزاج، وإما طائر غير محترق ولا ممزاج، وإما طائر محترق ممزاج.

=

كالذي يعرض أيضا للثرب وللعمى إذا حدث في المجرى النافذ إلى الأنثيين رطوبة لزجة.

٥٣ - وأما أسباب فساد مشاركة العضو في الاتصال والانفصال فبسبب الاتصال في ذلك سببان: أحدهما: ضعف القوة المصورة أو رداءة المادة، وذلك فيما كان من ذلك خلقة.

وأما ما لم يكن من ذلك خلقة فبسببه قرحة تخرج بين العضوين، فيعرض منها عندما تندمل أن يتصل ما بين ذلك العضوين لفساد المادة أو لأن العضوين في حال نبات اللحم متصلان.

٥٤ - وأما أسباب تفرق اتصال هذه الأعضاء فهي بعينها أسباب تفرق اتصال الأعضاء المتشابهة الأجزاء:

وذلك إما من الأشياء التي من خارج مثل الأشياء التي تقطع وتحتك أو ترض، وإما من الأشياء التي من داخل بمزلة الأخلاط الأكلة أو الهاتكة بتمديدها، وإما بثقلها وإما لريح تتولد منها.

٥٥ - فهذه هي جميع أصناف الأمراض البسائط ومن عرفها ضرورة عرف المركبات.

فقد ينبغي بعد أن نقول في الأعراض التي تعرض في أفعال الغذاء وانفعالها، ونسب واحدا وابتدا منها إلى المرض الفاعل له فإنه بمعرفة هذا يحصل علم الأمراض على التمام في عضو عضو وعلم شفاء الأمرين جميعا.

(١) كافور: بارد يابس في الثالثة لطيف جدا مضاد للعفونة والمواد الحارة يجبس الخلفة الصفراوية ويقطع الباه قطعاً قويا، حتى إنه يصير شاربه إلى الزمانة، ويحل بالمعدة الناقصة الحرارة إخلالا ردينا.

فأما الطائر الغير محترق والممازج فالزئبق وحده، وأما الطائر الغير محترق ولا ممازج فالنشادر والكافور، وأما الطائر الممازج المحترق فالكبريت والزرنيخ والدهن، وهذه وحدها نفوس لأن جميعها دهن.

وأما الأجساد فهي التي مقدار أرواحها وأجسامها واحد، فلا أجسامها مفارقة لأرواحها، ولا أرواحها مفارقة لأجسامها.

لأن الكون والمزاج وصلا بين ذلك أتم وصله، فكان عنها الشيء المسمى بالأجساد.

وهذه الأجساد سبعة وهي المتطرفة، لأن كل ما امتزجت روحه بجسمه على اعتدال أن يكون جسدا فهو جسد.

وهذه السبعة انقسمت كيفياتها كانقسام الكواكب حسب ما عرفناك في صدر هذا الكتاب وفي غير موضع.

وهذه السبعة هي: الرصاص الأسرب وهو بطبع زحل، والرصاص القلعي وهو بطبع المشتري، والحديد وهو بطبع المريخ، والذهب وهو بطبع الشمس، والنحاس وهو بطبع الزهرة، والفضة وهي بطبع القمر، والخار الصيني وهو بطبع عطارد.

وأما أكثر الصنعويين فإنهم يدخلون الزئبق مكان الخار الصيني، وذلك أن الزئبق داخل في عداد الأرواح لا في عداد الأجساد والأجسام.

وقد رمز على ذلك قوم من جهال الصنعة وقالوا: إنه جسد وليس بجسد وهو طيار غير طيار، وأمثال ذلك من رذال كل ملة، فاعرف ذلك.

واقنع -عافاك الله- بكتبنا هذه عن عبارتهم لعنهم الله وخزاهم، فإنه واجب على من قرأ شيئا من كتبي أن لا يهمل شيئا من العلوم، بل الذي بنحوها له شيئا منها على تحقيق فهو الفيلسوف التام.

فاعلم ذلك وأعمل به تصب الطريق، إن شاء الله تعالى.

وأما الأجسام فهي التي أختلطت في معاذتها من الأرواح والأجساد على غير مزاج، فهي تطير وتثبت لأن الطيار منها أرواحها والحال منها أجسادها.

وإنما افتقرت في التدبير لأنها غير ممتزجة، فاعلم ذلك وهي المرقشيتا والمغنيسيا

والدهنج واللازورد والدوص وأمثال ذلك، فاعلم ذلك، وأعمل به، فهذا ما في الأحجار من العلم. فأما الماهية فأن تعلم أن الأصباغ للأرواح لأنها تحتاج من المكان لسعة أرواحها وقلة أجسادها إلى أكثر من مكافئها.

فإن درهما من الزئبق يغطي عشرين من النحاس حتى يصير كله أبيض بلونه، ودرهم من الكبريت يحرق درهمن من النحاس ويلون عشرين منه أزرق مستحيلا عن لونه الطبيعي، ودرهم من الفضة والنحاس والذهب لأنه يغطي أكثر من مقداره، والأجسام التي هي مركبة من الأرواح والأجساد بعضها يغطي وبعضها لا يغطي، هو جار مجرى الأجساد، فاعلم ذلك.

فإننا لما علمنا أن الصبغ للأرواح لسعتها وأن الثبات والخلود للأجساد لأن الأجساد قيود للأرواح فمن أمكنه أن يدخل الأرواح على الأجساد أمكنه عمل الصنعة وإظهار الإكسير من القوة إلى الفعل.

وأما الأجسام التي ليست أرواحا ولا أجسادا لكنها مركبة من الجميع - أعني الأرواح والأجساد - فهي في الحقيقة أقرب من كون الصنعة من الأرواح المفردة والأجساد المفردة.

وإذ قد أتينا على ما في الأرواح والأجساد والأجسام وقام كل واحد منها في حيزه وموضعه المرسوم فليكن ههنا آخر كلامنا في الماهية ولنأخذ في الكيفية التي هي العمل. ونخرج من ذلك ما يتلوه من السباعية، إن شاء الله تعالى.

القول في الكيفية

الكيفية هو تدبير الصنعة الذي لولاه لم تكن وهي التدبير، وذلك ينقسم أقساما: إما للأرواح، وإما للأجسام، وإما لامتزاج، وإما لطح، وهذه الأربعة هي الصنعة في الحقيقة. أما تدبير الأرواح فإن العلماء انقسموا فيه ثلاثة أقسام:

فطائفة منهم أولى ذكروا أن الأرواح يجب أن تصاعد وأن النار ولطف التصعيد يغسل أوساخها ودرنها ويصلحها للمزاج، وذكروا التصعيد بالاثال والقناني وما أشبه ذلك.

وأما الطائفة الثانية فقالت: بل بالغسل لا بالتصعيد، فإن تبيض هذه الأرواح

عرضيا لا جوهريا بدليل أنها متى ردت إلى النار عادت سودا وصفرا وما أشبه ذلك، وإن الغسل يخرج درنما وإن كان أبعد زمانا فتخرج طاهرة من غير دنس.

لأن التصعيد يبيضاها بالتمديد كما يبيض الناظف ولا سيما الممدود في الهواء بالتييض، والغسل يخرج دنسها عن آخره ولا ترجع سودا عند النار.

وطائفة الثالثة قالت: إن العلم فيهما جمعا، وذلك أنه يجب أن يغسل ليخرج احتراقه، ثم يصاعد ليتبيض، فإنه يكون نقيًا مبيضا، فيكون الغسل والتصعيد قد جمعا فيه فائدة الغسل وتنقيته وفائدة التصعيد وبياضه، والشيء الذي من وجهين كما قدمنا في علوم المنطق والعقل أفضل من الشيء من جهة واحدة.

فهذا ما في الأرواح من التدابير، غير أنه ينبغي أن تعلم ههنا ما نقول: وهو أن غير المحترقة تحتاج من النار إلى ما اشتد منها، وما احترق منها يحتاج من النار إلى ما لأن ولطف أعنى في التدبير.

فهذا ما في الأرواح، فإذا طهرت احتاجت إلى عقد وحل، وجل الحمقى يقولون في هذا الفصل: إنا نحتاج إلى حل وعقد، فهذا ما في الأرواح. فأما ما في الأجساد من التدابير فإن العلماء رحمهم الله انقسموا في الأجساد قسمين.

وذلك أن منهم من قال: يكلس الجسد حتى يلطف وصير هباء لا يجي ولا يرجع إلى سنخه الذي بدأ منه وعنه.

والطائفة الثانية قالت: بل يلطف ويهيى ويكون فيه بقية، فيكون الجسد بمعنى المنحل لا الهالك، فيكون فيه بقية للعلق.

فأما أهل الرأي الأول فإنهم أخرجوا الجسد إلى الهلاك والرمادية، واحتاج إلى رطوبة تجمع بينه وبين الروح.

وأما أهل الطائفة الثانية فأهل الحق إن لحق فأعمل به تلحق رشذك، إن شاء الله تعالى.

القول في المزاج (١)

المزاج يحتاج برهانه إلى شيئين استحددا بحد كيفية واحدة، ويمكن أن تتساوى في الكيفية.

وما لم يستحد الشيطان بحد واحد وتجزأ بجزء واحد، لم يقع الالتئام، ومتى لم يكن الكيفية - أعني الصورة - واحدة لم يقع الالتحام.

(١) قال ابن رشد نقلا عن جالينوس: على الجملة قد ينبغي أن نذكر ما قاله في ذلك بإيجاز، ليكون ذلك في أذهاننا كالقانون ويستعمل من ذلك كل إنسان ما ليس يعوقه عن غرضه الأهم، وما يقدر عليه من ذلك بحسب الأمور الضرورية فنقول:

قانون لحفظ صحة المزاج المعتدل

١٨- إن جالينوس يرى في تدبير هؤلاء أول ما يولدون: أن ينثر على أبدانهم ملح لأهم محتاجون إلى تصليب أبدانهم لما يلقاهم من الأشياء التي من خارج. والأصوب عندي أن يعوض من الملح ما ليس فيه لذع. قال أبو مروان بن زهر: دهن البلوط يفعل هذا الفعل من غير أن يلدع. ويكون غذاء هذا الطفل اللبن فقط. إلى أن تطلع أسنانه.

فإذا طلعت درج في الأغذية الرطبة شيئا فشيئا. وذلك أن اللبن شبيه بمزاج الطفل، والغذاء كما قلنا ينبغي أن يكون شبيها، وأيضا فإنه الغذاء الذي أعدته الطبيعة لذلك.

وهذا بعد أن تكون المرأة المرضعة متحفظة في الغذاء مرتاضة. متجنبه للجماع، فإن الجماع يثور دم الحيض ويغير رائحة اللبن، ثم يحمم هذا الطفل كل يوم في الماء الفاتر في هواء معتدل، لأن لا يقشعر جسمه عند خروجه من الماء.

وجالينوس يرى أن يكون ذلك في الحمام، وأنا أرى أن الهواء إذا كان معتدلا فلا حاجة بهم إلى الحمام. والاستحمام ينبغي أن يتوخى به خلو معدتهم من اللبن، لأن لا ينتشر الغذاء في أعضائهم غير منهضم، وذلك يكون في أثر أطول نوم ينامونه.

١٩- وأما الرياضة فحسبهم منها تحريكهم في المهود وما أشبهها مما يسكن بكاءهم، ولذلك ما ينبغي للداية أن تعني أكثر من العناية أن لا تدخل عليهم ما يخوفهم، فتتحرف أمرجتهم، تمنعهم من الحزن والبكاء ما استطاعت بأن تركز على السبب المحزن لهم سريعا فتدفعه، فإن الأطفال كثيرا ما يتأذون بالحر والبرد والأوساخ وغير ذلك من الأشياء التي من خارج. واستعمال الألبان أيضا معهم مما يحسن أخلاقهم ويسطها.

٢٠- فهكذا ينبغي أن يكون تدبير الأطفال إلى أن يقووا على المشي، وذلك في السنة الثالثة، فإذا فعلوا ذلك أخذوا في الرياضة كل يوم عند قيامهم من النوم، ثم دلوكوا واستحموا وتناولوا أغذيتهم مقدرة الكمية والكيفية والوضع. كما نقول بعد.

فإذا كان أيضا آخر النهار وطلبوا الغذاء فعل بهم ذلك الفعل. وينبغي أن تكون رياضتهم رياضة لا

تبلغ أن تيسر أبدانهم فتمنعها من النمو، ولا يكون استحمامهم إلا بالماء الفاتر فقط لهذه العلة بعينها.

فإن الماء البارد أيضا يمنع النمو. وهكذا يكون تدبيرهم إلى أن ينتهوا إلى ثلاث أسابيع والأنبذة الزبيبية، وما يقوم بالجملة مقام الخمر، من أضر الأشياء للأطفال الصغار لأنها تملأ رعوهم وتحمي أبدانهم وتفسد أفكارهم وأما إذا صاروا في سن الشباب فإنهم ينتفعون بها لأنهم حينئذ تتميز فيهم المرتان الصفراء والسوداء، وللأنبذة في مقاومة هاتين وإخراجهما من الأبدان فعل نيس بالدون.

وذلك أنها تقاوم السوداء بجملة جوهرها وتخرج الصفراء بالبول وتلين الطبيعة. وأيضا فإن الأنبذة ترطب الأعضاء التي عرض لهم فيها ييس ما فهذه حاجة الشباب إلى الأنبذة، فقط إذ كانوا موفوري الحرارة، وأما الشيوخ فحاجتهم إليها جمة المنافع كما سنقول بعد.

٢١- وتكن بالجملة أغذية الفتیان لطيفة. وأوفق الأشياء لهم الفراريج بلباب الخبز المحكم الصنعة، وينبغي أن يؤدبوا على أن لا يأكلوا البقول ولا الفواكه الرطبة.

وبالجملة أن لا تكون سيرتهم سيرة البهائم في المطعم والمشرب، وذلك مع ما يؤخذون به من التعلم، فإن أحسب أن من مزاجه هذا المزاج، هو معد للحكمة بالطبع، فإذا جاوز الفتیان الثلاثة الأسابيع فيكون تدبيرهم على هذه الجهة إذا كمل فعل الهضم في أبدانهم. وآية ذلك أن يكون الماء منصبا انصبغا معتدلا، لا بالشديد الصفرة ولا بالأبيض، فحينئذ ينبغي أن تلقى عنهم أثوابهم ثم يرخون بالزيت العذب تمريناً لنا رخوا من غير تصليب.

٢٢- وهذا التمرخ المقصود به إعداد البدن للرياضة، فإنه لا يؤمن إذا شرع في الرياضة قبل هذا الفعل أن تكون المسام متكاثفة، فتبادر الفضول إلى أن تخرج بمرارة تفسد المسام.

والمقصود بالزيت في التمرخ أمور: منها أنه يخلل الفضول ويرخي الكثافة ويجعل مر الأكف على الأبدان سهل الجرية، حتى لا يلحق الأبدان عن الأكف رض، وهذا التمرخ ينبغي أن يكون من فوق إلى أسفل ومن أسفل إلى فوق، ومن اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين، ومؤربا. وذلك أن هذه الأفعال تفتح أفواه المسام في جميع الجهات، والموضع الذي ينبغي أن يلقي فيه عن هذا الفتى ثيابه، ينبغي أن يكون هواؤه شبيها بهواء الربيع في البلاد المعتدلة.

وأحسبني لا حاجة بي ههنا أن أقول في البلاد المعتدلة، فإن هذا، ليس يمكن أن يولد في غير البلاد المعتدلة فإن كان الهواء كما قلنا ربيعا فليس ينبغي أن يغير منه شيء، وإن كان الهواء شتاء فيسبغ أن يسخن الموضع الذي يتجرد فيه تسخيناً يسيراً.

وكذلك إن كان صيفا فينبغي أن يرد حتى يصير في طبيعة هواء الربيع، فإن الهواء البارد ليس يبلغ فيه من استفراغ الفضول إلى ما يراد، كما أن الحار يستفرغ فيه أكثر مما يحتاج إليه. فلهذا ما اخترنا أن يكون الهواء الذي يتجرد فيه هذا الفتى بهذه الصفة.

٢٣- ثم من بعد هذا التمرخ المعد يشرع في الرياضة، وليأخذ منها أعضائها في القوة والضعف والسرعة والبطء كاللعب بالكرة الصغيرة وما أشبه ذلك، ويمضي فيها حتى يعلو نفسه، ويتندى يعرق جسمه، فحينئذ فليقطعها ويصير إلى السكون قبل أن يظهر في لون وجهه تغير ويتندى الانتفاخ الذي عرض في أعضائه عن الرياضة أن تحلل. وبالجملة أن تنقص أفعاله وحر كاته.

٢٤- وهذا المقدار في شخص شخص، كما يقول جالينوس، إنما يعرفه الرائص، في يوم ثان وثالث. فإن وقع في شيء من هذا غلط تدورك في اليوم الثاني. مثل أنه إن كانت رياضته أشد مما ينبغي استعمل في اليوم الثاني أكثر ذلك التسكين في الرياضة.

فإذا فرغوا من الرياضة فليستعملوا حبس النفس. فإن عندما يضبط النفس تعود الحرارة الغريزية فتفتح المسام وتبدرق الفضول عنها، بمثرة الذين إذا أرادوا أن يوسعوا ثقب شيء نفخوا فيه. وهذا الإمساك ينبغي أن يكون مع مد عضل الصدر والحجاب، وقليل مد عضل البطن فإن بهذا الفعل تندفع الفضول من الرئة والصدر إلى أسفل، أعني إلى أعضاء الغذاء، ثم بتمديد الحجاب وعضل البطن لأعضاء الغذاء تنفض أيضا أعضاء الغذاء من الفضول التي فيها. وينبغي أن يتوقى من حبس النفس أن يكون الحجاب مسترخيا. فإن الفضول حينئذ ترقى إلى الدماغ بمثرة الذي ينفخون في المزامير. فإن هؤلاء، يظهر من أمرهم أنهم تحمر وجوههم وتنتفخ أوداجهم. وذلك من حركة الأخلاط إلى رءوسهم.

٢٥- ثم من بعد هذا يستعمل من الدلك الذي يكون إلى الصلابة مع الكثرة، وذلك أن الغرض من هذا الدلك غرضان: أحدهما تنقية بقايا الفضول التي بقيت تحت الجلد من الرياضة. والغرض الثاني تصليب البدن وتكثيفه وإعداده لأن لا يتأثر عن الأشياء التي من خارج. ويستعمل في هذا التدلك الرياضة التي تسمى التسكين من الامتداد مع الرائص والالتواء عليه، ومد يديه وذراعيه وغير ذلك مما جرت به عادة الرواض أن يفعلوه. لكن تكون هذه الأفعال منقطعة مع سكون بينها غير متواترة.

ويكون هذا الدلك في غاية السرعة حتى لو أمكن كما يقول جالينوس أن تلقى الجسم كله أكف تغطيه في هذا الفعل، حتى يكون تحلله بالسواء و في زمن واحد، وهذا التدلك أيضا إنما يكون بالزيت العذب.

٢٦- ثم من بعد هذا هل ينبغي أن يستحم أم لا؟ أما جالينوس فإنه يرى أنه لا حاجة به إلى الاستحمام إلا من جهة الغبار إن كان ارتاض في موضع غبار، أو من جهة الدهن، ولذلك ليس يحتاج هذا إلى استعمال هواء الحمام أصلا. وينبغي أيضا إذا صار الفتيان الذين مزاجهم هذا المزاج إلى الأسبوع الرابع أن يعودوا الاستحمام بالماء البارد، فإن ذلك يصلب من أعضائهم ما أرخته الرياضة ويقل عطشهم بأثر الرياضة.

وبالجملة ترجع الحرارة المنتشرة بالرياضة إلى عمق البدن فتفعل كل ما يجب أن تفعله، وكان استعمال الماء البارد هنا على جهة التعديل لما لحق عن الرياضة من الأفعال غير المقصودة، كما يستعمل الماء البارد في الحمام إذا احتيج إلى ذلك.

وينبغي أن يكون هذا الماء لا يبرد مياه الثلوج، ولا أيضا يكون قليل البرد، لأن الأول ينكأ الأعضاء والثاني لا يفعل ما يراد منه. ويجب أن يكون انغماسه فيه دفعة، وأما هل يغمس رأسه في الماء البارد ففيه نظر. وجالينوس أطلق القول في ذلك إطلاقا. وإنما قلنا ذلك لأن الرأس هو العضو البارد بالطبع، ولذلك الأولى عندي أن لا يفعل ذلك.

٢٧- ثم من بعد هذا كله يتغذى غذاء موافقا في الكيفية والكمية، وأصلح الأغذية لهم لحوم الدجاج مع الخبز المحكم الصنعة في الخمير والطبخ، ثم يتلو ذلك لحوم الجداء، ثم لحوم فتي الضأن صالح لهم، وكذلك لحوم العجاجيل. ويفعلون هذا الفعل إثر كل هضم.

فمن يرى أنهم يتغذون في النهار مرتين فسيرتاضون أيضا مرتين. ويستحمون مرة بالغدو، ومرة بالعشي. وقد قال جالينوس إن بعضهم كان يرى أن يفعل بهم ذلك في النهار ثلاث مرات. وهذا إنما يتفق مع تقسيم غذائهم عليهم.

إلا أن أبدان الفتيان قوية وهضومهم حسنة فما حاجتنا إلى تقسيم الغذاء عليهم إلى ثلاثة أوقات؟ وإنما يصنع ذلك بالشيوخ الهرم. ولذلك رأي الحدث من الأطباء أن أعدل أوقات الغذاء للمزاج المعتدل ثلاث أكالات في يومين. وعلى هذا تكون رياضتهم واستحمامهم ثلاث مرات في يومين.

٢٨- وأما الجماع فينبغي أن يستعملوه بقصد ومن حيث لا يلحقهم منه في أثره كسل ولا نصب ولا ضعف ولا بالجملة حال غير طبيعية. وإنما كان ولا بد ضروريا استعمال الجماع من أجل أن المني فضلا أعدتها الطبيعة للدفع كسائر الفضلات. لكنها شريفة في نفسها. ولذلك يقع عن أدنى غلط في استفراغها ضرر كبير.

وقد منع قوم ممن يروم حفظ الصحة من الجماع أصلا. وأما الرياضة التي ينبغي أن تستعمل بعد الجماع فهي الرياضة المصلحة لما لحق عنه. ولما كان الجماع ييسر ويضعف القوى ويخلخل الجسم وجب أن يكون التلدك الذي يستعمل بعد الجماع مما يصلح هذه الأشياء، فتكون فيه صلاحية ما بها يكثف المسام ويقوي الأعضاء، ويكون بالدهن الكثير ليرطب الييس.

٢٩- وأما نوم هذا الفتى فيكون أيضا معتدلا، وذلك بحسب ما تدعوه إليه طباعه: فلا يستدعي النوم وهو مستعسر عليه، ولا يدافعه وهو يغالبه. هذا متى لم يعرض له خطأ في تدبيره أو أمر من خارج.

٣٠- وينبغي أن يتدارك إن وقع غلط في تدبير هذا الفتى فيقابل بالحال المضادة. مثال ذلك إن أكل طعاما فيه قبض فاعتقلت طبيعته، فينبغي أن يطعم دسما، فإن رياضته إنما ينبغي أن تكون بعد

التبرز، وكذلك أيضا إن كان سبب ذلك تقليل كمية الغذاء أو تباعد أوقاته، فينبغي أيضا أن يقابل بالبرد؛ لأنه كثيرا أيضا ما يكون السبب في احتقان الفضول في هؤلاء سوء المزاج الحادث عن الأشياء التي من خارج، أعني الحر والبرد؛ فإن هذه أيضا يعسر التحفظ منها، فينبغي أيضا عند ذلك أن يقابل ذلك المزاج بصدده، ولست أعني باحتباس الفضول فضلة البراز والبول. بل أعني فضلات البدن من جميع المجاري كالمجرى الذي بين الكبد والمرارة. والكبد والطحال، وكذلك مجرى الأنف والحنك.

وبالجملة فمضى أهمل شيء من هذا التدبير فينبغي بعد ذلك أن يعطوا الأدوية التي تستفرغ هذه الفضول.

٣١- وأمر الرياضة أيضا مما ينبغي أن يصلح الخطأ الواقع فيها. ومن أكبر الخطأ العارض فيها هو الإعياء الذي يصيب بعقبها. وقد قيل فيما سلف إن الإعياء الذي يكون عن الأشياء التي من خارج ثلاثة أصناف بسيطة. وهذه الثلاثة الأصناف أحدها هو الإعياء القروحي، والثاني التمديدي، والثالث الورمي.

فأما معالجة الإعياء القروحي من حيث هو عن خلط حار. وذلك إما من فضول بقيت لم تحلل في الرياضة. أو من أشياء ذابت من اللحم أو من الشحم لإفراط الرياضة. فينبغي أن يكون ذلك مما يحلل تلك الفضول أو يستفرغها، وذلك بالدلك اللين الكثير: إذ كان هذا الدلك لينه لا يصلب ولكثرته يستفرغ. ويكون ذلك بالزيت الساخن القديم الذي ليس فيه قبض. وهؤلاء فيما أرى محتاجون من الحمام إلى الهواء فقط، ثم يستحمون بعد ذلك بالماء الفاتر الساخنة، ويستعملون من الغذاء ألطف مما كانوا يستعملونه وأرطب وأبرد وأقل كمية. وأما الإعياء التمديدي فإن شفاؤه يكون بالإرخاء. فلذلك ينبغي أن يدلوكوا الدلك الرخو بالزيت الساخن في الشمس ودهن الشبت في هذا الموضع ودهن البابونج لأبأس به. وهؤلاء ينبغي لهم أن يدخلوا الأبرن المعتدل ويظيلوا البث فيه، ويستعملوا الرياضة المسكنة. وهي التي يفعلها الرواض عند التمريخ من مد الأعضاء وقتلها. فإن بهذا الفعل يكون خروج الفضول التي في العضل.

كما أن بالدلك يكون خروج الفضول التي تحت الجلد، وأما الإعياء الورمي وهو الذي يكون مع تمدد وحس مؤذ وزيادة في كمية الأعضاء فشفاؤه يكون بالقصد إلى ثلاثة أشياء: أحدهما: الاستفراغ والثاني: التبريد والثالث: الإرخاء. فلذلك قد ينبغي أن يكون الدلك في هذا رقيقا. ويمكث في الماء المعتدل الحرارة مكثا طويلا. ويستعمل الدهن الكثير المفتر. وإن كان زمان الصيف فدهن البنفسج في ذلك موافق. وصاحب هذا الإعياء ينبغي أن يكون غذاؤه أقل كمية من صاحب الأصناف الأخر وأبرد.

٣٢- فهذه هي حال تدبير أصحاب هذا المزاج في سن الشباب، وهو إلى نحو من خمس وثلاثين

سنة. ثم من بعد الانحطاط ينبغي أن يقل من رياضتهم وتلطف أغذيتهم. ويقصد أن تكون رطبة إلى الحرارة ما هي، فإذا حصلوا في سن الشيخوخة استعملوا من الرياضة الرفيعة مثل المشي الرفيق وما أشبه ذلك، ومن الأغذية الرطبة الحارة. ولهذا التدبير عرض في الزيادة والقلة بحسب علو أسنانهم وانحطاطها. قال.

وينبغي للشيخ أن يتغذوا ثلاث مرات في النهار، ويرتاضون عند كل تمام هضم منها رياضة مسكنة، ويتدلكون ويستحمون. ولأن الشيوخ كثيرا ما تتولد في أبدانهم فضول كثيرة، وهم لا يقدرّون من الرياضة على ما به تستفرغ تلك الفضول كلها. لم يكن بد في حفظ صحتهم من استعمال الأغذية الدوائية أو الأدوية.

فلذلك ينبغي أن يجعل أبدا في أول طعامهم ما تلين به بطونهم، مثل أن يأكلوا في أول طعامهم مساليق السلق بالمري والزيت والملح. وكذلك مساليق الخبازي والاحتقان بالزيت نافع لهم، وكذلك استعمال التين بالقرطم أو بزر الأنجره قبل الطعام. وشراب العسل من أنفع الأشياء لهم، ولا سيما لمن لا يستجيز منهم أخذ الأنبة.

فإن كان ممن يستجيزها فهي من أنفع الأشياء لهم، فليتوخ منها الأنبة التي اتخذت بعد أن أخرج من الزبيب عجمه فإن أضر شيء بالشيوخ القوة القابضة ثم عتقت إلى أن بلغت نهاية كمالها. ولتوخوا من ألوانها الألوان الجلابية. وليس تعتق الأنبة المعمولة بهذه الصفة في بلادنا من أقل من ثلاثة أشهر إلى أربعة أشهر.

فإما ما دون ذلك فلا خير لحفظ الصحة فيه، كما أن الحُمور إنما تعتق في هذه البلاد من نحو ستة أشهر إلى عام، ولا بأس أن يستعملوا ماء العسل في بعض الأوقات بماء قد أنقع فيه برر كرفس والمساليوس والنانوخة وغير ذلك.

وإن كانت فيهم أعضاء مئوفة، بالطبع، فلا ينبغي أن يروضوها.

لكن هذا الشيخ الذي كلامنا فيه ليس في أعضائه عضو مئوف، وينبغي للشيخ أن يدخلوا الحمام في الشهر من أربع مرات إلى ثلاث وذلك أن الشباب من هؤلاء قد قلنا بالتدبير المتقدم إنهم ليسوا محتاجين إلى الحمام. فأما هؤلاء فلقلة رياضتهم هم محتاجون إلى الحمام.

وكان تدبير الشيوخ مركب من التدبير الذي هو حفظ مجرد وتوق مما يحدث واستظهار عليه. والفرق بين التدبيرين أن ذلك تدبير بالشبيه وهذا بالضد.

وينبغي للشيخ أن يتجنبوا الأشياء الغليظة أكثر من تجنبهم كل شيء.

فإذا استعملوا من ذلك شيئا فزوعوا إلى الأدوية اللطيفة والألبان جيدة للشيوخ الذين ليست عروقهم ضيقة، لكن على كل حال ينبغي أن يستعملوها بالعسل.

وأما من كان منهم بارد المزاج بالطبع أو ضيق العروق فلا ينبغي أن يقرها.

٣٣- فهذا ما نقوله في تدبير الأمزجة المعتدلة من سن الصبا إلى سن الشيخوخة. وهذا التدبير وإن

كان في غاية البعد من الإمكان فإنه كما قلنا كالقانون الذي يعمل عليه. من يريد تدبير صحته. وينبغي بقدر ما نقص عن هذا التدبير أن يتدارك باستفراغ الفضول بالأدوية المفتحة للسد، المانعة للعفونة والأورام. وينبغي بعد هذا أن نقول في تدبير سائر الأمزجة. فنقول:

٧- تدبير الأمزجة غير المعتدلة

٣٤- إن هذه الأبدان صنفان: صنف غلب على جميع أجزائه الصنف من المزاج غير المعتدل من الأصناف الثمانية التي عدت في كتاب الصحة، وصنف اختلفت أمزجته أعضائه أنفسهم، مثل أن يكون الدماغ حارا والمعدة باردة وبالعكس. وهذا الصنف أردأ من الصنف الأول، وبخاصة متى كان هذا الاختلاف فيه في أعضائه الأصلية. وحفظ صحة هؤلاء بالجملة هو أقرب أن يكون داخلا في إبطال الاستعدادات المرضية من أن يكون داخلا في باب الحفظ، وبخاصة الذين أعضاؤهم الرئيسية متشتتة المزاج. وكان هذا النوع من الحفظ متوسط بين حفظ الأبدان غير المذمومة وبين إبطال الاستعدادات المرضية، وهي الأبدان التي تظهر فيها علامة واحدة أو أكثر من علامة واحدة من العلامات التي قلنا إنها تنذر في الصحة بأمراض ستحدث.

وسنقول في هذا الجزء فيما بعد. فلنبداً من القول في تدبير أصحاب سوء المزاج غير المركب. ومن هؤلاء في أصحاب الأمزجة الحارة فقط، فنقول:

٣٥- إن هؤلاء في أول أمرهم ليس يظهر في مزاجهم كبير اختلال، فإذا تبادى بهم السن ارتدفت إلى الحرارة بيس ضرورة، فغلب على أبدانهم تولد المرة الصفراء، فلذلك ما ينبغي أن تكون رياضة هذا الصنف رياضة ساكنة بالمشي الرفيق أو بالركوب الرفيق. فإن الأبدان الحارة كما يقول أبقراط ينبغي أن تراح ولا تراض.

إلا أن هذا القول إنما ينبغي أن يفهم بإضافة: فإن عدم الرياضة جملة لا ينبغي لذي صحة. ويكون ذلك المستعمل في هذا الصنف دلكا لنا معتدلا في كميته. وهو ذلك الذي ينمي اللحم. وذلك ببعض الأدهان الباردة كدهن البنفسج وغير ذلك.

ويستحموا بالماء الفاتر الذي يستفرغ من أبدانهم الفضول الدخانية. ولا حاجة بهم إلى استعمال هواء الحمام في الأكثر من تدبيرهم. واستعمال الماء البارد بعد الحار في هذه الأبدان لا بأس به، فإنه يصلح ما يفعله الماء الحار من إحرارها. وهؤلاء ليس ينبغي أن يكون أكثلم في النهار أقل من مرتين. وأما إن كان اليبس ظاهرا عليهم مع الحرارة فثلاث مرات لا أقل من ذلك ولا أكثر.

وأما نوع أعذيتهم فإن عادة الأطباء في ذلك قد جرت بأن يقولوا: أما إن كان قصد أصحاب هذه الأبدان حفظ صحتها على ما هي عليه فيالشبيه من الأغذية أعني الحارة أو الحارة اليابسة. وأما إن كان قصدهم نقل أمزجتهم فيالضد وذلك بتدريجهم في ذلك قليلا قليلا.

٣٦- وأنا أرى أن هذه الأمزجة من حيث خروجها عن الاعتدال إلى أحد الأطراف قد قاربت من

الجهة التي خرجت إليها أن تقع في المرض المجانس لذلك المزاج. وذلك عند أدق سبب يطرأ عليها من خارج. فلمكان هذا الاستعداد الذي فيها أرى أن لا تكون أغذيتها شبيهة بها من كل الوجوه.

وذلك أن أمثال هذه الأمزجة ليست واقفة بل هي متحركة إلى سوء المزاج المرضي، فلذلك ليس يقصد من تدبيرها بالغذاء منها حفظ فقط، بل وإبطال ما يحدث فيها من الاستعداد. ولهذا كله ما ينبغي أن تكون أغذيتهم فيها مضادة يسيرة لذلك المزاج.

٣٧- ومع هذا كله فليس ينبغي أن يكتفى في حفظهم بهذا التدبير دون أن تستفرغ منهم الأخلاط التي يفعلها ذلك المزاج الغالب عليهم، فيستفرغ من أصحاب المزاج الحار المرة الصفراء بالإسهال والقيء. ويتحرى في استعمال ذلك بحسب كثرة تولد هذا الفضل في ذلك البدن. ويقصد أيضا في استفرغه الجهة التي جرت عادة الطباع من ذلك أن تستفرغ منه: إن بالقيء فبالقيء وإن بالإسهال فبالإسهال. والإسهال أحمد، لأنه استفرغ على مجرى الطبع أكثر. وأظن أن من يتدبر هذا التدبير من أصحاب الأمزجة الحارة فقط أو الحارة اليابسة فيسكتفون في استفرغ المرة الصفراء بالأدوية المستفرغة لها برفق مثل التمر الهندي والبنفسج والأهليلج الأصفر والبلاب وغير ذلك من الأدوية المليئة.

ومهما كان هذا المزاج الغالب عليه الحرارة واليبس كان تولد الأنخرة الدخانية فيه كثيرا، فهو أحوج إلى دخول الحمام، وإلا أصابتهم حمى يوم من ساعتهم. وكذلك متى صابروا الجوع. ويصلح لهؤلاء في بعض الأحيان أن يستعملوا الاستحمام بعد الطعام، فإن هذا ينصب أبدانهم. لكن من كان منهم يصيبه في استعمال ذلك ثقل على جنبه الأيمن فينبغي أن يتجنبه، ويستعمل الأشياء المفتحة لسدد الكبد. وأما شرب الأنبة لهؤلاء فينبغي أن يقللوا منه، وإن استعملوها فليستعملوا النبيذ الأبيض المائي.

وبالجملة فتدبير أصحاب الأمزجة الحارة اليابسة وأصحاب الأمزجة الحارة فقط إنما يختلفان في آخر الأمر بالأقل والأكثر، لأن الحرارة في آخر الأمر لا بد أن تقترن بما ييوسه، وشرب شراب السكنجيين السكري في زمان الصيف المعمول ببعض البزور والحشائش التي فيها قوة مفتحة مدرة من غير إسخان مثل بزر السريس والبرشاوشان وبزر الكرفس مكسورا قوته الأولى. بمثله من بزر البطيخ مع ما يحجب من ييس هذه الأدوية ويكسر من حرها مثل عود السوس وزهر البنفسج وزهر النيلوفر تدبير جيد في الحر يمانع حدوث الحميات في هذه الأمزجة.

وينبغي أن يكون فيه مع هذا ما يقوي فم المعدة، فإن الخل بما هو خل مضر بفم المعدة. فلذلك لا ينبغي أن يخلو مثل هذا المركب من قليل مصطكي وسنبل أو يسير من عود الطيب، وشرب ماء الشعير أيضا لهؤلاء في زمان الصيف تدبير جيد. بعد أن يكون فيه أيضا بعض ما يكسر من إخلاله بفم المعدة.

٣٨- وينبغي لأصحاب الأمزجة اليابسة أن يعنوا أكثر ذلك بترطيب أبدانهم، فإن الشبخوخة تسرع إليهم. وذلك يكون بالأغذية الرطبة المحمودة الكيموس كنفایا إناث الدجاج وبالاستحمام بالمياه العذبة المعتدلة في الحر والبرد.

وينبغي أن يتجنب أصحاب هذه الأمزجة السهر والأعراض النفسانية التي تكسب الأبدان حرارة مثل الغضب وغير ذلك. ويستعملون ما يطرب ويبسط أخلاقهم. ولتكن الأشياء التي يتعمدون لقاءها من خارج مضادة لأمزجتهم مثل الأهوية المعتدلة في زمان الحر يورق الخلاف والريحان وورق الكرم والمياه الباردة، وأن تكون فروشهم وثيابهم في غاية اللدونة والوثارة وسماع الألحان المرحية أوفق شيء لهذه الأمزجة، أعني الحارة اليابسة.

٣٩- وأما الأمزجة الحارة الرطبة فأصحابها تعتربهم أمراض العفونة وسيلان الفضول، وبخاصة في سن الحدائة. فلذلك ينبغي هؤلاء أن يستعملوا من الرياضة القوية السريعة، ومن ذلك الكثير الصلب، ويستحموا قبل أخذ غذائهم مرتين وثلاثا.

وبالحملة فينبغي أن يعنوا بأمر معدهم، فإنه متى استحالت الأطعمة في المعدة كانت سببا لاستحالة الأخلاط في جميع البدن، وأما أغذيتهم فيجب أن تكون مائلة إلى البرد واليبس. وليس هذا المزاج هو المعتدل كما يظن ذلك جالينوس والقدماء، حين قالوا إن المزاج الطبيعي هو الحار الرطب. وذلك أن المزاج الطبيعي إذا قيس من حيث هو وسط بالأطراف قيل فيه إنه معتدل، وأعني بالأطراف الأمزجة الثمانية.

وإذا قيس بحسب غلبة الأسطقسات فيه قيل إنه حار رطب. بمعنى أن الحرارة والرطوبة فيه أغلب من البرودة واليبس. وأما هذا المزاج الذي نقول فيه ههنا حار رطب فهو بالمقايسة إلى المعتدل. فقولنا إذن في المعتدل إنه حار رطب، وفي هذا المزاج حار رطب، هو باسئراط الاسم. وجالينوس يأخذ أن الطبيعي هو المزاج الذي يقال بالمقايسة إلى الأطراف والحار الرطب هو الذي يقال بالإضافة إلى المعتدل، فيلزمهم المزاج ههنا معتدل. وقد خرجنا عما كنا بسبيله فلنرجع إلى حيث كنا فنقول:

٤٠- وهؤلاء ليس ينبغي لهم أن يقتصروا من حفظ الصحة على الرياضة فقط والاستحمام واستعمال الأغذية، بل ينبغي أن يعنوا أيضا باستفراغ الفضول بالأدوية بالإسهال. ومن الرأس بالعطاس والغرغرة بالمصطكي ويسير من حب الرأس والتاغندس وبإدرار البول. والأدوية التي تصلح لإسهال أصحاب هذه الأمزجة هي الأدوية اللينة في استخراج الرطوبات مثل الغاريقون والتربذ والقرطم وبزر الأنجرة. وينبغي أن يعنى هؤلاء بتفتيح السدد ومنع أسباب العفونة أكثر من جميع الناس. ومنع أسباب العفونة يكون بأشياء:

منها كما قلنا بتفتيح السدد ومنها استفراغ الخلط الذي شأنه أن يعفن، ومنها إحالته بالأدوية وذلك فيما شأنه منه أن يستحيل عن الطبيعة عند معاضدتها بالأدوية، ومنها مقابلة ذلك الخلط

بأدوية مضادة لمزاجها وهذه الأدوية هي المعروفة بالأفاويه، وذلك أن العفونة لما كان مزاجها مزاجا متولدا عن حرارة غريبة ورطوبة غريبة منتنة الرائحة كانت الأدوية العطرة الرائحة في غاية المضادة لها. فإن أنت ركبت لهؤلاء من مجموع هذه القوى مركبا بعد أن تبطل ما يظهر فيه من القوى التي ليست يحتاج إليها كنت قد صنعت لهم دواء فاضلا في حفظ صحتهم.

٤١- وأما أصحاب المزاج البارد فإما أن يكون هذا المزاج أيضا معتدلا في الكيفيات الأخر، وإما أن يكون رطبا. وإما أن يكون يابسا. فأما أصحاب الأبدان الباردة فقط من هؤلاء فينبغي أن ننحو في تدبيرهم إلى ما يسخن أبدانهم من غير ترطيب من الرياضة والاستحمام والأغذية. وأما أصحاب الأمزجة الباردة الرطبة فهؤلاء أيضا ينبغي أن يكون تدبيرهم تديرا يسخن ويبس، ويتجنبوا الاستحمام بالماء ويكثروا الرياضة ويستعملون من الأدوية ما يستفرغ الفضول المتولدة في أمثال هذه الأمزجة. وأما أصحاب المزاج البارد اليابس فهم أردأ هذه الأصناف. وينبغي أن يكون تدبيرهم تديرا يحر ويرطب، وذلك يكون بالدلك اللين والاستحمام بالماء العذب والرياضة المسكنة والنوم الطويل واستعمال الأغذية التي كفيتهها هذه الكيفية. وأصحاب الأمزجة الرطبة بالجملة ينبغي أن تباعد أوقات غذائهم كما أن أصحاب الأمزجة اليابسة ينبغي أن يكون الأمر فيهم بالضد، وأصحاب الأمزجة الباردة اليابسة ينبغي أيضا أن يعنوا باستفراغ الفضول التي تتولد في أبدانهم. وتلك هي المرة السوداء، والأدوية التي تكفيهم في ذلك هي مثل الأهليلجات السود. وإن ترقوا إلى أكثر من ذلك فالسبايج.

فإنه دواء نافع مأمون الغائلة في إخراج هذا الخلط والأنبذة الجلالية من أنفع شيء لهذه الأمزجة. وأما الجماع فأحمل هذه الأمزجة له هي الأمزجة الحارة الرطبة. وأشدّها استضرارا به هي الأمزجة الباردة اليابسة. وأما التي بينهما فمتوسطة.

تدبير الأمزجة الخارجة جزئيا عن الاعتدال

٤٢- فهذه تديرات الأمزجة الخارجة عن الاعتدال. وأما الأمزجة التي إنما خرجت عن الاعتدال في الكيفيات المنفعلة فقط. أعني في اليبوسة فقط أو في الرطوبة فليس يتبع ذلك فيها كبير ضرر. كما يتبع الأمزجة التي خرجت في الكيفيات الفاعلة أو المنفعلة والفاعلة. التي تكلمنا في تدبيرها. وجالينوس يحتاج لهذا بأن أعضاء الإنسان في أول ما يولد هي في غاية من الرطوبة، وعند الشيخوخة في غاية من اليبوسة.

٤٣- وأما الأبدان القضيقة فإن تدبيرها يكون بإبطال أسباب القصف. فإن كان سبب ذلك فرط تحليل لموضع الحرارة في أعضائهم واليبس. فإن التدبير المرطب المبرد ينفعهم. وأما إن كان سبب القصف ضعف القوة الجاذبة التي في الأعضاء. فالطلاء بالزفت نافع لهم. وذلك بأن يبقى على البدن بمقدار ما يجذب إليه الغذاء فقط لأنه إذا طال لبثه حلل. وأما إن كان السبب فيه استيلاء البرد على القوة الهاضمة.

فاستعمال الأشياء المهضة لها كالأنبذة وغير ذلك. والقصف بالجملة إنما يكون مع ييس: لكن فاعل ذلك اليبس قد يكون فرط التحليل. وقد يكون قلة جذب القوة الجاذبة الغذاء إلى الأعضاء. وقد يكون لقلة المنهضم منه ووتاحته.

وقد يكون أيضا ذلك ليس الأغذية أنفسها وإصلاح هذا قريب. وأما تقصيف الأبدان العيلة فضد هذه الأشياء. أعني الرياضة المفرطة والإمساك عن الأكل واستعمال الاستفراغ بالأدوية وبجميع ضروب الاستفراغ من كل ما يثير الحرارة مثل السهر وجميع الأعراض النفسانية التي تفعل هذا الفعل.

٤٤- وإذ قد قلنا في تدبير الأمزجة غير المعتدلة المتساوية في ذلك فلنقل في الأمزجة التي عدم الاعتدال فيها في نفس أعضائها. وهذه الأمزجة أيضا تدبيرها هو من جنس إبطال الاستعدادات المرضية.

أكثر ذلك من تدبير من به سوء مزاج مستو. والغرض في من حاله هذه تقوية ذلك العضو وإصلاح مزاجه. واستفراغ ما يتولد فيه وإنضاجه. ورفع السبب الفاعل له. وإصلاحه إن كانت آفته من قبل مشاركة عضو آخر. وإلا بإصلاحه نفسه. ومثال ذلك أن المعدة قد تكون في بعض الناس متوقفة بالطبع.

وقد تكون بسبب مشاركة الدماغ. وأشد الأصناف ضررا من هذا الاختلاف هي اختلافات الأعضاء الرئيسية المشاركة إذا تضادت أمزجتها، مثل أن تكون المعدة باردة والكبد حارة والبدن مهلوس وصاحبه يشكو الحصى أو أن يكون قضييفا وأتثياه فعالة للمني. وفي مثل هذه المواضع ينبغي أن يخلط التدبير مع صرف العناية إلى الأهم من غير أن تهمل الجهة الأخرى. وهذا كله داخل في باب المعالجة، فلا معنى لذكره ههنا. والحفظ منه قبل أن يقع من جنس دفعه إذا وقع.

٤٥- ومن أسوأ أصناف هذه الأمزاج من كان مزاج دماغه غير معتدل: إما إلى البرد وإما إلى الحر. وذلك أن مزاج الدماغ إذا ساء كان سببا لآفات كثيرة تحدث بالأبدان. منها أنه يعتري عن ذلك أورام الحلق والرئة والتهمة وقروح الرئة وقروح الفم وانقطاع الصوت والبهير. وربما مال الفضل إلى معدهم فأفسدها: إن كان باردا فإلى البرد حتى يفسد مزاجها ويفسد مزاج سائر البدن. وأصحاب هذه العلة يتجشئون جشاء حامضا كما عرض لي ذلك وأنا فتى. فأكسب معدتي سوء مزاج لست أقدر بعد على دفعه. وذلك أيضا مع سوء المعالجة لي في ذلك الوقت. فإني ما كنت حينئذ حدقت شيئا من أعمال الطب.

وربما كان هذا الخلط في بعضهم مراريا. ورفع هذا كله إذا وقع داخل في حيلة البرء. وأما التحفظ من وقوعه فهو أليق بهذا الموضوع. وذلك يكون. أما في الدماغ البارد فيوضع الضمادات المجففة له المقوية التي لها بعض حرارة وعطرية كالسباسة في الصيف والقرنفل في الشتاء.

وأما الموازنة فهي مقدار تعلق الأعلى بالأسفل والأسفل بالأعلى، فاعلم ذلك. وبيان ذلك أنه إن كانت الروح طاهرة والجسد غير طاهر لم يكن عمل وموتى كانت الأرواح طاهرة والأجساد ولم تكن منحلة مائية هوائية لم يقع التثام ونظام في التدبير ولم يكن مزاج.

فأما الكمية فالأشياء التي بينها نسبة وهي الأشياء التي يجب أن تكون واحدة، والتي لا نسبة بينها هي التي يقع فيها الخلف في الكمية بينها، وهذا ما في المزاج. فإذا اجتمعت المترجمة على سبيل التثام وقبول بعضها لبعض فقد وجب كون الإكسير وصار ما تقدم طبيعة له، ويبقى عليك الطرح وقبل الطرح الصورة والكيفية. أما الصورة فأن يكون في الأحمر أحمر في غاية ما يكون مائلا إلى السواد من شدة حمرة، ويكون الطبع غالب الحرارة واليبوسة قليل الرودة والرطوبة. فهذا ما في الإكسير الأحمر، يكون شبيها بالجليد بعضه متراكم على بعض كما مثلنا، حتى كأنه رفع خالدا، حتى كأنه جسد كله صابغا كله، حتى كأنه صبغ كله. والأبيض كذلك إلا أنه يبيض شديد البياض ذاهب نحو الجليد في اللون، بارد يابس شديد البرد واليبس قليل الحرارة والرطوبة، في الحد والصفة مثل الأحمر، ومعكس الطبائع، ذائب حتى كأنه شمع، فهذا ما في المزاج، والله أعلم بالصواب.

واستفراغ الفضول التي تجتمع فيه كل يوم بالعطاس، والسواك بأصول الجوز، ومضغ المصطكي مع يسير من الميوبرزج، وأخذ بعض الأدوية التي شأها أن تستفرغ الخلط البارد من الرأس في أوقات أخذ الدواء، وهي فصل الاعتدالين: أعني الربيع والخريف وأما الأدمغة التي تتولد فيها فضول حارة فعلاجها ضد هذا العلاج.

وذلك أن تدهن رءوسهم بدهن الورد. وأن يستفرغ منهم ذلك الخلط بالأدوية التي شأها أن تستفرغه والرءوس بالجملة هي أكثر تأثرا عن البرد منها عن الحر. فلذلك ما ينبغي أن تصان عن البرد غاية الصون.

القول في الطرح

الطرح يتبع التدبير، فإن كان كاملا لم يكن للطرح نهاية، وإن كان معلولا كان ناقصا. وأقل طروح الأكسير الحق ستون، وأكثرها ألف ألف ومائة ألف، وأوسطها ألف ومائتان. والتكرير واجب في صناعة الحكمة لأن التكرير حل وعقد، فالحل يجري مجرى التنقية والعقد يجري مجرى التشويه، وهذا يزيد الأكسير دائما إلى أن يبلغ نهايته. والأكسير دواء نافع من جميع الأوصاب، وهو سم السموم، ومعنى سم أنه كذلك، يقال في الدواء البلوغ كالترياق سم، وكل دواء شاف لو صب من الأوصاب فهو سم ذلك الوصل، والنار هو سم لأنه سم السموم. وإذ قد أتينا على ذلك فلنقل: اعتقاد الصنعويين في الصناعة أنهم يعتقدون أن العالم إنسان كبير، والصناعة إنسان أوسط، والإنسان إنسان صغير.

ولا ألوم طائفة التوقيدية إذ زعمت أن العلة إنسان صغير وأنه يزيد ويكثر إلى نسل آخر فيزداد عليه دائما، وأنه إنما صار إنسانا كبيرا باقيا لهذه العلة ويحسن معرفته بالسياسة ويظهر التدبير في البقاء، فكان إنسانا كبيرا لا نهاية له، كما ترى الأشياء تنشأ ضعيفة أولا، ثم تقوى مرتبة مرتبة على ذلك إلى أن تنتهي إلى آخرها حتى تكون لها غاية ولا ألوم المهند على حد لهم على أنني قد أفردت لهم كتابا ذكرت آراءهم فيه، وكذلك القرامطة الكونية والقدرية والرزية والسلسلية والماهيمية والصمية الذين يشبهون السامرية والمسلمية، ولا مذهب المحوس النازل الغث على كفره وخفته وقبح نتيجته، ولا مذهب الفلاسفة في الديانات ونزوها وغثاتها بعضها حيث اعتقدت في العلة الأولى أنها مثل ما رمت تعلق الأسباب به.

فإن كان ذلك حقا فقد صدق ثمود وفرعون -لعنه الله- ومن أشبههما وجميع الأبالسة كعباس وعد الله وإسحاق والمخلد والباير وما أشبه من الآراء. الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة نشاء فنعم أجر العاملين وهذا آخر الصناعة، فلنقل فيما بعد من السباعية، إن شاء الله.

القول في الخواص

الخواص اسم ينقسم بثلاثة معان: إما سريع الزوال ويسمى حالا، وإما بطيء الزوال ويسمى هيئة، وإما ذاتي فيما هو فيه.

وقد أوضحنا ذلك في الأول من المنطق، والقول في الخواص إنما هو في الأخص منها الذاتي فيما هو فيه، وذلك أننا نحتاج أن ندبر أمر الخواص، فقد أوسعنا الكلام فيه بقول جامع يدل على ما فيه.

وذلك أن الخاصية تابعة لعملها والميزان لاحق لها على سبيل الدقيق، فإنه متى أخذ حجر المغنطيس، وهو الأشهر الأعم في عقول الناس، فوزن بالميزان الطبيعي الذي سنذكره فيما بعد وحصل مقداره، ثم وزن الجواهر مع آخر، لأن الخواص لا تتفق في جوهرين مختلفين بوزن واحد، ولكنها إذا اتفقت في جوهرين أو جواهر عدة كان حدها مثل الجواهر الأول سواء في الكيفية وجميع الحدود، لأنه من الممتنع وجود جوهرين حدهما حدان منفردان يقال عليهما خاصية واحدة.

فإنه ليس نسبة الحار إلى الحار في الكيفية سواء في الجوهرية. مثال ذلك أن الأسارون وهو حار يابس ليس مثل الفلفل وهو حار يابس، لكن يشبه هذه الكيفيات فقط، والجوهرية مخالفة.

وكذلك إذا اتفقا أيضا في الكمية، أعني في درجة واحدة، فإن اللسان في الدرجة الثالثة من الحرارة واليبس مثلا، وكذلك الفلفل، فقد اتفقا في كمية وكيفية واحدة والكيفيات والكميات فهما متقاربان بالنباتية وبالكيفيات والكميات، والخلف بينهما في موضع آخر يسير، وهو استتمام الشكل لأن المستحدين بحد واحد متفقان في الجوهرية والعرضية، فأفهم ذلك.

وللأشياء الخواص شروط: منها ما يعمل بالشرب، ومنها ما يعمل بالتعليق، ومنها ما يعمل بالمجاورة لا على سبيل التعليق ولكن على سبيل مجاورة الإرادة والعمل، ولا سيما في باب الطلسمات. وإن هذا النوع من الخواص داخل فيه.

ومثال الخواص التي تعمل بالشراب جميع الأشياء التي تعمل لوقتها. وقد ذكرنا من ذلك في باب الميزان في كتاب الأصول من هذه الكتب ما فيه كفاية.

إلا أنه غير ضائر أن يوماً إلى ذلك دائماً ويدل على ذلك، إن شاء الله عز وجل فنقول إن مثال ذلك في الشرب البيش القاتل لوقته ومرار الأفاعي ولبن الخشخاش، والسقمونيا في إخراج الصفراء، والريححة في السكر، وجوز مائل وما أشبه ذلك.

ومثال التعلق تعلق الحجر العقاب للحبالي، والبيوت التسعة التي فيها خمسة عشر من العدد كيف قلبت، وحجر العبهري للوسواس، والفاونيا وهو عود الصليب للصداع، وأمثال ذلك مما قد أطلنا القول فيه.

وأما ما يعمل بالمجاورة والاستعارة مما قد ذكرنا في أبواب الطلسمات كالمرأة الحائض المتجردة تمنع البرد الواقع على الزروع، والسلحفاة الموضوععة على ظهرها، وأمثال ذلك.

وفيه باب آخر من النصبه والأشكال التي إذا هيئت ذلك الثاني عملت: كمقابلة الزمرذ عين الأفعى فهي تسيل لوقتها، وكالعقرب المنقوش ومقابلة ظهور العقرب من تحت الأرض إلى علوها وأمثال ذلك، والأشياء التي قد أحكمناها في كتب الخواص أعني الخمسين رسالة وأمثالها.

فإن الكتابة بالعروق والجير المنقع في النورة فتظهر الكتابة على ذلك الحرير والنار التي تشتعل في رؤس القوارير بالنبيذ والملح المغلى وما أشبه ذلك من الأشياء في الخواص البديعة التي يظن أن مقدار الفائدة فيها يسير، وهذه تدل على شيء كثير في هذه العلوم.

وينبغي للنظر في علم الخواص إلى أن يجمع منها ما يحتاج إلى أن يمتحنه، ثم يلحق كل واحد منها بالمقولات العشر، إما بالجواهر وإما بالعرض، فيلحق كل واحد منها بجنسه.

فإن التي تعمل بالجور ليست كمثل التي تعمل بالكمية ولا بما بعدها، وكذلك التي تعمل بالكمية ليست العاملة بالكيفية.

فإننا لو نصبنا في البيوت التسعة غير ما يدل على خمسة عشر لم تسهل الولادة، وكذلك لو أخذ تسعة دراهم من الزعفران أو أحد عشر درهما لم تسقط المشمة. وكذلك التي في الزمان والمكان: كل واحد منها يعمل بما نصبته، فإن الذي

ينحل في أيام بعينها لا ينحل في أقل منها ولا أكثر إلا فسد التدبير.
وكذلك القول في المكان: المنحل في التعفين لا ينحل في غيره.
وكذلك المرأة المتجردة في الصحراء لو تجردت في دار لم تعمل ذلك العمل،
وأمثال ذلك.

وكذلك القول في النصفة والقنية والمضاف والفاعل والمنفعل، فإن القول ينبغي أن
يتضح ويحقق غاية التحقيق، ويحتاج الإنسان بعد ذلك إلى دربة وزمان للعلم ودوم عليه
حتى يخرج له حقائق كل واحد من هذه الأصول.
وإذ قد أتينا على القول على الخواص فلنعد إلى الكلام في الطلسمات وهو الرابع
من السباعية، لنخرج من ذلك إلى ما يتلوه حتى نستوفي القول فيه وفي كتابنا ويكون
آخره، لنبادر إلى غيره من هذه الكتب، إن شاء الله تعالى.

القول في الطلسمات

القول في الطلسمات في التحقيق من باب الجوهر، لأن ما عمل بذاته عملا ما
فإنه جوهرى الطبع. وأدواته الخارجة من القوة إلى الفعل من باب المضاف في جرمته،
وهو المسمى المماثلة والمقابلة.

وقد حددنا لك ذلك وجودنا تفسيره في غير موضع من كتبنا وفي كتب المنطق
بغاية التجويد، ونحن الآن قائلون فيه قولاً يشتمل على ذلك ويستوعبه والمعنى فيه.
وهو أن المماثلة مشاكلة الأشياء بعضها إلى بعض واستجلاهما والاستكثار منها،
كمماثلة الكبريت للنار، والمقابلة مباينة الأشياء بعضها من بعض وبعدها عنها
ومنافرتها والاستقلال منها.

ولها مرتبتان في المماثلة والمقابلة: أما المماثلة فإن الأشياء التي تتماثل بالفاعل
أقوى وأمكن من التي تتماثل بالمنفعل، والأشياء التي تتماثل بالطرفين معا أقوى وأمكن
من التي تتماثل بأحدهما.

فإن النسبة بين الحار اليابس والحار الرطب أقوى من النسبة بين الحار اليابس
والبارد اليابس وبالعكس وبين النسبة بين الحار اليابس والحار اليابس أقوى وأمكن من
الشكلين المتقدمين، فاعلم ذلك.

وإذ قد بان أمر المماثلة فلنقل في المقابلة: فلتعلم أن الأشياء التي تتقابل بالفاعل أقوى مباينة من التي تتقابل بالمنفعل؛ والتي تتقابل بالطرفين أقوى وأمكن من التي تتقابل بأحدهما.

ومثال ذلك أن الأشياء التي تتقابل على هذا الوجه، وهو أن يكون أحدهما حارا يابسا والآخر يابسا والآخر باردا يابسا، فإن هذه أقوى وأمكن مباينة من التي تتقابل بأن يكون أحدهما حارا يابسا والآخر حارا رطبا والأشياء التي هي حارة يابسة أقوى وأمكن مباينة للبارد الرطب من جميع الوجهين المتقدمين.

وإذ قد بان الوجه في المقابلة والمماثلة فإننا راجعون إلى ذكر الطلسمات وقد قلنا فيها إنما إما استجلاب واستكثار كاستجلاب العقارب والحيات والضفادع والسمك والناس والوحوش، وإما نفي وإبعاد مثل طرد هسه عن المدن والأماكن. وهذه الطلسمات تتبع شيئين وهما: طباع الأدوية والعقاقير، وطباع حركات النجوم وطباع مواضعها لا غير.

وليس كذلك علم الخواص، لأن الخواص تتبع أحدهما: إما طباع النجوم بالحركة وأما طباعها أيضا بالوضع، وإما طباع الأدوية والعقاقير والحجارة وغير ذلك، فهذا هو الفرق بين الطلسم والخاصية.

ولأننا نبين أن نقول ههنا لم يسمى الطلسم طلسمًا، فإن هذا لم نقل فيه لأحد شيئًا غيرك فإننا رويناه عن معدن الحكمة وصانعه خيرني به فقال: يا جابر فقلت: لبيك يا مولاي فقال: أتدري لم يسمى الطلسم طلسمًا.

قلت: لا والله يا مولاي ما أدري فقال: فكر فيه، فإنه من علمك ففكرت فيه سنة فلم أعلم ما هو فقلت: لا والله يا مولاي ما أدري ما هو فقال: لولا أني غرستك بيدي وانشأتك أولا وآخرا إلى وقت هذا لقلت إنك مظلم، وملك أقلبه فقلت: نعم يا مولاي، فإذا معناه مسلط من جهة الغلبة والتسليط فخررت ساجدا فقال: لو كان سجودك لي وجدك لكنت من الفائزين، قد سجد لي آباؤك الأولون.

وسجودك لي يا جابر سجودك لنفسك، أنت والله فوق ذلك فخررت ساجدا فقال: يا جابر والله ما تحتاج إلى هذا كله فقلت: صدقت يا مولاي. فقال: قد علمنا ما

أردت، وعلمت ما أردت، فكن على نيلك. فأشرح هذا في كتابي إخراج ما في القوة إلى الفعل.

فالطلسم -عافك الله- مسلط في فعله، قاهر غالب بموازاة المماثلة والمقابلة. ونحتاج أن نقول كيف ذلك في المماثلة والمقابلة في النجوم والحجارة والأدوية والحيوان، ويكون ذلك آخر هذا الكتاب. والله الموفق للصواب، إن شاء الله تعالى.

القول في الطلسمات وعملها

أما المماثلة فهي مساواة الأول للخامس والخامس للتاسع في جميعها، الحار للحار والبارد للبارد والرطب للرطب واليابس لليابس. وتعطي القوة بالأوسط، وتعطي الضعف بالطرفين، والأول أضعف من الآخر.

ومثال ذلك أن الحمل والأسد والقوس أول وخامسه وتاسعه، وهي متناسبة لأن جميعها حار يابس. والقوة للأسد لأنه الأوسط، والحمل أضعف فعلا من القوس وهما طرفان، والقوس أقوى فعلا من الحمل.

وكذلك الثور والسنبلة والجدى، وكذلك الجوزاء والميزان والدلو، وكذلك السرطان والعقرب والحوت. فهذا ما في المماثلة.

وأما القول في المقابلة فإن النسبة فيه للسباعية، فإن هذه أضداد. لأن نور كل أول مظلم عند ظهور سابعه، ونور سابعه مظلم عن طلوع أوله.

ومثاله أن نسبة الأول إلى السابع كنسبة الثاني إلى الثامن، والثالث إلى التاسع، والرابع إلى العاشر، والخامس إلى الحادي عشر، والسادس إلى الثاني عشر.

ويدور فيزيد على العدة، فيصير نسبة السابع إلى الثالث عشر، والثامن إلى الرابع عشر، والتاسع إلى الخامس عشر، والعاشر إلى السادس عشر، والحادي عشر إلى السابع عشر، والثاني عشر إلى الثامن عشر.

ومثال ذلك في فلك البروج، وهي اثنا عشر برجاً بأثني عشر اسماً، وهي هذه: حمل. ثور. جوزاء. سرطان. أسد. سنبلة. ميزان. عقرب. قوس. جدى. دلو. حوت. فإن المخالفة الأولى بالسباعية فقط من غير زيادة العدد.

كمقابلة الحمل للميزان الذي هو سابعه، والثور للعقرب وهي نسبة الثاني إلى الثامن، والجوزاء للقوس وهي نسبة الثالث إلى التاسع، والسرطان للجدى وهي نسبة الرابع إلى العاشر، والأسد للدلو وهي نسبة الخامس إلى الحادي عشر، والسنبلة للحوت وهي نسبة السادس إلى الثاني عشر.

فهذه الأوائل المشتملة على الذكر من غير عكس، وجميعها متساوية كل واحد مثل الآخر من أول إلى سابع.

من سابع إلى أول له كيف عكس كذلك، والقول فيه كالقول فيما تقدم لأن نسبة السابع إلى الثالث عشر هي نسبة السابع إلى الأول منعكسا، فيصير الأول معدودا مرتين، فتزيد دائرة الاثنى عشر واحد.

وكذلك الثامن إلى الربع عشر، والتاسع إلى الامس عشر، والعاشر إلى السادس عشر، والحادي عشر إلى السابع عشر، والثاني عشر إلى الثامن عشر.

ومثال ذلك الميزان إلى الحمل فيكون مكررا مرتين، وكالعقرب إلى الثور والثور من الحمل أربعة عشر، وكالقوس إلى الجواز والجوزاء من الحمل خمسة عشر، وكالجدى إلى السرطان والسرطان من الحمل ستة عشر، وكالدلو إلى الأسد والأسد من الحمل سبعة عشر، وكالحوت إلى السنبلة والسنبلة من الحمل ثمانية عشر. فهذا ما في علم الطلسمات من مقابلة البروج.

فأما الكواكب فإن الأحمد أن يكون النجم في برج، ليكون في بيته الأوسط للأشياء، أو في بيت شرفه للأشياء الكائنة، أو في هبوطه ورجوعه للأشياء الدون الصغار. أو يكون مثاله كالشمس أن لك في البروج فليكن المريخ، فإن أعوز فالزهرة، فإن أعوز فعطارد، وأمثال ذلك.

وقد ذكرنا من ذلك شيئا شافيا في كتاب من كتبنا هذه في الطلسمات ما فيه كفاية وغنى. فليطلب وينظر فيه ويجمع بين معانيه ومعاني ما في كتابنا هذا. فإنه يفتح له الطريق، إن شاء الله تعالى.

وإذ قد أتينا على ما في مقابلة الكواكب فلنذكر بعد الأدوية معها ليكون عنها كون الطلسمات، إن شاء الله تعالى.

فنقول: إن المماثلة أن تعتمد الأدوية المشاكلة لطبع كوكب في فعل ذلك الشيء، ومثال ذلك أنك تريد استجلاب الأسد إلى مدينة من المدن أو السمك إلى ماء من المياه.

وهذان المثالان هما نقيضان في الطبع إلا أنه تجمعهما المماثلة. فليكن الرصد إلى برج حار يابس -هذا باب الأسد- ويكون في ذلك البرج نجم حار يابس في أحد المراتب، إما في الغلبة وإما في الأوسط وإما في النقصان.

ومثال البروج الحمل والأسد والقوس، والكواكب إما الشمس أو المريخ أو الزهرة أو عطارد والشمس أقوى وأمكن، والمريخ أوسط، والزهرة وعطارد أضعف فاعلم ذلك وقايس عليه، إن شاء الله تعالى.

والسمك أن يكون البرج باردا رطبا كالقمر لا غير، والبارد اليابس زحل فهذا ما في المقابلة من الكواكب.

فأما الأدوية فلتكن من أحد الأجناس الثلاثة، إما الحيوان أو النبات أو الحجر فأما الحيوان والنبات فإنها تحب وتحول عما كانت عليه، فيبطل العمل إلا لوقته ويزول وأما الحجر فيبقى. فليكن الحجر إن كان الطلسم حارا يابسا فحارا يابسا، وإن كان باردا يابسا فباردا يابسا، أو حارا رطبا فحارا رطبا، أو باردا رطبا فباردا رطبا. فهذا ما فيه.

والقول في المقابلة بالعكس لأن المقابلة نفي وإبعاد. وهو أن يكون العمل في الحار بالبارد، وفي البارد بالحار، وفي الرطب باليابس، وفي اليابس بالرطب.

لأن هذه تتنافى ولتكن متناقضة بالطرفين، فإنه أمكن لها وأقوى فاعلم ذلك واترك أمرك عليه تجده، إن شاء الله تعالى.

ومثاله أن تريد طرد العقارب والأفاعي من موضع من المواضع فالعقارب باردة والأفاعي حارة، فالمثال فيهما نقيض.

فنقول: إنه يجب أن يكون البرج في البارد حارا والكوكب حارا والحجر حارا، وفي الحار البرج باردا والكوكب باردا والحجر باردا.

وطائفة من الفلاسفة المحققين لا ترى ذلك، وتقول: إنه يجب أن يكون البرج في البارد حارا والكوكب باردا والحجر حارا رطبا.

ولهم في ذلك برهان، لأن المناقبي للشيء بكلية يذهب الشيء بغير قصد، وإذا كان في الشيء طبع من الشيء أوصله إليه بعينه ولم يكن عموماً. ومثال ذلك أن الطلسم إذا عمل لنفي شيء بارد مثلاً ولم يخص الطلسم واحداً من الأشياء الباردة أهلك الأشياء الباردة كلها.

وكذلك القول في الحار وغيره فهذا كلام لا يجوز أن يكون الحجر بطبع الحيوان المتغذي والمماثلة لم تزد من الأشياء شيئاً لعلتين: إحداهما أنها استجلاب واستكثار، والثانية الصورة. فإننا نقول في الصورة، وهو آخر الكلام في الطلسمات. والله الموفق.

القول في الصورة

مثال ذلك المنقوش على الحجر لكون الطلسم اعلم أن كثيراً من الناس قد شك في الصورة المتخذة على الطلسم، وقدروا ذلك داخلاً في مجرى اللهو واللعب والنواميس. وليس ما ظنوه من ذلك حقاً، لأن نسبة الشكل إلى الشكل كنسبة الطبع إلى الطبع. وينبغي أن تكون الموازنة في النقش استتمام ظهور ذلك الكوكب والبرج من تحت الأرض إلى علوها.

ومن قرأ شيئاً من كتبنا في علم الموازين - أعني كتبنا هذه المائة والأربعة والأربعين - فسيتضح له بكتابنا هذا من علم الطلسمات أصل عظيم جليل خطير كبير، فاعرف قدره.

وإياك وإهماله وإطراح أصوله وترك شيء منها، لتصيب به علم البغية الطلسمي، إن شاء الله تعالى.

وإذ قد أتينا على ما في الطلسمات من القول فلنعد إلى الكلام في العلويات على مثل هذه الحال في الكلام لواحد واحد من الأجناس السبعة، ليكون القول فيها تاماً إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق.

القول في استخدام العلويات

أما العلويات واستخدامها فكلام لاهوتي عظيم، والكلام أيضا فيه ندر جدا صعب ممتنع الوجود، إلا لذوي العقول البالغة التامة وذوي الرياضة والفوائد الكاملة. وإلا هلك الكلام ولم يعلم ما هو، فليكن العالم المؤلف إذا معذورا. وأقل استخدام العلويات كون الطلسمات وفيها ما يكون هذه الطلسمات منه كالجزء بالإضافة إلى الكل، ونحن نقول كيف ذلك بقول وجيز، إن شاء الله تعالى. فأول ذلك أن تعلم ما العلويات وهل هي ولم هي، ونقول كيف هي ونخرج منه إلى غيره، إن شاء الله.

أما العلويات فالاثني عشر والسبعة والتسعة والأربعون، هي الكواكب التي فوقها وجميع ذلك ثمانية وستون كوكبا. هذا في رأي قوم وفي رأي آخرين: السبعة والثلاث مائة والستون درجة وجميع القولين حق والثاني خير من الأول. فهذا على ما في العلويات، ولنقل كيف ذلك.

القول في كيفية خدمة العلويات

هذا يكون لشئيين لا غير، وهما الرصد والبحور. فأما الرصد فأن تنظر نزول أي كوكب أردت إلى أي درجة أردت لعمل ذلك الشيء بعينه. وأما البحور فلكل كوكب بخوران أحدهما للمماتلة والآخر للمقابلة فالمماتلة أن يكون الكوكب في درجة بطبعه، إن كان الكوكب باردا كانت الدرجة باردة، وإن كان حارا كانت حارة. وكذلك إن كان رطبا أو يابسا كانت رطبة أو يابسة. ويكون البحور كما قدمنا القول فيه وفي المقابلة ضد ذلك سواء أن يكون الكوكب حارا والدرجة حارة والبحور حارا والفعل باردا. وذلك الأول للاستحلاب، وهذا الثاني للنفي فاعلم ذلك وتدبره، تجده صوابا إن شاء الله تعالى.

فأما الرصد فقد علمناك إياه في غير الكتاب، وأما البحور فقد صارت البحورات أربعة عشر بخورا، ونحن ذاكرون لذلك وخارجون منه إلى الكلام في الميزان، إن شاء الله تعالى.

القول في بحورات الكواكب

بخور زحل للمائلة في البرودة واليبوسة: الكافور، البزرقطونا، الكركم، قشور زيد البحر، بحر الضب بخوره في المقابلة الحارة اليابسة: البلسان، وحب البلسان والمسك فقط، فإن زيد فالفلفل، بخور المشتري للمائلة الحارة الرطبة: الجرجير المحفف والعنبر. والأنيسون والأشق والزعفران، بخوره للمقابلة الباردة اليابسة مثل البخور المذكور في باب زحل البارد اليابس سواء. وإن زيد فيه قليل من الكندر والجوزبوا كان جيدا، فافعل إن شاء الله.

بخور المريخ للمائلة الحارة اليابسة: السك والزعفران وزعفران الحديد والزنجار والبلسان وحب البلسان والأشق والفلفل والمصطكي فقط، بخوره للمقابلة الباردة الرطبة: عنب الثعلب وحي العالم وعصى الراعي والخشخاش وورق البزرقطونا، كل هذه مجففة. فإنها من العجائب بخور الشمس للمائلة الحارة اليابسة: البلسان والسندروس والمسك والعنبر والأسارون وجميع الأشياء الحارة الدهنية وما يجري مجراها ويشابهها داخل فيها، إن شاء الله تعالى. وبخورها للمقابلة الباردة الرطبة: الماء المغلي الذي يطرح فيه الطيب كالكافور والعود وما أشبه ذلك من البخورات الباردة لا غير فاعلم ذلك وأعمل به، تصب إن شاء الله تعالى.

بخور الزهرة للمائلة الحارة الرطبة: فمنه ماء البسبايج المعجون به الكافور، وماء الهندبا المعجون به جوز بوا، وماء السوس المعجون به القاقلي، والقرنفل المحبب، كل ذلك مجفف، ثم تبخر به وقت طلوع كل كواكب في تلك الدرجة إلى وقت خروجه عنها بالرصد. فاعلم ذلك. إن شاء الله عز وجل. وبخورها للمقابلة الباردة اليابسة مثل بخور زحل.

سواء في باب المائلة وإن زدت فيها المصطكي المسحوق والمعجون به البقلة المسماه سوسدنا - وهي بقلة اليهود - كان جيدا في ذلك، إن شاء الله تعالى. بخور عطارد للمائلة الباردة الرطبة: الخشخاش الأسود والأبيض واللفاح المحفف والبزرقطونا، هذه إما بنخالها وإما مسحوقة منخولة.

معجونة بماء الكافور، وهو أجود. فاعمل به إن شاء الله تعالى. بخوره للمقابلة

الحارة اليابسة: الكبريت والسكينج والجاوشير والذرايح والأشق والكندر والراتنج وما أشبه ذلك مما له دهانة فاعلم ذلك إن شاء الله عز وجل.

بخور القمر لمائلة الباردة الرطبة: قشور قضبان الكرم وقشور التوت المسمى الحاء والجلنار والورد المخففان والكافور الأسود وقليل من الخربق، إن شاء الله عز وجل. وبخوره للمقابلة الحارة اليابسة: قضبان الياسمين وقشور حب البلسان والبان أيضا.

فهذا ما في بخورات الكواكب للممائلة والمقابلة. وإذا قد أتينا على جميعه وشرحه ومقدار زمانه فإن البخور يجب أن يكون مسحوقا مختلطا ببعضه ببعض إلا ما كان منه معجوناً، فإنه غير ضار أن يبخر به على انفراد. فأعلم ذلك وتدبر الأمر فيه تجده صواباً، إن شاء الله تعالى.

وسنبين ذلك وما تقدم من القول في أمثاله، لأنه هناك مرموز وهو ههنا مشروح مبين، فاعلم ذلك. وهذا آخر القول في العلويات، فلنعد إلى القول في الميزان، إن شاء الله تعالى.

القول في الميزان

هو أيضا من باب المائلة والمقابلة. وهي إما مائلة جوهر بجوهر من جواهر عدة، وإما مقابلة فعل بفعل يكون عنه حدوث كيفية في جوهر آخر من جواهر عدة. ويكون ذلك في المائلة إما معادلة الحار بالحار، والبارد بالبارد، والرطب بالرطب، واليابس باليابس في البسائط. وإما معادلة الحار الرطب بالحار الرطب، وإما معادلة الحار اليابس بالحار اليابس، وإما معادلة البارد اليابس بالبارد اليابس، وإما معادلة البارد الرطب بالبارد الرطب. هذا في قسم المائلة.

وأما في المقابلة فإنه نقيض هذا سواء. وهو إما معادلة الحار بالبارد أو الرطب باليابس في البسائط، وفي المركب معادلة الحار اليابس بالبارد الرطب أو الحار الرطب بالبارد اليابس هذا هو أصل علم الميزان الأول الذي هو وإن طال فيه القول فإنه يرجع ولا يخرج عنه.

ولكن له شرائط وقواعد أنا ذاكرها وخارج إلى ما بعدها من الكلام في التكوين إن شاء الله عز وجل.

فمن ذلك أنه ينبغي أن تعلم أن الكل يجذب الجزء والجزء يدخل فيه بالقوة والفعل جميعا.

وينبغي أيضا أن تعلم أن الأجزاء الغالبة من طبع من الطبائع تبطن ضدها إلى مركز ذلك الشيء وتحل هي في محيطه.

وينبغي أيضا أن تعلم أن الأجزاء إذا زادت على أربع مراتب عادت إلى المرتبة الأولى من ضد ذلك الطبع.

وينبغي أيضا أن تعلم أن الشيء إذا كان بطبع ما، فكانت له كيفية ما تدل عليه، فزيد عليه من ضده حتى يبطن الضد الأول، تغيرت الكيفية باستحالته إلى الصورة الثانية في الكيفية. هذا في ميزان الطبائع.

فأما الميزان الوزني فأن يكون مقدار الجوهرين في الميزان مقدارا واحدا، وإن كان مدورا كان الآخر مدورا. وإن كان سطحا كان الآخر سطحا. وعلى مثال ذلك في كل واحد منها وإن كان الماء أقل من ملأ الكفة فالصواب إملأ الكفة حتى يفيض عليها وكذلك في الكفة الأخرى ولا يجوز أن يكون إحدى الكفتين تنخلع وترجع والأخرى قائمة.

وما قد ذكرناه من الشرائط في الميزان في الحاصل والتصريف والتجميع والميزان وجميع الكتب كذلك، إن شاء الله عز وجل.

القول في الميزان الثالث

وأما القول في الميزان الثالث فأن تعلم أن أ؟ ضد ب؟، وأن ج؟ ضد د؟ في المراتب، وكذلك ما بعدها من الدرج والدقائق إلى الخوامس. فأما صورة ذلك فأى هذه الحروف تقابل جعل مكانه الحرف الآخر ليكون الوزن على الغلبة صوابا مثال ذلك أن أ؟ متى كانت في أ؟ ب؟ غالبية كانت ب؟ أ؟، وبطنت ب؟ وظهرت أ؟. وكذلك القول في ج؟ د؟ وبالعكس على الحمل والوضع. فاعرفه إن شاء الله تعالى. وبالله التوفيق.

القول في التكوين

التكوين الباب السابع، وهو نتيجة علم الميزان والطلسمات واستخدام الروحانيات والطب والصنعة وهذه هي علوم العالم بأسره.

وقد -وحق سيدي- ذكرت منها في كتابي هذا ما فيه كفاية وبلاغ، وأنا قائل في هذا الفن السابع، وقاطع الكلام في كتابنا هذا، وخارج منه إلى باقي هذه الكتب، إن شاء الله عز وجل.

فنقول إن الذي ينبغي للمدبر أن يحدوه في علم التكوين علم حقائقها في الوزن، فلا يزيد بشيء ولا ينقص بشيء، وإلا كان به الفساد وأن يعطي الأشياء حقائقها من المراتب، فلا يعطي ما يحتاج إلى مرتبة أولى إلى مرتبة ثانية، ولا ثانية ثالثة، ولا ثالثة رابعة، ولا إلى أسفل أيضا، مثل أن يكون يحتاج إلى مرتبة، فيعطي دونها في المقدار.

هذا من أكبر الفساد وأتم التخليط مما في هذا العلم، وأن يكون فهما بالصورة الأولى ومقدارها وتأليف شكلها حسن المعرفة بترتيب الأجزاء ووضعها مواضعها.

فإنه إذا حصل هذه الأصول بلغ إلى المرتبة التي يريد من التكوين الصحيح الذي قد عرضنا به في كتاب التجميع. فاعلم ذلك وابن أمرك عليه، تصب الطريق في العلم واضحا، إن شاء الله عز وجل.

فأما ما نتخوف من الخطأ في العمل فالآلة التي تجمع الشكل وتقومه والآلة التي للطبخ أعني الزجاج.

فإن الزجاج كلما صفا جوهره كان أبلغ للكون وأبرز له وموضع التعفين فإنه يجب أن يكون سليما من هبوب الرياح وشدتها محفوظا من جميعها، وإنه يقال إن النسيم لها جيد، ولست أختار أنا ذلك البتة. فاعلمه واعمل به، ترشد إن شاء الله تعالى.

ومنها الماء الذي يطبخ تحت الكون، فإن الفلاسفة انقسمت في ذلك انقساما فمنهم قال: يكون من ماء المطر ومنهم من قال: ماء البحر، ومنهم من قال: ماء ملح مقطر مكرر. فكل قد أصاب على بعد وجدا قوله، فأما على تناسب في الكل فهذا مالا يكون.

وذلك أن الماء القراح يجب أن يكون للناس والسمك الطيب والحيوان العذب كالقرد والثعلب وما أشبه ذلك.

وأما ماء المطر فللخلق الجسيم كالأفيلة والجمال والجواميس والبقر والحمير وما أشبهها وأما ماء البحر فللسلاحف والسرطان والعقارب والحيات الخبيثة والسباع وما أشبهها.

وأما ماء الملح المقطرة فللحيوانات المذكورة التي ليست لها أشكال المتدعة مثل إنسان طائر وما أشبه ذلك وماله رأسان وماله رأس مخالف لشكله وأمثال ذلك، فاعرفه واعمل به، تجده صوابا إن شاء الله تعالى.

وإذ قد أتينا على ما في التكوين فليكن الآن آخر الكلام وآخر الكتاب، إن شاء الله تعالى. والله الموفق للصواب.

تم كتاب إخراج ما في القوة إلى الفعل بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ومنه. وصلواته على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلم.

كتاب الماجد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القدم العليم الرؤوف الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد السيد الأعظم، والإمام المقدم، وعلى آله وصحبه وسلم.

اعلم أن سيدي ﷺ لما أمرني بتأليف هذه الكتب رتبها لي ترتيبا لا يجوز لي مخالفتها فيها، وإن كنت عالما ببعض أغراضه في ترتيبها، فأما بجميع أغراضه فلا.

وجميع أغراضه كلها في موضعين من الفهرست وهو إثباتها، وتصنيفها على توالي ما يثبت في الفهرست.

ومنه أن كل كتاب منها نذكر فيه ما يليق بمعنى اسمه من هذه العلوم على الوجوه التي شرحنا جملتها. فلا تنكر يا أخي ما تراه من كلام في دين في خلال ذلك كلام في صنعة لم ينتهي تدبيرها، أو كلام في صنعة بعده كلام في دين لم يحكم أصوله أو كلام في نسك أو غير ذلك من أنواع العلوم والصنائع التي نذكرها في هذه الكتب اللاهوتية.

فإن جميع ما يمر بك في هذه الكتب مما ذكرناه لسيدنا عليه السلام فيه أغراض لا يمكن كشفها لك، ولو كشفت لك ما هو فيها حتى تكون مثل جابر بن حيان فإذا كنت مثله لم تحتج إلى أن يكشف لك عنها كما لم يحتج هو إلى ذلك. فاعلم ذلك.

ولأن كتابنا هذا هو كتاب الماجد ما يجب أن يذكر فيه ما يليق بمعنى هذا الاسم ويقدم فيه ما يبنى بعد ذلك عليه عند مجيء مكانه.

وأعلم أن الماجد عند الناس ممدوح بفعله وكرمه بسجاياه وكرمه وجوده وبذله، وليس هو في الباطن بخلاف هذا وإن كان بخلافه على الحقيقة.

وذلك أن أصول النقل من الأمور الحسية إلى الأمور العقلية التي هي في غاية العناد لها والبعد منها في جميع الأمور كلها يجب أن تكون أولا أولا، كما يجب ذلك في تعليم جميع العلوم العقلية على ما رتبته القوم في تعاليمهم.

وإذا كان النقل عن الحس الحسيس الذي هو علم البهيميين الظلمانيين المعاقبين بحسب رتبه في استحقاق العقوبة، وكان البعد منه والخلاص من شره أيضا قد وقع من الله تعالى على ترتيب في استحقاق أجزاء الخلاص ومقاديره وقوته وضعفه وقربه وبعده،

وكان محالاً أن تنتقل إلى د إلا بعد أن تمر ب و ج ولم تكن هذه غير متناهية، وجب لا محالة أن يقع النقل من أمور الحس من الأقرب فالأقرب وإلى الأقرب فالأقرب إلى أن يبلغ إلى المطلوب.

وإذا كان الأمر كذلك، وكان الطفل لو أطمع اللحم والطعام الغليظ ساعة خروجه من الرحم لمات وما صحت تربيته، وكان أصح التدابير في بابه أن يغذي بلبن أمه حتى يألف ذلك مدة سنة كاملة وأكمله سنتين، فإذا اشتد شيئاً ورفضت مائة الظلمة لنور حرارته المانعه لها من أفعالها على النظام الطبيعي، خلط له اللبن بالأرز القليل العفونة والفساد، فأطعمه وغذى به كما كان يغذي بلبن أمه مدة دون مدة غذائه باللبن.

حتى إذا قوي قليلاً نقل من ذلك إلى الكعك والسكر وما جرى مجرى الفاكهة اليابسة التي تحلو وتنشف وتقوي فعل الحرارة الغريزية وتصفيتها ولا تزيد في كميتها، بل في قوة تأثيرها محمود وخلوص أفعالها الطبيعية.

فإذا مضى على ذلك مدة دون الأوليين غذي بالطعام من الخنطة ولباب الحبوب المعتادة، ثم أطمع بعد ذلك الغليظ من الطعام كاللحم وغيره من الأطعمة الغليظة، فقوي بها عظمه وعبل جسمه، ولو أطمعها في ابتداء أمره لقتلته وما أحيتها، ولو اقتصر به الآن على لبن أمه لما كانت له قوة ولا طال له عمر.

وإذا كان الأمر كذلك وجب أن تدرج إلى العلوم العقلية أولاً فأولاً، وإلا كنا كمن طال حبسه تحت الأرض بحيث لا يرى ضوءاً ولا يفرق بين الليل والنهار، وأخرج دفعة واحدة فنظر إلى عين الشمس أول ما نظر فذهب بصره، فلم ينتفع بما خرج إليه من الضياء. ولو درج إليه تدريجاً كان له نافعاً، وأقل ما فيه له من النفع ألا يذهب بصره.

وإذ قد انتهى بنا القول إلى هذا المكان فلنقل في الماجد، فأقول: إن الماجد هو الذي قد بلغ بنفسه وكده وكدحه من العلم إلى منزلة الناطقين، فصار ناطقاً ملاحظاً للصامت.

وصارت منزلته من الصامت منزلة من الصامت منزلة السين من الميم، وذلك

على رأي أصحاب العين، لا على رأي أصحاب السين، وأما على رأي أصحاب السين فكسترة العين من السين، على الخلاف الذي يقتضيه اختلاف المذهبيين.

وذلك أن رأي أصحاب العين لا يحتاج أحد منهم في ذلك إلى فرق، فأما أصحاب السين فيحتاجون إلى فرق، لأن أصحاب السين لا يقولون إن الماجد هو بمنزلة العين من الميم والعين لم تنزل مقومة للميم وعاطفة لها إلى ذاتها ومشبهة لها بذاتها بحيث ما في قوة الميم من ذلك التشبه.

ولذلك ما جاز انعطافها ورجوعها إلى ذاتها، فصارت بعد ما كانت لأجل جذب العين لها وتشبيهها لها بالذات، وذلك لطول الصحبة وكثرة التجاور.

والماجد فليس هذه حاله بل بحيث كونه أفضل بكثير من الميم، إذ قد بلغ منزلة الميم من غير مجاورة للعين ولا مراعاة منها له ولا ألف ولا صحبة ولا تقويم ولا رجوع ولا تشبه بالعين إلا في الفضيلة التي بلغها بنفسه لا بتثقيف متقف ولا تقويم مقوم.

وإذا ثبت هذا، وكان أيضا الماجد ثلثه ظلماني وثلثه نوراني، وكان الميم ربه ظلماني، وهذا الفرق يشترك في الحاجة إليه أصحاب العين وأصحاب السين، ويتفرد أصحاب السين بالفرق الآخر الذي يستغنى عنه أصحاب العين، وفي هذا يا أخي - وحق سيدي - معجزة عظيمة من معجزات العين، وهي الفارقة بين حقه وباطل غيره إن فطنت لها.

وذلك أن السين مستقى من العين، وإنما ظهر له ما ظهر ممن نسب إليه ما هو للعين لما أخذ من أنواره وضعفت تلك الأبصار عن إدراك علة تلك الأنوار - تعالت واستعظمت - وأكثرت من أنوار السين.

وإنما هي أمدت الميم لما رأت من ظلمة الميم، وذهب في ذلك إلى رأي نجومى فلسفى طبيعى.

وذلك أنهم لما رأوا الظلمة في الميم ظاهرا قالوا: إن ما فيه من أجزاء النور الظاهرة والمتضاعفة ليس له من ذاته لأن الذات الواحدة الطبيعية لا يكون منها فعلا متضادان. فقالوا «إن السين تمدها» لما رأوا من قلة تلك الأجزاء الظلمانية في السين، وذلك أن جزءها الظلماني لا حركة له، فهو فيها خفي جدا، لأنه مشابه في الصورة لأعظم

الأنوار قدرا، وهي الهمزة الفاعلة للحروف التي هي العين الأولى، وهي البسيط الأول لأجل الاختراع والنطق الشريف الفاضل، فاعلم ذلك.

فإنه -وحق سيدي- أصول هذا العلم الذي به علونا على طبقات الناس ولحقنا بالسادة علينا صلواتهم.

وإذا كان الأمر على ما ذكرنا لك في هذه فقد عكس أصحاب السين مع فضله ومترلته من العين أمر العين كله، وهم عند أنفسهم له منشرون، وكذلك أكثر هذا الأمر يا أخي، ولنا في ذلك كلام يطول، فليؤخذ من أحق الأماكن به من هذه الكتب وغيرها.

فإننا إنما نذكر في هذا الكتاب ما يكون سلما ومرفاة إلى ما نأتي به بعده من هذه العلوم اللاهوتية.

فإذا كان ما ذكرناه بينا فمعجزة العين في هذا القول العظيمة هي أن الفرق لازم له ولهم، ولم يجز أن يلزمه دونهم، لأن في ذلك وقوع الشبهة لغلبة الهوى.

غير أن ما لزمهم من الفرق لما شاركهم في لزومه بعينه له اتضح وجهه، إذ كانت أنواره مضيئة بينة مبينة لكل مشكل، والفرق الذي اختصوا به دون العين - وإنما أريد بالعين والسين أصحابهما، لأن الخطأ والصواب واقع في هذا المذهب من التلاميذ والأصحاب، فاعلم ذلك، إذ لم يتجهوا فيه إلى فضل بل أظلم عليهم - فلم يكن له وجه.

فظاهر الفرق اللازم لهما الذي اشتركا فيه أعظم وأفحش وأصعب في ظاهر أمره من الفرق الذي اختصت به أصحاب السين مع كونه بالعكس.

وذلك أن الصحبة والألفة في ظاهرها أقرب فرقا من تضاعف الحروف الظلمانية وتضاعف الحروف النورانية، وذلك أن تضاعف هذه يقتضي بيانا طبيعيا، وليس الصحبة والمجاورة بمقتضية لأمثاله، وعلى كل وجه فلو اقتضته لكان اقتضاءها إياه دون اقتضاء الحروف لما تقتضيه، وذلك أن الأمور العرضية لا محالة لا تزن شيئا عند الأمور الطبيعية.

ونحتاج أن نقول كيف ذلك فأقول: إن الفرق اللازم للجميع العظيم الظاهر

الذي إنما فعله قصدا في آثاره كشفه أنوار العين النصية إلى أصحابه وتلاميذه وأبوابه هو أن الميم فيه حرف واحد ظلماني، وفي الماجد حرفان ظلمانيان، وفي السين الذي الماجد بمرتله حرف واحد خفي.

فالذي لزم أصحاب العين من هذا الفرق أن يقولوا قولاً سهلاً، وهو أن يبينوا أن الماجد لا متشبه بالسين قابلاً عن الميم لم يكن بد أن يقصر عن ذات الميم، إذ كان قابلاً عن قابل، والقابل الأول لا بد أن يقصر عن المعطي بالذات لما في ذاته، والقابل الثاني لا بد أن يقصر عن المعطي الذي يعطيه.

لأنه إن كان مثله كان قبولهما عن واحد، ولو يحتج الثاني إلى واسطة إذا كان قبوله كقبول القابل الأول فلو لم يحتج إلى واسطة لكان قابلاً عن المعطي الذي قبل عنه الأول الذي صار هو قابلاً عنه. وهذا كله محال، فاعلم ذلك.

ولذلك صار في الماجد من حروف الظلمة حرفان، وكان في الميم الذي عنه قبل وبه تشبه حرف واحد.

وأما السين التي صار بمرتلتها من الميم فإن السين لأجل طول الصحبة والمجاورة لم يجز أن تكون كالماجد، بل كان حرفها الظلماني وسطاً خفياً ساكناً، ولا تبين فيه حركة بته في شيء من أحواله وحيث ما وقع من المواضع.

ولذلك صار جنساً واحداً عجمياً، فافهم هذا، فإنه من الأسرار العجيبة والأمور الظرفية، واتضح الفرق على رأي أصحاب العين وضح التشبيه والتمثيل على رأي أصحاب السين.

فإن العين نوراني كله، والميم ظلماني الربع الأخير، فهو في الجملة لا يصح عليه القضاء، وذلك أن القضية كانت أن الماجد أفضل من الميم، إذ بلغ ما بلغه بنفسه وذاته بغير صحبة ولا جذب.

وكذلك يجب أن يكون الرأي الآخر إذا أضيف إلى السين، فهذا ما لا فرق فيه بين القولين، والذي يحتاج إلى الفرق الصحبة ولا صحبة، فإذا كان هذا محتاجاً إلى الفرق حاجة ضرورية، وقد بينا أن فصل المترتين أن هذا أبلغ مترلة بغير الصحبة التي كانت للميم والسين، غير أن الميم أطول صحبة وأكثر أنساً ومجانسة من السين في

ظاهرها، فلنقل في هذا قولاً قليلاً، فإنه موضع صعب جداً.

وذلك أن الماجد لا بد أن يكون بالطبع أقرب مجانسة من السين والميم جميعاً وأتم قبولاً عن العين، غير أنه يكون بعيد المكان، ولولا ذلك ما جاز أن ينال منزلة من له الصحبة والمجاورة مع بعد الدار وقلة الأنس والاختلاط.

ولذلك وجب أن يكون أفضل، لكن القول بأنه أفضل من الميم مع ما في الماجد من كثرة أجزاء الظلمة وقتتها في الميم، فأقول: إن الأمر في ذلك بين جدا، وهو مبرهن من كلام المنجمين والطبيعيين جميعاً إن فهمت ذلك.

إن الدال حرف ظلماني في الميم وهي بعينها في الماجد، غير أن الدال حرف من حروف الرطوبة، والجيم حرف ظلماني وهو من حروف اليبوسة.

فأما الألف في الماجد فلا مدخل لها في هذا الباب، لأننا قد أوسعنا الكلام فيها في كتبنا الموازينية وكتبنا في الحروف، فإذا كان الأمر كذلك وكانت هذه الألف منسوبة إلى الظلمة والموت وعدم الحركة وإلى غاية النور بالصورة الظاهرة والحلية المحلية على ما قلناه في جميع كتبنا في خواص هذه الحروف فاعلم ذلك.

وإذا كانت الدال مع الجيم التي هي ضدها فلا محالة أن قوتها تنكسر بضعها المجاور لها، وهذا ظاهر في البرهان في الأمور كلها.

أما النجومية منها فإن النحس إذا كان مع النحس بضع طبيعته في درجة واحدة فإن كل واحد من النحسين لا محالة يبطل فعل الآخر ويمنعه من إفراغ ما في طبيعته من الشر وكذلك هو - وحق سيدي - في الأمور الطبيعية أيضاً والدينية الإلهية. فاعلم ذلك وتبينه تجده ظاهراً مستمراً.

فلما كان الماجد أقل ظلمة وضرراً من الميم لأجل انفراد الدال الظلمانية في الميم واتصالها في الماجد بالجيم، وهي ضدها ومساوية لها في رتبها ومبطله كل واحد منها فعل صاحبته ظهر الفرق بينهما ولذلك لم يحتج الماجد في الترقى إلى منزلة الميم والسين إلى صحبة، واحتاج كل واحد منهما إليها بحسب قصوره من القبول وقلة مادة العين فيه. فاعلم ذلك وقس عليه جميع هذه الأمور، فإن الكلام فيه سيتضح لك.

وإذ قد أتينا على هذا القدر من المبدأ بعلم العين والحروف بحسب طبقة هذا

الكتاب وما يليق بحجمه فليكن آخره، ولنختتم كتاب الماجد به إلى أن يتصل بالكلام فيه ما يليق به من هذا العلم، إذا كان ما ذكرناه فيه مقدمة وتطريقا لما نوردته فيما بعد من هذه العلوم الشريفة التي بعد الناس عنها بعدهم من السموات العلى، بل بعد نفوسهم من النفوس القابلة لها.

فأما العالمة فأبعد والمحدثة لها، فلا نسبة -وحق سيدي- بين نفوس البشر وبينها إذ كان ما لا نهاية له فلا نسبة له بشيء من ذوات النهايات، فاعلم ذلك وابن أمرك بحسبه إن شاء الله تعالى، وبالله فأستعين فإنه حسبنا ونعم الوكيل.

تم كتاب الماجد بحمد الله وحسن توفيقه وعونه وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

كتاب الحبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم، اللهم اهد قلوبنا هذا كتاب الحبيب الذي أوصى به ابنه وأكثر وصيته في كل ضرب من الأدب.

قال له: يا بني إني وجدت الناس أحد رجلين، إما مصيب أو مخطئ فالمصيب واحد متفق والخطأ كثير مختلف والخطأ والتدبير الهواء وهو الأمل في الصنعة وسبيل عملها.

ولما رأيت الله تبارك وتعالى الخالق واحد والمخلوقين كثيرين علمنا أن الصنعة من شيء واحد وجنس واحد.

ونظرت فإذا الخلق كله فاعل ومفعول، وإذا الفاعل واحد أبدا حيث ما كان والمفعول به شيء كثير فعلمت أن الواحد المأخوذ في هذا العمل يكون منه شيان ذكر، وأنتى فالذكر فرد حيث ما كان والإناث شتى وعلامة الذكر أنه يعطى من نسبه قوة وحر، وعلامة الأنثى أنها تأخذ من غيرها ولا تعطي من نفسها قوة ولا حرا. فالفاعل واحد، ولولا الحر لم تكن حركة والحركة هي الفضل فلذلك صار إلى العمل من الحرارة وإلا هو من الحر.

فاعلم أن الجوهر هو من الصاعد إلى العلو، وأنه لا رحم له، ولكنه يسكن في الأرحام على قدرها وقدر مكثه فيها كالحديدة تدخل النار فتسخن فيها فإذا بردت صعدت النار إلى العلو وتركت الحديدة.

كذلك كل جوهر إنما تقبل كل شيء على قدر ما فيه منه ويتركه على قدر ما فيه من مخالفته، والفل فل إنما يتربا من الحرارة فلم يتركها مثل الحديدة؛ لأن الحر في النبات ينشئ قليلا قليلا فافهم يا بني.

واعلم أن المعادن ثمانية لا خير فيها لأنها قد بلغت منتهاها فليس لها زيادة إنما ينقص الشيء بعد التمام؛ لأن ما كان من غسل الأوساخ فقط يغيره.

واعلم أيضا فإنك لا تقدر أن تأخذ إنسانا تاما فتدقه في قدرك بنفسه وروحه وجسده فإن أخذت بعضه من عظم أو لحم أو دم أو شعر أو سائر أعضائه فليس في

عضو منه روح ولا نفس؛ لأنه إذا انفصل ذهبت الروح التي هي ضياؤه وبقي في يدك ميت مظلم لا نور له، ولا ضياء فاعمل حتى تعرف الذي يجلو ويغسل الأوساخ من الأجساد وسأنبه لك إن شاء الله.

فابدأ يا بني فاعرف من أي شيء تعمل ثم كيف تعمل ثم اعمل ما تعلم يسهلك إن قسمته.

واعلم يا بني أن الحكماء قد لبسوا على الناس، وأكثروا وليس ذلك بخجل بهم، ولكن جرف الإثم من فساد الدنيا لما قد فسرت له لك، وبالله الذي صمت واصلت لأبين لك ما ستروه مكشوفاً ظاهراً في هذه السبعة أبواب التي أكثروا فيها القول فافهم.

فأول الأبواب الآتية التي تبغي قالوا: إنها صلابة وقدر وقرعة وقابلة وبرمة والخامسة هي التي تتم بها العمل كله ويجعل الصبغ ماء وبريقاً ولونا حسناً، ويكون له بمزلة الروح للجسد الكبريت هي النار والشاذنة هو الهواء والمغنيسيا هي الأرض والزئبق هو الماء والروح هو الماء الإلهي الذي يجري به كل مربا وينبت كل نبات ويطلع كل مورق ثم ألفت بين هذه الطبائع الأربعة وأحسن تزويجها فإنها من شيء واحد كانت وفي كل واحد منها قوة؛ لأن بتحول يصير أخرى الأرض تصير ماء والماء يصير هواء والهواء يصير ناراً والنار تصير أرضاً.

اجعل بعضها في تدبيرك إلى بعض حتى تصير الأرض ماء والماء هواء والهواء ناراً فيتم لك العمل إن شاء الله.

ولا تكثر من الكبريت فتحرك دواءك فإن المرة إذا غلبت على الجسد أحرقتة حتى يسود لونه.

ولا تكثر من الزئبق فيبرد دواءك ولا ينطبخ فإن البلغم إذا غلبت على الجسد برده وأفسدته.

واجعل تركيب الأدوية بوزن وكيل إنما على قدر تركيب العالم ومزاجه، وأخلاطه فإن الطبائع كلها تقوى، وتفرح باتصال أشكالها وتفتت، وتضعف ببقاء خلافها إياها.

واعلم أن الروح قوام الجسد فإن الزرع إذا أسقيته بقدر نبت وصلاح، وإن

أكثر عليه غرق، وإن أقلت عليه عطش واحترق، وإن أضرت النار بعض. فتزل قليلا فلا تتركه وترفضه فإن صبغ العصفر كله يحتاج إلى القلي وهو أشد للعمل، وإن القلي المبيض هو ملاك العقاقير والشاذنة المحببة إذا مضت القلي الذي هو رماد الحكماء تم زاوجه حمرة.

قال الزئبق لا تشد عليه النار في أول التدبير فيفر لكن إذا عقدته صر لك على النار وأصبر ما يكون إذا زاوجته بالكبريت فامتزج برده ورطوبته بجمرة الكبريت وييسه زواج الذكر بالأنتى، وزواج الرطب باليابس والجار بالبارد فيخرج من بينهم الجنين التام فإن الجنين تتم صورته في أربعين ليلة وفي ثمانية يتحرك ويقبل الغذاء. واعلم أن الجنين يتغذى في بطن أمه بالحرارة اللينة التي لا تحرق إفراطها ولا يقصر به تقصرها، وإنما يقبل الغذاء من سرتة وليس يقبل من الغذاء إلا الدم الصافي؛ لأن جسده لا يقبل النقل لضعفه وإذا ولد بعد تسعة أشهر ينبغي اللبن الذي يخرج من ثدي أمه.

وذلك اللبن الذي يتغذى به بعد ما ولد هو الدم الذي كان يتغذى به لما كان جنينا، ولكن لما أحضرت الولادة سهل الذي كان مدبر الجسد سبيل الدم الذي كان للتدبير فإذا وصل الدم إلى الثديين قبله ولطفه فصيره لبنا يغذي به الصبي فيعود فيصير فيه دما كما كان في أمه قبل أن يصير في الثديي دما فكذلك صنعتنا تدبيرها كتدبير النطفة والحيض إلى أن يكون صبيا كاملا، فاعلم ذلك.

قال أفلاطون: أجفأ ذات خلال حتى يجري قوة الكل فيه، اعلموا أنه لا يجمده شيء بعد الله إلا النار وعطش الجسد فكلام في غير موضع يدل بالإشارة أن وزن الماء مثل وزن ربع الجسد.

وينبغي أن يكون كما يحل أمثال الجسد كذلك يعقد بثلاثة أمثال الماء. وقال آخر: ما لكم أن تطعموا القير بجمرة ولكن قليلا، وقال: اطبخوه وانضجوا عليه من الماء قليلا قليلا واتركوه حتى يشرب ويصير الماء ترابا فقال آخر كما أن دخان الأرض وبخار الماء يصعدان في الهواء ثم ينحدران إلى الأرض فيخرج منهما الماء فكذلك ينبغي أن تكون آنية عملك واسعة لتصعد الدخان والبحار وتترل إلى أسفل الإناء كما

يخرج الذي تطلب وكما أن بخار الماء، ودخان الأرض لا يصعدان إلى الهواء إلا من تعفين الأرض فكذلك ما في الإناء إن لم يعفن ويتم على من يصعد الدخان والبحار، وإن تصاعدا لم يرجعا، وكذلك رأس الإنسان كالحججة.

وقال هرمس: إن رأيت الطبائع قد صارت رمادا فاعلم أنك نعم ما دبرت فإن وجدته بوريطس فاطبخه حتى يصير رمادا، واشدد نارك حتى يشرب الربع الذي جعلت من الدواء الكبير فيكون جسدا مرتفعا.

واعلم أن النحاس المحرق هو الذي ينشف القير، وقال حرقيل: نكث الورق واجمعهن جميعا واطبخهن حتى يصرن كلهن قيرا مذابا مثل الماء ثم اسحق حتى يكون النحاس محرقا لا تطعمه القير مرة واحدة ولكن قليلا قليلا.

وانظر إليه كل ثلاثة أيام وامسح ما حول الإناء بخرقه نقيه حتى ينحدر القير كله إلى أسفل الإناء ثم سقه بمثل نصف التسقية الأولى من القير حتى يتم فإن أردت أن يشرب سريعا فسقه قليلا قليلا، وكلما سخن في النار وفيه نداوة تغير لونه حتى يفرفر ويكون كريم محترق.

وقال: سقه ستة مرار أو سبعة فإن أحببت أن لا يشق عليك فسقه قليلا قليلا قدر ما يشرب واطبخ فإنه في أيام قليلة ينسحق معه، ويكون كريم مشرف وهكذا فاصنع حتى يشرب الستة كلها.

قال: واعلم أن ريح الشمال إذا هبت وكثرت الرطوبة لما تقوى الأرض على شرب الماء، ولكن إذا هبت الريح القبلية وكانت الرطوبة معتدلة فحينئذ يلحق النخل ويوجد التمرة، وإن رأيت الرياح الستة تهب بمرّة كان الطوفان فهذا هو المفتاح لمن يعقل.

وقال: كلما نشف فسقه بقية القير قدر ما يشرب واجعله في هذه النار حتى تنفذ بقية الرطوبة على أن الجسد الربع في التحليل والماء الربع في العقد، وهذا الحساب يتم العشرة ثم تكون النار خفيفة معتدلة قالت مريم: خذ الذي دبرته حتى صار صدق فاجعل عليه من السم قدر ما يشرب واشوه ستة أيام.

وقالت: خذ بقية الماء وسق به الصدى على قدر رأي العين فأنا أظن إن طبخ

حتى يجف وينضج بعد التسقية إنك تخرجه فتجد الصدى قد صار زعفرانا، وقالت: فما بال الحكماء سموا هذا الصبغ كبريتا لا يحرق قال: لأن النار أحرقتة حتى صيرته رمادا حتى لم يبق فيه بلة ثم جفت عنه، والذي استخرج من هذا الرماد فهو قوة عملنا وملاكه بقدر الله عز وجل، وكلام مؤكد في غير موضع يدل على أن الرماد إذا صب عليه الماء وطبخ بنار لينة جدا حتى يسخن الروح الصابغ في الماء ثم يرفع الماء في الأنبيق بنار لينة أيضا.

قال ريسموس: لا بد لك من أرض من حسدين وماء من طبيعتين تسقي به تلك الأرض فإذا خالطها الماء، فلا بد لذلك الطين من شمس تثبته حتى يصير حجرا، ولا بد لذلك الحجر من تكليس، ولا بد لذلك التكليس من استخراج سره الذي هو نفسه، وهو صبغه الذي طلبته الحكماء فاحتفظ بهذه الأربع طبائع، ودع الإكثار.

وقال: ينبغي أول ما تخلط الأشياء أن تخلطها على رماد سخن لتكون أجساد المغنيسيا أحياء غير ميتة، ولا تحرقه؛ لأنها إذا كانت أحياء اختلط الزئبق بها سريعا، وإن أنت أكثرت حرقها لفظها الزئبق، ولم يكد يختلط بها إلا بعد مشقة وشدة حمية النار تملك الزهر، وقال: انضجوا عليه من الماء حتى يندأ ولا يبس في إنائه وسقوه قليلا قليلا حتى لا يبقى من الماء شيء، وقال: إن أردتم الطبخ وجففته ورددتم قهرت النار السم على الدخول حرق الجسد.

فقال ريسموس: اعلم أن الجسد إن ترك على النار بغير خل احترق وفسد قال: إن الإكسير إذا احترق وصار هباء وخلط بالرطوبة وصارت مثل العسل وطبخ حتى يجف وفعل به ذلك مرارا صار رمادا لا تحرقه النار.

وقال أرس في قول ديمقراط: إن مارية كانت تلتطخ الطبائع من خارج وتمسحها فيعرض السم في داخلها إن ذلك الطباخ هو حل الأجساد قبل أن يسخن بالنار فلا أدري أرادها بخل بمعنى يقع في الأنبيق بسخن يعني استثنى، وإنما أراد أن يسخن وهو محلول أياما ثم ليرفع الماء في الأنبيق والتجربة بذلك.

وقد ذكر غيره واحد التعفين ثم يرفع الماء فانظر في هذا التعفين ما هو، وفي رفع الماء أي وقت هو على أنه قد قال: وقد أمرنا الحكيم بإعادة الماء عليه ثانية حتى يصير

مرقا، وعند ذلك ينبغي أن ترفعه بالأيدي الأنبوب، وقد قال في موضوع آخر فكيف تحمرّونه قال: بألّين نار تقدرون عليها، ولا تدعون البخار تصعد حتى يرضيكم لونه. وقال مرطيس في كتاب الصور: قد ينقلب حجر الماس ههنا ويتغير بالنار، ويكون الجسد لا جسد والضعيف على النار لا ضعيف هذا يدل على أن الحجر تكلس قبل المزاج؛ لأنه حار يابس المزاج ويدل قوله إن لم تكن الصناعة كلها عجبت حتى قاربت نار النشارة، وزبل الخيل، وعانقها لأنه فيها يكون العقد والإصلاّب أي الحياة كأمر النارين للتنقية و لرفع الماء، واعرف موقعها. وقال في الوزن أيضا: خذ من النحاس الخالص ما شئت ومن القمر الخالص مثل ربع الجسد والنحاس فأذبه به.

وقال: خذ الرصاص المركب فاجعلوه في الإناء واحفظوه عند الطبخ لثلا يفرقا؛ لأن أحدهما أبق فإن افترقا يعد له حكم الخطأ فاشوه بنار لينة وإياكم تنفذه حتى يختلطا ويصيرا شيئا واحداً في اللون ويعلوهما السواد ومهما أدمتم طبخه غلظ وإياكم والملاّلة حتى ينشف الجسد الرطوبة والزئبق يصير حجرا ورقيا فإذا رأتموه كذلك فاعلموا أنه قد ألقى نطفته، وقد لقمح وبدأ يجتمع خلقه فاسحقه، وأخرج سواده بالطبخ كما دخل بالطبخ فإذا انضج فانضجه بالماء حتى ينطبخ الماء معه ويتمشا ويصير كله هباء.

واعلم أنك إذا رأيت سقيته ثم جففته أتممت ما قالوا؛ لأن هذا الطبخ يخرج ويتبين الألوان.

وقال آخر: إذا تم تدبيره فلفظوا حرارته بالماء ولينوا النار عند الإذابة وشدوها عند التسقية حتى يظهر جميع الألوان.

وقال فيثاغورس: إن وجدت في غطاء الإناء شيء فهو من القرمز فاطبخ حتى لا يطلع في غطاء القدر شيء بعد شيء إن غايته التكلّيس ارفع الماء.

وقال ريسموس: اعلم أن كلما سقيته وشويته كان خيرا له فاطبخه حتى يرضيك لونه، وإياك أن تسقيه حتى يجف فكلما جف فانضج عليه وسقيه حتى ينفذ ماءك.

وقال: أمركم أن تأخذوا الحديد فتجعلوه صفائح ثم اخلطوه بالسم واجعلوه في

إنائه وسدوا رأس الإناء، وإياك أن لا رطوبة أو تجعلوه يابساً اخلطوه خلط العجين.

واعلموا أنكم إن أكثرتم ماء العجين استرخا في التنور، وإن يستموه لم يلتصق في التنور، ولم يكن فيه خير، ولم يصح، ولكن أمركم بإحكام عجنه ثم اجعلوه في إنائه ثم طينوا فم الإناء الداخل والخارج وأوقد عليه الفحم ثم افتحوه بعد أيام تجدوا الصفائح قد انذابت وتجدوا في غطاء الإناء مثل الشذر الصغار؛ لأن الخل إذا أوقدوا عليه رقا إلى فوق؛ لأن طبيعته روحانية فهو يصعد إلى الهواء فلذلك أمرتكم أن تمسكوها برفق، وأنا أمركم أيضا أن لا تكثرُوا الطبخ والغسل حتى يجمد ويتلون من النار وينقلب طبيعته؛ لأن هذا الطبخ والإذابة آخر طبيعة القنبار.

واعلموا أيضا أن هذا الطبخ الكثير يذهب ثلث وزن الماء ويصير النطقة ريحا في روح القنبار الثاني.

واعلم أنه ليس شيء أرفع، ولا أصبغ من زبد البحر فأما بصاق القمر فإنه يجتمع إذا امتأ القمر من نور شعاع الشمس في ليلة البرد عمود من حول الشمس فعند ذلك تجتمع الندى لذلك الريح المغيرة كلما طالت الأيام اشتدت حرارة الشمس، وهي التي تصلحها وتجمده حتى تصيره قويا على قتال النار الأرضية فيقوى بها بعد ضعفه.

فأما عدد الأيام فقد ذكروا أربعين يوما وثمانين يوما ومائة وثمانين يوما ومائة يوم ومائة وخمسين يوما، وأشهره أن عدده تسعة أشهر وزعم قوم أنه لا يتم العمل في أقل من سنة، والأسطوبوس يولد كل سنة.

وقال ريسموس: إذا أردت أن تطبخي المركب فأعدي زجاجة بغطاها ثم اجعليه فيها ثم اطبخيه حتى لا تخرج الأثالية الرطبة من اليابسة ثم اخلطي واطبخي الرطب باليابس حتى تأخذ الأثالية اليابسة الروح من الماء الرطب وبأخذ الماء الرطب من الأثالية اليابسة نفسا فلا تزال ترددين الرطب على اليابس وتطبخيه حتى يصير روحا صابغا.

هذا سر الحكماء الذي فرقوه في الكتب وستروه، وقد تمت لك الأسماء الكبيرة في اسم واحد وطريق واحد وجمعت ما فرقت الحكماء في التدابير الكثيرة فعليك بما أمرك به فإن أظعتني صرت إلى غاية الدنيا.

واعلمي أن هذه الدنيا التي أكثرت فيها الحكماء فإنما هي اسم واحد وطريقة

واحدة، والله ما وصفنا لك إلا حقا فدعي عمل الكتاب وافعلي ما أمرك به فلا أبلاك الله بحرق، ولا كسر.

قال: إنكم إن دبرتموه ألف مرة، ولم تذيبوه فليس بمسنتق أبدا، ولذلك أمرتكم أن تذيبوه حتى يصير ماء جاريا ثم تخلوه بعد ذلك في آنية جديدة حتى يصير رملا، ولذلك ما أمرتكم أن تبالغوا في تنقيته وأمرتكم أن تضعوه في البحر والشمس فإن لم تفهموا فانظروا كيف يبيض أهل مصر الكتان في الشمس والندى وهو الماء.

وقالت: المركب الذي وضع الحكيم في آخر كتابه من الماء لم يجعل له وزنا. قال: لكنه قد قال: اجعل فيه قدر ما يشرب واطبخ صفيحة النحاس حتى يرضيك لوئها وههنا يتبين أن الماء ليس يوزن ولكنه كلما سقي المركب كان أحسن وأجود لصبغه قال: فأما أباي لم أر إذ عمل بالصنعة أن لا تعمل إلا قليلا حتى تعرف وجه العمل.

قالت: وما وجه العمل؟

قال: إحكام المزاج حتى يصير ترابا ثم يسقى حتى لا يبقى من الماء الخالد شيئا إلا جار في المركب واعلمي ولا تملئي.

وقال ريسموس: خذوا ماء حديدا ولا تظنوا أنه عني حديد العامة ولكنه عني بذلك تمويه الجسد ثم تدبره حتى يصير مرقا وطلّي فإذا صيرتموه كذلك فهو الحديد الذي أمرناكم بأخذه؛ لأنه كان شيئا جاسيا وبعد يصير ماء فلا تطبخوه وحده فيهلك روحه الصايغ في النار؛ لأنه ليس معه ما يلزمه ويقويه على الصبر على حرارة النار ثم قال بعد كلام كثير: قد أعلمناكم أنه إن أفرد هلك صبغه في النار، وإن خلط معه ما يلزمه ويقوى به على النار استخرجتم ثمرة قد صح بكثرة الشهادات إن الإذابة في نار زبل، وإن عقد الزئبق في جسد المغنيسيا في نار رماد سخن، وأن تحذر الاحتراق ورفع الماء حتى لا يبقى في الجسد رطوبة بنار وسط ثم لا يترك بعد ذلك في النار بغير رطوبة وإلا أحرقت النار لونه.

قال هرمس: ينبغي أن لا تجعل في الإناء إلا هاتين الطبيعتين تدبرهما في أول أمرك بالقنبار حتى ينشف الجسد الرطوبة الثقلية ويصير حجرا واحدا ويدخل معها غريبا.

وقال: إنك تأخذ هذا الزئبق مع أخلاطه فتجعله في إناء وتوقد تحته بنار لينة حتى تزوج بعضها بعضا فإذا رأيت الصفائح قد صارت رمادا.
فاعلم أنك نعم ما خلطت وزوجت فإن أردت أن تعلم أنك على صواب من عملك ورأيت الجسد قد انذاب وصار ماء فاعمل، ولا تمل فإنك على صواب من عملك.

وقال: إن صنعة الذهب أن يكون من الزئبق الذي من القبار، وأنا أخبرك أنه إنما عني من الزئبق الذي من القبار الزئبق الذي يخرج من الأجساد قلت: أسمى ذلك الزئبق زئبق من قنبار ولكنه يسميه كبريت فلا تظن أنه إنما صعد مثل ما يصعد من الأنبيق، ولكن أعلمك أن الماء يأبق من حر النار فيصعد إلى غطاء الإناء فانظر ما وجدته يصعد منه فاجمعه ثم أعدّه إلى الأجساد التي هرب منها قبل... معها ويصير لها صديقا..
قال فإذا وجدت الأبق تردده إلى الذي أبق منه فهذا هو التبييض الذي أعلمناك مرارا هو الذي يخرج ظل الأجساد وسوادها ويصيرها بيضا، وقال: خذوا الحجر إذا أنتم عرفتموه فكلسوه بالرفق حتى تسجنوا فيه الماء وتردوه إلى أصله إلى الماء بالخل، وقال أرس الملك: آمرك أن تعيد فيه الماء حتى يصير مرقا بعد أن كان رمادا يابسا واطبخه فإذا صار مرقا فعند ذلك فارفعه بذات الثدي مرارا، وقال فكم أردد الماء على الرماد قال: أربع مرات ليحي ذلك الماء ما في الرماد من الروح وقال: اطبخه في الأول بغير محجمة ثم بالمحجمة.

قال: فينبغي أن تطبخوه حتى يختلط ويصير شيئا واحدا حتى يستخرج الرطوبة ما في ذلك الرماد من روح واعلموا أنكم كلما انحكم الرماد والماء بالنار كان أشد لأخذ الصدى من الرماد وكلما رددتم الماء على الثفل كان أخذ لصبغه وأرفع لثقله فرددوه سبع مرات حتى تأخذ الرطوبة لطيف هذه الأجساد التي في الرماد يابسا ميتا.

والنفس فيه قالت: يقول الحكيم ما لكم والأشياء الكثيرة الطبيعة، واحدة.
وقال: صدق، وأنا أعلمك أن الجسد واحد، وإنك إن تدبري ذلك الجسد حتى تصيريه ماء ثم تجمديه فليست على شيء فلا تعي نفسك ألا ترى كيف قال الحكيم: اقلب الطبيعة واستخرج الروح الكامن في جوف ذلك الجسد. قالت: وكيف القلب؟

قال: اهدمي الجسد وصيريه ماء واستخرجي ما فيه فقالت بعد كلام كثير وكيف سماه في أول الأمر ماء أبيض ثم سماه ههنا كبرية لا تحترق؟
قال: ألم تسمعي قبلها أن الزئبق أبيض يبيض كل شيء ويذويه.
هذا في أول العمل فلما انعقد جسده صير الجسدين ترابا أحمر أبقا وما للنار جسد وحينئذ سماه كبرية لا تحترق، وذلك أن معه الجسد لا تحترق ثم لم يعرف ما قد أذهب سعيه باطلا.

قال الملك أرس: فهل قال أحد من الحكماء قولاً صادقا في الظاهر؟
قال: لا ولكن ديمقراط قال قولاً مختصراً ملبساً قال: خذ من المركب الذي وصفت في آخر كتابي جزءاً من خمير الذهب الذي هو زهر الذهب صدر أحوال جزوا واطبخه في شيء من نار زبل واجعل فيها تعي.
قال: أراه جعل لشيء مما ذكر وزنا إلا للمركب الآخر، وخمير الذهب فأما الماء فلم يضع له وزنا ولكنه قال: قدر ما يشرب ثم قال: اطبخ صفيحة الورق حتى يرضيك لونها، وفي هذا بيان أن الماء لا يوزن ولكن كلما شرب المركب فاسقه فإنه كلما شرب حسن لونه.

قال: فكيف تأمري أن أسقيه من الماء وترعم أن لا وزن له، والماء مركب وقد ركب في أول الأمر فقد قلت لي قبل هذا: إنه من عرف التركيب فقد أصاب قد لبست علي فقل الحق.

قالت مارية: خذوا من زهر الملح اليابس الذي يبسته في الشمس فاخلطه بالملح واطبخه فيصير أحمر.

وقالت: اجعل فيه من السم قدر ما تعلم أنه يقوى على شربه وسد فم الإناء، وسقه كذلك مرارا فيكون ذهباً.

وقالت: ضعه في الشمس حتى يشرب ويجف ثم سقه قدر رأى العين بقدر زيه من غير سرف واتركه في الشمس حتى ينسحق ويصير مثل الرماد وكلما انذاب فاسحقه في الشمس حتى يجف فاسقه قدر ما يرطب الأرض واجعله في إناء وانعم تغطيته واطبخه حتى تذهب رطوبته واجعله في مكان سخن حتى يبس وهو الصبغ الكبير.

وقالت: إن الرماد كلما سقيته فمرة يجف ومرة يرطب حتى يصير فيه لونه الذي يطلب.

وقال هرمس: إذا انذابت الطباع فصارت ماء فنعم ما مزجت فإذا صارت رمادا فاعمل، ولا تمل فإنك على صواب.

وقال ريسموس: ينبغي أن تحرقوا النحاس بنار مثل حضانة الطير، وليكن النحاس في رطوبته لثلا يحترق روحه الصابغ وليكن أناؤه مسدودا من جوانبه لتردد حموة النار في الإناء فينهدم قليلا قليلا بالطبخ.

وكلما احترق منه شيء اختبأ في الرطوبة من أجل هذا قالت مارية: صيروا الأجساد لا أجساد لأن كل جسد ينحل مع الروح فيصير ماء بيضة روحا وكل روح يتحول ويتكون مع الأجساد يصير ذهبي اللون صابغا باقيا لا يحترق فمن استطاع منكم أن يعمر هذا الروح بجسد ينحل معه ويستخرج طبيعته الرفيعة المسحنة في جوفه بتدبير رقيق وصيره على طول طبخه صبغ كل جسد.

ومن أجله قال ريسموس: إن النحاس بعد ما يرطب برطوبته وسحق بمائه وطبخ بالركبة بالكبرية ويؤخذ منه أثالية صبغ كل جسد.

قال ريسموس: إني لم أمركم أن تخلطوا وتسحقوا باطلا، ولكن لكي أراجعكم الجسد في الطبخ فوصلت حمرة النار إلى غور جسده عفنته وهدمته واستخرجت منه روحه المسجن فيه وأحرقت غليظه وأفته فلذلك ينقص الأعشاب لأنا إنما نأخذ طبيعتها الصابغ.

قال: ومن الناس من يفزع إذا رأى الأجساد والروح لا تحترق، ولا تملك ولكنه بحيث تغيب في غور الجسد بعد ما يعمل عمله النافع.

واعلم أنه لا يبقى في النار شيء من النحاس وجسده قد أخذ لطيف الأشياء وطعمها وليس شيء يبقى له وزن غيره فقال: اعلم أن الأصل في الأكسير رطب.

قال ريسموس: واعلموا أن العمل إنما هو طريق واحد فيه تدبيران اثنان وذلك تحليل المركب الذي هو كل شيء حتى يقطر ثم يبس ذلك المحلول حتى يحمار، أما في الشمس وأما من نار لينة حتى تذهب رطوبة الماء الخالد والتجربة تعلمك فاعرف النار

وتدبيرها الذي به يصلح العمل.

وقال: اعلم أنك إن شددت النار على الطبايع الحارة النارية أحرقتها ولذلك قال الحكيم: إن قليلا من الكبرية تحرق كثيرا، وزعم أن الشيء الكثير هو الأجساد الشداد.

وقال: اعلموا أن كثرة السحق والطبخ والترديد بالماء هو الذي يقوى السم على الدخول في جوف الجسد، واعلموا أنه بعد ما يجف السم فينبغي لكم أن تسقوه رطوبة الماء الخالد وتجففوا وتشدوا ناركم وتموا عملكم على ما وصفت لكم إن شاء الله.

قالت: فصفت البيضة التي لها عشرة ألف اسم بلونها أما جوفها الداخل فحمرة رطبة ظاهرة، وعلى البياض بياض آخر وأحد البياضين أقوى من الآخر فإني أرطب كل شيء في البيضة. قال: بلى فيها اليابس والرطب، ولذلك أمروا أن يذبح بسيف من نار، وأن يصب خلا صادقا ثم تفرق بين نفسها وجسدها بكثرة الطبخ حتى يصير النفس من الملح ويحمر الجسد مثل النار.

وبعد ذلك فإن أردت أن تمي العمل فاخلطي الجسد مع النفس واطبخيه ثمانين يوما حتى يتم الجسد ويصبع مع النفس ويكون أحمر كالفرفير فمن هذا سر الحكماء من الواحد اثنين ومن الاثنين ثلاثة ومن ثلاثة أربعة وأزيدك إن صيرت الأرض هواء والهواء نارا بلغت الغاية قال: فما فهمت آخر قولك وكيف أفرق بين النفس والجسد أبين نفس البيضة وجسدها.

قال: أما بيضة الحكماء فقد أعلمتك أنه لا يتخذ منها صبيغ دون أن تطبخ في معج والظل ثمانين يوما فيمشي كل غليظ، وبعد ذلك تصير الأرض ماء والماء هواء والهواء نارا فتجتمع هذه الأشياء على شيء واحد مسجحة في أرواحها لا ترى إلا واحدا منهن.

واعلم أن الأرض لن تزول، ولا تستطيع أن تابق ولكن إذا صارت ماء وفارقها غلظتها استخرج الماء روحها فأجنته، ولذلك حذرتك الأباق.

قال: فما زي هذه الأشياء الأوابق. قال: نعم فلذلك اختارت الحكماء الأوابق على الذي لا يابق قالت: فهل لهذا الأبق اسم يعرف به قال: قد سمى التين الذي يأكل ذنبه؛ لأن البيضة قسمت على أربعة أجزاء فلما اختلطت صارت شيئا واحدا كنحو

طبائع الدنيا الأربع.

قالت: وكيف يأكل ذنبه؟ قال: لأنه أدخل معه سمه الذي هو مثله فأكله فأصاره ماء ثم صار الذي أكل التين جسدا فقال: اعلمي أن دم الطمث لا يستنقى حتى يغسل بنظفة الرجل، وذلك رحم المرأة اشتهدت نظفة الرجل؛ لأن النظفة إذا واقعت الرحم غيرت دم الطمث وصيرته رغوة بيضاء فمنه يكون لحم المولود، وإنما يفرح دم الطمث بالنظفة؛ لأنها كانت دما قبل ذلك فلما لقي الدم الدم تاق أحدهما إلى صاحبه واختلطا فكما علمنا معرفة اختلاط النظفة بالدم فكذلك علمنا أن نأخذ هذه الطبائع فنؤلفها وندبرها حتى يستخرج منها الصبغ فانظري إذا أردت أن تجعلي النظفة في الدم فاجعليه في جوف الحمام ليصل إليها سخونة الحمام ورطوبته فيتغير لون الدم ويبيض ولولا الرطوبة والسخونة ما استرخا الدم، ولا تغير لونه، ولا ترطب، ولا انحل، وهلكت النظفة ولم يكن لها قوة ألبتة.

قال: ينبغي لكم أن تعرفوا قوة الماء الخالد لا تتحد في الخلط في كل تدبير لأن قوته دم روحاني، وأنه إذا سحق مع الجسد الذي أعلمتكم صير ذلك الجسد روحا لأنه يخلط معه ويكونان شيئا واحدا فالجسد يجسد الروح والروح يصير الجسد روحا فيكون الجسد الذي صار منه روحانيا مصبوغا كالدم وكل ذات نفس فلها دم فاحفظوا لله حفظكم الله.

قالت: فإنني عن بدو هذا العمل.

قال بدوه استرخاء الورق وتغييره وانحلاله وتسويده وورق العامة أعني عامة الحكماء فخذ المشوية نقية منخولة واخلطي بها الملح الممر بقدر رأى العين واسحقه بخل صادق حتى يصير كغلظ العسل ثم اسبكي فيه ورقنا فيغير لونه فافعل به ذلك حتى يسود وذكر كلام كثير في غير موضع فوجب أن السواد في الانحلال.

وقال ديمقراط: إذا أخذ الطالب الهارب كان منها لون لا يتغير أبدا.

وقال: اعلمي الماء يصلح السحق للصدى فخذي بقية الماء فسقي به الصدى على قدر رأى العين واعلمي أنه إن طبخ ونضج وجفف بعد التسقية وجدت الصدى قد صار زعفرانا فاجعليه في إنائه واسحقه بالماء الخالد.

واعلمي أنك كلما سقيته وشويته كان خيرا له فاطبخيه حتى يرضيك لونه وإياك أن تسقيه حتى يجف فكلما جف فسقيه حتى نفذ ماؤك فاتركه مكانه أربعين يوما فيكون سما تاما وهو الصبغ الروحاني الذي لا جسد له الغمام في الجسد إذا ألقى عليه اختلط به اختلاط الماء بالماء.

وقال: إياك، وأن يدعوك الحرص على أن تحرق ما بيدك فتندمي فعليك بالصبر، وإياك والضرر فاعلمي أنك كلما رفقت وأحسننت الطبخ ازداد الإكسير تزويجا، وكان أصبر له وأبلغ في إحكام عمله، وإياك والضرر فكوني من النار على حذر قال: اجعلها ممتزجة لا حارة فتهلك الزهرة، ولا يصنع شيئا، ولا باردة فلا ينضج الإكسير فإن لم ينضج لم يظهر ألوانه ولم يقو على صبغ فلتكن نارك ممتزجة.

واعلمي أن الطبيعة ستعلمك مقدار النار إن كان لك فطنة؛ لأن النار الممتزجة الموافقة لكل نور ودرجة وصبغ حتى يتم لك ما تريدي إن شاء الله.

قال: واعلمي أن كل طبيعة حارة فإنما ينبغي أن تطبخ بنار لينة قال: إن شددت النار على الطبائع الحارة النارية أحرقتها ولذلك قال الحكيم إن قلت لأن الكبريت يحرق شيئا كثيرا.

قال: واعلمي أن رصاصنا إذا خلط بأخلاقه فصار ثغلا شعوريا، سميناه بوريطس وأبار نحاس وعند ذلك ينبغي أن يخلط فيه الزئبق حتى يصير ملغما ثم يجعل في إنائه ثم يطبخ فمن أجل هذا قال الحكيم:

اطبخيه بماء الكبرية وبالماء النقي، واعلمي أن ذلك الماء سريع الأباق، وأشد أباقة عند خلطه وعند الطبخ وعند التبييض وعند التحمير وأشد أباقة إذا خلط بأخلاقه.

وعلى ذلك فإنه يجمد ويختلط بأصحابه ويجمعها حتى يصيرها شيئا واحدا ويحصلها كل في جوفه فإذا طبخ عمل عمله كله فترك فيها صبغه ثم يأبق، وأنا أقول إنه ليس يأبق، ولكنه يثبت ثم يصبغ؛ لأن مارية قالت:

إنه حيث ما دخل صبغ فإن كان لا بد من موافقة الحكماء على أنه يأبق فإني أقول إن الذي يأبق منه إنما هو عليه كله وتبقى لطيفة روحه للصابغ مع أخلاقه التي خلط بها فكذلك سمته حرسفلي اللطيف الصبغ لأنه لزمه فلم يأبق منه وعند ذلك سمته

صدى ثم ينبغي أن يجعل عليه بقية السم ثم تدبره حتى يتم تلقيه على ورق العامة عامة الحكماء فيصبغه.

واعلم أنه لا يقدر أن يصبغ شيئاً من الأجساد غير جسده الذي هو كل جسد فيصبغه صبغاً غير أبق ثم تجعل فيه بقية السم ليشند صبغه ويتغير كتغير الطعام في المعدة، وتخرج من لطيفه لبن هوائي، وذلك إلا لمن عدل المركب.

وقال: اسحقي المغنيسيا بالنظرون والحل واطبخيها حتى يجف واسحقيه ببقية السم ويخلط بالذي له واسحقي واطبخي، واعلمي أنه إن لم ييس جداً لم يخلط قالت: واعلمي أن الذي يسخن مع الصدى فهو آخر كل شيء يخلط وهو المرات ومخ البيض، وما شاكلها وههنا ينبغي أن يقال: هذه الكلمة:

إن الأجساد التي تنفى من النار نعم ما يعمل عملها من غير نار.

وقوله: وهو الذي يحفظ الأجساد ويجعلها غير متشقة ليس يريد التشقق، ولكن يقول تجعل الأوابق غير أوابق من النار من الغمام والحرسفلي؛ لأن الأجساد إن صبغته صبغت والذي يصبغ الأجساد هو الماء الخالد السر العظيم وهو الذي يخرج الألوان.

قال ديمقراط: من بيض النحاس فليصديه ويذهب تصديه الصدى، وأما الكبرية التي لا تحترق فإذا صارت رمادا صارت كبرية لا تحترق.

وفي ذلك قال أغاديمون بعد تصديه النحاس وسكن سحقه وسوداه وعند إخراجها وبياضه يكون حمرة مرتفعة.

فاعلمي أن المركب لا يحترق ولا يجف إلا بالرطوبات لذلك أمرت الحكماء أن يجفف ويرطب حتى يكون رمادا غير محترق وحتى يصير هباء لا محسة له، ولا نفس.

ولذلك قال أغاديمون في تدبير الزرنيخ الذي ذهبته نفسه فلا تظني أنه حي.

قال: هذا في المركب إذا قال: يذهب عنه أنه أعني إذهاب نفسه التي هي روحه الصابغة، ولكن أعني قوته ورطوبته ولينه الذي كان فيه حتى يصيره رمادا غير محترق؛ لأن ذلك الرماد له طبيعة صابغة يظهر كيانها في الجسد الحي إذا دخل فيه، ولذلك قال هرمس الكلس الذي لم تطف فاعسله سبع مرات بدهن الورد؛ لأن الكلس إذا غسل سبع مرات بدهن الورد تبع الأجساد اليابسة المحترقة.

واعلمي أن المركب إذا احترق في أول مرة ثم رددته سبع مرات فإنما تردده ليلبغ الحرق الذي يصيره رمادا حتى يصير لا محسة له، وليدخل لطيف الرطوبة في جوف لطيف الرماد قد أخترتك بقول هرمس في الكلس الذي هو كثير الأسماء ولكن ينبغي أن أصنع لك في الكلس الذي هو الرماد بقدر مبلغ رأيي.

وذلك أن الرماد بعد ما يموت يحتاج إلى النار في تسويد الأثالية عليه حتى يعيد منها نفسا وروحا صابغا؛ لأن الرطوبات هي أنفس فإذا سمعت الحكماء سموا الأنفس والأرواح فإنما عنوا بها الرطوبات، وهي الغمام الرطب الأسود الجوف فهذا الذي يصبغ الرماد بعد موته؛ لأن الرماد صار صدى شبه الأثالية، وهو الذي يصير خمير الذهب روحانيا.

واعلمي أن المركب إذا صار رمادا محترقا لا نفس فيه فإنه جسد يستقل أكثره، ولا يصبغ، ومن أجل هذا قال هرمس إذا رأيتم الأجساد قد صارت رمادا فاعلموا أنكم نعم ما مزجتم فإن لهذا الرماد قوة عظيمة، وكما أن الحطب إذا احترق وصار رمادا لم تقدر النار على إحراق ذلك فكذلك الأجساد المركبة إذا احترقت فصارت أرمدة لم تقدر النار على إحراقها، وإذا صارت أرمدة صارت أصباغا صابغة تصبغ العظم والزجاج والجلود وأشباه ذلك فلذلك قال: لا ينبغي أن يروحك أن ترى الأجساد قد صارت أرمدة لأنها تؤول إلى الصباغ صابغة رفيعة قوته شديدة ويخرج من ولادة جديدة غضة طرية كمواليد المخلوقين والزرع، والشجر، وكذلك أيضا الأجساد الصابغة يفيد روحا إذا هي احترقت بنار لينة وصارت رمادا روحانيا، وإنما أفادت تلك الروح من النار، والهواء كما يستنشق الرأس الروح من الهواء كما أن في النار والهواء قالت: فقولته دبره على رأي العين وييسه فتجد السم قد صار زعفرانا قالت: فالماء الهوائي والماء التيلي والماء الكبريتي قال: هذا كله هو الماء الخالد، وهو الماء الزهري قالت مزرع الذهب وزرع الذهب وخمير الذهب قال: هذا كله ماء الكبرية.

وقال أرسطاطاليس لرونوس بن أفلاطون:

اقبل قولي وخذ البيضة فرق بينها وبين روحها ودبرها بماء البحر وحرارة الشمس والأثال واقسم ذلك على أجزائه فإذا عزلت الهواء عن الماء والماء عن النار

والنار عن التراب فخذ النحاس افرق فاسحقه برطوبة الشيء ودبره حتى يبيض فإذا بيضت النحاس فدبره بماء الكبريت حتى يحمر فإذا احمر الملح فاجعله في بيت حار حتى يصير ذهباً فخله في رفع الماء فإذا طلعت الماء فييسه واجعله على الورق فإنه يكون ذهباً كريماً.

وقال: فقولهم حتى يكون الكبرية غير محرقة فكيف؟

قال: إن كباريت الأشياء إذا طبخت مع الرطوبة صيرتها كبرية غير محرقة. وذلك أن الثفل إذا صار رماداً سموه كبرية والنار لا تقدر على إحراق الرماد.

قالت: فلم سمو السم عسل؟

قال: لأن هذا الماء إذا اختلط بالأجساد أخذ طبيعتها كما يأخذ الماء طعم العسل إذا خلط به.

وقال أنا قائل في البيضة فخذوا المولود وإياكم أن تدخلوا معه غيره ورفقه قبل، واستخرجوا الرطوبة بالآتية ذات الأنبوب حتى لا يخرج منه بخار ويبقى الثفل الذي أسفل الإناء أسود ليس فيه نفس بته فعليكم بالذي بقي أسفل، وهو الرماد فاجعلوا ذلك الرماد في صلابة واغسلوه بماء البحر الأبيض حتى يذهب عنه سواد النحاس واغسلوا البحر بماء البحر مرارا كثيرة حتى يصير الماء كالبول أو كالندى وإياكم والملاة من كثرة الغسل حتى تذهب عنه أرضيته وتأخذ النار السواد الذي فيه وتصفوا الرطوبة وتستنقى فعند ذلك يظهر لكم اللون الكريم.

وقال أرشلاوس: اخلطوا نحاساً بالزئبق واطبخوهما بنار لينة حتى يندابا وإياكم وشدة النار.

وقال زوسيموس: خذي الزجاج وأوقدي عليه وقوداً لينا فإذا تكون أسود فرفرف فلا تفتتبه بكرة وإلا خرج غير جسد خامرته، وإياك أن تحركيه.

واعلمي أنك إن تركته حتى ينهدم من تلقاء نفسه كان الذي يخرج منه أبيض حسن فاتركه حتى يصير الزجاج كله بخراً ثم تفتتبه.

واعلمي أنك إن لم تصيري الزجاج كله بخراً قبل أن تفتتبه فقد بقي منه شيء لم ينضج وأنه إن صار كله بخراً قبل تفتتبه خرج منه ما تطيبين فاصنعي ذلك به مرارا.

قال غرغورس: إن النحاس إذا خلط بمائه ودبر حتى يصير ماءً ثم أجمد صار

حجرا براقا له تالؤو كتالؤو الرخام فدبره حتى يصير أحمر لأنه إن طبخ حتى ينهدم ويصير ترابا كان أحمر أفزل ثم فرفر فإذا رأتموه قد وقع في الالهدام فصار ترابا وعلاه شيء من حمرة فكرروا عليه التدبير فإنكم إن مزحتم بقدر حسن أسرع الدخول في جسده، وأسرع إذابته وإجماده وهدمه وتفتيته ثم لم يبطء عليكم الجرة، وإن مزحتم بغير قدر جاء الإبطاء وسوء الظن، ولتكن ناركم عند الإذابة نارا لينة فإذا صار ترابا فشدوا النار وسقوه حتى يظهر الله تبارك وتعالى لكم الألوان.

وقال: لقوة الماء إذا دخل في هذا الجسد ثم صيره هباء.

وقال يوسطس: اطبخ المركب حتى يذهب الطبخ سواده واطبخه أيضا حتى يجمد فإذا جمد فلا ينبغي لكم أن تذيبوه ولكن فتتوه مثل صمغة كانت يابسة ففتت.

واعلموا أنه ربما جمد بعضه وبقي بعضه فإذا رأتموه كذلك فلا تترك من طبخه حتى يصير بصاق القمر ترابا على لون المغرة.

واعلم أنهما إذا جعلوا في النار فإنه مكانه يذاب ويصير الماء وإذا أطلتم طبخه بالنار زمانا كثيرا جمد وصار حجرا وبعد ذلك قدمت ذلك الحجر في وسط البحر فإذا نقيت شمسه الجسد فتزاحم، وتجربته بعد أن تجعل فيه من ماء البحر وتطبخه حتى يصير الماء لونا أسود ويصير شيئا واحدا قال أفلاطون: خذ الحر سفلى فاجعلوا معها شيئا كثيرا؛ لأن بينهما قرابة واطركوها في الطبخ زمانا كثيرا حتى يجمد ويصير حجرا ويفتت بعد ذلك ويصير عقودا وكلما سقيتموه فاطبخوه حتى يصير رملا فيتيسيس ييس الفخار فهذا الواحد الذي يذاب في الواحد.

وكلما أحرقتموه كان أرفع له ولصبغه أنه كلما شرب وأحرق كان أجود له، وأبقى. قال: واعلموا أنكم إن دبرتموه ألف مرة، ولم تذيبوه ليس يستنقى أبدا، وكذلك أمرتكم أن تحسنوا تنقية الرمل، وتبالغوا فيه وأمركم أن تضعوه في الحر والشمس.

فإن لم تفهمي قولي فانظري كيف يبيض أهل مصر الكتان بالشمس، والندى وهو الماء.

وقال أرس: إن كباريت الأشياء إذا طبخت مع الرطوبة صيرتها الكبيرة غير محرقة، وذلك أن الثفل لما صار رمادا سموه كبيرة والنار لا يقوى على إحراق الرماد

قالت: فانبئني عن هذا الذي لا يزال يعرض لي من سوء الظن، والشك في هذه الصنعة عندما أرى من اختلاف الحكماء في الأسماء والتدابير والتراكيب والأوزان.

قال: إن الحكماء لم تطب أنفسهم بوضع هذا الأمر ظاهرا وإنما اختلفوا على عمد ليلبسوا على ذي الرأي حتى يشك للشياطين حسدا فرما وسوسوا لمن قد أشرف على هذه الصنعة فأراد الرحمن فيها فوهوه هذا شيء لا يكون وربما عظموا عليه النفقات وخوفوه العدم، وما ابتلي به غيره ليصرفوه عن طلب هذه الموهبة الكريمة الواصلة بأهلها إلى نعم الآخرة لأنه أمر عظيم من الله به على عباده، وإنما أمرك أن تعتصمى بوصيتي ولا تسأمي من قراءة الكتب، ولا تضجري من التدبير واصبري وانتظري تمام الصبغ، ولا تدعي كثرة التضرع إلى الله جل اسمه أن يتمه لك.

وأحذرك النار عند التدبير فإنها عدو للماء حتى يقع الصلح بينهما كما قال سيدنا المسيح للحكماء حين أتوه ليخبروا علمه بعلمهم فقال: عجا لكم أيها الحكماء كيف أصلحتم بين الماء والنار صلح عملك بإذن الله عز وجل.

فاعلمي ولا تمللي ولا تضجري واصبري وألحي على قراءة الكتب والتفهم لها واسترشيدي الله يرشدك قالت فانبئني لي ما حل وسمي وعنه.

قال: إما البيضة التي اتخذها الحكماء فقد أعلمتك من أشياء شتى، وإن أحدا لا يستطيع أن يتخذ منها صبغا دون أن يطبخها في الشمس والظل ثمانين يوما فيتمشى كل غليظ ويعفن فعند ذلك تصير الأرض ماء والماء هواء والهواء نارا فتجتمع هذه الأشياء له شيء واحد مستحثة فيه يفيد القوة والصبغ قالت: فافتني عن قولك خذ الذكر الذي يبيض بجمرتة وعلموا منه رأس الدنيا.

قال: الذكر هو الأصهب، وأما الخالد هو الكرية الأولى فإذا خلط وطبخا صار ماء ثم صار حجرا ثم صارا ترابا وعند ذلك ينبغي أن تسقيه فإذا سمعت في الكتب ذكر أحمر فهو هذا.

قالت: وما هذا الذكر الأحمر قال: إن التين الكبير من الذكر وحده، وتكون الحمرة والصبغ والتمام بمائه.

قالت: ومتى ذلك قال: إذا طبخ الخالد صير لماء الخالد الذكر، ورقا ثم صار

ذهبا قد بينت لك أيها المرأة تبيض الذكر وتحميره فافهمي ولم أعن ورق العامة وذهبتهم فاعلمي ذلك قالت: فأفتني عن الكبرية اللينة التي زعمت أنها لا تقدر على تبيض النحاس وحدها قال أحل وأبينك أنها لا تقدر على إحراق النحاس وحدها إلا أن تكون تلك الكبرية مركبة فعند ذلك تحرقه فإذا أحرقت الكباريت ذهبت الكباريت وبقي النحاس وحده.

فاعلمي أن تلك الكبرية المركبة ليست بقادرة على إحراق النحاس إلا في أيام كثيرة فإياك والملافة وعليك بالصبر فإن الكباريت ليست بمفارقة النحاس حتى تصيره ماء جاريا.

ولذلك ينبغي لهذا السر أن يكتم كما وصفته الحكماء في كتبهم؛ لأن هذا التريديد الذي وصفت لك هو تدبير الرمل الذي أصاب فيه المصريون الكنوز التي لا عدد لها فأحسني حفظك الله حفظ هذه المسألة قال: ثم اجعليه في القدر التي تستخرج بها البخار فإن وجدت في غطاء القدر شيئا فهو من قوة القهر فاطبخيه حتى يطلع في الغطاء شيء.

وقال: قد رأيت أن أعلمك كلمة واحدة، وهي ملاك عملك.

قالت: ما هي؟

قال: اعلمي أنك إن لم تموهي الأشياء كلها في أول الطبخ من غير سخونة حتى يصير كل شيء ماء فإنك لم تصيبي وجه العمل، وهذا العمل سماه هرمس النخل؛ لأنه قال: إن لم تنخلوا الطبايع فقد أخطأتم لأن خفيف روحاني قد احترق وتمشى فإنه يرتفع فوق، وكل ثقيل: فهو يقع أسفل، وقد ينبغي لك قبل كل شيء أن تدمي غليظ الجسد قبل ذلك إحراقا رفيعا بالين نار تجديها على مثل حضانة الطير حتى تحضنه، وتخرج ما فيه لتمامه ثم ينبغي لك أن لا تدعيه بغير رطوبة لئلا يحترق أزهار أصباغ الأجساد وينبغي لك أن تطين الإناء لئلا تخرج الرطوبة من حر النار، ولذلك قال توفيل: احفظ الزئبق الذي من القلقنت والسم النار الذي يذيب كل شيء.

وقال: فأما سوى حرق الحكماء فهو فساد وتلف فإن أحرقت حرق الحكماء قبل الصبغ واللون وإن أكثرت ناره أكثرت حرق احمرار؛ لأن ترابه من تراب أهل

الفرفير فلا تعتري بلون الرصاص الذي تغسله فإنه إن اشتدت ناره احمر قبل أوانه، وقبل أن يصل إليه السم الباقي وإن فعلت ذلك أخطأت بالتدبير وأما الماء فلا تبالين قليلا كان أو كثيرا إذا أصبت التدبير.

وقال أعاديمون ثم أعد غسله بالماء في نار لينة فاحرق واغسل بصير كل ماء.

قالت: فافتني عن مسألة بطينيئوس هرمس حين قال:

أيها المعلم إنا قد صنعنا هذا الإناء ست مرار قبل أن يتزوج كله.

قال هرمس: نعم.

قال: وأنا أقول لك أيضا نعم؛ لأنه لا يضع فيه ما بقي حتى يصير الغليظ كله رميما مفتتا، ولا يعمل من دخل في هذه الصنعة أن يحرق النحاس، ولا يستبطن أول إحراقه فإنه لا يحرق قليلا قليلا في الطبخ حتى يصير صدى ثم يطبخ بعد ذلك طبخا بالغا حتى يعفن النحاس المحرق مع الصمغة والدهن الذين كانا خلطوا به.

قالت: فافتني عن قول التلاميذ إنا قد علمنا ما وصفت لنا في المفتاح ست مرار حتى تزوجت الطبايع، ولزم بعضها بعضا، وإنا نفهم ما وصفت من أمر النخل في أول العمل.

قال: قد بينت لك قبل هذا، وذلك أنهم طبخوه بعد تزويجه فلما طال عليهم الأمر ظنوا أنهم على خطأ فرفضوه ولذلك كنتم الحكماء وقت العمل في كل تدبير، وقال احذري إذا خلطت البيضة في أول التدبير أن تحرقوها فإنه ليس كل بيضة ينحل فإذا أنت حليتها فاغسلها بماء البحر ثم يذهب كله فأحسني التصفية مرارا كثيرة.

واعلمي أنك إن خلطت الحار مع البارد والرطب مع اليابس فأنت أنت؛ لأن

الواحد صابغ والآخر مصبوغ.

وقال فيثاغورس: ترجعت الروح إلى الجسد فلزمت جسمها الذي انحلت منه فانعقدت جميعا في طول الزمان ما جفى فألهمني الله أنه لا بد لنا في عملنا من القدر التي تحبس فيه الأشياء وتردها بتلك السخونة حتى تجعل النفس الفارة طبيعة مع ما عملها عليه بالرفق ليدخل فيه أسرع من كل شيء فإنه إذا اشتدت عليه النار يفر حتى يدخل في كل جسد وحجر حتى لا يبقى منه وزن درهم واحد ولو كان وزنه مائة رطل.

فقال أغاديمون: أنه لا بد لنا في عملنا هذا من هذه القدر والأثال فالقدر لإصعاد الماء والأثال لإصعاد الكبريت والأجساد.

وعلمنا أنه لا بد لنا منها لتمام العمل مثل الذكر والأنثى.

وقال أغاديمون: اعلّموا أنا لم نضع كثرة السحق والطبخ باطلا فاطبخيه طبخا رقيقا. قبل أن تطلعيه؛ لأنه بالطبخ اللين يأخذه الروح الصابغة الشبيهة به وبلين النار تسخن الأرواح الصابغة في الروح الرطب فلو اطلعت عليها النار الطلوع إلى الهواء حتى تصير روحا لا جسد لها ونفسا أخرجت من الأجساد المركبة.

وقال إنما تستخرج تلك الروح بلين النار يشبه حضانة الطير فاعمل، ولا تمل واصبر تصب حاجتك إن شاء الله.

قال: واعلمي أن الحكماء قد وصفت في العمل أصنافا كثيرة في مقادير النار فمنهم من قال: اطبخه بالخل والماء اليابس فإنهم لم يضعوا له أسماء كثيرة مثل ما وضعوا في الرطب إلا أنهم قالوا: ينبغي أن يزداد عليه من الرطوبة في الصيف فأما في الشتاء فانقصوا من الرطوبة كما ذكرت مارية: أرواحها لا ترى إلا في واحد منهم.

واعلمي أن الأرض لم تكن تزول، ولا تستطيع أن تأبق لكنها لما صارت ماء وفارقها غليظها استخرج الماء روحها فأجنه فصار أبقا فلذلك حذرت الحكماء أهل هذه الصنعة أبقا ما في أيديهم.

قالت: فأرى هذه الأشياء أوابق.

قال: نعم، ولذلك اختارت الحكماء الأوابق على التي لا تأبق قالت: وهل لهذا الأبق اسم يعرف به.

قال: ما أكثر أسماءه قالت: فسم لي بعضها.

قال: وهو التين الذي يأكل ذنبه؛ لأن البيضة قسمت على أربعة أجزاء فلما دبرت واختلطت صارت شيئا واحدا كنعو من طبائع الدنيا الأربع.

قالت: فكيف يأكل ذنبه. قال: ادخل معه شبهه الذي هو مثله فأكله فأصاره ماء ثم صار الذي أكل التين جسدا قالت: فافتني عن قولك: «لا تنافي حرق الأجساد» فد أعلمتك أن هرمس قال: احرقوا الأجساد حرقا بالغا حتى تخرج أنفسها وتصير رمادا

فإذا رأيت الطبايع قد صارت رمادا.

فاعلمي أنك نعم ما مزجت فقد ينبغي أن تحرقى هذه الطبايع حتى تسترخي رطوبتها وتتحرق الأجساد فلذلك تلك الأجساد يفيد الأرواح من النار والهواء كما أن الخلائق يتحولون من طبيعة إلى طبيعة فهذا الموت، وهذا العيش وكذلك النحاس يحترق بالكبرية ويتحول من طبيعة إلى طبيعة حتى يتم الله منه هذا الذي تطلبين فلذلك قالت مارية: إن النحاس إذا أحرق بالكبرية ورد عليه النظرون مرارا صار خيرا مما كان، وقال: إذا أخذ الطالب الأبق بطلت الإباقة قال: ومتي يكون ذلك؟

قال: في التركيب الأخير.

وقال: لو أن من دخل في هذه الصنعة عرف أنها طبايع ثم خلطها بما يهدمها لم يخطئ؛ لأن الذي يخلط به يقهره كله بلونه، وكما قهر ظاهره في المنظر فكذلك قهر باطنه في المخبر قالت: فكيف يقهر الضعيف القوي. قال: إنه، وإن كان ضعيفا في المنظر فإنه قوي في التجربة وهو أقوى من الذي ترينه قويا.

قالت: فأيهما أقوى على النار قال: الصابر عليها هو القوي من رأي العين والآخر فهو الأبق الذي هو الضعيف من رأي العين القوي في المخبر، وليست قوته على النار إلا بالآخر الذي لا يأبق، وأنه ينتقل بالتدبير فهو عند درجة يختص باسم من هذه الأسماء.

فاعلمي أنه إن صدى خارجه فسيصدي داخله، وإن بيض الغمام خارج النحاس فيبيض داخله غير ذي شك.

قالت: فافتني عن قولك: «إن إسطنس ذكر النحاس والحديد والرصاص والقصدير والورق وجعل لكل شيء منها تدبيرا على حدته.

وزعم أنهم يكونون في التدبير ذهبا قال: هذا محال باطل كله فلا يصدق به إلا جاهل وإنما وضعه إسطنس ليلبس به على الجهلة، وأنا أعلمك أن هذه الأجساد التي ذكرت ليست بنا لها حاجة، وأن الذي نريد جسدا واحدا الذي فيه الصبغ الواحد غير أن هذا الجسد لا يصبغ حتى يصبغ فإذا صبغ صبغ، ولهذا قال ديمقراط: إنكم إن أصبتم التركيب صبغتم كل جسد بإذن الله فكل جسد هي الأربعة أجساد والأربعة أجساد

هي الجسد الواحد الذي يصبغ قبل ذلك فإذا صبغ صبغ.
فاعلمي أن ديمقراط زعم أن العمل لا يحتاج إلى أكثر من طبخين طبخ في
الأبيض وطبخ في الأحمر.

قالت: لقد خالف الحكماء قال: فلهذا من اختصاره.
قالت: فقولك: إن الأربعة أجساد تصبغ لم تصبغ أن الكباريت تدخل ثم تذهب.
فاعلمي أن صبغ الأجساد التي يخرج بها في النبات هو روح جديد صابغ.
فأما الكباريت تدخن فتذهب، ولا يبقى إلاطعم النحاس وحده وهو روحه.
قالت: ولم بقي روح النحاس من بينها؟ قال: لأن النحاس طبيعته ليست لغيره؛
لأنه إذا اختلط بكباريت وزوج بها أمسكها وأمسكته قالت: فكيف أمسكها وتمسكه.
قال: أما إمساكه إياها فإنه جالوا بينها وبين الأبق، وأما أمسكها إياه فإذاها
ظل النحاس فلا يرى في التدبير.

قالت: أحسنت، فما الذي دعا أغاديمون إلى أن جعل للنحاس تدبيرا وللمغنيسيا
تديرا وللصدى تديرا.

قال: إن النحاس والمغنيسيا والصدى هو شيء واحد، ولكنه جعل لها تدابير
كثيرة ليقصر من دخل في هذا العمل على تدبير واحد فجعل كثرة التدابير في تطويل
الأيام وليست تدابير كثيرة إنما هي تدبير واحد يحتاج إلى أيام كثيرة قالت: فافتني عن
الأبق الرطب وعن اليابس الحار.

قال: أمرك أن تضعين منها واحدا؛ لأن الكباريت تمسك الرطوبة برطوبة مثلها،
والبارد والحار يضارها والريح من البخار تحبس والنفس تستخرج والبيضة فيها نفس
وجسد الأطسيوس والكلس.

قالت: فافتني عن تصبيرك الأرض ماء قد عرفته فما قولك: الماء نارا، والنار
هواء؟

قال: أمرتك أن تدخل في النار في الماء حتى يسخن فيه لتذهبي ببرودته وتزيد النار
قوة على إحراق ما دخل فيه، وأمرتك أن تحبسي الأرض في جوف الهواء.

قالت: وكيف أقدر على ذلك؟

قال: إذا أخذت لطيف الأرض، وهو الدخان فاختلطا بالهواء احتبس في جوف الهواء، ولهذا أمرتكم أن تخلطي الحار بالرطب واليابس بالبارد فإن الطبيعة تغلب الطبيعة، وتمسك وتفرح فلا تحقري هذه الأشياء فإن الإنسان إذا عرف حقر.

وقال: ينبغي أن يكون المصبوغ مثل الذي يصبغ به مرتين.

قالت: قوله: إن النحاس لا يصبغ حتى يصبغ فإذا صبغ صبغ.

قال: وهل يقدر أحد على أن يصبغ الغليظ بالغليظ؟ قالت: أنت أعلم.

قال: أما أعلمتكم أن الجسد لا يقدر أن يصبغ نفسه دون أن يستخرج منه روحا الكامن في جوفه فيصير جسدا بغير نفس طبيعة روحانية ويهذب عنه الغليظ من الأرض فإذا صار لطيفا روحانيا مثل الصبغ وانغمس في الجسد فصبغ قالت: وكيف يصبغ؟

قال: إذا أردت جسد المغنيسيا استخرجت صبغه فصار صابغا، وهو معنى قوله: إن النحاس لا يصبغ حتى يصبغ وإذا صبغ صبغ.

فاعلمي ذلك، واعلمي به إن شاء الله.

وقال افهم قول الحكيم: إنني لم أنقصكم شيئا إلا الغمام ورفع الماء فإنه موضوع في كتب الحكماء من غير جسد وقد أوضحه اشتماس إذ قال: إنما يكون السخن والحرق والتمليح والغسل والتبييض في رفع الماء.

واعلمي إن رفع لا ينبغي أن يكون إلا بالإجماع أبدا، ولكن إنما يكون وإجماع في أول الخلط، وقد وصفت ذلك في الحاجة وبينته حتى أعلمتكم أن تركيب التبييض على حدته فإذا قلت لك في التحمير: إن الحكيم قال: اجعل شيئا من كبرية لا تحترق لينغمس السم في جوفه.

وقلت في التبييض صيري السم أبيض رخاميا وانظري في السخن والطبخ إلى هذا اللون.

فاعلمي أنك على غير طريق الحق، وإنما ينبغي أن يكون هذا اللون في الأثالية التي تصعد من الإناء ومن الحكماء من سماه أبار نحاس، ومنهم من سماه صابغ كل شيء، وآخرون سموه قبارا وهذا الكلام آخر الرسالة السابعة من الرسائل العشر مفاتيح وهو ستمته.

يقول في بعض كتبه فهذا الحرق الذي تريد إحراقه، ويطلع الذي تريد من إطلاعه حتى تسليبه إلى القابلة فقد بين أن في الغمام ورفع الماء جميع التدبير لمن فهم والحرم كثيرا.

قالت: يا روسم قد أعلمتني علم الرطوبات.

فأعلمني علم الشديديات. قال: ما فهمت ما قلت لك حين قلت لك انقعي الصفيحة في الخل فالصفيحة هي بعض الشديتين.

قالت: فكيف أعلم أن الشديديات تصير غماما وتلتصق به.

قال: قول الحكيم عنفه حتى تهلك الأشياء وتصير رميما فإنك إن عفنت الأشياء حتى تصير رميما وتهلك كان الصبغ غير ممتزج، والطبيعة غماسة في الجسد، ولذلك قال ديمقراط: إن الرطوبات تعلم الطبائع قتال النار يعني بذلك التعفين.

فينبغي أن تستخرج الروح بنار لينة مثل حضان البيض.

وقال: الروح التي تستخرج بهذه النار اللينة هي الروح الذي يصبغ وهو الذي يقاتل النار، وعند ذلك تصلح الطبيعة الصفيحة التي لم تعفن وتنغمس فيها فحينئذ تمسك الأصباغ بعضها ببعض ولا تأبق ولا تفرقا أبدا لأنها دبرت بنار لينة جدا، وهو الذي يسمى ماء الكبرية النقي ونحاس سمرة وهو السم الذي هو الذكر والأنثى، وهو جميع المطلوب، وهو الذي يصبغ الأبيض أبيض ويزيد الأحمر حمرة.

قال: اعلمي أن الطبائع إذا انحلت عملت كل شيء.

قالت: فأعلمني ما هذا الانحلال وما الذي يكون منه؟

قال: قد قال لك الحكيم: اتركه أسفل واسبكيه فيكون ذهباً.

قالت: وما السبك قال: أن تطبخي المركب حتى يصير سما فإن أنت أصبت هذا فقد أصبت الطبيعة التي وضعت في كتب الحكماء وتصديق ذلك قول الحكيم الطبيعة بالطبيعة تفرح وتمسك وتغلب؛ لأن الأجساد إذا اختلطت سميناه أبار نحاس وجمعنا بياض وجمعنا بخار.

وإنما يكون ذلك في التعفين؛ لأن ماء الكبرية هو الصابغ والمصبوغ هو الذي فيه دل جسد وهذا ماء الكبرية له من الأسماء ما لا تخصها وفيه الرطوبات واليوسات

كلها، و هو الذي صبغ في الطبخ حتى صار أصفر.

وزعم أن التعفين حين تظهر الأصباغ وتثبت بنار لينة مثل الحمام والحضانة وشمس الشتاء صارت لذلك وصارت مثل النظفة في الرحم كيف تعفن في الرطوبة والسخونة ولذلك في التعفين أيام كثيرة حتى يصبغ ويخرج منه زرع ينبغي أن تترك المركب في الرطوبة والسخونة في الذهب فينبغي أن تحل الطبايع وتمزج وتغير وتردد حتى يظهر الصبغ الذي تطلين بنار لينة ورفق وصبر.

واعلمي أن السم ما دام في الحرارة والظلمة والتعفين فليس له لون فإذا خرج من التعفين ظهر له لونه وهو زرع كل شيء فيثبت عن طبيعته فافهمي ذلك.

قال: وإن لم ترفقي وتملقي هذه الطبيعة بألين نار تقدرين عليها وتعفينها فيها حتى تصير دما فيتعدى ذلك الصبغ لم يخرج اللون فقد وضعت لك هذا التعفين في ألف مكان إرادة أن تفهمي فافهمي.

قال بعد كلام كثير أما من جرب وعمل بصبر فسيعرف من أين يأتيه الخطأ فإذا عرف الخطأ حذره.

واعلمي أنه لا ينبغي لك أن تخففي الورق حتى يسترخي وتأخذي أصباغه كلها.

قالت: الأصباغ كلها ما هي؟

قال: السواد فإذا تم كان ذهباً فحينئذ جمديه وأتميه.

قال: فينبغي لك أول طبخه أن تكون النار لينة حتى يعتاد النار ويصطلحاً ثم النار قليلاً.

قال: اخلطي الأتالية المستخرجة من الرماد بالكبرية التي لا تحترق واطبخيه أياماً حتى يبس وتذهب الرطوبة ولا يكون بعد ذلك جسداً ولكن تنقعه بالخل فيكون إكسيرا فسقيه واطبخيه بمرق فم الأتالية يذهب الخل واطبخيه خمسين يوماً فتجديه قد تم.

ومثل هذا كثير لم أكتبه يدل على طبخ دائم زماناً حتى يلزم الجسد الرطوبة فلا يابق ويظهر لون كريم.

وكلام كثير يدل على ذلك يتسع في هذا المعنى بنار لينة وطبخ دائم حتى ينشق الجسد الرطوبة.

قال: قد أعلمتك أن الجسد الذي يخلط في المركب الآخر الذي أجهد ماء الكبرية وماء الكبرية هي حمرة وصيرته صدى فلتكن نارك في أول البدو قليلا قليلا فاشرب الماء فشدي النار وانظري أن تخالطيه ببقية السم بعد ما تطبخينه وذكر الوزن ثلاثة من الماء وواحد من الجسد وسماه وزن العلانية.

وقال: دعيه عن حدتي وزن السر الذي كتموه فإن فيه السر الأكبر كله.

قالت: فأفتني عن ذلك السر؟ قال: هو قول ديمقراط إذ قال: خذي من المركب الذي وصفت في آخر كتابي جزءا ومن خمير الذهب الذي هو زهر الذهب، وذهب فرفر جزءا، واطبخيه بشيء من نار زبل.

قالت: ما أرى ههنا وزنا إلا أنه قال: خمير الذهب والمركب الذي وضع في كتابه ومرة الماء يجعل له وزنا فقد بين أن الماء ليس يوزن ولكنه كلما شرب ونشف سقي التركيب كان أحسن له وأجود لصبغه.

وقال: اعلمي أيتها المرأة السائلة عن مقدار السخونة التي كان صلاح صبغ نحاسنا ونقل غذاه وتماهه أن الحمام إذا كان هو وماؤه معتدلين لا حار، ولا بارد صلح الجسد وتربي لحمه وإلا أضربه الإفراط، والاعتدال أصلح الأمور.

قال: فأخبرني عن قول التلاميذ لهرمس إنا لم نلق شدة أشد من تزويج الطبائع حتى ازدوجت طبائع الشمس والقمر.

قال: صدقوا وذلك؛ لأنه لما اختلطت الأجساد بالأوابق ثبتت الطبائع كما يثبت الميت في قبره واعلمي أنه إن كثرت ريح الشمال وهبت مرة كثرت الرطوبة على الأرض ولم تقو على شرب الماء لكن إذا هبت الريح القبلية وكان الريح بمرة وجاء الطوفان فهذا المفتاح لم يقفل عن من يعرف وجه الهدى.

قالت: فأفتني عن قولك: إن الصابغ والمصبوغ صار صبغا واحدا.

قال: أما الصابغ فهو الماء، وأما المصبوغ فهي الأرض اجتمعا صاروا صبغا واحدا.

قال: فما أراد بقوله خذ الزئبق من الزرنيخ والزرنيخ فاعقده؟

قال: أمرنا أن تذييهما حتى يصيرا ماء ثم أمرنا بإجماده ليس يجسد جسدا قالت:

فأراه ينبغي أن يجمد.

قال: صدقت.

قال: أمرنا بإذابتها ثم أمرنا أن يجمد بعد الإذابة.

قالت: فأفتني عن الكبيرة التي لا تحترق.

قال: إذا بيس الجسد، والمياه فصارت أجسادا والمياه في الإناء كلها شيئا واحدا

فحينئذ سماها كبيرة لا تحترق.

قالت: فكيف لا تحترق وأنت تزعم أنها تنهدم وتموت؟ قال: أما الجسد الأول

فليس يحترق ولكنه إن انهدم فقد علم صاحبه مثال النار والصبر عليها والمياه في الإناء،

وترك الأباق قالت: يا روسم كيف لي إن أعقد الزئبق الرجراج.

قال: قد أعلمتك إن ذلك بحموة النار يكون والصبر على طبعه.

قالت: فقول الحكيم: خذ الذكر واجعله صفائح واخبطه بالرطوبة التي هي الماء

الخالد واطبخه بنار لينة حتى تنحل الصفائح وتصير ماء ثم تنشف الصفائح الرطوبة التي

حلت الجسد.

قال: هذا الذي سمته الحكماء ماء الذكر فاطبخيه، ولا تملي حتى تشرب الصفائح

الرطوبة، ويظهر الرمل فيصير يابسا بعد ذلك فسقى الماء الأرض حتى ينفذ الماء كله

ويصير الماء كله ترابا وماء فيه ترابا فإذا بلغت هذا الحد فاتركه يعفن في إنائه في نار

لينة إياما كثيرة حتى تستخرج النار ألوانه التي قالت الحكماء فإذا فعلت ذلك أصبت

حدا صالحا وراحة لا نصب معها، ولا شقى.

قالت: يقول الحكيم خذوا زهر النحاس الذي صار سما أحمر فسقوا به السم على

قدر رأي العين. قال: هو النحاس هو الماء الورقى الذي دبر فصار الماء الخالد، وأمر أن

يسقى به الإكسير فيصير ذهباً مصبوغاً ثم تسقيه الأسه فيصير ذهباً أقزل و ثم يكون ذهباً

فرفر ثم تسقيه أيضاً فيصير إكسيرا غماسا في الأجساد صابغا لها فلا تزالين تصنعين

كذلك حتى ينفذ الماء ثم يترك أربعين يوما في الطبخ وتصير تلك الرطوبة كبيرة وتصير

الأجساد رمادا لا يحترق.

قالت: فلعل هذا الذي قال الحكيم رماد الحطب الأبيض.

قال: نعم يعني به دخان الطبايع، وهذا الذي قال ديمقراط: الكباريت بالكباريت

تمسك فيكون بها عمل كثير. فاعلمي أنك، وإن اجتهدت على تلك الأصباغ فلست تقادر على أن تخرجي منها صبغا إلا من تلك الأرمدة. قال: إذا رأيت الأثالية قد طلعت في الرأس فشدي النار حتى تطلع النار البقية وعند ذلك تستقي فخذي ذلك الورق والمخلط بالمرتك المطلع بالأثالية فرديه حتى يصير مرقا فهذا الصبغ الأول.

وقال: قسمي السم قسمين فقالت: ما معنى ذلك؟ قال: احرقني الجسد بالقسم الأول، وعفنيه بالقسم الثاني. فقد بين أن الحرق هو النخل بالمنخل.

وقال في المسألة الأولى من العشر المفاتيح: وأخبرك باتحاد من قولي أنهم على كثير تدابيرهم لا يحتاجون من ذلك إلا إلى تدبير واحد وأنها كلها واحد، وأنه إن اختلفت الأسماء والوصف فيه فإنما هو تدبير واحد، وأنك إن فهمته لم تحتاجي إلى ما بقي من تلك التدابير والأشياء. وقال في الرسالة الأولى من العشر أيضا: اعلمي أن كل طبيعة حارة فينبغي لها أن تطبخ بنار لينة؛ لأنك إن شددت النار على الطبايع الحارة النارية أحرقتها.

ولذلك قال الحكيم إن قليلا من الكبريت يحرق شيئا كثيرا وأكثر الكثير الذي عناه هي الأجساد الشدائد التي أدخلت معها ولهذا أعلمك أن الماء المركب، وأنه هو الذي سماه الحكيم سرا ظاهرا.

واعلمي أن هذا السر هو المركبان: أحدهما: تركيب الأجساد.

والآخر: تركيب الماء، وهما اللذان يحتاج إليهما، ينفعكم الندامة فإذا جمدهم فإياكم أن يكون يابسا من غير رطوبة وإلا أهلكته النار بجرارها ولكن ليكن جافا برطوبته فاستجنت الطبيعة في جوفه فسميناه تنكارا لحرته فانضحوا عليه من الماء الخالد حتى يجف ويظهر منه اللون الذي تطلبون بجمرة النار، وعطش الجسد.

واعلموا أنكم إن خلطتم مع الزئبق المدبر الذي يخرج من التنكار والذكر في أول التدبير يفتت سريعا، وهان عليكم سحقه فدعوا طبخه حتى يصير ماء ثم اطبخوه حتى يشرب ماءه كله فإذا صار كله ترابا فسقوه الرطوبة حتى ينفذ ماؤه كله واطبخوه حتى يصير صدى هذا يدل على أنه أراد بالتفتيت التمويه.

ويدل على أن الإحراق التمويه أيضا، ويدل أيضا على أن شربه الماء يريد بقية ما بين في الجسد بطبخ حتى لا يرتفع بخار بنار غير محرقة أشد من نار التمشية فانظر في

هذا حتى يصح إن شاء الله. قال يقطوس: وأنا أمركم أن تدبروا الحجر حتى يصير رمادا فما أعظم خطر ذلك الرماد وأشد قوته ولولا أنه صار رمادا لما كان له قوة على أن يمسك. ولهذا أخرج هرمس الرماد وزعم أن الرماد إذا مات يلزم الأرواح، ولهذا مدح هرمس الرماد وزعم أن الرماد إذا مات أمسك الأرواح.

وأنا أمركم بتدبير هذا الرماد في الطبخ وتسقيته سبع مرار وإدامة الطبخ حتى يستخرجوا منه الألوان. وبهذا التدبير يطيب ذلك الرماد ويعذب ويجود ولا ترى هدوا فيه فما كان للأنبياء، والكهنة الذين أعطوا مفاتيح هذه الصنعة همة إلا الرماد فعليكم به فإن السر كله فيه ألا ترون أن الحكماء كلهم قالوا: السواد ثم البياض ثم الحمرة، وأنا أعلمكم أن الحمرة إنما كانت وظهرت من ذلك الرماد الرفيع وقد قال الحكيم ما لكم وللأشياء الكثيرة والشيء الذي يكون منه هذا العمل واحد.

قالت ثيوسابية: أخبرت عن قول شيماس الحكيم أن الشيء واحد الذي يكون به كلما تطلبون فإن لم يكن فيه مثل ما تطلب فلست مصيبا شيئا مما تطلب.

قال: قد بين لك أن من دخل في الصنعة إنما يطلب أن يصير الأشياء ذهباً فإن لم يجعل الذهب في الذهب فلست في شيء.

قال: وما الذي ينتفع به إن الذهب من الذهب؟

قال: لأنه يخرج من القليل الكثير قالت: لو عرف هذا أهل الدنيا لكثير ذهبهم؟

قال: فقد أعلمتك أنه قالت في يدي منه شيء.

قال: لجمالتك بتدبيرك أشابه التي يخلطها من أقاربه المؤتلفة غير المختلفة.

قالت: فأفتني عن ذكر الحكماء مزاج الهواء. قال: إنما وضعوه قياس التركيب.

قالت: وكيف ذلك؟ قال: لأنه إن لم يكن الرطبين اللطيفين فإنك مصلح بينهما هلكا وهربا من النار، ولم يقويا على كثرة الطبخ، وإن لم يقويا على كثرة الطبخ لم يخرج منهما شيء ينتفع به. وأعلمي أن كل شيء من الأشياء فمن الأصل في الثلاث التي فيهن السورين والشجيرة والمغرة.

تم كتاب الحبيب بحمد الله وعونه نفعنا الله به ولسائر كلامهم آمين نقل من نسخة سقيمة جدا مصحفة على ما وجد والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد.

كتاب السبعين

من المقالة الثامنة عشر

فقول: إن الله تبارك وتعالى لما خلق الفلك وخلق فيه هذه الأربعة العناصر التي هي النار والماء والهواء والأرض وكان أصلها أولا أن العناصر الأول لما اختلطت ولحق كل واحد مركزه - وذلك بعد استعماله الجوهر - لحقت النار العلو فكان مركزها، ولحق الهواء بالنار لما فيه من الحرارة فأعجزه عن البلوغ والاختلاط بها الرطوبة فصار دونها وصار وسطا، ثم لحق الماء بعد ذلك السفلى، وكان في البعد من النار على النهاية بقطر مساو لبعده على قياس الأضداد، ولحقت الأرض بالماء فأقامتها بيوستها، ثم إن الفلك دار وكانت الطبائع ضعيفة فعملت الحجارة في المعادن، ثم إنه قوي وزاد دورانه فانعملت الأشجار والنبات، ثم إنه قوي ودار دورانا تاما فانفعلت بذلك الحيوانات.

وإن قوما ليدفعون ذلك، ويقولون لأصحاب الطبائع إنهم قد كذبوا في ذلك، وإلا فعرفونا أصول الأشياء أولا. فلما عرفوهم هذا قالوا: ما الدليل؟ فقال أصحاب الطبائع: دليلنا أنه يمكننا أن نعمل مثل ما يعمل المعدن من الحجارة ونعمل مثل ما عمله الطبائع فيه، وفي النبات والحيوان، وإن الدليل على ذلك أنا نعمله وقد شاهدتم منا من هذه أشياء كثيرة.

فقالوا: فالإنسان كيف يمكنكم عمل مثله؟ فقال أصحاب الطبائع: فقد جوزتم أولا أنه لنا في الممكن أن نعمل مثل الحجر والشجر وسائر الحيوان إلا الإنسان، وإلا أقمنا على ذلك أولا البرهان.

فقالوا: نعم، فقال أصحاب الطبائع: إذا كان الجنس كله واحدا في الأصل، واختلف في الصور وكان الأصل هو الفاعل للجنس كله فما جوزتم من ذلك على واحد من الجنس جاز على الكل، وإلا نقضتم قولكم. فاعرف ذلك، وإنما هداني على هذه لتعلم أن معرفة الأصول تؤدي إلى الكل، وأنت إن قصدت من هنا سهل عليك الطريق، ولم يصعب.

ثم نقول بعد ذلك: إن الأصول الأول هي الأربع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فاثان منها فاعلان واثان منفعلان للفاعلين.

فالحرارة فاعلة ومنفعلها من الأربع اليبوسة، والبرودة فاعلة ومنفعلها من الأربع الرطوبة، والبرودة والحرارة لا يستجمعان في موضع بت.

وإذا حلا في جسم حل أحدهما فيه بعد الآخر كان مقابله، وكذلك نقول في الرطوبة اليبوسة كما قلنا على الحرارة والبرودة. فإن علق الحرارة باليبوسة كانت النار، وعلى قدر ما يحل في الجسم من الحرارة واليبوسة يكون ذلك الشيء أي هو في طبع النار أو دون ذلك إلا أنه من جنسها، وإن استعملت الحرارة الرطوبة صار الهواء أولا، فإن كان في غيره فهو في طبع الهواء أعني من هذه الموجودات، وعلى قدر ما يحل في كل جسم من هذه العناصر يكون قرب ذلك الجسم إلى ذلك العنصر ويكون ذلك العنصر له أصل مثل الهواء والهواء له أصل، فاعرف ذلك.

والحرارة لا تستعمل البرودة أبدا وكذلك البرودة لا تستعمل الحرارة أبدا فتلك أعمال الحرارة فاعرفها.

فأما استعمال البرودة فاعلم أنها تستعمل أولا الرطوبة فيكون الماء وجميع الأشياء التي هي في طبع الماء.

وإن لم تكن في طبع الماء - وذلك على قدر ما استعملت الجسم وعلق الجسم بها - يكون مقدارها من البرودة والرطوبة فاعلم ذلك، ولها استعمال البرودة لليبوسة فإنما أول ما تتركب منها الأرض وجميع ما كان على طبع الأرض إلا أن أقوى ما تتركب منها الأرض، فاعرف ذلك.

ثم إنه بعد ذلك لما امتزجت هذه الأصول واختلطت وعلق كل عرض من هذه الأعراض بالجسم ظهر الظاهر فأخبر أن في قوة الإنسان أن يعمل كعمل الطبيعة.

ثم إنه أوردى مثال ذلك بأن رد الأشياء إلى كيانها فعمل المذابات، ثم إنه ألزمها الطبخ - طبخ الطبيعة - دائما كدوام طبخ الطبيعة الذي لا يغير، فعمل المذابة أولا وهي شكل مدور على شكل الكرة وجعل ذلك في نهر على عمل الدوالب وجعل دورانه دائما، ثم أوقد عليه وقودا دائما في الحفر الذي تحت المذابة، وجعل في المذابة الرصاص الأسرب أولا ولم يزل الطبخ يأخذه دائما حتى أخرجته فضة بيضاء، ثم أخذه الطبخ أيضا حتى أخرجته ذهباً، ثم كذلك دبر القلعي والحديد والنحاس حتى عملها كلها،

وكذلك فعل بالفضة فكان أول الصنعة هذا. ثم إنه غاب فظهر ظاهر آخر فيه قوة عجيبة فعمل الإكسير الأعظم في المدة البعيدة أولا.

ثم لم يزل الناس يعملون به إلى لدن أفلاطون العظيم، ثم إنهم أحبوا أن يلخصوه فقربوا مدته فصار على العشر مما عمل أولا، ثم لم يزل ينقص حتى بلغ إلى عشر العشر، ثم إن التراكيب والأعمال ظهرت وكان مما هي حق، ثم إنهم عملوا ما ليس بشيء مثل المزيف والبهرج وغيره من جميع المحمولات فأفسدوا ما عملته الفلاسفة أولا.

ثم إن الأصل أيضا كان من الطبائع لا من غيرها، فالوصول إلى معرفتها ميزانها، فمن عرف ميزانها عرف كل ما فيها، وكيف تركبت، والدربة تخرج ذلك. فمن كان دربا كان عالما حقا، ومن لم يكن دربا لم يكن عالما، وحسبك بالدربة في جميع الصنائع، إن الصانع الدرب يحذق وغير الدرب يعطل. فحسبك فيما الناس فيه أكفى فكيف هذه الصناعة.

المقالة الثانية والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وسلم تسليما.

قد تقدم لنا قبل هذا الكتاب أحد وثلاثون كتابا في فنون، وأنا أذكر في هذا الكتاب العلة في زحل وتأثيره وتدبيره، إن شاء الله تعالى، وقد سميت كتاب الروضة، وأنا مستوف فيه الكلام على زحل بحسب ما وصلنا إليه من ذلك.

فنعول: إن طبعه بارد يابس - مرة سوداء - وكذلك كل ما خصه هذا الكوكب بمشاكله، وأقوى ما خص زحل بطبعه من الأجسام الذائبة الآبار وهو الأسرب، وكل شجر أو حجر أو حيوان أو شيء مشترك من هذه فلا يخلو من الطبائع الأربع المرتين والبلغم والدم مؤتلفة في الأشكال مع أشكالها والأضداد مع أضدادها.

وهذه الطبائع في كل موجود ظاهرة تامة أو باطنة تامة، ولا يخلو كل موجود أن يكون فيه طبعان فاعل ومنفعل ظاهرا وطحعان فاعل ومنفعل باطنا، ومعنى تامة وغير تامة أن الفضة عندهم ظاهرها ناقص وباطنها تام وأن الذهب بخلاف ذلك، ولذلك سهل عليهم وقرب رد الأجسام إلى أصولها في أقرب مدة، وهو أن يقبلوا الطبائع في الأجسام فيجعلون الباطن ظاهرا والظاهر باطنا.

فأما الحديد فإن ظاهره فاسد وباطنه فاسد؛ لأن ظاهره حديد وهو فاسد عند الفضة والذهب وباطنه زئبق وهو فاسد عندهما أيضا.

فإذا قلبوا الحديد إلى الزئبقية صار ظاهره باردا رطبا وباطنه حارا يابسا، فأظهروا حرارته وأبطنوا برودته فصار الظاهر حارا رطبا وذلك ذهب وصار باطنه باردا يابسا، وذلك فضة أو رصاص أسرب؛ لأن منهم من قال: إن باطن الذهب رصاص ومنهم من قال: إن باطنه فضة، وهي قوله حسنة، ونحن نذكر ذلك كله، وكيف يقلب، فاعرفه.

إن الأصل في ذلك أن تعلم أولا أن من هذه الأجسام ما ينبغي أن تبطن عنصريه الظاهرين وتظهر عنصريه الباطنين حتى يكمل ويصير جسما غير فاسد على ما يراد من ذلك، وهو سرهم، وبعض هذه الأجسام ينبغي أن يستخرج له عنصر من بادئته فيظهر

ويظن فيه ضد ذلك العنصر، ونحن نذكر ذلك لتعرفه.

إن الأسرب بارد يابس في ظاهره رخو جدا وهو حار رطب في باطنه صلب، ومعنى رخو وصلب أن كل جسم خلقه الله تعالى باطنه مخالف لظاهره في اللين والقساحة، والدليل على ذلك أنه إذا قلبت طبائعه فرجع ظاهره باطنا وباطنه ظاهرا إن كان رطبا قسح، وإن كان قاسحا ترطب، فهذا ما في الأسرب من الكلام. وأما القلعي فإن أصل المتركب عليه أولا الأربع طبائع فظاهره بارد رطب رخو وباطنه حار يابس صلب، هذا على قياس الأول.

ولما اعتدلت هذه الطبائع في هذا الجسم على هذا المقدار سمي رصاصا فاعرف ذلك، فداخله حديد وخارجه رصاص، وذلك أنك إذا أبطنت ظاهره وأظهرت باطنه قسح فصار حديدا، وذلك سهل في يومه، وفي أيام تقرب وتبعد، وبين ذلك فرق، وليس أنهم اختاروا الأبعد على الأقرب لا لعله، ولكن الأبعد يصغ واحده ألوفا والأوسط مائتين والأقرب يصغ عشرات، فاعرف ذلك.

وأما الحديد فأصله المتكون عنه الأربع طبائع وحص ظاهره من ذلك بالحرارة وكثرة اليبس، فباطنه إذا على الأصل بارد رطب، وهو كذلك، وهو صلب الظاهر رخو الباطن، وما في الأجسام أصلب منه ظاهرا فكذلك رخاوة باطنه على قدر صلابة ظاهره على الأصل.

وكذلك يكون بالتدبير إذا قلبت أعيانه، والذي على هذا المثال الزئبق فإن ظاهره حديد وباطنه زئبق، فالوجه في صلاحه أن تنقص يبوسته فإن رطوبته تظهر فيصير ذهباً؛ لأن رطوبته إذا ظهرت بطنت يبوسته على المقدمة، أو أنقص حرارته فإن برودته تظهر وتبطن الحرارة بظهور البرودة فيصير فضة يابسة، أو أنقص يبوسته قليلا فإنه يصير فضة لينة، فهذا ما في الحديد من الوصف والحد.

وأما الذهب فحار رطب في ظاهره بارد يابس في باطنه. فرد جميع الأجساد إلى هذا الطبع فإنه طبع معتدل، فإن أردت أن تزيد عليه حتى يحمر فيصغ الفضة وتصير كذهب المعدن ويحتمل الحمل فزد في حرارته وأنقص رطوبته حتى يكاد أن يكون حارا يابسا فإن حمرة تشتد. فاعرف هذا الشيء فهو الأصل في طبع الذهب ورده إكسيرا جليلا.

وأما طبع الزهرة الذي هي عليه فالحر واليبس، وهو دون الحديد؛ لأن أصله حار رطب ذهب، فلما لحقه اليبس في المعدن أفسده، فاقلع ييسه فإنه يعود إلى طبعه.

وأما الزئبق فإن طبعه البرد والرطوبة في ظاهره والرخاوة وباطنه حار يابس صلب بلا شك فظاهره زئبق وباطنه حديد كما أن باطن الحديد زئبق وظاهره حديد، فإن أردت نقل الزئبق إلى أصله فالوجه أن تصيره أولاً فضة، وهو أن تبطن رطوبته وتظهر ييوسته فإنه يصير حينئذ فضة، وقد تمت المرتبة الأولى.

فإن أردت تمام ذلك فاقلب الفضة كما هي حتى يرجع ظاهرها باطنا وباطنها ظاهراً في الطبيعتين جميعاً الفاعلة والمنفعلة فيكون ظاهرها حاراً رطباً ذهباً، وباطنها بارداً يابساً حديداً، فهذا ما في الزئبق.

وأما الفضة فأصلها الأول ذهب، ولكن أعجزها البرد واليبس فأبطنت في باطنها الذهب فظهر الطبع الذي غلب فصار ظاهرها فضة وباطنها ذهباً، فإن أردت ردها ذهباً فأبطن برودتها فإن حرارتها تظهر ثم أبطن بعد ذلك اليبس فإن الرطوبة تظهر وتصير ذهباً، فهذا ما في الأجسام كلها من التداير والسلام.

من المقالة الرابعة والثلاثين

فلما لم تكن لهم حيلة في ظهور ما بطن إلا بالأدوية التي قد ذكرناها نظروا فإذا فعل الأدوية كفعل الطبائع؛ لأنها عنها تولدت وهي ذات طبائع أيضاً. ثم نظروا فوجدوا هذه الأدوية في القياس أنجع وأنفع؛ لأن البسيط للبسيط والمركب للمركب.

وقالوا: إن دفناه في الأرض صدأ، وإن تركناه في الهواء لم ينتفع به، ولم يعمل الزمان فيه شيئاً، ولو عمل الزمان فيه في غير المعدن لكثير بأيدي الناس واستعني عنه، ولو تركوه في الماء لم يزد، ولا قبل النماء، ولو تركوه في النار لذهب جميعه، فوقع الناس في حيرة إلى أن أتى الزمان بأهل التجربة من الفلاسفة وحدث أريوس فأخرج لهم المذابات، وأراهم العلاج بالنار، وأن الإذابة التي قالوا: إنها خطأ صواب، فامتحنوا قوله فوجدوه كما ذكر لما عمل المذابات.

وذلك أنه قدم إلى إناء مدور فركب عليه من الطين المحكم الذي لا يتشقق - الذي أثبتناه في كتابنا المعروف بكتاب الأطيان من المائة واثنى عشر - فركبه على

ذلك الإناء المدور، ثم تركه حتى جف ثم قطعه قطعتين حتى خرج القلب. ثم أطبق القطعتين فكانتا كالإناء الأول، ثم إنه جعل في داخل تلك الآلة ما أراد من الأجسام ثم أحكم وصله ثم عمل له آلة تحركه حركة دائمة بعد أن جف وجعله في بيت يدور عليه مثل الحفر فصارت الصورة كلها كمثل الدولاب سواء، ثم أوقد النار في الحفر الذي تحت الآلة وقودا وسطا كمثل نار الطبخ

من المقالة الثانية والأربعين

قد تقدمت لنا كتب في علم وعمل فعرفنا أن الماء لا يجب أن يكون إلا طاهرا فلنقل الآن على الركن الثاني الذي لا بد منه إنه لا يجب أن يكون أيضا إلا طاهرا كصاحبه.

فنقول: إن الدهن لا يجوز أن يكون إلا طاهرا ونضيف إلى الكلام على الدهن كلاما على الماء كما تقدم لنا الكلام عليهما في الرسالة الأولى. فأما الماء فقد وجب أن يطهر ليكون كأحد العناصر ويكون التأليف معتدلا به، والقول في ذلك على وجهين:

الوجه الأول: على تدبير الفلاسفة الأول، وهو الذي ينبغي أن تستخرج برودته ورطوبته، وحرارته ورطوبته، وحرارته ويوسته، وبرودته ويوسه، ثم تستخرج البرودة والرطوبة والحرارة واليبوسة، وهو المقصود الأول.

والوجه في تخليص البرودة المحضة قد سلف لنا القول فيه وينبغي أن تستخرج البرودة من الماء والأرض حتى يبلغ إلى منتهاه.

وهذا كلما كررته في التصعيد كان أجود وأقوى لصبغه وعمله.

ووجه التدبير أن تلقي الماء في القرعة وترك في القرعة شيئا فيه ييس شديد قوي كالكبريت وما جانسه، فإن الرطوبة نشفتها اليبوسة والحرارة ويحرق ما فيه من الرطوبة فتبقى البرودة مفردة فاستعملها، وكذلك فاسلك في الرطوبة التي في الدهن إن تستخرجها منه فقط؛ لأنه لا رطوبة إلا في الدهن والماء، فالماء إذا استخرجت برودته احترقت رطوبته فيقت الرطوبة حينئذ في الدهن، فاستخرجها من الدهن أيضا وانبذ حرارته وقد حصل لك من الطبائع ركنان.

واسلك في الحرارة واليبوسة كما سلكت في البرودة والرطوبة سواء وهو أن تأخذ الصغ فتستخرج حرارته وتبذ يبوسته، وخذ الأرض الباردة اليابسة فاستخرج يبوستها وانبد برودتها، وقد صح لك أربعة أركان أصول يكون منها كل شيء من المركبات، فالماء تستخرج منه البرودة، والدهن تستخرج منه الرطوبة، والنار تستخرج منها الحرارة، والأرض تستخرج منها اليبوسة، فهذا التدبير الصالح الجيد، وهذه يكون صبغها بمقدار ما دخل عليها من التدبير.

وأما ما ذكرت الفلاسفة من التدبير الأعظم الأول فإنهم قالوا: حد الماء إن تستخرج منه البرودة أن يقطر دائما حتى يبيض ويصفو، وإذا أخرج من القرعة جمد قطعاً كالمالح فهو النهاية، وحد استخراج الرطوبة التقطير أيضا حتى يخرج منه شيء ملتصق متعلق جدا، فتلك العلكية هي الرطوبة المتقدم وصفها وليس تجمد أبدا بل إن أصابها حر النار تحللت فصارت هواء ولكن في مدة طويلة.

وأما حد الحرارة في التدبير أن يبلغ بها إلى أن تصير جسما شفافا له بريق أحمر شديد الحمرة صافيا غير كمد فهذا حد الحرارة، وحد اليبوسة أن تكون صلبة كمدة ناشفة أو هباء لا جزء له يقل بالجمع ويكثر بالتفريق.

فهذه العناصر فلها أعمال نفيسة وحدها قد أثبتتها في كتابي في الخواص خواص الحجر؛ لأن ليس في المدبرات شيء يبلغ هذا الحد إلا الحجر ولنا أيضا كتاب في المائة واثنى عشر سميناه بالخواص فيه خواص جميع الأشياء من الثلاثة الأجناس الموجودة.

وقالوا: إن حد اليبوسة عندهم أن تكون شيئا قليل الكمية في منظره جدا حتى إذا نشر وبسط بالتهبية أو سحق كثر كالهباء، فإذا تركته أيضا اجتمع، وهو جاف شديد القبض فهو النهاية، وهذه غاية المدبرات الأول، فإذا خلصت لك فقد فزت؛ لأن التدبير الأول الذي دبرته الفلاسفة هو من هذه الأشياء، والأوزان من هذا تكون واحدا بواحد سواء لا زيادة ولا نقصان، والإحلاط يكون للنار والأرض ببعض الماء والدهن، والتشميع بالدهن.

وهنا هو فائدة الباب الأعظم كامل وصفه إن شاء الله تعالى، ولست والله أذكره في موضع آخر، فإياك أن تذكره لغير مستحقه وادفنه في كلامك وأغزه جدا.

واعلم أن الله تعالى قد أطلعك على سر الفلاسفة كله، فلا تضع ما حصك الله سبحانه به فيعاقبك على ذلك، ولا تبخل به على مستحقه فيعاقبك الله على ذلك، وافهم ما معنى كلامي، فهذا جملة ما في الباب الأول من التدبير كله.

من المقالة الثالثة والأربعين

اعلم أن المتعاقبين من الفلاسفة أعطوا من العلم سلما طويلا وقوة عظيمة فبلغوا بذلك إلى ما أرادوا، وأول من دبر هذه الصنعة فيمن سمعنا خبره، ولم ينقطع عنا، وإنه لبعيد العهد جدا أريوس؛ لأن فوثاغورس أقدم الفلاسفة يقول: قاله أبي أريوس، كما نقول نحن أبونا آدم عليه الصلاة والسلام.

والفلاسفة من بعد إذا بعدوا عهدا قالوا: قال أبونا فوثاغورس سمته أباهما لقدمه، فهذا أول من دبر الحجر بالتدبير الأول ثم ذكر أول عن أول، وهذا يتناهى إلى الأول كله.

ثم دبرت الفلاسفة بعده بالتدبير الأول من عهد أريوس إلى سقراط. ثم جاء بعد سقراط قوم كسروا تدبيره فقلبه توهما أنه يبلغ ذلك المبلغ بالتكرير لا غيره. وفي كسره عن مرتبته فضائل منها قرب مدته وسهولة عمله وترويج منفعته، فاعرفه حسنا.

ثم إن قوما جاءوا بعد ذلك من الفلاسفة استطالوا التدبير لما رأوا أنه أمكنهم اختصاره بالحيل اللطيفة فعملوا شيئا سمي التدبير الثالث ومترلته من الأول كمتزلة الثاني من الأول فصار هذا الثالث أحسن الجميع، فاعرفه، واعمل به.

من المقالة السادسة والأربعين

قد سبق لنا قبل كتابنا هذا كتب في فنون من علم الماء فقط، وأنا أذكر في هذه الكتب الخمسة الباقية عمل الدهن والنار والأرض وأبين ذلك، وكتابي هذا في ذكر الدهن خاصة فاعرفه.

ينبغي أن يستخرج من الصبغ ويفصل تفصيلا، وقد سلف لنا من ذكر إحكام خلاصه ما فيه كفاية، فإذا استخرجته من الصبغ فالتدبير فيه على ثلاثة وجوه: إما أن تسوقه السياقة التامة للباب الأعظم، أو تسوقه السياقة الثانية للباب الأوسط، أو تسوقه السياقة الثالثة للباب الأدون.

فإن أردته للأول فخذ بعد استخراجها فقطره بالماء وأعد عليه التقطير بالرطوبة سبعين تقطيرة لا بد من ذلك وإلا فسد علينا، ثم استقطره بعد ذلك حتى تزول حرارته وتبقى رطوبته، وهو أن تجعل في القرعة أسفنجاً مدخراً بزنجار مبيض أو ما قام مقامه، ثم تطرح عليه الدهن في القرعة وتستقطره تفعل كذلك أبدا كلما قطر رد على التقطير. ويجدد له الأسفنج في كل تقطيره فإنه يقطر ويسود دائما في كل تقطيرة حتى يصير في لون التراب أو أشد سوادا يلتزق بكل ما لامسه وتعلق به، فحينئذ فقد كمل الرطب المفرد المتعلق بالجواهر، وذلك يكون بعد سبعمئة تقطيره، فإن لم تعلم العلامة فعد فبالعدد تصل إلى العلامة وبها إلى العدد، وسره أن تقطر أولا بالرطوبة سبعين تقطيرة قبل الأسفنج ثم تدخل عليه الأسفنج في الآلة المضغوطة بالقضبان الخيزران ولا يجوز استعمال الأسفنج فيما تقدم من التقطير بالرطوبة وكلما ضيقت الآلة التي تضع فيها القضبان الخيزران كان أجود.

ولقد ذكرنا ذلك، واستوفينا الكلام فيه في كتابنا غرض الأغراض، وفيه شرح كل كتاب لنا، وهذه الكتب أعني السبعين شرح لكتبتنا المائة والاثني عشر، وهي تحوي الصناعة كلها إلا أنها منغلقة الرمز وهذه قليلة الرمز.

واعلم أن الدهن إن كان للمرتبة الأولى فإذا صعد حتى تبقى الرطوبة علكة سوداء فقد تم، ولا يجب أن يدخل معه من الماء إلا ما كان مثله في الطهارة والبرد فقط وكذلك من النار الحارة فقط وكذلك من الأرض اليابسة فقط، والأوزان لهذا التدبير

واحد واحد من كل عنصر سواء.

فأما إن أردت أن تستخرج الدهن للتدبير الثاني فإنه أسهل من الأول، وأقل صبغا وفائدة وعمله أن تخلص الدهن من الصيغ بالرطوبة أولا ثم تستقطره بالماء وحده تسعا وأربعين تقطيرة ثم تدخله في القرعة المضغوطة وتقطره باليابس بالقضبان تمام السبعين، فهذا تقطيره وربما انتهى به إلى مائة تقطيرة بعد التسع وأربعين، ومنهم من قطره بألة القضبان سبعين، فهذا ما فيه للتدبير الثاني.

وأما التدبير الثالث فهو أن تقطر بالرطوبة بقضبان الآس إحدى وعشرين تقطيرة ثم تدخل في القرعة المضغوطة ثم تأخذ الوصل إما على قضيب واحد، وهو أجود أو على قضبان ثم تستقطر بالبيوسة بعد ذلك تمام تسع وأربعين تقطيرة فإنه يوجد فاستعمله، وأصله تسع وأربعون تقطيرة كما أن أصل الثاني سبعون وأصل الأول سبعمائة، فهذا ما في هذه الأبواب الثلاثة وتدبير كل واحد مفرد، فاطلبه في هذه الكتب ودبر كل واحد تدبيره.

واحذر أن تدخل عنصرا من تدبير واحد في تدبير آخر فإنه فساد ألبتة ولا يجيء منه شيء قط.

وإن أشكل فاعمل بما أمرك به وذلك أن تعمل ماء التدبير الأول وناره ودهنه وأرضه في الأول، وماء التدبير الثاني، وأرضه ودهنه، وناره في الثاني وماء التدبير الثالث وناره وأرضه ودهنه في الثالث، وإن عملت الثالث لم تحتج إلى تدبير غيره. وأقول: إن الدهن المقطر سبعمائة تقطيرة له حد فيجب أن يمتحن بعد تقطيره بالتليينات للأشياء الشديدة اليبس، فإن لينها وبيضها مع لينها فقد أدرك ما رسمناه، وإن خالف فأعده إلى العمل حتى يبلغ إلى المرتبة التي ذكرناها، وكذلك الثاني والثالث وهذان يعملان غير عمل الأول والثالث غير عمل الثاني، والثاني يلين النحاس وحده والأول يلين كل شيء بكماله.

من المقالة السابعة والأربعين

فقد صح وثبت من قولنا فيما تقدم أن الأصول الأربعة هي العاملة في الأجسام من الأجناس الثلاثة وهي المؤثرة والمفيدة للصبغ: النار والماء والهواء والأرض. وإنا لا نرى فعلا لواحد من هذه الثلاثة الأجناس إلا بتلك العناصر ولذلك معولنا في هذه الصناعة على تدبير هذه العناصر نقوي ضعيفها ونضعف قويتها ونصلح فاسدها.

فمن وصل إلى عمل هذه العناصر في هذه الثلاثة الأجناس فقد وصل إلى كل علم، وأدرك علم الخليقة وصنعة الطبيعة، فلا يلحقك شك، وإن طبع كل إكسير إنما هو منها وبها.

وإنما جعلنا في الإكسير طبعا غالبا للطبع المفسد الحال في الجسم فكان كشيء فيه فضل مائة فأدخلنا عليه النار وداومنا ذلك على مقدار الحاجة لئلا تحرقه أيضا فيكون فساده أكثر من الأول فصار الشيء المدبر بالنار معتدلا وتبلغه إلى حد شئنا، وأصل الأشياء أربع طبائع ولها أصل خامس، وهو الجوهر البسيط المسمى هيولي، وهو انبء المملوء به الخلل وهو بين لك إذا طلعت عليه الشمس.

وقيل: إنه النفس فاعلمه، وإليه تجتمع الأشكال والصور، وكل منحل إليه وهو أصل لكل مركب، والمركب أصل له، وهو أصل الكل وهو باق إلى الوقت المعلوم. وأما الأربعة عناصر المؤثرة في هذا الجوهر الصابغة له فهي بسائط بلا شك: حرارة نار بلا يبس، ويبس أرض بلا برودة، وبرودة ماء بلا رطوبة، ورطوبة هواء بلا حر، فما تركيب من هذه العناصر في هذا الجوهر وانحمل عليه أولا أربعة أركان وهي عناصر ثوان للأولى، وهي طاهرة بلا دنس، وهي النار والهواء والماء والأرض.

فالنار من ذلك حرارة ويوسة وجوهر لا غير، والهواء حرارة ورطوبة وجوهر لا غير، والأرض برودة ويوسة وجوهر لا غير، والماء برودة ورطوبة وجوهر لا غير، فاعرف ذلك، واعمل عليه الإكسير إن أردت.

وهو أن تركيبه من أربعة أركان: حار يابس وهو من جميع الموجودات الصبغ الذي يخرج من أدهانها، واسلك به ما تجده في الكتاب الذي يلي هذا الكتاب فإنه

أكمل ما يعمل فإنه يكون إذا دبرته كشيء واحد، فاعرف هذا الكلام. وأخرج منه ركنا ثانيا حارا رطبا، وهو الهواء، وهو الدهن المستخرج منه الصبغ من جميع الموجودات، فاعرفه واسلك به ما قد سلف من تدبيره تصل بذلك إلى محابك وتعاديك العامة كلها فالهرب الهرب وكيف لك بالوحدة إن قدرت عليها، وأخرج منه ركنا باردا رطبا كالماء، وهو الماء القاطر من كل جنس.

وهذه ليس تخرج من التقطير على أوزان الطبائع، ولكن أنت تبلغ بها إلى ذلك لتصل بها إلى ما تحب إن شاء الله تعالى.

ثم أخرج منه بعد ذلك ركنا باردا يابسا، وهو الأرض من جميع الموجودات الباقية في قاع القرعة بعد التقطير، فاسلك بها ما قد سلف، وما نذكره في المقالة التاسعة.

وتلك الأربعة موجودة في كل موجود في العالم تنفصل منه بالتدبير، فهذا جملة ما في التدبير، فإن أردت أن تزيده قوة فاعمد إلى الماء القاطر أولا وهو بارد رطب فاستخرج برودته من رطوبته وانبد رطوبته فإنه يبقى باردا بلا رطوبة.

واعمد إلى الدهن فانبد حرارته فإنه يبقى رطبا، وإلى النار فانبد ييوستها فإنها تبقى حارة، وإلى الأرض فانبد برودتها فإنها تبقى يابسة، ثم ركب من ذلك أصلا، واعمل به، فهذا أصح من الأول وأنفع وأنفس، وفي ذلك حجة أن التغير يقع بين الطبائع؛ لأنه إذا كانت ييوسة في النار وييوسة في الأرض لم يؤمن أن تزيد إحدهما على الأخرى فيقع بذلك اختلاف فعل، كذلك رطوبة الماء ورطوبة الهواء.

وكذلك حر الهواء وحر النار، وكذلك برد الماء وبرد الأرض، فقد وجب أن التدبير الثاني أصح، وأتم من الثالث، فاعمل به.

من المقالة الستين

وقد زعم بعضهم أن حيوانا في البحر جبهته من حجر أصفر إذا صيد ذلك الحيوان وهو على حلقة الإنسان وذبحه ذابح وأخذ من الحجر الذي في جبهته قيراطا فألقاه على عشرة أرتال قمرا قلبه شمسا من غير تدبير.

وهذا الحيوان يعرف بطبيب البحر، وذلك أن الحيوان إذا مرض منها شيء أته فأومات إليه بموضع العلة فمسح ذلك الحجر على ذلك الموضع مرتين أو ثلاثا فيعرق ذلك الحيوان ويبرأ ويرجع سليما، وإنما عرف ذلك منه أنه إذا صيد بقي فيما بقي من عمره إلا أنه يطلب التفلة أي وقت وجد الفرصة رمى بنفسه إلى الماء.

فإذا أصاب أحد الحيوان شيء من العلل أخذ ذلك الحيوان فمسح بجبهته ذلك الموضع فأبرأه من ساعته.

ولقد رأيت قوما من البحرانيين الملحجين العلماء وسألتهم عن طبيب البحر فإذا أمره أشهر مما قدر، فضمنوا إلي أنهم يرونه، فلما أن لججنا في البحر وصلنا إلى جزيرة تدعى سنديات إذا نحن بجماعة من الأطباء، فقلت: اعملوا الحيلة في صيد واحد منها، وألقينا الشبكة وحصرناهم فوق واحد منهم فيها، فلما أن حصلت رجلاه وظن أن لا خلاص له فلم يجد مخلصا جعل يلطم كلطم المرأة على خديه شديدا وتبينت جبهته فإذا هي حجر يلمع فأخذته فإذا هي جارية حسناء كأحسن ما يكون من الصور، فبنيت له بيتا في المركب وحبسته فيه، وعرض لبعض أهل المركب تشنج فأخرجته ومررت به على ذراعي المتشنج وساقيه فأبرأه لوقته.

ورآه غلام معي فعشقه، ولم يزال يلح فيه إلى أن خفت عليه الهلكة منه. فجعلته معي في البيت فصير الغلام معها على ذلك وزاوجها وأحبلها فولدت غلاما وترى إلا أن خلقته كحلقة الإنسان وفي جبهته شيء يلمع ليس كالأم فلم أر شيئا قط أعجب من أمره فلما أن كبر الصبي ورأيت ميل الأم إليه ميلا عظيما وهي مع ذلك لا تتكلم مع حول المدة بكلمة واحدة أكثر من المهمة شيئا لا صوت له إلا خفي جدا أمنا أن ترمي بنفسها في الماء.

فجعلت تدخل وتخرج وللمركب جوانب عالية ليس تلحق أن تظفر منها، فلم

نزّل توّانسنّا وترتقي من موضع إلى موضع حتى إذا وثقت بأنّا أمنّاها سعدت ورمّت بنفسها في الماء، فجزع الغلام زوجها عليها فأخذ الغلام ابنه معه، وهو مع ذلك لا يتكلم، فلما أن سرنا بعد ذلك وقعنا في شدة عظيمة لا فرجة لها فإذا نحن بالطبيب جالس على الماء ليس منه شيء غائصا، فإذا هي تومئ بالسلام فأومأ الناس إليها كلهم وأقبل قوم يقولون لها ما الحيلة وقوم يدعون وقوم يبكون وكل قوم في فن من الفنون. فأومأت إليهم بشيء من الأشياء فإذا الغلمان قد ألقوا الأناجر وإذا الأناجر لا تثبت إلى أن ثبت منها ثلاثة أناجر من جماعة، وإذا البحر قد انقلب وإذا هي سمكة قد فتحت فمها والماء يدخل إليها كأعظم ما يكون من البحار، وإذا نحن قد توهمنا أن شق فمها الأعلى جبل عظيم في البحر قد أخذ البحر من أوله إلى آخره، فلم نشك حين رأيناها أنّها تطبق فمها علينا فنكون في بعض أضراسها إلى أن كفى الله تعالى. ثم انفلت الصبي فوق إلى الماء، فلما أن كان من غد ظهر فإذا جبهته قد صارت حجرا، فلم أزل إلى أن صدت من الأطباء ثلاثة فأخذت جبهة واحد وألقيته فنظرت إلى صبغه ففكرت حينئذ في قدرة البارئ جل وعز كيف عدل هذا الموضع من هذا الحيوان بما لم يمكن أحدا من الناس أو كلهم لو اجتمعوا على ذلك ما قدروا عليه، فتبارك الله أحسن الخالقين، فناديت أن لا إله إلا أنت سبحانك ربنا وتعاليت عما يقول المبطلون.

نخب من كتاب الخمسين المقالة السادسة والثلاثون

ولننظر من أمر النبوة والإمامة وتباعهما في مثل الذي نظرنا فيه من خواص سائر الأمور المطلوبة الأسباب، وعلى أن جلة علماء الفلاسفة وأهل الشرع قد تكلموا في هذا المعنى، وما أصابوا الغرض.

يذكر أقوالا في إقرار بعض الناس بالنبوة والوحي والمعجز وإنكار بعضهم) وقول أكثر الناس: إن العلوم موجودة، وإني أعتقد أن علم الظاهر أعسر وجودا وأصعب مطلبا من علم الباطن.

وأما أسماء الأشخاص الذين يكونون في هذا الباب خمسة وخمسون:

النبي، الإمام، الحجاب، البسيط، السابق، التالي، الأساس، العمدة، الحامل، الخازن، الإنسان الأكبر، الإنسان الأصغر، الزاهد، المؤمن الأول، المؤمن الممتحن، السائح، الكوكب، الكروب، الباب، اليتيم، العالم، الفقيه، الناطق، الصامت، النجيب، المرتفع، النقيب، الحاجب، الدافع، الفيلسوف، التلميذ، العلم، الملك، الجزيرة، الكاتم، المعلن، الواهب، المقام، المشاهد، الخطيب، الحجّة، الواسطة، الملقن، النائب، الخلف، الديران، الموقن، الكمين، الصراط، الرحمة، الخلد، الناسك، الحياة، الناهي، ذو الأمر، الذي إذا ظهر لا بد له منهم إذ كان كل واحد منهم مندوبا لأمر لا يخالطه فيه غيره.

وقال قوم: كل واحد من هذه الأشخاص يعلم علم الإمام، فيجوز أن يكونوا أئمة، لكن لأهل النظر ميزة قاطعة، وهو أن حد الإمام عنده أنه التام العلم العامل به، والباقون لا يعملون به، ولا يحكمون، فأما الحجاب اثنان أصحابه: محمود وهو من يوسم بالعلم وصحبة القوم، فإذا سئل أوصل وتلطف، ومذموم، وهو يستر ويخايل، وأما اليتيم فهو تربية الإمام ولا يطلق له ألبتة، وهو محجوب لا يراه أحد سوى الإمام، وأما الباب فهو الرائض الرياضة الكبرى الكلية ليس وراءها غير الوصول بقوله: «أنا مدينة العلم، وعلي بائها»، فدل على أنه المفتاح.

فنتحتاج أن نوضح هل كل نبي وإمام ویتيم وباب يقبل حد نبي، وإمام ویتيم

وباب، ثم ينبع على سائر الأشخاص، فأما أهل الوحي والمعجز فزعموا أنهم ليس واحداً، وإن تساوا فيما ذكرناه؛ لأنهم لو كانوا بمعنى واحد ما تغيرت معجزاتهم وسنتهم، فظهر أن كلا منهم مخالف للآخر، أعني النبي للنبي، والإمام للإمام وسائر الباقيين على ذلك؛ لأن الجسمانية التي تقبل حد الإمام والروحانية إن لم تتساو لم يكن العلم المحتاج إليه فيهما واحداً من أجل زيادة المزاج ونقصانه واعتداله وإعطاء الروحانية لكل مزاج بحسب قبوله.

فالمستحق الذي يفيد معنى من المعاني إنما لحق ذلك باشماله على ذلك الأمر الأول من غير زيادة ولا نقصان، وإنما قلنا ذلك؛ لأن الثاني ليس كالأول في العدد، وكذا الثالث عند الثاني والأول، فالذي أخذ العلم من صاحبه أولى بالسبق من الآخذ من غير صاحبه.

وليس كل إمام من يتيماً، وإن كان بعض الأئمة من يتيماً، وليس صورة الحسن والحسين، ومحمد ابن الحنفية عند أمير المؤمنين بمثلته عند النبي؛ لأن ليس فيهم يتيماً، وأمير المؤمنين كان يتيماً، وأيضاً فإن الجماعة ليس فيها من كان باباً، وعلي كان باباً، فهذان فضلان، وإن كانت أشخاصهم متساوية.

وأما باقي الأئمة فإنهم أخذوا من آبائهم وموصى إليهم. فلذلك فضل الحسين في بعض الأقاويل على الحسن؛ لأنه أخذ عن أبيه، والحسين أخذ عن أبيه والحسن، وإن قيل: إن الحسن أخذ عن النبي، وعن علي، وعن سلمان؛ لأن الحسين قد أخذ عن الثلاثة، وعن أخيه، وليس فيهم من أخذ عن أخيه من الباقية غير الحسين.

وفضل محمد ابن الحنفية؛ لأنه لا يروى أن أمير المؤمنين علمه فقط شيئاً ظاهراً إلا بمعنى سماع كلامه وبقوله «أنت ابني حقاً».

وليس هذا موضعه؛ لأنه طويل وخلف الناس فيه كثير. فأما الرابع فيكاد أن يكون كالتالي، أعني أن منزلة علي بن الحسين تكاد أن تكون كمنزلة الحسن.

فأما الفرق بين الإمام والنبي أن النبي ناطق، والإمام صامت، والنبي أمر والحجاب مأمور، والإمام مأمور عالم بما أمر، والحجاب ليس عالماً بكل ما أمر، والنبي فاعل

وحاكم وأمر، واليتيم لا فاعل، ولا حاكم، ولا أمر، والإمام صامت وناطق، واليتيم لا صامت ولا ناطق، ولا عالم بكل ما أمر، والحجاب مأمور واليتيم غير مأمور، والني الجامع والباب واحد، والإمام حاكم والباب مرشد، والباب يعلم والحجاب لا يعلم، والباب متصل واليتيم منفصل، والباب ثابت، واليتيم منقل، والفرق بين الأنبياء على قدر الملل، والأئمة على قدر التأخر والسلام.

المقالة السابعة والثلاثون

فقد استيقن أن الاسم والكلمة أصول أوضاع الكلام المصطلح عليه كله؛ لأن الأسماء تدل على الجواهر، والكلمة على الفعل، والاسم عام والكلمة خاص، وكل كلمة اسم وليس كل اسم كلمة، والسالبة تدخل على الكلمة لا الاسم: «كل إنسان غير كاتب»، والاسم موضوع والكلمة محمولة، فلا بد أن يكون بين الأول والثاني فرق؛ لأنه ليس في العالم شخصان بمعنى واحد، لأنه مقول بالعرض لا بالذات، والاختلاف بالعرض.

والقوم قد نصبوا لكل دور ستة أشخاص، وطائفة قالت: إن كان الأمر مستقيماً من الأول إلى السادس كان الأمر منوطاً في الأئمة، وإن كان الأمر مضطرباً كان وجود الناطق، فالقول في علي بن الحسين، فإنه أخذ عن أبيه قليلاً، وكان مستطرف العلم كأنه الفاتح.

وأما محمد بن علي فهو النهاية، وأما سيدنا أبو عبد الله فهو سدد الأمر ونظمه ولم يشعته، ولولا ذلك لاحتيج إلى الناطق وكر الأمر، وبه استغني عن ذلك. وفيه المعجز الذي لا يمكن، فإن المعجز معجزان: أحدهما في حال الامتناع، والثاني في باب الإمكان، والامتناع ما دعا إلى فعل المحال، والممكن فمثل القرآن وما أشبه ذلك.

فأما ما يسمى البسيط فهو الإنسان الذي له العلم الكامل التام الذي ليس وراءه غاية، لكنه من البيت كأنه المصحف والمعلم، وهو جامع للنطق، والصمت وكالأول من الأشخاص، والسابق كأنه عكس البسيط، لأن البسيط كالأول والسابق كأول المتركيين، ولذلك يوصف أمير المؤمنين به.

وأما التالي فهو مثل السابق؛ لأن اعتماد السابق عليه، والأساس والعمد كالسابق والتالي، ثم الحامل هو المرفوع الأول الذي يتم كون الأشياء نحو اللفظ والمعنى. ولما كان الاسم قائما بنفسه والمعنى غير قائم بنفسه وجب أن يكون الاسم هو الحامل والمعنى هو المحمول، كالإنسان: فإنه الجوهر الثاني من قبلنا، وأول من قبل الطبيعة، و هو المؤمن الصابر، وله إيمان وصبر لقوله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمن مثل الأرض ألم تر أن منفعة كل شيء منها ومضرة كل شيء عليها».

وأما الخازن فقد قيل: إنه المؤمن كابن عباس ومثله، والإنسان الأكبر هو البليغ بالكل المحيى عن كل معنى، والأصغر كالحافظ لأمر واحد من تلك العلوم. والزاهد التارك بعد الصغو والقدرة، وذلك هو قوله: «روحوا القلوب تع الذكر»، والمؤمن الأول والممتحن الذي لا شك عندهما، والسائح الفرار من الناس. والكوكب الهادي الدال. الكروب كالكوكب؛ لأن السائح كأمر المؤمنين وجعفر، وهو مثل التابع، والعالم والفقير كالحكيم والملقن، والنحيب من قبل المستحيب والداعي، المرتفع قد فاق النجباء والأصفياء، والنقيب المميز من هذه الأشخاص.

نخب من كتاب البحث من المقالة الأولى

فأما ما يجب للأستاذ على التلميذ فهو أن يكون التلميذ لنا قيولاً لجميع أقاويله من جميع جوانبه لا يعترض عليه في أمر من الأمور، وإن كان كافياً متصوراً للأمر، فإن ذخائر الأستاذ العالم ليس يظهرها للتلميذ إلا عند السكون إليه، والإحماد له غاية الإحماد، وذلك أن مترلة الأستاذ مترلة العلم نفسه ومخالف العلم مخالف الصواب، ومخالف الصواب حاصل في الخطأ والغلط، وهذا لا يؤثره عاقل.

وأيضاً فإن التلميذ متى لم يكن للأستاذ على هذا المقدار من الطاعة أعطاه الأستاذ قشور العلم وظاهره والشيء الذي يقال له ألا علم الخارج والبراني.

ولست أريد بقولي في التلميذ أن يكون طائعا للأستاذ في شيء من الأمور الجسمانية، والظاهرة من أنواع المنافع بل إنما أريد بذلك قبول العلم والدرس وسماع البرهان عليه وحفظه وترك التكاسل والتشاغل عنه، فإن تلك الأمور الأولى لا مقدار لها عند الأستاذ الرباني؛ لأن الأستاذ في هذه الحال كالإمام للجمعة التي هو قيم بها وكالراعي والسائس للأشياء التي يتولى صلاحها وإصلاحها، فمتى عسرت عليه أو عسر عن التقويم فإما أن يطرحها، وإما أن يتعبه تقويمها إلى أن تستقيم.

ولذلك ما قال أرسطوطاليس في ذلك ما قال وعمل كتبها سماها الفلسفة الخارجة وأمر أن يعطاها العامة من الناس.

وقال: إن هذه الطبقة من الناس قد ينبغي للعالم أن يعللهم بما ويشغلهم بقراءتها عن أذوات الناس إذ كانوا متى لم يؤدبوا ويهدبوا كانوا على الناس أشد من الكلاب الكلية إلا في الفرط، فإنه ربما انقلب الواحد منهم بعد الواحد نجيباً، فقد قال أرسطوطاليس في المواضع التي حث الناس فيها على طالب العلم: إنه ينبغي للإنسان أن لا يتوانى في طلب الأدب ما استطاع، فبذلك الأدب تصير له حقيقة معنى الإنسانية وجوهرها وخواصها الكاملة إذ كان البغض شاملاً للناس، فإنه ليس كل الناس يولدون على مثال أفلاطون في تمام التكون ومعرفة الحق بذواتهم كما ظهر به أفلاطون من

الكمال وقول الحق من ذاته بغير تعليم والعمل به.

وقد قال سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - مثل ذلك، وهو أن قال: الناس ثلاثة عالم رباني قال الحق من ذاته ورآه وعمل به، ومتعلم على سبيل النجاة وهو الذي يؤثر الأدب ويعمل بما لقي منه، وهمج رعاع تابع كل ناعق أو ناهق لا يطنب العلم ولا يؤثره، ولا يعمل به، ولا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأن يكون التلميذ صامتا للأستاذ كتوما لسره؛ لأن التلميذ في هذه الحال كالأرض المزدرعة التي يتخذها الإنسان لصلاح حاله، فإن كانت تربتها طيبة نحت البذر فيها فأزكى وأنيق ورد أمثال بذره، وإن كانت تربتها فاسدة قبيحة هلك البذر فيها ولم يرد مكانه أو أفسدته وكان ما رده من ذلك قليل النفع.

وقد كنا ضربنا في ذلك أمثالا ذكرنا فيها حال الأبله والذكي، وأمثال ذلك، وأن يكون منقطعا إلى الأستاذ دائم الدرس لما أخذ عنه كثير الفكر فيه، فإن الأستاذ لم يمكنه أن يلحق التلميذ الرياضة بأكثر من اسمها وإنما يعلمه أصول العلم وعليه الرياضة به.

وأما ذكر كل ما يجب للأستاذ على التلميذ فليس يحتاج منه في هذا الموضوع إلى أكثر من هذا المقدار، فإن أثرت الاشتغال على جميع هذا الباب فخذ من موضعه من الرياضات وكتبها، إن شاء الله تعالى.

فأما ما يجب للتلميذ على الأستاذ فهو: أما أولا فامتحان قريحة المتعلم، وأريد بقول قريحته أي جوهره الذي طبع عليه ومقدار ما فيه من القبول والإصغاء إلى الأدب إذا سمعه وكيف تثبتت نفسه به وتذكره له، فإذا وجدته قبولا ذا أرض زكية وجوهر ترتضع فيه أمثال المعلومات ورسومها عن قرب أو على أي حال كان ابتداء بسقيها الأوائل التي تماثل قبوله فرواه منها، وهذه السقيا الأولى هي أن يداخل الرياضيات وأوائلها، وبحسب سنه أيضا واحتناكه يكون مقدار ما يلحقه إليه أولا أولا، وكلما احتل من الزيادة فليزده وليمتحنه فيما كان سقاه أولا.

فإن كان حافظا وغير مضيع له زاده في الشرب والتعليم، وإن وجدته ينسى ويتخبل في حفظه نقصه من الشرب وعاتبه على ذلك عتابا كالإيماء من غير إمعان في

التصريح، ثم امتحنه بعد ذلك ثانياً، وثالثاً، فإن كان جارياً على ديدن واحد في النسيان هزه بالعتاب وأوجعه بالتفريع وبالغ في توبيخه.

وإن كان عند امتحانه الأول قد استيقظ ولم يحتاج إلى استراحة في الأدب، وما ضاهى الكشف فلا يزال على ذلك يعطيه البرانيات والرياضيات إلى أن يأنس بالعلم ويتكامل صقاله ويجود تمذيبه، فحينئذ فلينقله إلى أوائل العلوم الداخلة، وكما يقال الناطقة، ويكون ما يعطيه أيضاً الأول فالأول، ولا يتخطى به المراتب فيظلمه في التعليم، فإن ذلك فساد في التعليم وضرر في العقبي عظيم جدا قد ذكرناه في تلك المطالب فلتؤخذ منها، فإن الكتاب الذي نحن فيه لا يحتمل أسوته بغيره، ولا يزال في تدريجه على ذلك من مرتبة إلى مرتبة إلى أن يبلغ إلى آخر المراتب ويصير في عداد الأستاذين الذين يجب عليهم للتلامذة مثل ما وجب له في أول أمره، وإذا بلغ التلميذ إلى هذه المرتبة من العلم ومن رموزه وصغائره ولطائف ما فيه، وإن فطن التلميذ لذلك فقد وجبه تعليمه، وإلا أذكره الأستاذ ذلك، ولم يتغافل عنه ويتجاوز إلى غيره، فإن ذلك محذور في العقل وفي المروءة.

فإن فاعل ذلك من الأستاذين وجب أن لا يسمع له قول ولا يصدق في شيء، وذلك أنه خائن والخائن لا يكون مؤمناً ومن لم يكن مؤمناً لم يؤخذ عنه علم؛ لأن العالم لا يكون إلا صادقا، فذلك غير عالم وهو باسم الجهل أولى منه باسم العلم.

وأيضاً فإن المؤانسة العقلية توجب الظهور بالسرائر والكوامن من ذخائر العلوم ومهج النفوس والظاهر فلذلك ما قلنا أولاً إن السبيل للتلميذ أن يكون لنا للأستاذ فيظهر للتلميذ، وكذلك قلنا: إن سبيل الأستاذ أن يكون سمحاً بما عنده من العلم وليس على كل أحد ولكن على مثل هذا التلميذ الذي رتبناه تلك المرتبة.

وبالجملة فإني أقول: إن سبيل الأستاذ والتلميذ أن يكونا متعاطفين بعضهما على بعض تعاطف قبول، وهذا إنما نوميء إليه أن يكون التلميذ كالمادة والأستاذ له كالصورة، وهذا إنما يكون بالقبول كالقول في ذلك السابق.

من المقالة الثانية

وإذ قد قدمنا ما في هذه الأمور، وأقسامها فلنعد إلى قسمة الحد الأول أو الجزء الأشرف من الجوهر الذي هو الغاية في الطلب والتمهي في كل سبب وهو القسم الروحاني والذي يضاد الجسماني إذ كنا قد استوفينا الكلام في الجسماني بحسب طبقة الكتاب.

فأقول: إن الجوهر الروحاني ينقسم على ما هو ظاهر لا يحتاج إلى نظر، ولا إلى بحث كثير إلى ثلاثة أقسام وهي العقل والنفس والأشخاص الروحانية التي هي على أكثر الأقاويل الكواكب والأشخاص الروحانية فقد انقسم الناس فيها على أقسام كثيرة، فقالت طائفة: إنها الملائكة خاصة.

وأما فوثاغورس وفرفوربوس فإلھما يعتقدان أن الكواكب هي الملائكة وأنها أشخاص، وطائفة اعتقدت أن الفلك ذاته وسائر ما فيه هو ما يوماً إليه بالأشخاص الروحانية وأنه طبيعة مفردة بائنة عن طبيعة عالم الكون كله، وكما يقال طبيعة خامسة عند العناصر الأربعة التي في هذا العالم أعني النار والهواء والماء والأرض.

وطائفة أدخلت الطبيعة في هذه الأقسام أعني مع العقل والنفس على أن هذه هي أشخاص، وطائفة اعتقدت فيه هذه الأشخاص أيها الناس، وأهم الأئمة والأنبياء، وذلك موجود لأهل كل مقالة بالإطلاق.

وطائفة ذكرت أن الأشخاص الروحانية هي أشخاص لطاف غائبة عن الحواس لأنها ليست أجساماً ولا ذوات ألوان لكنها نور يتلأأ وأنه يمكن أن يتحد ذاتها، فيصير شيئاً واحداً ويمكن أن يتكثر فيكون أشخاصاً كثيرة كيف ما شاءت.

وطائفة ذكرت أن الأشخاص الروحانية هي الأفكار والتعاليم الصحيحة البرهانية التي تكون إما كالأوائل في العقل، وإما كالثواني المستنبطة بالمقاييس الكاملة المستقيمة وغير المستقيمة، قالت: ولذلك ما يقال: هذا علم روحاني ولاهوتي وأمثال ذلك، ولا شيء أعون للإنسان على فهم هذا الفصل خاصة من إقامة الدليل على معرفة هذه الأشخاص هل لها حقيقة كون وما هي - فإنها القاعدة في سائر العلوم كلها - أو لا تكون لها حقيقة فيقع الغني عنها وتكون داخلية في جملة الخرافات كالفأل والزجر

وكالحال في الجن وعنقاء مغرب وعيزايل وإنسان طائر وأمثال ذلك.

فأقول: إن جميع الآراء التي قيلت في هذه الأشخاص الروحانية خطأ وغلط، فأحسن القول قول من قال: إنها الكواكب، وذلك أنها بالحقيقة أشخاص منحازة، ولأن العقل والطبيعة والنفوس أمور وجواهر بسيطة، والأمر البسيط لا يكون شخصاً، لأننا قد فرغنا لك من ذلك حيث ذكرنا حال البسيط والمركب.

وأما الأشخاص الروحانية التي اعتقد قوم أنها أشخاص الأئمة والأنبياء، وأهل التقوى والدين وأمثال ذلك فإن كل قائم بالحق وناطق به فهو شخص روحاني لا سيما إن كان مبتدئاً بالعلم والفضائل من ذاته، وأول خلقته.

وأما قول من قال: إن الفلك ذاته شخص روحاني فإنه قول حق إلا أن فعله في معنى قولنا شخص روحاني ليس كفعل الكواكب في ذلك المعنى، لكن الفلك لا شك شخص روحاني إلا أن فعله في ذلك فعل عام، وأفعال الكواكب فعل خاص.

وكذلك الحال في باقي الأفلاك بالإضافة إلى فلك الكل وذلك أن فعل فلك الكل المشرق هو الفعل العام بالإطلاق للأفلاك كلها وللکواكب كلها، والسبب في هذا أنه علة حركتها، وهو بالحقيقة الساكن بالإطلاق لأنه يحرك الأفلاك كلها كما يقال: إنه محرك الكل، وليس هو في ذاته متحركاً لما في ذلك من المحال، أعني أنه لو كان مع تحريكه للكل متحركاً، وهو وجود ما لا نهاية له بالفعل وارتفاع المحرك والمتحرك، وهو الموضع الذي غلط فيه جالينوس غاية الغلط.

وأما فلك الكواكب الثابتة فإنه، وإن كان عام الحركة فهو مخصوص بالإضافة إلى حركة فلك الكل، وكذلك الحال في باقي الأفلاك.

من المقالة الخامسة

(١)

وكيف يتوهم مثل ذلك على أرسطاطاليس وهو يقول: إن الصورة أكرم الجواهر، حتى إنه ليقول ذلك في المحرك الأول، وفي الفلك الأعلى، والكواكب والعقل والنفس ويطلق ذلك إطلاقاً ويقول: إن أكثر هذه الصور لا مادة لها، وأمثال ذلك من القول، ومن أراد التوسع في ذلك فليقرأ الكتب الستة التي أحدها يقال له: كتاب الصورة والمصور والثاني كتاب الحركة والمتحرك والثالث كتاب النفس والمنفوس والرابع كتاب....، والخامس كتاب الحس، والمحسوس، والسادس: كتاب الطبيعة والمطبوع، وأنا قد استوفينا في كل واحد من هذه الكتب جميع ما يقال فيه من آراء الناس وأظهرنا الحق فيه، وهي كتب يحتاج إليها كل أحد من الناس لا سيما في علم الفلسفة والشرع أيضاً.

وإنما ذكرنا أمر الشرع في حواشي كتبنا؛ لأن الشرع الأول إنما هو للفلاسفة فقط إذ كان أكثر الفلاسفة أنبياء كنوح وإدريس وفوثاغورس وثاليس القديم وعلى مثل ذلك إلى الأسكندر، ثم من بعد ذلك فإن الشرع إنما خلد ونزل في النصرى، وفي الإسلام من بعد.

وأما الصابئة والمجوس فإنهم قوم من فروع الفلاسفة أخيراً، وذلك أن الصابئة من التهامية على جنس عابدة الكواكب وليس كالتهامية.

وأما المجوس فمن لدن أفلاطون في عبادة النار، وذلك أن أفلاطون طرق لهم هذا الطريق إذ قال: إن العالم كائن من النار، والأرض، فقال في موضع آخر: من الشمس والمركز، فأخذ ذلك زردشت ووضع لهم فيه أصلهم الذي هم عليه.

فأما اليهود فإنهم قوم عروا من الدين، وهم لا يشكون أنهم متمسكون بالتوراة وإنهم لفي عدول عنها ومخالفة لها، فإن أردت التوسع في ذلك أيضاً فاقراً كتاب الاشتمال وكتاب الصورة فإن فيهما من شرح هذه الأديان ما يزيد على الوصف والحديث شجون.

(٢)

فأقول: وإن القوم أيضا لاحظوا تفاوت ما بين أجزاء المرتبة الثانية وما تحتها، ورسمنا في ذلك رسما يقرب على الناظر أمرها، وذلك أنا لما رجعنا إلى المترلة العليا أعني المرتبة وما هو مرسوم فيها ناسبناه بالمرتبة الثانية فكان جزء الأولى عند الثانية جزء الثلث أو نحو ذلك، فعلمنا أن كل ثلاثة من المرتبة الأولى، وما فيها يساوي واحدا من الثانية.

وقايسنا بين الأولى أيضا، وبين الثالثة فكان كالواحد إلى الخمسة، وكذلك قايسنا بينها وبين الرابعة فكانت كالواحد إلى الثمانية. فمترلة الثلاثة من الخمسة نسبة المثل والثلثين، ونسبة الثلاثة إلى الثمانية نسبة المثلين والثلثين، ونسبة الخمسة من الثمانية نسبة المثل، وثلاثة أجزاء من خمسة.

وقد اختار في ذلك بعض المشيخة أن ينقله إلى مثال نسب الموسيقى ليكون العطاء للأشياء تاما على مثال عطاء الكواكب ونسبتها على مثال ما قلنا قبل هذا الفصل من هذا الباب، وعلى مثال ما سنقول منه وتوسع فيما بعد عند ذكر هذه المنازل من أحكام الكواكب ورسوم أفعالها وإعطائها في هذا العالم وأجناسه، وأنواعه وأشخاصه.

وهذا المثال الذي قاله الشيخ يكون من الموسيقى لا في النسبة الشريفة العالية التي هي نسبة المثال والنصف والمثل والثلث الذي يثول إلى نسبة الضعف.

والعلة في اختلاف ذلك إنما هي من أجل المرتبة الأولى المشكوك فيها، وذلك أنا لو جعلنا المرتبة الثانية أربعة والثالثة ستة والرابعة ثمانية استقام الأمر في ذلك. وليس تتكامل النسب في أربع مراتب؛ لأن المراتب أبدا ثلاث أعني الابتداء والوسط والغاية، وهي التثليث التي أفادتنا إياه الطبيعة، وإنه آية الكمال، وفي ذلك رموز ليست بالهينة إن في العلوم العقلية وإن في العلوم الشرعية، وليس هذا موضع شرح هذه الأشياء.

فأقول: وإن المراتب لما كانت أربعا كما قيل فيها وكان ذو الوسط الأعدل هو الثلاثة وجب على ذلك أن تكون مراتب الطبائع ثلاثا وهي الأولى والثانية والثالثة، وأن

تكون النسب العادلة التامة فيها، وهي ذات المثل والنصف.

وهذه هي نسب الإيقاعات العادلة التي لا تخرج إلى الطرف الأغلب، فمن أحب أن يجعل نسبة الطباع ومراتب الكيفيات على نسب الكواكب والحركة الأولى وما يقول به أصحاب الأحكام وأصحاب الطلسمات والفلاسفة فليجعل نسبة الطباع على ذلك، وهو الشيء الموضوع الأول، كالأربعة، وهذا هو المرتبة الأولى، ثم ذو المثل، والنصف، وهو الستة، وهو المرتبة الثانية، ثم ذو الضعف، وهو ذو المثل والثلاث، وهو المرتبة الثالثة.

وهذه هي طبائع سائر الموجودات من الأغذية والأفاوية والأدوية والطيب وأمثال ذلك من الحيوان والنبات والحجر، وأجزائها المستعملة في سائر اللذات وعلاج الأوصاب وطيب الأعضاء والثياب وأمثال ذلك.

فأما القول في الخواص والسموم والطلسمات وسائر الأشياء الغالبة فإن الكلام فيها خارج عن هذا النظام وذلك أن الأمر فيها متفاوت جدا، وذلك أن تلك الأولى أعني التي في المراتب الثلاث تستحيل إلى الأبدان وتريد في قواها وأحوالها وتمتها حسنا ولا تنهكها وتحسن أحوالها إذا هي استعملت باقتصاد، وفي أوقات الحاجة إليها وفي الأمور التي تصلح لها وتلائمها.

وأقول في الأشياء التي هي في المرتبة الرابعة بصد ذلك سواء، وذلك أنها تحيل أجسام الحيوان إليها، وتفسدها لوقتها وتنقض تركيبها وتغير أحوالها سريعا جدا، ولا تستحيل إلى أجسام الحيوان وتناصب المزاج غاية المناصبة وتخالفه غاية المخالفة.

وهذا ضد ما قيل في تلك المراتب الثلاث الأولى.

وأیضا فإن المقدار الذي فيها من الطباع يزيد كثيرا على مقدار تلك الأولى، ولو كان أقل القليل من هذه التي في المرتبة الرابعة لكان يوازي آخر ما في المرتبة الثالثة فضلا عن الثانية والأولى وأوائل ما في الثالثة.

من المقالة السادسة

(١)

وأقول: إن عطاء ذلك الفلك التاسع - والأول بالحقيقة - من لدنه لفلك الكواكب الثابتة إنما هو الحركة الأبدية التي يتحركها من المشرق إلى المغرب، وهذه الحركة من الفلك حركة قسر، وإن حركة فلك الكواكب التي من المغرب إلى المشرق هي حركة ذاته وكما يقال بطبعه.

والمنازعات ههنا - يا أخي - ليست قليلة، ولا يسيرة بل كثيرة وعسرة أيضا. وذلك أن المنجمين خاصة تدفع كون الفلك التاسع وتجعله نهاية معدل النهار أو دائرة أخرى تتوهمها؛ لأن الفلك عندهم يتحرك بذاته حركتين مختلفتين: إحداهما من المغرب إلى المشرق وهو في كل مائة سنة جزء واحد حتى تكون حركة فلك الكواكب الثابتة الواحدة في ستة وثلاثين ألف سنة، ويتحرك هذه الحركة بذاته، ويتحرك أيضا بذاته هذه الحركة بعينها حتى يقطع من أي نقطة ابتداء بالحركة منها إلى أن يعود إلى موضعها ذلك في أربع وعشرين ساعة الذي هو مقدار يوم وليلة.

وظائفة تقول: إن الفلك يتحرك بذاته تلك الحركة الطويلة التي في كل مائة سنة درجة، وقد قيل: إنها في أقل من مائة سنة، وإن الحركة الأخرى إنما تكون فيه بقاسر له عليها. وظائفة خالفت ذلك، وقالت: إن الفلك التاسع يتحرك حركة هي أسرع الحركات، وإن فلك الكواكب الثابتة يستقبل تلك الحركة فيتبسط في حركته بأنه يلقي هذه الحركة السريعة، وكل واحد منهما يتحرك حركته بذاته ولا يحرك لهما كالحال في حركة الفلك وكل ما كان متحركا بذاته.

ونحتاج أن نوضح ما في ذلك؛ لأنه السبب في فهم أفعال الكواكب، ولسنا نذكر في كتابنا هذا شيئا من العلل التي ليست متصلة بعلم الطلسمات، ولا نافعة فيه ألبتة إلا بحسب ما لا يسع تركه، وكل نقول فيه بالواجب إن شاء الله تعالى. فأقول: إنه لا حال أعون على فهم هذه المعاني من فسخ هذه الآراء وإثبات الرأي الواجب في ذلك.

أما قول المنجمين فإنه ظاهر التناقض جدا، وذلك أن الذي يحكونه في أمر الفلك

ممتنع جدا لأنه ليس أمرا يتخيل في فكر ألبتة، ألا ترى أنه متى كان الشيء متحركاً فإنه لا يخلو أن يكون متحركاً بذاته أو بمحرك حركه وقسره على تلك الحركة، وعلى أن المتحرك من ذاته مشكوك في وجوده إلا على طريق الاتساع في القول، وهذا باب طويل فمن أراد النظر فيه، والوقوف عليه فليقرأ كتابنا في الحركة والمتحرك، وإن كان يغبنيه القول الذي نحتاج إليه في هذه الصناعة فيأخذ ذلك من هذا الفصل فإنه كاف.

وأقول أيضاً: إذا تحرك بذاته أو بمحرك حركه وقسره على الحركة فإنه إنما يتحرك حركة واحدة ونحو جهة واحدة في الوقت الواحد، وذلك أنه لا يتخيل المتخيل أن شيئاً يتحرك إما بذاته أو بمحرك له في زمان واحد نحو اليمين والشمال معاً، ولا نحو العلو والسفل ولا نحو الأمام والخلف معاً؛ لأن الجسم إذا تحرك مثلاً نحو جهة من الجهات ففي حال حركته إلى تلك الجهة ينبغي أن يتحرك إلى الجهة المقابلة لها، وهذا ممتنع فصلاً وزائداً على المحال.

ولنرسم لذلك شكلاً ينظر إليه بالحس فأقول: إن مثال ما أشار إليه أصحاب النجوم في ذلك هو الانتقال بالجسم إلى الجهتين المتقابلتين معاً في وقت واحد وحال واحد لا إلى جهة ما من الجهات المخالفة، فلنرسم دائرة ونفصلها بقطرين يمران بالمركز ونعلم عليها ا ب ج د، ولنقسم قوس ا ب بقسمين متساويين على نقطة ز ونقسم أيضاً قوس ا ج على نقطة ح ونقسم أيضاً قوسي ب د ج د بقسمين متساويين على نقطتي ط ي، ولنرسم على نقطة الجنوب وعلى نقطة الشمال ونرسم على نقطة ب المشرق، وعلى نقطة ج المغرب.

فأقول: إن دائرة ا ب ج د تتحرك من المشرق إلى المغرب في زمان أربع وعشرين ساعة إلى أن تعود إلى مكانها الذي ابتدأت منه الحركة.

فأقول: إن دائرة ا ب ج د تتحرك مع نفس حركتها من جهة المشرق إلى المغرب من المغرب إلى المشرق إما في زمان مساو لحركتها من المشرق إلى المغرب أو أسرع أو أبطأ فأقول: وإن ذلك محال وامتناع وخلف لا يمكن، وذلك أن دائرة ا ب ج د إذا ابتدأت بالحركة من نقطة ب فإنها تنتهي إلى نقطة ا، لكنها إذا ابتدأت بالحركة من نقطة ب إلى نقطة ا ابتدأت من نقطة ج وانتهت إلى نقطة أ، وكذلك قد تصير من

نقطة ا إلى نقطة ج لكنها تصير من نقطة ا إلى نقطة ب.

فأقول إن ب و ج يتحركان معا حتى يصيرا إلى نقطة ج ويتحركان على ذلك حتى يصير ب عند ج و ج مكان ب في دائرة واحدة وفي زمان واحد، وهذا لا يتخيله عقل، ولا يقوم في وهم. فيا سبحان الله ما أبعد ما قال هؤلاء القوم من العقل والحس معا، وإذا سئلوا الدليل على ذلك أمسكوا، وهذا شنع جدا، فهذا ما يردوا به على أصحاب النجوم.

وأما القائلون بأن الحركتين يتقابلان لأن الفلك الأثير أيضا يتحرك فإن هذا غلط عظيم، وأول من ابتدع هذا الشك وحير الناس فيه جالينوس ورد على أرسطاطاليس في مواضع من كتبه وفي كتابه في المحرك الأول وفي كتابه البرهان، وذلك أني أعتقد في جالينوس أنه ما علم ما قال ألبتة في هذه المواضع والشكوك.

وأقول: إن ذلك إنما اعترض جالينوس من قبل أن المحرك الأول لا بد أن يكون متحركا إذا حرك ما حركه، وقد قلنا مرارا كثيرة إن هذا يجر ويقود إلى وجود ما لا نهاية له بالفعل، وهذا خلف لا يمكن، وهذا يفسد من جهات كثيرة جدا، منها أن المتحرك لا يكون إلا جسما، ومنها أنه لا يكون إلا مركبا من مادة موضوعة وحركة، ولهذا قلنا إن المتحرك من ذاته مشكوك فيه؛ لأنه إما أن تكون ذاته كلها حركة، وهذا لا يقوم بنفسه، وإما أن يكون بعضه حركة وبعضه ذاتا وهذا لا يكونان ذاتا واحدة.

وأیضا فإن الحركة عرض في المتحرك بها والذات جوهر، فكيف يكون ذات ما ذاته جوهر بعضها عرض، وأمثال لذلك كثيرة ليس يمكن استقصاء القول فيها ههنا. ومن ذلك ما نقوله الآن فهو الغاية في هذا الأمر، وهو أن كل ما يتحرك فإنما يتحرك عن محرك حركه، فلو امتد ذلك إلى أن يكون كل متحرك يتحرك فإنما يتحرك عن محرك حركه لكان ذلك بلا آخر، فلا بد أن ينتهي الأمر إلى محرك يحرك الأشياء، وهو في ذاته لا يتحرك، كالحال في العاشق، وفي أفعال الخواص كالمغناطيس وغيره، وكما قيل أولا فيه.

وما ضائر أن نبين الحال في هذه الأصول والاضطرارات التي قد مضت لقولنا منها إنه لا يكون إلا جسما، ولا يكون إلا مركبا، ونخرج من ذلك إلى ما بقي من

الأقسام والقول فيها إن شاء الله تعالى.

فأقول: إن قولنا في المتحرك أنه لا يكون إلا جسما من قبل أن الحركة لا تقوم بنفسها إذ كانت عرضا، ولا تكون في الجوهر البسيط إذ البسيط لا بعد له تجري عليه الحركة، فالنقلة إنما هي للجسم والنقلة أفضل أنواع الحركات وأشرفها، فلو كان المحرك الأول متحركا لكان جسما على هذا الشرط.

والكلام في جميع هذه الفصول صعب وليس يمكننا أن نتوسع في شرحها ونبسط الكلام في حالها فليقتنع الناظر بهذا الإيماء ههنا، وإن أراد الإيغال فيها والاطلاع عليها فليرجع في ذلك إلى الكتب التي تحويها ويجوز بسط الكلام فيها، فأما ههنا، وفي أمثال هذه الكتب فإنما نوميء إليها إيماء فقط، ولذلك نقول كثيرا ونحض الناظر في هذه العلوم على الرياضيات والدرس وأمثال ذلك.

وأما قولنا: ولا يكون إلا مركبا، فإن جميع ما يتحرك لا بد أن يكون مركبا من قبل أن المركب ينقسم إلى قسمين إما مركب من أجزاء متشابهة كاللحم والعظم وأمثال ذلك وإما مركب من أجزاء متباينة ومما ليست بابا واحدا كالإنسان من عظم ولحم وعصب وعروق وما أشبه ذلك.

والجسم المتحرك كائن من جسم، ومن حركة فهو مركب، ولذلك ما قيل في المحرك الأول إنه صورة فقط، ومفارق للمواد كلها ليكون بالحقيقة هو الشيء البسيط الذي يستحق هذا الاسم بالإطلاق، فإنك إذا نظرت علمت أن كل ما هو دون المحرك الأول فهو مركب إما من ذوات جماعة، وإما من مادة وعرض ما، فأما المحرك الأول فهو شيء واحد فقط لا يشوبه غيره، وساكن أبدا.

وأما فلك الكواكب الثابتة فإنه مركب أيضا، وذلك أنه من مادة وصورة وحركة، فأما مادته فالجسم الذي بالفعل الأول الشريف، وأما صورته فالكرة التي هي صورة النفس وذاتها؛ لأنها الصورة الأبدية التي لا يلحقها الفساد ولا تضيق عن شيء إذ كانت أوسع المقادير كلها، وفيها ما قد يقال في الدائرة، وأما حركته فإنه ساكن عن الحركات كلها إلا حركة النقلة التمامية التي بها يستوجب أن يكون حيا، وذلك أنه لا يتحركها بذاته، وكما يقال من باطنه لا من خارجه على جهة الدفع والجذب.

ومعنى قولنا ساكن وهو متحرك وفي المحرك الأول أنه ساكن فإنما يقصد فيه القوم إلى أنه لا يمكن أن يتكون ألبتة أعني المحرك الأول.

وأما في الفلك فإنه لا يتحرك غير هذا النوع من حركة النقلة، وقد رد جالينوس في هذا وقال فيه وقد ر أنه أتى بفائدة حيث أخذ يشرح في كتابه في البرهان أن الفلك حي بأن له حركة النقلة، وأخذ في أن يقول: إن الفلك يتحرك إلى الوجوه الستة من اليمين والشمال، والأمام والخلف وسائر الباقية.

وذهب عنه أنه لا يحتاج إلى ذلك في إثبات الحياة للفلك إذ ثبت له أنه منتقل بذاته، ومن ذاته، وإن لم ينتقل إلا دورا، وذلك أنه ليس لأن الجسم ينتقل إلى الوجوه الستة، وفيها ما كان حيا لأن الموات أيضا قد يمكن أن يحرك إلى هذه الوجوه كلها، وإنما الحي المنتقل بذاته في الجهات الست كان أو في بعضها، ولكن أغاليط هذا الرجل كثيرة في جميع كتبه.

وإذ قد أوضحنا ذلك فأقول: إن الذي بقي من الأقسام واحد وهو الصحيح، وهو أن يكون الفلك متحركا بمحرك حركه، وهو لا يتحرك، وأن يكون متحركا بذاته نحو المحرك الأول والمحرك الأول يعكسه في حركته إلى حيث المقابلة، وقد طال تنازع الناس في هاتين الحركتين الأوليين، وقال كل فريق بحسب ما انتهى إليه من العلم.

وأول ذلك أن تعلم أن حركة فلك الكواكب مقبلة من المغرب إلى المشرق، وكذلك حركة سائر ما في باطنه من أفلاك الكواكب المتحيرة ومن أفلاك التدوير التي فيها مما له فلك تدوير وكل ذلك سالك من جهة المغرب إلى المشرق، وهي كثيرة إلا أن خلاف الناس أيضا في ذلك كثير جدا، وذلك أن قوما قالوا: هي خمس وخمسون حركة، وهم أهل الحق والبرهان، وفي ذلك علوم كثيرة وفوائد تتسع جدا إن من جهة الديانة، وإن من جهة النجوم وإن من جهة الفلسفة وإن من جهة الهيئة.

وكنا قد أوضحنا وقلنا في كل واحد من معناه بحسب ما استوجب من القول وسوف نذكر هذه الحركات ونقسمها إلى جهاتها فإن الكلام فيها متعب وعويص جدا، وأرجو أن يتوصل ذلك إلى فهمك عن قريب بلا تعب إن شاء الله تعالى.

وأقول: إن كثيرا من الناس قد قدر أن هاتين الحركتين يتقابلان كالحال في

حركة الاستقامة التي من الوسط وإليه، وليس الأمر كذلك لأن تلك إنما تختلف وتتقابل بالمكان والانتهاء وهذه ليس يعرضها أحد هذين الأمرين، وقد تمثل أرسطاطاليس على ذلك وأوسع القول فيه في كتابه السماء والعالم من المقالة الأولى والثانية، وما ضائر أن نومي إلى ذلك فإن الكلام فيه هو الكلام في أفعال الكواكب وكيف هي، وإن لم تفهم هذا الفصل لم تفهم ذلك ألبتة لأن الكلام في الحركات هو الكلام في أفعال الكواكب وعطائها.

وأرجو أن تحيط به علما فإنك إن أدركت ذلك فقد فزت يا أخي بعلم
الطلسمات وأحكام النجوم على حقائقها.

والذي أوما إليه أفلاطون في إدراك غوامض الأمور وسرائر الحكمة واستخدام
العلويات وأسباب أفعال الجوهر الغامض الذي لا سبيل إليه، ولا طريق عليه فإننا سنأتي
به الآن في هذا الموضع من هذا الكتاب، وفيما يليه، إن شاء الله تعالى.

فأقول: إن الحركتين واحدة لا خلاف بينهما، وذلك أنهما شيء واحد وليس
تفعل كل واحدة منهما غير فعل الأخرى، وذلك لأنهما دائرتان على الوسط وليس كل
واحدة منهما تنازع الأخرى في مكانها.

وذلك لأننا إذا رسمنا قوسا من دائرة عليها **أب**، وكانت العليا هي التي تتحرك
مثلا من جهة المشرق إلى المغرب وقابلناها بحركة أخرى مثلها تجري على قوس **ج د** من
باطنها، وكان المركز الذي يدوران عليه مركز فأقول: إن دائرتي **أب**، **ج د** كلتيهما
دائرة واحدة.

وبرهان ذلك أن السبب في ذلك أن الدور منهما على الوسط، والوسط إنما هو
جهة واحدة، وليس كالحال في حركتي الاستقامة التي إحدهما تعلق والأخرى تهبط،
وذلك لأن خلافهما ظاهر إما بوقوفهما عند انتهائهما، وذلك أن النار مثلا تسكن في
العلو وتتحرك إلى أسفل حركة قسر وكذلك الحال في حركتي الأرض.

وأما الحركة التي على الوسط، فإنها واحدة، فإن خط **اب** الصاعد من المركز إلى
الحيط يختلف بنوع الحركة، وذلك أنه يتحرك، أبدا عند المركز، وهذا هو الانتهاء الذي
قيل هناك، وليس هذا موجودا في حركتي الدور لأنهما ليس يسكنان في إحدى الجهات

ويتحركان في الجهة الأخرى، وإنما يتخيل الإنسان الحال في اختلاف حركتي القوسين كالحال التي يتخيل في حركتي الاستقامة.

وإذا تأمل الناظر ما قيل في ذلك علم أن الوسط واحد، وأن الحركتين كليهما عليه جارية، وأن التقابل ليس لهما من أجل أن كل واحدة من الحركتين لاقتا الأخرى على خلاف جهة حركتها، فإنه على مثل ذلك تكون الحال في حركتي الاستقامة، وإنه ليس لأن إحداهما علت والحركة الأخرى انخفضت ما تقابلت الحركتان، بل إنما اختلفت من جهتي المواضع التي أوجبت القسر، والطبع وأمثال ذلك.

فإذا تأمل الناظر فيه علم أن الحال في ذلك ليس له سبب من أجل تلاقي الخطوط في الجهتين لكن من أجل الوقوف والحركة، وذلك أن حركة الدور إنما لها جهة واحدة فلذلك ما كانت تامة، وأيضا فإنها الأولى ما كانت تامة لأن الأول السابق وهو التام، وذلك لأنه لو لم يكن كذلك ما كان للتام، والتمام أصل بل إنما كانت الأشياء كلها ناقصة؛ لأنه ليس يخلو أن يكون الأول الذي لا سبب له في كونه هو الشيء التام أو الثاني الذي له سبب في كونه، وليس هذا مما يحتاج إلى كثير إيغال في النظر لظهوره.

فالأول هو الشيء التام والأول التام هو الدائرة؛ لأن المستقيم ينتهي فيقف، وما يقف بعد حركته فحركته ليست له بذاته وقد يعترضها ضدها الذي هو المفارقة لما هو عليه أعني السكون.

وذلك أن السكون ليس عينا كالحركة، وإنما هو مفارقة المتحرك للحركة، وإذا ذلك كذلك فقد صار المتحرك غير متحرك، وهذا هو الأمر الذي فيه مفارقة الذات أو العلة التمامية التي له، وإنما قيل في حركة الخط المستقيم ذلك، وليس لأن أحدهما يصعد والآخر يتزل لكن لكون الحركة له وزوالها عنه.

فأما الدائر فإنه يشابه في دوره من الجهتين الخط المستقيم إذ كان كل واحد منهما قد يلاقي الآخر على خلاف جهتي حركته، لكن لا مفارقة له لما هو له من الحركة بالوقوف لكن ذاته متحركة.

وإذا نظرت في ذلك بان لك فصل القوم في اختلاف الحركات وتمائلها، ولذلك ما كان هذا العالم عالم اختلاف وتناقض وفساد، وهو تارة بالقوة وتارة بالفعل

وكذلك حال كل ما فيه.

وعلى مثل ذلك كان العالم الأعلى عالم بقاء، ولا فساد فيه، ولا دثور له، ولا لشيء من أجزائه وكل ما فيه بالفعل ولا قوة فيه، ولا شيء من أحوال هذا العالم الأسفل فيه ما أبقاه بارئه تعالى، أو كيف قيل فيه فإن الخلاف ههنا كثير.

(٢)

ثم انقسمت هذه الآن قسمة ثالثة، وذلك أن الحي لما انقسم قسمين عاقل وبهمي فالعاقل ليس هو من استعمال النفس وحدها بل ومن استعمال العقل وتتميمه. وذلك أن العقل إفادة النفس وإدراك أحوال الموجودات على حقائقها، والبحث والنظر والسداد في الأعمال والتدابير وحتى قيل: إنه شخص إلهي الكون. وذلك أن طائفة تقول: إن عناية الله تعالى بالإنسان كانت أكثر من سائر الموجودات كلها إن من حيوانها وإن من تلك الباقية ولذلك ما كان منهم الأنبياء والأئمة والأولياء عليهم السلام.

ثم انقسم أيضا الحيوان العاقل إلى ما هو صورة ومادة كالإنسان وإلى ما هو صورة بلا مادة كما يقال روحاني وشخص عال، وأمثال ذلك، وهذا القسم على رأي أهل الشرع الملائكة وعلى رأي قوم من القدماء الكواكب وعلى رأي آخرين نفوس خفية عن الحواس.

وانقسمت هذه الأشخاص الحية إلى عاقل، وإلى غير عاقل، فالعاقل منها الملك كما قيل، وتلك الأخر، والغير العاقل الجني.

وهو أيضا على رأي أفلاطون خاصة شيء أوجبه التقسيم، قد قلنا ما فيه في كتب الخواص وتفسيرها واستقصيناه وقلنا ما هم الشياطين والجن وما المردة وما العزائم وما الرقي وما الكهنة وما القافة وذكرنا أحوال سطوح وفضيل وقس وأمثالهم وكيف أحوالهم في أعمالهم وقلنا ما هي البخورات وما القرابين، وما الذبائح، وما الدعاء وما سائر هذه الأشياء كلها.

كتاب الراهب

اعلم يا أخي أي خصصت كتابي هذا باسم الراهب لأن من شأنني أن أنسب كل علم إلى صاحبه إذا كان مخصوصا به، ولولا أن علمي وعلوم سيدي عليه السلام ممتزجة غير متميزة لما كانت كتيبي هذه المنسوبة إليه جارية على غير الحكاية عنه، ولكن صرت بما أودعني من العلم مشتقا منه كالابن من الأب مضافا إليه كالنصف من الضعف، وأمثال هذه لم يكن فرق بين ما أورده من علمي، وما أخذته عنه وسمعت منه إذ كان الكل واحدا في المعنى.

ولأنه كان يكرر المعنى بألفاظ كثيرة ويورده علي بالوجوه المختلفة ويخرجه في الحلبي المتباينة فلا يبقى لأحد فيه اختصاص، ولا تمييز إلا في أشياء تقل وتخرج إلى حد النادر الشاذ لأغراض له فيها نحو ما حكيت فيما يختص به من كتاب الضمير الستمائة باب وغيره من كتيبي كالإمامة وغيره.

ولما كان هذا الراهب مختصا بهذا الوجه من التدبير ولم أسمعه من غيره على هذه الصفة قبله حتى لقد شككت شككا خفت أن يخرجني إلى التهمة لسيدي، فلما عدت إليه وسألته عن هذا الباب كيف لم يذكره في جملة ما أودعني من العلم قال لي: يا جابر ويحك كيف خفي عليك إيداعي في هذا الباب وقد وصفته أنت في عدة وجوه.

فقلت له: ما أذكر ذلك يا سيدي، فأشار إلى الكتب فقال: أولها كتاب التجميع وثانيها أحد تدابير المتحدة بنفسه، فعدت إلى كتيبي فتأملت وأعدت نظري في هذين الكتابين فوجدت الأمور على ما قال.

فعلمت أنه لم يخرج من علمه شيء في المعنى وإن ظن من ليس هو في مثل منزلته أن علمه غير محيط بكل شيء، وغير أبي رأيت أن أضع هذا التدبير بألفاظ هذا الرجل وعلى طريقة هذا الكتاب لتكون كتيبي هذه تامة في الوجوه كلها فلا يجد الطاعن فيها مساعا، وأين بالطاعن فيها مساع يا أخي بل من لي فيمن يقهر يسيرا مما أودعته فيها من هذه العلوم اللاهوتية، ولكني إنما أريد بالطاعن النقيض، فاعلم ذلك.

واعلم أن هذا الراهب كان قد بلغني أمره زمانا بعد صحبتي لأستاذي حربي قدس الله روحه فكنت مشتاقا إلى رؤيته وذلك أنه بلغني عنه أنه أخذ العلم عن مريانس

الذي كان خالد بن اليزيد أنفذ في طلبه ووضع عليه العيون والأرصاد حتى أخذه من طريق بيت المقدس، وكان يهدي إليه في كل سنة ذهباً كثيراً، وإنما لما مات خلفه هذا الراهب، فلما مضى أستاذي حربي كانت نفسي متشوقة إلى هذا الراهب.

وقيل لي: إنه ببعض بوادي الشام فخرجت في طلبه إلى أن ظفرت به، وأخذت منه هذه السياقة للحجر، وهي طريفة، وقد كان كثير العلم غزيره غير أني ما استغربت من علمه شيئاً غير هذا التدبير فلذلك اقتصرت عليه من علمه وأودعته في هذا الكتاب -وحق سيدي- على وجهه من غير تغيير له بعد أن عملته بيدي فصح.

وذلك أني سألته بالله عند التفائي به عن كونه في مكانه في البرية وقدرته على المقام وتمكنه من العمل مع تعذر الآلات عنده لبعده عن العمارة وعدمه لما يجرب العقاقير به والآلة.

قال لي: إن الخميرة التي معي تغنيني عن ممارسة العمل، ولو رمت ممارسته لأمكنني ذلك بمكاني هذا.

فقلت: فبأي تدبير، وبأي آلة؟ فضحك، وقال: في أقرب الطرق وبأسهل الآلات.

فقلت: أفندي ذلك لأشاركك في علمه وأحكيه عنك فإني وإن كنت عنيت بهذا العلم فما استغني عن الأستاذ في وجوهه.

فقال لي: بطريقة هرمس المثلث بالحكمة، فقلت له: أي طريقة فقد عرفت أكثرها. قال: بطريقته إلى ابنه طاط في كتابه.

قلت: ما أثق بهذا القول حتى أرى التدبير فإني أستبعد أن يكون هذا الأمر على وجه التدبير لا على وجه الميزان بغير تصعيد، ولا تقطير ولا تصدئة ولا تعفين.

فقال لي: هلم بنا لأريك إياه، وعدل بي إلى مغارة من بعض المغائر التي بأوي إليها، وأخرج من وسطها قطعة منقار فحفر بها شبيهاً بنقرة الروباس إلا أنهما أعمق وأذهب في قعر الأرض وجعل بينهما في الحجر مجرى طويلاً ثم أخذ قطعة طين من تربة المكان قبله ومدّه وجعله كمدخنة البخور وتركه يجف فلما جف طبقه على النقير الذي نقره وهندمه عليه بالسكين حتى انطبق على الحفرة والمجرى جميعاً.

وأخذ الحجر عبيطا فخلطه بأخلاقه وعجنه بشيء من الزيت الذي كان يشعله ويستضيء به في الليلة حتى صار كالكرة الصغيرة في ذلك النقيير وكب عليه الطين المعمول على مقداره وجمع حطبا وطرحه من فوقه وأضرم فيه النار.

فلما اشتعلت فيه تركها وخرج إلى باب المغارة وخرجت فجلسنا نتحدث، وأنا أستطرف تدييره، وأتعجب منه ولا أدري ماذا يريد أن يخرج منه غير أني أعلم أن الزيت سيحرق تلك العقاقير والأدوية إذا حميت النار عليه فلا تصلح حينئذ إلا للتصعيد لتخرج أرواحها فتصبغ البرانيات فقط، فلما كان بعد ساعتين من النهار قال: ادخل للنظر ما كان من حجرنا في تدييرنا ذلك.

فدخلنا وقد طفئت النار وحمدت، فكنس النار عنه ببعض الحشيش ونظف المكان ثم رفع الطين عن رأسه فإذا هو محرق كما كنت أعلمه وفيه بريق الأرواح المتهية للتصعيد فما شككت في فساده.

فرفعه ورمى به مع الرماد فعجبت منه، فلما نظف موضعه ومكانه عدل على المجرى الذي كان حفره فإذا هي شبيهة بالبلوطة تزهر وتبرق بريقا شديدا فأخذها وهي غير طاهرة لما عليها من وضر الدهن ووسخه وسواده. ثم أخرج زئبقا فسبكه في ذلك المكان وطرح جزءا من تلك البلوطة على رأسه وغطاه بناعم ذلك الرماد.

ثم أشعل عليه يسيرا من النار كالنار المذبية للشمع، فلما حمي سمعت له تنفضا عظيما خفت أن يطير منه الزئبق إلى وجوهنا فتباعدت من قربه فكشف عن الموضع فإذا الزئبق قد صار نقرة حمراء ملتبهة أحسن من كل ما رأيت.

فقال لي: هكذا تديري يا جابر، ففدت منه بهذه الفائدة وعلمت أنها أفضل علمه، وما نقصتك منها - وحق سيدي - شيئا، فاعلم ذلك، اعمل به صوابا، إن شاء الله تعالى.

وإذ قد بلغنا إلى آخر تديير هذا الراهب فلنقطع الكتاب ولنأخذ فيما يليه، إن شاء الله وبالله توفيقنا وعصمتنا وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تم كتاب الراهب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

نخب من كتاب الحاصل (١)

ليس يضر للإنسان المحب لاستيعاب علم الموازين أن يكون قد أخذ في درسه لكتبتها وخاصة لما ألفناه نحن - فإنه أشرح وأبين مما عملته الفلاسفة إذ كان ذلك قليلا أيضا - وبخاصة لمن يطلع في كتابنا هذا، وإنه من كتب الموازين وهو من الكتب الموسومة بكتب الفلسفة، وقد سميت كتاب الحاصل، وذلك أن سيدي جعفر بن محمد - صلوات الله عليه - قال لي: فما الحاصل الآن بعد هذه الكتب في الموازين وما المنفعة بها؟ فقلت: المنفعة علم التراكيب الكبار التي تنوب بقرب مدتها عن طول مدة المدبر. وعملت كتابي هذا فسماه سيدي بكتاب الحاصل وهو من علم الموازين مشروح لا يحتاج إلى غيره، وبذلك أمرني سيدي صلوات الله عليه.

(٢)

وندل بعد ذلك أيضا على وجوه الكمية فنقول: إنه لا يخلو الشيء المحتاج إلى معرفة وزنه من أن يكون على حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة أو ثمانية أو تسعة أو عشرة، وما أقل ما يقع شيء من العشرة أو التسعة ولكننا ذكرناه استظهارا واحتراسا من ذم الطاعنين وأن ذلك إنما عملناه على حسب الهوى والعادة، ولسنا نفعل ذلك في علم العلوم، ولكن على ما يوجهه حكم النظر وصحة التفتيش والقياس الغير مضطرب ولا مشوب بإهمال النظر. فإذا وقع الشيء المحتاج على معرفة وزنه فنحن نريك ذلك في مثال قريب، ووالله وحق سيدي جعفر ليكون كتابي شأن وأحوال في زمان من الأزمنة القريبة.

ولنعد إلى غرضنا فإن لهذا موضع ستره إن بحثت ونحن ندل على ذلك، اطلب من كتبنا هذه كتابا يعرف بالنقد تصب ما تحب ولا تجزعن من عظم ما فيه فإن أمره قريب.

ولم نعد ما وصل إليه غيرك أيها القارئ لكتابنا هذا إن كان اسمك كاسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبشر إن كنت عبد الله أو لك به قرابة في الاسم لا في

النسب، فإن كنت أنت هو، وأنت -وحق سيدي- هو فافهم ما قلت لك إن جمعت هذه الكتب.

(٣)

القول في اختلاف الأسماء

وقد ينبغي أن تعلم هذا الكتاب وتستقصي النظر فيه إذ كان أصلا مناطا لما سلف من القول فيه، وذلك أنا نجد الأشياء باللغات المختلفة تختلف، وإذا وجد اختلافها في الكتب وجب اختلاف ما علمناك وانتقض الأصل الذي رتبناه على الطبائع قياسا بها، وفيه علل سنذكرها إذا بلغنا إلى الموضوع الذي يستحق ذكرها فيه.

فأما هذا الذي قدمناه فأول ذلك أنا نجد الأحجار السبعة التي هي قانون الصناعة يعبر عنها باللغة العربية ألها الذهب والفضة والنحاس والحديد، والزئبق والأسرب، ووجدنا يعبر عنها باللسان الرومي ما يوجب نقض الأول أو نقض بعضه واتلافه مع بعضه في حروف وأشخاص لا في أنواع وأجناس فاعلمه.

وذلك أني وجدتها يعبر عنها بأن يقال للذهب رصافي وللفضة اسمي، وللنحاس هركما وللحديد سيداريا وللرصاص قسدروا وللزئبق برسري وللأسرب رو، وهذه بينها وبين العربي بون ليس باليسير إما لطول كلامه وكثرة حروفها، وإما لاختلاف مواقع الحروف بين نطق العربي بالسين والرومي بها ولعلل آخر مما جانس ما ذكرناه.

ووجدت هذه الأحجار باللسان الإسكندراني تخالف الاتنين أعني العربي والرومي أيضا وكان ذلك أزيد في إيقاع الشك في نفوس المبتدئين والمتعلمين.

وذلك ألهم وجدتهم يسمون الذهب قريا والفضة كوما والنحاس جوما والحديد ملكا والرصاص سلسا والزئبق خبتا، والأسرب قدرا.

ووجدت هذه أيضا ربما وافقت الشيء من ذلك في الخاص لا في العام، ووجدت الفارسي أيضا يخالف الثلاثة بأسرها، وذلك أني وجدتهم يدعون الذهب زر والفضة سيم والنحاس رو والحديد آهن والرصاص أرزير كلهي والزئبق جيبا والأسرب أرزير بلبل.

ولقد تعبت في استخراج الحميري تعبنا ليس بالسهل لأنني لم أر أحدا يقول: إنه

سمع من يقرأ به فضلا عن أن أرى من يقرأ به إلى أن رأيت رجلا له أربعمئة سنة وثلاث وستين سنة فكنت أقصده وعلمي الحميري وعلمي علوما كثيرة ما رأيت بعده من ذكرها، ولا يحسن شيئا منها قد أودعتها كتي في المواضع التي تصلح أن أذكرها فيها، وذلك إذا سمعنا نقول: قال الشيخ الكبير، فهو هذا الشيخ.

وإذا قرأت كتابنا المعروف بالتصريف فحينئذ تعرف فضل هذا الشيخ وفضلك أيها القارئ، والله أعلم إنك أنت هو.

فاطلب -عافاك الله- هذا الكتاب، واتعب فيه، فو الله وحق سيدي لئن استعملت كل ما أوصيتك به في باب الوصية، ولم يعارضك شك في الله جل اسمه ولا شبح على نفسك وأهلك لتكون هو ولترين العجائب وما تسر به بعد خمس تصفيقات بكفيك واجعلها شهورا سواء لا زيادة ولا نقصان فيها، واحمد الله على سوء حالك قبل ذلك.

ولنعد الآن إلى غرضنا الذي كنا به، وأقول: إني وجدت الحميري أيضا أشد خلفا لسائر اللغات مما تقدم، وذلك أني وجدت الذهب في لغتهم على ما علمني الشيخ يدعى أوهممو، والفضة هلحدوا، والنحاس يوسقدر، والحديد بلهوكت، والرصاص سملاخو، والزئبق حوارستق، والأسرب خسحدعزا، فيا ليت شعري كيف يصل العالم من كتب الفلاسفة في علم الموازين إلى إيضاح هذا الخلف مع تسمية ما اتفق في رمزهم فضلا عن التعليم إذ كانت الشفقة إنما تقع على المتعلمين ولكن الله جل جلاله أحب أن يجعل لي بذلك أوعدني إن شاء الله، ونحن نريد ذلك:

اعلم -عافاك الله- أن الوصول إلى ذلك شديد وفيه تعسف على سالكه بعيد إلا أن يكون من أهل العزم والتمسك بما وعده الله جل اسمه على الصبر، فإذا قدم ذلك في نفسه واستشعر بما قلناه فذلك دليل على رشده، إن شاء الله تعالى.

فأما العلم بذلك والوصول إلى كنهه فإن تمتحن الأدوية والعقاقير في العربي ثم في الفارسي ولسان لسان مما ذكرناه، ولا تعد إلى غيره فلك في ذلك مقنع، فأيتها صح فألزمه في سائر تديراتك.

وسمعت بعض الفلاسفة من فلاسفة زماننا يقول في ذلك الوجه أن يعمل في كل

عمل بلسانه، وليس القول كما ظن هذا الرجل إذ كان الحق لا يكون في وجهين مختلفين، ولم تكن الأنواع موافقة للجنس، فاعلم ذلك إن شاء الله، وسنذكر ذلك حتى لا يعوزك فيه شيء ألبتة.

ينبغي أن تعمد إلى الدواء المركب فتتظر في أنواعه التي منها تركيب وتعرف أوزانها كما عرفناك أولا ثم تنظر فيه فإن كان كذلك فهو نافع أو ضار أو صابغ أو صالح، وليس غير هذه الأشياء.

وسمعت بعض الفلاسفة الخذاق عند أهل زماننا أنه يقول: الإكسير جنس الكبريت والزئبق والفضة والرصاص والزرنيخ والنشادر والراسخنج وذلك أنه يجمع باعتدال أوزانها.

فقلت له وكنا في مجلس حافل: نعم خاصة وخاصة خاصة، إن كنت قصدت بهذا القول تعليمك إكسيراً بما ذكرته من هذه الأدوية، وأنه شريف فاضل فقد صدقت، وقد ذكرته أنا في كتابي المترجم بالترجمة الأول.

وإن كنت قصدت الأوزان فهذا خطأ؛ لأن قولنا إكسير لا يجمع في الظاهر قولنا كبريت وزئبق وفضة ورصاص وزرنيخ ونشادر وراسخنج.

فسأل عن الدليل فقلت له: أليس قد تقرر فيما بيننا من هذه الأدوية التي قد تقدم ذكرها أن يكون منها إكسيراً فاضلاً؟ قال: نعم، فقلت: وإن نقص منها دواء واحد يكون الإكسير المؤتلف منها صحيحاً؟ قال: لا، فقلت: وإن نقص اثنان وثلاثة؟ قال: يكون أشد، فقلت: هل يكون دواء يصيغ صبغاً تاماً مركباً من زئبق وفضة أو رصاص وزئبق أو ثلاثة أدوية أو أربعة أدوية أو دواء واحد؟ فقال: نعم، فقلت له: فما يسمى ذلك؟ قال: إكسيراً.

فقلت له: قد بطل ما ادعيت ووضح الأمر فاعتذر من الكلام في ذلك بحضرتي فقلت هذا أعظم من الأول. أرأيت إن لم تكن تكلمت وبقيت على أن الذي ذكرته حق كيف كنت عالماً بالصواب؟

فكان يحيا إلى سنين كثيرة يدرس ويتعلم، ولكن ميزان ذلك -عافاك الله- أن تعلم طبع الذي تريد أن تصبغه أو تسلخ صبغه أو تشفيه أو تسقمه وتعلم طبع الذي

تريد أن تشبهه به، وتجعله مثله، وتركب دواءك على ذلك حتى تخرج الأوزان، فاعلم ذلك.

فوحق سيدي إن هذه الكلمات التي ذكرتها في هذا الفصل لو تصدقت بكل ما تملكه عوضا عنها أو بدلت منها كل طارف وتلد حتى تصل إليك لقد أخذت عرضا لا يفنى وملكا لا يبىد.

وكأني بكل ساه نائم، ولك مال لا تحويه الأرض بخذافيرها وأنت على غفلة ساه وفيك مع ذلك رجاء وخوف، وذلك دليل كما قال سيدي صلوات الله عليه. واعمل بما أقوله ههنا أقدم على أمورك ولا تجز عنه ولا يهلونك العائق في وقت وصول كتابنا هذا إليك فإنه شك من الشيطان وتمحيص من الرحمن، فوحق سيدي لئن لم تفعل وتقدم النية الصادقة وتساعد أخاك المعين لك على هذا الشأن بأهلك ونفسك ومالك لم تصل لا أنت، ولا هو إلى شيء مما تقصده.

فاتق الله جل جلاله فإن الأمر والله أقرب أن ينتظر وأذان العامن فإذا تعزيت عن أخيك هذا - وذلك ما لا بد منه إلا أن تعمل ما في آخر كتاب النقد عند الوصية - بلغت ما تريد، ولم يغرب عليك ما في الوصية من الصلوات التي ذكرناها والدعوات، فإن الله جل اسمه أكرم من أن يردك، فافهم ما أقول واستيقظ يا نائم وكأني بك إذا قرأت كتابي هذا تعرف بعض ما قد قلته، وتقول: هذا أنا، وأنت هو. فإذا عرفت ذلك فإياك والأسف، واطلب ما أعوزك من الوصية بجد وشهامة وإقدام ولا تأس على مال ونفس وأهل فإنه في حفظ الله تبارك اسمه وحياطته، ولو كنت معي في زمان واحد ما أمكنني أن أهزك أكثر من هذا إلى طلب رشدك في دنياك وأخرتك، فاطلب فإنك تصير إلى ما تحب بعد أن تعلم، إن شاء الله تعالى.

نخب من كتاب الاشتمال

وقال جابر - رحمه الله تعالى - في كتاب الاشتمال وهو صعب الرموز؛ لأنه مبني على كلام أهل التناسخ في الظاهر وباطنه تعليم الصنعة، وما أشك أنه أضل بهذا الكتاب عالما من الناس لم يعرفوا مغزاه فحملوه على ظاهره.

وإذا كان المصنف مشهورا بالفضل مشهودا له بالتقدم في العلوم ثم وجد كلامه في نوع من العلوم والمذاهب ينصر طريقة قلده آخرون فنصروا رأيه وتخلوا له الوجوه البعيدة والتأويلات الغريبة.

وأظن أن الذي يلوح في كلام أفلاطون في التناسخ إنما هو مرموز على هذا المعنى، فسها جماعة من الأفاضل عن الاطلاع على سره فناقضه جماعة وقلده آخرون. قال: إن الكون لا بد منه، والدور لا بد منه، ودور وكر واحد لا بد منه، لأنه لا بد من الموتة الأولى، ولا بد للأشخاص السالكة بالكون والفساد من اللذة التي هي الاستراحة من الألم لمكان الجسم وتثبيت النفس الجزئية بالمزاج، فلذلك ما يكون لها الكر والنسخ من أجل المزاج لا غير.

ولهذه اللذة أشخاص وهي أول أبواب المقامات، والمقامات العالية هي التي لا كرها، ولا كون ولا فساد والمقامات العالية نحو منهج واحد وهو التزويد والعلو في الأشخاص.

وأما المقامات الثانية فلها مثالان: محمود ومذموم، فالمحمود نحو النسخ والعلو في ذوات القصاص، ونحو السكون في الأوائل، وأما المذموم فهو النسخ والتزول، وليس ذلك في المقامات الأولى إلا في الكون إلا في وقت الجسد، فأما ما بعد الأول في تلك النسبة فهو غير خارج عنها إلا إن شاء الله.

وقال فيه: البصيرة بالعلم هو الإحاطة بالتمام، وكان علم التمام إنما يكون من أجل العطاء الأول، والعطاء الأول إنما يكون بجودة المزاج، ومكان البصيرة بالعلم نحو ثلاث مطلوبات، وهي: الإحاطة بتصاريف الأمزجة، وتحصيل علم المزاج الأفضل، وعلم العطاء من السبب الأول للمزاج الأفضل كيف هو وكم مقداره.

فإذا أحاط علم الإنسان صلح بعد إحاطته بعلم هذه الأشياء أن ينظر في العلوم اللاهوتية.

والدور دوران، وهذا كلام يجب أن يعلم ما تحته لأنه عند أهله عزيز جدا. أما الدور الأول فهو الكامل المحصل والعود إلى حاله الأولى، فطائفة قالت: إن الدور أن يعود الإنسان مثلا أو أي شخص كان من أشخاص الحيوان إلى أي شخص كان من أشخاص الناس أو غيرهم.

مثال ذلك أن يكون إنسان قد وجب عليه الكر أو حيوان، فالدور له أن يخرج الإنسان إما في صورة إنسان أو في صورة أخرى أي صورة كانت.

وقالت طائفة أهل الاستحقاق: الدور أن يعود كل شخص إلى الصورة الأولى التي منها انحطت في التناسخ والرسوب ودور كل واحد من هذه الأشياء فمقداره بحسب استحالته، وهذا يكون في نحو السنة إلى اليوم إلى العشر سنين وأما قول أهل الاستحقاق فإنه في كل دور تامة، وهذه الدورة التامة إنما تكون بحسب الصفو والكدر.

والدور هو الزمان المحصل نحو حركة بعينها لشيء ما معين بعينه لا غير، والزمان إنما هو عدد الأشياء المتحركة.

فالدور إذا شامل لعالم الكواكب، وعالم الكون والفساد والأشياء التي لها الدور، والزمان قسمان: فواحد ثابت على حالة واحدة وهو الكواكب، والآخر لا يزال منتقلا، وهو عالم الكون والفساد، ولكل واحد من العالمين أزمان في حركاتها، ومن هذه الحركات حركات أفلاك الكواكب السيارة وهي السبعة فأطولها زحل ثم لا تزال تقصر أزمانها إلى القمر وأمرها ظاهر مشهور.

وأما حركات عالم الكون والفساد فإنك إذا تتبعته ذلك علمت أقدار أزمانه أكوانها، فقد أحطت بالدور إذا علمت كم مقدار استحقاق مقامه في كل نوع، وهذا كشف عظيم، إن فطنت له، وأدمت النظر فيه صح لك الأمر.

وهذه الأشخاص الخمسة والخمسون من قبل الذات واحدة ومن قبل الأشخاص في المقامات كثيرة مختلفة، وليس يعلم كل واحد منهم أنه الآخر لأجل المقام لا من

أجل الذات، وذلك أن الذات بالحقيقة واحدة لأنها ذات استبصار، ومواقف التعاليم اللاهوتية هي متفرقة بالأشخاص والمقامات.

وذلك أن شخص الباب ليس مقامه مقام الإمام، وذلك أن المترلة الأولى مترلة القبول والتهذيب والقيام على ذلك الأمر الذي تنأتى فيه صورة المطلوب، كالدقيق المتأتى فيه صورة الخبز والغزل المتأتى فيه صورة الثوب.

وإنما كانت صورة الأنوار الخمسة والخمسين بصورة الإنسان خاصة؛ لأنه أتم أشخاص الحيوان آلة إذ كان قابلاً للعقل، والفكر والروية، وليس ذلك لنوع من الأنواع.

ثم قال في فصل يذكر فيه الإخلاص: الهياكل كلها إنما تكون من امتزاجين إما جسم، وإما نفس، وكأن القول الحق إنما هو نحو النفس لا نحو الجسم، وإنما هو الخلوص والتصفية للنفس الجزئية من أدناس الكون، والجهل والمرور بالأشياء الجزئية، والانصباب إلى الأشياء الكلية.

وله فروع يحتاج الواصل إلى هذا العلم أن يعلم جميعها، وذلك أن الصفو أولاً الذي يكون نحو الأشخاص الخمسة والخمسين إنما يكون على خمس وخمسين طريقة، لأن الصفو لا يزال يزيد في كل مترلة إلى المترلة التي فوقها.

والدليل على ذلك أن الكل في هذه الأشخاص نحو شيء واحد، وهو القائم، والإخلاص هو تفرد المادة وخلوها من الأوصاف المشاركة لها بحال من الأحوال.

إشارة: انظر إلى هذا العالم كيف يتلاعب بالناس ويخرج هذه الصناعة الشريفة في المعارض المختلفة ومغزاه واحد، وكيف يعرض مرة ويصرح أخرى.

وقد أوضح هذه المعاني أعني إنه أشار إلى تعميته على الجهلة بقوله: صاحب الظاهر لا يمكنه أن يكون مجتهداً ولا متحيزاً إلى قول دون قول، ورأي دون رأي؛ لأن الاجتهاد والتحيز إنما يكون من علم وبصيرة وذلك محال في صاحب الظاهر.

وإذا كان هذا العلم، وهذا الإخلاص غير نافع، ولا مبلغ للإنسان إلى درجة عالية فالرأي أن يطرح عنه الدنيا اطراح قادر على ما يطرح منها معتمداً على أن الله تعالى يسأله وأنه واقف بين يديه ليقصص منه فإذا توجه إليه لا يخطر بفرقه شيء غير

الله عز وجل من أمور الدنيا والآخرة.

فإن الإجابة ثابتة كما تكون للأول ولكن بالجزء لا بالكل.

وإنما علم القوم هو الذي إذا أخذته من الأستاذ كانت المنازل متأتية لك وكنت راقيا في درج العلم واقفا على محجته ناظرا إلى أشخاصه ومكلما لهم، وإن غابوا عنك، وإن لم يكن الأمر كذلك كانت الأمثال لا فائدة فيها، فاصبر على الاستشهاد حتى يتبين الرمز الذي هو مثل استشهاد صاحب الأمر وإن كان ذلك أفضل والزمان فيه أقرب.

ومنازل الكون على هذه الأعداد المذكورة أعني السبعين وكأن كل مقام منها نحو زمان من الأزمنة وتجاه موقف من المواقف لمثال مثال من الأستاذين والأعلام الخمسة والخمسين إن يكون التحصيل لذلك، وهو أحد العلوم المحتاج إليها، ويستدرك بها المتعلم قانونا من العلم ينتهي إليه؛ لأنه إن لم يعلم ذلك لم يدر إلى أي غاية يقصد، وإلى أي مقام ينتهي وهل واجب عليه أن يمر كذا طالبا أبدا أو يقف عند غاية ومنتهى. ولا بد من الإقرار بأن العلم بمصائر الأمور مما يجب أن يعلم، وذلك أن الغاية والخاتمة هي صورة التمام.

أقول: إن هذه الأصول وإن كانت ظواهرها مستبشعة موهمة أنه يشير بها إلى انتحال مذهب فاسد، ومقالة فاسدة فإنها تدل في هذه الصنعة على معان شريفة من التكريرات ومقادير الحركات مع ما تكرر من الأصول والشروح. فإن الحاد الذهن الكامل المعرفة إذا أمكنه نقل هذه المعاني إلى التدابير والموازن فقد ظفر بعلم جم.

وليكن هذا القدر كافيا في البيان إذ لا سبيل إلى شرح الأغراض من جميع الوجوه، وفي ذلك كشف الغطاء المنهي عنه، فاعلم ذلك واستغن بكثرة الدرس، وتكرار النظر تكن من الفائزين، إن شاء الله تعالى.

نخب من كتاب القديم (١)

اعلم أن الكلام في القديم والمحدث - عافك الله - من أصعب الأمور عند جلة الفلاسفة وقدمائها، ولو قلت إن أكثرها مات بحسرتة لكنت صادقا.

فأما هذا العلم وأربابه فأشد الناس تعظيما وحيانة وحفظا عن غير مستحقه، وإن كان سهلا عليهم يسيرا لديهم إذ كانوا مشاهدين للأمر فائضين به، لا يحتاجون فيه إلى إعمال فكر في دليل، ولا استعمال لفظ، وتمثيل، غير أنهم، وإن كانوا كذلك فإنه لا يعلمه عنهم إلا من كان قريب المترلة منهم.

وذلك أنه ليس كل هيولي لكل صورة، ولكن كل هيولي، وكل صورة على غير نساو، فمنها ما يحتاج إلى واسطة، ومنها ما لا يحتاج إلى واسطة فإذا كان الأمر في القديم على ما قلناه فسيكون مثله في المحدث لا محالة إذ كان ضده وخلافه وكان العلم بأحد الضدين علما بالآخر على رأي الصادقين الربانيين.

وليس الأمر في القديم والمحدث على ما ظنه جهلة المتكلمين في هذا الباب الذين استدلوا على الغائب بالشاهد مع تناهيهما في العناد وبالجزء على الكل مع ظهور الفساد في ذلك.

وقد بينا في أول كتاب الإمام الكلام في الشاهد وكيف حاله بالإضافة إلى حال الغائب بما فيه مقنع وكفاية.

فليأخذه من هناك من أثره، على أنا سنأتي في هذه الكتب بأبلغ من ذلك الكلام وأجمع للمعاني وإذ كنا قد ضمنا في هذه الكتب جمع علوم موالينا علينا سلامهم فيها. وإنما أقول هذا على مجرى المختصر منها أعني الجمل والأجناس، فأما ما بعد ذلك، وما تحته فمحال، فلولا ذلك لما صح لقوله: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ [الكهف: ١٠٩] معنى فاعلم ذلك وتيقنه.

فأقول: إن أحص الأشياء بالقدم هو الوجود الذي يستغنى به عن الفاعل، وذلك أنه إذا لم يزل موجودا فلو كان بالفاعل كان موجودا لكان قبله، وما تقدمه غيره فليس بقدم، فإذا الوجود أحص من خواصه، لكن المحدثات موجودة أيضا وبالواجب كانت كذلك. وذلك أن المؤثر إنما تكون آثاره شبيهة به؛ لأنها أمثال خواصه على الوجه الأحسن لاختلاف الفاعل والقابل في الفضيلة والنقص.

وإذا كان الأمر كذلك وجب الوجود للمحدث عن وجود القدم، لكن وجود القدم على جهة الوجود المستغنى عن الفاعل وعلى جهة العلة لغيره لا على جهة المعلول، فهذه الجهة كملت الخاصة للقدم.

ومن خواص القدم أيضا أن تكون جميع المحدثات من فعله، وأثره إذ لا بد لجميعها من انتهاء إليه ورجوع إلى كونه علة لها إما قريبة أو بعيدة.

فليس القدم سوى هاتين الخاصيتين وهما واحدة، وذلك أن الوجود له هو الصفة التي بها أثر آثاره، وآثاره لا بد أن تكون شبيهة بمؤثرها من الوجه الأحسن، فلذلك قصرت المحدثات عن القدم وكثرت صفاها.

وإذ قد انتهى بنا الكلام إلى هذا المكان فلنقل: إن القدم الذي هو الجوهر الأول والعلة الأولى لم يزل ولا يزال موجودا وإن الوجود أحص أوصافه به والتأثير أقربها شبيها بذاته، فإنه لولا ذلك ما كان في الأشياء دليل عليه ولا كان شيء مخالفا لشيء.

واعلم أن الجوهر القدم الأول كان منه إلى الثاني الذي هو أثره وفعله المحدث الناقص شبه النكاح، فلما ألقى نطفته امتزجا مزاجا ضعيفا لأجل ضعف المحدث عن القدم، وكان غرض القدم في هذا النكاح تخليص المحدث الناقص من ظلمات الأرض.

فلما حصل بينهما هذا المزاج حس القدم وشرف المحدث وحدث حينئذ الطبيعة، ولذلك نسبت الأفعال الطبيعية إلى الخسة وقلة الصفاء والجهل وعدم العلم.

فلما حدثت الطبيعة حدث عنها شيان ضدان هما الحركة والسكون، والحركة ذات المحيط والسكون ذات المركز، فصار كل واحد منهما في البعد الأبعد من الآخر.

فلما تباينا وافترقا اجتمع صفاء الهيلي وكل خير وحسن وجمال ونور وبهاء كان

فيها إلى المحيط فشرّف فعل القدم فيه وصار وكأنه هو القدم، إلا أن الجوهر القدم لم يكن محتاجاً إلى الحركة وهذا محتاج إليها لمنافعنا نحن، ونحن إنما افتقرنا إلى اجتلاب المنافع ودفع المضار لأجل الشهوة، والشهوة لنا من قبل الهيولي واتحادها بالجوهر القدم. فلما دارت الأفلاك لمنافعنا نحن، ولم نطق نحن لاحقاً بما صار من الهيولي صافياً

لاحقاً بالجوهر القدم مع حاجتنا إلى ذلك جعل الجوهر الدائم لنا طريقاً إليه.

ولما كانت الشهوة فينا شوقاً لكنها شوق إلى أشياء خسيسة جعل القدم في الهيولي التي أظهر فيها فعله شوقاً مجانساً لهذا الشوق مخالفاً له في النوع ليتصل الشوق بالشوق لأجل المجانسة، ويغلب أحدهما الآخر بفعل الحركة والسكون وسعة المحيط على المركز، فاعلم ذلك.

فوحق سيدي إنه لغاية العلم ولو شئت لبسطته فيما لا آخر له من الكلام، ولكن هذه الكتب يا أخي معجزات سيدي وليس -وحق العظيم- يظفر بما فيها من العلوم إلا أخونا، فأما من سواه من إخواننا الذين لم ندخر هذا من أجلهم، ولا صنفناه لهم فإنما يظفر منها بما ظهر من علومنا فيها وصنائعنا التي وضعناها وأودعناها إياها.

وأما غير هؤلاء من الأضداد والسفلة والأردال والسفهاء المظلمي النفوس الأقدار العقول فما يزيدهم الله بها إلا عمى وضلالة وجهلاً وبلادة، فاعلم ذلك يا أخي، واشكره إذ فضلك على كثير ممن خلق وأدم الدرر تظفر بالبعية.

ولا تجربن منها شيئاً حتى تستقصي درسها وتجمع فصولها ويتخيل لك ما ذكرناه، فيها أمر ذو نظام وتدبير وترتيب إما بطريق الميزان أو بطريق التدبير، فإذا تخيل لك ذلك فأوقع حينئذ التجربة عليه، فإنه -وحق سيدي- يتم ويصح من أول وهلة وبأول تدبير وتجدد حينئذ كما قال الحكماء: إنه لعب الصبيان وعمل النساء، فاعلم ذلك، واعمل عليه، وهذا إنما أقوله لك في الباب الأعظم، وغيره من جميع الأبواب فجار مجراه، وإن كان له من الحظ في ذلك ما ليس لسواه بحسب شرف قدره وجلالة خطره.

وإذ قد انتهى بنا القول إلى هذا المكان فليكن آخر الكتاب إن شاء الله تعالى، وبالله توفيقنا وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تم كتاب القدم بمحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين.

كتاب ميدان العقل

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن برحمتك الحمد لله كثيرا كما هو أهله ومستحقه.

ينبغي أن تعلم في كتابنا هذا قولنا على العموم والخصوص في أمر الموازين خاصة.

فإن هذا الباب من علوم الناس تحار فيه العقول وتبльд حتى إنه قد وقع على الناس فيه من الخطأ وقتا بعد وقت أمر ليس بالسهل ولا بالقرب، وإن في ذلك من المنفعة في تعلم صناعة الموازين للطبائع ما أصفه.

وذلك أن تعلم قولنا في كتب الموازين منه ويتحصل به كل معنى منها عن أخيه، إن شاء الله تعالى.

نقول: ينبغي أن تعلم أن الطويل كله من قسم الحار، والقصير من قسم البارد، والدقيق من قسم اليابس، والغليظ من قسم الرطب. وقولنا على الخاص والعام.

فأما على جهة العموم فمن أجل أنه قد يوجد طويل بارد وقصير حار ودقيق رطب وغليظ يابس.

وأما على الخصوص فإن هذه الصور لا تكون في التحقيق إلا على الشكل الأول.

وذلك أن الطويل أبدا من قسم الحرارة، والقصير من قسم البرودة، والدقيق من قسم اليبوسة، والغليظ من قسم الرطوبة.

والخلف فيما بينهما بين من جهة أن الخاص إنما يكون بالمفردات والعام إنما يكون بالمركبات، فافهم ذلك.

ففيه علم كثير ونحن نزيد في شرحه ليعلمه من ليس له دراية ويسهل على العالم أيضا، فإن التحقيق في هذا الكلام.

ونمثل أولا بعدا ما لا شيء فيه، ثم نتصور أن جوهرها قد أخذ صورة، فقد صار فيه شكل ما، وهذا الشكل يكون أبدا مدورا لا غير.

ثم إن الامتزاج تعلق بإحدى الطبائع المفردات، فإن علق بالحرارة أعطاه ما

وصفناه من الحرارة.

وإنما صار الطول من قسم الحرارة لأنه يجذب إلى فوق، وكل شكل إذا لحقه الجذب إلى جهة من الجهات أعطي من الصورة بحسب ما قد تشكل به كالطين المعجون أو الدقيق أو الناطف وأمثال ذلك.

وكذلك صورة الجواهر المنجبل في أول أمره، وأعلم ذلك، فقد استوفيناه في كتاب الميزان.

وإن تعلق بالبرودة كان الجذب إلى أسفل كان حاملا لها فصار الشكل قصيرا، وكذلك إن تشبث بالرطب واليابس.

فإذا امتزجت فيه الطبائع بأسرها وصار لها الحامل شخصا فحينئذ يقتضي أن يكون على قسمين:

إما ثابتا على ما بدأ به من التركيب أو بضد ذلك سواء.

فأما إن كان على ما به تركب أولا فليس في ذلك علم أكثر مما تقدم، وأما الثاني الذي يخالفه ففيه وجه العلم والنظر:

وذلك أنه إذا تشكل الجوهر بعد الانجبال الأول فعلق بأحد العناصر تعلقا ربما كان ضعيفا على قدر ما ذكرناه في صدر كتابنا الصفوة - وذلك يكون إما لاختيار النفس لذلك أو لتعدد عنها أو لما يشاكل ذلك، فإذا خرج من عالم أحد العناصر إلى الآخر أخذ منه أقوى مما أخذ من الآخر، ثم لا يزال كذلك حتى يأخذ بقوته من الأربعة العوالم.

فإذا أخذ ذلك كان ما قد أخذه من الطبع في الدفعة الثانية أقوى مما أخذ من الأول، وصار الذي كان فيه أولا لازما للقطر والضد الثاني لازما للمحيط.

وكذلك القول في الآخرين: إما أن تكون في الابتداء قوته غالبية فيكون الحكم عليها أو بخلاف ذلك.

فإذا اتضح ذلك وتم القول فيه فنقول فيما يلزم من توابعه، فينبغي أن يتصور أولا كيف امتزاج الطبائع بالجواهر.

فنقول: أما عوالمها ومحالها فمن قطرك إلى أقطارها، وبعد المسافة وقرها فقد

استوفيناها.

فما ينبغي أن يعلم قبل هذا انكتاب فهو كتاب الميزان، وأتينا على ذلك في كتابنا الأول من الميزان وفي الثاني منه وفي علل امتزاجها.

ونحن ذاكرون هنا الصورة بعينها إما أن يكون جمعا لما بددناه في تلك الكتب، وإما أن يكون مما قرب المعاني لما بعدناها.

فإنا نقول: إن القارئ لكتابنا هذا إن كان إنما يحب التطلع فيه لقرب المنفعة لا نطلب العلم فإن كتابنا هذا معرى عن ذلك بالابتداء.

وإن كان يحب العلم وأصول الصناعة والوصول إلى عزيز المنافع فليس في كتابنا هذا أيضا ذلك بالابتداء.

ونعني بالابتداء أنه ليس يجب للمتعلم أن يقرأ كتابنا هذا أولا دون أن يقرأ كتبنا قبله من هذا العلم.

وقد سميها ووصفناها وترتيب درسها وتعليمها في كتابنا المعروف بالمنطق الصغير المختصر.

وأما من أراد الفائدة المحضة فإن لنا كتابا يعرف بكتاب فائدة الموازين وهو من جملة هذه الكتب، وقد سميها بالأفاضل لما فيه من الفوائد والبراهين على صحة الموازين ما فيه مقنع ولا فائدة فيه غير ذلك.

وينبغي أن يقرأ من يقرأ كتاب الأفاضل بعد درس كتبنا هذه كلها.

فأما من أراد علم أصول الموازين وفروعها وعلم الصنعة مجردا فعليه بكتاب النظم وكتابي الموازين وكتاب الحاصل وكتاب الحدود وكتاب العين.

وليدم درسها ليلا ونهارا على أستاذ ماهر وعلى نفسه إن كان عالما بالمنطق والهندسة وعلوم كثيرة من خواص الفلسفة، فإنه لن يحتاج معها إلى غيره.

وليضاف إلى ذلك إن أحب أن يكمل علم الميزان كتاب البغية والمنتهى، فإنهما

يميدانه في علم موازين الطلسمات وسائر العنويات.

وإن أراد علم الطب فعليه بكتاب الطب، وإن أراد علم تأثير الأجناس فالسنة

التي قد ذكرنا قبل هذه الكتب.

وإن أراد علم موازين سائر الأشياء فعليه بالشمس والقمر من هذه الكتب، وكل شيء من هذه العلوم فصلنا لك كتبه، فاعمل بما أردت منها والسلام.

وإذ قد أعطينا هذه الشرائط فلا بأس أن نذكر هنا بعد ذلك ما نحتاج إليه، وإذ قد اتضح أن المنفعة هي المقصد من هذه الكتب وأن الذي يحجبه عنك في القرب اليسير هو ذلك فيجب أن تعلم أنك إن لم تنظر لم تصل.

ووجب أن تعلم أن نظرك ينبغي أن يكون بما علمناك إياه في كتاب المنطق^(١)، فلا طريق إلى الوصول إلى هذه العلوم وحقيقتها إلا من ههنا فقط، ولا وصول إلى هذا العلم إلا من هذه الكتب أو يكون فيك ما فينا.

ولنأخذ فيما بدأنا به من صورة العناصر والجوهر، وقد تقدم لنا قبل كتابنا هذا من تعليمك في العوالم ما فيه كفاية، وذلك في الأول والثاني وما بعده وقبله.

وكلامنا في هذا الكتاب من عالم النفس إذ كنا قد استوفينا ما بعد ذلك، فإذا وضع أن النفس تشبث بالجوهر إما لشهوة كما ذكرنا أو غير ذلك وفيها قوة العقل والجهل أمكن للحاضر أن ينظر إلى الجوهر ويلمسه، إذا كان أولاً بخلاف ذلك وهو الآن شيء مرئي ذو لون، وليس كالألوان التي هي أصول بل هو لون يضرب إلى البياض ولون الشمس وهي صفرة يسيرة.

وذلك المتولد من النفس والجوهر ليس بعرض فيه بل هو ذات، وذلك أنه يزول بزوال ذات الجوهر والنفس، فقد صح ووجب أنه ليس بعرض. وقد استوفينا صورة ذي الذات والعرض في كتابنا البرهان، وهي أيضا مجودة في كتاب الميزان.

ثم إنه يصير في عالم هو غير عالم النفس والجوهر، ومن هذا العالم يكتسب العناصر بعد وصوله إلى هذا الموضع.

فهو خلاء في قول قوم، وقوم قالوا: ملاء، وهو عالم العناصر إذ كان لن يخرج

(١) أول من وضع فن المنطق أرسطاطاليس من أهل اصطخر في عهد أزدشير ابن دارا ذكره الشهرستاني في الملل والنحل، وابن الصلاح والنووي في الطبقات، والكندی وابن زولاق في تاريخ مصر وغيرهم.

منه إلا مكتسبا للعناصر، وهذا بين لمن أراد أن يفرق بين ذلك، وقد أحكمناه في كتاب البغية والمنتهى أيضا.

فإذا صار في هذا الخلاف بحسب شوق النفس إلى أحد العناصر يكون أول ما يأخذ من الطبائع أما أن تكون مشتاقة إلى الحرارة فالحرارة، أو البرودة فالبرودة، أو الرطوبة فالرطوبة، أو اليبوسة فاليبوسة.

فنسب أصل الموازين وكونها لتوقان النفس إلى العناصر، ووجب أن كل موجود ذي نفس علته فيها.

فتمثل أولا أن الجوهر المنجبل أخذ به لشوقه إلى عالم الحرارة وأخذ بقسط ما، وأخذ هذا القسط يكون على ما أصف.

تمثل أن عجينا قد نقعناه في خمر أو خل أو عسل أو غير ذلك، فهو يأخذ بقوته كلها منه.

وهذا لازم لذلك لو لم تكن النفس مختارة لما تفعله، فقد بطل أن ذلك كما حددناه في أنه يأخذ بحسب قوته إذا كانت النفس مختارة فاعلمه.

فتمثل أولا أن النفس قد كانت اختارت أولا أن تأخذ بأوفر الأقساط وهو بحسب قوتها.

ثم إنما خرجت من عالم الحرارة إلى الخلاء الذي بينه وبين عالم اليبوسة- والقول في هذا الخلاء كما تقدم وصفنا له قبل- فإن اشتاقت النفس إليه دخلت فيه، وإلا جاوزته ودخلت في عالم البرودة بعد دخولها في عالم الخلاء.

فتمثل أولا أن النفس بعد خروجها من عالم الخلاء بعد الحرارة اشتاقت فدخلت في عالم اليبوسة فأخذت أيضا بحسب قوتها. وليمثل المتعلم لذلك أن قوة الجوهر والنفس في أخذها من هذا العالم أضعف مما كانت به أولا إذ كانت القضية إنما كانت بعد الأخذ بالفضل من عالم الحرارة.

ومثال ذلك أنك أخرجت ذلك العجين من العسل أو من الشيء الذي نقعته فيه، ثم طرحته في سبازج مدقوق مطحون فأخذ منه بالقسط بعد أن جف. ثم إن تلك لا تزال تسبح من عالم إلى عالم حتى تخرج إلينا فتراها. فقد استوفينا هذه الأصول.

وقد وجب أن يكون المتركب أ حرارة أ ييوسة أ برودة أ رطوبة أ ب أ ج أ د أ و غير ذلك من أبعد الأربعة مراتب أو أقربها.

ويجوز أن يكون أ حرارة ب برودة ج ييوسة د رطوبة، ويجوز أن المتركب ب حرارة أ برودة ج رطوبة د ييوسة، أو د حرارة ب ييوسة ج برودة أ رطوبة.

ثم على ذلك من التزايد والتناقص بحسب تلك الشهوة والشوق الذي قدمناه أولاً. فهذه الشهوة هي التي ينبغي أن يقع عليها الميزان أو مقدار ما يحتمل الجوهر من كل عالم من هذه العوالم.

والأول أصل للثاني، فقد بطل إذن أن يكون الثاني، وقد أتينا على هذه العلل، فالطريق إلى علم الميزان مأخوذ من كتاب الحاصل، وأصل الحاصل مأخوذ من الميزان وإخوته مما قد قدمنا من الكتب المسماة، والمنطق كذلك، والمبين له النطق والأستاذ.

وقد حكينا وجه التعليم في كتابنا المعروف باستقص الأسر، وهو أول كتبنا المائة والاثني عشر، وإن الحاصل لما حددنا فيه ما حددناه من أصول علم الموازين على جهة الوضع والقياس والتعليم القريب.

وإذ كنا قد استوفينا ذلك في الكتب التي قبله فقد بقيت علينا في المهجاء أشياء آخر لا بد لمن عمل على كتاب الحاصل منها، وفيها ميدان للعقل واسع حتى يتحصل له، ولذلك وسمنا كتابنا هذا بكتاب ميدان العقل، فلنقل الآن في ذلك بحسب ما تدل على بقيته، إن شاء الله تعالى وحده العزيز.

إن الأشكال الأول هي أ ب ج د وهي المرتبة الأولى وهي بمنزلة ما أخذ المنجبل بأوفر شهوة وبحسب قوته.

ثم المتزلة الثانية وهي هـ و ز ح وهي دون ذلك في القوة والقدر ومثله مثل ما قد أخذ بعد الأخذ.

ثم المتزلة الثالثة وهي ط ي ك ل وهي دون ذلك أيضاً، ثم بعد ذلك م ن س ع، ثم بعد ذلك ف ص ق ر، ثم بعد ذلك ش ت ث خ، ثم بعد ذلك ذ ض ظ غ.

وينبغي أن تعلم أن قولنا أ على الحرارة كما علمناك أولاً، وقولنا ب رسمه البرودة، و ج دليل البيوسة، و د رسمه الرطوبة، وأن حكم المرتبة أن يكون أفضل هذه

المراتب والدرج دونها والدقائق دون الدرج والثواني دون الدقائق والثالث دون الثواني والروابع دون الثالث والخوامس دون الروابع.

ولأن ما نقص من هذه المراتب فلا حاجة للإنسان إلى وزنه إلا أنه شيء يخرج. وإنما نقص عن ذلك لأنه كان عاثرا بذلك العالم فأوجب قلة تشبته به، وهو علم يخرج بالحدس، وستراه في موضعه كله يخرج في الوزن بعد التحقيق الطويل البعيد. فإذا كان ليس فيه كثير فائدة فالأولى بنا أن نظرحه ونعمل على ما قدمناه من المنازل السبع التي هي المرتبة الأولى إلى الخامسة وقد فرضنا أولا أن أ مرتبة و ب مرتبة و ج مرتبة و د مرتبة، وأن أ ليست ولا في واحد من حدود ب ولا ج ولا د، وكذلك ب ليست في حدود واحد من أ ج د، وكذلك ج ليست في شيء من أ ب د، وكذلك د ليست تقال على شيء من أ ب ج، وأن أ قد تكون في ج د ولا تكون أبدا في ب إلا بالمجاورة والبعد الأبعد، وإن القول في ب كذلك إنما تكون في ج د ولا تكون في أ إلا بالمجاورة والبعد الأبعد، وإن المجاورة الموضوع والحمل وإن البعد القطر والمحيط. وينبغي أن تعلم أن الوزن إنما يكون زائدا على شرط، وهو أن الأجسام لا تزيد إلا بمشاركة أجسام وهو مثلها، وكذلك الأعراض.

ولا تزيد أجسام بأعراض ولا أعراض بأجسام، وقد قال أوقليدس في ذلك ما أغنى ودل عليه وهو قوله:

الأشياء التي بينها وبين بعض نسبة هي التي إذا ضوعفت أمكن أن تزيد بعضها على بعض.

فالموضوع إذن ينبغي أن يوضع منه بقدر ما فيه من الجسم المنجبل والمستحيل به من غيره ليخلص علم الميزان صحيحا أو بوضع الطبائع ليتضح ميزان الجسم وغيره. ولا بد لمن أراد أن يركب شيئا من ذلك ليعلم مقدار جسم الشيء المنقول المفكوك ومقدار الجسم المنقل المركب، فاعلم ذلك، فإن هذا مما أشاب النواصي.

ونقول أيضا: إن تتبعها كما عرفناك في الحاصل ستة حروف آخر لتكون مع أ سبعة وهي: هـ ط م ف ش ذ، وإن قولنا ب سابع لستة أحرف وهي: و ي ن ص ت ص، وإن ج سابع لحروف ستة وهي: ز ك س ق ث ظ، وإن د سابع أيضا لحروف

سته وهي: ح ل ع ر خ غ.

وإن أ وما بعدها من الحروف من قسم الحرارة بل قولنا على الحرارة بأسرها، وكذلك الباء وما بعدها للبرودة، وكذلك الجيم وما بعدها لليبوسة، والذال وما بعدها للرطوبة.

فإن قلنا إنه قد تكون في الشيء حرارة مراتب أو درج أو دقائق أو ثوان أو ثوالت أو روابع أو حوامس دللنا على ذلك بالحروف التي لتلك المرتبة فأغنيانا. فإذا أردنا أن نخص شيئا من جهة النسبة العددية كقولنا مرتبة وثلاث حرارة ومرتبة وربع رطوبة ومرتبة وثمان ييوسة ومرتبة وسدس برودة فينبغي أن تعلم أن المرتبة لا تتجزأ بالعدد إلا الدرج وكل ستين منها مرتبة ونسبة الدقائق من الدرج كنسبة الدرج من المراتب، وأن نسبة الثواني من الدقائق كنسبة الدقائق من الدرج، ونسبة الثوالت من الثواني كنسبة الثواني من الدقائق، وكذلك الروابع إلى الثوالت.

فإذا كان كل ستين درجة مرتبة فكل ستين دقيقة سدس عشر مرتبة، وكل ستين ثانية سدس عشر درجة، وكذلك كل ستين رابعة سدس عشر ثانية، فاعلم ذلك وقس عليه أمر النسب.

ولهذه المراتب شكل في الكتب وهو ما ينبغي أن يفهم ليحري مجرى ذلك. وهو أنك إذا رأيت ألفا مفردا ذلك على المراتب أبدا، وكذلك كل حرف تراه مفردا فإنه يدل على مرتبة إما من المراتب أو مما دونها. وإذا كان موصولا ذلك على نسبته، فلنقل كيف وجه التعلم لذلك إذ كان قد يجوز أن تغير هذه الأشكال على ما رسمناها به أولا.

فبقول: إن الشيء إذا كان فيه مرتبة حرارة كانت الألف مفردة، فإذا كانت مرتبة وثلاثا فالثلاث إما أن يكون مجتمعا أو متفرقا فرقتين أو ثلاثا أو أربعا أو أكثر من ذلك. فينبغي أن تأخذ ما اجتمع منه أولا وتنسبه، فإن كان الثلث مجتمعا نسبته بعشرين درجة.

وصورة العشرين درجة مع المرتبة أن تكون أ لقولنا مرتبة و ك لقولنا ثلاث مرتبة، فكاف تدل في الجمل على عشرين، وعشرون هي ثلاث الستين، وألف معها تدل على

أنها من قسم الحرارة.

وكذلك إن كان سدس كان ما بعد الألف باء، فالباء تدل على عشرة وهي سدس الستين.

وكذلك إن كان ثلث عشر كان بعد الألف باء، والباء تدل على اثنين واثنان ثلث عشر الستين.

وينبغي أن يفصل قسم الحرارة وأجزاؤه عن قسم العناصر الأخرى وأجزائها لئلا يشكل تصوره.

وليجعل الحرف الدال على مرتبة العنصر أجزاء في الحروف إن كان مما يجوز أن يلصق به، ولا يلصق به إلا مفردا.

وفي هذا إن لم تضبط نفسك، وإلا وقع تخليط كثير جدا، وكذلك إن كان شيء فيه درجة واحدة أو درجتان برودة أو ثلاثة ييوسة أو أربعة رطوبة - فإن ذلك موضع الخلف - أو ما شاكل ذلك فاكتب في موضع درجة حرارة مع مرتبة أو غيرها أ أ إن كان مرتبة ودرجة، أو خامسة ودرجة ذ أ.

وإنما تؤخر الألف لئلا تشبه بالمرتبة إذا كان لا فرق بين المرتبة وما دونها.

وإن شئت فاكتب عليه وقدمه أو فاحفظه، وإنما هذا كله علامات تدل على الطريق الأقرب، فافهم ذلك فهو سر عظيم خطير.

وكذلك تفعل في مرتبة ودرجتين برودة ب ب أو على أي صورة أردت، وكذلك في اليبوسة ج ج وفي الرطوبة د د، وكذلك ه ه أو غير ذلك، فالحال واحدة هذا المجرى، إن شاء الله تعالى وحده العزيز.

ومما ينبغي أن لا تغفل في علم الميزان الخواص، فإن ذلك كتمته الفلاسفة وهو شيء من علم الميزان لا غير، فاحفظه.

وذلك مثل المغناطيس الجاذب الحديد والمهارب من الخل الكرك وقشر بيض النعام في الخل أيضا، ومثل جبهة الأرنب البحري وأخذه للحم اليد إذا مر عليها وتصويره لكل لحم لاصقا كالسويق، ومثل حجر العقاب في حمل النساء وغير ذلك مما جرى هذا المجرى.

فإنه إن لم يعلم الخاصة في أنه إذا جاءت امرأة حائض إلى بستان فألقت نفسها على قفاها متجردة من ثيابها ثم رفعت رجلها نحو السماء وكان البرد يجيء على ذلك البلد بطل وقوع البرد في ذلك البستان لصنيع تلك المرأة ما وصفناه وكان صاحب علم الميزان في عداد السوق والرعاع والجهلة.

سبحان الله ما أعظم عليك مني أيها الإنسان، إن أدمت الدرس ولم تضجر وصلت والله إلى علم الأولين والآخرين وفزت -وحق سيدي- ولنقل في الأشكال من الكيفيات إذ لم نعط الشيء حقه من الطبايع من طوله وقصره وعرضه ودقته، إذ كان جائزا للمشتهى أن يكون فيما يوجب الطول ويختار القصر، وفيما يوجب الدقة فيميل إلى الغلط، وهو الذي شرحناه لك في أول هذا الكتاب.

وهذا في الحمل محال إذ كان المشتهى إذا صار إلى هذه المواضع صار مدبرا، ولكن إذا لم تبطاء ذلك أي: لم يتحصل لك من هذه الأشكال وزن عمدت إلى كفياته من الذوق والشم واللمس والصوت.

فإنه إن أحل بواحد لم يحل بالآخر، وإن أحل بالثاني لم يحل بالثالث، وإن جاوز الرابع استقر الخامس لا غير، إذ كان لا وجه له غير ذلك.

قد والله العظيم استوفينا من علم الموازين ما فيه كفاية إن فكرت. وإن أنت أغفلت ذلك فأنت في غمرة ساه كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿عَمْرَةَ سَاهُونَ﴾ [الذاريات: ١١] وإنك لمنهم. وإن علمت بما في كتابي الاستدلال والأدلة أيضا، وإلا فما أبطأ ما تحصل على شيء.

وليس في هذين الكتابين علم من الموازين لكن فيهما أدلة على أخوينا اللذين نصصنا عليهما في كتبنا كلها أو أكثرها وبدأنا بذلك في استقصى الأس في صدره. ولنقل بعد ذلك في ميزان الشيء الأعظم بأدنى دلالة ونجعله مقطع الكتاب، إن شاء الله وحده العزيز.

قد استوفينا ذلك في كتابنا المعروف بالنظم، ولولا أن كتابنا هذا يحتاج أن يكون فيه سائر الموازين لما ذكرناه ههنا بعد ذكرنا له في كتاب النظم.

ومن أحب أن يعمل بذلك فليعمل، فكلاهما صواب إذ كان ليس الخلف في

الطبائع إنما هو في الحروف والكتابة لها، والخلف أيضا في صورة الكتب التي تدل على معنى واحد، فاعلم ذلك.

فهذا كله رمز وهو من السرائر، فإن أدمت النظر في الكتب الستة التي حددناها لك أول الكتاب استخرجت ما في هذا الكتاب.

وما في كتابنا المعروف بالتراكيب مرموز على الشيء وذلك الشيء مرموز على شيء آخر.

وذلك أنا إذا قلنا مثلا «خذ رصاصا وحديدا وشبههما فإن ذلك إذا ركب حدث منه جسم غير هذه الأربعة» لعمرى وهو فاسد، ولكنه أيضا أقرب إلى الصلاح من غيره.

وكأن تكون على تدبير المركب أقدر منك على تركيب المفرد وتكون أنت النفس والجوهر وهو لك بمثلة الطبائع في أي شيء شئت صرفته فاعلم ذلك.

وكذلك القول في الشيء الأعظم، فأما اسم الشيء المركب فهو دس أحب وأرح.

وذلك أن الدس التداخل وهو بمعنى دخول الطبائع بعضها في بعض وتدسيسك لها.

أي: كأنك تركيبها حتى تأتلف، واجب إنما هو أن هذا يجيبك ولا يمتنع عليك أبدا إذا أنت وفيته ما يحتاج إليه غيبطا كان أو مدبرا، وأزح علتة حتى يجيبك، وإلا لم يجيبك فاعلم ذلك وقس بين هذه الحروف وتقسيمها وبين ما منها في النظم واستخرج الحق منها.

فوحق سيدي جعفر صلوات الله عليه ما يكون أبدا مثل كتبي هذه في العالم ولا كان قط مثلها.

فإن أنت فكرت وتركت القواطع عنك واللعب بلغت، وإلا فما يمكننا أن على ذلك لوجهين:

أحدهما: من جهة الرزق.

والثاني: من أنا ليس نحن معك في العالم، ومع أنه لا يمكننا ذلك ولو كنا معك في العالم.

والشؤم شؤم والخير بركة والبركة خير، فافحص عن معنى البركة والشؤم يصح

لك الطريق، إن شاء الله وحده العزيز، والبركة قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ﴾ [مریم: ۳۱] أي: نفاعاً.

والشؤم هو البخل، والبخل يورث النذالة، والنذالة تورث الحقد، والحقد ينتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى المناقضات، والمناقضات أصل العداوات، والعداوات تورث الحروب، والحروب تورث ذهاب العمر بالفكر والهجم والقتل، والفكر يورث ذهاب الدنيا والآخرة بقطع مواد اللذات بمكافره هذه الدنيا، وذهابها دوام العذاب آخر الأبد. وهذا كله أصله البخل والشؤم.

والأولى تجنب هذا الطريق البتة، وضد الشؤم والبخل البركة والسماحة، وهما أخوان كما ضداهما أخوان، فاعلم إن شاء الله.

وينبغي بعد ذلك أن تلتم الدرس ليلىك وفهارك لتكون الفائق الفاضل المستخرج للغوامض، وإلا كنت كما قال بليناس: «ومن لم تمس طباعة لاستماع كلامي فمن أجل الظلمة الحائلة بين الطبيعة وبين التصاعد في نور الحكمة كإحالة السحاب المظلم نور البصر النير أن يتصل بأنور الكواكب».

فإن أنت أدمت الدرس وإلا كنت كذلك، وإن أدمت الدرس لها أولاً تصب فيها وتخطئ ثم يكثر ثوابك وتعمل بها كما تريد إذا تمكنت من العلم كما قال بليناس في وصفه لكتابه: لتصيبيوا بطول دراسته علم سرائر الخليقة وصنعة الطبيعة وهو لعمري كذلك، وفقنا الله وإياك لما فزت إنه جواد كريم. تم كتاب ميدان العقل بحمد الله تعالى وعونه.

كتاب الملك

وهو الثامن من الكتب الخمسمائة

تأليف الشيخ أبي موسى جابر بن حيان الصوفي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم الرؤوف الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم أفضل التسليم.
أما بعد:

فإن هذا الكتاب خاصة من كتبنا خصصناه من التدابير بنوعين:
أحدهما: خفة العمل وسهولته؛ لأن الأعمال الخشنة لا تنشط الملوك إليها، ولا
يقدرون عليها.

والثاني: العمل الجواني الذي كان الحكماء لا يعملونه إلا للملوك، ولهذا سمينا
كتابنا هذا كتاب الملك فبين يا أخي ما نقوله في هذا الكتاب فإن الأمر فيه سهل جدا
إن فطنت وحق سيدي.

واعلم أن التدبير المملوكي هو الذي لا يصلح إلا للملوك لسهولته وقربه وسرعة
عمله وجودة صبغه فبالله يا أخي لا تحملنك سهولته على أن تفشيه وتبديه لأحد من
أقربائك وأهلك وولدك البررة فضلا عمن خالفهم فوالله - يا أخي - إنك إن خالفتني
اتندمن حيث لا تتفعلك الندامة، وما من أحد يجد الأمر العظيم سهل المأخذ قريب
المطلب إلا بذله حتى يخرج عن يده، ولذلك لا يبقى مال الميراث إلا مع العقلاء
الفضلاء المحجرين.

وإذا كان الأمر على هذا - يا أخي - فما ظنك بما لا يفنى، ولا ينفذ أبدا، ولو
تعلمه جميع البشر؛ لأن كل من تعلمه فإنه يحرص على الظن به، وكتمانه إياه عن غيره
بالطبع لا بالتكليف، وليس قول القدماء: إنا لو أبدينا هذه الصنعة لفسد العالم وعملت
كما يعمل الزجاج في الأسواق بشيء.

وذلك أن هذه الصنعة لا بد لها من الحجرين اللذين هما قاعدتها، وإذا كان لا بد
منهما فكثرا أو قلا فالحرص عليهما يحمل على المنافسة فيهما والضن بهما.
فاعلم ذلك، وإنما أرادت الحكماء أن تونس منها الجهال فلا يتعرضون لها فاحذر

يا أخي.

وإياك إن فهمت ما نذكره في هذا الكتاب من التدبير الصحيح السريع الذي هو
وحق سيدي بغير تقطير ولا تطهير، ولا حل، ولا عقد، ويخرج منه الباب الأعظم على
حقه، وصدقه، فاعلم ذلك واعمل به تصب الطريق إليه سهلا إن شاء الله تعالى.

واعلم يا أخي أن الماء إذا مزجه الصبغ والدهن وامتزجت امتزاجا تاما حتى
يحمّر الماء ويجمد ويصير كأنه حب المرجان فإذا كان كذلك وصار منتقضا في ذوبه
ومتشمعا في سرعته طائرا في الأجساد كلها فإذا كان الأمر على ما قلناه فذلك هو
الإمام.

ولنأخذ في التدبير فنقول: إن التدبير الأطول هو تدبير أصحاب الصنعة، وهو
الطريق الذي لا خطأ فيه لمن عرفه، وقد ذكرناه على جميع وجوهه القريبة والبعيدة في
السبعين وفي الكتاب المتحد بنفسه فإنه وحق سيدي من الكتب الجليلة النافعة في هذا
المعنى.

وأما الطريق الأقرب، وهو طريق الميزان في الجملة غير أن طريق الميزان وإن كان
هو الأقرب في الجملة فإنه متفاوت أيضا، وذلك أن طريق التدبير هو الأطول في الجملة
وقد تفاوت حتى صار أطوله في نيف وسبعين سنة على ما حكيناه لك في الكتاب
المعروف بتدبير الحكماء القدماء.

وفي كتابنا السبعين أيضا عند ذكرنا أطول التدابير والأقرب منه في خمسة عشر
يوما فانظر يا أخي كم بين اثنين وسبعين سنة وبين خمسة عشر يوما من التفاوت
كذلك وحق سيدي تفاوت الميزان فإن أطوله في تسعة أيام وأقصره في أقل من طرفة
العين، وإن كان لا بد من الزمان لجمع العقاقير ودقها وضم بعضها إلى بعض وسبكها
إلى أن تقبل الخمائر وتنقلب أعيانها دفعة واحدة، فاعلم ذلك ووالله - وحق سيدي -
ما ذكرت لك من هذا التدبير إلا ما عملته بيدي فخرج لي على ما وصفته لك في هذا
الزمان القريب فإياك ثم إياك إن فطنت له وظفرت به أن تعلم شمالك بما عملت يمينك
فوالله لئن لم تقبل وحملك إعجابك به وفرط سرورك برؤيته إلى المفارقة بحكماء الصنعة
أو للتحدث به لأهل المودة والخاصة والممارسة للجاحدي هذه الموهبة العظيمة لتستعجلن

مضرة لا نفع بعدها ولتجنين على نفسك يا مسكين جنابة لا تستقبلها آخر الدهر
فاقبل هذه النصيحة فقد قيل:

فإن لكل نصيح نصيحا فلا تفش سررك إلا إليك

وإذا كانت متزلة هذا التدبير هذه المتزلة فإنما نسميه تدبيرا على الأمر العامي
الشائع لا على الطريق الخاص الموازيني فحقيق أن يسمى التدبير الملوكي، وأن ترغب
فيه الملوك لخفته وسرعته وبلوغ المراد به فإنه لا يمنع من تدبير المملكة ولا يقطع عن
سياسة الجند والرعية.

ولأنه أيضا يجمع مع سرعة الكون أنه لا يخرج عنه إلا الجواني الحق الذي هو
غاية المراد من غير أن يمد بالوسائط.

وهذا أمر محال في البرهان، ولكن - يا أخي - قد شاهدناه، وما نقدر على دفع
الحس عن أنفسنا، وإن لمحتير فيه متعجب منه.

واعلم أن هذا الخارج إنما هو إكسير الأكاسير كلها وخمير الخمائر يقرب أعينها
في مثل الزمان الذي انقلب هو فيه لا في مثل الزمان الذي جمعت فيه عقاقيره وسبكت؛
لأنه إذا خرج صار أسرع ذوبا من الشمع فساعة يصيبه حمى النار يخطف البصر حركته
وغوصه في الجسد المعدلة وإضاءة الجسد به بأسرع من رجوع الطرف فوالله وحق سيدي
صلوات الله عليه ما ذكرت هذا في شيء من كتبي إلا في كتابي المفرد الذي سميته
«كتاب الموازين» وذكرت هناك ذكرا لا يصل إليه أبدا أحد، ولا يشعر به بشر، ولا
يعلم أني أرومه من وصل إليه بالتدبير وعرفه بالمشاهدة إلا في لفظة واحدة فعسى أن
يعرفه بها من شاهده ووصل إليه، وهو قولي: إلا أن يسعدك الله برؤية الإمام.

فأما من لا يصل إليه فلا سبيل له إلى علم ما أورده هناك، وقد ذكرته ههنا
وحق سيدي جعفر بن محمد الصادق عليه أفضل التحية والسلام ذكرا مصرحا
مكشوفاً بلا رمز ولا لغز، ولا تمثيل له بغيره كما جرت عادة جميع الحكماء، وعادتي
معهم في سائر كتبي، وإنما فعلت ذلك ليعلم سيدي عليه السلام أني لم أشح ولم أبخل
ولم أرمز فعساه أن يخلصني من وسخ هذا العالم.

وانظر - يا أخي - ما أعطيتك وبماذا قد مننت عليك.

واعلم أن القدماء ما ذكروه في شيء من كتبهم رأساً على هذا الوجه الذي ذكرته لك، ولا أوهموا أن إليه طريقاً بل ما سموا باسمه، ولا أجروا له ذكراً فضلاً عن أن يوهموا طريقاً إليه أو يدلوا عليه إلا أن منهم من قد وصف غيره ببعض صفاته في جملة الصفات التي لا تلتقي به كقولهم: البرق الخاطف وحادقة العين، الغالب والمغلوب. والله - وحق سيدي - لو تركتك مع عقلك في هذه الكلمات اليسيرة مع أني قد نيهتك على أن المذكور منها قد وصف غيره بصفته لما قدرت على استخراجها مع هذا الإفصاح، والتصريح أبداً إلا أن تكون قد شاهدت الأمر وعرفته عياناً فإذا مرت بك صفته عرفته.

وقد يخرج وحق سيدي لكثير من الناس بالاتفاق ويحصل في أيديهم على غاية ما يكون من الفضيلة فلا يعرفونه فيضيعونه. وقد يعرفونه بعد ما يفسدونه فيجتهدون في إعادته تانياً فلا يقدرين عليه إلى أن يموتوا بحسرتة.

وهذا وحق سيدي قد أصاب جماعة كنت أعرفهم من فضلاء من ينظر في هذا العلم، وفلاسفتهم الجلة ممن قد وصل إلى عمل الإكسير بالتدبير ومن وصل إلى أكثره. فأما الواصل إليه فكان طول عمره كالمولود الباهت الذي لا يقدر أن يصرف نفسه عن الفكرة فيما رأى، ولا يدري كيف الوجه فيه.

وأما الذي لم يصل إليه منهم فمنهم من أفسده لشدة فرحه به ثم رام أن يعيده فلم يقدر عليه فعاجلته الحسرة فمات بعد يسير ومنهم من بقي طول عمره حزينا يجرب ويعيد تلك الطريقة، ولا يخرج له مثل رؤيته.

وربما خرج له مثله في المنظر مخالفاً له في الفعل.

وهذا وحق سيدي أبداً يخرج، ولقد رأيت به عيني أكثر من ألف مرة وخروجه يكون على تفاوت في قرب الفعل وبعده ومناسبته ومباينته.

فاعلم ذلك، وابن أمرك بحسبه، وأنا أريك عمله وميزانه فاستعمل الوصية تظفر بالأمنية إن شاء الله.

قد علمت أن الموازين العظام ثلاثة على ما بيناه في كثير من كتبنا الموازنية.

فميزانان منها بسيطان وهما ميزانا الماء والنار.

وميزان مركب من هذين وهذا الشيء يخرج وحق سيدي بهما جميعا إلا أنه خطر جدا في الموضوعين كليهما إلا أنه في ميزان النار أعظم خطرا، وأنا أريك كيف عمل ذلك فيهما جميعا وأختم عند ذلك الكتاب إن شاء الله تعالى فأقول إن ميزان الماء لا خطر في أوله أصلا، وهو وحق سيدي من المعجزات، وقد ذكرته في كتاب التجميع وغيره من كتبي ذكرا لا يصل إليه وحق سيدي أحد من عالم الله.

وستعلم أنه كذلك إذا قرأته في هذا الكتاب وتعرف قدر النعمة عليك، وبعد ما بين الموضوعين وذلك أي ذكرت هناك، وفي غيره من الكتب الموازينية عمل ميزان الماء وقسمته وتعديل كفاته، وما جرى ذلك المجرى مما لا نسبة بينه، وبين ما الأمر عليه في نفسه، وذكرته ههنا على وجهه إذ كان العهد علي مأخوذا في هذه الكتب بخلاف كتبي كلها في الصدق وترك الرمز فاعرف هذا.

واعلم أن جميع ما في هذه الكتب يجري مجراه في الصدق، وعدم الرمز وذكر الشيء نفسه دون مثاله فاعلم ذلك.

واعلم يا أخي أن الماء إنما قيل له ميزان من حيث كان مظهرا لزيادة الطبايع كلها من نقصانها إظهارا بينا أصدق وحق سيدي من إظهار ميزان الصنجات لزيادة الذهب والفضة من نقصانها، وليس كذلك ميزان النار فاعرف الفرق بينهما فإنه عجيب.

ولهذه العلة احتاج ميزان الماء إلى ميزان النار، ولم يحتج ميزان النار إلى ميزان الماء بكل وجه وميزان النار قد ذكرناه أيضا في كتبنا كلها مرموزا رمزا قريبا لا كما ذكرنا ميزان الماء، وذلك؛ لأن ميزان النار صعب جدا خطر فلخطره وكثرة وقوع الخطأ من حداق هذه الصنعة فيه لم يحتج إلى رمز بعيد إذ كان لا يظفر به إلا من بلغ أقصى غايات الصنعة، ومن هذه صفته فليس يعوزه نبلة إذا رآه وأدمن عليه، واحتمل مضض الخطأ وتحرز من أمثال ما يخطئ فيه فالأسف على من هذه صورته جهل ونعوذ بالله أن نكون جهلاء.

واعلم أن ميزان النار وحده ربما خرج فيه هذا الشيء على غاية ما يكون من

الكمال، وفي أكثر الأمر فإنه لا يظهر به، وحده إلا في صورته دون فعله، فإذا جمع بين ميزان الماء وميزان النار، كان لا محالة خارجا على الأمر الأكبر إلا أن يخطئ مدبره، وكل هذا يكون في أقل من طرفة العين، فاعلم ذلك.

وقد عرفت ما أشرنا إليه من الميزان في كتاب الموازين المفرد القائم بنفسه، وما نذكره ههنا فهو بخلاف ذلك في ظاهره؛ لأنه مفتضح منكشف كما أمرنا به والغرض يا أخي فيه هو تخليص جواهر الحجر بأعيانها دون دهاناته المفسدة له المانعة كل المنع من الانتفاع به، والتي من أجلها احتيج إلى التدبير الطوال والقصار فإن جوهر الحق يا أخي إذا كان خالصا من هذه الدهانات المفسدة فهو بذاته صابغ، ولولا أنه كذلك لما أمكن بالتدبير أن يجعل صابغا هذا يقدر الإعارة والذهب النقي المضىء النوراني الممازج الغير المشتغل، وأعانك الله تعالى على ذلك ثم والحمد لله تعالى وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتاب الملك

لجابر بن حيان الصوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جابر بن حيان: الحمد لله الملك مالك الدنيا والآخرة الجواد الكريم.

اعلم أيها القارئ لشيء من هذه الكتب أنا ضمنا أن نذكر في كتابنا هذا علل الطلسمات وكيف هي، وأن ذلك هو الملك الأعظم ولذلك سميناه كتاب المنك ونحن الآن بادءون بحول الله وقوته نذكر ما يحتاج إليه في ذلك أن الطلسمات عافاك الله قاعدة العلم العظيم الناموسى، وبه كان إظهار كثير من المعجزات مما لا آخر لها وعلى حسب تمكن العالم للعامل لها يكون خلاصة من ضررها إلا أن المدبر لها في شقاء عظيم منها لما يحتاج أن يراعيه من إرصادها ومقاديرها وتشكيلاتها إلى ما يتبع ذلك من جميع أحوالها.

وأصل علم الطلسمات التقريب، وذلك أن الفلاسفة لما أرادوا استخدام العلوية صعب ذلك عليهم جدا فوق المقدار فتوصلوا إلى عمل الطلسمات لكي تنوب لهم عن عمل العلويات وإن كان اقتعاد الطلسمات إنما يكون من العلويات فاحتالوا بمثل هذه الحيل، وذلك أنهم مثلوا الشيء الذي أرادوا استخدامه بصورة ما.

ثم راصدوا أوقات تلك الأشياء التي يعطى فيها قواها فنصبوا تلك الصور عليها واستمدوا منها فصارت هذه الطلسمات والحيل كأولاد العلويات فهي تراعيها وتحفظها على طول الأبد، ومثال الطلسمات مثال الخواص تراها كثيرا من الأشياء من الحيوان والنبات والحجر مثل جبهة الأرنب البحري، وقلعه للحم الإنسان وكقطع الدم الخارج من الصدر ببقلة الحمقاء وكجريان مجرى الخل في الخل وقشور بيض النعام إلى أمثال ذلك مما لا يتغير عن حاله أبدا، ولا يبطئ ويكون ظهور فعله لوقته، ولما كانت الأفعال لجميع الأشياء لا تخلو من شيئين.

وهما: مماثلة أو مقابلة.

والمماثلة أن يعمل الشيء كالشيء مثل ما يعمل اللون مثل اللون والنار مثل النار أعني في الطبع والحد لا غير ومتى نقص عن ذلك فلا يقال مماثلة بل يقال عليه غير ذلك

من النظر والشبيه.

وأمثال هذه الأسماء التي تدل على القرب بين الشيتين والمقابلة عند الشيء، عن جميع جوانبه أعني.

في الاثنين الأولين من الأربعة؛ لأنه جائز وغير ممتنع أن يكونا في الاثنين الآخرين متفقين.

مثاله النار والماء فإن المعنى في ذاتهما متقابلة وكذلك تصوره في العقل.

وقد يجوز أن يتفقا في اللفظ والكتب كما يجوز أن يختلفا والسلام فيجب أن يعلم أن المماثلة والمقابلة في الطلسمات شكل آخر يجب أن يعلمه من ليس له به علم، وهو أن المماثلة أشد في الأشياء وكثرتها وظهورها ودوامها والزيادة منها.

مثال ذلك أن يعمل طلسمًا مماثل العقارب أو لضرب من الحيوان أو النبات أو الحجر أو الرياح أو الأمطار أو غير ذلك فإنما قصدك إذا عملته على المماثلة أن يكثر ويغزر عندك والسلام والمقابلة أيضا بالضدين وهو الإبعاد والنفي والهرب وإبطال ذلك الشيء إما من البلد أو الدار أو الصقع بأسره.

فأما البلاد كلها فعسر أو يكاد أن لا يبين.

وقد ينقسم هذا الجزء قسمين أعني النفي عن العالم كله، وذلك أن بعض هذه يكون امتدادها من العلويات وصورتها أيضا من العلويات تكون شاملة.

إما لأكثر البلاد أو لكله، وأما التي صورتها من السفليات، وامتدادها من العلويات فيعسر توسعها في أكثر من بلد وعشرة ومائة وبالعكس أيضا مما كان صورته من العلويات وامتداده من السفليات ويجب أن تعلم أن هذا الفصل علما متيقنا بنا، وذلك أن الصور ينقسم قسمين:

إما أن تكون علوية ومادتها علوية، وإما أن تكون أرضية سفلية ومادتها علوية سفلية.

وهو ينقسم كل واحد قسمين آخرين: وهو إما أن تكون علوية ومادتها سفلية، وإما أن تكون سفلية ومادتها علوية فافهم ذلك وكيف نصب الطريق.

فأما العلم بذلك فلا بد أن يكون علويا ضرورة والسلام وذلك لعلة العقل.

فالعقل أعلى شيء في العالم فلا يجوز أن يكون إلا علويا والسلام.
ويجب أن تفصل بين فعل الطلسم والخاصية فإنهما قد يشكلان ولا يفصل بينهما إلا الماهر.

وذلك أن المثال فيه هو أن تعلم ما وجدته وجدت ما من سبيله أن ينفيه أو تدنيه معه في زمان واحد بعد أن يكون ما بينهما فضاء ما فذلك الشيء هو الخاص؛ لأنه متى لأمسه فعل فعله فهو الذي يسمى الخاص ومتى وجدت فيه لوجوده.

وأسندناه بفوق العادة لوجوده فهو الشيء الطلسمي وهما، وإن كانا من الطبيعة فبعضهما قد يزيد على بعض، ومن ههنا أو جئنا أن الشيء قد يتزايد إلى المرتبة الأولى من ضده.

وذلك أن مثاله ما قد كنا علمناك ثمرته فقط في كتبنا المائة واثني عشر في الصنعة من استخراج أملاح جميع الأشياء وذلك أن الشيء قد يكون له طبيعة إما باردة أو حارة أو رطبة أو يابسة ليس في ذلك خلاف ألبة؛ لأنه لا مكون، ولا موجود إلا منها، وأنه متى أحرق أجرام ذلك الشيء، وهو بأي طبع كان من الأربعة فغير شك إنه قد بلغ من الحرارة أو دخل عليه أكثر من المرتبة الرابعة كثيرا وصار رمادا.

فأما الرماد فبارد يابس غير مدافع فقد انقلب من الحار إلى البارد وذلك ما أردنا أن نبينه، وانظر لا تشك في البارد ذلك.

وإنه علم في أن البارد يكون باردا لكن يقول: إن البارد بقي على حالته، وأخذت النار مائة من العناصر غير البارد ثم كسته البرودة واليبوسة أو قد كان يابسا فأخذت حرارته فلذلك كان باردا يابسا صعب على النار أن تحلله بالإضافة إلى ما تحلل من غيره من الطبائع فقد انقلبت الحرارة إلى البرودة وأما رد الحرارة إلى ذلك الشيء فلا شك أنه يكون بعدم البرودة.

وإذ قد ضربنا مثلا في الرماد فلنقل كيف رد الحرارة عليه فليعكس هذا المعنى، اللفظ به فإنه يكون حارا فغير شك، ووجه عكسه أن النار التي يقابلها الماء فليكتسب ذلك الرماد من الماء ما يوازي أكثر من المرتبة الرابعة فإنه يعود إلى الحرارة بسرعة كما صار باردا سريعا فإنه إن طبخ ذلك الرماد بالماء طبخا بليغا وأخذ ماء وجمد صار ملحاً

وكل ملح حار يابس فقد انقلب إلى الضد، وانظر في أن الرماد فقد بقيت منه بقية.
فالجواب أنه متى عمل بما مثل ذلك العمل صار ملحا، والملح حار يابس فإن
قيل: إما برده بطبعه الذي كان وصورته فأجبه بما علمناك في كتاب التجميع.
فلذلك ما قلنا في الطبيعيات وكيف يكون في القلقاس إذا عجن بالتمر عجننا
محكما وزرع في أي بلاد كان عنه شجر الموز فانظر في هذه الآية ما أعجب أمرها
وكيف هي لأنها بين الشيء المكون الملون وبين الخاصي والطلسمي؛ لأن مثال المكون
حدوث الحية من الشعر إذا أخذت بأسرها مع أصلها الأبيض؛ لأنه متى لم يوجد ذلك
فيها فبطل أن يكون منها شيء، كالبيضة متى تنقب بالإبرة وحضائها أتم حضان وإن
دقت الإبرة وخصبت البعرة لم يخرج منها شيء ولم يتكون فاعلم ذلك والشيء
الخاصي كهرب التنين والأسود كلها من المواضع التي تحل فيها البوم وكمساواة الضبع
ظل الكلب وسقوطه وكحمل الخنزير على الحمار موته سريعا إذا بال تحته وكجذب
المغناطيس للحديد وهربه منه إذا طلي بالزيت وكأمثال ذلك وغير ذلك مما لا يغني مما
قد جردناه في موضعه.

والشيء الطلسمي كإبطال العقارب بالصنم المتخذ من الماس والسيترج
وكإبطال البق والذباب والخرجس وجميع هذه الحشرات باتخاذ الأصنام على صورها
من الأجساد والأجسام والأرواح المخالفة لطبيعتها فافهم هذا المتن عليك فوحق سيدي
إن علم الطلسمات قد بطل منذ زمان أفلاطون ولولا أن هذا الرجل من عظام الفلاسفة
وكبارها نقلت إن هذا العلم قد حيره وأدهشه ومن قرأ في كتبه شيئا علم أنه كذلك
وحسبك بأفلاطون إذا تشكك في شيء فأثبتنا عن جميع ذلك لفلا نكون قد نقصنا في
العالم عن علم واحد فاتعب بجواشي هذه الكتب تصل إلى علم الطلسمات واستخدام
السفليات وعمل الغبائط من الأكاسير والتدابير في المدة اليسيرة وإياك أن تغفل عن أخذ
حدود جميع ما أردت إما مقابلة أو مماثلة.

وإذا قد قلنا في الصورة على طريق المقابلة فإننا نحتاج أن نقول على صورة المماثلة
وكذلك يعمل طلسم للحب وإتيان المعشوق، أو طلسم للاستكثار من الخدم والحشم
أو طلسم لقتال الأفيلة والجمال والدواب كذلك أو طلسم لمحبة الناس لك وكثرة

حضورهم لديك ومقامهم. بفنائك، وأمثال ذلك فليعمل الصورة كالصورة من طبع ذات الشيء أما في المعشوق فبالغالب على طبعه من الأربعة وما يظهر من أخلاقه ويعمل صورتها عليها.

فإن الأخلاق داخلية تحت الطبايع ويقدر عليه أحدها يكون صنعة الخلق.

والأربعة هي القيمة بناء أعني الصفراء والسوداء والدم والبلغم وكذلك في الجمال، والأفيلة وكل ذي طبع فأما الأشياء المختلفة فهو أصعب وأتعب وأشد في العمل وذلك مأخوذ من طبع الشيء الظاهر، وهو أن ينظر الشيء الذي يجب أن يبلغه أعني من البهاء والرفعة والنفع وجميع هذه الأعمال وينظر ذلك من الموسيقى إن كان من باب السرور فإنه يبين لك فأعمل التمثال بطبعه فإن صعب عليك ذلك ففكر في ذلك الذي تريد أن تبلغه وتفعله.

واعمل على أنه قد تم لك ودع الهوى فيك بقلبك ثم إذا استغرقك الفكر فيه، وعلمت أنه قد تمكن منك الهوى فخذ على سرعة محبتك وانظر إلى الأخلاط أيها الأغلب فيك فأيتها كان فاعمل التمثال عليه وقد -وحق سيدي- بينت ذلك في غير شيء من كتب الاثنين والثلاثين تعريضا، ولم نقل كيف هو كما قد ذكرنا فيها غير شيء، ولم يذكر العلم فيه كيف الوجه فيه لكن خصصناك بذلك القول إلى أن تصل إلى ههنا وسوف تصل إن شاء الله إلى ما بعد.

كما أن علم الأكاسير قد ينقسم أقساما شتى كل واحد منها فاضل، ولكن الغيبط القريب يسير التدابير أقربها كلها وستصل إليه إن شاء الله تعالى، وكذلك علم الطلسمات وغيرها من العلوم.

وعليك بالفلسفة^(١) تصل إلى ما تحب إن شاء الله، وليس -وحق سيدي -

(١) قال القنوجي: أما العلوم العقلية التي هي: طبيعية للإنسان من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليفة وتسمى هذه العلوم: علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على أربعة علوم:

الأول: علم المنطق، وهو: علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة

يعرفك موضع هذه الكتب التي فيها هذه الأشياء من كتبنا إلا التتبع لها والتعرف لموضع
البينة فإن قلت. فإنني لا أنظر ولا أبالي بما فإلى لعنه الله لا أبعد الله غيرك إذا عاينت الحق
فأنت بحمد الله جاهل والسلام.

=

وفائدته: تمييز الخطأ من الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها ليقف على
تحقيق الحق في الكائنات بمنتهاى فكره.

الثاني: العلم الطبيعي، ثم النظر بعد ذلك عندهم:

إما: في المحسوسات من الأجسام العنصرية والمكونة عنها من: المعدن والنبات والحيوان
والأجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التي تنبعث عنها الحركات وغير ذلك ويسمى
هذا الفن: بالعلم الطبيعي وهو: الثاني منها.

الثالث: العلم الإلهي. وإما: أن يكون النظر في الأمور التي وراء الطبيعة من الروحانيات
ويسمونه: العلم الإلهي وهو: الثالث منها.

والعلم الرابع:

وهو: الناظر في المقادير ويشتمل على: أربعة علوم وتسمى: التعاليم.

أولها: علم الهندسة.

وهو: النظر في المقادير على الإطلاق إما المنفصلة: من حيث كونها معدودة أو المتصلة: وهي
إما ذو بعد واحد وهو: الخط أو ذو بعدين وهو: السطح أو ذو أبعاد ثلاثة وهو: الجسم
التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض عليها إما من: حيث ذاتها أو من: حيث نسبة بعضها
إلى بعض.

وثانيها: علم الأرتماطيقي.

وهو: معرفة ما يعرض للكلم المنفصل الذي هو: العدد ويؤخذ له من الخواص والعوارض
اللاحقة.

وثالثها: علم الموسيقى.

وهو: معرفة نسب الأصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد.

وتمرته: معرفة تلاحين الغناء

ورابعها: علم الهيئة.

وهو: تعيين الأشكال للأفلاك وحصر أوضاعها وتعددتها لكل كوكب من السيارة والقيام على
معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها
واستقامتها وإقبالها وإدبارها.

فهذه: أصول العلوم الفلسفية وهي سبعة.

وقد -وحق سيدي- عرفتكم موضع هذه الكتب في هذا الفصل إن اتبعت فسوف تصل إلى ما تريد يا ليت شعري لو أفنيت عمرك كله خلف طلسم واحد أي شيء كان يكون وكيف وقد عملت لك في كتي بما يمكنك أنت، وأهل الدنيا إذا تساونا أيضا في العلم أن يستخرج غيره.

فقد استوعبنا لك الأصول والفروع بهذه القضية فيا ليت شعري لم تستطل كتي وتستكرهها، وكل علم من هذه كانت الفلاسفة من لدن الدنيا، وإلى وقتنا هذا تدفنه وتخبأه وتعميه حتى يفسر في الورق من الجلود، وأنا أعلمك العلم مكشوفًا ولكن يكون مبددا فاجمعه أنت والسلام تم كتاب الملك.

أغراض كتاب الملك

إن غرض هذا الكتاب مسألة واحدة وهي أيضا من المتن فاعلمها وأخرى اتبعها شفقة عليك.

فالمسألة الأولى قولنا على الصورة إنما يكون طبع الشيء المقصود وعمل مثله أو بضده إن كان مقابلا له.

وذلك يا أخي في المحيط إذ كل جسم مكون فإنه لا يخلو من حمل الأربعة عليه، وأن يكون ما أمكنتك للحيوان من شيتين جسم وروح أو جسد وروح وللنبات أجسام وأرواح، وإن قلت لك الروح فغير ضائر والحجران من الذائبة فجسم وروح وإن كان من غيرها فإننا ننظر فإن كان من الأرواح فروح أو من الميتة فمنها مع مساواة الطبع وبالعكس في المقابلة هذه والله فائدة عظيمة وهي السر الذي هذا الكتاب.

فأما ما فيه من الدفائن الأخر فقد أوضحناه في إخوانه من هذه الكتب والتكرير لا معنى له، والسلام.

والمسألة الثانية: هو قولنا إنا قد ذكرناه، ولم نذكره، وهو كتب الفلسفة فاعلم ذلك، وما فيه، ولم قلنا، وإذ قد أتينا على جميع ما وعدنا به فليكن هذا الفصل آخر الكتاب والله الموفق للصواب.

تم كتاب الملك وأغراضه والسلام والحمد لله وحده.

كتاب قراطس الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اهدنا برحمتك

الحمد لله وله المنة وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله هذا فسطار مصر أول من دعا له بالإمرة ثم قال: قد بلغني أن الأمير يذكر أنه بلغه أنني لم أزل متعينا بالعمل وأنني قد جمعت ما لم يجمع أحد مثله من أهل زماننا، وأذكر من ذلك أن الأمر متبعا للحكمة ومتبع كتب الحكماء كما بلغه من كتبه وجمعت فيها.

وأما مسألته إياي أن أطرفه منها ما هو أهله منها فلم يكن ليطلبها إلا منه وأنه محنة جملة أمره على ما كان من الناس إلا وجب علينا في ابتغاء مصلحته كل لطيفة فلم يرض الحكماء إلا قليلا فما هم، وإلا كثروا الوصايا أن لا يوضع عند غير أهله، ولا يظن بها على أهلها، وقد بعثت إليك بكتاب لو وقف عليه الأولون من كتبي من الحكمة لظنوا به لأن الحكماء كلهم لم يضعوا مثله، ولا بذلوا من الحكمة مثل الذي بذلوا منه فكان مضموننا به مسرورا به فما وصلت إليه الجماعة ولا أكثر الخاصة في رضى الخلفاء حتى ظهرت النصرانية.

وكان من حديثه، وأمره أنه كان يسمى كتر الكنوز وكان مصحفه من كتب كنوز الحكماء كانت تكثر لآلتهم وكان أعظم آلتهم صنما كان بالأسكندرية يدعا بهذا وكان بالأسكندرية فتى لبيب يتبع الحكماء وكان يقال له "ريسوس"، وكان من أصبح الناس وجها وأقومهم قامته وأتمهم عقلا فتلطف لجارية من خدم رأس الكهان في هيكل سرافيل يقال له: أثينة.

وكان هذا الكاهن يقال له أفسطليوس حتى استهواها وتزوجها وأظهرت له الكتب، وغيرها من أسرار الحكماء فلما بلغهم قسطنطين الكبير برومية سرقت كتب سراوندين.

وهذا الكتاب الذي بعثت به إليك معها وهربت معه فمرا جميعا حتى ظهرت النصرانية بالشام، ومصر فهذه قصته ثم لم تزل الملوك تنطب في هذا الكتاب إلى أن جاءت دولة العرب قال: وقد وصل إلي وبعثنا إليك بالمصحف، وأمرت به على غير تبديل، ولقد أردت أن أدعو له بالترجم فلبى ثم ذكرت ما هو أفصح بالرومية والعربية

في تبع الكلام، وتأليفه فتركت وأيدت بروح القدس حتى بلغته وتبلغه ثم بدأ فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد فرغت من النظر من النجوم ومساحة ارتفاع الأرض واتضاعها، واختلاف الطبائع، وعلم كل فقه، وتصاريف كل منطق أتيت هيكل سراوندين شكرا لا إله إلا الله الخلاق الله وجد في خزانة الملك كتابا واضحا لا تعمية فيه ولا غناء في الصنعة المرتفعة التي خص الله بها أهل الأحكام والرجاء لما قبلها لم يضع أنور منه، ولا أوضح من قبلي، ولا يضعه من بعدي، وعلمت علما يقينا أني نقلت كتابي ودفنته في منارة هيكل سراوندين لم يقدر عليه إلا من أذن الله له فيه، وخصه به.

فبينما أنا أصلي وأطلب إلى خالقي أن يدب عني الحية المناسبة في قلوب الآدميين، ويعينني على ما عزمت عليه من وضع كتابي إذ عرج بروحي فإذا أنا في الهواء أسلك مع الشمس والقمر، وإذا في يدي مصحف يسمى مذهب الظلمة ومنور الضوء وفيه صور سبع سموات وصورة الكوكبين المنيرين العظيمين والخمس المتحيرة تجري جريا مخالفا فيها وبدور كل سماء كتاب بنجم، وإذا رجل شيخ أجمل الرجال جالسا على منبر عليه ثياب بياض ويده لوح منير فيه كتاب، وبين يديه آية عجيبة كانت من أعجب ما رأيت فسألت عن الشيخ؟

فقبل لي: هذا هرمس المثلث بالنعمة والمصحف الذي بيده مصحف مما رأيت مملوء معاني أسراره التي كتبتها عن العباد فاحفظ ما رأيت وأدع ما تقرأ وتسمع وصف ذلك لبني طباعكم بعدك، لا تعدو ما تؤمر إذ نويت أو عزمت على إيضاح الأشياء رحمة لهم ورأفة بهم.

فكان أولا على هذه الصورة:

الأول: مدورة وحولها هكذا مكتوب وجدت نسخة أخرى فيها دوائر مكتوب حواليتها فنقلت على الحاشية ما كان مكتوبا وكانت سبع دوائر رأيت في فلك الأول.

وهكذا في الثاني والثالث إلى السابع وتحتها حروف معجمة فنقلتها.

حد الحجر الذي ليس بالحجر، ولا على طباع الحجارة، وهو حجر يولد في كل

سنة معدنه رعوس الجبال.

الحجر: وهو جزاز أجوف مدفون في الرمل، وفي حجارة الجبال كلها، والألوان والبحار والشجر، وفي النبات والمياه وما شاكلها خذه إن عرفته فاصنع منه كلسا ونفسا وجسدا وروحا، وفرق بينهما واجعل كل واحد في إنائه المعلوم المعروف ومزج الألوان كما تمزج المزوقون الأسود والأبيض والأصفر والأحمر. وكما تمزج الأطباء أخلاطهم الرطب واليابس والسخن والبارد واللين والجاسي حتى يجعلون منها الأخلاط المعتدلة الموافقة للأجساد وذلك بالوزن المعلوم الذي به يأتلف الأشياء المتعادلة وتجتمع الطبائع المتفرقة قد ضربت لكم مثلها، وأعلمت لكم على تحقيقها، وأعلنت أسرارها وأوجزت ما طواه الأولون فلا تعد صفة ما في المصحف الذي يدعا مذهب الظلمة ومنور الضوء ثم كانت هذه الصور مدورة إلى الطول.

فلما فرغت من النظر في هذه الصور ومعرفة أسرارها أكثبت على قراءة ما في المصحف الذي بيده فإذا بصفة رجلين.

أحدهما: همته الصلاح والحكمة والعافية والخير برسالة دين على حدته.

كل واحد منهما يظن أنه على الصواب من دينه.

وكان اسم أحدهما طاطا من الحكماء، وهو الرجل الصالح الروحاني.

والآخر لم يعرف اسمه فتشاجرا بينهما في قول.

فقال الروحاني: هل تستطيع أي: مني أن تعرف نفسك معرفة نافذة فإذا أنت

عرفتها حق معرفتها، وما الذي يصلحها كنت حريا أن تعرف الأسماء التي اشتقتها

الحكماء؟! فليست به أسماء الحق.

فلما قرأت هذا في ذلك الكتاب ضربت بإحدى يدي على الأخرى فقلت: يا

لهذه الأسماء المشبهة بأسماء الحق كم من خطأ وبلاء قد أدخلته على الناس.

فكان ملكا من الملكية أجابني فقال: صدقت، ذلك صنع الحكماء وما وضعت

في كتبها لأن بعضهم سمى المغنيسيا باسمه ثم وضع آخر كتابا آخر سماها بحجر

فلوذيونوس الأكبر، وآخر سماها بالأندرداموس الأكبر، وآخر سماها حرشقل، وآخر

سماها حجر ماء الحديد، وآخر سماها عزى ماء الذهب.

فليس أحد من جميع الحكماء رضي بأن يقتدي بما وضع صاحبه في الأسماء في

التدبير، وإن كان الشيء والطريق والأمر واحداً، ولكنهم اختلفوا في الأسماء فاشتق كل أمر مبلغ علمه أسماء خالف فيها أصحابه فزاد ذلك إلباساً.

وكذلك صنعوا في التدبير والألوان والأوزان فحيروا الناس بعدهم حتى شككوهم ووجد جلهم أن يكون هذا الأمر حقاً فسألته أهذا الأمر الذي أفسد على الناس، وأدخلهم في الخطأ؟

فقال لي: هذا المصحف في يدك فاقرأه تجد ما أعلمتك فقرأت عليه رسالة ماء الكبرية وأنا لا أشك بأني أعرف معنى ما أقرأ فقلت له: أترى هذا واضح؟ فقال: معاذ الله بل قد أصابوا ما وضعوا، ولم يقولوا إلا حقاً ولكنهم سموا أسماء ضارِعوا بها الحق فمنهم من سماها بطعمها وطبائعها ومنافعها، وترك ما وراء ذلك.

واعلم يا قراطس السماوي أنه ليس أحد من الحكماء إلا قد أجهد نفسه ليظهر الحق لكن شدة ما رآته إظهار هذا الأمر للجهلة أدخله في الإكثار حتى قال: ما ينبغي، وما لا ينبغي فلذلك صارت كتبهم في أيدي الجهلة لعباً يتضحكون بها ويلقونها سامة وملاة وغما وخفا عن معرفة الحق.

فقلت كيف لا يضجر من قرأ هذه الكتب والمصاحف وهو يجد أسماء متشابهة في القول مختلفة في العمل فيتحير منها حين لا يدري أيها أقصد، وأيها أصوب لحاجته. قال: سأحريك من أين جاء الخطأ والسامة والملاة: يا بني لأن الناس إنما هما رجلان فرجل همته الحكمة وطلب العلم وتعليم معرفة الطبائع، وتأليفها ومنافعها ومضارها وليست همته إلا الكتب والبحث عنها وإعمال رأيه ونفسه وبدنه في تعليمها فما صح له منها حمد الله، وأثنى عليه وما أشكل عليه طلب علمه ورغب فيه، وأدرك همته وقضا بمتمته.

وأما الرجل الآخر فهمته بطنه لا يلوي في دنيا، ولا آخرة. وما لا يزيد إلا عمى وجهالة بالكتب وحقاً لذلك أن يثقل ويزاد عليه ثقلاً فقلت: صدقت، وأصبت وقلت: فإن رأيت أن تأذن لي فأعرض ما أردت أن أصنع من هذه الصنعة المكرمة لمن بعدى فأفعل.

قال: هات فعرضت عليه ذلك فتبسم، وقال: ما أحسن ما نويت، ولكن نفسك

لم توافقك على إيضاح الحق مع إكثار القول، وما في الكبرى المسكينة فقلت له: فمرني بأمر أنتهي إليه.

فقال: اكتب خذ النحاس والذي يشبه النحاس منين طرين غير مدبرين وخذ الزاووق، والذي يشبه الزاووق أبيضين أيضا طرين غير مدبرين فلا ينسب ذلك لمن بعدك أهما أرواح إذا لم تسمها بأسمائها.

فإذا قرأها الإنسان الضعيف الذي لا فطنة له أخذ أرواحا ضعيفة ليس لها صبر على النار، ولا قوة فيها فإذا دبروها أكلتها النار فصارت شيئا لا يضع فيه ويزيده ذلك عمى مع عماية؛ لأنه ينبغي له أن يقتدي ما قال القدماء: اجعل الأجساد لا أجساد.

واعلم أن للنحاس نفس وروح وجسد كالإنسان، ولا تضع في كتابك أيضا كباريت يابسة وزرانيخ، وما شاكلها فإنه كلها لا خير فيها، وأنت تعلم ذلك؛ لأن النار تأكلها وتحرقها، وأنه لا نفع فيها فأما كبريتنا التي ينبغي أن تضعها في كتابك فهي كبريتة لا تحترق ولا تقدر النار على أكلها، ولكنها يأتق من النار فلذلك زعم الأولون. وقال الأبايق: الروح الصابغ مع الدخان.

وله أيضا أن الماء المركب لا يتم إلا بشبهة من الخلط هذا كله على لفظ الكتاب، وأن تلك الأرواح الصابغة إن أبقت من شدة النار عند تبيض الأجساد فينبغي أن يزداد عليها من تلك الأرواح الصابغة مثل الذي أبق منها فإن ذلك سيحييها بإذن الله، ويصلحها ويردها إلى أفضل حالها التي تطلب منها فبهت منها تعجبا فأعاد علي قوله فقال: اكتب كتابك على ما أخبرتك به.

واعلم أي معك وغير مفارقك حتى أتم الذي نويت فيه الثواب من الله عز وجل ثم قال: اعلم أن التركيب إنما يكون من الأجساد التي توافق بعضها بعضا في الألوان والطعم ثم تداب حتى تختلط وتصير ماء مختلطا واحدا واسمه حينئذ ماء كبرية نقي لا شرفيه فهذا السر الظاهر.

ومن هذا تكون الكبرى اليابسة التي تسميها الحكماء صدى وحمير الذهب، وذهب بسل، وذهب فرفير، وإنما يكون ذلك عند اختلاطهم وكونها شيئا واحدا فعند ذلك يسمى خيرا كثير الأسماء فاكتب هذه الأشياء حتى تبلغ آبار نحاس الذي فيه السر

كله مع أي أرى لك أن لا تكتب هذه التراكيب الكثيرة في شيء من كتابك لمن بعدك؛ لأن العمل كله، إنما هو في آبار نحاس فلما فهمني هذا من قوله غاب عني فرجعت إلى نفسي وصرت كالمستيقظ من نومه متفجعاً رصينا قد غلبني شدة أمرين:

أحدهما: دفعه إياي عن وضع كتابي على ما كنت عزمته عليه.

والآخر: أنه لم يتم قوله حتى تواري عني.

ثم سألت خالد الخالدين أن يؤيدني بذلك الملك حتى أفرغ من هذا إذ حال بيني وبين إيضاح الأشياء، وأطلب الصيام والصلاة والنصب حتى ظهر لي أيضا فقال: كنت أعلم أنا إذا ذكرنا ورق الناضة أنا لا نريد إلا ورقنا وذهبنا، فإذا اختلطت الأشياء في الإناء وبيضت فإننا نسميها عند ذلك ورقا وإذا احمارت سمينها ذهبا، وإذا زيد فيها كبرية ودبرت نسميها حينئذ خمير الذهب.

وما شاكل هذه الأسماء.

واكتب خد المعادن بأوزانها واخلطها بالزاووق ودبرها حتى تصير سما ناريا، وهذا الذي نسميه آبار النحاس فإذا احترقت الأجساد، وثبتت سميها كبرية يابسة، وعند ذلك يصير الذهب صدق ويصبغ الورق ذهبا، ولسنا نعني ورق العامة، ولكن ورق تركيب الحكماء الذي سميناه ورقا فإذا أعدنا عليه بقية السم صبغ الذهب وليس بذهب العامة، ولكن تركيبنا الذي احمار فسميناه ذهبا، وأن أخبرك بالأوزان في المستأنف.

فأما الأجساد فإنه ليس شيء منها إلا له ظل وسواد، وإنما علاها ذلك من المعادن التي كانت فيها.

واعلم أن للزاووق سواد، وظل كما للأجساد سواد وظل فينبغي أن يخرج سواده وظله كما أخرج ظل الأجساد وسوادها.

فسألته كيف لنا بإخراج ظل الزاووق؟ فقال: إذا اختلطت بالأجساد ابيض فقلت له: وكيف ذلك، وقد ذكرت الحكماء الزاووق شيء وحده يبيض النحاس؟ فقال: إنما ينبغي أن يقولون إن الزاووق يبيض؛ لأن الأجساد قوية على النار لا تأبق منها، ولكن يخرج زاووق يأبق من النار فإذا خرج من النار أبقى فأسلم تلك الأجساد في النار فإذا أعيد إليها واختلط بها صار صديقا؛ لأنه أقام معها.

وإن الأرواح إذا أصابها وهج النار أبقّت من أجسادها فصارت تلك الأجساد ممتة لا أرواح فيها قد أبقّت منها فإذا ردت الأرواح إلى الأجساد صارت حية فلذلك قال الأولون للنحاس جسد، ونفس مع أن من الناس من عمد إلى الروح فدبرها ليصيرها جسدا قويا صابغا مقاتلا للنار فعجب لهؤلاء القوم الولا صاحبه حين أرادوا أن يصيروا الأرواح أجسادا بغير أجساد ولم ير أحد من البرية نفسا تثبت إلا في جسد، ولا لجسد قواما إلا بنفس؛ لأن الجسد من غير روح لا يتحرك، ولا يفرح، ولا يتزوج.

واعلم علما يقينا أن الأجساد كلها وسخا وأن وسخ تلك الأجساد الثلاثة لا يخرج حتى يختلط معها للأبق فيغسل بالنار فيذهب سوادها، وأن النار إذا أحسن تقدير وقودها أحسنت غسل الأجساد، وتنقيتها؛ لأنه هو الذي يغسلها وينقيها ويطيّبها ويعذبها ويبيضها ويحمرها، ولكنه ينبغي أن نبين كم من مرة يعاد الزاوق في الأجساد. فقلت له: فقل دام صلاحك.

فقال: إن القدماء قالوا: إن الرصاص بالكبرية فهذه التشوية الأولى.

وقال: شوه مع الزاوق فهذه التشوية الثانية.

وقالوا: أردد الصفائح في المرق ليخرج وسخها فهذه الثلاثة.

وقالوا: اسحق الزئبق فهذه الرابعة، وقالوا: اسحقوا بالعسل والحلا فهذه

الخامسة، وقال: اسحقوا المرتك بالعسل فهذه السادسة، وقالوا: اسحق عزي الذهب

بيول العجل فهذه السابعة قال: وأنا أرى أن تردد الأجساد في المرق فإن زادها دخول

المرق فيها ومكثها فيه جودة وارتفاع صبغ.

فينبغي أن تطلب الخير حيث كان فقد أوضحت ما كنت أنتخوف أن لا يدركه

فهم أحد، ولا معرفته، ولا فطنته.

وأما ما وضع الأولون من الأسماء التي سموها من نحاس أو ورق أو لحمة أو آبار

نحاس أو ذهب أو زهر ذهب أو ذهب فرفر فأما هذه كلها أسماء ابتدعوها الأولون

للإكسير فسموا كل لون ظهر لهم من الإكسير في درجته باسم من هذه الأسماء حتى

انتهوا إلى آخره مع أنه كان زيد في المخلط من الرطوبة نفس لونه.

وكلما تغير لونه غيروا اسمه وزاد في صبغه فلذلك تسمى أوابد.

كتب الحكماء رصاصا فإذا طبخ وأخرج سواده سمي ورقا فإذا صدى سمي نحاسا، وإذا صبت عليه الرطوبة بعد التصدية وبعد خروج السواد عن تلك التصدية وظهور الصفرة فاسمه حينئذ ذهب.

وإذا أعيدت عليه رابعة سميناه خمير الذهب وإذا أعيدت عليه خامسة سمي ذهب لسد، وإذا أعيدت عليه سادسة تسمى ذهب فرفر، وإذا أعيدت عليه السابعة تسمى تاما نافذا صابغا.

قال: فهذه الأسماء كلها إنما تكون بالنار ملاكها وبها تدبر فهذه الطبائع التي لا أرفع منها في الأصباغ ولا أقوى وكل شيء سواها فيه ضلالة.

ولو علم الناس قوة خير الطبيعة لعلموا أن الشيء الواحد فعلت العشرة الأسماء التي وصفها الأولون فقلت: فبين لي هذا الشيء الواحد الذي فعلت العشر. قال: افعل. اعلم أن العشرة التي تقهر هي العشرة أسماء التي وصفها دومقراط ووضع لكل واحد منها تدابيرا.

وأما الواحد الذي يغلبها فقد أبت الحكماء أن تسميه باسمه ولو سموه لم ينتفع به؛ لأنهم لم يبينوا أمر كـب هو أم بسيط؟!

فمن يريد أن ينفع من طباعه من بعده فليبين تركيبه كيف ركب، ولم سمي بعد التركيب باسم واحد كما سمي الألبان باسم واحد، وفيه الأربع طبائع التي بها قوام جسده ونفسه، وقد سمي باسم واحد وطبيعة واحدة.

وعلى هذا فعلت الحكماء، وذلك أنهم خلطوا أشياءهم فركبوها فلما اختلطت، وصارت شيئا واحدا سموها باسم واحد وزعمت أنهم تحالفوا أن لا يوضحوا هذا السر لأحد إلا من كان منهم.

فقلت: وإن كانوا تحالفوا أن لا يبينوا ذلك فلم يلوموا الناس على سوء الفهم والتقصير في إصابة هذا العلم، وعلى دخولهم في طلب هذا الأمر على غير معرفة به.

فقال: ألم أخبرك أن معلم دومقراط لم يعلمه تركيب الأشياء، وتركه فيها متحيرا، وأنه لم يزل يقرأ الكتب ويفحص عنها ويكثر التجارب والاختبار والابتلاء للعمل حتى أصاب الطريق المستقيم، وأنه فيما وصفه لم يصبه شيء قط كان أشد عليه

من المزاج حتى اختلطت الأشياء فقال له دع عنك فصنعه أو شيء وجد في صفة المطلوب واقتصر في قولك واطرح عنك الإكثار والإطناب فيما لا منفعة فيه.

فقال بيض العمل من ظاهر النحاس، وكذلك تبيض داخله، وكما تصدى ظاهره كذلك تصدى باطنه، وكما يأتي أمر ظاهره فكذلك تأبق من باطنه فقلت فإن كان تأبق من داخله وباطنه، وأنا أدريه على أن ينور الأشياء ويوضحها إذ حال بيني وبين ما كنت عزمت عليه من ذلك ما عسى أن ينتفع من طالبه.

فقال: إنما أعلمتك أنه يبيض ويصدي ثم يأبق بعد التبيض والتصدي فينبغي أن تعلم أن الطالب كله إنما هو يصدي المركب ثم يأبق؛ لأن الحاجة ليس إلا في التصدي. فإذا أدركت فهي أول الجرم صبغ الأبق؛ لأن المركب هو مركبان اثنان كل واحد منهما مركب مثل الرجل والمرأة مركبة فإذا اجتمعا وتزاوجا أخرج الله من بينهما ولدا وذلك للشهوة التي جعل الله بينهما فلزم بعضها وفرح بعضهم بلقاء بعض فهذا علم الواحد وتبيناه فقلت له: قد أوضحت لعمرى الواحد وبينته حتى زعمت أنه سمي بالواحد، وهو من أشياء شتى، وأنه مركب، وأنه كلما دبر انقلب من لون إلى لون؛ لأن الرصاص ليست له قوة المرتك، ولا يعمل بعمل المرتك، ويقوى المرتك على أن يعمل عمل الأسفيداج ولا يقوى الأسفيداج أن يعمل عمل السيلقون فإن هذه الأربعة أشياء، وإن كان أصلها من شيء واحد من الآبار، وأنه ليس منها من لون إلا وله طبيعة على حدة، وقوة على حدتها، ولطافة قد أفادته من النار فمن كان من أهل الذكاء وإصابة الرأي فهو يعرف معنى قولي معرفة نافذة فأما الجهلة فيكذبون به؛ لأنهم لم يبلغ فهمهم معرفة ما وضعنا فجحذوا الحق وزعموا أن الدودة لا تكون حية، وأن الحية لا تكون تيننا.

وقد علمت أن دابة الحكماء التي دبروها من الأشياء شيء يكون دودة ويكون حية، ويكون تيننا، وذلك لأنه يكون في أول التدبير أبيض كالورق صلب كالذهب ومرة أحمر كالسيلقون، وأسود كالظلمة فعجبا لمن يكذب أثره مدعان تكتب في كتابك هذا أوري شبيه بكتاب الأولين في التعمية والبعد كيف لا يذهب إلى هؤلاء الذين يعملون من الرصاص المرتك، والأسفيداج والسيرقون فيعرفون تحقيق قولنا؛ لأنهم

عملوا من شيء واحد ألوانا شتى فصارت لها أسماء مختلفة وهي من شيء واحد وكذلك تبيننا كلما زيد في تلك حدث له لونا فسميناه باسم واحد حتى ننتهي إلى آخر أسمائه التي يسمى بها حين تخلط، وهي أول ولادته يسمى آبار نحاس وجسد مغنيسيا ثم يسمى بعد ذلك آبار ورثما سمي آبار أسود، وأيضا آبار البيض فهذا الواحدة هو الآبار الذي قال الأولون: إنه يغلب العشرة، وهو من ذلك الأصل الواحد المركب الذي سميناه آبار فقلت من قولك: إنها الروح الصالح ما ينبغي أن يستخرج من ذلك الآبار ألوانا أم أشياء.

فقال: ينبغي أن تستخرج منه أشياء، وألوانا تسمى الأولون بأسماء الأشياء، وذلك أنا نسمي قنبار، وليس بقنبار، وأشباهه من الأسماء العشرة التي أعلمتك أن الواحد يغلبها ليست بعشرة إلا في الأسماء، وذلك أن تلك العشرة كلما أفادت لونا اشتققنا له اسما.

وأما أصلها واحد، وهو الآبار الذي أعلمتك من أشياء شتى خلطت وزوجت فأمسك بعضها بعضا وصارت شيئا واحدا؛ لأن الطبيعة أخذت شبهها العدو ظفرت بعدو ردة قويا غير آبق فأمسك وأمسك فهذا الشيء الواحد الذي ذكرت أمره قد فرقته للحكماء في تدابير كثيرة وألوان كثيرة لم تتفق مع ذلك في الأشياء ولا في الألوان، ولا في التدابير؛ لأن منهم من سماه بأسماء الأجساد الشداد ومنهم من سماه بأسماء المياه كلها فقد ألقيت عنك مروته ما كنت عزمت عليه من إيضاح هذا الأمر، ولخصت ما لبسوا وأصرفت من سر هذا الكتاب بعون الله من الاستعمال لما تحيروا بفحص عن طلب ما وضعوا ييسير من القول أن يفهموا.

فقلت له: فبين أمر من هذا الواحد الذي سميت رصاصا وماء وهو ماء مركب فيه، ولم سمي واحد بعد التركيب، وأتمم إحسانك إن رفعتني عنه، وأحببت الإقرار بالخبر وحسن الثناء عليك من الغامرين، ومن عليهم من الله عليك بالخبر فأوضح فقال: إن في ذلك الرصاص الطبائع الأربع التي تشبه الدنيا وفيها السر المطلوب المتهالك عليه الناس، وهذه الأربع الطبائع فيها الألوان مختلفة منها بيض، ومنها حمر ومنها صيت، وبعضها طبائع يغلب بعضها بعضا فإذا اختلطت وصارت شيئا واحدا أبيض يعلوه سواد ويسجن في جوف ذلك الأبيض الذي قد علاه شيء من سواد هذه الألوان سميناه

رصاصا أبيض وزجاجا أسود.

واعلم علما يقينا مع علمك ويقينك أن الأولين لم يسموا شمسا وقد دخلت في تركيبهم، ولأن هذه، وإن كانت الزهرة لا تصبغ حتى تصبغ فإذا صبغت، ولا شمس خلا الأخذ دخل في مركبهم، وهو الذي ينشد أصحابه، ويمسكهم، وأن لونه يظهر على ألوانه، ولا يسموا الكاتب إلا وقد دخل في تركيبهم والكاتب هو أن قبض كل شيء وهو الذي يحيي الأجساد، ويظهر الألوان، وأنا أمر من أحب من ثقاتي، وإخواني وأهل خاصتي أن يقنعوا بهذا الكتاب أنه لم تجتزئ علي ما لخص لك واحد من الأولين فبيننا أنا أكلمه، وأسأله أن يزيدني في كتابي هذا تلخيصا وتبيينا إذ غلبتني عيني بعد غيوبة الشمس فرأيت فيما يرى النائم أنني في سماء أخرى وفلك آخر، ولكن أريد محراب أفلطس وهو من ألوان النار فلما دخلت المحراب من بابه الشرقي فرأيت في السموات آنية كثيرة من ذهب لم أر سجدها أحد إلا صنم الزهرة وهو الصنم الذي كانوا يصلون له في ذلك المحراب فقلت: من هذا الذي عمل هذه الآنية فقال الصنم عمله رصاص نحاس الحكيم.

واعلم يا قراطس المرء الكثير الشهوات أنه ليس علي جناح ولا إثم إن أعلمتك أن رصاص تميمس الحكيم عمل ذلك الآنية أكثر ما ذكرت فقال: نعم اكنمه إن الحكماء قد كتمته جهدها، وإن كنت قد أبديت إليك؛ لأنه بارد جدا فإن الأجساد تستحيي فيها لتقاتل عنها النار وبه تجمد الأجساد وتتسبك فقلت لفلك الزهرة: إني أحمد خالقك فهذه الطبيعة المفردة تحيي الأجساد في حوز حدها، وتقاتل النار عنها أهي الصمغة.

قالت لي: نعم، هي الصمغة، وليست بصمغة العامة، ولكنها صمغة تركية قاتلة فقلت للزهرة، وأنا أريد أن أفصحها لمن بعدي عن هذا السر كيف تقولين هذا في الرصاص والكتب كلها تأمرنا أن نصيرها دخانا فقالت: أما فهمت قول ديمقراط إذا أمر في كتابه أن رجاء ما يطلب ولولا هذا لكان ما قال: إن الرصاص نسبه، وامتنحه بالمرق فلا تكذبه.

ثم قالت: إن أردت أن أزيدك في قولي فاخرج من باب القبلة الذي دخلت فيه،

وادخل بيتي فخرجت من باب القبلة فلقيت نسوة ذات عدد بعضهن يدخلن في بيت الزهرة، وبعضهن يخرجن منه وفيهن من يشتري حلي النساء، ومنهن من يبيع ومنهن من يصوغ الحلي فكأني أرى أي في مجمع سوق كثير أهله فأنا أعجب لكثرة ذلك الحلي الذي يباع ويشتري وكان أكثر ذلك الحلي جباير ألوانا فرفر خلط تقدم مركب فيه الحجارة بأعمال فلما حكمت ورأيت مع ذلك الحلي حقاك النساء مختلف ألوانها مركبة بالذهب والحجارة وخواتيم كثيرة مركبة بالحجارة واللؤلؤ فلما رأيت هذا كله توجهت إلى بيت الزهرة فدخلته فإذا محل فلكه قطع الصفة عنه.

وإذا الزهرة في وسط المحراب بجمال لا يوصف وعليها كثير من الحلي لم تر عيني مثله وعلى رأسها إكليل من در أبيض وفي يديها رزينة فبقي ينبعث من فم ذلك الرزينة ماء ورق فأدمت النظر وأدمت القلب لتعجبي ما أرى فإذا عن يمين الزهرة كاهن الهند يسارها في أذنها فسألت في السر من هذا الساري الزهرة؟

فقال: هذا إن وزيرها الذي يريد أن يشاركها في عيد فرحها فدنوت منه لأفهم بعض ما يسار به الزهرة فالتفت إلي قاطبا بين عينيه باسرا في وجهي فأهوى إلي أن اجمع من هذا المحراب وقال لا وحق الزهرة لا أدعك تكتب ما قد رأيت في هذا المحراب فلما هممت بذلك شغلني رجال من الهند ليس منهم أحد إلا قد هيا لي نشابة يريد أن يرميني بها ثم دنا إلي بعضهم فدفعني دفعة فأخرجني من المحراب من هذه الصفة إذ نويت إظهار ما كتبتنا وتسلط علي فضربني أبرح الضرب كأنه في ألم ضربه استيقظت فرعا في خبري من ألم ضربه.

وأنا رصين القلب من همه ووجعه فغلبتني عيني أيضا من شدة الغم فنمت فكان لقيني ما كنت هاربا منه خائفا له واجه اللحي ويجب ويلزم وهي شبيهة بالزهرة في حسنها وأصدقائها يسمونها الزهرة وباسم الزهرة.

وليس ذلك باسمها الحق ولكن لحب الزهرة إياها سموها باسمها ذلك، وتلك التي تسمى باسم الزهرة في طبيعتها رجراجة وبها يجمع الله بين الخير والخيرة.

قال: وزعموا أن الجسد الذي خرج منه ذلك الحلي الذي رأيت به يعذب وبه يمسا وفيه يعفن وأنه يصل إلى ذلك الجسد من الرطوبة واليبس دواب من العذاب فيبينما

أنا كذلك إذ سطعت لي رائحة لا أدري من أين أجدها إذ فجأتني امرأة مسرورة قد غلبها الضحك قراطيس احلف لي بحق الزهرة إن أنا أنباتك من أين تأتيك هذه الرائحة الطيبة لتكتمه فقلت لها: نعم، وحق الضربة التي ضربتني الزهرة لأنكمن عنك فحلت من حقوها زنار من ذهب فيه حجران أحدهما أبيض، والآخر أحمر مكتوب في ذلك الحجرين كبريتين وليس بكبريتين.

فقلت لي: خذ هذا الزنار وسقه من الشراب حتى يعيش ويخرج من طبيعته ورائحته التي تجدها تخرج من هذا الزنار فهذا لمن عقل، وفهم فاستيقظت، وأنا في مكاني ذلك من السماء وإذا الملك الذي وعدني أن لا يفارقني حتى أتم هذا الباب وتبينه وإيضاحه، فقال لي: ارجع إلى ما كنت فيه، واكمل ما نويت من تلخيص كتابك وتفسير أعاريص الأولين وأوابدكم.

فقلت له: قل فقال: إن التركيب الأبيض هو جسد المغنيسيا هو من أشياء متراوبة كان قد صار مركبنا واحدا وسببا واحدا وسمي باسم واحد وهو أيضا الذي تسمى الأولون آبار نحاس فإذا دبر سمي بال عشرة أسماء التي اشتقت له من ألوانه التي تظهر فيه في التدبير في جسد المغنيسيا الذي أخذ فيه الزاووق الأربعة أجساد وهو الزاووق والأرض البلجية والأرض المصقولة بالأجساد الأربعة، وبزاق القمر.

ولكن سبك فصار جسد مغنيسيا فينبغي أن يقلب الرصاص أسود فيظهر عند ذلك الألوان العشرة من الألوان غير أنا لسنا نعني بجميع ما وضعنا من الأسماء إلا الآبار نحاس لأنه هو صابغ كل جسد من الأجساد التي دخلت في التركيب والتركيب كله تركيبان أحدهما رطب والآخر يابس فإذا طبخنا صارا واحدا فسمي خير كثير الأسماء وإذا احمر سمي زهر ذهب وحمير ذهب كثر وسمي سيريكون وكبريت حمراء وزرنيخ أحمر.

فأما ما دام بنا فإنه يسمى آبار نحاس وسبيكة وصفيحة.

وقد أظهرت أسماءه النية وأسماءه المطبوخة، وفرقت لك ما بينهما بقدر ما عمل من إظهار ذلك.

ينبغي الآن أيضا أن أبين مقادير النار وعدد أيامها واختلاف النار في الزيادة

للقود في كل درجة لعل يغلب من أكرم بهذا الباب وخص به المسكنة التي لا دواء لها إلا هذه الصنعة الرفيعة فمراتب النار كثيرة نار يسارة ورماد وجمر ولهب دان ولهب وسط ولهب شديد.

وأما ما بين هذه المقادير من مراتب النار فالتجربة دليمة تجليها.

وأما الأيام فإن آبار نحاس الذي فيه السر كله فإنه يكون في يوم أو بعض يوم، وسأذكر الأيام الذي يكون فيها تمام السم، والإكسير في المستأنف في موضعها. فاعلم علما يقينا أنه إن جعل في التركيب ذهب خالص خرج الصبغ أحمر خالصا.

وأنه إن جعل ذهب أبيض خرج الصبغ واضحا أيضا فلذلك يوجد في كنوز الحكماء الذهب المرتفع والذهب الواضح، وذلك لتفاضل ما أدخلوا في تركيبهم مع أن الطبائع إذا اختلطت وصارت آبار نحاس خرجت في طبائعها الأولى وصارت طبيعة واحدة وجنسا واحدا.

فإذا صار كذلك جعل في إناء من زجاج لينظر إلى الماء كيف يشربه المركب ولينظر إلى اختلاف ألوان المركب في كل درجة حتى يأتي لونه إلى الحمرة الكريمة فهذا في الإكسير.

قال: فأما ما قالت الحكماء أجبل فإن قالوه مرارا وإنما ينبغي أن يكون ذلك مرة واحدة فإذا أردت أن تفرق صدق ذلك المماري فلتنظر كيف قال دومقراط.

فإنه قد بدأ بقوله من أسفل إلى فوق ورجع فأخذ من فوق إلى أسفل إذ قال: اجعل الحديد والرصاص والآبار من أجل النحاس، ونحاس من أجل الورق وورقا ونحاسا ورصاصا وحديدا فقد بين بقوله هذا وإنما قال: يجعل مرة واحدة فلا يشك أن الذهب لا يصل إلا الآبار والنحاس وينقع في الخل المعروف عند الحكماء حتى يصير كله صدى فهذا الصدا الذي عنت الحكماء يجعلها إذ قالت اجعل ذهبيا فيكون لينا، واجعل ذهبيا بعيدا فيكون ذهب فرفر.

وهذه كلها هي أسماء الأجساد بأعيانها وإنما ينبغي أن يجعل فيه الخل؛ لأنه هو الذي يأتي بهذه الألوان منه.

وأما ما ذكرت الحكماء من ذوات الأسماء فإنما عنوا به الأجساد الشداد والمرق، وإنما يجعل مرة حتى يكون صدى فإذا كان صدى فجعل عليه الخل، فأظهر تلك الألوان التي ذكرت آنفا غير أنه ينبغي أن يسمى واحدا.

وإن يعفن يوما فيذهب ماؤه ويجف ثم يسقى ويجعل في إنائه ثم يطبخ حتى تجيء منفعته فيكون أول درجة كالمغرة الصفراء والثانية كالمغرة الحمراء، والثالثة كالزعفران اليبس المدقوق فيجعل على ورق العامة.

وقد يدخل المركب الرطب واليبس ويكون روحا.

فأما الأجساد فليست تدخل في الأجساد ولا تقدر على أن تصبغها، ولكن الذي يصبغها هو السم الناري الهوائي المسجن في الأجساد، وهو الذي يسر بدخوله في الجسد.

فأما الأجساد فإنها غليظة لا تقدر على أن تنفذ ولا تسجن في جسد، ولذلك لا يزيد الصبغ في وزن الجسد شيئا؛ لأنه إنما يصبغه روح لا وزن له فمن الناس من إذا ألقى السم على القمر تركه ساعة وبعضهم ساعتين وبعضهم ثلاثا وبعضهم أربعاً فإنما يترك السم كل امرئ على قدر معرفته بقوته حتى يتداخل السم في الورق فيصبغه وينسفه الورق فهذا الصبغ الذي سمي ولادة وحياة وصبغا، وذلك أن السم إذا تشبث بالروح الصابغ الذي هو الصل صار روحا من الأجساد المركبة التي كانت معه فلما دخلت في جسد الورق الحي عاشت بظهور لونها لناظرها فلذلك وضعت السبعة أحرف وبيئت أن فيها خمسة أحرف منه لا أصوات لها فلما دخلت في الجسد أحيتة، وعاشت حين صبغته مع أنها ربما تفاضل الصبغ في الألوان والجودة.

وإنما يكون ذلك من حسن التدبير وإدامة السخن والطبخ وكثرة الغسل فيها قد أعلنت علم السم، وكيف يدبر، وكيف يصبغ ويركب ويركب الناظر في هذا الكتاب كأنه فيه برأي العين إن فهم وأوضحت أشياء سمتها الحكماء لتبلس بها على العامة.

فقلت -وأنا أجاوله على تفسير حل ما وصفت الحكماء من أوابدنهم-: ليعرف فضل كتابي على جميع الكتب إذ متعني مصرع الأشياء وتبائها، وما قالت الحكماء إن الأجساد بالأجساد يصبغ.

قال الصدى: إنما يكون من الكباريت فقال: بين ذلك؛ لأن التركيب كله يصير
إثاليا رطبا، وإثاليا يابسا فأما الأثالي الرطب واختلاط النحاس بالنحاس والزروق
بالأجساد والأثالي اليابس وطبخها الآن حتى يجف ويذهب الرطوبة وينتقل من البياض
إلى الحمرة فهذا الذي سمته الحكماء زاووقا وكبرية فكيف يكون الصبغ ثابتا مقاتلا
للنار، وقد سمته الحكماء أبقا هوائيا فقال ذلك إن الأجساد الثابتة تسبكت بالأوابق
فحالت بينها وبين الأباقي إلى الهواء فقلت فما بال الحكماء سمى التركيب أطيوس؟

قال: لأن حجر أطيوس يولد في كل سنة وله ألوان مختلفة يتحول من لون إلى
لون في كل شهر فلذلك سموا به تركيبهم حجر أطيوس لأنه يتحول في كل درجة من
التدبير من لون إلى لون فقلت: فما بال الذي يغير التركيب لم تسميه الحكماء أبيض
ولا أحمر؟

فقال: ذلك أن الصبغ إذا وقع في التركيب غيره فإذا طبخ الطبخة الأولى بيضه،
وإذا طبخ الثانية حمره فلذلك لم يسموه في التبييض، ولا في التحمير؛ لأن التركيبين
الأولين الأصفر والأحمر هما اللذان يلزمان الأصباغ.

قلت: فما بال الكبريتتين الأخريتين فقال: الكبريتتين الأخريتين ليستا كبريتتين
إلا بالاسم، ولو كانتا كبريتتين لم تختلط بالأجساد، لكنهما سميا كبريتتين؛ لأنهما عملتا
عملا كثيرا فكبرتا لذلك فقلت: ولم قالت الحكماء الطبيعة بالطبيعة تفرح؟
قال: إنما عنوا بذلك الكبريتتين الأخريتين ليستا بكبريتتين إلا في الاسم.

فقلت: فلم قالت الحكماء إن الثابت هو الذي يحبس، وأن الطبيعة متهابا لعدو
فقال: هذا أيضا قالوا في الكبريتتين ليستا بكبريتتين إلا في الاسم فقلت فما بال ذلك
الشيء الذي يمسك الصبغ ويقا تل النار الذي خلط من التركيب يغبأ عن العين فلا يرى
حتى يلقى على ورق العامة وبعد التمام فيظهر ويرى.

فقال: كما تقع النطفة في الرحم فلا ترى والرحم يمسك النطفة والدم فيطبخ
ذلك نار المعدة حتى تأخذ النطفة صورة الجسد ولونه، وهذا كله يسجن في الرحم لا
يرى، ولا يدري كيف هو حتى يتمه خالق النفوس فيخرج فيرى فكذلك الشيء الذي
سألت عنه.

فقلت: فما بال الحكماء سمت تركيبهم صدى وماء كبرية وضمغة؟

فقال: زرع ذهب وصدى نحاس وماء نحاس وسما عسليا وسما طيب الطعام وسموه بأسماء الذكران والإناث وبأسماء لا ذكر، ولا أنثى.

فقال ذلك لأن في تركيبهم هذه الأشياء كلها فإن سموه ماء نحاس فذلك؛ لأن النحاس صار ماء، وإن سموه زرع ذهب فذلك؛ لأنهم زرعوا فيه الذهب، وإن سموه ضمغة فائنة فقد صدقوا؛ لأنه بعد احتراق الأجساد وهدمها يصير المركب إلى صلاح وروح صابغة، وإن سموه بأسماء الذكران والإناث وأسماء لا ذكران ولا إناث فقد صدقوا؛ لأن فيه ذكران وإناث فإذا اختلطت الذكران والإناث صارت لا ذكران ولا إناث، وذلك حين يسمى سبيكة وصفيحة.

فقلت: لم سموا المركب كلسا؟

فقال: لأن الكلس كان حجرا يابساً باردا فلما طبخ كشف روح النار وأحيتة جوفه.

فقلت: فما الذي يقال له: التصدية والتقليب وإذهاب الظل ويصير المركب غير محترق.

فقال: هذه الأسماء كلها إنما عني بما التركيب عند التبييض.

فقلت: أي التدابير أمسك من تدابير الحكماء؟

فقال: تدابير الحكماء تدابيرهم كلها واحد، وأفضلها الذي يمسك به الكبريت ثم يحمره، ولكنه ينبغي قبل هذا أن تعرف الأوزان فإن بها ملاك ذلك التدبير الواحد الذي أمرت به قوامه وتمامه لأنها سترت الأوزان وفرقتها فمنهم من وضعه مفرقا، وملبسا ومنهم من لم يعرض له بذكر صيانة وسترا له.

فقلت: وكيف لمن بعدنا أيها الروح الصالح بعلم هذا الوزن فقال: ينبغي أن ينظروا إلى ما لم يسم له وزنا أن يجعلوه بالسوية.

فقلت: ما هذا الذي ينبغي أن يوزن وما الذي ينبغي أن لا يوزن.

فقال: ينبغي أن يجعل آبار نحاس بالسواء والذي يطلب فيجعل مثله سواء والكبرية يوزن كله.

فقلت: لم شكنا دومقراط الحكيم المزاج إذ قال: إنا لم تكن شدة كانت أشد علينا من تمزيج الطبائع وتأليفها حتى اختلطت فقال: صدق دومقراط أو ما علمت أن العمل كله إنما هو لمعرفة الأشياء ثم بعد ذلك تعرف كيفية التمزيج بأوزانه التي هي ملاكته، وتمام عمله؛ لأنه ينبغي للحكيم أن يعلم قبل كل شيء، وقبل أن يضع يده فيه هذه الصنعة الكريمة أيكون أم لا؟

ومن أي شيء يكون وكيف يكون فقلت: فما بال الحكماء قال: قال صيروا التركيب غير محترق وكلهم يأمر بحرقه حرقا يصير منه كما هباء.

قال: صدقت الحكماء فيما قالت، وأمرت؛ لأن الإكسير إذا احترق وصير هباء وحلظ بالرطوبة وصار مثل العسل وطبخ حتى يجف وأعيدت عليه الرطوبة فصنع ذلك به مرارا في الخلط والطبخ حتى استكمل حرقه فلم يبق في التركيب شيئا إلا احترق وصار رمادا فإن النار لا يقدر على إحراق ذلك الرماد أيضا بعد ذلك، وكذلك الحطب لا تزال النار يحرقه حتى يصير رمادا فإذا صار رمادا كفت النار عنه، ولم تقدر على إحراقه.

ونظير ذلك أيضا مقايسة من التركيب أن الحمى إذا هاجت في الإنسان لم تفارقه حتى تحرق الفضول الذي في جسده التي منها هاجت تلك الحمى فإذا أكلت ذلك الفضول فارقت فلذلك أمرت الحكماء بحرق التركيب حتى لا تجد له محسنة.

قال: فقلت: فلم قالت الحكماء: الغم خمير الذهب، وأخلطه بالزاووق حتى يصير شيئا واحدا فإن الحكماء قد اتفقت بهذا القول على الألغام وما بال الصباغ الذين يذهبون السلاح إذا ألغموا الذهب بالزاووق صار أبيض وطبيعته في العين أبيض.

ولكنه إذا دبر وطبخ مع الخلط كان أحمر كما يقهر الزاووق أخلطه فيبيضا ويظهر عليها فكذلك إذا دبرت كلها ظهرت حمرة على الزاووق وقهرته حتى لا يعرف البياض، ولا يرى.

فقلت: كيف تغلب هذه الأربعة طبائع بعضها بعضا وكيف تمزج بعضها ببعض حتى تخرج منها الخلائق؟

فقال: افهم أنه يختلط غلظ تلك الأربعة بعضها ببعض ولكن إنما يختلط اللطيف

منها بلطيفها فإذا احتلطا ودخل أحدهما في الآخر فهي تغلبه اللطيف من اللطيف،
وليس الغليظ في الغليظ، وذلك أن التراب والماء غليظان والنار والهواء لطيفان فاللطيفان
يرقان الغليظين حتى يصيرهما لطيفين فيخرج الله منهما الخلائق البرايا.

وذلك بالطبخ واستنشاق الهواء، وكذلك هذا فيه غليظان ولطيفان فاللطيفان
اللذان دخلا في المركب هما اللذان يلفطان الغليظين اللذين دخلا في المركب وكما أن
السنة أربعة فصول كل فصل منها له مزاج على حدته فأولها الشتاء والبرودة والثاني
الصيف.

والثالث: القيظ، والرابع: الخريف فأما الشتاء والبرودة فهو الذي يسمى الأرض
وما وقع منها من زرع حتى يخرج أول نباتها.

وأما الفصل الثاني الذي هو الصيف فيغذو النبات والزرع نعمته، وطيبة مزاجه
ولو أن القيظ أدرك النبات بشدة شمس احترق ذلك النبات وفسد، ولكن الربيع عدله
بلين مزاجه حتى قوى النبات ونهياً فلما أصابه وهج القيظ أخرج ثمره وأنضجها
وأصلحها ولو دام القيظ على ذلك النبات، وتلك الثمار مجموته لأحرق تلك الثمار
وأفسدها ولكنه أدرك تلك الثمار.

الفصل الرابع الخريف لين مزاج الهواء فيه فأصلحه ولونه حتى طاب طعمه،
وانتفع به أهله فلذلك ينبغي أن يدبر المركب، وأن يكون مقادير النار على هذا الأمر
وهذه المقايسة التي وضعتها الحكماء أمثالا فأنا أمر أن لا تحترق شيئا من كتبهم ولا
أمثالهم فإنهم لم يضعوا شيئا منها إلا في حق فغلبتني عيني وتراكت علي الهوموم فتمت
فرأيت كأني على شاطئ النيل على صخرة مشرفة وإذا أنا بشاب جسيم يقاتل التين
فوئب الشاب إلى التين فأقبل عليه التين فنفخ عليه وصفر متصدرا رافعا رأسه إليه
فاستغاث بي الفتى، وأشار إلي أن أعبر النهر إلي فوئبت وثبة فإذا أنا عنده فأخذت خزام
حديد فرقبت إلى التين أطلبه فتحول إلي فنفخ علي نفخة ردني بها إلى خلفي من غير
أن أكون صرعت ثم كررت عليه الثانية فلما رأني الفتى كر على التين وييدي ذلك
الخزام الحديد فقال الفتى قف يا قراطس فإنك لست تكفيه قتل التين فوقفت فقلت:
شأنك وشأنه فأخذ الفتى ماء فألقاه على التين فتساقط رأسه وخر منخدلا ثم قال الفتى

للتنين نفع ما يلتمس منك ثم أخذ السر فعصره بيده عصرا شديدا فخرجت منه بيضة تمساح فظننت أن تلك البيضة وزين.

فقلت للفتي لقد ظلمت الوزين حين أخذت بيضتها من تحتها فقال لي الفتي: أهما ليست بيضة وزينة إنما هي بيضة تمساح وإن هذه البيضة لم تعفن، ولم تمسا ولم يحرقها الدم، ولم يتغير ويصير صدى ينتفع به، ولكن رويدك يطبخ المعدة الطعام الذي فيها فيخرج من لطيف ذلك الطعام الأربع طبائع البلغم والدم والمرتين، ولكن فقال: حتى أريك أن يكون ذلك أي تين قلنا مكانه.

فإذا أنا بصخرة من البسطروس قد يبسها الشمس بحموتها حتى صدعتها من شدة حرارتها فإذا في صدوع تلك الصخرة التين وامراته وإذا هما كبيران قانتان لا يقدران من الكبير أن يتحركا من مكاهم وكان التين قد بدا جميلا ربه على ذلك بعض الزمن فلما رأي التين تحوف أن أكون إنما جئت لأصيده فخرج من مكانه فدخل بعض تلك الصدوع هاربا من الفتي بيدي فأراني حربة وبدا لي بريق فهبتها فقال لي الفتي: انظر إلى هذا التين الذي قد تملك ضعفا كيف قد صار تينا جديدا غضا لأقتلنه بهذه الحربة فقلت له: لم لا تأخذ عينيه الواقدين إذ كان ضعيفا هرما قبل أن يعود شابا؟

فقال لي: إنه لا ينبغي أن نأخذ عينيه إلا بعد أخذنا امرأته وظننت حين سمعت هذا من قوله: إنه يريد أن يقاتل تينا أخرى أنتى سوى ذلك التين فتركت إن أسأله لما رأيت به من الغباء فأخذ لك التين فقطعه قطعا قطعا بتلك الحربة فإذا في تلك القطع ألوان شتى فأخذ يضيف إلى كل لون منها ما يشبهه فأطلت الفكر فيما يصنع فإذا تلك الألوان يشبه ألوان عملنا منها ما يشبه لون الماس والقلوذيانوس.

ومنها ما يشبه المرقشيثا الحديدي المحتاج إلى روحها ومنها ما يشه القدميا الرمادية وفيها ما يشبه المغرة الصفراء ومنها ما يشبه القنبار الأحمر فلما أضاف كل لون إلى ما يشاكله من ألوانه عمد إلى بيضة التمساح فكسرها ففرق بين الحمرة والبياض والرطوبة ثم تنقى البياض بالبياض والحمرة بالحمرة.

فبينما الفتي مشغول بعمله هذا إذ وثب التين حيا فصفر علينا فلولا أني ألقيت عليه من الماء الحي فسقط رأسه عن جسده لأهلكنا فلما رأى الفتي ما صنع التين اشتد

غضبه وأقسم بالله ليدعن ذلك التين، وهو رميم فأخذ يرقه برقى رفيعة حتى صار التين كله رميما ثم أخذ ذلك الرميم فجعله في آنية لم يعصره عصرا شديدا ثم أخرج ماء فيه من سم، وكان كلما أخرج شيئا من ذلك السم أعرض بوجهه لئلا يدخل شيئا منه في منخره فلما فرغ الفتى منه.

قال: احفظ يا قراطس ما رأيت وضعه في كتابك لمن بعدك فإن الذي رأيتني أفعل من قتل هذا التين هو سر هرمس المثلث بالنعمة الذي كتبه في كتابه وكره إظهاره للجهلة.

واعلم أي أنا الذي نجلي لك في السماء إذ عرج بك وأنت إن لم تحفظ عني ما رأيتني عملت قتلتك قبل هذا السر مع أنك عبرت في كتابك صفة ما رأيت وأردت إظهار السر عاين هذا التين الذي صيرته رميما وظهرت له ألوان وفيه نحاسا لروحك وفرق بين جسدك وروحك فممن شدة هول ما تواعدني.

وعجب ما رأيت وتقدم إلي في سيره بقيت مرعوبا فقلت إن الله عز وجل أوحى إلي بالكف لما أظهرت من الأسرار إذ لم يقدر أحد من الأولين على مثل ذلك فمن أصاب كتابي هذا فليتنق خالق النفوس عليه ويفرع له فقد أصاب، ومن لم يصبه، ولم يعرف صاحبه فقد وقع في الهلاك والحسرة والحزن فلما قرأ خالد بن يزيد الكتاب كتب إلى الفسطاط يعمله أن قد بعث إليه بكتاب كان مقرونا في خزانة الكنوز مع كتاب قراطس ويعلمه أن هذا الكتاب موجزا قليلا فإن فيه منافع كثيرة ودليل على كثير من سر الحكمة.

تم كتاب قراطس الحكيم بحمد الله وعونه.

كتاب أسطانس^(١)

من كتاب الفصول لأسطانس الحكيم

قال الحكيم: أول ما ينبغي للطلاب أن يعرف الحجر الذي تنافس فيه الأولون وابعوا كتمه بذباب السيف، وامتنعوا من تسميته أو أن يذكروه بالاسم الذي تذكره به العامة وترهوه في غيب الرمز حتى قصرت دونه الأذهان الثاقبة وانقطعت عن إدراكه الأبواب الذكية وتحيرت في وصفه القلوب والأفئدة إلا من كشف الله تعالى عن بصيرته ففهمه وعلمه.

ومما وصفوه به أن قالوا: هو الماء السيل، هو الماء الخالد، هي النار الأجاجة، هي النار الجامدة، هي الأرض الميتة، هي الحجر الصلد، هي الحجر اللين، هو الفرار، هو الثابت، هو الجواد، هو المهزوم، هو الهازم، هو المقاتل للنار، هو القاتل بالنار، هو المقتول ظلما، هو المأخوذ قسرا، هو الغالي الثمين، هو الرخيص الهين، هو العز الشامخ، هو الهوان الدون، ما أعزه لمن عرفه، وما أجله لمن دبره، وما أحقره عند من جهله.

وما أهونه على من لم يعرفه ينادي في كل يوم بكل أرض يا معشر الطالبين خذوني فاقتلوني ثم بعد القتل احرقوني فإني أحيا بعد ذلك كله فأعني كل من قتلتني، وأحرقني، وإن أداني من النار حيا أبيت الصبر عليها ولو صعدي بكل تصعيد وقيدني بكل تقييد وا عجا كيف أصبر حيا على الأذى والله لا صبرت حتى أسقى سما يميتني فحيث لا أدري ما صنعت النار في جرمي فهذا دأبه في كل صباح، وفي كل مساء فأين أنتم معشر الطالبين من مقاله أن تتوهموا أن لسان المقال حق ولسان الحال باطل.

وقد ذكر جمهور الفلاسفة أن لسان الحال أصح من لسان المقال، وهذا الحجر يناديكم فلا تسمعونه ويدعوكم فلا تجيبونه فوا عجا من صمم غشى آذانكم واران غم قلوبكم.

(١) أسطانس ومن الفلاسفة أهل الصناعة الذين شهروا بها وألفوا فيها كتبا أسطانس الرومي من أهل الإسكندرية وله من الكتب على ما ذكر في بعض رسائله ألف كتاب ورسالة، ولكل كتاب ورسالة اسم يسمى بها وكتب هؤلاء القوم مبنية على الرمز والألغاز فمن كتب اسطانس: كتاب محاوره اسطانس توهير ملك الهند.

ألا ترون أنه مقاتل للنار فليس شيء أعدى منه فيها إذا جعل بها سمعت له صلصلة كما يفعل الماء المعقود يزيد بيرده الثلج.

واعلم أيها الطالب أنه ماء أبيض احتفر بأرض الهند، وماء أسود احتفر بأرض الشجر، وماء أحمر براق احتفر بأرض الأندلس هو ماء يقتبس من خشب بنار أجاجة هو نار تقدح من أحجار بديار الفرس هي شجرة تنبت بقرون الجبال هو غلام، ولد بمصر هو أمير خرج من الأندلس لا يريد إلا معاداة الطالبين فقتل منهم الرؤساء وصير بعضهم أمرا أعبا علاجه العلماء ما أرى له سلاحا أكثر من الصبر، ولا جوادا غير العلم، ولا ترسا سوى الفهم فإذا تحلى له الطالب بهذه الثلاثة سباه وقتله فعاد له بعد القتل حيا.

اختلع من الإمارة وولاه رفيع العز ونال مراده وبغيته فحسبك من هذا التبيين. ولقد سمعت أرسطاطاليس يقول: ما للطالبيين يجذون عن الحجر، وإنه لمعلوم موصوف موجود ممكن فقلت: ما من صفته وإيجاده، وإمكانه فقال: أما صفته فكالبرق في ليلة ظلماء فكيف لا تعلم بياض بدا في سواد لا يشق الفراق على من عهد البين، ولا يشته الليل لذي عينين.

وأما إيجاده فحجر ممكن في الدور والحوانيت والأسواق والطرق والزابل والمساجد والحمامات والقرى والمدائن والبر والبحر.

وأما إمكانه فحجر مصفد في حجر وحجر مركب في حجر وحجر مطبق في حجر وحجر كامن في حجر بكت عليه الفلاسفة فلما غمرته دموعها زال سواده وانجلى دهمته وبدا كاللؤلؤ المكنون فحينئذ أمن صاحبه وسحر طالبه.

قال الحكيم بين أرسطاطاليس في هذه المقالة حالة الحجر الذي من صفته أنه أسد ربي في غابة ثم أراد رجل من الناس ركوبه مسرجا ملجما فعالج ذلك فأعياه فلم يكن له بد أن يتحيل بالحيل الرفيقة حتى ألحقه في الصفائف الوثيقة فأسرجه وأجمه ثم أدبه بسياط أوجعته ضربا ثم خلاه من قيوده فحذا به حذو الدليل كأنه ما شرد يوما قط فالحجر هو الأسد والقيود هي المدبرات أعني الأشياء التي أذكرها في هذا الفصل يتلو هذا الفصل الذي أنا فيه والسياط هي النار فأين أنت أيها الطالب من هذه الصفة المبينة.

وإن من صفته ما قال الحكيم: ما بال الناس يبنون بالحجر ولا يدبرونه، ويلبسونه، ولا يدبرونه ويصنعون منه المراهم المحرقة لجرب الأبدان ولا يدبرونه ويطئونهم بأقدامهم، ولا يأخذونه.

قال حكيم آخر: لقد عشت منذ أربعين سنة ليس منهم يوم ألا أرى فيه الحجر صباحا ومساء حتى خشيت أن لا يخطيه أحد فزدت في رمز كنت رمزته أولا فزدته تعميه مخافة أن تبدو السريرة.

واعلم أن القوم أكثروا في كتبهم من أسمائه، وها أنا أذكر أسرها، وأعرض عن أكثرها أعني ما لم يطر صيته في العالم فسموه أسدا وسموه تينا وسموه حية وأفعى وسموه عقربا وسموه ماء وسموه نارا وسموه سيالا وسموه معقودا وسموه محلولا، وسموه خلا، وسموه ملحاً، وسموه كلباً، وسموه عطاردا، وسموه زئبقاً، وسموه ذئباً، وسموه غلاماً وسموه جارية وسموه غزالاً، وسموه جواداً، وسموه ذريا وسموه نمرا وسموه قرداً وسموه كبريتاً وسموه زرنیخاً، وسموه توتياً، ومرتكاً، وحديداً ونحاساً ورضاصاً وقزديراً وفضة وذهباً وطلقاً وطولقاً وطراقاً وطرقاتاً، وأبكماً وظالماً ومطاوعاً ومغنيسياً وزجاجاً وياقوتاً وسموه مرجاناً وصدفاً ودمعاً وقلبا، ولساناً ويدا ورجلاً ورأساً ووجهاً وشحماً وروحا ونبساً وزيتاً وكحلاً وسموه بولاً وعظماً وعرقاً وسموه زحلاً وبرخيساً ومريخاً وهمساً وقمراً.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الحكيم أسطانس التي أفهمنا الله تعالى وبصرناها أني لما رأيت هذا العمل وقع حبه في قلبي وداخلني مع ذلك هم ذهب بنوم عيني، وامتنع مني طعامي وشرابي حتى نحل جسمي وتغير لوني فلما رأيت ذلك من أمري أقبلت على الصلاة والصيام ودعوت الله تعالى أن يفرج عني الذي قد داخل قلبي من الغم والههم، وأن يجعل لي من أمري الذي قد التبست به مخرجاً.

فبينما أنا نائم على فراشي إذ أتاني آت في المنام فقال لي: قم فافهم الذي أريك فانطلقت معه فإذا أنا بسبعة أبواب لم أر شبيها لها حسناً، وإذا هو يقول في هذه خزائن هذا العلم الذي طلبت.

فقلت له: جزئت خيرا اهديني للدخول إلى هذه الأبيات التي تزعم أنهما خزائن العلم فقال كيف تستطيع الدخول، ولا تقدر على مفاتيح تلك الأبواب، ولكن انطلق حتى أريك مفاتيح تلك الأبواب فانطلقت معه فإذا أنا بدابة لم أر شيئا في الدواب لها جناح نسر ورأس فيل وذنوب تنين، وإذا الدابة يأكل بعضها بعضها فلما رأيتها اشتد فزعني وتغير لوني فلما أن رأى ذلك من أمري قال: انطلق أيها الرجل إلى هذه الدابة فقل: باسم الله العظيم أعطني مفتاح أبواب الحكمة.

فلما انطلقت إليها على وجل ومهابة فقلت لها ذلك فدفعت إلي مفتاح تلك الأبواب فافتحتها حتى انتهيت إلى آخرها بابا فإذا أنا فيه بلوح مقابلي بمي المنظر فيه من كل لون ولا يستطيع النظر إليه من شدة بريقه فإذا اللوح مكتوب بسبعة ألسن أول تلك الألسن مصري فلما قرأت ذلك اللوح إذا هو يقول في أوله: سأضرب لك مثلا للجسد، والنفس والروح فتدبره برأي وعقل وليكن منك على بال فإنك تهتدي به إلى كل عمد وتدرك به كل خفي.

إنما مثل الجسد والروح والنفس كمثل السراج والزيت والفتيلة فكما لا تصلح الفتيلة في السراج إلا بالزيت كذلك لا تصلح النفس في الجسد إلا بالروح. وإنما نفس الجسد الدم وروح الجسد الريح التي تختلف بين الدم والقلب إلى أسفل الجسد فقد تعلم أنه هو اللحم والعظم والعصب.

واعلم أنك إن سكنت النفس وحدها الجسد، ولم تدخل عليها الروح لم يكن للجسد ضوء، وكان للجسد كان عليها ظلمة، فإذا أدخلت عليه الروح رق الجسد، وصفا وحسن لونه فافقه هذا الذي وصفنا لك فإنه جسيم من الأمور ولا يهتدي للعلم الخفي الذي وصفنا إلا من عرف هذا الباب ألا ترى أن النار ذات ضوء وشعاع وإشراق فإذا ألقى عليها الماء ذهب بضوئها وإشراقها وصارت ظلمة بعد ضوء.

وإن أخذت النار، والماء بالتدبير الذي وصفنا في كتابنا هذا فأحكمت عملهما كالذي أريتكم امتزجا واصطلحا حتى لا يضر واحد منهما صاحبه وازداد عند اجتماعهما ضوءا وشعاعا، وأضعفا على الذي كانا عليه أول مرة فهكذا ينبغي لك أن تبدأ وبهذا بدأ من كان قبلنا لأن أول الطبائع الأولى إنما كانت نارا وماء فلما ازدوجت

النار والماء واصطلحا نبت منهما أجسادا وأشجارا وأحجارا كثيرة فينبغي لك أن تقيس العلم الآخر بالعلم الأول فكما تسمع أنه صنع وعمل فكذلك فاصنع، واعمل. فهذا الذي ذكرت لك من القول هو الذي قرأت في أول اللوح وكان بالمصرية مكتوبا.

ثم كان بعده كتاب فارسي فيه فقه، وعلم كثير فهذا الذي أقول لكم الآن هو الذي بدأ لي من كتابه وأحصيت من علمه أنه قال: أما مصر فذات فضل على المدائن والكور، وذلك لما قد أعطى الله تعالى أهلها من الحكمة والعلم بجميع الأشياء. وأما فارس فأليها يحتاج أهل مصر، وأهل الآفاق كلهم، ولا يصلح شيء من أعمالهم إلا بالذي يخرج من فارس.

ألا ترى أنه ليس أحد من الفلاسفة الذين كانت همتهم في هذا العلم. ألا وقد بعث إلى أهل فارس فاتخذهم أخوة وسألهم أن يبعثوا إليه الذي مخرجه من أرضهم، ولا يوجد في غير بلادهم ألم تسمع ببعض الفلاسفة إذ كتب إلى مجوس أهل فارس.

إني أصبت كتابا من كتب الحكماء الأولين بقلم فارس لا أستطيع القراءة له فابعثوا إلى من حكمايتهم بحكيم يقرأ لي كتابي الذي أحببت فإن لكم عندي إن فعلتم ذلك يدا حسنة، وأنا شاكر لكم أبدا ما بقيت فعجلوا علي بالذي سألتكم قبل أن تفنى حياتي فأصير ميتا لا أحتاج إلى شيء من العلم.

فكتب إليه حكماء أهل فارس أنه لما وصل إلينا كتابك كثر فرحنا بالذي كتبت إلينا به وعجلنا إليك مع ذلك الحكيم الذي سألت ليقرأ لك كتابك ويظهر لك ما خفي عليك منه لأننا رأينا ذلك لك علينا حقا واجبا فانظر إذا أتممت كتابك كالذي ينبغي فعجل إلينا نسخه ذلك الكتاب؛ لأن آباءنا الأولين هم الذين وضعوا ذلك الكتاب فليكن لنا فيه معكم نصيب فإنه كذلك ينبغي والسلام.

هذا كل الذي قرأت مما كان في ذلك اللوح من الكتاب الفارسي.

ثم قرأت بعد ذلك كتابا هنديا وهو الذي أقول لكم الآن.

قالوا: نحن الآخذون بالفضل في قديم الدهر إذا الناس قليل عددهم رحي بالهم

وأرضنا أشد الأرضين كلها قوة وذلك لقرب الشمس من سمت رعوسنا، ولما ينالها لنا من سخونتها فلذلك اشتدت قوة طبيعة أرضنا فنحن لولا ما نحتاج إليه من أرض فارس لأكملنا العمل كله بالذي يخرج من أرضنا وبجرنا.

قد أرسل إلينا حكيم من الحكماء أن ابعثوا إلي من بول الفيل الأبيض الذكر الذي يكون في أدنى أرضكم فإنه كذلك يقال: إن ذلك البول شفاء لكثير من الأسقام فلما أتانا رسوله بعثنا إليه بالذي سألنا فحمد الله حين وصل إليه وشكره وفضل ذلك البول على جميع الأدوية علم من منافعه ثم أتني عليها بالذي رأى منه فقال:

إني لم أشركه مع خلط من الأخلاط إلا زاد ذلك الخلط قوة ومنفعة وكتب إلى الناس أن أعجبوا أيها الناس من الشيء اليسير كيف يعمل الخير الكثير عند هذا انتهى الكتاب الهندي.

فأما ما سوى ذلك من الكتب فإنها قد كانت درست من طول مكثها في ذلك اللوح فلم يستطع أن ينسخ منه إلا هذه الثلاثة أبواب.

وذلك أنها كانت في أوله فسلمت فينما أنا أتردد فيما أشكل علي من ذلك اللوح إذ سمعت صوتا فظيعة ينادي أن اخرج أيها الرجل قبل أن تغلق الأبواب فإنه قد حان زمانها الذي تغلق فيه فخرجت منها، وأنا حائف أن يحال بيني وبين الخروج فلما أن خرجت من جميع الأبواب إذا أنا بشيخ لم أر له في الحسن شبيها، وإذا هو يقول: ادن إلي أيها الرجل المشرب قلبه حب هذا العلم فلافهمنك كثيرا مما قد أشكل عليك ولأبين لك الذي خفي عنك.

فدنوت منه فأخذ بيدي ثم رفع يده إلى السماء فحلف لي بإله السماء إن العلم كله لمعك، وأن سرائر حكمتنا جميعا لفيك ففكرت في الذي قال لي فإذا قوله ورأيه صدق فإذا هو لم يكتمني من مخزون علمه شيئا فحمدت الله الذي أبدا لي ذلك وأظهرني على خفيات العلم.

فبينما أنا كذلك إذا الدابة ذات الثلاثة الأشكال التي يأكل بعضها بعضا تنادي بأعلى صوتها أن جميع العلم لا يكمل إلا بي، وإن مفتاح خزائن العلم عندي فمن أراد تمام العمل كالذي ينبغي فليعرف لي حقي، ولا يجهل شيئا مما قالت فيه الحكماء فلما

أن سمع الشيخ صوتها قال لي: انطلق أيها الرجل إليها فاعطها عقلا مكان عقلك، ونفسا مكان نفسك وحياة مكان حياتك فإنها حينئذ تطيع أمرك وتواتيك على جميع حوائجك فتفكرت أن كيف أعطيها عقلا مكان عقلي ونفسا مكان نفسي وحياة مكان حياتي فقال لي الشيخ: خذ الجسد الذي يشاكل جسدك فانزع الذي أمرتك منه فادفعه إليها ففعلت الذي أمرني به فأدركت العمل كله تاما كالذي وصفه هرمس.

رسالة في الإكسير

قال مرقوش ملك مصر ابن ثبث ملك الحبش حين سأله سفنجا ملك الصعيد عن إكسير فقال له: ما في الدنيا بضاعة أكثر منه، وهو أكثر من كل شيء على وجه الأرض، وهو عند الغني والفقير والمسافر والمقيم ولولاه لمات الخلق أجمعين.

قال مرياش الراهب لخاله: إنه ألزم الأشياء لصحتك ولولاه مت.

وقال الحكيم ذو مقراط للملكة أثوسايبية: إذا دخلت يدك في جيبيك فامسكي عليك فإنك في الخسران فإن هذه الصنعة لا يشتري سرها بثمن أبداً فإياك أن تضري شيئا من العقاقير.

وقال سيدنا هرمس عليه السلام^(١) في الماء سر عظيم لأنه يصير في الزيتون زيتا، وفي سمغاً صمغاً، وفي النخل بلحا وفي كل شيء مثله فالذي هذا سره وفعله يغفل عنه فلما عرفوا هذا السر المصون كتموه أشد الكتمان ورمزوه أشد الرموز وسموه بكل عقار ومعادن ونبات وحيوان كما قال ابن أميل في نونيته:

فأفسدت الضمائر والظنونا	وسموه بأسماء كثيرة
بما في الأرض ذاك يلقبونا	وقالوا كل شيء هو هذا
نهى عن كشفه الأقدمونا	وسر الله فيه مستكن

وقال الأستاذ جابر في كتاب الدرة المكنونة والحكمة المظنونة إن الجهال لو عاينوا حجر الحكماء لخلقوا بالله ألا يكون منه ذهباً، ولا فضة، ولو علموا أنه أصلهما وهما منه لوقفوا عند ذلك، وسلموا إلينا، ولكن حال بيننا وبينهم الجهل.

(١) قال ابن النديم: قد اختلف في أمره فقليل انه كان أحد السبعة السدنة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة وأنه كان اليه بيت عطارد وباسمه يسمى فان عطارد باللغة الكلدانية هرمس وقيل انه انتقل الى أرض مصر بأسباب وانه ملكها وكان له أولاد عدة منهم طاط وصا واشمن وأثريب وقفت وانه كان حكيم زمانه ولما توفي دفن في البناء الذي يعرف بمدينة مصر بأبي هرمس ويعرفه العامة بالهرمين فان أحدها قبره والآخر قبر زوجته وقيل قبر ابنه الذي خلفه بعد موته.

وقال صاحب الشذور في شرحه لديوانه: تالله لو سموه باسمه الذي تعرفه به العامة لكذب به أهل الجهال ولشك به أهل العقل، وقالت مارية الحكيمة بنت سبأ الملك: سر عظيم حقير يداس بالأرجل، ولكن تلك الحقارة كرامة من الله تعالى له حتى لا تعرفه السفهاء ويكون منسياً.

وقال جليانوس^(١): إن الحكمة اقتضت أن يخلق أعز الأشياء من أحقر الأشياء فانظر إلى أحسن الملابس في الدنيا وهو الحرير من الدودة، وكذلك أحسن مأكول الطعام وهو الشهد من ذبابة والمسك من حيوان وكذلك العنبر من سمكه والدر من صدفة، وكذلك هذا الشيء من أحقر الأشياء عند الجهال فقط.

(١) هو الفيلسوف الطبيعي اليوناني ظهر بعد بقراط من مدينة فرغاموس من أرض اليونانيين إمام الأطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته مؤلف الكتب الجليلة في الطب وغيره: من علم الطبيعة وعلم البرهان ومؤلفاته: تنيف على ستين مؤلفاً وكان بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتي سنة وبعد الإسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيف ولا يعلم بعد أرسطاطاليس أعلم بالطبيعي من هذين: بقراط وجالينوس قيل: هو من بلاد إيشيا شرقي قسطنطينية في دولة القيصر السادس وجاب البلاد وبرع في الطب والفلسفة والرياضة وهو ابن سبع عشرة سنة وجدد علم بقراط وفاق في علم التشريح وكان أبوه أعلم بالمساحة في زمانه وكانت ديانته النصرانية.

مات في مدينة سلطانية وقبره بها وعاش ثمان وثمانين سنة وكان يأخذ نفسه في كل يوم بقراءة جزء من الحكمة ولم يأخذ من الملوك شيئاً ولا داخلهم، هو ما بقي العلم والدرس ودثر من العالم حملته ولكنه أقام أوده وشرح غامضه وبسط مستعصيه وكان في زمانه فلاسفة مات ذكرهم عند ذكره وانتهت إليه الرياضة في عصره.

كتاب أسطقس الآس^(١)

على رأي الفلاسفة لجابر بن حيان

وهو الأول من الثلاثة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جابر بن حيان: إن الله تعالى بعزته واختراعه للأشياء بقدرته وتتميمها ببدیع حکمته وإظهاره آثارها بلطف صنعته أبدع في خلق الإنسان بغريب خلقته ورتبه في أعلى المراتب بجمال صورته وأعطاه غايات الفضائل بكمال قوته واجتباها تعالى من أشياء:

أحدها: جسم موضوع ونفس ذات تحريك وعقل ذكي وفرق بينه وبين جميع الحيوان في إبداعها من عناصر غليظة غير لطيفة وجعل قوة نفوسها خرساء بليدة، ولم يخصها تعالى من العقل بشيء وسلبها الفضائل التي اكتسبها الإنسان إلى الرذائل لما في سائر علمه من تمام صلاحه وصلاحها بذلك وجعل تعالى الإنسان وحده أميرا على كل شيء دونه بما وهبه له تعالى من العقل النفيس والجوهر الرئيس فمن ذلك أنه جعله مميزا للعالم الأعلى وهو الغاية التي ليس وراءها مطلب، ولا لأحد عنها مرغب، وأقدره على تميز العالم الأوسط الذي هو عالم الكون والفساد الذي هو من عند فلك القمر إلى مركز الأرض من الطبائع الأربعة التي هي النار والهواء والأرض والماء وجعل تعالى الإنسان بجسمه عالما صغيرا كائنا من مزاج هذه الطبائع الأربع وجعله بعقله عالما كبيرا إذ كان قد يدرك كنه الطبائع التي هو منها كائن ويدرك علل العقل بما فيه منه فصار لذلك قادرا على فصل ما فيه من طبائعه وجواهره وأعراضه وأجناسه وأنواعه وفرق ما بينهما من المخالفات ووصل بينهما من المماثلات واستنباط ما فيهما من لطيف رموزه وباطن أسرارها وبدیع آثارها فكان الإنسان هو الحكيم بالحقيقة والوالي بتدبير الخليقة ولما كانت الصناعات قد تتفاضل في منازلها وتباين في مراتبها وكانت الأشياء إنما تؤثر وتطلب ويرغب فيها الراغب ويزهد فيها الزاهد، إما لأجلها، وذاتها كالصحة التي إنما

(١) هناك كتاب الأسقطسات لإسحاق بن سليمان الإسرائيلي، وابن الخمار، وجالينوس، وابن أبي أصيبعة.

هي مرغوب فيها محبوبة لأجل ذاتها لا من أجل شيء آخر.

وإما من أجل غيرها كالدواء المشروب والغذاء المحبوب الذي هو مؤثر مطلوب من أجل النفع المتأتى منه فإن الغذاء يقيم الأبدان على حالها من جنسها والدواء يدفع الأدوية والأسقام عنها وكانت صناعة الحكمة أشرف الصناعات وذلك أتمها، وإن كانت محبوبة من أجل غيرها فإنها محبوبة أيضا من أجل الكل فإن الشيء النافع أيضا من أجل غيره كلما كان أكثر تصرفا وأوسع نفعاً كان الطالب له أيسر وأرغب فيه أكثر وذلك بالضرورة لأجل سعة منفعته وتمام قدرته فكان ما كمل الله عز وجل به الإنسان أن جعل الحجر الذي يكون منه الصناعة جزءاً من أجزائه وبه يكون تمامها وكونها أعني تدبيرها وتقويم ما فيها من أجزائه وتهدية.

وقد يدل على ذلك قول الحكماء في وصف هذا الحجر، وإجماعهم على نعتة إذ قالوا: الحجر نار في طبيعته ماء في مجسته حجر في خلقة هواء في صورته ذو ألوان وأصباغ وآثار، وهو زهر العلم وجالي الفكر وصابغ الأصباغ.

وقال بعضهم: هو السراج المنير والمحبوب الأنير الموضوع على جبل الشمس الأحمر والمقابل في محله الليل الأسود والعمام الأدهم، والذي ليس بينه وبينه اتصال ولا انفصال إذ كان الخلاف بالفاعل أتم، وأقوى كثيراً من الخلاف بالانفعال وهو الذي تليانه العينان المالحتان.

وقال آخر: هذا قطب الملك وشرف العقل وحافظ الدماغ ومتمم الإنسان الأصغر على أكثر أحواله والأحمر في أقل أوقاته والأزرق في بعض نعوته والوعاء الأفضل والمعدن الأفخر وصابغ الدم البخاري الملهب للطبائع والنوع الغالب وأمثال ذلك.

فاختلف الناس في الرمز إلى هذا الحجر ما هو؟

فقال قوم هو المرار الأصفر.

وقال قوم: هو شيء من أجزاء بدن الإنسان وقد أجمع الأكثر ممن له خبرة بأمر شرح الرموز أنه المرار الأصفر الكائن في المرار خاصة؛ لأنه ذو ألوان على ما قال القوم من الحمرة ومن الصفرة والخضرة والزرقة وهو على جبل الشمس يعنون الكبد.

وقد قال الجبل الأحمر في أوصافه ووراء العينان المالحتان يعنون الكلى التي
تحتذب البول من الكبد والليل الأسود فإنما قصدوا به الطحال في الوصف والاتصال
بالنوع اليابس بينهما إذ كان كل واحد منهما يابسا والانفصال بالحرارة والبرودة اللتين
هما المتقابلان والفاعلان.

وقد قال قوم في ذلك أقوالا كثيرة ليست مرضية. وقد ذكرتها في حواشي كتيبي
وأطرحتها من هذا الكتاب إذ كان هذا الطريق أولى بالاختصار، ويطلب المثال من غيره،
ولما كان جميع طرق أصحاب هذه الصناعة طريقين وهما الجواني والبراني فالجواني هو
اللطيف الكائن من الحيوان.

وإنما قيل فيه جواني من أجل أن الحيوان أقرب إلى النفس من النبات والحجر بما
قد ظهر فيه من تمام آثارها، وكمال أفعالها التي أعطته وسلبته من تلك، والأقرب إلى
الشيء أخص من الأبعد.

فالحيوان أولى بالنفس من النبات والحجر والنبات أولى، وأقرب إليها من الحجر
فببقى الحجر وحده الذي هو غني عري من أفعال النفس برانيا؛ لأن معنى الجواني إنما
هو البطون والاتصال.

ومعنى البراني الظهور والانفصال فلذلك صارت الأنواع التي يتولد منها هذه
الصناعة ثلاثة أنواع: جوانيان.

وهما: الحيواني وهو العالي والنبات وهو البراني بإضافته إلى الحيوان وعالي بإضافته
إلى الحجر.

وبراني واحد وهو الحجر فقال أصحاب الحجر: في الحجر العلم فقط، وليس في
الحيوان والنبات علم، ولا عمل ألبتة.

وقالوا: إنما أوحى الحكماء في قولهم في وصف الحجر إلى أجسام المعادن دون
غيرها، وهي الكباريت والزرنيخ والزئبق والأجسام وذلك أنها أرواح وأجسام ونفوس
وأجساد وميزوا بين هذه فقالوا: إن الأرواح ما طار عن النار، وهي تنقسم قسمين
وعدتما ستة، وهي الكباريت والزرنيخات والنوشادر والكافور والأدهان والزئبق.
فثلاثة منها تحترق بالنار، وتحرق ما وقعت عليه، وهي الكبريت، والزرنيخ، والدهن.

وثلاثة منا تطير عن النار، ولا تحرق، ولا تحترق، وهي النوشادر، والزئبق، والكافور.

ومعنى روح عند القوم إنما قصدوا به البيضة والصبغ الفاعل؛ لأنها تعطي الأجساد شيئاً كثيراً من الروح.

ويقال فيها: إن أجسامها قليلة وأرواحها كثيرة فاضلة فلذلك ما يصبغ القليل الكثير من الأجسام.

وما أحسن مثل جالينوس الطبيب على ذلك فإنه قال: إن أصحاب الكيمياء قد أصابوا في مثال إكسيرهم فإن القليل منه يصبغ الكثير، وذلك إنا قد نجد في المعدة من معد الناس عشرة أرتال من البلغم فيفيض إليه نحو الدرهم أو الدرهمين من المرار الأصفر فيجعل جميع ذلك البلغم أصفر ويصير مرا كالصبر، وهذا مثل قريب يشاكل الشبه بالإكسير.

والفرق بين النفس والروح، أن الروح لا دهانة لها، والنفس هي في ذاتها دهن وكل دهن فإنه متشبه متعلق بالأجسام ممازج لها فالمزاج إذا للنفوس والأدهان فالنفوس لذلك ثلاثة، وهي الكبريت والدهن والزرنيج.

والأرواح ثلاثة، وهي الزئبق والنوشادر والكافور والزئبق مشكوك فيه؛ لأنه مع الأرواح روح ومع النفوس نفس، ولذلك هو شديد الشبه بكوكب عطارد.

أنه مع السعد سعد، ومع النحس نحس، وأمثال ذلك فيصير لذلك الفرق بين النفس والروح إنما هو المزاج ولا مزاج وذلك أن ما كان له مزاج فهو نفس بالحقيقة، وروح بالطيران، وما كان غير ذلك مزاج وهو روح فقط بالطيران، ولا نفس فيه على أن قوما قد زعموا أن في الكافور والنوشادر أصباغاً، وآثاراً وهو قول من لم يحسن في النظر حسناً.

وأما الأجساد فهي التي نفوسها وأرواحها على مقادير تمامها وكمالها ليست زائدة عليها، ولا ناقصة عنها كالذهب والفضة، وسائر بقية الأجساد الذائبة.

وأما الأجسام: فهي التي إما أن لا يكون لها مزاج ألبتة، ولا دخول في هذه الصنعة إلا في قول من لا علم له، ولا جرت أفعاله فيها، وذلك كالزجاج والياقوت.

وأمثال ذلك مثل الطلق والماس وكل ما كان كونه من الماء وحده، ولا دهانة فيه.
وأما ما له قليل من ذلك كما يوجد في المغنيسيا والمرقشيا، وأمثال ذلك مما هو
جسد وجسم.

وهذه الأحجار مما يقال فيها إنها ليست ذوات أرواح ولا نفوس فافهم.
يا أخي هذه الفضول فإنها الموصلة لك إلى البغية، والكاشفة لعقلك الطريق
الأصوب والمزيلة عن نفسك الشك والواقفة بك على كنه الحق.

قالوا: فأفضل هذه. أما في الأحمر: فالذهب والحديد والنحاس والأسرب، وأما
في الأبيض: فالفضة والقلعي، وربما دخل فيه الأسرب.

وأما الزئبق: فمشارك فيها، وأما تلك النفوس فواحدة في الجميع عند من شاهد
هذا الأمر وتحقيق الحال فيه، وأما عند ذوي العلوم والبصيرة فإنهم ربما جعلوا الكبريت
لصبغ الأحمر والزرنيخ لصبغ الأبيض.

وهذه آراء القوم في ذلك، وأما أهل الرأي الأول.

فإنهم انقسموا أقساما كثيرة، فمنهم طائفة رأت المرار كما قلنا، وطائفة رأت
الشعر، وهاتان الطائفتان أفضل هذا الشأن.

وأما قوم فقالوا: البول والدم والغائط على ما سنذكره في كتبنا المستأنفة، وأما
طائفة فقالت البيض وحده لا غير، وهذه الطوائف أقصر علما وأوهن برهانا من
أصحاب الرأيين الأولين.

وأما أصحاب النبات فقالوا: أفضل النبات الأشنان واليسر الأحمر وشجرة الحب
والسمراء والأزهار الحمر، والصفير، وما أشبه ذلك، ولا شيء أعوز على فهم هذا الأمر
من شرحنا الحال التي دعت الناس إلى هذا الاختلاف في الرأي بعد اختلافهم في شرح
الرموز فإنه قد قيل: إن الذي قادنا إلى هذا الاختلاف بسبب آرائهم في شرح رموز
القدماء من ماء كل شيء من الحيوان وأجزائه والنبات والحجر وفروعها بحسب قوة
نظره وضعفه، وذلك أن الطريق للتدبير واحدة لا غير ذلك، فلما كان هذا الأصل لا
خلاف فيه، وكانوا قد قصروا عن فهم أصل هذه الأنواع وذهب عنهم ضياعها جذبهم
الظن إلى هذه الآراء والمقالات وكثرت منهم وجميع من لجيح في ذلك وعابن الحق،

وانبسط في التدبير فإنه سيرجع إلى الحق عن قريب، ولا يبعد بعدا كثيرا؛ لأن الحق يظهر نفسه بعينه وتوقيف على كنهه ما يسر ذلك.

وقد يجب على الإنسان الطالب لهذا الأمر أن يكون ذكيا؛ لأن هذه الصناعة تحتاج إلى حجج وبراهين على إثباتها وكونها على غايتها وأنيتها وكميتها ليكون الداخل فيها داخلا إليها على بصيرة من حاله ويقين من أمره ليعلم الفصول والآثار الظاهرة فيكون سلوكه على يقين، وعلم قاطع.

ولا يكون ممن يسلك في ظلماء ويخط في عشواء فإن هذه الصناعة ليست كائنة بالبحث ولا كيف جاء وأتقن.

لكن إنما يكون لذي الرأي الصحيح، والقياس الواجب والدرس الدائم للعلم الحق الواضح فاتقوا الله عز وجل يا قوم في أنفسكم.

ولا تسلكوا طريقا لم تعرفوه، ولا تركيبوا مركبا لم يتقنوه وتتلوه وتسكنوا إلى الاطلاع عليه، والمشاهدة له والبرهان أصدق شاهد، وأعدل حاكم.

وسنذكر في كتبنا التابعة لكتابنا هذا جميع هذه الأقاويل وسائر التداوير، وكل البراهين وكل الأشياء المحتاج إليها في هذه الأعمال والحكمة.

ولا نخل بشيء منها، ولا نتجاوزها على أي ما رمزت ولا سترت بل شرحت وبينت وأوضحت بلا غش، ولا حسد، ولا تورية، ولا بخل وفرقت ذلك في أثناء الكتب وحواشي الفصول فلنوقف الناظر فيها على هذه الحواشي والفصول ليدرك الأمر الذي يطلبه والقصد الذي أمه، ولا يبادر ويقدر الظفر من أول وهلة فيهلك، ويغلط الغلط الذي لا نفع معه، ولا مرجوع إليه من بعده، ولا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإنما خصصنا هذا الكتاب بهذا الاسم؛ لأنه عنوان له وسبيل العنوان أن يكون له بالغرض اتصال، ومناسبة في كل كتاب، ومعنى الأسطقس:

أنه الشيء الذي تنحل إليه الأشياء كلها، ومنه تتركب أيضا؛ لأن ما انحل إلى أجزاء ما كان منها مركب، وما تتركب من أجزاء، وأبعاض كان إلى أصلها منحلًا وراجعا.

وغرضنا في هذا الكتاب إنما هو الإخبار بحجر الفلاسفة الفاضل الصبغ وما هو من سائر ألوان هذا العالم، وهذا هو أسطقس هذه الصناعة إذا فكرت فيها ووجدتها منحلّة إليه ووجدتها مركبة منه؛ لأن الإكسير إذا ميز وفصلت أصوله علم أنه كائن. كما قيل من أربعة أجزاء، وأنها كائنة من شيء واحد حدثت منه تلك الأربعة وظهرت وجمعت كما كانت فرجعت إلى ما كانت مفارقتها، وعلى غير ما كانت. فالمخالفة في الصورة فقط، وأنها من أربعة أشياء فهي إن كانت متباينة ظهرت حتى صارت على مثال واحد في النسبة والشبة، ثم ركبت.

وكل واحد من الأركان الأربعة أسطقس، وقد ذكرت الأركان كلها على اختلاف مقالات الناس فيها في هذا الكتاب فهو حقيق بهذا الاسم أعني أسطقس الآس؛ لأنه جامع التحليل والتركيب لأجزاء الإكسير. وأما الآس فهو الأصل، وهو الكتاب الذي هذا هو الكتاب أسطقس له ونحن نشرح له حاله في موضعه من ذلك فليؤخذ منه فقد دللنا غرضتنا في كتابنا هذا، وفي غيره من سائر الكتب المائة والاثني عشر.

وعلى المنفعة الحاصلة منه ومنها على ترتيبه، وأنه أول سابق لجمعها، وعلى قسمته التي يشتمل على أجزائه المتصلة فيها، وعلى عنوانه، وعلى معناه الحاوي له، وعلى نحو تعليمه، وذلك أن هذا الكتاب قد سلكت فيه المذاهب الأربعة من الحد والقسمة والتحليل والبرهان وذلك داخل في جملة الكتب فلتعرف حسنا، وتعمل على هذا الترتيب إن شاء الله تعالى.

فأقول: إن ماء الحجر بارد رطب وناره حارة يابسة وهواءه حار رطب وأرضه باردة يابسة، وهذا على القصد الأول في طبائع الموجودات المسماة بهذا الاسم وبهذه الأسماء الأربعة، وليس ذلك بالحقيقة، وذلك إنما يوجد ويعلم من طبيعة الإكسير بنفسه، ثم من طبائع أمزجة هذه الأركان وذلك أن الإكسير نفسه حار رطب. وهذا هو الطبع الأغلب الظاهر فيه، وكذلك حره أعني الأحمر والأبيض؛ لأن الدهن للرطوبة لا غير، والصبغ للحرارة وعدم الصبغ للبرودة.

وأما الصبغ الأحمر فقد يزال الشك عنه أن يتوهم أنه بارد لظهور أعلام الحرارة

في الصبغ الأحمر، والطبع فيه.

وأما الأبيض فلأن البرودة لها الصبغ إلا الأبيض لا غير لكن الرونق والسرعة للدهن الذي هو قسط الحرارة فهي أولى به.

وليس الإكسيران كانا عادمي البيوسة، ولو كانا كذلك لكانا غير كاملين؛ لأنهما لا يعملان عملهما إلا بالكمال الذي هو لهما فلا يخيرك الشك في قولي إن السرعة من قسم الحرارة فإن هذا خلاف الحق؛ لأن السرعة للبيوسة، وإنما أردت الحركة السريعة فإن الحركة للحرارة والسرعة للبيوسة.

ولذلك صار البطء للرطوبة وعسر سرعة الحركة للحرارة، والسكون للبرودة، فلأجل أن الإكسيران مجتمع الأجزاء وممتزج أيضا صار ما كان فيه من النوع الفاضل للطبائع فإن الإكسيران إذا جرى وتحرك فإنما هو للحرارة لا غير.

وليس الانبساط للحرارة لكن للرطوبة، وكذلك ليس سكونه للرطوبة لكن للبرودة فقد تحرك الإكسيران بجزراته وانبسط في أقطار الجسم برطوبته، وأسرع ببيوسته، وثبت مقيما على حاله ببرودته فالماء بارد على أصل التركيب بالاسم أنه الماء، وليس كذلك؛ لأن للحرارة فيه قوة؛ لأنه، وإن كان مفردا فليس شيئا واحدا.

ولأنه من لونه فقد فصل ما كان مفردا ليكون مركبا وذلك هو الأصل فيه وكذلك طبع باقي الأجزاء.

أما في الأحمر فإنه قوي الحرارة والرطوبة فإن كان معتدلا في الوصف والنعته المعتدل الحقيقي هو لا حار ولا بارد، ولا رطب، ولا يابس؛ لأنه لا زيادة لأجزائه بعضها على بعض في القوة وهو مع ذلك كامن للبرودة والبيوسة في باطنه وتلك الظاهرة.

وأما الأبيض فإنه بارد رطب في الظاهر حار يابس في الباطن، وهو ما قلناه أولا في وصف طبائع الأركان.

وذلك؛ لأنه لا قوام للبرودة معها فإذا الأكسيران الأبيض حار الطبائع في الباطن ملتئم الأجزاء بارد الفعل في الظاهر لأجل بياض أركانه التي هي على القصد الأول باردة.

كما يعرض ذلك في سائر الموجودات كالحال في الأجسام الذائبة التي ابتدأت في المعادن لتكون تامة المزاج فهي كذلك وعلى القصد الأول حمدت، وليست كذلك؛ لأجل العوارض التي اعترضتها فأحالتها.

وفي هذه الجملة كفاية لهذا المقدار من تعرف أصول الصناعة فمن أراد التوسع في ذلك فليقرأ ما لنا فيها على ما رتبناه في الفهرست.

تم كتاب الأسطقس المؤلف على رأي الفلاسفة والحمد لله رب العالمين.

كتاب أسطقس الآس
على رأي الديانّة، وهو الثاني لجابر
بسم الله الرحمن الرحيم

قال جابر: أما بعد:

فقد سبق لنا قبل كتابنا هذا كتاب في هذا المعنى على رأي الفلاسفة والذي دعانا إلى الفعل.

هو أن آراء الناس أشتات وجميع هذه الآراء ثلاثة فقط:

فأحدها: رأي أصحاب البرهان العقلي الاضطرابي.

والثاني: رأي أصحاب الإقناع من الجدل وسائر ما تشتمل عليه كتب طريقتنا

والرأي الأفضل: أعني رأي أهل الديانات.

ولما تكلمنا على رأي أصحاب البرهان وقدمناه للحاجة الداعية إليه في شرح

كتبنا في هذه أعني الجدلية والديانية.

إذ كان كالمطرق لها، والمستهل لما فيها فإننا نحتاج أن نقول الآراء في هذا الرأي

الشاق العظيم القدر.

الأول: في الرسم، وهو ما معني أسطقس الآس في هذا الرأي.

الثاني: الدياني، ونحن نعمل بعد في الرأي الجدلي الإقناعي كتابا ثالثا على ذلك

الرأي نسميه أسطقس الآس الصناعي إن شاء الله تعالى.

والأسطقس عند كثير من الناس واحد إلا عند قوم قد أخذوه أيضا أخذا على

الظن.

وذلك أن جالينوس جعله في ألفاظه عنصرا ويقول: إن هذا العنصر جزء من

الشيء الذي هو عنصر له.

وقد قال قوم: إن العنصر هو الأصل وإن الأسطقس اسم لجميع الأجزاء التي

يقال لكل واحد منها عنصرا.

وقد قال قوم: إن الأسطقس هو المادة الموضوعة لحمل تلك الأجزاء التي يميز بها

ذلك الشيء عن غيره وينفصل، وقالت طائفة: الأسطقس هو الهداية نفسها، وليس

أصل، ولا جزء من الشيء الموصوف كأنه العلم والصناعة والعمل، وقالت طائفة:
الأسطقس هو المعنى الدياني الذي به يكون إدراك العلوم وذلك أنه قد ينقسم له
أقسام فقد قيل إنه العقل.

وقيل: إنه الإلهام.

وقيل: إنه الدين الذي هو عمدة كل أمر شرعي وغيره، وقد يدل ذلك على اعتقاد
من رأى أن الصنعة حق، وإن لها كونا، وأنها غير كائنة إلا بالصلاة والزكاة والطهارة
والسنة الصادقة لطاعة الله عز وجل، والغير خارجة عن نظام الشرع والنذر، والصدقة
قبل البلوغ إليه، وبعد البلاغ لتمام ذلك، والمسكنة والخضوع لله تعالى، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، وما أشبه ذلك.

وقالوا: الأسطقس هذا: هو والآس فهو الإلهام، وأما المناجاة في اليقظة والنوم
والوحي الذي صورته صورة الإلهام والحدس الصادق، وعلى ما قال سقراط أن الفراسة
إصابة الرأي على الصحة.

وأما الأسطقس عند أرسطاطاليس: فإنه الشيء الذي يكون منه الشيء كونا
أوليا، وهو موجود في الكون منه بالقوة لا بالفعل.

وأما طائفة فقالت: إن هذا العلم لا يكون إلا مع شيء يوحيه الله عز وجل إليه
أو في وحي؛ لأن هذا العلم يتجاوز إدراكه عقول الناس، ومقابلتهم فإذا إنما يكون من
كتاب الله عز وجل، كقوله لإبراهيم عليه السلام.

﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ
أدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] فقيل: إن هذه الأربعة
طيور كانت الأرواح الأربعة.

والأربعة جبال الأربعة أجساد التي يسمى المتولد منها أثار نحاس.

وقد ذكره أفلاطون في مصححاته.

وكقوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ
رَبْدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ رَبْدٌ مِّثْلَهُ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ

الْحَقَّ وَالْبَيْطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ... ﴿الرعد: ١٧﴾ الآية.

وكقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقالت طائفة: إن العلم الذي نحن في ذكره إنما يكون للنبي فقط، وهو الأسطقس وأن النبي يعلمه للوصي، وهو الآس نفسه وتنازع الناس في ذلك منازعات كثيرة لا يمكن إيراد جميعها لطولها؛ لأن كتبنا تضيق عنها. وذلك إما لطولها، وإما لكثرة ما خلط الناس بها المحالات فهذه جملة ما قال به هذا الفريق من أهل النظر في هذه الصناعة.

ولهم آراء في الحجر الذي يكون منه العمل، وهل هو من شيء واحد أو من أشياء، وهل هو شيء يكون من أعمال الناس وتديبرهم أو الإكسير الذي خلقه الله تعالى عز وجل وتدرك أوليائه علمه أو من الأمرين جميعا. فطائفة قالت: هو من شيء واحد، وهو البيض فقط.

وطائفة قالت: إن هذا الحجر ينبغي أن يكون من أفضل الأشياء الموجودة في هذا العالم، وليس في العالم شيء أفضل من الإنسان.

وأفضل ما في الإنسان هو العناصر الأربعة التي هي الأعضاء الرئيسية وهي الدماغ ذو التمييز والقلب ذو الحياة والحركة والعقل، وما أشبه ذلك على تنازع الناس فيه والكبد الذي هو الحافظ لقوام البدن والغاذي له، والمدبر قوته والقاسم بين أجزائه العامة في الغذاء الضابط له والأنثيان الموجودتان الحافظتان لصورة النسل والمتمتتان مزاج المادة الحافظ للصورة الأولى.

وليس في الأعضاء ما له الشرف التام مثل الأنثيين، وإن كان القلب والدماغ متقدمين لهما، وقد يغلط الناس ههنا غلطا عظيما.

وذلك أنه قد تظهر أشياء لها نوع من المقدمة تظهر أنها آخرة وهي أولى بالسبق. وذلك أن الإنسان من الدماغ والقلب والكبد والأنثيين؛ لأن هذه إنما هي آلات الإنسان وقابلات لفعله ليكون تلك الصورة تمام الشخص، وإذا رجعت إلى خلقه

الشخص وجدت أن السبب الذي منه يكون، وفيه صورة مثاله قبل جميع أجزائه فالمني قبل الدماغ، والقلب والكبد والأنتيين لها، وذلك من تمام التمام فقد تقدم السبق. وإن أردت استيفاء هذا إلى آخره فارجع إلى كتابنا في الذكر، والأنتى فإنك تجد أسباب ذلك وبراهينه واضحة إن شاء الله تعالى.

قالوا: فالحجر هو المني دون سائر الأشياء التي يتوهم أن العمل فيها ومنها قالوا: وفيه جميع الأقسام الأربعة التي هي سابقة لكل موجود، وهو الموضوع الأول والصورة والمحرك والتمام.

فأما الموضوع فإنه الأصل الأول لكل موجود، وذلك أن المادة أمر سابق، وقد ذكرنا أن الخلاف بين الناس دائم في سبق المادة للصورة والصورة للمادة، وقد أوضحنا آراء الناس في كتبنا وفصولنا في كتاب مخصوص به ظريف شريف عجيب عظيم الخطر، والمحل، وإن المادة هي الموضوع الأول، والأولى بالشرف والسبق وأنها لو لم يكن ما كان لأفعال الصور ظهور.

وقد قال الناس - أعني الناقضين لهذا الرأي - أنه لولا الصورة ما برزت المادة من القوة إلى الفعل، وأولى الأمور ممن لم يمكنه الإمعان في النظر أن يجعلهما متساويين والشك الذي لحق الناس في ذلك إنما هو أن الصورة تفعل في المادة فتجعل سابقة، وإن المادة منفعة فتجعل متأخرة.

والشيء إنما يظهر ويتم من بعد دخوله أصوله وأسطقساته والمادة والصورة سابقتان لسائر الكون بالذات وليس لأحدهما سبق للآخر. وذلك ما أردنا أن نوضح.

قالوا: ولا شيء أظهر من هذا الحجر، وقد ينبغي أن يفصل ثلاثة فصول، أما أحدهما: فالماء الأول الذي فيه، وليس إنما يكون بالتقطير ثم النفس الثالثة له وهو الدهن والأرض الباقية منهما بعد انفصال الماء عنه على ما سنذكر ذلك في كتابنا كتاب المني من هذه الكتب المائة والاثني عشر ثم الصبغ الظاهر من الماء والأرض عند تدبيرها.

وقد ينقسم إلى قسمين: وذلك أنه يكون منه البياض إذا دبرت هذه الأربعة هذا التدابير التي ذكرنا، وإن أردتم تعفينها وحلها وعقدها ظهرت فيها الجمرة وكانت

صبغا أحمر.

وعلى مثال ذلك قال أصحاب البيض: فهذا قول الطائفة العلييلة من أهل هذا الشأن، وأما طائفة قد ذكرت أن هذا الأمر لم يزل يرد على الأنبياء عليهم السلام تفضلا من الله تعالى لئلا يكون بهم حاجة إلى ما في أيدي الناس يوحي يوحي به الله تعالى إليهم، ونفذ ما كان من ولد آدم وخلافهم وتفرقهم في البلاد وانقطع فلم يظهر إلى أن ظهر موسى بن عمران عليه السلام، وأنه كان يعمل من ثمان أدوية، وأن قارون سرقه منه على ما قصصنا خبره في ثاني كتبنا هذه وفصولها.

وأن هذه الأدوية الثمانية هي الزئبق والزرنيخ والكبريت والفضة والذهب والنوشادر والصبغ، والماء ثم اختلف الناس في ذلك اختلافا طال وكثر.

فقال طائفة: إن موسى ما عمل فضة، وإنما عمل من الماس والزئبق واللؤلؤ والطلق والفضة، والماء والهواء والأرض.

وقالت طائفة: إنما عمله من دوائين وهما الرصاص والزرنيخ الأصفر خاصة، وأكثر الناس القول في ذلك وتشعبت الآراء ثم إن جميعهم قالوا: إن هذا العلم لا يتم لمن لم يخل في الفلوات ويتجوع الأيام الكثيرة، ويدم الصوم، وإشعال النار والبخوارت والقرايين لله تعالى.

وطائفة أنكرت ذلك، وقالت: إنما هذه للكواكب ورسمت لكل كوكب بخورا على ما ذكرنا في كتبنا هذه، وفي كتبنا في استخدام العلويات وفي المائة والأربعين الفلسفية الموازنية في أدعية الكواكب وبخوراتها وأمثال ذلك.

وقالت طائفة: لا يكون إلا بالصوم الدائم والقرايين في الهياكل والنواويس فإنه أحرى من أن يكون إلهاما.

وإما في النوم فقط، وقد ذكرنا من هذه التدابير في كتبنا هذه، ومن البخوارت ما فيه كفاية على مذهب كل واحد من القوم، وعلى منهاج رأيه، واعتقاده حتى لا يكون الإنسان محتاجا إلى تكليف وطلب لذلك فإذا وجدته لم يدر كيف هو، ولم تقع الثقة به متى تفرقت كتبنا وكثرت واتسع فيها الكلام فإن الشيء كلما أكثر أقسامه انبسط فيه الشرح، وطال القول بما له وعليه وفهمت جميع معانية.

وقد انقسم أهل هذا الشأن ثلاثة أقسام^(١) فطائفة قالت: إنما يكون لمن كان له دراية بعلم الطبائع.

وقالت طائفة: ليس للطبائع في هذه فعل، وقالت المعتزلة: إنما هو موهبة من الله تعالى بمن يختص من عباده.

وقالت طائفة ثالثة: إن هذا العلم إنما يكون موهبة من مواهب البارئ تعالى لمن يختص من عباده.

وزادوا على قول أولئك ومن له منزلة لديه وتأثير الطبائع؛ لأنه الشيء الأول الذي فيه العمل، ولما كان الله تعالى أعلم بالأعلمين، وهو المطلع على ما في الأشياء من المنافع والمضار وما فيها من بعض تلك السرائر، وأراد ليروا بدائع الآثار أطلع الله تعالى من يختص به على بعض تلك السرائر، والآثار والمنافع والمضار، وكان ذلك إما في عضو حيوان أو غصن شجرة أو ورقها أو ثمرها أو ما أشبه ذلك.

أو في حجر من الأحجار ويعلم الله تعالى سره، وما له فيه من منفعة وضره. قالوا: وكذلك سائر العلوم إنما تأتت إلينا من الأنبياء والأئمة والأبواب والحجيج والعلماء بإفادته جل وعز لهم ذلك، وأنه لم يكمل علم جميع الأشياء لأحد من خلقه ليكون هو تعالى أعلم الأعلمين، ولأن الإحاطة بذلك ليس من طاقة المخلوقين، وكما قال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠]. قالوا: ولسنا نقول بدفع الأسباب لكن لكل واحد من هذه اصل من الطبائع، ومادة وصورة.

قالت طائفة: إن نبينا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام قد ذكر ذلك وأبان عن صحته، وكذلك علي بن أبي طالب عليه السلام بما ذكرناه في كتابنا في الإمامة الذي هو سبع عشرة مقالة حيث سئل، وهو يخطب خطبة البيان، وقد قيل له: هل الكيمياء له كون.

قال: إن لها كونا، وقد كان، وهو كائن وسيكون فقيل له: وما هو يا أمير

(١) انظر في المسألة: أعلام النبوة للماوردي (ص ١٢١)، وإثبات الحق على الخلق لمحمد القاسمي (ص ٧٧)، وغاية المرام للأمدني (ص ٣٢٢).

المؤمنين؟ فقال: إن في الرئبق الرجراج، والأسرب والزاج والحديد المزعفر وزنجار النحاس الأخضر لكنوز الأرض لا يوقف على غابرهن.

فقيل له: يا أمير المؤمنين لم نفهم فقال: اجعل بعضه أرضا وبعضه ماء فافلح الأرض بالماء، وقد تم العمل.

فقيل له: يا أمير المؤمنين لم نفهم.

فقال: لا زيادة على هذا، وإن الفلاسفة القدماء ما زادت لثلا يتلاعب به الناس.

وقد روي عن إبراهيم الخليل عليه السلام قال: إن العمل في البيضة، وليست

ببيضة فقيل له: فما هو العلم وما البيضة وما هو غير البيضة فقال هي العالم وهي الطبائع الأربعة التي فيها علم الكل.

ويقال إن عيسى عليه السلام روح الله وكلمته قال: وقد سئل عنه أنه كائن

فقيل له: مما هو فقال: كلام انقسم الناس فيه بين الشرع، وبين الحكمة، وذلك أنه قال: من لم يكن له سيف فليشتر سيفاً، ولم يزد على ذلك.

وقد أتى بذلك بليناس الحكيم حيث ذكر نقش اللوح، الذي في يد هرمس، وهو

قال: حقا يقينا لا شك فيه إذ كان الأعلى من الأسفل، والأسفل من الأعلى عمل

العجائب من واحد كما كانت الأشياء كلها من واحد، وأبوه الشمس، وأمه القمر

حملته الأرض في بطنها وغذته الريح في بطنها نارا صارت أرضا أغزوا الأرض من

اللطيف بقوة القوي يصعد من الأرض إلى السماء فيكون مسلطا على الأعلى والأسفل

وقد شرحت معاني هذه كلها في أثناء كتبي هذه وتلك الباقية فليؤخذ منها.

فإننا إنما ندلك في هذه الكتب على الأول، وأسباب الأصول المستنبطة، وليست

على الأصول المركبة ولذلك استحقت هذه الكتب اسم الأسطقس فاعرفوا ذلك.

وقد قال بعضهم: ممن أقر بالطبائع والتدبيرات مارية القبطية خرجت إليهم يوما

وعلى كتفها صبي.

فقالت: ويدها مغزل تغزل به الذهب، وقد أومأت إلى الصبي أن العلم فيه، ومنه

على ما قد ذكرنا لك.

قال قوم: ليس يحتاج العلم إلى تدبير، وإن الإكسير في العالم موجود في حكمة

ما خلقه الله عز وجل، وإن موسى وسائر من أومأنا إليه من الأنبياء والأئمة الصالحين ما عملوا قط شيئا.

وإنما أوحى الله تبارك وتعالى إليهم بعلم ذلك الحجر فقط فعملوا منه ما يقال إنه يعمل بالتدبير، وإن التدبير لا شيء فيه؛ لأنه ليس في العالم شيئا على مثال واحد متساويان في الفعل والقوة، وإن عملت عملا واحدا في الصورة. فأما في الرتبة والقوة فلا يكون المزاج إلا من أشياء متباينة لما في ذلك من المحال، والتي على مثال واحد فهي مفردة ومركبة على مثال واحد.

واحدتها دور هذه ووجود هذه، وإثبات ما فيها من الحق ونفي ما فيها من الباطل في جملة الكتب فليؤخذ منها إن شاء الله تعالى وليس ما قاله أهل الديانة بعيدا مما قاله بعض الفلاسفة فإنه قد قال بعض القوم إن الطبيعة قد أبعدت شيئا من الإكسير الذي عملته الطبيعة.

والفرق بين الذي يعمله الناس إنما هو طول المدة وقربها وذلك أن الذي تعمله الناس قريب المدة لأجل عدم الطبيعة للعقل، والفكر ووجود تلك للإنسان دون الطبيعة.

ولهذا ما قيل في الإنسان: إنه عالم صغير والإضافة إلى العقل والعالم الأعلى الأول كما حكينا ذلك في رأي الفلاسفة.

أما الكبير فبإضافته إلى عالم الطبائع ومعنى عالم كل جامع الأجناس متنفسه وذلك أن الإشارة إلى العالم إنما هو إلى الجمع؛ لأن لفظ نفس مجاز جامع كما يقال: الناس فهو لفظ يدل على جملة.

وهو واحد في اللفظ وليس لواحد اسم تركيب منه اسم الجميع وكذلك الخيل، والإبل والجنس.

وكذلك قولنا الإنسان يدل على واحد من كثير؛ لأنك إذا أشرت إليه كان واحدا وإذا قصدت بالقول نحو النوع كان الكل كثيرا قال الله: ﴿ قَتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [عبس: ١٧]، وقال: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النجم: ٥٣]، وقال: وقال الإنسان ما لها يريد الجنس إذا أردت فضائل ما في الإنسان فأقولنا كتب

الديانات، وكل هذا الوجود فإننا نشرحها في هذه الكتب على ترتيب القول فيها في كتبنا هذه المائة والاثني عشر كتابا يشتمل على المعنى الحق في تدبير هذه الصناعة، وفي كل كتاب منها جزء واحد فلتراقب ذلك الجزء.

وهي مع ذلك جامعة لأدوات من العلم كثيرة وغير خالية من فوائد عزيزة. وأرجو أن يرزقكم الله جل وعز يا إخواننا الظفر بما فيها من هذه الفوائد والحكم إنه ولي ذلك والفعال لما يريد إن شاء الله فقد أتينا بأوائل الفصول وأسطقساتها في أنحاء البلدان وكلها وهي القول على الحيوان والحجر في الرأي الدياني والمذهب الفلسفي.

وبقي أن نقول على المذهب الذاتي العامي وذلك أن التدبير والأعمال وآثار الأصبغ ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

فأولها: العالي الشريف الذي يكون من أفضل الأحجار وألطفها وبألطف التدابير، والجواهر إن من الحيوان، وإن من النبات، وإن من الحجر، وهو دواء يجل، ويعقد وسائر التوابع من الأعمال التي نذكر في أثناء الكتب.

وأما الثاني: فهو الأوسط الذي ربما من الحجر الواحد أو من أحجار الجماعة؛ لأن الفرق بين شرف التدابير إنما هو في قليلها أو أكثرها وصفاء جواهرها وتمام أجزائها ووفور أصباغها.

وأما النوع الثالث: فهو النوع الأدنى منها وذلك منسأغ في الحيوان والنبات والحجر، وطهارة هذا أقلها وكذلك الحال في قواها وأصباغها ومنازل تدبيرها على ما سنشرع في مستأنف الكتب، وأقول بقول جامع يدل على كنه الحال في وجود حجر الفلاسفة الفاضل الصبغ وكنه الطريق إلى إدراكه وذلك أن العالم الكوني كله كائن من مزاج الطبائع الأربع ما كانت النسبة في الكون بين جميع الأشياء الموجودة واحدة إن من نباته، وإن من حيوانه، وإن من حجر من أحجاره.

وهذا دليل على أن حجر الفلاسفة الكائن منه هذا الإكسير هو كائن من أكمل جميع أجناس العالم وأجزائها.

أعني من الحيوان والحجة على العقل الأول ولكن لما كان الخلاف موجودا في

جميع الأشياء كلها لاختلاف تركيبها إذ كان ليس في العالم شيئا من مثال واحد؛ لأن صورة الشخص ظاهرة أي كائنة من أعراض وخواص وفصول: أولها: ليست توجد في غير هذا الشخص أبداً فلذلك ما يكون العلم في الحجر الفاضل في تلك الأجزاء المحتاج إليه في العمل لكن وجود ذلك الفعل قد يكون لسائر الكيانات كما قلنا؛ لأنها كائنة من مزاج واحد.

وأيضاً فإنه قد يجب أن تعلم أن هذا القول قد يجمعه أمر واحد، وهو التدبير لسائر الأعمال في الأكاسير من الحجارة الفاضلة الصبغ المتوسطة والناقصة تدبير واحد. وعلى ذلك فقد يجب أن تعلم إن أثر علم هذه الصناعة إنسان إنه إذا كان ممن عرف وجه التدبير الحق إنه لا يخطئ؛ إصابة المراد من الأكاسير من أي حجر عمل ذلك الإكسير.

وأنة قد يعلم هل أصاب الحجر العالي الصحيح الذي هو حجر الفلاسفة وحجر الحكماء والمطلوب لجميع الناس أو غيره في الدني كما يتوسط العمل وسوف نميز جميع الأشياء المحتاج إليها، وما يأتيه الطالبون لهذه الصناعة في أثناء كتبنا هذه المائة والاثني عشر كتاباً، ونرى أنها لطالب ذلك مشروحا مبينا في باقي هذه الكتب التي هذا أحدها لأننا قد استقصينا القول فيها إن شاء الله تعالى.

فاعرف الآن منزلة هذه الفصول من كتبنا وترتيبها لتدرك الحق، وتعال البغية واركب أي الآراء شئت، وأردت منها، وإذ قد أتينا إلى هذه الغاية بينا بما أتيناها كما رأيتم فليكن الآن آخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تم كتاب الأسطقس الآس على رأي الديانة، وهو الثاني والحمد لله وحده.
ويتلوه الثالث على رأي أهل الصناعة.

كتاب

أسطقس الآس، وهو الثالث

قال جابر بن حيان

بسم الله الرحمن الرحيم

وهذا الرأي العلمي الذي لجابر بن حيان، قال: الحمد لله، ولا إله إلا الله. أما بعد:
فإن الله تبارك وتعالى جعل العالم الأصغر الذي هو الإنسان مميزا لكل شيء أعلى
منه ودونه.

فمن ذلك أنه جعله مماثلا للعالم الأكبر الذي هو الفلك وليس بعد هذا نهاية
ألبتة.

وجعله مميزا للعالم الأوسط الذي هو الحكمة التي من بعض نتائجها العلم الذي
تعرفه العامة بالكيمياء وتعرفه الخاصة بنتيجة الحكمة، وهي الصنعة التي تقدم قولنا فيها
في الكتابين المتقدمين لهذا الكتاب، وجعل الحكمة في الإنسان بالكلية، ليس يحتاج معها
إلى شيء آخر: ﴿ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وكل إنسان فهو
يتلاشى ويعود مثله دائما إلى يوم القيامة ثم إنه كان قد وقع إلينا قبل أشياء أظلمت
خواطرنا وأتاهت عقولنا ثم أوجدت لنا بعدها علما نورانيا فجلى الظلمة وكشف لنا
عن الحق فلم نر في الديانة إلا كشفها لمن هو مجانس لنا في صفاء النفس، وذكاء العقل.
ولقائل أن يقول: من كان مثلك فهو قادر أن يصل منها إلى مثل ما وصلت أنت
إليه هو لعمرى كذلك.

ولكن لو كان يتفق له أن يكون في زمان مثل زماننا فيخرج له من الفضلاء مثل
من خرج في زماننا نحن مثل سيدي جعفر بن محمد، ومثل معلمي حربي، وأذن الحمار
المنطقي، ولو اتفق ذلك في زمان فإنه لا يجاوز زمان من فاضل.

فربما لم يتفق له أن يكون لهم بالقرب الذي كنت به منهم فلو كان يتفق له جميع
ذلك لكنت قد كفيته بكتبي هذه تعباً كثيراً تعبته أنا مع ما اجتمع لي.

فنحن نقول وبالله التوفيق: إن الذي يحتاج إليه طالب هذه الحكمة الصبر قبل
كل شيء على المطالعة للعلوم ثم لكتبتنا فيها فإن كان ممن عني بالعلوم وصبر على

تحصيلها فقد كفي نصف التعب وقرب الله عليه المطلب فهو يحتاج إلى الصبر على المعافاة ويحتاج إلى جدة وفراغ ومعرفة بالعمل ومعونة من أعوان ثم إلى تحرز وكتمان وبالكتمان تمام العمل.

وأنا أقول بعد ذلك حرام على من قرأ كتبنا هذه المائة والاثنى عشر، وقيل: كتبنا هذه أن يقرأها على غير تأليف وعلى غير ترتيبها في ترسيم قراءتها وعلى غير أستاذ. فإن من قرأ كتابنا أو كتبنا على غير هذا الوجه لم يظهر له منها الحق، وليكن يلين من جوانبه لأستاذه فإن لم يجد الأستاذ فيها فليقرأها على من معه من الفهم ما ليس معه أو من العلم بسائر العلوم مما يجانسها كالطب والفلسفة وعلم القياس العقلي ما ليس معه فإنه إذا فعل ذلك ظهر له الحق، والله أيسر مما تقدره المقدرين.

وبعد، فإني قد وضعت كتابي هذا وسميته كتاب أسطقس الآس وغرضي فيه أن أذكر الأحجار التي منها يكون الصنعة وتدبير الحق، والباطل منها، وأضمن أن أذكر في كتابي هذا الأشياء البرانية الجوانية والجوانية البرانية والبرانية المفردة والجوانية المفردة.

فأقول وبالله التوفيق: إن الأشياء البرانية الجوانية تكون من الزرنيخ والكبريت والنوشادر والزئبق ومن الفضة والذهب والأسرب والرصاص والزجاج والملح والنورة والزاج، وهذه تكون في أول التدبير برانية، وبعد ذلك تعود جوانية.

وأقول حرام أن يتم وحقيق أن لا يتم العمل لمن حجر الأجساد وحلل الأرواح، وإن لم يتم أيضا لمن حجر الأرواح حتى تكون بمنزلة الحجاره الصم وحجر الأجساد أو عجنها.

وأقول أيضا: إن الأشياء الجوانية البرانية تكون من الحديد والنحاس والطلق والرصاص والأسرب والملح والنورة والكلس العظمى والزئبق والزاج والقلقته وجميع ضروب الزاجات فإنها تكون جوانية ثم تنقلب فتصير برانية.

وأقول أيضا: حرام أن يتم وحقيق أن لا يتم العمل لمن سلك في هذه الصناعة ما قلناه قبل في كل باب أو تدبير، وأما الأشياء البرانية المفردة فتكون من الزئبق وحده والكبريت وحده والزرنيخ وحده وكل واحد على حدته والنوشادر وحده والفضة مع أشياء آخر فعلها وحدها فيه أدنى ضعف والرصاص أيضا بأشياء تداخله والملح وحده،

وقد يكون أيضا من هذه الأشياء كلها تقويها منها شيء.

وقد يكون من بعضها فانظر أن لا تسلك ما قلناه في تعجين من حجر الأجساد وجمد الأرواح وحلل الأرواح وحجر الأجساد أو حلل الأرواح وهذا يتم مع ممازجة الذهب والأسرب^(١) بالمياه مثل ماء النورة، وما جانسه، والتخمير كمال العمل. والجوانية المفردة تكون من أشياء متناقضة الصبغ إلا حجر الفلاسفة فإنه فيه أغزر.

وينبغي أن تدبر كلامي في هذا الموضع وقولي إن الحجر الذي يكون منه الطري الجواني هو ماء في منظره نار في طبيعته محرق لحرارته كل في طباعه فافهم إلا أن بعد معرفتك الطبيعة الكاملة التي يكون منها هذا العمل فافصلها في الأول لتكون أعلى وأسفل فما على فقد طهر، وما بقي أسفل فإنه يحتاج إلى الطهارة فيلحق بالأمام ثم افصل الأسفل فيكون أعلى وأسفل شديدي الظلمة وطهر الأرض بالماء يكون أرضا وطهر الأرض حتى يكون دماغا ثم عد إلى الأعلى فافصله حتى يكون أعلى وأسفل وطهر الأسفل حتى لا يكون محرقا وطهره حتى يكون نارا ودبر النار حتى يكون قلبا وكبدا وشريانا ودبر الأرض حتى يكون روحا والروح نورا روحانيا والنور دماغا قمريا أبيض صافيا لا تشتغل فيه النار فإذا حصل لك دماغ وكبد وقلب، وهو الشريان النابض فاقرن الدماغ بالكبد وأدخل عليهما القلب ليكون القلب مدبرهما جميعا والمفبق لها الأشياء كلها يتم لك إنسان تام.

وقال بليناس الحكيم: اللطيف أكرم من الغليظ نور الأنوار بقوة القوي يصعد من

(١) الأسرب: وهو الرصاص، الغالب على أجزائه الجوهر البارد الرطب، وذلك أن البرد هو الذي جمده، ولذلك متى سحق الأسرب في الهاون مع بعض العصارات وجدت المجتمع منها دواء يبرد، مثل دهن الورد أو زيت الأنفاق.

وهذا الدواء هو نافع في مداواة أورام المذاكير والعانة والمقعدة، وهو في القروح السرطانية دواء نافع، وفي ردع المواد التي تنصب إلى الأذنين والقدمين، وإذا شدت منه صفيحة على موضع العانة قطعت الاحتلام، لكن مع مضرة شديدة بآلات المني.

والصفيحة الرقيقة منه تحلل العصب المتلوي. وهذا مما يدل على أن فيه قوة محللة بالإضافة إلى لحم الإنسان، وإن كان الغالب على مزاجه البرد.

الأرض إلى السماء ثم يتزل فيكون مسلطا على الأرض والسماء والأعلى والأسفل،
واعلم أن الحل والعقد والتهيئة كمال العمل.

واعلم أن التشويه والتسقية والدفن به ينشئ هذا العمل كما ينشئ الطفل
بالرضاع.

وإن أنت لم تقف على شيء كما قلنا لك فانظر في كتابنا الذي يعرف
«بالخمائر»، وإن انغلق عليك فانظر في كتاب الكمال وهو أحد كتبنا في هذا الفن فإنه
ليس يتغلق عليك ما تريده بإذن الله تعالى.

ويتبين لك الحق من الباطل وانظر وصيتي إياك في كتاب التدابير في الخمائر قبل
فإن به كمال علمك.

واعلم أن كل عمل عمله من الأكاسير يحتاج إلى خمير غير هذا الطريق فإنه لا
يدخله غيره.

وإني لأعرف قوما من المنكرين على الحكماء يقولون إنه لا بد للشيء الأعظم
من خميرة داخله عليه، وماء يسقى ويغوص به، وكل ذلك كذب؛ لأن أحد هذه
الخمسة تجزئ؛ لأن الهواء فيه جميع الطبائع؛ لأنه يجانس النار بالحرارة والماء بالرطوبة.

والماء يجانس الأرض بالبرودة والنار يجانس الأرض باليبوسة فيحق أن يكون
الهواء جامعا للطبائع المتنافرة لكنه إذا جمع الضدين إلى نفسه أصلحا بينه وبين ضده التي
هي الأرض، وإذا تألفت الطبائع تم لك المكون، وفي ذلك حجة واضحة، وهي قولنا لا

يخلو ألبتة من أن يكون طبع الحجر باردا رطبا أو باردا يابسا أو حارا رطبا أو حارا
يابسا بل هو متكون منها فإن كان باردا رطبا فإنه لا يغوص ألبتة إلا بارد رطب قليل
الحرارة فإذا جاءوا إلى فضة مدبرة مثلا أو رصاص مدبر وهما باردان رطبان إلا أن

الفضة أقرب إلى الحرارة واليبس فسقوها ماء النورة وماء الكيريت وماء النوشادر
فغاصت لم يصبغ شيئا ألبتة فإذا سقيتها ماء النوشادر وماء الفضة صبغت صبغا حسنا،
وكان النوشادر مغوصا لها وكانت الفضة المحلولة مقاومة للماء المحلول من النوشادر

وبقي الصبغ الذي في الفضة على حالته فيصبغ.

وإذا كان ماء النوشادر وحده صبغ دون ذلك الصبغ، وإذا كان ماء النورة وماء

الكبريت وماء النوشادر كان ما في هذه المياه من الحرارة، وإن كان في الفضة أكثر مما في الذهب من الحرارة والبرودة والرطوبة وهذا محال كله؛ لأنه لا يكون الماء أكثر من الشيء المعجون به في هذه الصناعة، وصارت الفضة الآن غائصة بلا صبغ بل قد تصير مغوصة للمياه فلا ذا يصبغ شيئاً، ولا ذا يصبغ شيئاً، والله المستعان على من جهل هذه الصناعة ممن يتعرض لها بعمل فما أكثره وأطولوه وما أبطأ رجوعهم عن الباطل إلى الحق، وذلك أنهم يتوهمون أنهم قد وصلوا إلى الحق ودون ذلك تشييب الغراب، ولم أضع كتابي هذا في الرد على المكذبين على هذه الصناعة السالكين بها غير طريقها فلنعد إلى غرضنا الأول وما قصدنا له مما نرجو به الثواب عند الله عز وجل يوم القيامة والله الموفق للصواب وهو المسهل لك الخير كله والنافع بنا عما يقول المبطلون.

فإن أنت لم تقف على ما في كتاب الكمال فاستغن بما أقول لك في كتابي هذا فقد أغنيتك عن ما في كتاب الكمال فإذا اعتمدت أنت على كتاب الكمال، وكان من يفهمك عالماً لم تحتج إلى غير كتاب، وإن قرأت كتاب الكمال لكان أقرب عليك؛ لأن فيه كيفية التدبير، وفي كتابنا هذا شيء من تفسير التدابير الذي في كتاب الكمال لم يضمنه كتاب الكمال؛ لأنه لا يجوز أن يكونا في موضع واحد بل الصواب على رأي الفلاسفة أن يكونا في مواضع شتى لثلاثي لثلاثي الوصول إلى ذلك سريعاً.

لكنه تقدمنا فقلنا: معنى غرضنا في التقريب على الناس؛ لأنه إنما ينبغي الأجر والثواب من الله عز وجل إذا أخرجنا الناس من المطبقات التي من كلام الناس ممن أطال على الناس وحضهم على المتون وشرحنا كلام من اختصر كلامه فأغمضه على الناس فقصدنا بذلك ابتغاء الثواب.

فالواجب على من قد علمه الله علماً أن لا يكتمه عن من قد أوجب الله له أن يعلم فإنه لم يجب أن يعلم إلا بجودة طبع وصفاء قريحة تصلح للتعليم واستخراج العلوم. والحمد لله الذي رزقنا أن لا نبخل على من استحق العلم؛ لأن يقبل العلم، ولكن لا يكون ذلك إلا بعلم قد تقدم ولنرجع فيه فنذكر ما تضمننا أن نذكره بإذن الله، وهو الموفق للصواب، والهادي إلى الصراط المستقيم.

اعلم أن حجرنا ليس يحتاج إلى استخراج نوشادر، وإنما يستخرج النوشادر

للأشياء الضعيفة القليلة الحرارة غير العزيزة الماء والدهن والصبغ الكثيرة الأرض فيحتاج لها إلى استخراج النوشادر ليغسل به وسخ ما في الحجر من أرضه وصبغه.

وحجرنا لا يحتاج إلى تقطير واحد بل إلى تقطيرات على طرق شتى فمنها باليابس، وهو التفصيل.

ومنها بالرطب وهو التصفية ومنها بالزبل ومنها بالرماد المحمى لتنقية الأدهان والأنفاس والأصباغ.

واعلم أن حجرنا يحتاج إلى تحليل وتعقيد وتشوية وتصفية وتعفين وتهيئة وليس يحتاج إلى تكليس ألبتة.

واعلم أن حجرنا إن لم يقطر في زمن الربيع لم يكن حارا فإذا قطر كان أجود له.

واعلم أن النار إن لم يخلص من الهواء في حزيران وتموز صعب استخراجها وكان ناقصا، ولم يبيض.

واعلم أن الأرض إن لم تطهرها في الكوانين لم تبيض وصعب تبيضها ونقص صبغها عن حاجتك.

واعلم أنك إن لم تبيضها في غير أيام الشتاء بطلت؛ لأنه إنما يياضها بعطشها فإذا أنت عطشتها بالحرار في الزمن الحار وزاوجتها بالنار أحرقتها فلم تصبغ شيئا، وبطل الإكسير عليك لكنك دبرها بالبارد الرطب والطبخ في الزمان البارد الرطب وزاوجها بالنار فإنها تصبغ بإذن الله تعالى.

واعلم أنك إن لم تطهر النفس حتى تصير نورا لم يتم لك عمل فاجهد في تطهيرك لها في أيام الربيع يخرج لك العمل كاملا.

واعلم أن الروح هو بالاعتدال والاعتدال يطلب في حجرنا فإذا أردت أن يبقى إكسريك بعد تشميعك له فخذ من إكسريك جزءا واحدا فألقه على ألف جزء من القمر، وألق من ذلك الجزء جزءا على ألف حتى تقوم الساعة فإنه يصبغها بإذن الله شمسا، وألق جزءا من الإكسير على ألف ألف جزء من النحاس يأتيك شمسا أبريزا وعلى تسعمائة ألف جزء من الرصاص وعلى ثمانية آلاف من الأسرب وعلى سبعة

آلاف من الشبه يأتيك إبريزا أو حبتان، وهي الزائدة على المتوسطة بمقدار ما كانت الزيادة للمتوسطة على التسفية واحتفظ بهذه الأوزان فإنها كل العمل، وعليها المتكل بعد الله.

واعلم أنك إن قطرت الحجر احتجت إلى ما تطهر به الأرض عشر مرات مما قطر أبدا. واعلم أن في الهواء الذي يخرج من الحجر كفافا للأرض والنار لا يحتاج إلى شيء آخر داخل عليها.

وهذا الذي قلت لك إني لا أذكره في موضع غير هذا الموضع فاحتفظ به بل اجعله نصب عينك مع أنه لا بد لك ما دمت في تدبيرك أن يكون الدرس أمامك ليلىك ونهارك تفعل به وبكتبنا.

أعطاك الله ووفقك وفتح عليك بحوله تم كتاب أسطقس الآس الثالث بحمد الله وعونه، وهذا ذيله وشرحه.

اعلم إنما قطعت هذا الباب من الكتاب لأني تركت ذكره في أول الكتاب فجعلته تابعا ليتم لك به محابك؛ لأنه كمال العلم وتنظيف الروح فافهم ما أصف لك فيه فأول التدبير يؤخذ على بركة الله وعونه من الممزوج من الأربع طبائع المأخوذة عنه الألوان الغريبة - أعني الهادمة - فتسقي من الروح جزء بمقدار ما تعجنه ثم تشوى فيفعل ذلك خمس مرات ثم تسقي الهواء بمقدار ما يعجنه ثم تشويه.

تفعل به ذلك ثلاث مرات وبعده يخرج شمسا ذائبا ثم تعمل منه.

فتأمل تستضيء بما بإذن الله جل وعز ويسطع نورها يمينا فإذا تم وغاص فاستعمل له حقا كأطول ما تقدر عليه، وليكن لطيفا في عرضه من الفضة أو الذهب أو من الذهب والفضة أجزاء أو من أحد الجواهر الصلبة كالبلور وما جانسه.

واستعمل له غطاء مهنما على رأسه ثم ضع الحجر فيه وضم رأسه عليه وادفنه في موضع لا يصيبه حر، ولا يبرد ولا نداوة كما يفعل بالفاكهة المحتفظ بها في الحيطان فإذا احتجت إليه فأخرجه وخذ منه حاجتك ورده إلى موضعه فإنه لا يتغير إن شاء الله تعالى.

تم كتاب أسطقس الآس الأول والثاني والثالث الفيلسفي والدياني والعلمي بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وبتلوه تفسير أسطقس الآس.

تفسير كتاب

الأسطقس لجابر بن حيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده إني عازم في الكتاب أن أشرح كتابي الأسطقس، وهو ثلاثة أجزاء، وذلك أبي جمعت فيه جمل معاني كتبي المائة والاثني عشر وجعلته أولها وفتحاتها ومقدمة بين يديها فمن فهمه.

فتح له ما في جميع المائة والاثني عشر؛ لأنه موجود فيه جميع أشكال معاني كتبي الذي هو أولها.

وذلك أني لم أدع معنى شرحته في كتاب من كتبي كلها التالية له إلا وقد أومأت في كتابي الأسطقس إليه.

وهكذا كان ينبغي أن يكون من كتبي التي هو أولها، وذلك؛ لأن الأسطقس في لغة اليونانيين هو الأساس من البنيان فكما أنه لا يجب أن يكون في الدار بيت ولا سقف ولا صفة ولا غيرها إلا وصورة ذلك كله في حقيقه الأساس، وإلا كان ذلك البناء غير محكم فعلى نحو ذلك وضعت كتابي فينبغي لقارئه أن يردد قراءته فإن الكلام فيه عسر جدا، وإن لم يفهمه فليستظره؛ فإنه أجدد أن يفهمه، وأن يجريه على خاطره متى يفرغ من الاشتغال فيه فإنه ينقدح له سرنا فيه فإذا انقدح له وفهمه فك به جميع كتبي، وجميع رمزي، وكان هو وأنا في كفة.

ولما أجملت القول فيه لم أقنع في تفسيره بموضع واحد بل قد فسرت في عدة مواضع هذا أحدها.

فأما تفسيره على الاستقصاء ففي غرض الأغراض الذي فسرت فيه المائة، والاثني عشر كتابا فمن أراد استيعاب تفسيره على الكمال فمن المائة والإحدى عشر.

ومن أراد تفسيره على الكناية فليأخذه من غرض الأغراض لكنا لم نخل موضعا من هذه المواضع التي أوقعنا فيه تفسيرها من كشف أشياء مما فيه فصار جميع هذه المواضع معينة بعضها لبعض فيجمعها ويضمها بمعانيها كلها فيكون الوقوف على جميع تفاسيرنا فيه، وإن كان ما في كتاب غرض الأغراض أوسع وأبسط، وبعض هذه

المواضع محتاج إلى بعض.

فانظر أيها الطالب لهذه الصناعة؛ لأن تكثير الدرس والتفتيش وتوفيق النظر، واستعمال الفكر والمسألة للأستاذ هو الذي يجعلك تحسن من هذه الأمور ما لا تحسن ويعرفك منه ما لا تعرف وقد أحررتك أني فرقت الباب الأعظم في هذه المائة وإحدى عشر كتابا مشروحا لكنه مفرقا وجعلته مائة واثني عشرة كلمة، وأثبت في كل كتاب منها كلمة مفردة مشروحة فإن تميزتها وجمعتها فأنت أنت.

وأخبرك الآن في كتاب الأسطقس عن كل معنى لي في كل كتاب من المائة والأحد عشر بطرق وإشارة، وإن كان في كلام ظريف كالإشارة والإيماء.

فهذا الكلام لك فيه شرح وتفسير قد دلتك في الاستخراج والفك وعرفتك موضع هذا الكتاب من كتبي هذه المائة والإحدى عشر.

واعلم أن أصعب ما في تدبيرك لهذا الإكسير هو التشميع، والعقد بعد الحل كقولنا في كتاب الأسطقس فإذا أردت أن تلقي إكسيرك بعد تشميعك له.

أخذت من إكسيرك جزءا واحدا فألقيته على ألف جزء من القمر، وألقى من ذلك حبة على ألف حتى تقويه الساعة فإنه يصبغها بإذن الله شمسا وألف جزءا من الإكسير على ألف ألف جزء من النحاس يأتيك شمسا إبريزا وعلى تسعمائة ألف جزء من الرصاص.

وعلى ثمانمائة ألف من الأسرب وعلى سبعمائة ألف من الشبه يأتيك إبريزا أو حبتان هي الزائدة على المتوسطة بمقدار ما كانت الزيادة للمتوسطة على التسقية.

وهذا أخذه من بقية هذه الكتب المائة والأحد عشر.

فإننا قد أحكمناه فيها، وإنما نعرض ههنا تعريضا بذلك كما رأيت والسلام كتاب تفسير الأسطقس الآس هو المسمى بالتفسير الأول من كتاب تفسير الأسطقس الثالث، وكشفه لجابر قال: فأول ما ذكرنا في موضع نقول فيه حرام أن يتم وحقيق أن لا يتم العمل لمن حجر الأجساد وحلل الأرواح وهذا خطأ؛ لأنه إن حجر حتى يكون حجارة لم يكن لها عمل، وإن حلل الأرواح حتى يكون بمتزلة الماء لم يكن لها عمل وقلنا أيضا: وكذلك من حجر الأرواح حتى يكون بمتزلة الحجارة وحجر الأجساد.

فهذا فاسد مثل الأول.

وقلنا أيضا: من حلل الأرواح والأجساد فهذا أيضا فاسد مثل إخوته، فاعلم.
واعلم أن الصواب في الطريق الرابع من هذه القسمة فافهم ما أقوله وقولي، وهذا
يتم مع ممزجة الذهب والأسرب بالمياه مثل ماء النورة وما جانسه، وما شاكله،
والتخمير كمال العمل والجوانية قد تكون من أشياء يسيرة قليلة الصبغ.
فأما ممزجة الذهب الأسرب بتلك الأدوية التي تقدم ذكرها فإن الذهب
والأسرب يخمران فإذا تم تكليس الأحجار وتطهيرها من تحليل ما يتحلل وعقد ما ينعقد
عجنت بماء النورة، وما شاكله.

وأما التخمير فاعلم أنه لا بد من التخمير والتدبير من الحيوان.
واعلم أن تدبير الصباغ من الحيوانات وقولنا: ماء في منظره نار في طبيعته يحرق
بجراته تفسير ذلك.

أما حجرنا فهو ماء إذا نظرت إليه ونار في طبيعته أي حار كامل الحرارة محرق
بجراته أي: منظم غسال لوسخ الرصاص والنحاس وغيرهما إذا طرح عليه عند
الكمال. كامل في طبيعته من البرودة بمقدار الحر منها ورطوبته لها من اليبوسة بمقدار
حاجتها إليه ليس في شيء منها خلاف فقد كملت طبائعه.

وقولنا: فصل الحجر أول تفصيله يكون علوا وسفلا فما على فقد طهر، وما بقي
أسفل فنحس. تفسير ذلك أعني تفصيل الحجر أي قطره أول تقطيرة فإنه يصعد ما
ابيض، وذلك من حجرنا بعد هذه التقطيرة نظيف لا يحتاج إلى تدبير ثان ألبتة بل يكون
به التدبير.

ومعنى قولنا: وما بقي أسفل فإنه يبقى في القرعة الصبغ والدهن في الأرض من
حجرنا وقولنا:

ثم افضل الأسفل فيكون أعلى وأسفل شديدي الظلمة.

تفسير ذلك يعني إن فطر ما في القرعة فإنه يصعد الصبغ من حجرنا ودهنه ويبقى
أرضه، وكل هذا يحتاج في هذا الوقت إلى التطهير، وإلى الغسل من وسخها.
وقولنا: طهر الأرض بالماء حتى يكون أرضا.

التفسير أي اسحق هذه الأرض. والماء هو الهواء الأول الذي قطرته.

وقولنا: طهر الأرض حتى يكون دماغا.

التفسير أن يلزمها الطهارة بالماء الأول، والتدبير الكامل إلى أن تصير أرضك

بيضاء مثله. وقولنا: ثم اعمد إلى الأعلى ففصله حتى يكون أعلى وأسفل.

التفسير أي خذ الهواء والنار الذي صعدا من القرعة ثم فصله أي قطره حتى يخرج

النار من الهواء هذا ما قدمنا ذكره في غير كتابنا هذا.

وقولنا: طهر الأسفل حتى يكون محرقا وطهره حتى يكون نارا.

التفسير يعني الأسفل الصبغ هو النار فقال: طهره حتى يكون محرقا، أي خلصه

من الدهن ثم اغسله بالماء القراح غسلة حتى ينظف وطهره حتى يكون نارا أي: إذا

خلص الصبغ لك من الدهن فخذ فعوده في النار اليسيرة كما قد مضى وتقدم ذكره

حتى يصير في قوة النار الصابغة لجميع الأشياء.

وقولنا: دير الأعلى حتى يصير روحا والروح نورا روحانيا والنور دماغا قمريا

أبيض لا تشتعل به النار.

تفسير ذلك يعني خذ الباقي الذي صعدا من النار، وهذا الدهن فدبره حتى يصير

نورا روحانيا يعني أبيض شديد البياض في لون الدماغ، ونعني لا تشتعل به النار إذا

كامل، وبلغ النهاية لم تشتعل به النار.

وقولنا: إذا حصل لك دماغ، وكبد وقلب، فاقرن الدماغ بالكبد وأدخل عليه

بالقلب فيكون تدبيرهما جميعا.

تفسير ذلك نعني بالدماغ الماء والكبد والهواء والقلب، النار.

ونعني بإقران الدماغ بالكبد أي نظف الكبد بالدماغ وأدخل القلب عليها إذا

طهر فيكون ثلاثة اثنين ثم اخلط النار يتم المراد إن شاء الله تعالى.

وقولنا: اعلم أن الحل والعقد والتهيئة كمال العمل والتشوية والتسقية والدهن به

ينشئ العمل كما ينشئ الطفل بالرضاع.

تفسيره أنك إذا فهمت ما قلناه لم يكن في عملك خلل لأننا قلنا: إن الحل لا

يختلف عن أمثاله فلا يجوز تركه فافطن وبالله التوفيق.

ونعني بالتشوية أي شوى: ما قلنا تشوية من بعد تسقيتك من ماء الحجر الأول الخارج عنه والدهن: يكون تقطير وتعفين فاستعمله في الموضع الذي ذكرنا. ونعني — ينشئ العمل كما ينشأ الطفل بالرضاع أي التدبير اليسير على ترتيب ينشأ حجرنا من عمله أن يكون رميا في الطرق إلى أن تكحل به العين ويسقى به فافهم ذلك. وأما قولنا إذا بلغت حصل المراد إلى هذا الموضع.

واعلم أنك إذا دبرت بعض الباب وتركت الباقي فسد وليس ينبغي لمن أراد أن يدبر هذا الباب أن يدبره إلا في الأوقات التي ذكرناها في كتاب الأسطقس، ولا يقطع التدبير ألبتة حتى تعلم أن عمل الباب على ترتيب، ولا يكون فيه اختلاف وذلك لأنك إن دبرت مثلا الأرض والنار صارا محرقين فإذا تركا، ولم يخلطا احترقا بشدة عطشهما فإذا اختلطا بالماء ثم بالهواء صارا مثل العالم الأصغر فإذا لم يختلطا وتدبرا كانا فاسدين فافهم ما وصفته لك فإني ما رمزته والحق في التجربة والسلام.

واعلم أن الأرض إذا سقيت مثل وزنها ثلاث مرات احتاجت بعد ذلك إلى التهيئة والتسمية يكون على ما أصفه ههنا به لا غير في هذا الباب خاصة، وهو أن يستعمل في قدحين كبيرين يكون رأسهما أضيّق من أسفلهما ويطين القدح الذي يكون أسنل بطين محكم ويأخذ الأرض فيسحق وهي جافة ويطرح في القدح المطين ويركب عليه القدح الآخر، ويحكم الوصل بأشد ما يكون من الإحكام ثم يتزل في زبل رطب سبعة أيام فإنه يصعد كله ويغير الزبل في كل ثلاثة أيام.

ثم مزجه واسقه بنصف وزنه مرتين وشواه فإذا جف أعدته إلى الأقداح وتركته على النار يسيرا فإنه يصعد إلى أعلى القدح في خمسة أيام إلى تسعة أيام فقد قارب التمام ثم أخرج فاسقه السقية الثالثة وردّه إلى رماد ساخن فإنه يصعد في أربعة أيام إلى سبعة فعند ذلك فقد تم العمل فاحمد الله فهذه التهيئة.

واعلم أن كل آنية تستعمل في هذا الباب فإنما هي زجاج لا يكون غيره أو حجارة ضم والزجاج خير. واعلم أن حجرنا لا يدخل عليه داخل، ولا يخرج منه خارج فافهم ذلك إن شاء الله تعالى.

تم كتاب الكمال بحمد الله وعونه.

كتاب التجريد وكتاب المنفعة

لجابر بن حيان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جابر بن حيان: إني بعد فراغي من كتيبي المائة وأحد عشر كتابا وإعراضها الكبير؛ عملت كتابي هذا وسميته كتاب التجريد وسميت كتابا في المائة وأحد عشر كتابا بالمجردات جردت فيه أبوابا أهيئها إلى أصحابها من الفلاسفة فلما عملت هذه الكتب الموازنية جعلت هذا منها لأني جردت فيه معاني، وأبوابا جعلتها كالغاية وآخر الغرض المقصود الذي هو المبتغى المطلوب فاستحق أن أسميه بهذا الاسم.

وذلك أن المعنى الذي أخذت إليه فيه غاية المطالب في هذه الصناعة فيحتاج الناظر فيه إلى تعميق الفكر في معانية فإنه يجده كما قلنا ويرى فيه ما ادعيناه أنه تجريد. فأقول: ما أقول، وأذكر ما أذكر حكي عن سقراط رحمه الله أنه قال لبعض تلاميذه وسأله عن الصنعة، فقال: جرد لي أيها الحكيم من علمها شيئا غير منسوب إلى رمز، ولا فكرة، واستغني فيه عن معاني تمام الاستخراج فقال له سقراط رحمه الله: هذا يا بني مخطور علينا في الصناعة.

لكني أقرب إليك معانيها تقريبا كثيرا ينبغي أن تركيب في إكسريك من الروح أضعافا كثيرة للجسد حتى تعمل ما قصدت له منه فإن الروح إن لم تكن كذلك لم يتم عمل صبغ الأصباغ؛ لأن الصبغ للأرواح.

وأما الأجساد فقيده ورباط للأرواح والأنفس وتدبير الأنفس في تعليلها من أدناسها وأوساخها وتنقيتها من أدناسها، وذلك لا يكون إلا بآلة التحمير والتعفين والتقطير، وهذا يا بني ما ضنت - أي بخلت - به الفلاسفة كلها.

واعلم أن النفس هي القاهرة عند الذوب فإن هذا المعنى يكسيها ما لا تكسيه من غيره وأنها يجعل حكم الإكسير حكم الأجساد الذائبات المتطرقات من الأجساد والروح والجسم خادمين عبيدين؛ لأن كل عبيدين خادمين وكل خادمين عبيدين.

فأما الجسد فخدمته الحجاب لها عن النار أن تأكلها وتهلكها.

وأما الروح فخدمتها أن تنشرها وتبسطها ومخزنها، وتجعل لها وللجسد رونقا

وماء وضياء لا يعملها غيرها، ولذلك قال الحكيم سقراط رحمه الله: ركب روح الإكسير أضعاف جسده، فلقد أحسن سقراط جزاء الله خيرا.

وكذلك أقول: إن الحيوان، إنما شرف قدره وعظم فعله؛ لأن لطيفه من أصل الخلق أكثر من غليظه لذلك صار جاريا عند النار بعد تركيبه إلا أنه لا يقام والجسد الذائب ولا يمازجه لا بالتغليب، وهذه كناية إلى بعض التركيب الأول لأن فيه عظاما تذوب كذوب الأجساد، وأدهان تشاكل رطوبات الأجساد، ومياه أيضا كميها أصول أصول الأجساد في المعادن ثم رجعت إلى كلام سقراط رحمه الله.

قال: فلذلك صار أرواح الحيوان والنبات يسهل مفارقتها لأجسادها والعلة في ذلك أنها واسعة المنافذ لم تنحصر في تكوينها، ولم تتعلك وتلزع، وإنما هي بمنزلة تراب قد جمع إلى ماء فإذا غصته النار افتقرت أرواحه عن أجساده، والأجساد الذائبة بخلاف ذلك؛ لأنها تعلكت أرواحها بأجسادها وتلازم رطبها ويابسها فلم يفترق بذلك للطفة التحليل؛ لأنه كلما لطف الشيء في تحليلة كان إذا انعقد أضيق منافذا ومجاري فإذا كان كذلك قاوم النار، ولم يقدر أرواحه على الفرار من أجساده ولا على أن تحليلها؛ لأنها حين التقائهما كانا متوافقين فلما طالت مدة مزاجهما كذلك لم يفترقا أبدا، وكان الجسد فيهما ذائبا أو طبع الذائب فلما انعقد لم يفارق وكل روح عقدته بجسم ذائب أو كذائب عقدا محكما لم يفارق أيضا، وكل روح عقدته بجسم لا يذوب منع ذلك من الذوب أن يذوب والغوص كروح الزجاج إذا عقدت به الزئبق فإنه لا ينعقد به ويمنعه الذوب، وإنما ينعقد بالكبريت؛ لأن كل شيء لا يخلطه الشيء لا يعقده وكلما عقدته بما يذوب ولا يمازج ذاب ولم يمازج.

لأن كل شيء راجع إلى أصله وطبعه فإن عقدته بما يذوب ويمازج ذاب ومازج. واعلم أن كل حجر يجتمع به أن يكون ثابتا على النار ثم يمازجا ذائبا ثم واسع المنافذ كثير الروحانية، وكان مع هذا أكثر رطوبة، وبرد كان عاملا للبياض، ومتى كان حارا يابسا كان أصبغ للحمرة.

واعمل بها مع أنه ينبغي أن تعلم يا بني أن الإكسيريين في الجملة باردين يابسين، وإنما يقومون بذلك الالتزام الجيد والقوام الثابت في النار وجودة التعليك بالرطوبة، ولا

يلزم روح جسدا وهو غريب منها، وهي غريبة منه؛ لأنهما إذا كانا كذلك كانا غير متشاكلين فبطل حينئذ التمازج والتلازم.

وهكذا صورة الأجساد الذائبة في حال تكوينها في معادتها فإذا حللت الأجساد حتى يصيرها في وزن الأرواح حدثت القرابة.

وقد تقدمت لها قرابة من قبل أنه من نوعها فامتزجا حينئذ المزاج الحق فعلى هذا المعنى، ولهذا العلة يغوص الإكسير في الجسد ويمارجه لا يفارق عند التقاء شدة النار؛ لأنه غائص، والذي عقده به، قد كان غائصا ذائبا إلا أنه ثابت فيغوص مع الروح يغوص ويغوص الروح له ويمسك هو الروح بثقله وبرده فلا يدعها حينئذ تفر فيصبغ حينئذ صبغا كاملا.

واعلم أن كل جسد كثيف، وله مع كثافته ذوب فهو أغوص إذا طهر ألا ترى أن الزرنيخ إذا سحقته بالدهن جيدا ثم صعده ورددته حتى يصير في حد الرصاص كان ألطف وأغوص منه وهو تراي وكذلك كل إكسير ذائب ظهرت روحه عليه فهو أغوص من التراي الذرور الميت ألا ترى أن الزجاج إنما يعمل في الرصاص من وجه يشده ويصلبه ويجعله في كيان الفضة فإن كان لا يقدر على الغوص فإنه ليس من الذائبة إلا بعد تدبير طويل حتى يصير متطرقا.

وأما الزرنيخ والكبريت فبخلاف ذلك؛ لأنهما غائصين وممازجين؛ لأن فيهما جوهرًا يذوب ويمارج.

وأما الزئبق فإنه جوهر كله فإذا عقدته غاص بأجمعه والزئبق إذا عقدته ثم سحقته وسقيته ماء الفضة المحلولة ثم امتحنته فإن لم يغص وطار زدت في تسقيته بلا تشوية ثم تمتحنه فإن ثبت فقد كمل، وهو غير كامل.

لأنه يحتاج إلى نفس يعلكه، فاعلم.

قال سقراط رحمه الله أن كل حجر لا يذوب فمحال أن يكون منه شيء أبدا؛ لأنه لا يمازج وما لم يمازج لم يغص وما لم يغص لم يعمل شيئا فإن ذاب كان ذوبه بطيئا لغلظه كالزجاج والطلق لم يغص أيضا، ولم يمازج وميت ذاب الذائب فكان ذوبه رقيقا جدا مائيا كالمالح والنظرون وما أشبههما لم يمازجها.

ولا يمازج إلا حجرا فيه جسد ثقيل معتدل في الكيفيات فمتى كان هذا مديرا تدبير قصد واختيار صبغ صبغا كثيرا والأجساد كلها ممازجها وغير ممازجها إذا كلست في الغاية مانت، ولم تمازج فإذا أحللت ثم عقدت التي لم تمازج لم تمازج فافهمه .
قال: اعتبر بما تظهر لك تراه عيانا أنك لو جمعت الزئبق والطلق والزجاج وجمعتهم مع الأملاح والأكلاس لما تعلق الزئبق بها.

قال: ومتى قدر قادر أن يركب أرواح الحيوانات وأجسامها تركيب الذائبات من المعدنيات على ذلك التلزوج والانحلال لم تتفارق أبدا، وكانت أشد تقاوما من المعدنيات لتشاكلها في الطبيعة وليست مع ذلك بغائصة في جسد ذائب، ولا متعلقة به لبعدها منه إلا أن يكون معها شيء من جوهر المعدنيات والأرضيات كالزئبق والزرنيخ والكبريت. فأما الزئبق محلول لا غير وكذلك الكبريت والزرنيخ، وإنما أمرت بتحليلها لتلطف كلطافة الحيوانية وتشاكلها باللطافة فتلتصق بما فتغوص معها.

وقد اكتسبتها ثقلا يتقلها، وما فيها من طبع الأرضية فتمسكها بيردها وتغوص معها بلطافتها فإذا كان كذلك كثر عملها وقوي ولطف جدا؛ لأنها كثيرة الأرواح والأنفس فتغوص بسرعة ذلك فتعمل.

قال: كل جسد ظهر اليبس على أعلاه أعني.

على وجهه طار أو لم يطر فقد بلغ موضع العقد، وإنما يحتاج إلى روح يجمعه ويمارجه فإن كان الروح الجامع له خفيفا طار وطيره معه، وإن كان ثقيلًا ثبت، وثبته معه.

وإن كان غائضا غاص فغوصه معه، وإنما امتنعت جواهر المعادن أن تؤثر كأثر الحيوان؛ لأن جواهر المعادن أقل رطوبة لأجل التعليك الشديد المفرد ولزومها وجفافها وفناء أكثر رطوباتها لطول الطبخ، وكثرة دوام التعفين والغم وقلة التنفس فلذلك ضاقت منافذها وتعلق كل جزء منها بصاحبه فلم ينسبط عليه فتنفس عند الإلقاء فعملت عملا قليلا لا يبين له كثير أثر في الملقى عليه والحيوان والنبات كان تكوينيهما ظاهرا فوق الأرض فتنفست تنفسا كثيرا، وذهب عنها الغم فصارت أرواحها في أعاليها كالمفارقة لأجسادها فوجدت السبيل إلى الهروب عن الثبات وكانت مع هذا

أجزع عليه؛ لأن تربيتها وكونها في جو العالم وغذاؤها النسيم، وكانت الأرواح الذائبات متكونة في العماء متعفنة تعفينا طويلا مخففا فلم يزل كذلك حتى صبرت على الذوب في النار والغوص؛ لأنها انضمت جيدا وتداخلت وغذاها الحر شيئا بعد شيء. ألا ترى إلى أرواح الحيوان والنبات كيف أسرع في مفارقة أجسادها، وذلك لضعف الروح في نفسها ولأنها لم تتعلك مع الجسد، وتلزم معها التحليل وطول التعفين.

كما التزمت المعدنيات وإنما تثبت الذائبات على النار؛ لأنها بطيئة التكوين شديدة التعليك؛ لأن كونها في العمى والكرب فهو داخلها ويحجر بعضها ببعض لشدة التداخل ومنعها من شدة الاحتراق فتراجع أرواحها على أجسادها وتعلق بما وتتغذى في معادها بالنار اللينة التي لا تبدد الرطوبة وتفرقها لكن مثل نار الحضان، والسخونة اللطيفة الرقيقة فلهذا عملت لجمعها أعني روحها وجسدها معا.

وكان كثرة عملها على قدر ما فيها من اللطافة فلذلك لا يلائم أن يكون تركيب الحيوانية كتركيب المعدنية حتى يكون كهي إلا في زمان طويل بالتعفين والتلزيح وجودة التحليل والمزاج ليظهر نسبتها بالمعدنية فيعمل مثل عملها ومتى حلل الجسم تحليلا شافيا ثم حللت الروح تحليلا كذلك ثم طهر الجميع طهرة كاملة ثم مزج بعضها ببعض امتزجا كاملا فلا يقدر أحد أن يفرق بينهما أبدا فيكون الجسد حينئذ غير طالب الرسوب كعادته وتكون الروح غير طالبة الصعود كعادتها فيتلازمان لجودة الاختلاط ولا يفترقان.

لأنك كلما لطفت الجسد وعقدت الروح بالجسد حتى يكون فيها بقية من الروحانية فتزوج الجسد كما ذكرنا كان العمل أكثر والصبغ أغزر والغوص ألمع.

لأن الروح هي العاملة والنفس هي الصابغة الغائصة، والجسد هو الماسك للثقل الضابط الملازق للجسد الملقى عليه لمشاكلته له وصورة ذلك أن لا يكون لأحد من هذه الثلاثة جزء يجوز أن ينفرد به عن صاحبه فإنه إن كان كذلك لم تسبق النار إلى ما لها أن تسبق إليه فتأكله وتمر به لكن تعمل في الجميع عملا واحدا والجسد يمنعها عن الروح ويقابلها ويصايرها ويثبتها عن النفس فتعمل الثلاثة عملا واحدا إلا أنها تركبت

تركيبا محكما بجودة الامتزاج والاتحاد فصار المتولد منهما شيئا آخر رابعا مخالفا في العمل والطبخ والشبح.

واعلم أن ما خالفه كان غير ثابت ولا قائم، وأن سبيل كل مختلفين ممتزجين أن يغوص هذا بكليته في هذا ويغوص هذا كذلك في هذا.

واعلم يا بني أن الرطوبة المعللة للزوجة هي أس القتال للنار وممازجة الجسد لها تمنعها من التفريق والهروب والرطوبة الطبيعية هي المطيرة للجسد إن غلبته، وهو المانع لها من التفشي إن غلبها ومتى اعتدلا لم يتغالبا وعملا عملا واحدا هذا هو التركيب الحق الذي كتبه الحكماء وأظهرته بإذن الله تعالى وعنه.

قال: وملاك كمال هذه الصنعة العمل والتجربة فمن لم يعمل، ولم يجرب، لم يظفر بشيء أبدا.

لكن يا بني إياك ويلزمك أن تجرب أو تعمل حتى تعلم ويحق أن تعرف الباب من أوله إلى آخره بجميع تنقيته وعلله ثم تقصد لتجرب فكن في التجربة لها كمال العلم.

واعلم أن كل ما لم يلتزم قبل التدبير فليس يلتزم بعده فانظر ما التزم غيبطا فالزمه، وما خالف فاللفظه، ولا تقربه، وانظر إلى أمر الكباريت فلا تخرجها من العمل فإنها ملاك العمل، وتماه ثم حل الجسد فهو الكمال للعمل، ولا يتم عمل إلا بتحليل، ولا يغوص شيء، ولا يصبغ إلا بعد التحليل.

قال رحمه الله: إن التكليس على نوعين كما أنه في التدبير أيضا على جهتين ونصييين:

أحدهما: الإحراق. والآخر: التصدية بالمياه الحارة الحامضة المالحة الآكلة. فإذا فرغت من تكليس جسد كما علمت فخذ مجود التكليس فصفه ثم جففه وأحكم أمره ثم اسحقه بالنشادر المصعد المحلول حتى يشرب ما شرب ثم جففه في الشمس أو في هواء حار ثم أعده إلى السحق والتسقية، والتجفيف حتى يصير فيه مثل وزنه أعني به أنه إن كان أوقية صار أوقيتين ثم حله بعد ذلك.

إما في دن خل أو دن خمر ثم أزوجهها.

وإما في بزل الخيل فهو أوسطها.

وأما في بير الندادة وهو أبطأها في مدة التدبير، ويأمة من طولها وقصرها والنظر إليه فإذا انحل فأخرجه وحطه في قرعة عمياء أو قدح وفوقه آخر واتركه على نار لطيفة جدا حتى ينعقد.

وانظر إليه بعد انعقاده فإن كان كالشمع في اللين ولم يكن كالتراب فقد كمل، وإن لم يكن كذلك، فاعلم أنه يحتاج إلى التشميع وذلك بأن تحله ثانية ثم تعقده ثم كذلك أبدا حتى ينعقد متشعما إذا رأى النار ذاب كذوب الشمع فقد كمل. واعلم أن الازدواج للعناصر إنما يكون بعد هذا الحل، وهو معنى قولنا فإذا انعقد كالشمع ذائبا فألق منه.

وهذا ما سمحت بتفسيره في موضع من كتبي غير هذا الموضع وذلك أن الازدواج إنما يكون بعد الحل، وهو الازدواج المهية.

والازدواج هو الاختلاط الكلبي وهو يكون على ضروب، إما وحده وإما مع غيره ومعنى قولي وحده ومع غيره هو أن تحل الجميع ثم تزوج.

فهذا معنى وحده، ومعنى مع غيره هو أن يحل الجسد ويزوج بغيره. وغيره غير مانع وذلك الأول هو الازدواج الكلبي، وهذا ليس بكلبي فالكلبي هو الذي صبغه كل.

والآخر هو الذي صبغه قليل جزئي والاختلاط هو أيضا على ضربين. إما اختلاطا واحدا أو اختلاطين.

فالاختلاط الواحد وهو اختلاطها محلولة كلها، والاختلاطان هو الذي يكون منهما مائية ومنهما حجرية فتؤلف بينهما بالسحق والتشوية والسخونة اللينة.

وأما التشميع فهو الاختلاط الكلبي لا المجاورة، وهو أن تختلط سائر العناصر فيصير عنصرا واحدا لا يفترق، وذلك أربعة أقسام:

أولها: التسقية التي تكون بعدها التشوية، وتحكم ذلك حتى يتألف.

والثاني: يسمى التشبيب، وهو ابتداء العقد لها والحصر حتى لا تفترق كما كانت أولا، ولا ينفر بعضها من بعض، وذلك أيضا بالماء.

والثالث: ويسمى التقرير وهو ثباتها مجتمععة على النار فافهم ما معنى مجتمععة على

النار حتى تألف النار وتصابرها ولا تفرق بينهما وتصير قطعة واحدة بعد أن كانت أشياء متفرقة، وهذا هو التقرير، والجمع.

وأما الرابع: وهو التشميع والتأليف الذي لا يفسد على الزمان، ولا على طول الأيام بل يزداد جودة وحسنا، وذلك يكون بالدهن الذي سميناه الهواء فارتضه في ذلك واعرف كيف ينبغي أن يعمل، وهو أن تأخذ الشيء وهو مفترق كالتراب فتصحب عليه من الذي هو بمزلة الماء ثم تسحقه قليلا حتى يغيب ما صببته فيه ثم صب أيضا حتى يجف ثم اشوه على النار اللينة ثم على الوسطى حتى يألف ثم على الشديدة حتى يكمل وكما له أن لا يطير عن النار، ولا ينفر عنها فإذا صار إلى أن لا ينفر ألبتة بحال قليل ولا كثير فقد كمل وثبت فاحمد الله تعالى كثيرا.

وأما عقد الدهن فهو مثل تدبير أصحاب الصابون وهو أن تأخذ الماء المبارك المقطر المدبر بعد تقطيره فتطبخه بدهننا كما يطبخ أصحاب الصابون ماءهم الذين يريدون عقده فإنه إذا انعقد يسمى صابون الحكماء ومع أنه دهن معقود بماء مصفى.

وذلك بأن تؤخذ منه جزءين ومن الماء مثل وزنه أو زيادة قليل فتضربهما في قنينة ثلاثة أيام ضربا دائما حتى تظن أنهما قد اختلطا ثم تطبخهما بعد ذلك كما وصفت لك بنار لينة دائمة لا تنقص، ولا تنقطع في مقدار سخونتها فإذا استوفيت طبخه.

واستيفاء طبخه يكون بزمانه المرسوم له، وأنا أفسره لك بعد هذا في كتابي هذا فإذا استوفيت الزمان فاتركه حتى يبرد فإنه يبرد منعقدا وقد هلك الماء كله فخذ ذلك المنعقد فهو شقائق الحكماء وفرفير مصر وقرمز الروم.

فإذا رأيت كذلك فاحمد الله، واعرف مقداره واعرف تدبيره كما وصفت لك فإنه هين حقير جدا لا مؤنه فيه ولا كلفة ولا مشقة.

وهكذا كله حق فإنه أسهل وأهون من الأباطيل والازدواج يكون كما وصفت لك بعد هذا العقد، وهذا البيان تقدر أن تقول هو مرموز ألبتة بل مكشوف كله فإن الحكيم. قد قال:

لا يزال ربع الدهن يعقد الماء الذي هو ثلاثة أضعافه ولا يزال ربع أربعة من عمد يأمر الفضة تمسك النحاس يعني بالفضة هذا الأبيض ويعني بالنحاس هذا الأحمر.

وهذا الذي قالت الحكماء الفلاسفة في الكتب القديمة أنشبو القتال بين الزئبق والنحاس حتى يعدن شيئا واحدا وقد تم العمل آخر كتاب التجريد.

وفيه من كتاب المنفعة

وقالت الحكماء: خاصة مادة النحاس لا يصبغ حتى يصبغ فإذا أصبغ صبغ هذا هو الجسد الميت الذي عاش بعد موته ونشر من قبره، وهو الذي شبهته الحكماء القدماء بالقيمة وهو المحتاج إلى التحليل بعد التعقيد؛ لأن الحكماء قالوا لنا تحليلان وتعقيدان، وأنا أقول أنهما ثلاثة حلول، و مثلها عقود لكن الحكيم، قال: إنها تحليلان وتعقيدان.

لكنه قد صدق إذ يقول: وتعقيدان وحل مرتان فافهم هذا فهو والله النصح العظيم؛ لأن هذه الصناعة في بلوغها بلوغ الملك الأعظم.

فقد كمل الباب بعون الله وقوته، وأنا أكرر، وأتم فافهم هذا حتى تبلغ مرادك، وتعلم أن كتابي هذا هو كتاب المنفعة حقا.

باب أفادنيه الشيخ الكبير الذي قد ذكرته في غير كتاب من كتبي قال: خذ من الزرنيخين بالسوية كما هو مذكور في كتبه والسلام.

كتاب النور

لجابر بن حيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جدا أستوجب به من الله الرضا والعدل بنا من الظلمة إلى النور.

أما بعد: فإني قد عملت عدة كتب ليس فيها كتاب إلا وهو محتاج إلى غيره، وذلك أن الغير يحتاج إلى هذا الكتاب خاصة، وقد سميت هذا (كتاب النور)؛ لأنه يتضمن ما ذكرته من الرموز في المواضع التي تحتاج إلى تفسير.

أقول وبالله التوفيق إن أول كتبنا كتاب يعرف «بكتاب الرحمة» وهو أول ما وضعنا وهو يتضمن الطريق إلى المعرفة بالذهب والفضة فأول ذلك معرفة تردد الأرواح والأجساد وإماتها وتطهيرها وغسلها ورد الأرواح والأنفاس إلى أجسادها لا إلى أجساد غيرها، وإنما ذكر الذي قال هذا أنه ينبغي أن يطهر الأرواح والأجساد والأنفاس أي: تأخذ الحجر فتفصله وتنظف كل واحد على ما ذكرنا في كتبنا ومعنى ردها إلى أجسادها لا إلى أجساد غيرها إنما ذكر الذي قال هذا لأن الجسد الذي يخرج من الحجر إذا طهر كان جسدا غير الأول فهذا معناه. وبعد ذلك قولنا عنهم: إنهم قالوا: لا يقبل جسد روح غيره، ولا يثبت في جسد غيره فيكونان مصطلحين وإنما ذكروا لك التدبير الجواني في البراني وقولي عنهم. إنهم حاولوا أن يكون جزوعا على النار كالسم الذي ينفذ في اللحم، والدم وليس له صبر على النار. وحاولوا أن يكون نارا غذي بالنار وربى بها واكتسى صبغة منها موضع فيه رمز ومعناه أنه عود بحركة النار بالتكرار حتى ثبت، ونفذ، وقد ذكرت عنهم أنهم قالوا: لو أن قائلا قال: إن العمل في كل شيء أمكن ذلك كلام حق. واعلم أن العمل في كل ما في العالم إلا أن بعضه يفضل على بعض بقوى الطباع التي فيه فاطلب ما كان قوي الطبيعة.

وقولي إن العزيز في الأعمال الذي ذكره وفصلوه ينبغي له أن لا يكون إلا من العالم الصغير، وهي أحد طبائعه الأربعة.

والعالم الأصغر يحق الأشياء الجوانية والعالم الأكبر يحق الأشياء البرانية والعالم الأوسط يحق الجوانية والبرانية فسبحانه، وهو العزيز القدم فهذا ما رمزنا في كتابنا المعروف بكتاب الرحمة والسلام. تم كتاب النور بحمد الله.

كتاب الرحمة الصغير

لجابر بن حيان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جابر بن حيان: قال لي سيدي جعفر يا جابر فقلت: لبيك يا سيدي فقال: هذه الكتب التي صنفتها جميعها وذكرت فيها الصنعة وفصلتها فصولا وذكرت فيها من المذاهب وآراء الناس وذكرت الأبواب وخصصت كل كتاب منها بعمل مخصوص وفرقت التدابير فيها فمنها ما هو على طريق مداواة الأمراض التي لا يفهما إلا عالم وصل.

ومنها ما هو على طريق النجوم من المناظرات والمقابلات واستوعبت الصنعة في العلل في علم الفلك وبعيد أن يخلص منها شيء غلا لواصل والواصل غير محتاج إلى كتبك.

ومنها ما هو بطريق الحروف التي تارة تثبت حقائقها وتارة تفسد، وهذا علم قد اندرس وباد أهله، وما بقي أحد يعد ليفهم له حقيقة.

ومنها أيضا ما هو موضوع على الخواص ثم يقصد ذلك بالقياس والتخمين الذي لا يبعد أن تساوي فيه غيرك ثم وضعت كتبا كثيرة في المعادن والعقاقير فتحير الطلاب وضيعوا الأموال (وغيرها كل ذلك من قبلك) وافترقوا ودعتهم الحاجة إلى ضرب الزيوف وعمل الزغل ودعاهم الفقر والحاجة إلى النصب على أرباب الأموال وغيرهم، وكل ذلك من قبلك، وقبل ما وضعت في كتبك.

والآن يا جابر استغفر الله وارشدهم إلى عمل قريب سهل تكفر به ما تقدم لك، وأوضح، وما يأخذه إلا من قسم الله له فيه برزق.

فقلت: يا سيدي اشر علي - أي الباب - أذكر؟ فقال: ما رأيت لك بابا تاما مفردا إلا مرموزا مدغما في جميع كتبك مكتوما فيها.

فقلت: قد ذكرته في السبعين، وأشارت إليه في كتاب النظم، وفي كتاب الملك من الخمسمائة، وفي كتاب صفة الكون، وفي كتب كثيرة من المائة ونيف. فقال: صحيح ما ذكرته من ذلك في أكثر كتبك، وهو في الجملة مذكور غير أنه مدغم مخلط

بغيره لا يفهمه إلا الواصل والواصل مستغن عن ذلك، ولكن بجيأتي يا جابر أفرد فيه كتابا بالغا بلا رمز واختصر كثرة الكلام ولا تفسد الكلام بما تضيف عليه كعادتك فإذا تم فاعرضه علي فقلت السمع والطاعة ثم ابتدأت ووضعت هذا الكتاب وسميته بكتاب الرحمة الصغير رجاء من الله الثواب ورحمت به إخواني الصالحين الفقراء الذين قد أنفقوا أموالهم وأتعبوا أجسامهم ونسبهم أبناء جنسهم إلى المغيرة والدغل من غير حق.

وحق سيدي إن يكون فيه توليد الألوان بغير تعفين، ولا غسل، ولا طهارة ولا تبيض جسد لا يغسل، ولا يحرق بالنار ويخرج منه وحق سيدي الباب كما ذكرت لك في كتاب الملك وغيره على أوفى ما يكون، وهذا الباب مذكور في البرانيات إلا أنه اكتسب بالتراكيب والموازن الصحيحة. وترتيب العمل اسم الجواني فنسأل من بيده تصاريف الأرزاق أن يبلغه كل مستحق مؤمن، وأن يجرمه كل كافر وجاحد بحق أنبيائه ورسله ثم إني نمت ليلتي تلك فرأيت في نومي كأني قائم في وسط بساتين ورياض (وأزهار وأهمل، وأنا أمد يدي إلى تلك الفواكه وأقطف منها، وأطعم جماعة حولي) وعن يميني نهر من عسل ممزوج بلبن وعن يساري نهر من خمر، وقائل ينادي في سرى يا جابر نادى أصابك إلى هذا النهر الذي عن يمينك ليشربوا منه، وأمنعهم من هذا الذي عن يسارك وحرم عليهم شربه فقلت له من المخاطب لي فقال: نور قلبك الصافي المضيء فانتبهت لوقتي وفكري يجول في وضع الكتاب فلما أصبحت مضيت إلى سيدي، وأنا مسرور بالمنام وأعلمته بذلك فقال: احمد الله واشكره الذي نور قلبك وندبك إلى الخير اخرج من عندي في ساعتك هذه، واقصد ما نديت إلهي، واستعن بالله في ذلك.

اعلموا إخواني رضي الله عنكم أنه قد تقدم لي من هذا العلم السهل القريب عدة كتب ذكرته فيها برمز قريب يفهمه من له رياضة جيدة بقراءة كتيبي وأغراضني فيها لأنني لم أرزاه رمزا كما رمزت غيره من الأعمال التي لها تدابير بوسائط فساد، وهي طرق شتى فمنها ما تدبيره بعد توليد الأولون بلا وسائط ثم بالوسائط ولهذا الأعمال طرق شتى وللحكماء فيها اختيارات ومذاهب واختصاصات.

وأما هذه الطريق التي وضعتها في هذه الكتاب فهي مما تقدم وهي طريقة النار

وحدها بلا داخل يدخل عليها من ابتدائها إلى انتهائها، وهي تدبير الوسط الغيبط والميزان عمدتها وبالميزان تقوم الخاصية والكمال وهو براني وجواني، وليس فيها توليد الألوان ولا تمد بالوسائط فبالله عليك أيها الواصل وبحق معبودك إن فهمته اكنمه غاية الكتمان إلا عن مستحقه، وإياك ثم إياك أن حملك سهولة مأخذه أن تبديه، ولا تذكره ولا تتذاكر به فيعاقبك الديان، وربما أحرمته بالأسباب الربانية التي تجازي بها عدد بذلك له فاعلم يا أخي أنه يجب عليك أن تعتمد على قولي فيما أقوله لك، وذلك أن تأخذ هذه المادة المعمول منها من أشخاص طرية نقية من الأوساخ والأدناس، ولا تأخذ منها إلا الجوهر الصافي النقي كالبيضة التي تؤخذ منها الصفرة ويفرض ما سواها، ويكون من حيوان في ابتداء نشوه فإنه أصلح في التدبير وأيسر في التفصيل عند هروبه من النار عند تدبيرك له بما وقت التفصيل.

واحترز من عدوك فإنه إن ظفر بك قتلك، وإن ظفرت به عشت وأمنت من العدو.

واعتمد على قول الحكيم: النار تزيد الصالح صلاحا، والفاسد فسادا فما افتخرت الحكماء بكثرة العقاقير، وإنما افتخرت بجودة التدابير فعليك بالرفق، والتأني وترك العجلة واقتفاء أثر الطبيعة فيما تريده من كل شيء طبيعي فاعتد عليه فإذا وقعت منه بما تحب كما تحب فالتخلق منه غير معتمد به، وله فاد بقدية بنفسه ويليه في الجنس والسن فإذا وصلت إليه فأخرج منه ما كان غريبا وترفق بأخذه فهو عمدة المزاج المولد، وهو الموصل الأصباغ إلى الثوب فإذا أخرجت منه ذلك تقدم فيه فاذهب منه حرميته وتجسده فإنه لا يمزج اللطائف حتى يكون لطيفا مقلها، وإلا يقع التباين والانفصال.

افهم هذا الفصل فإنه عمدة أعمالنا جميعها جوانيها وبرانيها فإذا أنت يا أخي طهرت ما يجب طهارته وهما التركيبان الشريفان الفاضلان الصابغان والنار الصافية الحجيرة والدهن النقي المضىء النوراني الممازج الغير المشتعل.

وأعانك الله تعالى على ذلك فقد أدركت المنى، ووصلت إلى كنوز الأرض قاطبة فابتدأ بتركيبها على الأزواج في ذواتها الباردة الرطبة بالحرار الرطب ثم تثبت بالحرار

اليابس فإذا فعلت ذلك فذلك الذي هو الإمام الذي أبدأ أذكره في أذكره في أكثر
كتبي، وهو قولي إلا أن يسعدني الله برؤية الإمام ثم تقدم إلى التركيب إن كان تركيبك
الحمرة فاقصد إلى ما ذكرته لك في كتاب الميزان المفرد عنه قولي فيه إن الله سبحانه لما
خلق النيرين عدل طبائعهما إلا طبيعتين زاد فيها، ونقص أما الشمس فإنه نقص من
باردها ورطبها وزاد في حرارتها وييسها، وهي الغالبة قارنه البارد واليابس فكان لها
بهذه الغلبة ونقص فيه من الحار اليابس المقارن إلى البارد اليابس فكان لها التأثير في كل
شيء بالغلبة فإذا أقمت الإكسير من لون أحدهما لهذا الميزان فهو وحق سيدي الميزان
الطبيعي في كل الأعمال بعيدها ومتوسطها وقريبها فاسبكه كما ذكرت لك في كتبي
وهو قولي: اسبك المعتدل المتجانس بالنار التي لها ثلاث مراتب، وهي نار الابتداء ونار
التوسط وار الغاية التي تقوم بها الإكسير على الذوب والجمود يذوب كالشمع ويجمد
بالهواء، ويغوص ويسري سريان السم، والطرح تابع للتدبير إن كانت مادتك جيدة
كما ذكرت لك، ولا يجوز أن يكون في هذا التدبير السريع إلا من المادة المذكورة أيضا
تدبيرك محكما جيدا نظيفا في الغاية فواحد على ألف ألف فإن كان تدبيرك مع جودة
المادة فيه تقصير فبحسب ذلك يكون التقصير فاحفظ هذا الإكسير في وعاء بلور أو
ذهب أو فضة فإن الزجاج لا يؤمن عليه الكسر واستعن في جميع أمورك تسعد وترشد
فوحق سيدي وخالقي ما كنتمك من هذا الباب شيئا ولا حرف، وقد بسطت غاية
البسط بما لم يجسر عليه غيري أبدا لا متقدم، ولا متأخر بعدي فاعلم ما عملته معك،
ومع كل طالب واجعل جزائي منك الرحم والدعاء والاستغفار واجعل لي في إكسيرك
نصيبا تخرجه عني لوجه الله تعالى للفقراء والمساكين والله خليفتي عليك، وهو حسبي
ونعم الوكيل.

تم كتاب الرحمة الصغير بحمد الله تعالى.

كتاب الرحمة لأبي موسى جابر بن حيان

الأموي الأزدي الصوفي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عبد الله محمد بن يحيى: قال أبو موسى جابر رحمه الله: إني رأيت الناس قد اهتمكوا في طلب صناعة الذهب والفضة بجهل وعسف ورأيت منهم صنفا خادعا ومخدوعا فرحمت الفريقين جميعا لإتلافهم ما رزقهم الله عز وجل من المال في غير موضعه ولتعب أبدانهم في الباطل وتشاغلهم عن طلب وجوه المعاش المعروفة الجميلة وعن الزود للمعاد الذي إليه تصير العباد وعليه يعدمون وإليه محتاجون ورحمت المخدوعين لإتلافهم أنفسهم، وأملاكهم أياما وتعبهم دينهم وأمانتهم بغرض يسير من الدنيا فهم أسوء حالة وأنا لهم أشد رحمة في إرشادهم وكفهم عن ذلك حسنة رجاء الثواب من الله عز وجل، والأجر.

إنه ولي كل نعمة وواهب كل حكمة فرأيت أن أضع كتابا مفصلا مبينا لا يصل إليه أحد من المخدوعين وله أدنى عقل إلا طرح عن نفسه الغضب فتأمله وظهر عليه نفعه ألبتة وصرف رأيه عن الجهل والخطأ وأحرز ماله من الجزع والتكلف وغير سبيل الحق إن شاء الله تعالى.

وكان مثله كمثل الطبيب العارف بالأدوية وطبائعها وخواصها الذي لو أتاه عشرة آلاف نفس دواء ثم اجتهدوا بأغلظ ما يكون من الإيمان على أن الذي جاءوا به حق قد علموه وجربوه ثم وصفوه له فإذا هم يزعمون أنهم يطلقون بطن المحصور القوي من القولنج بالعفص والبلوط وقشور الرمان وما أشبه ذلك.

ويعقلون بطن المبطن بالسقمونيا والشيرم، وما أشبه ذلك لكانوا عنده كاذبين قائلين بالباطل فحقيقة باطل ما جاؤا به واجتهدوا في الإيمان عليه، ولا ازدادوا بكثرة إيمانهم عنده إلا تكذيبا، ومقتا.

وكان هو في ذلك المقام كالعالم الذي عرف ربه بالتوحيد وبجميع صفاته التي وصف بها نفسه ووصف بها نبيه صلوات الله عليه وسلامه وعرف ابتداء هذا الخلق وآخره ونفاذ ما ينفذ منه وبقاء ما يبقى منه وعرف المعاد الذي تصير إليه العباد وعرف

الثواب والعقاب فإذا أشكل عليه شيء من الأشياء طرحه عن نفسه، ولم يبق في حيرة الضلالة متيقن القلب فلا يلزمه اسم الجهل ولا يصير لأخذ من أولئك الخادعين، وفي قلبه مثقال ذرة من الإيمان بالله عز وجل والمعاد إليه وله أدنى عقل إلا كف نفسه عن طريق الباطل وأخذ طريق الحق ورجاء أن يدرك من الصنعة بالحق، أسهل وأيسر منه بالباطل فإنهم إنما دعاهم إلى الخدع والمكر لأنهم لا يدركون هذا العلم حين صعب وأشبه عليهم، فإذا رأوا طريقة واضحة وأعلاما منيرة تركوا الباطل وأخذوا في طريق الحق.

فصل:

واعلم أن معرفة الأشياء على وجهين:

وجود وقياس فالوجود ما أدركته حواسك الخمس التي هي السمع، والبصر، والذوق، واللمس، والشم، والقياس مما أدركته بعقلك لأنك تقيسه بما أدركته حواسك حتى تقف صورته مثالا لا متوهما فالعقل يدرك الأشياء الروحانية الباطنة التي لا تدركها الحواس والحواس تدرك الأشياء الجسمانية البادية والحواس آلات النفس والنفس والحواس آلات العقل.

فصل:

وعناصر الكلام ثلاثة معرفة: كقول القائل: النار حارة والشمس مضيئة وما أشبه ذلك ومنكر كقول القائل.

الشمس مظلمة والنار باردة.

وموقوف كقول القائل: مات فلان وولد لفلان ولد، وما أشبه ذلك فليس شيء من الكلام إلا، وهو داخل في هذه الثلاثة أوجه. فاعلم ذلك علما يقنا.

فصل:

فإذا تاققت نفسك أيها العاقل إلى هذه الصنعة فاعلم أولا هل هي حق أم لا تكون وتظفر بها أم لا حتى تكون من علم ذلك على يقين لا يدخله شك ألبتة بوجه من الوجوه فإذا تحقق علمها عندك بالعيان إن كنت ذا عقل أو بالقياس الذي يعدل العيان فاعلم من أي شيء ينبغي لها أن تكون أمن الحجر أم من النبات أم من الحيوان فخذ

أقربها وأشبهها بالمطلوب ثم تعلم من أي شيء ينبغي لها أن تكون.

أمن شيء واحد مفرد لا اختلاف فيه، وذلك غير موجود في العال؟ أم أمن شيئين

متفقين أم من شيئين مركبين مختلفين أمن أشياء مركبة مختلفة أم من أشياء متفقة؟

وينبغي أن تعلم إن كان هذا التركيب شيئاً ركبته الطبيعة أم هو شيء ركبته

الفلاسفة ثم تعلم بأي تدبير ينبغي لها أن تكون أيطبخ وحده، وهو التصعيد أم بتصعيد

وتعفين معا ثم تعلم لأي شيء سواد هذا الصبغ لقب تام أم لغير تام فإذا كنت من علم

هذا كله على يقين لا شك فيه فلا يثقلن عليك تعب بدنك وإنفاق مالك، ولا تترك

حوائجك فإنك محمود حينئذ عند ذوي الحجي أولى الفهم والنهى، واقض حوائجك

التي لا بد منها ثم أقبل على الاشتغال بأمور الصنعة ولا تنفق منها إلا من فضل مالك

واستعن بالله وبتقواه في الباطن والظاهر على ما تريد منها، جهدك ثم أقبل على قراءة

كتبها واستعن بذوي الألباب من أهلها فإن الكتب أقفال ومفاتيحها صدور الرجال.

فصل:

واستعن بما وصف أهل الطب من طبائع الأحجار والنبات والحيوان وأفعالها وبما

وصف أهل النجوم من طبائعها وأفعالها، وتجرب في الأحجار وخواصها وقسمتها على

الكواكب والبروج وعلى أجسام الحيوان الناطق وغيره، وما لكل واحد من الكواكب

السبعة^(١) التي هي الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد من

(١) فائدة في معرفة الكواكب السبعة من فلك البروج بالتقريب.

زحل: خذ ما زاد عن تسعائه وأطرحة ٣٠/٣٠ وما بقي أقل من ثلاثين. فاطرحه سنتين

ونصف مبتدئا من برج الحمل. فحيث نفذ العدد فهو في ذلك البرج. والله أعلم.

المريخ: خذ ما زاد على ثمانمائة وتسعين من المهجرة. واطرح الباقي ١٨/١٨ وما بقي أقل من

١٨ فاطرحه سنة ونصف سنة مبتدئا من الجدي فحيث نفذ العدد على برج فهو في ذلك

البرج.

الزهرة: خذ ما زاد عن تسعمائة واطرحه ثمانية ثمانية. فإن بقي أقل من ثمانية فاعط لكل برج

عشرة أشهر مبتدئا من أول الثور. فحيث نفذ العدد على برج فهو في ذلك البرج.

المشتري: خذ ما زاد عن تسعمائة واطرحه ١٢/١٢ فإن بقي من اثني عشر فاعط لكل برج

سنة مبتدئا من الميزان فحيثما نفذ العدد فهو في ذلك البرج.

العطارد: خذ من آذار إلى اليوم الذي تريده واسقط من الجملة ثلاثة وعشرين واعط لكل برج

أحجار الأرض والمعادن والنبات والجهات وغير ذلك مما يعين على فهمها إن شاء الله تعالى.

فصل:

وتدبير قولهم في جميع كتبهم الكيان يمسك الكيان يعنون بذلك كيان الجسد يمسك كيان الروح الحيوانيين.

وقالوا: الكيان تغلب الكيان يعنون بذلك كيان الروح الفاعل الحي يغلب كيان الجسد المتهيئة لفعل الروح فيها ويحيلها ويردها روحانية مثلها.

فصل:

وقالوا: الكيان يقبل الكيان يعنون بذلك كيان الجسد الباقي في أسفل الآلة يقبل كيان الروح إذا ردت عليها بعد خروجها عن كيان الجسد.

وقالوا: الروح يمسك الروح والروح الماسك هو الجسد اللطيف الذي قد صار في لطف الروح ورقته فحينئذ سموه روحا وكذلك كان روحا ومثل هذا الروح يحبس الروح.

فصل:

وقالوا: الروح يغلب الروح يعنون أن الروح يغلب الجسد اللطيف الذي سموه روحا وهو يغلب الروح أيضا فيرده مقاتلا للنار.

فصل:

وقالوا: الحي يغلب الميت فالحي: هو الزئبق والميت هو الجسد بغير روح، وقد فسرنا قبل هذا كيف يغلب كل واحد منهما صاحبه ويرده إلى طبعه.

=

ثلاثين وما فضل معك؟ فعطارد في الدرجة التي فضلت الثلاثين.

القمر: اضرب الماضي من الشهر العربي. وأيضا في معرفة تقويم المريخ تأخذ سنتين من الهجرة ونطرح ذلك $3/3$ فإذا بقي ثلاث سنين أو دونها اصرفها أشهرها وتطرحها تسعة أشهر تسعة أشهر فإذا بقي تسعة أشهر أو دونها. أعطيت كل شهر ونصف برجا. فتبتدئ من برج العقرب في ثلاثة عشر وزد على ذلك ما قطعته.

الشمس: خذ من برجها حين دخولها الشهر ويسمي الرأس ثم اسقط المجتمع $30/30$ مبتدئا من برج الشمس فحيث نفذ العدد على برج فهو في درجته والله تعالى أعلم والبدء من الحمل.

وقالوا: الحي يجس الميت يعنون بذلك كل واحد منهما يجس صاحبه فلا يرجع إلى طبيعته الأولى أبدا ولا يرجع الروح إلى النفار أبدا بعد عقد الجسد، ولا الجسد إلى الغلظ بعد تلطيفه الروح، وهكذا يكون إذا امتزجا وصارا شيئا واحدا.

فصل: ولا تنس إجماعهم على البيضة وتفصيلها يعني بذلك بيضة الحكماء التي تفصل بين روحها وجسدها ثم يدبران حتى يكونا شيئا واحدا لا يفارق بعضه بعضا أبدا.

فصل:

وقالوا: الإنسان لا يلد إلا إنسانا والطائر لا يلد إلا الطائر، وكذلك السباع والهوماء وجميع الحيوان ليس منها شيء يلد إلا شكله وكذلك الذهب لا يكون إلا من الذهب والفضة لا تكون إلا من الفضة.

فصل:

وقالوا: العمل من شيء واحد يعنون بذلك مركبهم؛ لأنه جوهر واحد في اللون والخبر كامل تام فيه كلما تحتاج إليه.

وقالوا: العمل من أربعة، عبروا بذلك الطبائع الأربع التي في مركبهم من شيئين روحاني وجسماني.

فالروحاني حار رطب والجسماني بارد يابس.

وقيل: طبيعتان في مركبهم بالعين والصورة، وهما الماء والأرض وطبيعتان فيه تظهران بالتدبير منه بالتدبير الحق وهما الهواء والنار.

وقالوا: العمل من سبعة أشياء، وإنما عنوا بذلك أن الروحاني من مركبهم ينسب إلى الماء والهواء والنار، وتلك سبعة أشياء.

وقيل: عنوا بذلك سبعة أحجار، وهي الزئبق والذهب والفضة، والأنك والأسرب والنحاس والحديد.

فصل:

وقالوا: العمل من اثني عشر، وفي أكثر، وإنما عنوا أن مركبهم فيه طبائع البروج الاثني عشر وقواها وطبائع الكواكب السبعة يحتوي على سر طبائع فيه بالقوة والفعل

كل شيء في العالم؛ لأن الكواكب السبعة، سبعة والأفلاك السبعة أجسادها والأرواح تدبر الأجساد والفعل للروح لا للجسد، و هو معنى قولهم، «وفي أكثر».

فصل:

وقال كل حكيم منهم على ما علمه، والأمر يرجع إلى شيء واحد مركب وإلى تدبير واحد، وإلى إناء واحد، وقد أكثر جمعهم القول في هذا المعنى ردوا الأرواح إلى الأجساد وأميتوا الأرواح في الأجساد وتطهر الأرواح والأجساد وغسلها وتنقيتها معا وردوا الأرواح الصاعدة على أجسادها التي خرجت منها لا على أجساد غيرها يعني أن تدبر الأجساد بالأرواح.

حتى سل الأجساد والأرواح ثم يدام على الأجساد والأرواح المدبرة التدبير حتى تصير شيئاً واحداً صدامياً لا جزء له.

فصل:

وقالوا في رمزهم، وهو من مكنون سرهم لا يقبل جسد روح غيره، ولا يثبت الروح في جسد غير جسده فيكونان مصطلحين أبداً كما أن جسد الإنسان لا يقبل روح طائر، ولا بهيمة، ولا غيره من الحيوان ولا يثبت سائر أرواح الحيوان في جسد إنسان ولا يدخل فيه؛ لأن جسد الإنسان قد هيئ على الأغلب من حاله لقبول الأنوار التي هي في أعلى العالم وهي أرواح الحيوان خاصة، ولا تفنى أبداً ألبتة؛ لأنها من عالم البقاء، وسائر الحيوان على الأغلب في تركيبه مهياً لقبول الأرواح التي في أسفل العالم وهي تفنى؛ لأنها في عالم الفناء وهو عالم الطبائع الأربع فروح الحيوان الناطق غير روح الحيوان الصامت، ولذلك لا يدخل روح هذا في جسد هذا لبعدهما بين الزوجين والجسدين في تركيبهما.

فصل:

وكذلك هذه الصنعة لا يدخل الروح إلا في جسده الذي قد هيئ له وقرب منه على أن يبين كل ما في العالم الأعلى، والأسفل تناسباً لكنه يقرب، ويبعد فالقريب أولى بما قرب منه.

وهذا يدل على أن الروح الذي هو الزئبق لا يدخل في غير جسده ولا يثبت

وغير أجساده الطلق والزجاج والمرقشيثا والتوتيا والأثمد والمغنيسيا والملح وقشور البيض وما أشبه ذلك مما ليس فيه سبب للمزاج وأجساده الذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد.

وقيل: أجساده أنفاله التي تبقى في أسفل الآلة عند التدبير بعد تركيبه بأجساده و غير أجساده أيضا الأجساد الغبيطة الحية فالأجساد، وإن كانت غبيطة فهي بلا شك أجساده والأرواح الترابية الكباريت والزراينخ وأجسادها ما سوى الروح الحي كالمرقشيثا، والتوتيا والطبق وما أشبه ذلك.

فصل:

وقالوا: اجعلوا للأرواح من شكلها وجنسها وذاتها وصورتها فإن الأرواح تألف تلك الأجساد التي هي أجسادها التي خرجت منها، وتنعقد وتمتزج بها، ولا تألف غيرها؛ لأنها تحن إلى تلك الأجساد التي هي أجسادها التي خرجت منها أول العمل، ولا تحن إلى غيرها بل تهرب وتفرق، ولا تصطليح، ولا تتفق معها أبدا.

وقالوا: تتفق معها بجودة الرأي وأظن التدبير الحق، وأشاروا ههنا أن الأرواح تنعقد في غير أجسادها لكنه شيء بعيد؛ لأن كل روح عقد بغير جسد ممازج لا يخلو من أحد أمرين إن كان الجسد أكثر من الروح من الغرض، وإن كان أقل منه لم يعقده والزئبق جوهر حي كله والكبريت والزراينخ ترايبان، والتي تمتزج بمثله وينفر عن ضده.

فصل:

وقد أكثروا ذكر الأرواح والأجساد التي تخرج من المعادن السبعة التي هي معدن الذهب والفضة ومعدن النحاس ومعدن الأنك ومعدن الأسرب ومعدن الحديد ومعدن الزئبق وسموها الحيوانية.

وكما أن ليس في السماء شيء أرفع، ولا أشرف من الأفلاك السبعة وكواكبها فكذلك ليس في الأرض شيء أرفع ولا أشرف من المعادن السبعة، ولا من أحجارها التي تخرج منها، وذكروا الأشياء التي تخرج من المعادن السبعة وسموها الترابية.

فصل:

بالنظر أيها العاقل في هذه الأشياء علمت أن نجح الأمر الذي تطلبه في أشياء شتى

يعني: طبائع أربع وقوى شتى يعني روحانية وجسمانية متفقة غير مختلفة يعني في الصورة واللون والروحانية والجسمانية متحابية غير متباغضة يعني في الطبع؛ لأن بعضها يعين بعضها. متعاونة يعني لأن بعضها يستعين ببعض على تدبير نفسه فبعضها يدبر بعضها. غير متجادلة يعني أنها إذا مزجت لم يفارق بعضها بعضا، وعملت عملا واحدا متصادفة غير متضادة يعني لدخول بعضها في بعض.

متكافية يعني في الطبع ومقدار الوزن المحكم غير مستغنية عن المادة من غيرها يعني أنها تحتاج إلى رطوبة متعلقة متمازجة تؤكد عقدها وامتزاجها، ويجعل لها تعلقا ومزاجا بالأجساد التي تلقى عليها، وإذا تمت هذه القوى في الإكسير كان القوي الذي لا يضعف وصارت هذه الأشياء طبيعة واحدة مستغنية عن المادة من غيرها.

فصل:

والدليل على أنها طبيعة مستغنية عن غيرها كتركيب الترياق؛ لأن العقاقير المتضادة تجتمع فيه فتتعفن وتنفق وتختلط بعضها ببعض وتزول عنها التضاد إذا امتزجت وتعمل عملا واحدا ضرب بالترياق وتعفينه مثلا؛ لأن الإكسير لا يتم إلا بالتعفين. وهذا التعفين بعد امتزاجه وحله وعقده، وقيل: التعفين قبل الحل، والعقد؛ لأن الأجزاء إن لم تتعفن لم يتماس، وإن لم يتماس لم تنحل، ولم تصر ضدا، وإن لم تنحل لم تبيض، وإن لم تبيض لم تمتزج، وإن لم تمتزج لم تعمل عملا تاما واحدا.

فصل:

ثم من ذكر الإكسير فقال: يسقى منه المحموم من الحمى الحارة من الصفراء والدم.

والمحموم ههنا النحاس الأحمر والأصفر؛ لأن الأحمر حار يابس على طبيعة الصفراء، والأصفر حار رطب على طبيعة الدم ويسقى منه المحموم من الحمى الباردة من السوداء والبلغم.

والمحموم ههنا الأنك والزئبق؛ لأن الأنك بارد على طبيعة السوداء والزئبق بارد رطب على طبيعة البلغم، وإن شئت قلت: الرصاص الأسود على طبيعة السوداء والأنك على طبيعة البلغم فينتفع الجميع بهذا العلاج؛ لأن الإكسير يلقي على النحاسين

فبيضهما ويحييهما ويلقي على الرصاصين فيقيمهما ويلقى على الزئبق فيعقد جسدا ينطرق أو يتفتت ويصبغ غيره.

فصل:

وأكثرها وأشدّها تضادا وهو أقل الأشياء بقاء وأسرعها انحلالا والشيء يقهر ضده فيحتاج مادة من غيره وإلى الإعانة والتقوية والتعديل.

ومعنى هذا أن الحار إذا غلب البارد قهره فيحتاج البارد إلى تقوية وإعانة وتعديل حتى يرجع إلى اعتداله، وكذلك جميع الطبائع يقوى بإشكالها ويقهر بأضدادها وضرب هذا مثلا. ومعناه أن الجسداني يقهره الروحاني بالتدبير الحق حتى يرده روحانيا والروحاني يقهر الجسداني حتى يرده جسمانيا، وإن كانا ليسا بضدين على الحقيقة.

لأن الضد هو المخالف من كل جهة والشكل هو الموافق من كل جهة، والذي يوافق من جهة ويخالف من جهة أخرى يسمى مرة ضدا ومرة أخرى شكلا. يسمى ضدا من حيث خالف ويسمى شكلا من حيث وافق وشاكل.

فصل:

والأشياء التي هي أقل أنه أقلها تضادا وهي أحسن الأشياء اعتدالا وتكافيا وهو أكثر الأشياء بقاء وأبطأها انحلالا وأسلمها من الآفات التي توجب افتراق روحانياتها من جسمانياتها والأشياء التي هي أشد تضادا الحيوان والإنسان من الحيوان خاصة فهو لا يزال ما اعتدلت طبيعته على تضادها صحيحا فإذا غلب شيء منها شيئا مرض على قدر قوة الغالب عليه فإذا اشتدت قوته غلبت تلك الطبيعة التي غلبت كان ذلك سبب هلاكه وموته وانحلال روحه من جسده على ذلك خلقه الله عز وجل فلو شاء أن يجعله خالدا باقيا أبدا يجعل ما فيه من الطبائع متفقة غير مختلفة، ولكن جعلها مختلفة لما أراد وقدر من فناء خلقه، وأنه لا يبقى إلا هو عز وجل فابتلاه بتضاد طبائعه الأربع، وجعل ذلك سببا إلى هلاكه وانحلال روحه من جسده.

فصل:

والأشياء التي ضعف التضاد فيها، وقل فهي الذهب والفضة والياقوت والدر والزمرد وإلى الفناء بعد طول البقاء مصيرها.

فصل:

وكذلك العالم الأكبر يعني عالم الطبائع الأربع أو عالم السموات والأرضين إنما يوثا وينحل إذا أتى وقته وبلغ غايته من تضاد طبائعه الأربع التي ظهرت فيه وهي الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة؛ لأن العالم متجاوز لا ممتزج ولا امتزاج مع التضاد.

فصل:

وفي الإنسان الصفراء والدم والبلغم والسوداء فمتى غلب أحد هذه الطبائع الأربع أو كلها مات الإنسان وانحلت روحه من جسده؛ لأنهما لا يمتزجا فلو امتزجا لم ينحلا وطبائع السنة الربيع، والصيف، والخريف والشتاء.

والطبائع الأربع في جميع الأشياء بتقدير الله وحكمته سبحانه وتعالى.

فصل:

الفلاسفة ذوي العقول التامة حاولوا أن يجدوا طبيعة واحدة فيها قوى الأرواح وأجساد متفكة غير مختلفة قاهرة للطبائع الأربع المتضادة محيلة لها عن طبائعها إلى طبيعتها لم يجدوا.

فلما لم يجدوا تلك الطبيعة التي طلبوا في هذا العالم كله احتاجوا عند ذلك إلى تركيب الأرواح في الأجساد القريبة منها وتديرها في واحد، وإظهار ما فيها باطنا من مشاكلة الذهب والفضة وخلافها ونفي كل شيء لا يشاكل وتألف كل شيء يوافق وإصلاح الطبائع ومزاوجة الذكر منها بالأنثى وتعديلها بالحرارة والبرودة واليبوسة بأوزان معلومة معتدلة.

فصل:

وحاولوا أن يكون إكسيرهم بعد تدبيره وكماله سما رقيقا لطيفا روحانيا جسديا فإذا يكون جسده وروحه طبيعة واحدة غير متفرقة كالسهم النافذ الرقة واللطافة والنفاذ، وحاولوا أن يكون خروجا عند ملاقات النار كالسهم الذي ينفذ في اللحم والدماء وليست له قوة على النار، ولا صبر له عليها.

وحاولوا أن يكون سمهم ناريا غذي بالنار وربى فيها فاكسب ثباته وبقاءه وبهائه وحسنه وصبغه من النار؛ لأن إليها مصيره عند الإلقاء فإن لم تكن هي التي غذته

وربته قوته وأعطته الثبات والبقاء، وإن لا هوت عليه فتهلكه.

يعني هذا كله التدبير الحق الذي ينفذ فيه المركب من نار الطبخ إلى نار التعفين حتى يأنس إلى أقوى النيران، ولا ينفر عنها.

فصل:

وأقوى ما في هذا العالم الأشياء الروحانية اللطيفة التي لا تدرك بالحواس، وإنما تدرك بالعقول كالحجر الذي يجذب الحديد بالقوة الروحانية التي لا تجس، ولا ترى، وهي تنفذ في الكثيف من الصفر، والصفر بينهما وبين الحديد إلى نفسها، وهذه القوة يقال لها الخاصة.

ومعنى الخاصة اتفاق روحانية الأشياء وفعل بعضها في بعض لاتفاق جسمانياتها، وهو اتفاق ما فرق الطبائع البسيطة والمركبة وامتزاج القوة الباطنة بالقوة الباطنة.

فصل:

والسموم^(١) تفعل بقواها الروحانية، وكذلك المسك والعنبر وسائر الطيب التي لا تعانين، ولا تلمس وهذه الأشياء تفعل بقواها الروحانية أفعالا هي أوسع من أجسامها؛ لأن المسك والعنبر، وما أشبه ذلك تشم رائحته من مكان بعيد من جرمه وجرمه يجس مكانا صغيرا.

وقد تتغير هذه القوى الروحانية وأوزان أجرامها على حالها كما كانت قبل تغير قواها.

فصل:

قال أبو موسى جابر بن حيان رحمه الله: ولقد كان حجر من المغنيطس يرفع من

(١) قال الطبيب ابن رشد: وأما السموم فإن فعلها في البدن يكون بجميع ضروب أفعال الأدوية، أعني أن بعضها يفعل ذلك بكيفيات أول مثل الأفيون الذي يخدر ببرده. ولذلك يمكن في مثل هذه، إذا تناول منها السير وحجت أن تكون أدوية، وبعضها يفعل ذلك بجملة جوهره، أعني أنه يجيل بدن الحي كالذهب المكلس، وهذه فليس يمكن أن تستعمل في مداواة أصلا.

وبعضها يقتل بشدة جذبه الأخلاط، حتى أنه يخنق كما يقال في الخريق الأبيض، وبعضها يسهل الدم.

الحديد وزن مائة درهم ثم بقي عندنا زمانا ثم إنا امتحناه بعد ذلك في حديدة أخرى فلم يرفعها فظننا أن وزنها أكثر من مائة درهم الذي كان يرفعها أولا فوزناها فإذا وزنها أقل من ثمانين درهما فنقصت قوته وبقي وزن جرمة على حاله كما كان أولا.

فصل:

وأثقال الأشياء الجسمانية إنما هي مستقر ومأوى لتلك الأشياء الروحانية، ولا قوة لها، ولا منفعة فيها إذا زابتها تلك القوة العاملة.

يعني لا قوة للجسد الباقي أسفل الآلة الذي هو مستقر ومأوى لذلك الروح الذي صعد عنه إلا بالروح الذي خرج عنه فرده عليه فإنه يمتزج به بلا شك والصبغ للروح وللجسد الإمساك، والتقييد فقط لا غير.

فصل:

وأصلب الأشياء أكثرها جسدا وهو أقلها روحا كالذهب والفضة، وما أشبه ذلك، وأقل الأشياء جسدا هو أكثرها روحا كالزئبق والكبريت والزرنيخ والأجساد فيها أرواح ولا أرواح فيها الأجساد لكنها سميت بالأغلب عليها والزئبق والكبريت والزرنيخ والذهب والفضة والرصاصان والنحاس والحديد مختارة من أحجار العالم وجميع أحجار الأرض لها تابع.

فصل:

والعالم كله مرتب بعضه من بعض لأنك لا تجد نارا إلا وفيها برودة، ولا برودة إلا وفيها حرارة، ولا ييوسة إلا وفيها شيء من الرطوبة ولا رطوبة إلا وفيها شيء من اليبوسة ولا تجد روحا إلا وفيها شيء من الجسم ولا تجد جسما إلا وفيه شيء من الروح إلا أنه لا يستطيع تفصيل بعضه من بعض لكثرة أحدهما وقلة الآخر ولاستحالة القليل إلى الكثير ولاستغراق القليل كما أن البحر لو قطر فيه قطرات من عسل لم يقدر أحد من المخلوقين على تفصيل تلك الحلاوة منه أبدا ولا يقدر على ذلك إلا الخالق عز وجل، وليس لقائل أن يقول فيه حلاوة.

ومن أجل هذا أن قائل العمل من كل شيء كان ذلك ممكنا كما أنه لو قال: الطبائع في كل شيء لأمكن ذلك، ويكون ذلك على وجهين: يكون الشيء من الشيء

بالقوة لا بالفعل فإذا كان قليل الأشياء أقوى من كثيرها أحال الكثير إلى طبيعته كما يفعل قليل الخمير بكثير العجين.

فصل:

والذي عليه حذاق الصنعة أن الصنعة في الحيوان والنبات بالقوة لا بالفعل والصنعة في الحجر بالقوة والفعل. غير أن الحيوان والنبات تستخرج منها أدهان ومياه تعمل أعمالا عجيبة في الحجر ولا يتم الحجر إلا بالحيوان أو النبات أو بهما جميعا. وقد يستغني الحجر عنهما فاعلم ذلك.

فصل:

والحكماء طلبوا الغزارة وتنكبوا الزرارة فقالوا: هذا العمل من غزر الأشياء وأكثرها قوى روحانية رقيقة لطيفة من الحيوانية التي هي المعادن السبعة. ومن الترابية التي هي غير المعادن السبعة فإذا استقر عندك أن هذا العمل من أغزر الأشياء وأكثرها قوى روحانية رقيقة لطيفة من الحيوانية والترابية فافصل ما بين الحيوانية والترابية مثل الكلس.

فصل:

والفرق ما بين الحيوانية والترابية أن الحيوانية: الزئبق والذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد.

والترابية: تنقسم قسمين: حيا وميتا.

فالحي منها الكبريت والزرنيخ والنوشادر^(١)، وكل شيء يذوب ويحترق ويخرج روحه بالنار.

والقسم الميت كل شيء لا يذوب ولا يحترق ولا يدخن كالكلس، وما أشبهه. وقد يستخرج من هذه الأشياء التي لا تذوب مياه يستعان بها في عمل الحيوانية والترابية وتنقيتها، وذلك ما لا ينكره أحد من أهل هذه الصناعة.

(١) الزرنيخ الأصفر: قوة هذا الدواء قوة تحرق وهو متى أحرق كان أطف والناس يستعملونه في حلق الشعر.

فصل:

وقد ذهب قوم أن العمل الحيواني هو ما عمل من حجر يخرج من الحيوان كالدم والبول والبراز والدماغ، والمرار.

وهذا بعيد من الخروج إلى الفعل؛ لأن الحيوان بعيد من الحجر فإذا استحال جوهر فإنما يستحيل إلى ما قرب منه، وكان فيه بالقوة والفعل شيء منه ومن الحيوان والحجر متربة النبات.

اللهم إلا أن يستحيل الحيوان إلى حجر ميت لا يمازج، ولا يصبغ، وهذا غير مطلوب القوم، والذي دعاهم إلى هذا القول جهلهم بالمطلوب، وتكوين الأجناس الثلاثة التي هي الحجر والنبات والحيوان وجهلهم أيضا مراتب استحالة بعض الجواهر إلى بعض مع تكوين الأحجار في معادتها.

ولو علموا هذا على حقيقة لوجدوا مطلوبهم بأيسر الطلب.

فصل:

والذي دعا أهل هذا القول بهذا الأشياء ما رأوا من تلويحها على سطوح الأجساد دون عرض بالغ في أفعالها.

والذي عليه الخذاق من أهل هذه الصناعة أن العمل الحيواني عندهم ما لم يكن فيه كبريت، ولا زرنينخ، ولا ما أشبههما.

على أن الكبريت والزرنينخ حيان كما قلنا قبل هذا، ولكنهما حيان بإضافتهما إلى ما هو دونها كالتوتيا والمرقشينا والطلق، وما أشبهه، وهما ترايبان ميتان بإضافتهما إلى الزنبيق الحي.

فصل:

وأنا أحمل قول الأستاذ أبي موسى جابر بن حيان رحمه الله الفاضل على أبناء جنسه في هذا على أصله، وأصول الأوائل من قبله، وأرد ما خرج عن ذلك الأصل من القول الذي لا يشبه أن له إلى قانون الصنعة وحقيقتها مستعينا على ذلك بالحكيم الأعلى على الحقيقة سبحانه وبحمده.

فصل: واعلم أن العزيز القوي الذي مدحوه وذكروه وكتموه ينبغي أن يكون

كالعالم الصغير الذي هو الإنسان، وما أشبهه يعني أن يكون العمل ذا نكاح وحبل وتعفين ومدة زمانية ويكون الذكر والأنثى، ويكون فيه التريبة حتى يتم الإكسير كما تكون هذه الأحوال للإنسان سواء بسواء. افهم هذا الفصل فإنه التدبير بعينه.

فصل:

والعالم عالمان أكبر وأصغر فالأكبر الجسم العالي، وما فوقه من الجواهر الروحانية، وتدبيره يظهر أفعالها فيه، والأصغر ما تحت الجسم العالي إلى الأرض. وقيل: الأصغر الإنسان وسمى الأصغر بالأكبر؛ لأنه مثله سواء.

فصل: وقال أفلاطون الحكيم: والصنعة عالم ثالث؛ لأنه مثل أحد هذين العالمين واجتمعت قوى العالم الأكبر في الأصغر ولم يقضوا عليه أنه عالم صغير إلا بعلم يقين وعبان وتجربة؛ لأنهم رأوا لكل شيء في العالم الكبير نظيرا في العالم الصغير من القوى الباطنة والظاهرة.

وقيل: إن العالم الأكبر ممتزج غير منحل بوجه من الوجوه ومتجاور منحل والعالم الأصغر متجاور منحل كذلك.

فصل:

فقد بان لذوي العقول أن القوى الروحانية التي لا تدرك بالحواس أنفذ في الذي يريدون وأقوى وأكثر انبساطا من الأجساد وليس لشيء من الأجساد قوة إلا بالأرواح، وقد ترون للأرواح قوى قوية وأعمالا رفيعة بغير أجساد فإذا كانت لها أجساد حية مثلها في الرقة واللطافة والنفاذ وعقدت بها حتى تصير على النار عملت عملا قويا غاية هو أقوى وأنفذ وأغزر من عملها، وهي وحدها بغير أجسادها؛ لأن الأرواح إذا لم يعقد بالأجساد الذائبة التي هي أجسادها وأجرامها وبأجسادها التي فيها، وإن كانت قليلة، ومعها أيضا آفات.

ولكن الآفات تزول عنها بالتدبير الحق كانت خروعه على النار، وخاصة إذا لم تدبر بتدبيرها الحق النار على أكثر قواها العاملة.

لأن القوى العاملة الخروعة على النار قد انتقلت عن طبائعها فصارت لا تخرج من النار.

فصل:

وحيت الأرواح وانبسطن في أجسادها وعملت أعمالها الكاملة، وإذا عقدت الأرواح بغير أجسادها نقصت أعمالها، ولم تنتشر أفعالها، وإنما تنتشر أفعال هذه الأرواح في أجسادها التي هي منها فافهم أيها العاقل.
واعرف فضل نعمه الله عليك.

فضل:

والتمس أن يكون تأليفك للطبائع من الأرواح والأجساد خاصة واجعلها بالتدبير الحق المحكم طبيعة واحدة لا يفارق الروحاني منها الجسماني ولا الجسماني منها الروحاني حتى يكون الإكسير الأحمر على طبيعة الذهب والأبيض على طبيعة الفضة، وذلك قولهم لا يكون ذهب إلا من ذهب، ولا فضة إلا من فضة، ولا ولد إلا من والد والإكسير الأحمر حار يابس على طبيعة الذهب وهو الذهب عندهم والأبيض بارد يابس على طبيعة الفضة، وهو الفضة عندهم.

وهو معنى قولهم ذهبنا لا ذهب العامة، وفضتنا لا فضتهم وفضتهم المصبوغة بإكسيريهم وذهبهم وفضتهم فوق فضة العامة وذهبها.

فصل:

وقيل: للإكسير إكسيرا لكسره قوة الجسد الذي يلقي عليه وإحالة إياه إلى طبيعته.

وقيل: إكسيرا؛ لأنه ينكسر ويفتت، وقيل: إكسيرا لشرفه وفضله.

فصل:

ويسمون الدواء في كل درجة من التدبير باسمه الموافق له على نص الطبيعة في المعدن فإذا اسود الدواء قالوا: رصاص اسود ثم ينتقل إلى سائر درج الأجساد حتى يبلغ إلى درجة الذهب الذي ليس بعدها غاية.

فصل:

وسموا الإكسير ذهباً، وفضة؛ لأن في القليل من كل واحد منهما كثير من ذهب العامة، وفضتهم.

وسمونه سما لنفاذه ورقته وسموه ناريا لصيره على النار.

فصل:

وقالوا: نعم الشيء التحليل، وهو قوام العمل، وتمامه والروح لا يدخل في جسد، ولا يمازجه ويصير خالدا معه إلا بتحليل الجسد معه وتلطيف إن الفضة لا يدخل فيها صبغ حتى تحل بالنار وبانحلال الجسد ينحل الروح، ويتعقد في الجسد؛ لأن الجسد أولا صار ماء في الماء ثم صير الجسد نفسه، والمائتين الذي معه بالتدبير الحق ههنا خالدا ثابتا لا سبيل للنار عليه والحل للروح والعقد للجسد.

الحل نقص التركيب المعدني وتلطيف الجوهر وتبييضه لا التمويه على ما يظن من لا يفهم.

فصل:

والبارد اليابس لا يحل شيئا بل يعقد، ولا يقوى شيء على الفعل وعلى الهضم أو الحل إلا بالحرارة والرطوبة؛ لأن الحرارة هي الفاعلة والبارد اليابس لا تفعل شيئا ما خلا الإمساك.

والبارد الرطب يقوى على عجن الأجساد حتى تأتي كأرطب ما يكون من العجين.

ومعنى هذا أن الروح يحل الجسد ويدبره ويفعل أفعاله المحمودة فيه، وهو حار رطب يريد أن البارد اليابس وهو الجسد يعقد الروح البارد بعجن الأجساد هو الروح قبل أن يدبر فإذا دبر كان حارا رطبا، وقيل: كان حارا يابسا في طبيعة النار.

فصل:

وقالوا: حلوا الأجساد بالأرواح واعقدوا الأرواح بالأجساد فيكون من ذلك ما تطلبون من الصبغ التام العاجل.

فصل:

ولما رأوا الأجساد غلاظا ثقلا جافية لا ينفذ في الأشياء كما ينفذ الروح الدقيقة اللطيفة قالوا: حلها برفق بكل شيء يوافقها من الأرواح ويحييها ويصلحها ويعينها ولا يميتها، ولا يفسدها، لو حلوها بما لا يوافقها، ولا يحييها لم يزدها ذلك التحليل إلا

فسادا وموتا ولكنهم صيروها في طبيعة الأرواح التي حللتها في الحياة والرقه واللطافة والنفاذ فمنهم من استعمل الطاهرة.

ومنهم من استعمل الوسخة فلما صار الجسد متغيرا على حاله وغلظه وجفائه ورق ولطف وصار كالروحاني ينفذ في الأشياء وهو جسدي الطبيعة لا يخرج من النار فعند ذلك امتزج بالروح؛ لأن الجسد انحل ولطف فعقد الروح وكان عقد الروح في ذلك الجسد الذي دبره، واستحال كل واحد منهما إلى صاحبه واستحال الجسد فصار روحا في رفته ولطافته وانبساطه وصبغه ونفاذه وجميع أحواله واستحال الروح فصار جسدا في صبره على النار وثباته وخلوده فيها، ويولد منهما جوهر لطيف لا في غلظ الجسد، ولا في رفته بل معتدل بين الأمرين.

فصل:

وليس من أحمر شيئا فقد عقد كعقدهم وإنما عقدهم أن يعقدوا الروحاني بجسده حتى لا يطير من النار ولا يدع جسده والجسد له رباط ووثاق وهو معنى المزاج؛ لأن المزاج اتصال كلي لا انفصال له أبدا بوجه من الوجوه.

فصل:

واعلم أن الحل والعقد الذين وصفناهما في عمل الحيوان هو الحق من تدبيرهم وإذا انعقد الحيوان بجسده صبغ صبغا لا يتغير، ولا يتقصص، ولا ينسلخ أبدا، وهذا الإكسير الذي يقرب أجساد الطبائع والعناصر ويحيلها فلا ترجع إلى ما كانت عليه أبدا، وهي طريقة الأنبياء والصالحين، والفلاسفة أجمعين.

فصل:

وقالوا في الأعمال الترابية اعقدوا الكبريت والزرنيخ بالمرقشيثا والتوتيا والطلق وما أشبه ذلك، وألقوها بأوفق هذه الأجساد لها حتى تقوم للنار، ولا تستعمل فيها فذلك عقدهم للترابية فاعلم ذلك.

فصل:

وقالوا: إياكم والنيران المحرقة.
عنوا بذلك الكبريت التي في أجواف العقاقير، وهي الأدهان المحرقة؛ لأن

الأدهان يعني: الكباريت ضربان.

ضرب محرق محترق وضرب غير محرق، ولا محترق، ولذلك قالوا: من أحسن إخراج الدهن فهو طريق العمل عنوا بذلك الدهن المحترق المحرق يريدون إخراج منه جوهره الذي هو حامله حتى يتنقى ذلك الجوهر منه ويعود صافيا نقيا وكل شيء ذكروا في العالم من السواد والظلم والفساد للجسد فإنما عنوا به الدهن الأسود المحرق المحترق الذي تسرع النار إليه.

فصل:

فلما تم رأيهم على عقد الروح الحيواني بجسده القريب منه، ونفي الرطوبة الفاسدة عنها مزجوها ثم دبروها معا حتى صار الجسد، والروح طبيعة واحدة لا اختلاف فيها، ولا اختلاف بين الجسد والروح وصارت طبيعة واحدة لا اختلاف فيها، ولا افتراق بين الروح والجسد مثل ماء دجلة قد مزج بماء الفرات فصار كلاهما واحدا لا فصل بينهما، ولا فرق فصبغوا الأحمر والأبيض و نفذوا بحجج كل إنسان يتبلغ علمه وحكمته وكثرة تجاربه وطول عمره.

فصل:

واعلم أن من أهل هذه الصناعة منهم من قد رضي بالتر من الأصباغ التامة التي تفوته ومنهم من طلب فوق ذلك ومنهم من لم يرض إلا بالغزير من الحيوان الذي إذا عمله صاحبه مرة واحدة في طول عمره لم يحتج إلى العود إليه ثانيا أبدا ولو عاش ألف ألف سنة، ولو عال ألف ألف نفس، وذلك إذا أحسن أخذ الخميرة من عمله الحيواني.

فصل:

وهو هذا الذي وصفت لك أسراره وأوضحت لك أخباره وهو العمل الذي من ظفر به ظفر بالغاية القصوى مما لبسوا فيه ورمزوا وصعبوا طريقته وكتروا القول فيه والطريقة واحدة وإليها ترجع الطرق كلها؛ لأن التدبير واحد لجميع الأحجار الحيوانية والترابية فاعلم ذلك.

فصل:

وكثير من الجهال حين سمع بالحل والعقد اللذان ذكرناهما فحل وعقد، ولم

ينجح وخاب وخسر وكثير منهم عقد الأرواح بأجسادها، ولم يحسن إدخال بعضها على بعض، ولا تأليف أوزانها، ولا تنقيتها، ولا تأليفها فخاب وخسر، ولم يكن له رفق فلا صبر على التجارب، ولا تأييد من الله عز وجل.

فصل:

فالأمر صعب جدا أصعب ما رامه المخلوقون وأبعده لدقته وغموضه على من لا يحسنه، وهو أسهل ما رامه المخلوقون وأقربه على من أبصر وجهه وطريقته.

وقالوا: من حل عقد، ومن عقد حل.

يعنون لذلك أن أحدا لا يحسن عقد الروح إلا أحسن حل؛ لأن الحل والعقد تدبير واحد ينحل الجسد وينعقد الروح فيه.

وقالوا: الذي يحل هو الذي يعقد والذي يعقد هو الذي يحل يعنون بذلك النار؛

لأنها تحل الجسد ويعقد الروح فيه.

وقالوا: هذا حجر بكماله؛ لأنه يحل نفسه ويعقدها.

فصل:

وأنا أقول بحق غير كذب وبعيان وتجربة إن أحدا لا يعمل من هذه الصنعة تدبيرا واحدا مستقيما على نص تدبيرهم الحق إلا انفتح له من العمل وجوه كثيرة على قدر نظره وعقله وتجاربه واستنباطه حتى يكون العمل عنده أيسر من كل صنعة في العالم على صانعها، ويكون العمل عليه أهون وعليه أقدر.

فصل:

وإنما هي أربعة أبواب، ولو قلت: لك أربع كلمات لصدقت.

يكتفي العاقل المحرب بما إذا جرب، وقد والله أوضحتها لك وفسرتها وأخبرت ونطقت بأعيانها بلا حسد، ولا كتمان، ولا رمز بل بأسمائها التي تسميها به العامة، وأنا أكرر عليك القول لتكون له حافظا.

فصل:

وهذا هو الباب الأول طهر أوصال عملك كلها من الوسخ والسواد والظلم والدهانات والرطوبات التي هي التضاد والفاسد حتى يكون الخلط الأحمر منها أحمر

فالأبيض أبيض.

فصل:

وهذا الباب الثاني حلل الأشقوريات الباقية في أسفل الآلة وهي الأجساد حتى يكون في طبيعة الأرواح النافرة على النار.

فصل:

وهذا الباب الثالث اعقد الأرواح التي ارتفعت بالتدبير الحق عن الأجساد بالأجساد الباقية في أسفل الإناء حتى تكون الأرواح في طبيعة الأجساد في الصبر على النار، ولا يكون بينها، وبين الأجساد خلاف ألبتة.

فصل:

وهذا الباب الرابع: اعلم أن جميع الأصباغ عامة وصبغ العصفرة خاصة لا يدخل منها شيء في الثياب وهو يابس حتى يختلط بالرطوبة ويبقى الصبغ في الثوب قد لزمه على قدر قوته، وكذلك صبغنا لا يدخل في مصبوغه حتى يختلط بالرطوبة المتعلقة الممازجة الذهبية فتطير الرطوبة بالنار ويبقى الصبغ.

فصل:

وسأجمل لك في العمل جملا من القول أنها على تدبير الفلاسفة فلا بد أن تأخذ حجرهم المركب فتفصل منه بالتدبير الحق أربع طبائع أرضا وماء وهواء ونارا وتدبر الجسماني بالروحاني حتى يمتزجا ويصيرا شيئا واحدا والغرض ههنا اجتماع الروح والجسد وذوبهما معا والماء يبيضهما والهواء يرققهما ويلطفهما والنار يحمرهما بعد البياض، وهذا معنى تفصيل الطبائع الأربع من حجرهم فالأرض منسوبة إلى البرد واليبس.

والماء منسوب إلى البرودة والرطوبة والهواء منسوب إلى الحرارة والرطوبة والنار منسوبة إلى الحرارة واليبوسة.

فصل:

وأما الأعمال الترابية والتي تدخل فيها الحيوانية والترابية معا فكثيرة وسأذكر لك جملا من القول على عمل لم يكن فيه من الزئبق زئبق السوق ثم الكبريت كبريت

السوق ثم الزرنيخ زرنيخ السوق ثم النشادر نشادر السوق المصعد، وما لا يكون فيه شيء من هذه الثلاثة، ولا يحل، ولا يعقد فلا تعتد به، ولا تصدق بأنه يكون منه خير ينتفع به ذو دين أو ورع أو مروءة.

ما خلا الزئبق وحده فإنه إن لم يكن في عمل لم ينجح ذلك العمل أبداً بنجاح تاما كنجاح ما يكون الزئبق وإن كان في العمل بعض هذه الأشياء، وكان له جسد من الذهب أو الفضة أو الرصاصين أو النحاس أو الحديد أو المرقشيثا أو الطلق أو الزجاج أو الملح، وألف بتأليفهم الحسن وتدبيرهم المحكم من الحل والعقد حتى يصير على النار، ولا يشتعل فيها وحتى يذوب كالشمع بمزاوجة حسنة فذلك أيضا عمل ووجه حسن من الحيواني والترابي ومن الترابي والحيواني ممزوجين معا، وقد تصبغ هذه الأشياء صبغا لا يرضى به ذو دين وورع؛ لأنه يزول وذلك إذا دبرت بغير تدبيرها الحق وهو تدبير العامة لها.

فصل:

وأما الأوزان والحيلة في لطف التدبير والحل والعقد فكل واحد من الحكماء له في ذلك رأي ورفق.

فمقدم ومؤخر ومطول ومقصر إلا أن الوجه واحد والطريقة واحدة من أخطاها خاب وخسر، ولم يظفر فلذلك سميت الغاية القصوى.

فصل:

وشبهوا الأرواح والأجساد حين التقت وانقلبت وصارت شيئا واحدا لا افتراق بينهما بعد ذلك كالموتى إذا بعثهم الله من قبورهم يوم القيامة فإنه عز وجل يرد أرواحهم إلى أجسادهم اللطيفة، ولا موت عليهم بعد ذلك؛ لأن أرواحهم اللطيفة امتزجت بأجسادهم اللطيفة فهم خالدون في نعيم مقيم يتجدد أو عذاب أليم يتزايد ولا افتراق لأرواحهم عن أجسادهم بعد ذلك كما كان في الدنيا التي كان تركيب أجسادهم فيها على المجاورة وغير الموافقة؛ لأنها كانت في الدنيا متجاورة لا ممتزجة.

ويقال للمجاورة مزاج، فهذا نعت العمل الذي من ظفر به فقد ظفر بالغاية القصوى مما وصفوا ولبسوا ورمزوا ووضعوا فيه الكتب المعماة والمقلة ولبسوا على

العامّة جهدهم.

وقالوا: هو مخزون يفتحّه الله عز وجل لمن يشاء من خلقه وهو الفتح العليم.

فصل:

ومثل الإكسير مثل قوم أقوياء اصطحبوا كلمتهم ورأيهم وأهواءهم واحدة وأخلاقهم وطباعهم متفقة وسرهم وعلانيتهم شيء واحد قد نزع البغي من صدورهم والكسل والخذلان من قلوبهم.

هتّمهم التناصح فيما بينهم، وأسر من ظفروا به من عدوهم أن لقوا خيرا فخير، وإن لقوا شرا فشر قد طبعوا على ذلك وجبلوا عليه وعدوا به لا يقدرّون على التحويل عنه إلى غيره فلقوا قوما ضعفاء أحيانا متعادين متخاذلين.

همة كل واحد منهم إهلاك صاحبه لا يبالي إذا هلكوا جميعا أن يهلك معهم قد طبعوا على ذلك وعدوا به لا يقدرّون على التحويل عنه إلى غيره وظفر المتفقون متخاذلين فهزموهم وأسروهم وكذلك للإكسير قواه كلها متفقة غير مختلفة قاهرة للطباع المختلفة ومحيّلة لها عن طبائعها على طبيعته؛ لأنه لا يلقى جسدا ضعيفا قد حلّته النار وأوهنته مع أن طبائعه مختلفة متخاذلة مريضة، وكل واحد منهم يريد أن يحيل الإكسير إلى طبيعته دون أصحابه فلا يقوى على ذلك، ويقوى قليل الإكسير منها على الكثير فيحيلها طبيعة نفسه فإن كان الإكسير أحمر صبغها ذهباً وإن كان أبيض صبغها فضة.

فصل:

وإن زعم زاعم بنقص عقله وغلظ فهمه وقلة تجاربه أن هذه الأرواح والأجساد والأحجار ليس لها أعمال، ولا فيها حياة، ولا تتعارف، ولا تتفاكر، ولا تتوافق، ولا تتخالف ولا تقبل بعضها بعضا، ولا تنفر بعضها من بعض فليجرب ذلك في النار فإنه يرى هذا كله عيانا والنار هي التي تقضي على الأشياء بما في طبائعها فما كان في طبيعة الامتزاج والتشاكل أعانته على الامتزاج وألحمته وما كان في طبيعة الافتراق والتنافر أعانته على الافتراق.

فصل:

والإكسير أحمر مشاكل ممزوج لحمرة الفضة الباطنة فيها، وكما لا تقدر بالخلاص على أن تفرق بين حمرة الفضة وبياضها فكذلك لا تقدر على إزالة صبغها بالإكسير، وأظهر حمرتها الباطنة، وقواها حتى عادت ظاهرة فكذلك الإكسير الأبيض مشاكل ممزوج لبياض النحاس الكامن فيه فإذا انصبغ أسرع البياض إلى الامتراج بالإكسير الأبيض ولا يستطيع أحد إزالة الصبغ منه بوجه من وجوه الخلاص لشدة الممازجة والتشاكل.

فصل:

فإذا عرفت ابتداء هذا العمل وآخره، وعرفت أرواحه وأجساده وأنفاسه وأصباغه وتطهيره وتركيبه، وحله وعقده، وعرفت الطريق الحق الذي إليه قصدوا في التدبير لم يرد عليك شيء من علم الحيوان التراي إلا عرفت حقه من باطله، ولا تقدم إلا على علم يقين وعمل صحيح، ولا غنى فيه بعد فهمك هذا الكتاب، وإن لم تفهم، ولم تظن لكيفية معناه فأنا عاذرك.

واعلم أنك إن لم تعلمه ولا تعمله فلا تنفق فيه شيئاً ولا تتعنى به، وإن كان لك أدنى فطنة وعقل فإن هذا الكتاب ترجمة كل علم عمل، وكل كتاب، وأنا أسأل الله توفيقك وتسديك وإرشادك إلى فهمه إنه على ما يشاء قدير، وهو حسبي ونعم الوكيل.

تم كتاب الرحمة لأبي موسى جابر بن حيان رحمه الله والحمد لله رب العالمين وصلاته على سيد المرسلين وخاتم النبيين وصفوته من سائر الخلق أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين

كتاب الرحمة الصغير لجابر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جابر بن حيان رحمه الله تعالى:

قال سيدي رضي الله عنه: يا جابر فقلت: لبيك يا سيدي، فقال: هذه الكتب التي صنفتها جميعها وذكرت فيها الصنعة وفصلتها فصولا، وذكرت فيها من المذاهب وآراء الناس وذكرت الأبواب وخصصت كل كتاب.

منها: بعمل مخصوص، وفرقت التدابير فيها فمنها ما هو على طريق المثال الذي لا حقيقة لظاهره.

ومنها: ما هو على طريق مداواة الأمراض التي لا يفهمها إلا عالم واصل.

ومنها: ما هو على طريقة النجوم من المناظرات والمقابلات واستوعبت الصنعة في علم الفلك، وبعيد أن يخلص منها شيء إلا الواصل غير محتاج إلى كتبك.

ومنها: ما هو بطريق الحروف التي تارة تثبت حقائقها وتارة تفسد.

وهذا علم قد اندرس وباد أهله، وما بقي أحد بعدك يفهم له حقيقة، ومنها أيضا: ما هو موضوع على الخواص ثم يقصد ذلك بالقياس والتحمين الذي لا يبعد أن تتساوى فيه أنت وغيرك.

ثم وضعت كتبا كثيرة في المعادن والعقاقير فتحير الطلاب وضيعوا الأموال وافتقروا ودعتهم الحاجة إلى ضرب الزيوف وعمل الزغل ودعاهم الفقر والحاجة إلى النصب على أرباب الأموال وغيرهم.

كل ذلك من قبلك، وقبل ما وضعت في كتبك والآن يا جابر استغفر الله العظيم وارشدهم إلى عمل قريب سهل تكفر به ما تقدم لك وأوضح فما يأخذه إلا من قسم الله له فيه برزق. فقلت يا سيدي أشر علي أي الأبواب أذكر فقال: ما رأيت لك بابا تاما مفردا إلا مرموزا مدغما في جميع كتبك متلوفا فيها فقلت قد ذكرته في السبعين وأشرت إليه في كتاب النظم، وفي كتاب الملك من الخمسمائة.

وفي كتاب صفة الكون وفي كتب كثيرة من المائة فقال صحيح ما ذكرته من ذلك في أكثر كتبك، وهو في الجمل العشرين مذكور غير أنه مدغم مخلط بغيره لا

يفهمه إلا الواصل، والواصل مستغن عن ذلك، ولكن بجيأتي يا جابر أفرد فيه كتابا بليغا بلا رمز واختصر كثرة الكلام، ولا تفسد الكلام بما تضيف إليه كعادتك فإذا تم فأعرضه علي فقلت: السمع والطاعة ثم ابتدأت ووضعت هذا الكتاب وسميته بكتاب الرحمة الصغير رجاء من الله الثواب، ورحمت به إخواني الفقراء الصالحين الذي قد انفقوا أموالهم وأتعبوا أجسامهم ونسبتهم أبناء جنسهم إلى الزغل من غير حق. وحق سيدي إن فيه توليد الألوان بغير تعفين ولا غسل ولا طهارة ولا تبييض جسد لا بغسل، ولا بحرق النار، ويخرج منه.

وحق سيدي، الباب كما ذكرت لك في كتاب الملك، وغيره على أوفى ما يكون، وهذا الباب مذكور في البرانيات إلا أنه اكتسب بالتركيب والموازن الصحيحة، وترتيب العمل اسم الجواني فنسأل من بيده تصارييف الأرزاق أن يبلغه كل مستحق مؤمن، وأن يجرمه كل كافر وجاحد بحق محمد، وآله ثم إنني نمت ليلتي تلك فرأيت في نومي كأني قائم في وسط بساتين ورياض، وعن يميني نهر من عسل ممزوج بلبن، وعن يساري نهر من خمر وقائل ينادي في سري يا جابر ناد أصحابك إلى هذا النهر الذي عن يمينك ليشربوا منه، وامنعهم من هذا الذي عن يسارك وحرم عليهم شربه.

فقلت له: من المخاطب أنت؟ فقال: نور قلبك الصافي المضيء فانتبهت لوقتي وفكري يجول في وضع هذا الكتاب فلما أصبحت مضيت إلى سيدي، وأنا مسرور بالنام، وأعلمته به فقال: احمد الله، واشكره الذي نور قلبك وبدنك إلى فعل الخير اخرج من عندي في ساعتك هذه واقصد ما نوديت إليه واستعن بالله في ذلك.

اعلموا إخواني رضي الله عنكم أنه قد تقدم لي في هذا العمل السهل القريب عدة كتب ذكرته فيها برمز قريب يفهمه من له رياضة جيدة بقراءة كتي وأغراض فيها لأنني لم أرمزه رمزا بعيدا كما رمزت غيره من الأعمال التي لها تدابير بوسائط، وهي أعمالا لا يدخل على من يدبرها إذا علم الوسائط فساد، وهي طرق شتى:

فمنها: ما تدبيره بعد التركيب وتوليد الألوان بالوسائط، قبل وبعد.

ومنها: ما تدبيره بعد توليد الألوان بلا وسائط ثم بالوسائط وهذه الأعمال طرق

شتى للحكماء فيها اختيارات ومذاهب واختصارات.

وأما هذه الطريقة التي نحن واضعها في هذا الكتاب فهي أوضح مما تقدم، وهي طريقة النار وحدها بلا داخل يدخل عليها من أولها إلى آخرها، وهي تدبير الزئبق الغبيط والميزان عمدتها.

وبالميزان تقوم الخاصية والكمال فهو براني جواني، وليس فيه توليد ألوان ولا يمد بالوسائط فبالله عليك أيها الواصل وبحق معبودك إن فهمته اكنمه غاية الكتمان إلا عن مستحقه، وإياك ثم إياك إن علمك الله سهولة مأخذه أن تبديه، ولا تذكره، ولا تذاكر فيه فيعاقبك الديان، وربما أحرمته بالأسباب الربانية التي تجازى بها عند ذلك له.

فاعلم يا أخي أنه يجب عليك أن تعتمد قولي فيما أقوله، وذلك أن تأخذ هذه المادة المعمول منها من أشخاص طرية نقية من الأوساخ والأدناس، ولا تأخذ منها إلا الجوهر الصافي النقي كالبيضة التي تؤخذ منها الصفرة ويرفض ما سواها، وتكون من حيوان في ابتداء نشوه فإنه أصلح في التدبير، وأيسر في التفصيل عند هروبه من النار عند تدبيرك له بها، وقت التفصيل.

واحترز من عدوك فإنه إن ظفر بك قتلك، وإن ظفرت به عشت وأمنت من العدو.

واعتمد على قول الحكيم: النار تزيد الصالح صلاحا، والفاسد فسادا فما افتخرت الحكماء بكثرة العقاقير، وإنما افتخرت بجودة التدابير فعليك بالرفق، والتأني وترك العجلة واقتفاء أثر الطبيعة فيما تريده من كل شيء طبيعي فاعتمد عليه فإذا وقعت منه بما تحب كما تحب فالتخلف منه غير معتد به، وله فاد بفدية بنفسه ويليهِ في الجنس والسن فإذا وصلت إليه فأخرج منه ما كان غريبا وترفق بأخذه فهو عمدة المزاج المولد، وهو الموصل الأصباغ إلى الثوب فإذا أخرجت منه ذلك تقدم فيه فأذهب منه حرميته وتجسده فإنه لا يمازج اللطائف حتى يكون لطيفا مثلها، وإلا يقع التباين والانفصال.

افهم هذا الفصل فإنه عمدة أعمالنا جميعها جوانيها وبرانيها فإذا أنت يا أخي طهرت ما يجب طهارته وهما التركيبان الشريفان الفاضلان الصابغان والنار الصافية الحجرية والدهن النقي المضيء النوراني الممازج الغير المشتعل.

وأعانك الله تعالى على ذلك فقد أدركت المنى، ووصلت إلى كنوز الأرض قاطبة فابتدأ بتركيبها على الأزواج في ذواتها الباردة الرطبة بالحرار الرطب ثم تثبت بالحرار اليابس فإذا فعلت ذلك فذلك الذي هو الإمام الذي أبدا أذكره في أكثر كتبي، وهو قولي إلا أن يسعدني الله برؤية الإمام.

ثم تقدم إلى التركيب إن كان تركيبك الحمرة فاقصد إلى ما ذكرته لك في كتاب الميزان المفرد عند قولي فيه إن الله سبحانه لما خلق النيرين عدل طبائعهما إلا طبيعتين زاد فيها، ونقص أما الشمس فإنه نقص من باردها ورطبتها وزاد في حرارتها ويسهأ، وهي الغلبة قارنه البارد واليابس فكان لها بهذه الغلبة والفعل والتأثير في كل شيء وأما القمر فإنه زاد فيه من البارد الرطب وهو الغلبة ونقص فيه من الحرار اليابس المقارن إلى البارد اليابس فكان لها التأثير في كل شيء بالغلبة فإذا أقمتم الإكسير من لون أحدهما لهذا الميزان فهو وحق سيدي الميزان الطبيعي في كل الأعمال بعيدها ومتوسطها وقريبها فاسبكه كما ذكرت لك في كتبي وهو قولي: اسبك المعتدل المتجانس بالنار التي لها ثلاث مراتب، وهي نار الابتداء ونار التوسط ونار الغاية التي تقوم بها الإكسير على الذوب والجمود يذوب كالشمع ويجمد بالهواء، ويغوص ويسري سريان السم، والطرح تابع للتدبير إن كانت مادتك جيدة كما ذكرت لك، ولا يجوز أن يكون في هذا التدبير السريع إلا من المادة المذكورة يكون أيضا تدبيرك محكما جيدا نظيفا في الغاية فواحد على ألف ألف فإن كان تدبيرك مع جودة المادة فيه تقصير فبحسب ذلك يكون التقصير فاحفظ هذا الإكسير في وعاء بلور أو ذهب أو فضة فإن الزجاج لا يؤمن عليه الكسر واستعن في جميع أمورك تسعد وترشد فوحد سيدي وخالقي ما كتمتكم من هذا الباب شيئا ولا حرف، وقد بسطت غاية البسط بما لم يجسر عليه غيري أبدا لا متقدم، ولا متأخر بعدي فاعلم ما عملته معك، ومع كل طالب واجعل جزائي منك الرحم والدعاء والاستغفار واجعل لي في إكسيرك نصيبا تخرجه عني لوجه الله تعالى للفقراء والمساكين والله خليفتي عليك، وهو حسبي ونعم الوكيل.

تم الكتاب.

كتاب البيان

الحمد لله الذي بيانه اهتدى المهتدون وبعده نجا المؤمنون وصلى الله على رسوله
محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

اعلم أنه لا بد لنا في ترتيب هذه الكتب كما بينا أن ندرج إلى كل واحد منها
تدریجاً ونغذوا المتعلم بها كما يغذى الطفل باللبن، وكذلك دعت الضرورة أن تختلف
أجزاء هذه العلوم في هذه الكتب وذلك لأننا ضمنا أن نورد كل ما فيها على ترتيبها
الخاص بها، ولا نقدم منها مؤخرا ولا نؤخر منها مقدما، وكل واحد منها فله قسط من
هذا الضمان، والطريق إلى كل واحد منها لا بد له من ترتيبه الخاص به، والواجب له
بحسب تقريبه من نفوس المتعلمين.

فلم يمكن لأجل ذلك أن نورد قسطا لعلم منها لا نورد مثله في تلك الرتبة للعلم
الآخر فلذلك ما تجد في جميعها محل بعضه بعضها فلا يدهشك ذلك.
وتقدر أنا قصدنا به التلبس عليك وخلط الصنعة بالدين والدين بالفلسفة،
وأشبه ذلك فليس الأمر فيه كما يقع لكم، ولكنه على ما عرفناك إياه فاعلمه.
ولما كان الكلام في البيان أجل ما يحتاج إلى تقديمه في علوم موالينا عليهم
السلام.

وكان طريقه أحد الطرق التي يجب أن يدرج المتعلم إليها ويغذى بها وجب أن
نذكره في هذا الكتاب ليعرفه الراغب في هذه العلوم الشريفة بحقه وصدقه فيعظم
انتفاعه به.

فافهم ما نقوله، واعرف غرضنا به تكن سعيدا إن شاء الله تعالى.
والبيان يقال - يا أخي - على ضربين على القول وعلى العلم، وإن شئت قلت:
على القول، وعلى المعنى.

العلم واحد: وهذا تعلمه في الحس والمحسوس والعقل والمعقول من هذا الكتاب
إن شاء الله تعالى فأما ما كان من البيان راجعا إلى القول فهو على ضرب:
منها: كما قيل في وصف البيان للخطباء إنه البلاغة، وإن البلاغة هي جمع الكثير
من المعاني في القليل من الألفاظ، ونحو ما قيل فيه «إن من البيان لسحرا».

فهذا وأشباهه هو التوصل إلى إيراد المعاني على وجه يقر من حسن الموقع في النفس وسرعة الإفهام بتحسين اللفظ وترتيبه، واختيار معتاد الألفاظ عند سامعها دون وحشيها وقريبها دون بعيدها.

والضرب الثاني: من الضروب الراجعة إلى البيان اللفظي: ما يجري مجرى الشرح والبسط والترديد للمعنى باختلاف الألفاظ.

وهذا إنما يحتاج إليه من لا فهم له.

والضرب الثالث: هو البيان الخاص، وهو التعريض الكافي للذكي الفطن والضييق الفهم المعني له عن التصريح، وهذا الضرب من البيان الراجع إلى القول إنما يحتاج إليه من أثره لأجل سياسة إفهام الخاصة، ولا تفهمه العامة وإن اشتركت جميعا في سماعه.

والضرب الرابع: من ضروب البيان الراجع إلى القول الصريح الفاضح للمعنى المقصود باللفظ الذي لا يقع فيه اشتراك أي لفظ كان شريفا كان عند أهل اللغة أو غير شريف فهذه هي ضروب البيان الراجع إلى القول.

وأما الضرب الثاني من ضربي البيان الأولين وهو الراجع إلى العلم والمعنى فهو أيضا ينقسم على ضروب:

أحدها: العلم بالشيء فإن العلم بالشيء يسمى بيانا وتبيننا من حيث كان يستبين في النفس بالعلم به، ولأجل العلم به قيل لبيان القول بيانا من حيث كان مؤديا إلى العلم وطريقا إليه.

والعلم على ضربين:

علم بالجملة: كما يعلم الإنسان بالجملة فهو البيان الأدنى.

وعلم بالتفصيل: كما يعلم الإنسان بحده أنه الحي الناطق الميت الأوسط.

وعلم بتفصيل التفضيل: وهو كما يعلم الإنسان من حيث نفسه وعقله

البيسيطين، وهو البيان الأعلى فافهم ذلك، واعمل به ترشد إن شاء الله تعالى.

والضرب الثاني: ظهور المعنى وتحليلته وانكشافه إما للحس، وإما للعقل، وذلك

على ضربين: **إما بالذات:** من المعنى، وإما بالفعل منه، والتأثير فأما ما هو متجل بذاته،

فكالمحسوسات لذوي الحواس عند ارتفاع موانع إدراكها وحضورها للحواس وزوال اللبس وأشباهه عنها، وأشباه هذه الأمور.

وأما العقلي: فكالموجبة والسالبة، وما هو مستقر في بداية العقول.

وأما ما يتجلى بأثره الدال عليه فنحو البارئ تبارك وتعالى، ونحو الحركة والحياة والجواهر البسيطة الروحانية على تفاوت منازلها في البيان ولذلك ورد في الخبر في أسماء الله تعالى بأنه بيان.

وأما الضرب الثالث: من ضروب البيان من طريق المعنى فهو الهداية لا على وجه الدلالة؛ لأن ما ذكرناه من الآثار الدالة على الذوات مفصح عن حال الدلالة، ولكن كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُضَيِّقْ صَدْرَهُ، ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

واعلم أن هذا البيان له مدخل في جميع ضروب البيان، فاعلم ذلك فإنه من معجزات الكتاب الكبار، وذلك أنه من أبوابها كلها، وذلك أنه من حيث يجده الإنسان من نفسه ضرورة إذا راعاه هو من باب المحسوسات والمدركات ومن حيث لا يمكنه شك فيه إذا وجده هو من باب ما في أوائل المعقول.

ومن حيث هو أثر ومعنى صادري من مؤثر دال على ذلك المؤثر، وهو من أحد قسمي ما يدل على غيره لا على ذاته، ومن حيث هو قاهر عند وجود من وجد له هو من حيث ما يدل على ذاته، ومن حيث هو موجود في النفس لا من محسوس هو عقلي محض فانظر - يا أخي - إلى هذا الشيء الواحد كيف حصلت له هذه الأحوال المختلفة وهو واحد الذات ليدل على أن المتولي هو الجوهر الشريف الذي لا جوهر أشرف منه فلذلك كان في أثره جميع معاني الأشياء التي حدثت فاعلم هذا يا أخي تنتفع في مواضع كثيرة من العقلية، وأمور الديانات.

واعلم أنه قد بقي من البيان شيء محدث في عالم الكون والفساد لأجل السياسة وهو في جملة هذه البيانات شبيه بهذا البيان الإلهي الأشراف؛ لأنه محدد على مثاله، ومن فعل فاعله لكن لما التبس بالكون ظهر بغير ذلك المعنى لكن بالمعنى اللائق بالكون، وأهله، وهو الهمزة الأرضية وهو المتحرك لا الألف الساكنة؛ لأن الألف الساكنة هي

الصامت وهذه الهمزة المتحركة هي المبتدئة لكل أمر الواضحة للكتب والمحدث للصنائع وظرائف العلوم والسياسات التي بها يكون الخلاص للكل، وما في عالم الكون والفساد بحسب ما لزم الاستحقاق فيه من القبول، ولذلك ظهر فيها أنها هي العلة الأولى، وقد يكون منها آثار تجري مجراها ويظن من لا يعرفها أنها هي لا آثارها وهم الذين يضعون الكتب لا من ذواتهم وما يتبدون بإخراجه إلى هذا العالم لكن على قياس ما أتى به، وفي معنى الشرح له والتفريع عليه، وهذا وحق سيدي هو الفرق بينه وبينهم.

فاعلم ذلك لكيلا نصير فنعود في التكرير يا أخي فإن من عرف هذا الشخص الكريم حق معرفته، وأسعد بمشاهدته والتصرف بين أمره ونهيه فلا تكرر عليه.

وليس كل من شاهده ينال هذه الرتبة لأنه قد يشاهده من يستحق المسخ، ومن يستحق الرشح والتكرير، وأمثال ذلك، ولا يجوز أن يعلم من هذه حاله، وإن قرأ كتبه ولذلك قال: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ١٢]، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الشعراء: ٢٠١] حتى يستوفوا عذابهم المؤلم فيصفون ويتنهون فتركوا طباعهم وتحترق ظلماهم بطول العذاب الجاري مجرى التكليس للأجساد.

فاعلم ذلك، وهذا الشخص -يا أخي- لن يظهر إلا في القرانات المقتضية للانتقالات إذا هجرت العلوم، وفسدت الأديان وعم الفساد فإنه يظهر إصلاح بأسره فيكون أول إصلاح يبدو منه فيه تصنيف الكتب في العلوم الباطنة المهجورة وإيضاح براهينها ثم يقوم بعد ذلك بالسيف فيصلح به من لا يصلح بالعلوم من النفوس المحتاجة إلى التكرير في غير أشخاص العظمة؛ لأن هذه النفوس تجري مجرى الجرب المعدي لفساده ومجى الخبيثة في الأعضاء، وأشبه ذلك، ولهذا الشخص الكريم أعدت الدفائن والكنوز القديمة ويظهر فيما يلينا في قران القوس فاعلم ذلك.

وإذ قد أتينا على ما في البيان فليكن آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

تم كتاب البيان بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما والحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم
٧	التعريف بجابر بن حيان
٩	كتاب الحدود
٢٦	كتاب الأحجار
٨٧	كتاب الحجر
١١١	كتاب الإيضاح
١١٥	نخب من كتاب الخواص الكبير
١٦٨	كتاب الزئبق الشرقي
١٧٣	كتاب الزئبق الغربي
١٧٧	ابتداء الجزء الأول من كتاب السر المكنون
١٨١	كتاب الموازين الصغير
٢٢٧	كتاب التجميع
٢٦٩	نخب من كتاب التصريف
٢٩٠	كتاب إخراج ما في القوة إلى الفعل
٣٨٧	كتاب الماجد
٣٩٤	كتاب الحبيب
٤٢٥	كتاب السبعين
٤٤٠	نخب من كتاب الخمسين
٤٤٤	نخب من كتاب البحث
٤٦٠	كتاب الراهب
٤٦٣	نخب من كتاب الحاصل

٤٦٨	نخب من كتاب الاشتمال
٤٧٢	نخب من كتاب القدم
٤٧٥	كتاب ميدان العقل
٤٨٧	كتاب الملك
٥٠٠	كتاب قراطس الحكيم
٥٢١	كتاب أسطانس من كتاب الفصول لأسطانس الحكيم
٥٣٠	كتاب أسطقس الآس على رأي الفلاسفة
٥٦١	كتاب التجريد وكتاب المنفعة
٥٧٠	كتاب النور
٥٧١	كتاب الرحمة الصغير
٦٠٣	كتاب البيان

